

جامعة القاهرة
اليوبيل الذهبى
لمعهد البحوث والدراسات الأفريقية

١٩٩٧ - ١٩٤٧

الموسوعة الأفريقية



منتدى سور المنزلكية

WWW.BOOKS4ALL.NET

المجلد الأول
الجغرافيا

مايو ١٩٩٧



جامعة القاهرة
اليوبيل الذهبى
لمعهد البحوث والدراسات الأفريقية
(١٩٤٧ - ١٩٩٧)

الموسوعة الأفريقية

المجلد الأول

الجغرافيا

إعداد

أ.د. محمد السيد غلاب
د. ماجدة إبراهيم عامر
د. صلاح الدين صميذة عوض
د. عزيزة محمد على بدر
أ.د. محمد عبد الغنى سعودى

أ.د. فاروق عبد الجواد شويق
أ.د. يوسف عبد المجيد فايد
أ.د. السعيد إبراهيم البدوى
د. فاتن محمد البننا
أ.د. محمد مدحت جابر

مايو ١٩٩٧

المحتويات

١. حضارات إنسان ما قبل التاريخ

في القارة الافريقية

١	
٢	المقدمة
٧	البيئة القديمة
٧	عصر البلايستوسين
٨	أفريقيا القديمة خلال البلايستوسين
١١	دور أفريقيا في إرتقاء الإنسان
١٣	تقدم الحرف
١٦	النار
٢٠	الفنون
٢٤	شمال أفريقية والصحراء
٢٥	مصر والنوبة
٢٩	الصحراء الكبرى
٣٢	الحضارة العاطرية
٣٦	أفريقيا المدارية
٣٦	أهم معالم الجغرافيا القديمة
٣٨	الحضارة الشيلية والأشولية
٤٠	خانق أولدوقاي
٤٦	موضع شيسووانجا
٥١	مصنع كيلومبي
٥٤	حضارات ما بعد الأشولية
٥٨	الحضارة القفصية
٦١	جنوبى القارة

٦٦	الخاتمة
٦٧	هل تفيد دراسة التاريخ فى معرفة المستقبل
٦٨	فائدة قصة الإنسان
٧٠	الأشكال
٧٦	الحواشى
٨٤	ببليوجرافية مختارة

٨٥ ٢. أفريقية مهد الإنسانية

٩٠	البشرىات الجنوبية
٩٧	نوع الإنسان منتصب القامة
١٠٠	نوع الإنسان العاقل

٣. لمحات عن دراسة السلالات البشرية الحالية

١٠٥ فى القارة الأفريقية

١٠٧	مقدمة
١٠٧	السلالات والأنثروبولوجيا
١٠٩	عراقة السلالات البشرية
١١٢	المجموعات السلالية الرئيسية الأفريقية
١١٧	الخاتمة
١٢٣	الحواشى
١٢٥	ببليوجرافية إرشادية

٤(١). الاقاليم المناخية فى افريقية
فى ضوء تصنيف
(كين)

١٢٧

١٢٩

١٣١

١٣٥

١٣٩

١٤٢

١٤٥

١٤٨

١٤٩

١٥٢

١٥٣

مقدمة

المناخ Cs (a,b)

المناخ BWh

المناخ BSh

المناخ Aw

المناخ C(w,fa,fb)

المناخ Am

المناخ Af

خاتمة

الهوامش

٤(ب). ماذا بعد الجفاف فى افريقية

١٥٤

١٥٥

١٥٥

١٥٧

١٥٩

١٦١

١٦٤

١٦٧

١٧٠

١٧١

مقدمة

ماهو الجفاف

هل الجفاف دورى

هل أسباب الجفاف طبيعية أو بشرية

بحث فى دينامية سقوط المطر فى إقليم الساحل فى افريقية

لماذا افريقية بالذات تصاب بالجفاف

ثم ماذا بعد حدوث الجفاف

الهوامش

المراجع

١٧٣	٥. النمو السكاني في أفريقيا
١٧٥	النمو السكاني في أفريقيا
١٧٧	أولا : اتجاهات النمو السكاني في أفريقيا
١٧٧	١ - اتجاهات النمو السكاني في أفريقيا حتى القرن العشرين
١٧٨	٢ - اتجاهات النمو السكاني في أفريقيا خلال القرن العشرين
١٨١	٣ - اتجاهات النمو السكاني في أقاليم أفريقيا
١٩٠	ثانيا : مكونات النمو السكاني
١٩٠	١ - الزيادة الطبيعية
١٩٣	أ - معدلات المواليد
١٩٨	ب - معدلات الوفيات
٢٠٠	١ - العامل الاقتصادي
٢٠٤	٢ - الحالة التعليمية
٢٠٦	٣ - الحالة الصحية
٢١٢	٤ - الحرب
٢١٤	٢ الهجرة
٢١٦	أولا : واقع الهجرة البينية في أفريقيا
٢١٧	ثانيا : الهجرة الأفريقية على المستوى شبه الأقليمي
٢١٧	١ - شمالي أفريقيا
٢٢٢	٢ - غربي أفريقيا
٢٢٥	٣ - شرقي أفريقيا
٢٢٨	٤ - إقليم وسط أفريقيا
٢٣٠	٥ - جنوبي أفريقيا
٢٣١	بواقع الهجرة
٢٣٣	الخلاصة
٢٣٤	الهوامش

٢٤١	٦ - مقدمة عن النشاط الاقتصادي
٢٤٢	الملامح العامة للنشاط الاقتصادي في أفريقيا
٢٤٣	١ - التخلف
٢٤٤	٢ - الاقتصاد المعيشي والتبادلي
٢٤٦	٣ - سيادة النشاط الاستخراجي
٢٥١	٧ - الإنتاج الحيواني في القارة الأفريقية
٢٥٣	تقديم
٢٥٥	أولا - الضوابط الطبيعية
٢٥٥	١ - الظروف المناخية
٢٦٠	٢ - النبات الطبيعي
٢٦٦	ثانيا - أوضاع السكان
٢٧٢	أولا : ملامح عامة
٢٨٢	ثانيا : ملاحظات عامة على الإنتاج الحيواني في أفريقيا
٢٨٦	المراجع
٢٨٦	أولا : باللغة العربية
٢٨٧	ثانيا : باللغة الأجنبية

٢٨٩	٨. الأتماط الزراعية فى أفريقية
٢٩١	الأنماط الزراعية فى أفريقية
٢٩١	مفهوم البيئة
٢٩٢	الظروف البيئية والبشرية المؤثرة
٢٩٣	أولاً : التربة
٢٩٥	ثانياً : الظروف المناخية ومصادر المياه
٢٩٨	ثالثاً : كثافة السكان
٣٠١	أهمية الزراعة فى أفريقية
٣٠٦	أنماط الزراعة فى أفريقية
٣١١	أولاً : الزراعة المتنقلة فى نطاق السفانا (زراعة الحريق)
٣١٥	ثانياً : نمط الزراعة المروية
٣١٦	ثالثاً : الزراعة الفيضية المحدودة
٣١٧	رابعاً : النمط الزراعى فى واحات الصحراء
٣١٩	النمط الزراعى الأوربى
٣٢١	نتاج التفاعل بين الأتماط الزراعية والبيئية
٣٢٦	ملحق
٣٣٠	المصادر
٣٣١	المراجع

٩. الصناعة

٣٣٥	١ - نقص الخبرة الفنية
٣٣٦	٢ - نقص رأس المال
٣٣٦	٣ - السوق الداخلى
٣٣٦	٤ - العادات والتقاليد السائدة

٣٤١	أولا : الصناعة الإستخراجية (الانتاج المعدنى)
٣٤٣	١ - النحاس
٣٤٤	٢ - البوكسيت
٣٤٤	٣ - القصدير
٣٤٥	٤ - الفوسفات
٣٤٥	٥ - الفحم
٣٤٦	٦ - البترول
٣٤٩	ثانيا : الصناعات التحويلية

١٠ - جذور الحضرة الأفريقية

٣٥١	مقدمة
٣٥٥	نظرة تاريخية
٣٥٧	مدن شمال أفريقيا (محور وادى النيل والقرن الأفريقى).
٣٥٧	العوامل التى أثرت على الحضرة المصرية.
٣٦٥	التأثير المصرى على الحضارات المجاورة والحضرة بها.
٣٦٦	المؤثرات الخارجية على الحضرة المصرية.
٣٧٦	شمال أفريقيا (محور البحر المتوسط).
٣٧٦	التأثير الفينيقى على الحضرة فى شمال أفريقيا.
٣٨٢	التأثير الرومانى على الحضرة فى شمال أفريقيا.
٣٩٠	تدهور الحياة الحضرة فى نهاية الحكم الرومانى.
٣٩٢	التأثير الإسلامى على الحضرة فى شمال أفريقيا.
٤٠٤	أثر الإسلام على مورفولوجية المدينة فى شمال أفريقيا.
	تحليل جغرافى لخصائص مدن ما قبل الاستعمار «الحديث» فى
٤٠٨	أقليم شمال أفريقيا.
٤١١	الهوامش

١١. التحضر والحضرية في إفريقيا

٤١٧ Urbanization and Urbanism in Africa

٤١٩

تمهيد

٤٢٣

أولاً : مراحل التحضر والحضرية في إفريقيا

ثانياً : سكان إفريقيا بين الريف والحضر من سنة ١٩٩٢ إلى

٤٢٧

سنة ١٩٥٠

١ - اتجاهات النمو السكاني ومستوى التحضر من سنة

٤٢٧

١٩٢٠ إلى ١٩٥٠

٢ - توزيع سكان الحضر حسب الرتب الحجمية للمدن من

٤٢٣

سنة ١٩٢٠ إلى سنة ١٩٥٠

ثالثاً : اتجاهات التحضر في إفريقيا من سنة ١٩٥٠ إلى سنة

٤٢٧

١٩٩٥ وتوقعاته حتى عام ٢٠٢٥

٤٢٧

١ - تطور حجم سكان الحضر والارياف.

٤٤٠

٢ - مستويات التحضر في إفريقيا.

٤٤١

- التباين الجغرافي في مستويات التحضر وتغيرها.

٤٤١

٢ - أ - مستويات التحضر وتغيرها على المستوى الأقليمي.

٤٤٤

٢ - ب - تباين مستويات التحضر وتغيرها بين الدول الإفريقية

٤٥٣

٣ - إرتفاع معدلات النمو الحضري وتسارعها في إفريقيا

٤٦٩

رابعاً : الرتب الحجمية للمدن الإفريقية

٤٧٠

١ - المدن ذات حجم ١٠ مليون ساكن فأكثر

٤٧٣

٢ - مدن ذات فئة حجم من ٥ مليون إلى ١٠ مليون ساكن

٤٧٤

٣ - مدن ذات فئة حجم مليون إلى ٥ مليون ساكن فأكثر

٤٧٥

٤ - مدن ذات فئة حجم نصف مليون إلى مليون ساكن

٤٧٥

٥ - مدن أقل من نصف مليون ساكن

٤٧٦	خامساً : الأنظمة الحضرية والهيمنة الحضرية فى الدول الأفريقية
٤٨٥	سائساً : مكونات النمو الحضرى وألياته فى إفريقيا
٤٩٣	١ - الزيادة الطبيعية وأثرها فى نمو سكان الحضر
٤٩٩	٢ - الهجرة وأثرها فى نمو سكان الحضر
٥١١	سابعاً : مشكلات الحضرية فى إفريقيا
٥١٤	١ - إرتباط النمو الحضرى السريع بالفقر الحضرى
٥١٨	٢ - مشكلات الإسكان وتدهور نوعية الحياة الحضرية
٥٢٣	٣ - مشكلات إمداد مرافق البنية الأساسية والتخطيط
٥٢٥	٤ - مشكلات النقل الحضرى
٥٢٦	٥ - مشكلات تدهور البيئة وتلوثها
	ثامناً : إستراتيجيات وسياسات التنمية الحضرية وإعادة توزيع
٥٣٠	السكان
٥٤٥	المصادر (الهوامش)
٥٥٣	١٢ - الجغرافية الطبية للمقارة الأفريقية
٥٥٥	أهمية دراسة الجغرافية الطبية لأفريقيا
٥٧٥	التحضر والمرض فى إفريقيا
٥٧٧	نمط المرض فى المقارة الأفريقية
٥٨٠	الإيدز ونمط المرض الأفريقى
٥٨٦	الأمراض المعدية
٥٩٢	السرطان وأمراض القلب
٥٩٨	تأثير مشروعات التنمية والأمراض المهنية فى نمط المرض الأفريقى
٦٠١	الرعاية الصحية فى المقارة الإفريقية
٦١٨	المراجع

٦٢٥	١٣ . الجغرافيا السياسية
٦٢٧	الجغرافية السياسية
٦٢٧	دراسة الجغرافية السياسية فى الدولة
٦٢٨	موضوعات فى جغرافيا أفريقيا السياسية
٦٣١	معالم سياسية شكلت خريطة أفريقية السياسية
٦٣١	مؤتمر برلين والتكالب على أفريقية
٦٣٤	الحرب العالمية الأولى
٦٣٤	نهاية الحرب العالمية الثانية
٦٣٥	الأنحسار
٦٣٥	فى العقد الخامس من القرن العشرين
٦٣٦	أفريقية بين عامى ١٩٥١ - ١٩٦٠
٦٣٩	الحدود السياسية
٦٣٩	التخوم والحدود
٦٤١	ضرورة الحدود السياسية فى العصر الحديث
٦٤١	الحدود السياسية فى أفريقية
٦٤٣	أنواع الحدود الأفريقية
٦٤٨	نزاعات الحدود السياسية فى أفريقية
٦٤٩	أنماط منازعات الحدود السياسية
٦٥٠	ماوراء مشكلات ومنازعات الحدود السياسية
٦٥١	الحدود الجنوبية لمصر
٦٥٥	١ - منطقة حلفا
٦٥٦	٢ - منطقة جبل علبة
٦٥٨	ثالثا : منطقة جبل بارتازوجا

٦٥٨	رابعاً : كورسكو
٦٥٩	النزاع وحجج الأطراف
٦٥٩	السودان
٦٦١	خصائص الوحدات السياسية
٦٦٩	مراجع

تقديم

يتناول هذا المجلد موضوعات جغرافية متنوعة داخل القارة الأفريقية بحيث تصبح الصورة الجغرافية للقارة فى النهاية واضحة جلية.

ومن هنا كانت البداية عن الإنسان الأفريقى فى فترة ما قبل التاريخ وإبراز الآراء المختلفة حول هذا الإنسان ومظان وجوده الأول فى القارة، ثم تبع ذلك دراسة الإنسان الأفريقى من الناحية السلالية الأنثرو- جغرافية والتوزيع الجغرافى لهذه السلالات.

وجاء بعد ذلك دراسة المناخ والتصنيفات المناخية للعالم كين وتطبيقها على القارة الأفريقية، وكذلك التغيرات المناخية التى تترى على القارة وتأثير ذلك على نواحي الحياة المختلفة.

ثم يتناول الباحثون بعد ذلك دراسة السكان داخل القارة من الناحية الديمو- جغرافية، وكان من المنطقى أن يأتى بعد ذلك دراسة الأنشطة الاقتصادية المتمثلة فى الرعى والزراعة والصناعة ومدى تأثير الظروف الطبيعية والبشرية على هذه الأنشطة.

وكان من الضرورى أن يأتى بعد ذلك دراسة العمران الحضرى فى القارة باعتباره قمة النشاط البشرى المتفاعل مع الظروف البيئية المختلفة، وفى النهاية كانت الدراسة الخاصة بالجغرافيا السياسية فى القارة.

ونحسب من خلال هذه البحوث أن الظروف الجغرافية المختلفة فى القارة قد غطيت فيما عدا بعض النواحي الجيومورفية. والتضاريسية والجغرافيا الحيوية، وعلى أمل أن يستكمل هذا المجلد فى مرحلة قادمة نتقدم بخالص الشكر والتقدير لكل من ساهم فى هذا المجلد الجغرافى الذى صدر بمناسبة اليوبيل الذهبى لمعهد البحوث والدراسات الإفريقية (٤٧ - ١٩٩٧)، ونتضرع إلى الله أن يوفق الجميع من أجل رفع مكانة هذا الصرح العلمى العريق.

أ. د. السعيد إبراهيم البديوى

رئيس قسم الجغرافيا

وعميد معهد الدراسات الأفريقية

جامعة القاهرة

حضارات إنسان ما قبل التاريخ فى القارة الأفريقية

(شويقة)
أ.د.

و

(غلاب)
أ.د.

فأروق عبء الجواء شويقة

مءمء السبء غلاب

إسءاء قسم الأنءروبولوجبأ
ورئبس القسم السابء

إسءاء قسم الجغرافبأ
وعمبء المعهء السابء

(وهما من جبببب مءعاببب فى معهء البءوء والءراساء الأفربقية)
بامعة القاهرة

القاهرة

معهء البءوء والءراساء الأفربقية

١٩٩٧

المقدمة

يتسع موضوع حضارات إنسان ما قبل التاريخ، ليشمل جوانب متعددة منها التطور البيولوجي والتطور الثقافي والحضارات منذ ظهور الإنسان القديم وتطوره منذ عصر البلايستوسين حتى يومنا هذا، وفي هذا العمل ستكون المعالجة أنثروبولوجية إيكولوجية وإن كانت ستتضمن جوانب وعناصر أثرية وتاريخية كثيرة، وهذا من طبيعة دراسة الموضوع الذي يدخل في مجال الأنثروبولوجيا التاريخية والجغرافيا التاريخية بذات الدرجة.

والحقيقة أن الإتجاه التطوري في الفكر العلمي يعد من أكثر الإتجاهات حيوية وتأثيراً وكما كان تشارلس دارون (١٨٠٩ - ١٨٩٢) هو مفجر الإتجاه التطوري في الشق البيولوجي والطبيعي من الأنثروبولوجيا، رغم وجود إرهابات سبقته قام بها لامارك ووالآس، كما كان لويس مورجان (١٨١٨-١٨٨١) مفجر الإتجاه التطوري في الشق الثقافي - الاجتماعي في الفكر الجغرافي الأنثروبولوجي، هذا مع عدم تقليل أهمية دور كل من جوردون تشايلد (١٨٩٢-١٩٥٧) وإوارد برنت تيلور (١٨٣٢-١٩١٧) ذلك الذي شغل في جامعة أكسفورد وظيفته رئيس المتحف ثم محاضراً رغم عدم حصوله على أية شهادة جامعية، كما قدم مساهمات ملموسة في تطور فكرة الإحياء وعبادة الاسلاف، ثم نور كل من سيجموند فرويد (١٨٥٦-١٩٣٩) ومساهماته ليس فقط في الأنثروبولوجيا النفسية ولكن أيضا في إسهاماته في موضوعات شتى خاصة موضوع الطواطم والمحرمات وما قدمه من أعمال واضحة المعالم في الفكر الإنساني.

هذا بعض من كثير قدمه العديد من الباحثين في الإتجاهات الفكرية المتباينة أمثال فريزر ومالينوفسكي وراذكليف براون وهادون وإيفانز بريتشارد وسليجمان وفورتنس وفيرث ومارجريت ميد وروث بنديكت ثم مربوك وأخيرا كارل بوتزر ذلك الذي شغل وظيفته إستاذ كرسي الجغرافيا والأنثروبولوجيا في جامعة شيكاغو وكانت له إسهاماته الواضحة وبحوثه الميدانية في شمال أفريقيا ومصر

فى مجال الجغرافيا والأنثولوجيا التاريخية والأثرية، وأيضاً تشارلس مكبيرنى الذى ساهم بجهود علمية أثرية فى شمال أفريقيا كما سيأتى بيانه.

ولقد لاحظ الإنسان منذ عصور سحيقة أنه مضطر الى التعامل فى إنسجام مع البيئة الطبيعية التى يحيى فيها، ولكن ليس هذا معناه أنه أسير لها إذ أن قدرات الإنسان العقلية واليدوية أعطته الفرصة كى يتحكم فى البيئة الطبيعية بالصورة التى أهلتة الى توجيهها كى تكون فى خدمته.

وفى الحقيقة أن وصول الإنسان حالياً الى القمر والعودة منه، وتجاوز المسافات فى الفضاء الخارجى وفى أعماق المحيطات، والسيطرة والتحكم فى إستخراج ثروات الأرض والبحار والهواء كل هذا كان نتيجة سلسلة طويلة من الجهد الإنسانى الفردى والجماعى التعاونى والتنافس؛ هذا الجهد الذى ظهر منذ أن بدأ الإنسان فى بشريته وفى إنسانيته يدب منتصباً على قديمين ويسير بطريقة الخطوه على الأرض؛ التى منها ظهر وإليها يعود.

وهناك حقيقة يجب أن تكون واضحة عند داسة حضارات ما قبل التاريخ، وهى أن إنسان ذلك العصر كان أكثر ميلاً نحو الدفئ لأسباب لاشك واضحة وهى أن معرفته بالارضية الثقيلة المدفنة كانت محدودة، لذلك لوحظ أن الحضارات القديمة كانت أعرق فى العروض الدنيا (القريبة من خط الاستواء) منها فى العروض الوسطى والعليا (القريبة من القطبين).

ويبدو أن بداية القنص جاء من بداية الإحتكاك بين الإنسان والحيوان وحاجة الإنسان الى الطعام الحيوانى، بعد أن كان يشبع جوعه من الطعام النباتى، بما كان يجمعه من جنود وبنور وثمار وأوراق الشجر، وجاء بعد ذلك الوعى وإستئناس الحيوان حيث بدء بالحيوانات الصغيرة كالخنازير والكلاب وبعض الفصائل ذات القرون الطويلة والقصيرة، وذلك عندما بدء الإحتكاك المباشر عن قرب بين الإنسان وهذه الحيوانات، عندما كان الجميع (الأناسى والحيوانات) تنزل من الهضاب والتلال الصحراوية الجافة الى مجارى المياه

وعيونها ومستنقعاتها خلال فترات الجفاف التي كانت تتخلل العصور المطيرة أو تلك التي أعقبها.

وكانت هذه المرحلة، مرحلة هامة حيث بدأ تحول الإنسان من عملية صيد الطعام الى عملية إنتاج الطعام، وهي مرحلة كانت بداية أو صاحبت بصورة ما مرحلة الزراعة التي ماهى إلا إستئناس النبات، كما أن الرعى إستئناس للحيوان.

هذا ومازال موضوع إنتقال الحضارات منذ أقدم العصور يلقى إهتمام الكثيرين من الجغرافيين والأنثروبولوجيين والأثرين منذ أن قال جرافتون إليوت سيمث Elliot - Smith,G. ومعه برى Perry,W.J. بأن مصر هى مهد الحضارات ومنها إنتشرت الى كل أرجاء العالم، هذا بينما آخرون مثل راجلان Raglan وهيليداي Holliday قد رحبا أرض ما بين النهرين على مصر فى ذلك الأمر، على كل، فإن الوضع إستقر أخيرا على مصر ومن ورائها أفريقيا التي إتضح أنها كانت مهدا للإنسان وحضارته منذ أقدم العصور البشرية كما أكدت ذلك كشوف ليكى وعائلته فى شرق أفريقيا، (انظر غلاب فى هذه الموسوعة).

وقد أقترح الباحث الإنجليزى جون لوبوك John Lubbock فى عام ١٨٦٥ استخدام لفظ Polaeolithic للعصر الحجري القديم (١) ولفظ Neo-lithic للدلالة على العصر الحجري الحديث أما العصر الحجري الوسيط أو المتوسط فقد أطلق عليه الباحث الإنجليزى آلان براون Allan Brown لفظ Mesolithic لأول مره عام ١٨٩٢ (٢) وهى تعنى المرحلة الوسطى بين عصرى الباليوليثيك والنيوليثيك والجدير بالذكر أن كل هذه الكلمات ذات أصل يونانى قديم يدل على معناه.

هذا ويمكن إعتبار الفترة السابقة على ظهور الوعى الإنسانى Con-sciousness أى الفترة التي كان فيها الإنسان يعتمد على الأساطير فترة خارج التاريخ الإنسانى كما يقول هيغل (٣)، والحق أن بداية ظهور الوعى هو

مؤشر جدير بالعناية وذلك بإعتباره فاصلا بين عصور ما قبل التاريخ والعصور التاريخية شأنه شأن الكتابة بل وأعمق دلالة إذا لا كتابة قبل وجود الوعي.

والوعي فى أبسط مفهوماته هو بداية إحساس الإنسان بذاته، اذ لا وعى للإنسان فى الفترة التى كان فيها متحدا مع الطبيعة عاجزا عن التعرف على ذاته، اذا لابد أن ينفصل الإنسان عن الطبيعة بحيث يصبح واعيا بنفسه حتى ولو ظل هذا الوعي مظلما بعض الشيء هذا، ويرتبط الوعي بصورة ما؛ بالحرية بكل صورها، إذا أن الوعي هو ما يعبر عنه أحيانا بالعقل (الفكر)، وكما نعلم فإن العقل والحرية متلازمان كما أنهما قاصرين على الإنسان^(٤).

وهذا المقال الموجز المركز يهدف الى القاء الضوء على تطور الإنسان ومكانة أفريقية القارة، الأرض والبشر، فى صنع الحضارة البشرية ثم الإنسانية منذ أقدم العصور السحيقة، العصور السابقة على إكتشاف الوعي وممارسة الكتابة، أى فى عصور ما قبل التاريخ.

وفى حدود الصفحات المتاحة سنعرض بعض جوانب من هذا الموضوع الكبير متبعين منهج البحث المكتبى فى دراسة الأنثروبولوجية الإيكولوجية الأثرية مقسمين الدراسة بعد المقدمة الى خمسة موضوعات هى : البيئة القديمة - إرتقاء السمات الإنسانية - شمال أفريقيا والصحراء - أفريقيا المدارية - جنوبى القارة، ثم تأتى بعد ذلك الخاتمة، وبها لمحة عن أهمية دراسة موضوعات عصر ما قبل التاريخ والدروس المستفادة منها ويختم المقال ببعض الأشكال التوضيحية ثم ببيليوغرافية.

البيئة القديمة

لعل من المناسب بل ومن الضروري للباحث في موضوع تطور الإنسان وحضارات عصر ما قبل التاريخ، أن يكون على دراية بمنهج الجغرافيا القديمة، وهو الذى يهدف الى إعادة تصوير الظروف الجغرافية التى كانت سائدة فى أية منطقة وفى أى عصر مضى، وهذا يتطلب خبرة معينة وعناية بالغة ومجهوداً كبيراً، ويصبح الواجب الأساسى هو أن يتعرف الباحث على الخصائص الطبيعية وامكانيات البيئة، وأن يكشف عن ما يتوفر فيها من الامكانيات الاقتصادية، والتيسيرات، أو الصعوبات التى كانت تواجه حركة الإنتقال داخل المنطقة، أو بينها وبين ما يجاورها من مناطق، وأيضاً المعطيات الدفاعية التى كانت تتيحها العناصر الطبيعية، وكذا أساليب وأنماط الحياه التى كانت تسمح لها الظروف الجغرافية بأن تُزاول فى هذه البيئة أو تلك.

فإذا أردنا أن نعرف كل ذلك، ولكن فى فترات زمانية سابقة، فما علينا إلا البدء بإستقراء الخرائط الجغرافية، بعناصرها المختلفة عن البيئة الحالية، محل الدراسة، ثم نحاول رسم خرائط مماثلة لذات البيئة، ولكن فى عصور سابقة، مسترشدين بعدة مؤشرات جغرافية؛ منها خطوط الكنتور وخطوط الأعماق وظروف المناخ القديم ومحاولة الربط بينها جميعاً؛ كى تعطى صورة عن توزيع اليابس والماء (من خلال المعابر الأرضية والممرات المائية) فى العصور القديمة، وما يتصل بذلك من هجرات حيوانية وبشرية، وذلك فى ضوء توزيع الأجناس والسلالات الحيوانية والبشرية الحالية، وعليه يمكن إذا ما عرفنا الأحوال المناخية القديمة، أن نكون صورة أقرب ما تكون الى الحقيقة عن البيئة الجغرافية القديمة.

عصر البلايستوسين :

ينقسم الزمن الجيولوجى منذ نشأة الأرض الى الأزمان الفرعية لتالية :-

(٪ من عمر الأرض)					
٪٥٥	{	ما قبل الحياة	Archasozoi	الزمن الإبتدائي	الاركنى
		الحياة الأولى (فجر الحياة)	Pampalaeoz- oic (Eozoic)	الزمن الأقدم أو (الإيوزوى)	البامپاليوزوى
٪٣٠		الحياة القديمة	Palaeozoic	الزمن الأول	الپاليوزوى
٪١١		الحياة الوسطى	Mesozoic	الزمن الثانى	الميزوزوى
٪٤	{	الحياة الحديثة	Cainozoic	الزمن الثالث	الكايونوزوى
		الحالى	Quaternary	الزمن الرابع	الكواترنارى

هذا وقد شغل عصر ما قبل التاريخ الفترة الزمنية الأخيرة من الزمن الرابع، السابقة مباشرة على العصر الحالى وذلك العصر هو البلايستوسين Pleistocene وهو الذى بدء منذ أكثر من مليون سنة ق.م، هذا ويقال أيضا فى سبب ظهور العصور الجليدية، أن كثرة ثوران البراكين الضخمة القديمة فى عصر البليوسين كانت تثير فى الجو كميات من التراب تبقى لسنوات عديدة ربما كانت من العوامل المهمة فى تغيير مناخ الأرض؛ وذلك بحجب كميات كبيرة من أشعة الشمس وتشتيتها فى الفضاء الخارجى مما سبب ظهور العصور الجليدية فى العروض العليا والعصور المطيرة فى العروض الدنيا، وغيرها من الإضطرابات المناخية الكبيرة.

أفريقيا القديمة خلال البلايستوسين :

يكاد يكون موقع أفريقيا خلال عصر البلايستوسين متطابقا تقريبا مع موقعها الحالى بالنسبة لخطوط الطول والعرض، وذلك بعد أن تعرضت القارة لعمليات زحزحة وتكسير إستمرت عصورا جيولوجية طويلة منذ العصر الجوارسى والعصر الكرتاسى.

ونظراً لكون أفريقيا تتكون من كتلة يابسة مكونة من صخور قديمة أركية لا تتوغل فيها البحار، لذلك فإننا نجد أن الرصيف القارى المحيط بها، وهو الذى لا يكاد يتعدى عمق المياه فيه مائة قامة (٦٠٠ قدم / ١٨٣م)، قليل الامتداد،

وهذا الرصيف القارى مهم جداً أن يحدده دارسو عصر ما قبل التاريخ حيث أنه كما يقول H.G.Fleure هو ساحل اليابس الأراضى فى عصر البلايوستوسين.

هذا الرصيف القارى كانت تراح عنه المياه فى العصور الجليدية عندما يزداد سمك الجليد فى القطبين مما تقترب منه الأرض الأفريقية من الأراضى المحيطة بها من الجزر (كناريا غرباً، ومدغشقر شرقاً وبنانتاليريا وصقلية ومالطا فى الشمال) ومن أشباه الجزر (أيبيريا وإيطاليا فى الشمال) وخليج السويس شرقاً مما سهل على الإنسان الإنتقال من القارة الأفريقية — فيحدث إختلاط وتبادل سلالى بيولوجى، وثقافى حضارى، بين قارات أفريقيا وآسيا وأوروبا.

هذا وقد شهدت أفريقيا خاصة قسمها الشمالى، خلال الزمن الجيولوجى الرابع تغييرات مناخية وذبذبات متتابة من الجفاف والرطوبة خاصة خلال عصر البلايوستوسين.

لذا كانت الصحراء الكبرى الأفريقية التى هى أشد بقاع الأرض حرارة وأكثرها جفافاً حالياً، كانت أراضى رطبة ومن أقدم مراكز الاستيطان البشرى فى العالم، والدليل على ذلك مستنتج من الحفائر الأثرية التى عثر فيها على مخلفات بشرية وأثرية عديدة.

وحتى تتضح الصورة أكثر يمكن متابعة المقارنة التالى :-

التاريخ بالسنة	العصور الجليدية فى أوروبا (جبال الألب)	العصور المطيرة فى أفريقيا (٦)	العصور الجليدية فى شمال أمريكا (٧)
٨٠ ألف	Wurm	Gamblian	Wisconsin
١٢٠ ألف	Riss	Kanjerian	Illinoian
		(الشرق فقط)	
٢٦٠ ألف	Mindel 2	Kamasian	Kansan
٣٠٠ ألف	Mindel 1		
٢٤٠ ألف	Gunz 2	Kageran	Nebraskan
٤٢٠ ألف	Gunz 1	(جيرسى)	(Jerseyan)
٩٠٠ ألف	Cromry		
١.٢ مليون			

والجدير بالذكر أن بداية ظهور العصور الجليدية^(٨) تعد الحد الفاصل بين عصر البلايوسين وعصر البلايستوسين وإن كان مؤتمر الجمعية الدولية للزمن الرابع (المنعقد عام ١٩٩٥) قد أرجع بداية عصر البلايستوسين الى ١.٨٥ مليون سنة وهي فترة توافق أحداث ماتوياما المغناطيسية التي تعرضت لها الأرض بالانقلاب ما بين ٠.٦٩ - ٢.٤٣ مليون سنة^(٩) وقد تمكن العلماء من هذه التقديرات بإتباع وسائل علمية دقيقة^(١٠).

وقد تمثلت أيضا عصور الجليد في أفريقيا في تزايد حجم القمم الثلجية التي تغطي جبالها الشاهقة، فقد ثبت من بحوث جريجورى عام ١٨٩٢، أن الجليد الذى يغطى جبل كينيا (يقع جنوب خط الاستواء على درجة ٢.٠٥ وارتفاعه ٥١٥٨ مترا) قد إنحدر على سفوحه بنحو ٩٠٠ - ألف متر عن مستواه الحالى، ومعنى ذلك تزايد حجم القلنصوة الجليدية التي تغطى قمته، وبالمثل حدث فى ثلاثيات جبال رونزورى (تقع شمال خط الإستواء مباشرة بنحو ٢٤ ثانية ومتوسط إرتفاعها ٥١٢٠ مترا) فقد إنحدرت ١٩٨٠ متراً عن مستواها الحالى. أما جبل إيجون (ويقع على ١.٠٩ شمالاً وإرتفاعه ٤٢١١ متراً) فقد وصل جليده الى إرتفاع ٢٢٠٠ متراً، وكذلك تغطت بالجليد قمم جبال إبردري (٢٩١٤ متراً) وساتيمانى (٢٩٠٠ متراً) فى كينيا، وسيمن (٤٦٢٠ متراً) فى هضبة إثيوبيا، وقمة كاكا فوق الهضبة الصومالية^(١١)، وحدث هنا أيضا مع باقى جبال القارة خاصة أعلاها كلمنجاور (٦٠١٠م).

أما الصحراء الكبرى فقد شهدت خلال عصر البلايستوسين تضاعفاً للأقاليم المناخية (حرارة ورياحاً وأمطاراً) بحيث أصبحت الصحراء تدخل فى نطاق مناخ غرب أوروبا الحالى ويزيد على ذلك أن قوة الرياح وغزارة الأمطار كانت على مستوى أشد وأكثر مما هو معروف عنها حالياً، وقد أستدل على ذلك من الرواسب البحرية والبحيرية والشاطئية المنتشرة فى مناطق مختلفة من الصحراء الأفريقية، وهى التى تكونت خلال وفى أعقاب الفترات المطيرة Pluvial Periods فى عصور ما قبل التاريخ، حيث كانت بحيرة تشاد تغطى

كل حوض تشاد تقريباً، كما كانت توجد بحيرة السد فى وسط حوض النيل، بحيث تمتد من جنوب السودان الحالى الى ما بعد موقع الخرطوم حيث كان خانق سبلوكة.

ولعل من الموضوعات الهامة الأخرى الواجب معرفتها لدارس ما قبل التاريخ الأفريقى، هو الإحاطة الأساسية بظروف بيئة الأخدود الأفريقى القديمة ذلك الذى يمثل أكبر كسر فى القشرة الأرضية صاحبه كسور فرعية وصدوع وهبوط فى القشرة الأرضية على إمتداد خمسة آلاف كيلو متر إبتداء من جنوب بحيرة مالوى فى شرق أفريقيا حتى جبال طوروس شمال سوريا فى غرب آسيا.

دور أفريقيا فى إرتقاء الإنسان :

تعد أفريقيا ليست فقط الموطن الأول للبشرية بل إنها القارة الوحيدة التى تحوى النماذج المتتابعة لتطور وإرتقاء الإنسان من أسفل سافلين الى ما وصل اليه من أفضل تقويم من خلال ما أكتشف من الحقائق التالية (١٢) :

١ - القرده العليا Higher Primate (٢٣ - ٨ مليون سنة) حيث عثر عليها فى سوارتكرانس Swartkrans (جنوب أفريقيا) وفى خانق أولدوفاي (شمال تنزانيا) وفى جزيرة روسينجا Rusinga Isl. (كينيا) وفى فورت ترينان Fort Ternan (كينيا) وفى تلال سامبورو Samburu Hills (كينيا) وفى جبل القطرانى بالفيوم Faiyum (مصر) وفى ليريت Liret (شمال كينيا).

٢ - البشرىات الجنوبية Australopithecus (٤ - ١.٢ مليون سنة) وقد عثر عليها فى تونجا Tunga (جنوب أفريقيا) وستركفونتين Sterkfontein وما كابان Makapansgate (جنوب أفريقيا) وبيننج Pening (شمال تنزانيا) وفى بارنجوشيسوانجا Baringo Chesownja (وسط الأخدود الكينى) وفى كانابوى - لوتاجام Kanapoi Lothagam وفى كوى فوراً Koobi fora (شمال غرب كينيا) وفى هادار Hadar (وسط إثيوبيا) وفى أومو Omo (جنوب غرب إثيوبيا).

٣ - الإنسان البارع Homo Habilis (٢ - ١.٥ مليون سنة) عثر عليه فى خائق أولدوفاي Oloduvei Gorge (شمال تنزانيا) (١٣).

٤ - الإنسان المنتصب Homo Erectus (١.٦ مليون - ٣٠٠ الف سنة) عثر عليه فى تيرنيفين Ternifine (شمال غرب الجزائر) وتوماس كاورى Thomas Quarry (المغرب، جنوب الرباط) وفى أديس أبابا-Addis Ababa (إثيوبيا) وفى أومو Omo وفى كوبي فوراً وليبرت Koobi Fora (جنوب غرب إثيوبيا) وفى ناريوخوتوم Nariokotome (شمال غرب كينيا) وفى بارنجوشيسوانجا Baringo Chesowanja (وسط كينيا) وفى اولورجيسايلي Olorgesailie (جنوب كينيا) وفى خائق اولدوفاي Olduvai Gorge (شمال تنزانيا) وفى كومنداي Kromdraai (جنوب أفريقيا).

٥ - الانسان العاقل الحفرى Homo Sapiens (archaic) (٢٠٠ الف - ٢٩ الف سنة) عثر عليه فى عدة أماكن فى المغرب منها سالا Sale وتمارا Ta-mara وسيدى عبد الرحمن Sidi Abderrhman كما عثر عليه فى سالدانها Saldanha (جنوب أفريقيا) وفلورشباده Florisbed وفى ماكابان Makabansgat (الترنسفال) وفى بروكن هل Broken Hill (زامبيا) وفى شلالات كالامبو Kalambo (زامبيا) وفى نيوتو Nautu ولايتولى Laetoli (شمال تنزانيا) وفى أومو Omo (جنوب غرب إثيوبيا) وفى ديرداوة Dire Dawa (شرق إثيوبيا) وسينجا Singa بجوار سنار فى (السودان).

٦ - الإنسان العاقل النياندرتال Homo Sapiens (Neandertal) (١٢٥ الف - ٣٢ الف سنة) وقد عثر عليه فى جبل الهود Irhoud (جنوب الدار البيضاء بالمغرب) وفى كهف هواططيح Haua Feteah (فى برقة بليبيا).

٧ - الإنسان العاقل الحديث Homo Sapiens Sapiens (Modern) (٣٥ - ١٠ الف سنة) وهو الإنسان المعاصر ولكن ترجع حفرياتة وسلالته الى النمط

الذي كان شائعاً وإستقر منذ عشرة آلاف سنة مضت وقد عثر عليها في مواضع كثيرة منها Afalou - bou - Rhummel (شمال الجزائر) وفي إيشانجا Ishanga (غرب بحيرة إيوارد في زانير) وفي المنتيتا El-menteita وفي لوكينيا هل Lukenya Hill (كينيا) وفي لمبو Lumbwo (زامبيا) وبوردركيف Border Cave (ناتال) ومصب نهر كلاسيكس -Kla-sies (جنوب أفريقيا) وفي فيش هوك Fish Haek (مقاطعة الكيب)، وعليه فقد إستقر الرأي على أن قارة أفريقيا هي الموطن الأصلي للإنسانية وقد أكدت ذلك الكشوف المشار إليها، بالإضافة الى البحوث الحديثة في مجال الوراثة الأثرية^(١٤).

هذا وقد كشفت حفائر أفريقيا عن جماجم بشرية توضح التسلسل المتدرج من الإنسان المنتصب Homo Erectus (جمجمة شرق توركانا، وجمجمة ألدوفاي مدرج ٢) الى الإنسان العاقل الأول Early Homo Sapiens (جمجمة بوبو Bodo من إثيوبيا) ثم الى الإنسان العاقل الحديث -Homo Sapiens (جمجمة سالدانها Saldanha من جنوب أفريقيا وجمجمة بروكين هل Broken Hill من زامبيا) وهكذا بقت أفريقيا كلا من آسيا وأوروبا في هذا المجال^(١٥).

تقدم الحرف :

عثر على أقدم آلات البلايوستوسين الأسفل وعلى أدلة استخدام النار، عثر عليها في مواضع عدة من شمال وشرق وجنوب أفريقيا، وفي شمالي أفريقية من موضع عين حانيش Ain Hanech حيث وجد على حافة بحيرة قديمة ترجع طبقاتها الرسوبية الى نهاية البلايوستوسين الأسفل وهي ذات الطبقات التي عثر عليها في أولدوفاي Olduvai.

وفي شرق أفريقيا عثر على آلات مع حيوانات كايرو Kaiso Fauna في موضع كانياتزي Kanyatse في أوغندا، وفي مواضع أومو Omo ولايتولي Laetoli وفي أولدوفاي Olduvai ذاتها.

وفى جنوب أفريقيا عثر على بعض الآلات أرجعت الى هذا الزمن فى مواضع كهوف قرده الجنوب Australopithecine وهى لذلك ربما ترجع الى عصور أقدم من تلك التى عثر عليها فى شرق أفريقيا، وتتميز الآلات التى عثر عليها فى هذه المواضع بأنها كانت بأعداد كبيرة، بما يعطى إحاءاً بأنها تحمل نمطا حضارياً متميزاً؛ وبعضها كان بسيط الشكل Simpl Oval Shap من الحصى المستدير أو فلقات مستعرضة Spilt Crosswise منها، أو فلقات طولية Longwise أو مائلة diagonally وبعض السواطير ذات حافات مادة مفردة والآلات أخرى ذات حافتين وأخرى ذات حافتين وأخرى مازالت خاما، وآلات شظايا وفى بعض المواضع فى شمال وشرق أفريقيا عثر على كرات حجرية وهذه الآلات الغربية سميت حجر بولاس bolas وكانت من النوع الذى يستخدم فى القذف وكل من يلعب البيسبول يعرف أنه من السهل ضرب حيوان بحجر ذا شكل بيض أسهل من ضربة بحجر عادى، هذه الآلات الحجرية كانت أدوات الإنسان فى إحتراف جمع وقنص الغذاء والدفاع عن النفس الذى كان غالبا ما يختلط بعملية قنص الغذاء.

أما بداية الزراعة فقد جاءت مع ملاحظة الإنسان لنمو النباتات المغذية من كوم الاوساخ التى كان يقذف بنورها فوقها فكانت تنمو بغزارة، مما شجعه على أن يتوسع فى تكرار العملية لانه كان يتغذى على هذه النباتات وكان ضروريا أن يخترع آلات تساعد على تطهير الغابات ولكى يبني حظائر وزرايب للحيوان الذى أخذ فى تربيته بفرض الأكل أو اللبن وخلافه، وخوفا من أن يهرب الحيوان ويعود لحياته البرية الأولى كان ضرورياً أن يبني الحظائر، ولقد كانت الفأس اليدوية المصقولة من أهم آلات قطع الخشب وللقيام بكل الأعمال المطلوبة فى حرفة الرعى والزراعة. تلك الحرفة التى مازال أغلب البشر تزاولها ومازالت

تؤلف الأساس الذى يقوم عليه وجودنا ذاته، فكانت الحنطة ولحم البقر ولحم الخنزير والحليب والبقول وصناعة الفخار والحياكة والصوف والجة والنبيد، تؤلف أساس هذا النمط الحضارى الذى يعرف باسم المرحلة الحجرية الحديثة من سلسلة الحضارات البشرية.

وقد تبع الفأس الحجرية التى ظهرت منذ العصر الحجرى القديم الأسفل تقدم وتطور فى صنع الآلات الحجرية، كان من أهمها وأخطرها المنحت والمكشط Scraper ثم ظهر خلال العصر الحجرى القديم الأعلى وبواسطة التشظية والتهديب Flaking & Chipping سلسلة متقدمة من الآلات مصنعة من ورق الوعل عن طريق التقويم والكشط والحك مثل المخراز Awl.

أما إنسان العصر الحجرى المتوسط الذى كان أكثر اهتماماً بالنجارة فقد استخدم ذات الأسلوب الصناعى فى إنتاج مثاقب وأسافين من قرون الوعل، وباستخدامه ذات المنهج على الحجارة القوية الصلبة أمكنه إنتاج الفأس التى ساعدت كثيراً إنسان العصر الحجرى الحديث فى الزراعة، ورغم أن صنع الفأس الواحدة كان يحتاج الى شهر من العمل حتى تشحذ وتصقل، إلا أن عمرها كان ييوم طويلاً إذا ما استخدمت واستعملت بعناية.

هذا وكانت صناعة البيوت فى العصر الحجرى الحديث تعتمد على دعائم خشبية مفروسة فى الأرض تكون الهيكل العام للبيت ثم تحشى جدرانها بالأغصان المضفورة المغطاه بالطين، وقد كانت طريقة التضفير شبيهة بتلك التى كانت تستعمل فى صناعة السلال، والجدير بالذكر أن هذا النمط من بناء البيوت مازال معمولاً به ومعروفاً فى كثير من المجتمعات الزراعية من العالم القديم حتى اليوم.

النار (١٦) Fire :

لعل أهم وظائف النار عندما إختترعت فى عصر ما قبل التاريخ كانت تتركز فى الوظائف الأربع التالية :

- ١ - وسيلة للحماية.
- ٢ - وسيلة للتدفئة.
- ٣ - بؤرة للتماسك والتآلف الإجتماعى.
- ٤ - أداة للطبخ.

هذا ويعتبر تحكم الإنسان فى النار من أهم معالم سيطرة الإنسان على البيئة بل إن إرتباط النار بالمارد الأغريقى بروميثيوس الذى يدل اسمه على البصيرة، لدليل على إرتباط النار بالبصيرة التى تؤدى الى الاختراع والحكمة، وقد دلت الأدلة المتراكمة؛ على أن معرفة النار ترجع الى ١.٥ مليون سنة مضت ولكن تحديد البداية مازالت محل خلاف، هذا وتحدد المواضع التى يحتمل أنها قد شهدت ظهور النار فى عدة مواضع محدودة هى اولورجيسايلى -Olor gesailie (تنجانيقا منذ ٤٠٠ ألف سنة) جاديب Gadeb (إثيوبيا منذ ١.٣ مليون سنة) كوارى Korari (كينيا منذ ١.٥ مليون سنة) شيسووانجا -Che sowonja (كينيا منذ ١.٥ مليون سنة) شيكونتين Choukountin (شمال الصين منذ ٥٠٠ ألف سنة) ياوانمو Yuanmou (جنوب غرب الصين منذ ١.٤ مليون سنة) لوسكال L'Escale (جنوب فرنسا نصف مليون سنة) تراأماتا Terra Amata (جنوب شرق فرنسا منذ ٣٠٠ ألف سنة)، فرتسزولوس Vértesszöllös (المجر منذ ٢٠٠ ألف سنة).

ويعيد حاليا البوشمن والهوتنتوت خبرات صنع النار، حيث أن التدريب هام جداً حتى ينجح الفرد فى توليد النار من حك المثقاب مع مواد نباتية جافة سريعة الاشتعال، مع ملاحظة ضرورة سرعة اقتناص الشرارة التى سريعا ما تنفذ.

هذا ولا شك أن التحكم فى النار كان خطوة هامة للإنسانية، حيث أنها تقدم التدفئة والحماية ووسيلة الطبخ، وكانت بالنسبة للإنسان الأول وسيلة محفزة؛ اذ بالنار يسهل للإنسان التوصل الى الكثير من الأمور لسهولة تشكيل

الخشاب، كما أصبح سهلاً عمل الشظايا، وكان هذا مدعاة لوضع الإنسان عندما تحكّم في صنع واستعمال النار، بعيداً في خط التقدم عن باقى العالم الطبيعى الآخر، وأصبحت الاسئلة عن كيف وأين ظهرت النار وكيف إنتشرت أسئلة قديمة، أصبح السؤال الهام هو دور النار فى التقدم الإنسانى؟

ومن خلال الكشوف التى تمت خلال القرون الأخيرة إتضح أن النار معروفة ومستعملة فى كل المجتمعات الإنسانية بما فيها البدائية والبسيطة، مهما كان مستوى تكنولوجيتها، فالإسكيمو وسكان جزر البحار الجنوبية وأهالى تيرادلفويجو، كلهم يستخدمون النار، كما أنهم رغم معرفتهم كيف توقد النار، إلا أنهم يتركوا شعلة صغيرة موقدة بإستمرار، مع تخصيص فرد لملاحظتها والمحافظة عليها متقدة.

وإذا ما حاولنا ملاحظة إرتباط النار بالطبيعة نجد أن العلاقة بين النار والنوع والإنسان قليلة الوضوح، فحرق الأدغال فى أفريقيا وربما فى أماكن أخرى، يستعمل بذكاء لقنص الفرائس، كما أن الفهود يمكنها أن تمسك بالطيور الهاربة وكذلك تفعل الصقور، ورغم قلة المعلومات عن سلوك الرئيسيات حيال النار، إلا أن إدوارد تيلور Edward Tylor الأثنروبولوجى الفيكتورى (من عصر الملكة فيكتوريا ١٨٢٧ - ١٩٠١) سجل قصة الرحلة عن البونجو (الجوريللا) الذى جلس حول النار للتدفئة فى جماعة حتى خمدت النار ولكن لم يستطيعوا الحرص على استمرار إيقادها، كل هذا يعطى إنطباعاً بأن إستعمال النار يبنى تدريجياً التوافق مع الطبيعة.

والنار ليست موضوعاً سهلاً أمام الأثريين للتعامل معه، بسبب طبيعة الأدلة، حيث يمكن القول أن هناك خطوتين للتقدم : الأولى الكشف عن عدة أدلة على الإشعال، ثم الربط بينهما وبين النشاط الإنسانى. إذا اشتعلت نار صغيرة فى معسكر، فإن هناك أدلة كثيرة تترك للدلالة على وجود حريق، الرماد Ask والفحم النباتى Charcoal أو أى وقود Fuel آخر، ودائرة من الأحجار التى ربما تكون وضعت كى تحتوى النار داخلها، وربما تربة محروقة بحرارة النار أو بقايا بعض الأشياء والأطعمة مثل عظام أو أغذية الأوانى التى تركت وتخلفت،

فإذا ما حوفظ على كل هذه الأدلة فإنه يتضح بدون شك أن هناك كانت نار، ولكن في الحقيقة هذه الأدلة قد تختفى أو تتحرك بفعل الرياح أو الأمطار.

وهذا يعنى أن إحتمال العثور على أدلة مباشرة على وجود النار فى الكشوف الأثرية قليل، خصوصا فى المواضع المكشوفة فخلال النصف مليون سنة الأخيرة لم يعثر على دليل واحد، يدل على وجود النار من مواضع أثرية مكشوفة حتى تلك المعاصرة لكهوف بها أدلة على وجود نار، وعلى ذلك فإن وجود الدليل المبكر جداً على إحتمال إستعمال النار مثل ذلك الذى يرجع الى ١.٥ مليون سنة فى موضع شيسوانجا Chesowanja فى شرق أفريقيا، جاء مفاجئاً ولكن الأدلة السالبة على وجود النار فى مواضع ترجع الى ٥٠٠ ألف سنة لا يدل على قلة المعلومات عن النار^(١٧).

وقد عثر فى المواضع الباليويثية اللاحقة التى ترجع الى ٢٠٠ - ٢٠٠ ألف سنة على أدلة كثيرة على وجود النار وهناك مواضع كثيرة ليس بها بقايا للنار، ولكن وجد بها مواقد Hearths ترجع الى هذه الفترة، مثل تلك التى عثر عليها فى ترأمانا فى جنوب شرق فرنسا وفرتسزولوس فى المجر ودولنى فستونيس Dolni Vestonice فى (تشيكوسلوفاكيا)، بعض منها عبارة عن انتشار للفحم النباتى Charcoal، ولكن بعضها يتمثل فى وجود مواقد حجرية، وفى غيرها نجد تربة محروقة الى جوار الشاركول (الفحم النباتى Charcoal).

وفى بيئة الكهوف المحمية نجد أن الأدلة على وجود النار أكثر إحتمالاً للعثور عليها، حيث عثر على الشاركول والتربة المحروقة والرماد، محمية بعيداً عن الرياح والأمطار، وفى كهوف تشيكونتتين بجوار بكين فى الصين، التى كانت مسكونة بالإنسان المنتصب Homo Erectus (منذ ٥٠٠ مليون سنة)، وجدت طبقة فوق طبقة من الرماد ashes، ورواسب محروقة وعظام الحيوانات المحروقة رغم أن النباتات الجافة تمسك بها النيران، وهناك أدلة أخرى من موضعين محفوظين فى كهوف فرنسا أحدهما فى لوسكال L'Escaze التى ترجع الى ٧٠٠ ألف سنة مضت، حيث عثر على أدلة النار بجوار بحيرة قديمة، والموضوع الثانى فى بيت دى لو أزي Pech de L'Aze الذى يرجع الى ٢٠٠ ألف سنة مضت.

ومازال مع الأدلة الشائعة على وجود نار قديمة ترجع الى ١.٥ مليون عام مضت، خاصة واننا نعرف أنه كثيرا ما يتكرر إشتعال النار فى الغابات من البراكين، أو الصواعق لذلك كان من المنطقى، ومن المحتمل العثور على بقايا محروقات مع المخلفات الأثرية القديمة، ولكن ليس من الطبيعى إرجاع أول أسباب هذه النيران الى الطبيعة، خاصة فى الأماكن التى عثر فيها على مخلفات أو بقايا بشرية، خاصة وأن هذه العناصر الطبيعية لا يمكن أن تكون مسئولة عن صنع المواقد Hearths.

هذا وربما كان حك قطعتين من الخشب بشدة، كانت هى الطريقة الأولية لتوليد شرارة النار، أما طريقة المثقاب drill فلم تظهر الا منذ الآلاف القليلة الأخيرة من السنين وذلك باستعمال قوس ووتر bow and string حيث تتولد شرارة خلال أقل من دقيقة^(١٨).

إذن لماذا هناك آراء بالرفض من بعض الأثريين لنظرية صنع النار؟ فبينما أن استعمال النار سبب التقدم فى تشكيل المعدن، وهذا لم يتم إلا فى مراحل وعصور لاحقة، ويدافع معتقدى هذه الأفكار عن آرائهم قائلين أنهم لن يستسلموا إلا أمام أدلة حقيقية دامغة. ولكن يبدو أن الكائنات لها نفس القدرة على تصنيع الخشب رغم عدم العثور عليه، وإذا نظرنا الى الخطوات والخبرات اللازمة لعمل النشاط الإنسانى للمستقبل، مثل ظهور الطعام أو شوى الذبائح؛ فهذا لا يتم إلا بالنار.

فإذا أرجع فعلا استخدام النار الى أوائل البلايوسين (حوالى ٢ مليون سنة مضت) على ما يبدو الآن، فإنه يمكن القول أن أسلافنا كانوا بدون مبالغة، قد بلغوا فى ذلك الوقت مستوى البشرية فى أصولها وأساسياتها المعروفة.

وإذا ما تتبعنا صنع النار فى القارة الأفريقية نجد أن الأدلة الأركيولوجية كشفت عن سبق إنسان شيسووانجا Chesowanja فى شرقى أفريقيا فى استخدام النار بنحو ٦٠٠ ألف سنة عن إنسان الصين، حيث دلت المخلفات الأثرية على أن نار شيسووانجا ترجع الى ١.٥ مليون سنة مضت^(١٩).

الفنون :

لعل من أشهر الأعمال الفنية الأفريقية التي ترجع الى عصر ما قبل التاريخ الرسوم والصور الملونة التي رسمت على الصخور وكشفت عنها فى جنوبى أفريقيا، وروديسيا (زيمبابوى)، وأيضا فى شمالى أفريقيا، وتتميز هذه الصور بأنها تنبض بالحياة والقوة وأنها لأشخاص ينتمون الى ثقافات مختلفة، كما تصور نماذج من الحيوانات التي تمرح فى سهول الحشائش والأعشاب وفى المناطق الصحراوية وما جوارها.

وقد رسمت هذه الصور بأكسيد الحديد الأحمر وبالفتح النباتى وبالصلصال الأبيض وما زالت ألوانها زاهية، كما لو كانت حديثة العهد، ومن الغريب أن معظم المشاهد خاصة تلك التي تصور الصيد والقتال توحى بالكثير من الحركة والعمل، هذا ولم يبقى من هذه الصور إلا تلك التي رسمت على صخور الكهوف أو على صخور محمية برؤوس ناتئة متدلّية مما جعلها محمية وبعيدة عن تأثير الرياح والرمال والأمطار.

وبالإضافة الى هذه الرسومات تشتمل الفنون الأفريقية التي ترجع الى عصر ما قبل التاريخ، على مشغولات حجرية ومعدنية وأخرى من الطفلة الحرارية، وقد عمرت حتى يومنا هذا لأن الأمطار والحشرات لم تستطيع أن تعمل فيها يد التخريب.

النقوش على الصخر Rock Art :

هذا وتؤلف الأشكال الحجرية التي أكتشفها علماء الآثار البريطانيون والفرنسيون فى غربى أفريقيا، أكبر مجموعة من هذا النوع من الفنون الأفريقية القديمة، ومن الغريب أنه حتى الآن لا تتوافر معلومات كافية عن الحضارات التي أنتجت هذه الثقافات الصغيرة الخشنة التي نحتت من الحجر لتمثل رؤوسا بشرية، وقد وجدت هذه الأشكال فى منطقة واسعة تمتد من داكار حتى بحيرة تشاد، ويرى البعض أن هناك علاقة بين هذه الرؤوس وبين الأشكال

الحجرية الغامضة التي عثر عليها بالمنات فى تل مقدس قرب ابسى فى مقاطعة ايلورين Ilorin فى جنوب غرب نيجيريا.

ويتراوح حجم هذه الأشكال ما بين ٥٠ - ٣٠٪ من الحجم الطبيعى للرأس البشرى وهى تمثل مزيجا من الواقع الطبيعى ومن التصميم الفنى الإبداعى، مما يدل على تقدم الإدراك والوعى لدى شعوب هذه المناطق فى تلك الفترة المبكرة من التاريخ الأفريقى، هذا والملاحظ أن هذه السمة الفنية لتى تخط الواقع بالإبداع ما زالت شائعة فى الأشكال التقليدية المعاصرة التى نجدها فى هذه المنطقة من أفريقيا الغربية.

والحقيقة أنه رغم التصور الملموس فى عدم التوصل الى معرفة شئ عن أصول هذه الأشكال إلا أنها تقف اليوم شاهدا صامتا على شعب قديم نجح فى تطوير أشكاله الفنية واصطناع أساليب معينة فى أشغاله اليدوية، شعب يبدو وأنه قد إنحدر كله من أصل أفريقى، لأن إنتاجه الفنى لا يصور إلا ملامح زنجية (٢٠).

ومن أشهر وأغرب الأشكال الفنية القديمة، تماثيل "التراكوتا" (الطين اللين) التى تمثل رؤوسا مصممة تصميميا طبيعيا، وهى التى أثار اكتشافها فى جوس Jos وإيفى Ife فى نيجيريا ضجة كبيرة حولها، حيث إكتشفت فى مناجم القصدير فى جوس رؤوس صغيرة من "التراكوتا" وذلك بعد أن كان قد سبقها كشف إيفى حيث كشف عن رؤوس أكثر تشديبا فى صناعتها وتصميمها من رؤوس جوس، إلا أن الشبه كان كبيرا جدا بين رؤوس المنطقتين (جوس ، إيفى)، لدرجة أن بعض الباحثين ظن انهما ينتميان الى نمط حضارى شائع واحد، رغم أن كلا منها ينتمى الى زمن مختلف، حيث أن مكتشفات جوس التى تنتمى الى حضارة النوك Nok ترجع الى نحو ٢ آلاف سنة مضت كما قدر لها بتحليلات الكربون ١٤ المشع، حيث أنها ترجع الى الفترة ما بين ألفين عام ق.م و عام مائتين بعد الميلاد، وهى فى الغالب ترجع الى عام ٩٠٠ ق.م، أما الرؤوس وأنصاف الاشكال التى عثر عليها فى إيفى، فيحتمل أنها أكثر قدا من حضارة نوك بنحو ألف عام.

والجدير بالذكر أن علماء الآثار الفرنسيين قد أكتشفوا أشكالاً من التراكوتا في منطقة بحيرة تشاد، وحيث أكتشفوا حضارة قديمة مماثلة؛ تمكنت من بناء مدن مسورة كما تمكنت من صنع أواني وأشياء من قوالب طينية.

هذا وتتميز هذه الأشكال الفنية المصنوعة من التراكوتا بمسحتها الطبيعية، وقد مرت عليها مراحل عديدة حتى وصلت إلى مرحلة الإتقان، وربما تحقق ذلك على يد فئة من الفنانين المتخصصين، وقد دلت المكتشفات التي عثر عليها؛ أن المرحلة الأولى للرؤوس المكتشفة، كانت تدل على البساطة، ولها وجوه محززة، وأما المرحلة المتقدمة مثل تلك التي وجدت في إيفي، فهي أكثر إتقاناً وتفضيلاً بل لقد عثر على بعض النماذج التي تنتمي إلى حضارة النوك وتتميز بالإتقان خاصة فيما يتعلق بتزيين الشعر.

أما الفخار والمصنوعات الفخارية التي بقيت وصمدت حتى اللحظة، فتتكون من أوعية وأواني يبدو أنها أستعملت حيناً من الدهر في حضارة شعب اليوروبا خاصة في طقوس قبيلة الإيفا Ifa، حيث كانت الأواني الفخارية الأولى تحمل أشكالاً بارزة تصور حيوانات صغيرة وزاحفة مختلفة الأشكال، وذلك باعتبارها رسلا إلى آلهة اليوروبا، هذا وقد وجدت قطع على قصر إيفي الذي ظل قائماً لعدة قرون، ويوحى وصفه بوجود علاقة بين هذه القطع وبين تصميمات الأشكال المجوفة المصنوعة من الطين التي وجدت على الجدران المحيطة بالأبواب في القصور والساحات الخاصة في بنين.

والجدير بالذكر أن رؤوس التراكوتا كانت تصنع لتمثل الأعضاء المنتسبين رسمياً للحكام بالزواج من بنات الملك مثلاً، وذلك للتذكرة بعد وفاتهم، أما أعضاء النقابة أو الأسرة الحاكمة ذاتها فكانت تصور رؤوسهم بعد وفاتهم بتمثيل تصنع من النحاس الأصفر أو البرونز، فكان ذلك نوعاً من التفرقة في المستوى الإجتماعي، وهي عادة شائعة دائماً في كل عصر ومصر.

هذا وقد عثر على شظيتين صخريتين عليهما رسوم لأشكال حيوانية، عثر عليها في كهف أبولو - ٢ في جنوب أفريقيا، وقد حدد الكربون المشع عمرها

فيما بين ٢٥٥٠٠ - ٢٢٥٥٠ سنة هذا وهناك محاولات كثيرة لربط تاريخ هذه الشظايا ورسوماتها بالرسومات التي عثر عليها في كهوف جبل تادرارات على الحدود الجنوبية الغربية للجمهورية الليبية^(٢١).

ولما كانت حياة الإنسان في عصور ما قبل التاريخ صعبة، حيث كان يواجه الإنسان الطبيعة مواجهة مباشرة بدون معونات إلا من بعض الأسلحة من الأحجار والعظام والأخشاب، وهذه لا تكاد توفر له الأمان والإطمئنان الكافي في حياته، لذا كان عليه أن يلجأ إلى قوى خفية علوية كي تساعد وتعطيه القوة الروحية والنفسية اللازمة كي يواجه مصاعب الحياة، فكان أن ظهرت ارهاصات الفكر الديني، وما ارتبطت به من فنون ظلت باقية للآن.

وقد إستدل على ذلك من الرسوم والنقوش التي عثر عليها على جدران وسقوف الكهوف والمغارات التي كانت تتخذ كمنازل وبيوت، هذا بالإضافة إلى التماثيل ذات الصفة الدينية وكذلك العديد من التماثيل الحجرية والصدفية والطينية^(٢٢).

والملاحظ أن الرسوم الحيوانية إلى تركها إنسان ما قبل التاريخ تعبر عن بعض القوى الخفية التي من المحتمل أن تخيلها ذلك الإنسان نتيجة طول فترة صراعه معها، مما جعله يؤمن بحملها لبعض القوى الخفية. أما التماثيل الصغيرة فقد إتجه العلماء إلى إعتبارها ممثلة لظاهرة الأمومة والخصوبة والإنتاج، وقد لوحظ المبالغة في تصوير الظواهر الجنسية فيها تأكيداً لفكرة الخصوبة، ولعل ذلك يرجع ويتصل بكثرة المخاطر التي كان يتعرض لها ذلك الإنسان مما كان يعرضه لخطر الإنقراض، فكان يلجأ لمثل هذه التماثيل المتعلقة بالخصوبة وزيادة النسل.

ويتصل بذلك أيضاً أماكن دفن الموتى، هذه و أيضاً من أسلوب الدفن الذي إختلف كثيراً من بيئة إلى أخرى، لقد أمكن إستنتاج الكثير من الفكر الديني مثل مقابر الأطفال الجماعية والمتصلة بفكرة التضحيات البشرية تقرباً لالهة الأمومة (حضارة قرقيميش ورأس شمرا في سوريا) ومثل دفن الموتى

أسفل المساكن (حضارة مرمدة وحلوان العمري في مصر) بل والعثور على عظام الموتى مجزأة، مما يدل على أن البعض كان يأكل بعضاً من بقايا موتاهم حبا فيهم، وحفاظاً على بعضاً منهم داخل أبدانهم وتلك عادة بدائية أفريقية (نقادة A في مصر) (٢٣).

شمال أفريقية والصحراء

أوضحت الدراسات التي تمت في شمالي أفريقيا، أنه قد مر على الصحراء الكبرى دورين مطيرين أحدهما طويل والآخر قصير نسبياً، حيث كان الدور الأول معاصراً للدورين الجليدين جينز ومندل بما في ذلك الفترة الدفيئة المحصورة بينهما، وفي هذا الدور كانت درجة الحرارة أكثر مما هي عليه اليوم بنحو ٣ - ٥ م، كما كانت الرطوبة عالية نتيجة الموجة العالية التي كانت تسود العروض الوسطى في تلك الفترة الزمنية، والتي أدت إلى زيادة في البخر من البحار والمحيطات، وتكون حالة غير عادية من ارتفاع الحرارة وتزايد سقوط الأمطار الإعصارية المفاجأة والغزيرة لمدة طويلة، مما أدى إلى ظهور الأودية الكثيرة التي نشاهدها حالياً جافة في الصحراء الأفريقية.

كانت هذه الحالة، هي ما كانت عليه أفريقيا خاصة الشمالية، بل أن كل القارة الأفريقية كانت غزيرة المطر بصورة تكفي الإنسان كي يعيش منطلقاً هائماً على وجهه في البرية، مطمئناً إلى توافر طعامه الذي كان يجمعه من هنا وهناك بسهولة، كان هذا حال الإنسان في العصر الحجري القديم، وقد إستدل على ذلك من دراسة شواطئ البحيرات القديمة وبقاياها القليلة حالياً، أمثال تشاد والعفر وناكورو والمنتيتا وغيرها (٢٤).

أما خلال فترة العصر الحجري المتوسط، تلك الفترة الإنتقالية بين العصر الحجري القديم حيث كان يعتمد الإنسان في حياته على الجمع والإلتقاط وعلى القنص، وبين العصر الحجري الحديث، في هذه الفترة الوسطى الإنتقالية، بدأت تظهر إرهابات إكتشاف الرعى (استئناس الحيوان) وإكتشاف الزراعة

(استثناس النبات)، ويبدو أن الاثنين تما معا خاصة إستثناس الكلب واستثناس الشعير، هذا الانقلاب الحضارى الكبير، رسخت جذوره فى العصر لحجرى الحديث.

والدليل على أن الصحراء الأفريقية كانت تسودها مناطق غنية بالثروة النباتية فى عصر ما قبل التاريخ، وما تبع ذلك من غنى وثراء فى الثروة الحيوانية، وكل هذا يساعد على توطن الحياة البشرية فى هذه المناطق، والدليل على ذلك يمكن أن نستدل عليه من تسمية أفريقية، فالأسم مشتق من لفظين فينيقيين يعنى أحدهما سنبله وهو رمز الخصوبة، والآخر فارىكيا ويعنى بلاد الفاكهة، وقد أنعكس هذا على الشعب الذى كان يعيش جنوب قرطاج (تونس الحالية) وهو شعب الأفرنج، وذلك هى أقرب تعليلات تسمية القارة (٢٥).

مصر والنوبة :

صاحب زحف الجفاف على الصحراء الكبرى الأفريقية (حوالى خمسة آلاف سنة ق.م) اتجاه الإنسان الى أودية المجارى المائية حيث يتوافر مصدر دائم للحياة، ولما كان نهر النيل هو المجرى المائى الوحيد فى الشمال الشرقى الأفريقى، فقد كان أن ظهرت على ضفافه أولى حضارات ما قبل التاريخ المتنقلة والمستقرة.

هذا ومهما قيل عن أهمية دراسة آثار ما قبل التاريخ فى مصر، فإن الأمر يتطلب الربط بين الدراسات الأثرية والأنثروبولوجية والجغرافية، بحيث تعطى فكرة واضحة عن الأصول الأولى للمصريين (٢٦)، وهى وان كان تكتنفها الآراء الكثيرة، إلا أن الأمر واضح وحاسم فى أن المصريين يرجعون الى الأرومة الأصلية الأصلية التى كانت تقطن مصر منذ عصر ما قبل التاريخ، وهى سلالة البحر المتوسط الجنوبية المتأثرة بالدماء الأفريقية، ومن الأمور الواضحة والمحسومة بالقياسات الأنثروبومترية على المصريين القدامى والمحدثين على حد سواء، وحدة المصريين جميعاً (٢٧) و أن كان هذا موضوع شيق يحتاج إلى مزيد

من البحث والدراسة المتعمقة عن المصريين منذ عصر ما قبل التاريخ وحتى الآن (٢٨).

ولقد كانت مصر المركز الرئيسى الوحيد فى أفريقيا من بين الـ ٢١ مركزاً حضارياً التى عددها أرنولد توينبى (١٩٦٢) فى العالم، فمن مصر خرجت الحضارة الى سائر أرجاء شمال أفريقية وشرقها وباقى أركانها، بل إنه من المقطوع به أن أوروبا وآسيا، كانت على صلة ما بتلك الحضارة المصرية العريقة (شارد Chard, C.S. ١٩٧٥) (٢٩)، الذى يذكر أن مصر كانت واحدة من ست بيئات عالمية ظهرت فيها المدنية السحيقة بصورة مستقلة. ذلك أن حضارة الفيوم A (٤٥٠٠ ق.م) كانت أول حضارة صنعت الفخار كما عرفت زراعة الشعير والحنطة emmer فى هذه الفترة المبكرة من تاريخ الإنسانية (خمسـة آلاف سنة ق.م) (٣٠).

ومن قبل كان لمصر دور واضح وكبير فى كشف ما قبل التاريخ، خاصة فى البقايا الحفرية البيولوجية، وكما هو معروف أن مصر من أقدم المناطق التى ثبت أنها كانت معمورة بالإنسان القديم الأول، حيث سكنها إنسان وادى فيران (جنوب سيناء) منذ ٣٥ ألف سنة، وإنسان كوم أمبو (فى الصعيد) منذ ٢٠ ألف سنة وإنسان الفيوم منذ ١٥ ألف سنة. يضاف الى ذلك أنه قد كشف عن حفريات فردية عديدة فى جبل القطرانى (شمال الفيوم)، كان منها فك القرد التى عثر عليه عالم الجغرافيا الألمانى شلوستر عام ١٩١١ والذى يرجع عمره الى نحو ٤٠ مليون سنة، والذى أطلق عليه اسم جيبتوبتوكس، والذى يعد أقدم سلف للإنسان الحديث العاقل Homo Sapiens Sapiens، ثم عثر ألون سيمونز استاذ الحفريات فى جامعة ييل الأمريكية مع البهى العيسوى الجيولوجى المصرى المتميزه على جمجمة قرد الفيوم عام ١٩٦٦ والتى ترجع الى ٣٠ مليون سنة والتى إعتبرت حلقة وصل بين الاجيبتوبتوكس والإنسان البارع Homo Habilis فى شرق أفريقيا الذى كشفه ليكى عام ١٩٥٩، والذى كان يحيا منذ مليون و٧٥٠ ألف سنة، معنى هذا أن الإنسان بدء فى إستيطان

وادي النيل في مصر منذ العصر الاولدوانى Oldowanien (منذ مليون سنة) وإستمر فيه بصفة مستمرة ودائمة، وقد عثر على مخالقات للحضارة الأشولية (منذ ٧٠٠ ألف سنة) والتي تمثل الحلقة الأخيرة من سلسلة الحضارات التي ظهرت منذ الإستيطان الأول، عثر عليها في أماكن متناثر من مصر خاصة بجوار معبد أبو سمبل في النوبة، هذا وقد ظهرت أدلة أكثر على هذا الإستيطان وترجع الى فترة نهاية دور العباسية المطيرة خلال العصر الحجري القديم الأوسط (١٢٠ - ٩٠ ألف سنة)^(٣١)، والذي إستغرق نحو ٥٠ ألف سنة، أمكن خلالها للحضارة الأشولية أن تنتشر من مصر غربا، بحيث ظهرت الروابط بين الحضارة المصرية النيلية والحضارة الأفريقية الصحراوية وما بعدها في أعماق القارة، والمرجح أن هذا الإنتشار والإحتكاك، قد حدث منذ مائة ألف سنة في فترة الإنتقال من الإنسان المنتصب Homo Erectus الى الإنسان العاقل Homo Sapiens ولكن هذا الرأي، مازال محل بحث نظراً لعدم توافر الأدلة العلمية القاطعة^(٣٢).

ويبدو وأن صناعة الشظايا Flakes الحجرية التي أعقبت الحضارة الأشولية، قد إمتدت من مصر الى سائر أرجاء أفريقيا الشمالية، وكان ذلك نحو عام ٣٠ ألف ق.م، وهي الحضارة التي تتطابق مع الحضاريين الموسستيرية والعاطرية، حيث كانت الحياة تعتمد على الصيد في نطاق حشائش السافانا، وقد ظهرت على الخصوص في الحضارة العاطرية التي إعتمدت على إستخدام القوس، وإنتشرت إنتشارا واسعا في الصحراء الكبرى حتى المغرب.

وتعتبر الحضارة السبيلية وهي المكونة من الشظايا الحجرية التي عثر عليها قرب قرية السبيل في وادي كوم أمبو في مصر العليا، هي أقدم الشظايا الحجرية التي عثر عليها في شمال أفريقيا والتي ترجع الى عام ١٢٢٠٠ ق.م، وهو تاريخ يسبق الحضارة المولوية Mouillian التي ترجع الى عام ١٠١٢٠ ق.م. والتي عثر عليها في تافورانت في المغرب، وهي التي تبعتها الحضارة القفصية في تونس بعد ذلك إذ أنها ترجع الى عدة آلاف من السنين بعدها^(٣٣).

لذلك فإن الحضارة التاريخية المصرية الفرعونية جاءت نتيجة طبيعية لنمو حضارة مصر فى عصور ما قبل التاريخ كنتيجة لنشاط فكر ويد الإنسان المصرى القديم، وكانت الحضارة المصرية فى كلتا الحالتين حضارة معجزة لأنها أنشأت منجزات فكرية وعلمية وتكنولوجية على غير مثال سابق.

وفى النوبة كانت هناك حضارة خورموسى على مسافة بضعة كيلومترات من وادى حلفا، وهى ترجع الى العصر الحجري القديم الأوسط (حوالى ٤٥ ألف سنة) وقد إستمرت حتى العصر الحجري القديم الأعلى (٢٠ ألف سنة) ولقد كانت حضارة صيد بر وبحر، حيث كان من بين حيوان الصيد الحيوانات التى كانت تعيش فى السافانا كالابقار البرية والظباء والغزلان، أما صيد البحر فقد شمل كل مايحويه النيل، ذلك النهر الذى جذب هذه الحضارة اليه خوفا من الجفاف الذى بدت تباشيره تظهر، وعلى هذا فقد كانت هذه الحضارة أول حضارة تكيفت مع البيئة النيلية وقد أعقبت هذه الحضارة خلال الفترة من ١٥ ألف - ١٠ آلاف سنة حضارة دبروسة ثم بلانة^(٣٤) وفيها ظهرت الأدوات القرمية.

أما حضارة حلفا فقد كانت خلال الفترة (١٧ ألف سنة الى ١٦ ألف سنة) وقد أعقبتها حضارة جَمى ثم حضارة قادى التى إمتدت على أكثر من ٢٠ موضعا ممتدا من الشلال الثانى حتى توشكا (القديمة فى النوبة المصرية قبل تهجير النوبيين المصريين سنة ١٩٦٠) وظهرت فيها صناعة النصال Blads وآلات أخرى تدل على وجود مستوى اقتصادى متقدم، حيث تم اكتشاف بقايا أضاحى الحصاد مما يدل على ظهور ارهاصات اكتشاف الزراعة، ورغم هذه الكشوف ومايضاف إليها من وجود النجيليات والشعير البرى فى إسنا^(٣٥)، إلا أن الباحثين الغربيين مازالوا يفضلون النظرية القائلة بأن المجتمع الزراعى الذى بدء فى الظهور فى مصر قرب نهاية العصر الحجري القديم^(٣٦) ترجع أصوله الى الشرق الأدنى وهذه فى الحقيقة نقطة هامة يجب عدم الإنتهاء فيها الى رأى نهائى قبل إستنفاد كل فرص الكشف عن حضارات العصر الحجري القديم الأوسط ومابعده فى مصر وفى الصحراء الكبرى كلها، حيث أن الظروف

الجغرافية القديمة كانت فى شمالى أفريقيا أنسب وأكثر ملائمة لظهور الزراعة من الظروف المماثلة لتي كانت سائدة فى ما بين النهرين خاصة والشرق الأدنى عامة، مع ضرورة إدخال نتائج الكشوف الأفريقية الأخرى فى الحسابان ويؤكد هذا الرأى وجود فجوات شاغرة كثيرة فى حضارات ما قبل التاريخ فى مصر والشرق الأدنى القديم خاصة الفترة ما بين الاف السابعة والالف السادسة ق.م.

الصحراء الكبرى:

عثر فى هذا النطاق من القارة الأفريقية على الكثير من البقايا العظمية العريقة كان منها على سبيل المثال فى الهوافطيح Haua Fteah (برقة) مشتتا Mechta (تونس)، أفالو Afalou (الجزائر)، أسيلار Asselar (مالى).

وتعد الصحراء الكبرى فى شمالى أفريقيا أكبر صحارى العالم اتساعا وأشهرها جفافا، حيث يتركز عليها خط الاستواء الحرارى ومايصاحبه من جفاف تام فى وسطها، عدا قمم وسفوح جبالها التى تجذب احيانا بعض الامطار النادرة التى تسقط فى شكل رخات فجائية، هذه الصحراء التى تمتد بطول نحو ثلاث ألاف كم من الشرق (الساحل الغربى للبحر الأحمر) الى الغرب (الساحل الأوسط للمحيط الاطلنطى الشمالى)، بينما يبلغ عرضها نحو نصف هذه المسافة ممتدة من أقدام السفوح الجنوبية لجبال الأطلس فى افريقيا الصغرى ومن الساحل الجنوبى للبحر المتوسط فى ليبيا ومصر، إلى قرب خط عرض عشرة شمالا حيث يبدأ إقليم حشائش الاستبس الفقيرة فى الظهور والذى يليه حشائش السافانا فى الجنوب، فنحن بذلك أمام مساحة تصل الى نصف مساحة القارة الأفريقية.

ولكن هذه الصحراء لم تكن كذلك فى عصور ما قبل التاريخ، إذ كانت تدخل فى نطاق سقوط الأمطار التى تشبه أمطار غرب وجنوب أوروبا وكان هذا مدعاه إلى أن يحيا إنسان هذه الصحراء هائما على وجهه باحثا عن المأكل والمشرب والملبس والمأوى أينما كان، وكثيرا ما كان يجد مبتغاه بسهولة ويسر.

ويرى كون Coon, C.S. أن التاريخ السلالي لمنطقة شمالى أفريقيا منذ ١٢ ألف سنة ق.م. يمكن أن يوجد فى الآتى: (٣٧).

١ - وفدت عناصر قوقازية قوية خشنة من الشرق الأوسط القريب مع مجموعة حيوانية قديمة.

٢ - إختلطت هذه العناصر الوافدة مع العناصر المحلية القديمة أصحاب الحضارية العاطرية Aterian

٣ - كان نتيجة ذلك ظهور عنصر جديد يتميز بقصر القامة والوجه العريض والوجه المفلطح والفك البارز والفك الأسفل الدائرى.

٤ - بينما يتكون هذا العنصر الجديد، اندفعت العناصر القديمة من العاطريين نحو الجنوب من الصحراء.

٥ - أخيرا ظهر عنصر الشرق الأوسط -البحر المتوسط مثل أصحاب الحضارة الناطوفية Natufians حيث وفدوا من الشرق أيضا حاملين الحضارة القفصية Capsian Culture.

٦ - وكانت النتيجة؛ ظهور سلالة شمالى أفريقيا من ناس البربر.

هذا ويقول علماء أصول اللغات القديمة أنه قد خرجت من شبه جزيرة العرب فى العصور القديمة قبائل عربية سامية قسمت الى شعبتين شرقية توجهت الى أرض ما بين النهرين حيث كونت المجموعة الاكدية (المسمارية أو البابلية الآشورية) وقد ظلت هذه اللغة حية إلى ما بعد زوال السلطان الاكدي السياسى الى أن نازعتها البقاء شقيقتها اللغة الأرامية وكان ذلك حوالى القرن الرابع ق.م. (٣٨) اما الشعبة الغربية فكانت ذات فرعين رئيسيين شمالى وهو الفرع الكنعانى الذى تحدثت به القبائل العربية التى استوطنت منطقة الليفانت (الشام الكبير حاليا) وذلك حوالى الألف الثالث ق.م. وكان لهذا الفرع عدة

لهجات هي الموابية والفينيقية والعبرية^(٣٩)، وأما الفرع الآخر الجنوبي فيشمل العربية الشمالية والعربية الجنوبية وكذلك الجعزية (الحبشية القديمة)^(٤٠).

وهناك رأى أخير قال به نولدكه Noldeke, T. يقول بأن وطن اللغات السامية كان فى أفريقيا، ويقول Coon, C.S بهذا الخصوص أنه إذا كان هذا صحيحا؛ فيكون انتقال هذه اللغات من أفريقيا الى شبه الجزيرة العربية قد تم عن طريق بوغاز باب المنذب ليس العكس كما كان يظن البعض^(٤٢).

وعليه فإن الصحراء الكبرى الأفريقية كانت موطننا لأقدم الأنماط البشرية التى ترجع الى عصر البلايستوسين الأدنى وما صاحبها من حضارة اولدووان Oldowan Tools فى المغرب (الدار البيضاء) وفى تونس (عين حنيش)، كما كانت هذه الصحراء موطننا من قبل للقرود الجنوبي Australopithecine حيث عثر على بقايا له فى تشاد (يايا Yaya) كما تلى ذلك فى أوئل وأواسط عصر البلايستوسين الأعلى ظهور انماط من الإنسان المنتصب Homo Erectus والإنسان نياندرتال Neanderthaloids والإنسان الحديث Homo Sapiens حيث دل ذلك على أن أفريقيا الشمالية بالتحديد كانت موطننا للإنسان الأول، ومنها إنتشر الى باقى أنحاء العالم حيث كشفت كثير من الثقافات الأبيفيلية Abbevillian الشيلية Chellian والأشولية Achulian (رؤس أكثر رقة) والليفلوازية الموستيرية Levallios Mousterian (نصال رقيقة)، أما العاطرية Aterian فهى تسمية محلية فى شمال أفريقيا لحضارة النصال الرقيقة^(٤٤)، وماتبعتها من حضارة مولوية Mouillian وقفصية Capsian^(٤٥) (نصال أيضا).

ومع كشوف مكبيرنى (١٩٥٢ و ١٩٥٥) فى كهف هوا فطيح وهو الذى يقع الى الشرق قليلا من بلدة سوسة (أبولونيا القديمة) بالجبل الأخضر فى برقة، تلك الكشوف التى عثر فيها على حفريات عظيمة وآلات وأدوات حجرية ربطت بيولوجيا وحضاريا بين أنسان الكرمل (الطابون) فى فلسطين مع إنسان الرباط (الحنك) فى المغرب، وهما مع أنسان هوا فطيح من النمط النياندرتالى

(الفترة الدفيئة السابقة على الفرم) مما يدل على وحدة الأصل للإنسان العربي الحديث، وتقدم حضارته العريقة حيث كان من بين معثورات كهف الهوافطيج على أول آلة نفخ موسيقية (فلوت Flute) فى التاريخ^(٤٦) وعلى هذا فقد ساهمت أفريقيا فى إثبات وحدة الإنسان العربي بالاضافة الى عراقة الإنسانية والحضارة الأفريقية.

الحضارة العاطرية Aterian

نسبة الى بئر العاطر فى تونس وهى إحدى حضارات العصر الحجري القديم الاوسط فى شمال أفريقيا وأهم موضوعاته الشظايا Flakes المصنوعة بالضغط Pressure خاصة حوافها العاملة الحادة، وهى مستوى متقدم من الثقافة الأشولية وهى ثقافة محلية فى شمال غرب أفريقيا تشبه الى حد بعيد الثقافة الليفالوزاية-الموستيرية Levallaisian Mousterian فى أوروبا.

وقد وجد فى الثقافة العاطرية سكاكين وقذائف مسنونة مدببة Project Points مصقولة بدقة على الحديد^(٤٧) وهناك أدلة جيدة على أن الأفريقيين الشماليين فى ذلك العصر ٠ فرم الثانى) قد وصلوا الى أسبانيا، حيث وجدت أدوات مشابهة للعاطرية تماما، وجدت فى كهوف الميريا Almeria وفالنسيا Valencia بجوار الآلات والأسلحة السولترية، فإذا كان قد وصل الأفارقة الى أوروبا وعبروا البحر المتوسط الغربى فى فرم ٢، فمن المرجح أن أسلافهم فعلوا ذلك أيضا^(٤٨).

هذا وقد عثر الأب جين روشى Jean Roche فى عام ١٩٥٨ على كهف اسمه Grotte des Controbandiers على الساحل المغربى فى تمارا الى شمال شرق الدار البيضاء بنحو ٣٣ ميل (٥٢ كم) على بقايا حفرة بشرية والى جوارها الآلات عاطرية تلك التى تحمل الصفات الأشولية المتقدمة أى المشذبة بعناية^(٤٩)، كما عثر على الآلات عاطرية مماثلة مع قطعة من قحف جمجمة فى كهف تافورالت Taforalt فى شمال شرق المغرب ليس بعيدا عن وجدة^(٥٠).

وقد وصلت صناعة النصال Blade Making الى منطقة الليفانت أو بالقرب منها مع بداية عصر قرم المبكر كما وصلت الى اوربا عن طريق Bos-poros gap (معبر قبرص - كريت - اليونان) في الفترة الدفينة جوتويج-Gottweig (مابين قرم ١ وقرم ٢) أي منذ نحو ٢٠ ألف سنة قبل الميلاد وقد وصل قناصة البلايستوسين الأعلى وهم الذين صنعوا الآت الشظايا Flakes والنصال blads, الى المحيط الأطلنطي، وخلال ال ٢٠ ألف سنة التالية تقدمت كثيرا صناعات العصر الحجري القديم الأعلى، وقد كانت الصناعات الحجرية القزمية الصغيرة Microliths تكون جزء أساسيا من نسيج الحضارة الأوربية منذ البداية، كما إمتدت صناعة النصال شرقا حتى شمال أفغانستان، حيث حدد ذلك الكربون ١٤ كما حدث في غرب أوربا^(٥١).

هذا وقد أختلط البربر أصحاب الحضارة المولوية Mouillian (حضارة حجرية من النصال Blades) بالشعوب الأفريقية الأقدم والأسبق عهدا في القارة^(٥٢) والذين كانوا أصحاب العاطرية، هذا وقد إختلف الباحثين في الموطن الاصلى لأصحاب الحضارة المولوية، فبينما يرى مكبيرنى أنهم قد وفدوا من أسبانيا إستنادا الى التوزيع الجغرافى لهذه الحضارة، نجد أن بريجز Briggs, L.C.^(٥٣) يعتقد أنهم قد وفدوا من الشرق الأوسط، هذا ويتفق كون Coon, C.S.^(٥٤) مع رأى بريجز لإسباب ثلاث أوجزها فى أن الباحثين نم يعلموا كل شئ من حضارات العصر الحجري لقديم الأعلى فى الشرق الأوسط، وأن أقدم جمجمة مولوية تنتمى الى المجموعة القوقازية، وأن الحيوانات المصاحبة لها يصعب عليها عبور بوغاز جبل طارق، بينما كان يسهل عليها السير البرى من الشرق الاوسط خلال عصر مناسب غالبا كان أواخر عصر الجليد قرم. هذا وكان إمتداد الحضارة المولوية واسعا بحيث كان يمتد غربا حتى يصل الى جزر الخالدات (كناريا Canary) حيث كان يقطنها الجوانش Guanches الذين عثر عليهم الأسبان فى القرن ١٥ عندما فتحوا هذه الجزر^(٥٥).

وخلال عصر البلايستوسين الأعلى، ظهر التناقض بين أفريقية وأوربا فى أشكال الحضارة الحجرية أو يرجع ذلك الى أسباب جغرافية فبينما كانت أوربا مازالت مثقلة تحت ظروف المناخ البارد نجد أن أفريقيا كانت قد أخذت تشهد

ظروف الجفاف والحرارة المرتفعة أى أخذت تظهر الظروف الصحراوية مما ترك أثره على ظهور أشكال جديدة من الصناعة الحديثة، وهى تلك التى عرفت بإسم الحضارة القفصية تلك التى عثر عليها فى جنوب قسنطينة فى الجزائر، وفى تونس حيث عثر عليها مختلطة بالرمال وبقواقع الأسماك الطزونية مع أكوام سمكية من بقايا الطعام القديم، وقد تمثلت هذه الصناعة القفصية أولا فى المكاشط الغليظة والنصال ذات الظهر المثنى (صناعة قفصية أصيلة) ثم أدوات حجرية بلورية مثلثة أو مربعة الشكل وهى صناعة حجرية فى أغلبها^(٥٦).

هذا وقد عثر على هذه الحضارة القفصية على طول الشاطئ الشمال الغربى من القارة الأفريقية بدء من مزاجان فى المغرب الى خليج قابس فى تونس، وقد أقترح البعض إعتبار هذه الحضارة دليلا على وجود حضارة للبدو أنصاف الرحل فى منطقة الأستبس (لحشائش القصيرة) فى شمال غربى أفريقيا، وعلى مدينة الحضر المقيمين فى إقليم التل (الريف Rif) ولاشك أن تلك الثقافة قد إنتشرت فى أفريقيا الشرقية والجنوبية بعد ذلك، وان كانت قد تأثرت ببعض الأشكال المحلية لذا أخذت بعض التسميات الأخرى.

وهذه الحضارة القفصية تقابل وتعاصر الحضارة السبيلية فى مصر، فهما يرجعان الى العصر الحجرى القديم الأعلى (البلايستوسين الأعلى)، وكان مع الحضارة القفصية فى المغرب الحضارة الوهرانية (الايبيرومورية)^(٥٧) هذا ولم يقتصر نشاط الإنسان خلال هذه المرحلة الحضارية على قدراته المادية الحجرية فقط، بل لقد تعدى ذلك الى التقدم نحو الأمام، من خلال محاولة التعبير بالرسم والحفر على جدران الكهوف والمغارات من الخارج والداخل^(٥٨)، كما بدأت إرهابات التفكير فى وجود قوى كامنة وخفية فى بعض الظواهر الطبيعية، وقد إستدل على ذلك من العثور على أكوام حجرية تنتمى الى هذه المرحلة تتوسط المواقع الأثرية التى عثر فيها على الآثار الحجرية، وتعتبر هذه الظاهرة بمثابة مرحلة مبكرة من مراحل الإيمان بوجود قوى مقدسة تتحكم فى حياة ومصير الإنسان^(٥٩)، مما يستوجب أن يحاول الإنسان إرضاء هذه القوى

وذلك بهدف الإطمئنان على كيانه فى الحياة ثم على مستقبله بعد الموت.

وبذلك نجد أن شمالي أفريقيا قد ساهمت فى تقديم أدلة أثرية ترجع الى عصور ما قبل التاريخ تدل على مساهمتها فى مرحلة الاستقرار وإنشاء القرى، كما أن هناك أدلة كثيرة على أنها كانت الموطن الأصلى للسلاسل القديمة الأفريقية، حيث عثر على كثيرة من الرسوم الصخرية فى الواحات الخارجة موضحة أشكالاً إنسانية ذات عجز متشعبة^(٦٠) مما يدل على أن السلالة البوشمنية كانت تتوطن فى الصحراء الكبرى قبل تحركها نحو جنوب أفريقيا^(٦١).

ومع هذا لم يستدل على وجود ماشية قديمة مستأنسة فى الصحراء الكبرى إلا عام ١٩٦٥ عندما عثر مورى Mori بين الطبقة الثامنة لعين موهو جياج على بقايا ماشية ذات قرون قصيرة وقد أرخت هذه الرواسب بحوالى عام ٣٩٥٤+١٢٠ ق.م. ثم كشف كلارك^(٦٢) عام ١٩٧٠ على عظام مشابهة فى جبل أير بالنيجر، وقد أرخت بحوالى عام ٣٧٨٠+٨٠٠ ق.م.^(٦٣).

وقد صاحب العصر الحجرى الحديث Neolithic توافر فائض من الجهد والوقت أمام الانسان فكان أن وجهه نحو التفكير والملاحظة والتأمل، فكان أن إبتدع الدين والفن وغيرها من المظاهر التجريدية التى إنتهت بظهور الكتابة مع إنتهاء عصر ما قبل التاريخ، هذا رغم أن البربر كانوا لا يزالون يستعملون آلات العصر الحجرى الحديث حتى العصر الرومانى^(٦٤).

أفريقيا المدارية

تأثرت أفريقيا ما بين المدارين في عصر ما قبل التاريخ بالظروف الجغرافية العامة التي كانت سائدة في القارة الأفريقية شأنها شأن باقي مناطق القارة، من حيث التغيرات المناخية بالإضافة الى سمة طبيعية خاصة هي وجود الأخدود الأفريقي العظيم، الذي كان بحق الوعاء الحافظ الكبير لكثير ولعديد من المخلفات البشرية والإنسانية البيولوجية والثقافية، لدرجة أنه يعد - خاصة منطقة الجافة - المتحف الطبيعي الرئيسي لحضارات عصر ما قبل التاريخ في أفريقيا، هذا وقد ثبت أن أعرق الآلات الحجرية في العالم ظهرت في مناطق هذا المتحف، وبالإضافة الى التغير الجذري للصورة القديمة لمواطن نشأة وإستخدام النار، إذ ثبت أنه كان في أعرق موضوع في العالم في شيسوانجا في كينيا (٦٥) وقد سبق ذكر ذلك.

أهم معالم الجغرافيا القديمة :-

يعد الأخدود الأفريقي العظيم The Great Rift Valley أهم هذة المعالم، وقد حدث هذا الأخدود نتيجة الحركات الباطنية التي تعرضت لها القشرة الأرضية في شرق أفريقيا وجنوب غرب آسيا منذ أول العصر الكريتاسى حيث بدأ هبوط عظيم في القشرة الأرضية نتيجة حدوث عدة إنكسارات طولية متعددة.

والمهم لدارس عصر ما قبل التاريخ؛ هو أن هذا الأخدود كان أرضا غنية بالنباتات والمياه بدليل المتبقى فيه حاليا من مجارى مائية وبحيرات تشغل قاع الأخدود، هذا وهناك في شرق أفريقية و في بلاد الشام إبتداء من بحيرة مالوى ونهر أومو في أفريقيا والبحر الميت ونهر الأردن في آسيا، هذا الإخدود كان أرضا صالحة هو والأراضى المحيطة به لحياة الإنسان القديم في الكهوف الكثيرة في البيئة، كل ذلك حدث خلال الفترات الباردة المقابلة للعصور الجليدية في أوروبا، وأيضاً خلال الفترات الدفينة المقابلة للفترات ما بين الجليدية.

وقد تميزت الفترات الممطرة بتزايد أكبر لمساحة البحيرات وتكدس للرواسب البحرية وارتفاعاً المدرجات البحرية وهي التي ما التحمت بسبب توسع مساحتها.

أما في الفترة الأقل مطراً؛ فقد تزايد تأثير الرياح بسبب زيادة نشاطها، حيث تزايد نقل الرمال المنقولة بتأثير حركتها، وتحرك حدها الشمالي نحو الجنوب عن أقصى حدها الحالي، وصاحب ذلك تغيرات عميقة في النبات، فخلال هذه الفترات كانت قمم الجبال العالية تغطيها الثلوج بصفة دائمة، وطبعاً كان خط الثلج الدائم فوقها هابطاً حتى الكنتورات الدنيا أكثر مما هي عليه حالياً بطبيعة الحال، وإن كانت أكثر ارتفاعاً مما هي عليه خلال الفترات الممطرة، هذا وقد دلت بحوث نلسن (١٩٢٠ - ١٩٤٠) في شرق أفريقيا (على بحيرات نايفاشا والمنتيتا وناكورو) وفي أثيوبيا (على بحيرة تانا) على وجود مدرجات بحيرية تدل على عظم تزايد مسطحات هذه البحيرات خلال الفترة الممطرة.

أما بحيرة فيكتوريا فكان منسوبها منخفضاً منذ (١٤٥٠٠ سنة) ثم تزايد منسوبها منذ نحو ١٢ ألف سنة بسبب تزايد الأمطار مما تغيرت معه الحياة النباتية حولها إلى الغابات، ثم عاد مستوى البحيرة وانخفض إلى - ١٢ متر تحت مستواها الحالي في حقب قصيرة كانت حوالي - ١٠ آلاف سنة من الآن، ثم عادت بحيرة فيكتوريا وأمتلأت تماماً فيما بين ٩٥٠٠ إلى - ٦٥٠٠ سنة حيث كانت تحيط بها الغابات دائمة الخضرة، ثم مع إتصالها من الشمال بمجموعة شبكة منابع النيل الإستوائية تأثر منسوبها قليلاً نحو الإنخفاض.

هذا علماً أن كل هذه الفترات الباردة نسبياً والدفينة في أفريقيا كانت كلها مطيرة (أكثر من الآن) وقد أمكن تمييز أربعة عصور مطيرة واضحة هي :
 كاجيران (Kajeran) (معاصر لعصر جينز Günz)، كاماسيان (Kamasian)
 (مندل Mindil) كانجيران (Kangeran) (ريس Riss) الجامبيلية (Gamblian)

(فرم Würm) كما سبق الإيضاح، وأخيراً عملت الظروف المناخية الجافة التي سادت الأخدود بعد ذلك من عصور وفترات خلال الزمن الحديث على إحتفاظ تربة الكهوف والمدرجات الرملية والحصى على حفريات البشريات والآناسى القدامى ومخلفاتهم التي أمكن العثور عليها فى شرق أفريقيا^(٦٦).

الحضارة الشيلية والاشولية :-

تعد أحجار وحصى الفلافرانشيا بداية التتابع الحضارى فى أفريقيا المدارية وما يليها جنوبا، حيث أنها تقابل الصناعة الأبيفيلية (الشيلية) فى شمال أفريقيا حيث لم تظهر الأبيفيلية فى جنوب الصحراء فى أفريقيا، وقد إستنتج هذا الرأى بناء على ما عثر عليه فى قمة الطبقة الثانية فى خانق أولدوفاي، فى تنجانيقا (تنزانيا)، وهى الطبقة الثانية فوق القاع حيث عثر على أعداد قليلة من فؤوس أشولية وسواطير بين قطع الحصى (الفلافرانشيا) التى كانت تستعمل كأدوات لذلك يرجح أن هذه الفؤوس والسواطير قد جلبت أما من شمال أفريقيا أو من جنوب الجزيرة العربية، ويقال أن من كان يستخدم آلات الفلافرانشيا كان من نوع قرد الجنوب Australopithecine، وأنه كان سابقاً للحضارة الأشولية وإن ذلك كان قبل أكثر من ٦٠٠ ألف سنة^(٦٧).

ولقد أوضحت الحفريات البشرية التى عثر عليها فى خمسينات القرن العشرين فى أولدوفاي Olduvai أن البشريات الجنوبية كانت ذا قامة أكثر من المتر، وكان له حوض وأرجل وأقدام ذات صفات بشرية أكثر مما لدى القردة العليا ولكن الجمجمة كانت لها صفات قردية، وبينما المخ كان كبيرا حتى مستوى الجوريللا وله فك قوى ولكن بدون ذقن Chine؛ ورغم هذا فكانت يسير منتصب القامة، ويجرى بصورة لم يكن تستطيعها القردة، وكانت للأيدى أصابع حقيقية، ولها بصمات، وقد ذكر بعض الباحثين، أنهم يعتقدون بوجود أدلة على ظهور بداية المباني المبنية بالطوب الخجرى^(٦٨) فى الفترة التى كان يحيا فيها هذا المخلوق، ويبدو أن هذه المخلوقات كانت من أكلة اللحوم حيث كانت اللحوم

تؤكل نيئة، اذا لم تكن النيران قد عرفت بعد، وقد كان قرد الجنوب صانعا للآلات، حيث تعد أولدوفاي المهد الأول لصنع الآلات الحجرية منذ ٢ مليون سنة مضت، وهي تبدو أنها آلات سابقة أو من العهود المبكرة على العصر للحجرى القديم الاسفل.

وقد عثر فى شرق تركانا على أجزاء لجمجمة لإنسان منتصب Homo Erectus ترجع الى ١.٥ مليون سنة، أى أقدم بمليون سنة من حفريات جمجمة شوكوتتين (انسان الصين) وأيضا أقدم بنحو ٢٠٠ الف سنة من موضع جادب Gadeb فى أنثيوبيا الذى عثر فيه على آلات قديمة منتشرة على مصطبة عريقة، وقد عثر فى عام ١٩٢٢ على حفرة جزء أمامى من الفك السفلى لآدمى فى غرب كانام على الشواطئ الجنوبية لخليج كافيرونو فى كينيا، لذا أطلق عليه أسم كانام، وترجع أهمية هذا الكشف الى أنه يشبه عظام الفك السفلى للإنسان الحديث المعاصر، وقد زعم مستكشفيه أنهم عثروا عليه فى طبقات ترجع الى عصر البلاستوسين الأسفل، مما يجعلها بالغة القدم^(٦٩) (أكثر من مليون سنة مضت)، كما عثر فى كانچيرا فى كينيا على بقايا هياكل لثلاث أفراد من النمط الزنجى المعاصر لذا سمي إنسان كانچيرا، وقد إستخرجت هذه الحفريات من طبقات ترجع الى عصر البلاستوسين المتوسط، وكانت الى جوارها الآت حجرية آشولية، أى أنها معاصرة لإنسان سوانسكومب فى أوربا^(٧٠).

وعلى ذلك فان أنسان كانام وكانچيرا فى أفريقيا وسوانسكومب فى أوربا جميعهم يمثلون النمط الشبيه بالانسان الحديث، رغم أن ظهورهم كان فى زمن مبكر جدا من تاريخ تطور الإنسان، كما أنه ربما يمثل الجمجمة التى عثر عليها فى نجالوبا Ngaloba بجوار لايتولى Laetoli فى تنجانيقا، وتمثل أقدم حفرة للإنسان العاقل Homo Sapiens عثر عليها فى أفريقيا، حيث ترجع الى الفترة من ١٢٠-١٠٠ الف سنة مضت^(٧١)، هذا ويعد موضع أولورجيسايلي Olorgesailie أهم مواضع ما قبل التاريخ فى شرق أفريقيا؛ لما يوجد به من مخلفات أثرية قديمة يرجع معظمها الى الحضارات الأشولية^(٧٢).

خانق أولدوفاى Olduvai

عثر فى أفريقيا المدارية على بقايا عظمية للبشرىات الجنوبية -Aus tralopithecine فى أولد وفاى Olduvai (١.٨ مليون سنة) وفى لايتولى Laetoli فى شرق أفريقيا، كما عثر على بقايا عظمية وثقافية تنتمى الى إنسان أوائل وأواسط البلاستوسين الأعلى خاصة الحضارة الأبيفيلية أو الشيلية (آلات حجرية خشنة) والاشولية Acheulian (الأكثر تقدما) والليفوازية -الموستيرية Levallois -Moustrian (نصال حجرية رقيقة)^(٧٣)، ولقد جاءت هذه الحضارات تالية لحضارة سانجوان Sangoan؛ تلك التى كانت تمثل حضارة محلية من فؤوس حجرية تقليدية كانت سائدة فى المناطق الغابية من وسط وغرب أفريقيا المدارية^(٧٤).

هذا ويقدم خانق أولدوفاى Olduvai George الشهير فى تنزانيا سجلا حافلا متميزا من مخلفات العصر الحجرى القديم Old Stone Age منذ ١.٨ مليون سنة مضت، وقد عثر عام ١٩٥٩ على أول حفرة لاشباه البشر وبجوارها الآت حجرية، وقد تكون خانق أولدوفاى فى شمال تنزانيا عن طريق التعرية النهريّة خلال طبقات رسوبية قديمة، وتعطى هذه الطبقات حفريات وحفائر تعد من أكمل التتابعات الأثرية خلال الأثنين مليون سنة الأخيرة، خاصة وأن الكشوف الأخيرة أرجعت التتابع التاريخى الى سنين سحيقة فى القديم.

وأولدوفاى تقع حيث توجد المرتفعات البركانية التى تكونت نتيجة الحركات الباطنية المحدثّة للأخدود الأفريقي العظيم، بحيث تفصل سهول سيرينجيتى Se-rengeti فى الغرب عن مثيلاتها فى الشرق، وهو فى الحقيقة خانق طبيعى حافتة بعمق ١٠٠ متر خلال طبقات رسوبية بلايستوسينية تمتد على طول ١٥ كم فوق السهول، وقد تكونت المرتفعات البركانية عندما تكونت قاعدة طبقات لايتولى Laetoli beds منذ ٢ مليون سنة مضت، ولكن أقدم طبقة وجدت بها بقايا أثرية archaeological finds بدأت فى التكوين منذ ١.٨ مليون سنة مضت مكونة من الجنوب منظرا لأبراج مرتفعة ومجارى مائية تنحدر هابطة الى

بحيرة تكونت فى الشمال فى منخفض مابين السهول والمرتفعات، وخلال الاثنى مليون سنة الاخيرة إمتلئ حوض البحيرة بالتدرىج بالرواسب حتى قامت الحركات الأرضية بإحداث إنكسار بعمق أكثر مئة متر صانعا منخفض أولبالبال Olbalbal حيث أصبحت هذه المنطقة حوض تصريف جديد، وكان منخفضا بصورة تعطى الجارى القادمة من الغرب قوة نحر وتعرية كافية، ولمدة ٢٠٠ الف سنة قامت هذه الجارى الموسمية بقطع المنحدر الأيمن خلال الرواسب البحرية القديمة صانعة الخانق The george وقد كشفت طبقاته حاليا بواسطة طبقة اللآفا المقاومة للتعرية.

وقد إتضح من المخلفات الأثرية الغنية التى عثر عليها فى أولدوقاى أن شواطئ البحيرة كانت مناطق جذب قوية للإنسان القديم الأول فى هذا الخانق، وقد كانت كثرة العظام التى وجدت لحيوانات بأعداد كبيرة دليل كاف على اعتبار هذه المنطقة من مناطق الجذب الكبرى للحياة خلال البلايوستوسين، وقد قدر من خلال القش Hay أن طبقة ١ والقسم السفلى من طبقة ٢ تكونتا بسرعة وربما فى مدة أقل من ١٠٠ الف سنة، وقد تكون القسم الأعلى من طبقة ٢ منذ نحو ٤.١ مليون سنة مضت، أما الطبقة ٤ Bed IV فقد جاءت بعد ذلك منذ ٧٠٠-٨٠٠ ألف سنة مضت، وقد أرجع أهمية تتابع أولدوقاى الجيولوجى الالمانى هانزريك Hans Reck مبكرا منذ عام ١٩١٣ ولكنها تركت للاستاذ لويس ليكى Louis Leakey (١٩٠٣-١٩٧٢) الذى آمن بشدة بأهميتها وفائدتها الأثرية، وكان لصبره وخبرة ودأب زوجته مارى ليكى (١٩١٣ -) أكبر عون فى كشف مكونات هذه المنطقة خلال فترة عمل أطول من ٣٠ سنة.

هذا وكان الموضع FLK هو الذى شهر خانق أولدوقاى وأعطاه مكانته العالمية إذ يرجع الى ١.٨ مليون سنة، وقد عثرت مارى ليكى عام ١٩٥٩ على بقايا عظمية لجمجمة لأشباه البشر وقد كان لها إهتمام عالمى كبير حيث كانت هذه أول مرة يعثر فيها على الآت حجرية مع بقايا عظمية لأشباه البشر The Hominid وكان أول موضع يختبر بواسطة بوتاسيوم أرجون المشع، وقد كان

التأريخ أقدم بثلاث مرات مما كان متوقعا، حيث وضع أفريقيبا بدون شك فى مكانه أعرق البيئات فى المخلفات الأثرية البشرية، هذا وقد تبع أشباه البشر نوع جديد أطلق عليه إنسان الزنج *Zinjanthropus*، ولكنه صنف على أساس أنه من البشريات الجنوبية العملاقة *Australopithecus boisei* وهو يشبه الى حد بعيد قرد الجنوب رويستس *Robusts Australopithecines* التى عثر عليها فى جنوب أفريقيا، وكانت لهذه الكائنات جسم يشبه الإنسان *Man like* *in body* ولكن له أسنان ضخمة جدا، وكانت أمخاها مثل حجم مخ الجوريللا والشمبانزى الحالية^(٧٥).

وبمجرد الكشف عن قرده الجنوب العملاقة المشار اليها وهى التى عرف أنها أول من صنع الآلات الحجرية، عثر على بقايا أسنان أخرى فى مستويات أخرى من الطبقات من نوع قرده الجنوب العملاقة *Robust Australopithecines* وقد صنعت على أساس أنها من نوع الإنسان الحاذق *Homo Habilis*، وكانت البقايا مفتتة للغاية ومختلفة كثيرا عما وجد من قرد الجنوب فى الشكل والحجم، وقد وضعت فى تتابع ما بين قرده الجنوب والإنسان *Homo*، مما لم يحسم موضوع التطور، ولكن ما عثر عليه من مخلفات بعد ذلك فى أولدوقاى، أثبتت أن أشباه البشر قد تطوروا فى خط تتابعى واحد الى البشرية، ومعنى هذا أنه كانت لهم حضارات بشرية ولكنها بدائية، وقد إستدل على ذلك بما حملته جمجمة قرده الجنوب العملاقة من عظام خد عريضة وجمجمة منخفضة *Low Cranium* ووجود حافة سهمية *Sagittal Crest*، وقد إعتبرت الكشوف الأثرية فى أولدوقاى من أدلة تقدم أشباه البشر ثقافيا، ضمن أقدم المواضع المسمى *DK* الذى يقع عند أساس المستوى الأول *Bed 1* حيث وضحت بأدلة ثابتة أن الإنسان الأول عرف بناء الملاجئ الدائمة، حيث يلجأ فى الليل للمبيت، فقد وجدت نواثر محددة بالصخور (قطرها أربع أمتار) وعلى طول أحد الجوانب وجدت بعض الأكوام من الصخور التى ربما كانت تدعم سقف البيت، وهناك أدلة أثرية على أن الفيلة والزراف والبقر كانت تؤكل لحومها فى أولدوقاى، وربما فعل الإنسان ذلك تشبها بالحيوانات الكبيرة التى كانت تاكل

الصغيرة، ولعل هذه الأدلة هي الأولى فى العالم على أن الإنسان الأول كان من أكله اللحوم النيئة.

ويبدو أن المناقشات التى أثرت حول الإنسان الأول قد تغيرت أسسها كثيرا بعد كشف أولدوقاى خاصة بالنسبة للمساكن، حيث أمكن إستنتاج أنه كان يستعان بالأحجار لتثبيت حوامل وروافع البيت الذى كان يشبه الخيمة المحمولة على أغصان، وتعد هذه الكشوف من أهم الكشوف التى ترجع للعصر الحجري القديم، وقد ظهرت أدلة أثرية أخرى فى بعض مواضع أولدوقاى على أن الأضاحى كانت تذبح مثل موضع FLk north حيث عثر على هيكل عظمى لفيل مع آلات حجرية، هذا وقد أرجعت كل الآلات الحجرية التى عثر عليها فى المواضع المبكرة (طبقة ١ - Bed 1) والقسم الاسفل (الطبقة ٢) تنتمى الى نمط أولسدوان Oldowan، وآلات النواة بما فيها السواطير Choppers والآلات الشبيهة بالكرة Spheroids والآلات شبيهة بالقرص discoids والآلات عديدة السطوح Polyhedrons والآت الشظايا Flakes بما فيها المكاشط Scrapers، لذلك فمن المناسب أن تكون المادة الخام تلائم هذه الصناعات، فمثلا الشرت Chert (صخر صوانى غير نقى) الذى يشبه الجرافيت الدقيق يناسب الشظايا وسائر الآلات الصغيرة، ولكن المواد المتينة مثل الكوارتز أو اللافا (البازلت) تناسب الآلات المكتنزة الثقيلة، وقد أمكن تتبع المواد التى إستخدمت فى نمط أولدوقاى حيث إتضح أنها نقلت من مسافة ١٠ كم، وذلك بعد العثور على الآلات فى الطبقة الأخيرة التى يرجع تكوينها حتى عدة آلاف من السنين قليلة مضت.

ويعد خانق أولدوقاى ذا أهمية كبيرة لما به من المواضع الأثرية ذات الأهمية والقيمة، ولقد زادت شهرته كثيرا بما أخرجته منذ عام ١٩٥٠ من كشف هامة أثرية وأنتروبولوجية على يد أفراد عائلة ليكى وغيرهم.

هذا وتمثل حضارة ستيلباى Stillbay حضارة العصر الحجري القديم الأعلى Upper Paleolithic والعصر الحجري المتوسط Mesolithic، وكان

يزاولها الصيادون من حاملي السمات البوشمينة والتي كانت تمتد أوطانهم في هذه العصور القديمة بحيث تغطي كل شرق قارة أفريقيا حتى جنوبها ابتداء من القرن الأفريقي وغرب إثيوبيا حتى منطقة رأس الرجاء الصالح^(٧٦)، وكانت هذه الحضارة تتكون من نصال Blades حجرية وشظايا Flakes حجرية وأيضا سهام وبعض الآلات القزمية وفخار^(٧٧).

لذلك فإن منطقة شرق أفريقيا تعد من المناطق التي كشفت عن أسرارها البيولوجية والأثرية (جدول - ١).

جدول ١ - التوزيع الجغرافي لأهم كشف عصر ما قبل التاريخ في أفريقيا المدارية (٧٨)

المواضع	السودان	إثيوبيا	كينيا	(اوغندا)	تنجانيقا (من تنزانيا)	ملاوى
بقايا ومخلفات الرئيسات القديمة (الاليجوسين والميوسين)			لوتاجام Lothagam لوكينو Lukeino نجرورا Ngorora سونجور Songhor	فورت ترينان Fort Ternan جزيرة روسينجا Rusinga Isl.		
أوائسل البشريات		هادار Hadar بودو Bodo أومو Omo	شرق تركانا East Tur- kana لوتاجام Lothagam شيسوانجا Cherowanja لوكينو Lukino		أولد وفاي Olduvai ندوتو Ndotu لايتولى Laetoli بنينجي Peninji	
أولدوفاي Olduvai والمقدم منه		هادار Hadar ملاكوتور Melka Konture جادب Gadeb أومو Omo	شرق تركانا East Tur- kana شيسوانجا Cherowanja لوكينو Lukeino		أولد وفاي Olduvai	
الاشولية	خور أبو عنجة Khor Abu Anga	بودو Bodo ملاكوتور Melka Konturé جادب Gadeb	لوكينو Lukeino شيسوانجا Cherowanja كلومبي Kilumbe كارياندوزي Kariardusi		أولورجسالي Oforgesallie بنينجي Peninji أولد وفاي Olduvai ندوتو Ndotu اسيميفا Tsimifa شلالات كالامبو Kalambo Falls	قرية موانجاندا Mwan- gand Village

موضع شيسووانجا Chesowanja

يعد موضع وحفائر شيسووانجا Chesowanja تكملة لحفائر أولدوفاي ومن أهم المناطق الأثرية القديمة في الأخدود الأفريقي حيث يغطي فترة زمنية طويلة تمتد من ١.٥ مليون سنة الى عدة آلاف قليلة من الأعوام خلت، وقد عثر فيه على أدلة على وجود ما يشبه المواعد، والى جوارها طين محروق مما يرجح الاستعمال المبكر للنار، لذلك فإن موضع شيسووانجا Chesowanja يمثل موضع ذا أهمية خاصة في كينيا حيث يحوى أدلة على أربعة عصور حجرية كبرى على الأقل، وهو من المواضع القليلة التي عثر فيها على الآلات الحجرية العريقة المعروفة باسم حضارة أولدوان Oldowan.

ويقع موضع شيسووانجا Chesowanja على الجرف المنحدر الشرقى للأخدود الأفريقي العظيم، في منتصف المسافة ما بين أولدوفاي Olduvai وايسست تركانا East Turkana ، ويبلغ طول هذا الموضع ٥٠٠ كم على حده، والمواضع الأثرية في شيسووانجا Chesowanja تقع في رواسب تكونت حول شاطئ بحيرة قديمة كانت موجودة في البلايوسين الأسفل (١.٨-٠.٧ مليون سنة مضت تقريبا) على بعد ١٢ كم الى شرق من بحيرة بارنجو Baringo الحالية ودائما كما يحدث إكتشف الموضع اثناء مسح ورفع جيولوجى حوالى عام ١٩٦٥، حيث عثر على عظام للبشرىات المبكرة Australopthecus boisei عثر عليها لأول مرة عام ١٩٦٩، وعندما أجرى مسح أخير عام ١٩٧٢، عثر على آلات حجرية^(٧٩).

وعلى العكس من خانق أولدوفاي وشرق توركانا فإن موضع شيسووانجا Chesowanja تتركز به كل حفرياته في مساحة لاتزيد على نحو كيلومتر مربع واحد فقط أى في جيب صغير، وربما كانت البحيرة القديمة وحوض الرواسب أكبر حجما، ولكن لاقا البلايستوسين الشائعة في المنطقة والتي حمت الموضع من التعرية قد تلاشت إلا من بعض المساحات الصغيرة، وقد أطلق على الطبقات المبكرة إسم تكوينات شيمويجوت Chemoigut وهى تتكون من طمي وطفلة ترسبت في مياه مالحة ربما أشبه بتلك الموجود في بحيرة ناكور Nakuru الحالية الواقعة على بعد ١٠٠ كم الى الجنوب.

وكانت المواضع الأثرية الغنية بالآلات الحجرية فى ذلك الوقت كانت كثيرة وكثيفة فى هذا المنسوب والمستوى الكنتورى حيث كانت تكثر الرواسب، ويبدو أن أجدادنا كانوا هنا منذ ٢ مليون سنة عندما كانت هذه البيئة غنية بالماء العذب والتنوع الواسع فى النبات وتعدد مصادر الحيوان، وكانت الآلات الحجرية فى أغلبها من النواه Core tool والشظايا Flakes وهى التى يمكن إدخالها ضمن حضارة اولدووان Oldowan وذلك لأنها كانت تشبه تلك التى عثر عليها فى مستقرات أولدوفاى Olduvai، ولكن المخلفات التى عثر عليها فى شيسوانجا Chesowanja لها أهمية خاصة، لأن بقايا قرد الجنوب رويست Robust Australopithecus قد وجدت بالقرب منها، كما أنه عثر على أدلة تثبت استخدام النار فى أحد مواضعها.

هذا وكان العثور على بقايا قرد الجنوب رويست فى موضعين منفصلين فى طبقة شيمويجوت Chemoigut يفصل فيما بينهما نحو كيلو متر واحد، حيث عثر على جزء من قحف جمجمة فى موضع وعلى بعض القطع العظمية فى الآخر، وقد صنعت كلها على أساس أنها لقرد الجنوب بوساى Austroloplithecus، وهذا المخلوق كان فى الحقيقة أصغر حجماً من الأناسى الحاليين، ولكنه أخذ إسم رويست Robust من الحافة العظمية الثقيلة والضخمة فوق الجمجمة وعظم حجم الاسنان رغم أن قامته كانت ١,٤ متر، ويعد هذين الموضعين من المواضع المغلقة أثرياً، ومنها أتضح أن قرود الجنوب Ausralopithecines كانت فى الحقيقة صانعة للآلات The actual tool makers، رغم أن هناك جدل كثير حول هذا الاستنتاج وبعد أن كانت هذه المواضع مسكونة منذ نحو مليون سنة، إنقرض قرد الجنوب رويست، ولكن تطور الآلات الحجرية إستمر حتى اليوم. وأيضاً فى موضعين طبقة اولدوفاى Olduvai Bed 1 وسوارتكرانس Swartkrans فى جنوب أفريقيا حيث وجدت بعض الآلات الحجرية المبكرة الى جوار البقايا العظمية لقرد الجنوب رويست وبقايا القردة البشرية التى هى الأسلاف المباشرة للإنسان (الانسان الحانق Homo Habilis والانسان المنتصب Homo Erectus) وهى التى جعلت خط الإنسان مرشحاً كى يصنع الآلات.

وهناك دليل آخر يعزز هذا الرأي، حيث أجرى ألن والكر Alan Walker من جامعة جون هوبكنز بليمور U.S.A، دراسة على أنماط أسنان أشباه البشر بالميكروسكوب الإلكتروني، حيث إتضح له أنه ليس في أسنان قرد الجنوب رويست آثار لأكل اللحوم حيث أوضح أن الغذاء كان يحوى كميات كبيرة من التغذية اللينة ربما من الفواكهة والخضروات، ولكن فى معظم مواضع شيسووانجا وجدت عظام الحيوانات وقطع العظام وجدت مختلطة بالآلات الحجرية، مما يؤكد أن صانع الآلات كان من أكلت اللحوم فهو ممن كانوا يذبحون الحيوانات ويقطعونها^(٨٠).

ولكن لماذا لم يعثر على بقايا حقيقية عن صانع الآلات المحتمل، الانسان المنتصب (وهو الذى عرف أنه كان موجودا فى ذات الفترة فى شرق توركانا وأماكن أخرى)، وماذا كان وضع قرد الجنوب رويست، إن غياب الأدلة المباشرة عن الإنسان المنتصب حقيقة غير مفاجئة لأنه قليلا جدا ما عثر على بقايا من أشباه البشر فى المواضع البشرية فى شرق أفريقيا^(٨١)، إذ أن غالبية بقايا أشباه البشر قد عثر عليها بعيدا عن تلك المعسكرات المؤقتة التى كان تسكن لأيام قليلة فقط، ومع ذلك، ورغم أنه لا يوجد دليل مباشر على وجود الإنسان Homo إلا أن هناك مؤشرات على وجوده، مع وجود قردة الجنوب رويست فهما كانا متزامنان ومترابطان، وربما يكون الانسان Homo كان يصطاد الرويست ويأكله، أو ربما كانت هناك علاقة إجتماعية Interacted socially بين الجماعتين، ربما مثل مايفعل الشمبانزى والبابون فى علاقاتهما الآن.

ومن أهم كشوف تكوينات شيمويجوت Chemoigt فى شيسووانجا Chesowanja، قطع من الطين المحروق Burnt Clay وهو الذى كان لصيقا ببعض المخلفات والبقايا العظمية الحيوانية، وقد وجدت كثير من قطع الطين المحروق بجوار صخور تكون مايشبه المواقد hearths، كما عثر عليها فى بعض المواضع الأثرية اللاحقة، وأيضا عثر على مايشبه مخلفات معسكر، حديث كانت به نار، وقد أثبتت القياسات المغناطيسية أن حرارة هذا الطين المحروق كانت ما بين ٤٠٠-٦٠٠^(٨٢)، مما يقارب حرارة نار المعسكرات، لذا يعد موضع

شيسووانجا Chesowanja أقدم موضع أثري معروف (١.٥ مليون سنة)، حيث أن به أدلة نهائية على إستخدام النار؛ مما يدل على تحكم الإنسان فى النار، فمن هو الذى صنع هذه النار؟ الإنسان المنتصب Homo Erectus هو المسئول عن صناعة النار فى تشوكوتين Choukoutien فى الصين (٥٠٠ ألف سنة مضت)، ولكن فى أفريقيا يبدو أن مثل هذه المخلوقات من أشباه البشر التى كانت تحيا فى شيسووانجا، هى التى تركت تلك الأدلة على إستخدام النار.

وبعد أن تغطت المستويات الأولى بالبازلت، تكون حوض بحيرة صغيرة، وتراكمت الرواسب فوق البازلت بسرعة فى الفترة الأولى وببطئ أكثر عندما إمتلئ الحوض، لذا أصبحت البحيرة ضحلة وهناك أدلة على إستمرار السكنى البشرية للمكان، كما تكون التوف Tuff (حجر بركانى مسامى يتشكل من رماد البراكين) الذى غطى المكان بارتفاع مليمتر واحد هو الذى تبقى فى بعض المواضع، ورغم التعرية التى حدثت منذ ٧٠٠ ألف سنة، وفى القمة ٥٠ سم من الرواسب أسفل الرماد Ash حيث حفظت آلاف فوق آلاف من الآلات الحجرية حفظت فى مساحة تبلغ مئات الأمتار المربعة فقط، هذه الآلات كانت صغيرة بدرجة غير عادية فلم تكن تتعدى ٤.٣ سم فى الطول إلا نادرا، بما يوحى بأنها كانت تستعمل لأحد الأنشطة على طول شواطئ البحيرة، وهناك أدلة على أنه كان هناك أكثر من نوع من أشباه البشر Hominid؛ منها كثرة اعداد الآلات وتوزيعها بسمك يصل الى ٥٠ سم من الرواسب، ودليل آخر هو إعادة إستعمال الآلة الواحدة فى غرض آخر غير الغرض الذى صنعت من أجله، هذه الآلة تاكلت Worn بالتعرية لمدة طويلة ثم أعيد تشذيبها لتصبح شظية جديدة، وقد توصل الى موضعى التشذيبين.

ويمكن التفكير فى الإستعمال الحقيقى لهذه الآلات التى أطلق عليها لوسوكويتا Losokweta (على إسم أحد الأنهار المحلية) والتى أرخت بنحو ١.٤ مليون سنة مضت وواضح أنها صنعت صغيرة بالاختيار، إذ كانت توجد كميات كبيرة من اللافا.

ويبدو أنه بعيدا عن الاحتمال أن يكون ذبح الحيوانات أوسلخها هي أهم الأهداف منذ أن بدأ الانسان الأول في إحضار الذبائح الى ذلك المكان، ورغم أن هذا كان عملا شاقا، ولما كان توجد أعداد كبيرة من الآلات فإن الأثريين أخذوا يبحثون عن تفسير خاصة وأن جوانب البحيرة كانت فيها نباتات وأشجار كثيرة مما يشجع على الحياه الحيوانية والبشرية.

وكان المستوى الأشولى الرئيسى (عمره أكثر من ٢٠٠ الف سنة) ممثلا بدون شك فى شيسووانجا Chesowanja فى شكل فؤوس يدوية والتي وجدت أساسا على السطح.

ويبدو أن آلات لوسوكويتا قد تضمنت فؤوسا يدوية hand axes رغم أنه لم يعثر عليها فى الموضع، مما يرجح أنها جلبت من مستوى Bed آخر، ولكن عندما عثر على فؤوس يدوية على السطح فوق التوف Tuff الملتصقة بالآلات اللوسوكويتا، تأكد أنها جلبت من مستوى Phase تال، وقد تأكد هذا عندما إكتشف مجرى مائى آخر حيث عثر على فأس حجرية فى ذات الموضع in situ كدليل حاسم للتأريخ.

وقد تكامل التأريخ الأثرى فى شيسووانجا عن طريق ما عثر عليه منسوبيا للعصر الحجرى القديم والتي ترجع للسنوات الألف القليلة الأخيرة، حيث وجدت فى طبقة غرين حبراء من رواسب نهر موكوتان Mukutan، ومنذ خمسين سنة مضت حاول الأهالى المحليين تحويل النهر لغرض الري، وقد استتبع ذلك تزايد النحت فى طبقات الرواسب مما كشف عن مواضع كانت تستخدم، كمصانع لصنع الآلات الحجرية.

ومثل أقدم العصور الأولى إستخدمت حصوات النهر River Cobbles كمواد خام، والآف الشظايا التي انفصلت عنها وجدت تغطى الأرض، وفيما بينها وجدت عظام حيوانات دالة على إستمرارية العصر الحجرى، وهناك أدلة جديدة من فخار وآلات صغيرة من الاوبسيديان Obsidian الزجاج الصخرى، ويبدو أننا فى هذه المرحلة نتعامل مع رعاة Pastoralists أكثر من قناصين Hunters.

ومع ذلك فإن شيسووانجا Chesowanja لا تعطي تفسيراً متصلاً لتأريخ الماضي أكثر من أى موضع آخر، ومع ذلك فإنها تعطي نظرات خاطفة عن النشاط البشرى منذ أقدم العصور وحتى الآن^(٨٣)، ولما كان لم يكشف إلا عن نسبة ضئيلة من مساحة الموضع؛ فإن هناك احتمالات كبيرة إذا تزايدت الكشوف والحفائر أن يكشف عن إجابات واضحة عن الأسئلة الكثيرة المثارة عن تطور ونشاط الإنسان الأول خلال العصر الحجري.

وجاءت بعد السانجوانية، الحضارة الماجوسية Magosian وهي أساساً تتمثل في صناعة شظايا Flakes ليفلوازية، يمكن مقارنتها بالصناعة الليفالوازية الموسيتيرية فى أوربا وغرب آسيا، وقد أرخت فى بعض المواضع بعام ٧٥٥٠ ق.م أى قبل العصر التالى للجليد مباشرة، وهي صناعة تطورت عن حضارة حجرية متوسطة محلية وتتميز بالآلات صغيرة مصنوعة من الشظايا، وقد إستمرت فى جنوب أفريقيا حتى العصر الحديث^(٨٤).

هذا فى شرق أفريقيا حتى جنوبها، أما فى حوض الكنفو فقد إستمرت الآلات الشاقبة بشكل مميز حتى بداية دخول البانتو فى الألف الأولى ق.م (٨٠٠-٩٠٠ ق.م).

أما فى غرب أفريقيا فرغم قلة الآلات الحجرية التى عثر عليها، فقد عثر ديفز Davies^(٨٥) فى غانا على آلات حصوية وآلات قاطعة ومثاقب سانجوانية وآلات من الشظايا تردد فى مقارنتها بالصناعة الماجوسية، كما عثر بعد ذلك على آلات حجرية قزمية كثيرة.

مصنع كيلومبي Kilombe :

حفائر كيلومبي Kilombe تعد موضعاً أشوليا Acheulean فى كينيا يرجع الى ٧٠٠ ألف سنة مضت، فقد عثر الجيولوجى و.ب. جونز Jones, W, B لأول مرة عام ١٩٧٢ على آلات مبعثرة على سطح بلايوستوسينى وقد كشفت أعمال الحفر عن آلاف الفؤوس الحجرية والسواطير؛ مدفونة فى تربة بركانية،

حيث عثر علي أثر من ١٢ قطعة في المتر المكعب بمتوسط وزن ٠.٥ كجم، بحيث يصل وزن الآلات الى ١٠٠-٢٠٠ كجم في كل ٣م^{١٠٠} (٨٦).

والتفسير الأول هو أن هذا الموضع الموجود في منطقة ذات تربة من اللافا؛ كان مصنعا للرؤس والشظايا، والآلات التي يعاد تشظيتها، وعلى ذلك فيبدو أن الفؤوس اليدوية Hand-axes كانت تجلب الى الموضع من مناطق ليست ببعيدة، وقد ظهرت عدة نظريات منها ما تقول بأن الإنسان المنتصب Homo Ectus كان هوصانع ومستعمل هذه الآلات.

ويبدو أن صناعة الفؤوس كانت تجرى في مكان قريب، ثم تنتقل الى هذا الموضع (كيلومبى)، حيث كانت تشذب حوافيها وأطرافها في هذا الموضع الذى كانت تغطية المياه في إحدى فترات السنة من بحيرة مجاورة، ويبدو أن الفؤوس اليدوية كانت تستعمل في ذبح الحيوانات(٨٧).

وفي بعض المواضع مثل اولورجيسايلي Olorgesailie إستعملت الفؤوس اليدوية للذبح، ولكن هناك مواضع قليلة في أفريقيا وجدت فيها بجوار الفؤوس ذبائح Carcase؛ مما رجح البعض معه أن الحيوان الخفيف كان يذبح حيث يقع، لذلك فليس من المرجح أنها كلها جلبت الى مكان واحد، حتى ولو كان كيلومبى Kilombe الذى كان مثل معظم المواضع الأشولية Acheulean كان يحوى على مجموعة بقايا حيوانية مختلطة، فكان منها عظام لحيوانات مثل الغيلة، والغزال والبقر والخنازير، وربما كان هذا بسبب وجودها في مكان ذبحها ثم نقلت منه بعد ذلك.

ولعل من التعديلات المرجحة لتركز هذه الأدوات في مثل الموضع ذا الكميات الكبيرة من المواد، حيث عثر على أحجار حصوية Cobbles ذات وجهين bifaces وهى التى يمكن إذا تثبيت في الأرض تصنع سطح صالح لليسر عليه؛ فهل هذا يوضح نوع من التخصص بدأ يظهر؟ أو هل يمكن أن الطبيعة صنعت لعبه Trick ؟ أن معظم أدلتنا الأشولية ترجع الى أشياء تافهة، وهذا عجيب فالمواضع الكبيرة تكشف عن وجود طاقة، أو أنه كانت تجتمع

جماعات بشرية مختلفة ذات أهواء وأهداف متباينة، وقد إتضح ذلك من الآلات والأدوات المختلفة التي وجدت في المواضع الكبرى الأشولية، ليس فقط في كيلومبي Kilombe ولكن أيضا في كارياندوزي Kariandusi واولورجيسايلي Olorgesailie في كينيا، وفي إيسيمبلا Isimila في تنزانيا وفي مواضع أخرى كثيرة.

ففي كيلومبي حوى المستوى الرئيسى على فؤوس يدوية مشذبة، ولكن الى جوارها عدة مواضع مختلفة بها كثير من السواطير الثقيلة أو الشظايا الخفيفة، وفي موضع واحد غريب نظراً لانه عثر به على صخور ثقيلة ذات سطح مرصوف (مثل صخور رصف الطرق)^(٨٨). واذا أمكن للناس أن يعودوا للماضى مرة أخرى، فإن الموارد المحلية سوف يكون في إمكانها إعادة الأحوال القديمة، حتى ولو بعد مليون سنة من تغيير اللاندسكيب، والواضح أن كيلومبي كانت في ظروف خاصة ومناسبة للغاية، فالموضع كان مستكين عند أقدام جبل مشجر قرب كيلومبي ولونديانى Londiani وقريبا من شواطئ بحيرة كانت مياهها ترتفع وتفيض موسميا .

لذلك فيبدو أن الصناعات الخشبية وبعض الصناعات الأخرى كانت توجد في كيلومبي، ولكن يبدو أن التفسير المعقول كدليل أثري هو نشاط إعداد النبات الخشبي مصاحبا بعدة أنشطة أخرى بما فيها المذبح والمسلخ Butchery، والجدير بالإشارة أن إنحدار موضع كيلومبي نحو الأخدود الأفريقي وللظروف الجغرافية العامة التى عملت على خلق بيئات صغيرة Micro-environments فى التلال والسهول حيث نقلت بعض الصخور من فوق التلال فى الشمال الغربى لمسافة وصلت الى ١٥ كم، وبعمامة فان موضع كيلومبي بمساحته الضخمة ١٠ كم على طول محور الأخدود، و ٢٠ كم بالعرض على إرتفاع جبال كيلومبي موضعا هاما للغاية لحفائر عصر ما قبل التاريخ فى أفريقيا .

هذا وقد حوت صخور لاقا الفونولتيك Phonolitic Lava فى كيلومبي على نحو ٩٠٪ من الأدوات التى عثر عليها فى الموضع، أما لاقا التراكيت Trachyte Lava فقد حوت على نسبة ما بين ٥-٧٪ من الأدوات، وأما البازلت

الزيتونى Olivine basalt والذي يوجد على بعد ١٠-١٥ كم من الموضع فقد كان فيما يظهر هو المصدر الذي أخذت منه الآلات^(٨٩).

وربما يفسر إختلاف حجم وشكل الفؤوس اليدوية عن طريق أن مواضع اولورجيسايلي المختلفة تتباين فى العمر والتأريخ بفروق تصل الى مئات السنين، بينما فى كيلومبى Kilombe وجدت المخلفات على مستوى سطحى واحد وترجع الى فترة زمنية واحدة، وأن كل الفؤوس اليدوية كانت متشابهة، مما جعل جلين إسحق Glynn Isaac يقترح أنه رغم أن النظرية الأساسية لصناعة الفؤوس اليدوية معروفة، لكن هناك بعض الإحتمالات لظهور فروق محلية فى أولورجيسايلي نتيجة إندفاع عشوائي فى المستوى الثقافى، فى بعض الأوقات يرفع مستوى الحياة.

والملاحظ أن فى كل المواضع المركبة مثل اولورجيسايلي وكيلومبى وايسيمبلا Isimila (تنزانيا) أو شلالات كالامبو Kalambo تعطى فكرة واضحة عن الحضارة ج الأشولية Achrulean كما أن اولورجيسايلي وايسيمبلا تبين لنا كيف أن الآلات التى صنعها الإنسان القديم كانت مختلفة، كما أن عظام البابون فى أولورجيسايلي قد أثبتت أن الفؤوس اليدوية ربما كانت أدوات بدائية للذبح فيما كانت فى كيلومبى مثلا ذات استعمال عامة ومتعددة.

حضارات ما بعد الأشولية

بدء الانسان منذ العصر الحجري القديم الأوسط فى شرق أفريقيا فى استعمال أغصان الأشجار والقش المضفور، إستعمله فى بناء حاجز الريح والهواء، وهى التى عثر عليها فى كويشوسبرنج والتى ترجع الى الالف الثالثة ق.م.، وقد عثر على بعض المخلفات العظمية محافظا عليها فى موضع أولورجيسايلي Olorgesailie فى كينيا فى شرق أفريقيا حيث عثر على فؤوس يدوية على السطح بعد أن كشفت عنها التعرية الجوية فعثر عليها لويس ومارى ليكى Leaky فى عام ١٩٤٠، حيث إعتبرت أهم مواضع حفائر العصر

البلايوستوسيني الأوسط في شرق أفريقيا، وتقع تلك المواضع في قاع الاخدود الأفريقي على بعد نحو ٦٠ كم جنوب غرب نيروبي في طبقات رملية ورواسب من الصخور المسامية Tuffaceous Deposit والتي تقع على حافة بحيرة قديمة أختفت الآن تماما.

وقد أجرى كثير من الأثريين حفائر في أولورجيسايلي Olorgesailie حيث عثرت بعثة برياسة جلين اسحق Glynn Isaac على آلات كثيرة ففي موضع واحد (دي/٨٩/٨٩ DE/89) في القاع ويجوار قناة رملية قديمة، عثر على أكثر من ٤٠٠ فأس يدوية مع كمية ضخمة من عظام الحيوانات والانسان، وبالملاحظة أن جريان المجارى المائية في بعض أيام السنة كان يدفع بالطبقات اللينة الهشة من تكوينات التربة بما فيها آلات حجرية من موضعها الاصلى ليجمعها في مواضع أخرى، هذا التجميع أو إعادة التصنيف والترتيب كان يتم وفقا لأوزان الآلات تلك نظرية، بينما هناك نظرية أخرى تقول أن الانسان كان يستعمل عدة أنواع من الآلات Kits المختلفة في المناسبات المختلفة^(٩٠).

ومن خلال الدراسة الإثنوجرافية في موضع مجاور وجد أن بعض القبائل المجاورة في تنزانيا تخرج لصيد البابون Baboons (نوع من القرده) حيث إتضح أن أنسب وقت لذلك هو المساء عندما تتجمع هذه القرده معا فوق فروع الأشجار خوفا من الحيوانات المفترسة مثل النمر، ومع حلول الليل والغروب، يتجمع الصيادون حول الأشجار حيث ينشروا الرعب بين القرده البابون بالصياح والنار، حيث يمكن قتلها عند نزولها بمختلف الاسلحة، فهذه الدراسة كانت محل بحث قام به باحثون أمريكيون عندما شاهدوا صيد البابون وقتلها، وعثروا على العظام وقارنوها بالعظام القديمة التي عثر عليها في موضع اولورجيسايلي Olorgesailie وهناك شواهد على أنه كان هناك أنشطة بشرية مختلفة، إذ كانت البابون من أعمار مختلفة وأغلبها من مرحلة النضج، وأن معظم عظام الهياكل بما فيها العظام الصغيرة كان محافظا عليها مع ظروف دورة الحياة في تصنيفها في مواضع مختلفة، مع ظهور أدلة على أن اللحوم كانت تحفظ وتصنف وتجفف.

ورغم قبول هذه النظرية من الباليونولوجيين أمثال كاي بهونسمايد Kay Behresmeyer إلا أن نظرية الصيد هذه مازالت محل جدل ونقاش شديد من بعض الأثريين الأمريكيين والأنثروبولوجى لويس بينفورد Lewis Binford، فإذا كنا نريد دليل على أن بابون أولورجيسايلي كان يصاد ويذبح، فإنه يجب الحرص الشديد حيث أن الأدلة المستقاه من مثل هذه المواضع شديدة التذبذب، ولكن ليس أمامنا الا قبول هذا الافتراض، اذ لا يوجد فرض آخر إلا أن هذه القرده كانت تموت بين يدي الإنسان نون مقاومة.

ومع ذلك فإن مواضع أولورجيسايلي ذات أهمية خاصة أكثر من أنها تعطى الدليل على وجود حرفة الصيد خلال العصر الحجري المتوسط، ذلك أن المواضع ليست مركزة على مستوى أفقى واحد مثل كيلومبي Kilombe (كينيا) ولكنها متناثرة هنا وهناك وغير مترابطة اذ أن إنحدار الطبقات الصخرية لا يجعلها مترابطة خاصة وأن هناك عيوب وكسور منتشرة تمنع ذلك^(٩١).

وقد لوحظ أن المواضع الأثرية متباينة، فبعضها يغلب على آلتها الفؤوس اليدوية Hand-axes وبعضها الآخر الآلات الصغيرة Small Tools خاصة المكاشط Scrapers وعندما أجريت اختبارات إحصائية على قياسات أبعاد اعداد كبيرة من الآلات الحجرية؛ لاحظ جلين اسحق Glynn Isaac ملاحظتيه هاتين الأولى أن هناك تباينا كبيرا فى الحجم والشكل بين الفؤوس اليدوية فى المواضع المختلفة أكثر مما يجب أن يكون فى الحالة الطبيعية، والملاحظة الثانية هى أن هناك مواضع فيها الفؤوس اليدوية سائدة وأخرى تكثر بها الآلات الصغيرة ومواقع قليلة متوسطة، وربما يكون ذلك بسبب استعمال الفؤوس اليدوية لغرض ولنشاط واحد مثل ذبح قرده البابون، أما المكاشط الصغرى فكانت تستعمل لإغراض أخرى مثل كشط الجلود.

هذا ومع ابتداء العصر الحجري الوسيط على وجه التحديد فى شرق أفريقيا بدئ فى استعمال النبات لبناء الملاجئ التى حلت محل السكن داخل الكهوف^(٩٢) فى العصر الحجري الوسيط بدأ الإنسان أينما كان فى صيد

الأسماك Fishing، فقد جذبت المسطحات المائية العذبة مثل رودلف وناكورو وادوارد (عیدی أمين) فى شرق ووسط أفريقيا وتشاد فى غرب أفريقيا، جذبت الإنسان بفضل غزارة مواردها السمكية، وبالمثل كانت الأنهار خاصة النيل والنيجر والزمبىزى وغيرها (٩٣) وقد توصل إنسان ذلك العصر الى صنع مخاطيف وسنانير العظم وبها اصطاد الأسماك وغيرها من حيوانات الماء، كما تمكن من صنع أفلاك بسيطة من جزوع الاشجار ركبها أول الامر بغرض الصيد، ثم بعد ذلك ركبها بغرض التنقل من مكان الى آخر بحثا كذلك عن الصيد والقوت (٩٤).

وقد ظهرت حضارة سانجوان Sangoan وهى التى تحولت فيها الفأس اليدوية الى مثقاب، وقد إمتدت فى أعماق غابات أفريقيا المدارية حتى نهاية عصر البلايستوسين الأعلى، وهى مازالت موجودة لدى بعض الأقزام الأفارقة فى وسط غابات زائير (٩٥).

وشهدت منطقة جنوب بحيرة تنجانيقا قرب شلالات كالامبوا بداية إرهابات حضارة زراعية قديمة جدا، دلت على ذلك آلات من الخشب إحتفظت بشكلها ومادتها حتى الآن، وهى آلات قصيرة الحجم ذات أطراف واضحة التحديد من الطرفين أو من طرف واحد، كذا أعمدة مقلمة بالميل كانت غالبا تستعمل كمعزوقات، وهى كلها ترجع الى العصر الحجري القديم الأعلى (الناشيكونى فى شرق أفريقيا)، وهو الذى تميز بإستخدام وتداول الخشب ومشتقاته فى صنع كل أنواع الساجات (الأسوار) والأوتاد والأفخاخ المستعملة للقنص (٩٦)، وفى تلك البيئة الشجرية بدء الإنسان يستخدم لحاء الأشجار فى الكساء، إذ أن هذا كان أسهل له من صنعها من جلود الحيوان ويبدو أنه قد إستعمل البلطات الحادة ذات النصال، كتلك التى وجدت بجوار صخور مويلا فى شمال زامبيا، والتى كانت تستعمل غالبا لقلع الحاء ولتهيئته لصنع الثياب والأوانى والحبال.

الحضارة القفصية Capsian وما بعدها

ثقافة حجرية أهم الاتها النصال Blades وقد حلت هذه الحضارة التي عاصرت العصر الحجري القديم الأعلى محل الثقافة العاطرية في شمال أفريقيا وقد كانت معاصرة للثقافة المولوية Mouillian (٩٧) وقد إمتدت الثقافة القفصية الى شرق أفريقيا وذلك في بداية العصر الحديث (الهولوسين) وكانت تتمثل في صورة صناعات قزمية كما أمتدت من هناك الى جنوب أفريقيا حيث عرفت باسم ثقافة ويلتون Wilton ..

وقد عثر على أقدم مكتشفات هذه الحضارة التي ترجع الى ٦٤٥٠ سنة ق.م، (حدث بالكربون ١٨) في موضع يسمى المكتا El-Makta على بعد عشرة أميال الى الشمال الغربى من جافصة Gafsa فى تونس، وبعمامة فان مخلفات الحضارة القفصية عثر عليها فوق الحضارة المولوية، هذا وموضع المكتا يحوى مخلفات من القفصية العليا Upper Capsian مما يجعل القفصية السفلى Lower Capsian ترجع الى عهود سابقة ولكنها بدون شك أحدث من المولوية الوسطى Middle Mouillion (٩٨).

والجدير بالاشارة أن أصحاب الحضارة المولوية والحضارة القفصية على السواء كانوا من القوقازيين أصحاب الوجوه العريضة والفكين الضخمين، وأن كانت السمات المولوية لم تكن شائعة لدى القفصيين الذين كانوا يبدون كأسلاف السلالة الشرقية (من القوقازيين)، وكما هو معروف فان الحضارة القفصية Capsian Culture قد تحركت الى شرق أفريقيا عابرة من خلال الصحراء الكبرى Sahara الى موضع أولدقاي بل وأكثر جنوبا فقد دلت الهياكل القفصية التي عثر عليها فى شرق أفريقيا على أنها تماثل من حيث السمات العامة الهياكل القفصية التي عثر عليها شمال الصحراء الكبرى (٩٩).

وفى المناطق المرتفعة من كينيا وتنجانيقا وبوروندى ورواندا حيث ترتفع الأرض ٧-٥ آلاف قدم؛ كان يعيش المستعمرون والأوروبيون فى هذا القرن على الزراعة، وانشاعوا نيروبي، ويبدو أنه منذ آلاف السنين جذب هذا المناخ بعض

المهاجرين القوقازيين Caucasoid طوال القامة والوجه، وأصحاب الأنوف الضيقة الذين يدفنون موتاهم فى وضع (مقرفص) Cantracted، وكانوا يصنعون آلات النصال Blade Tools بالاسلوب القفصى Capsian Style وقد عثر على هذه المدافن لأول مرة بواسطة البرلينى هانزريك Hans Reck of Berlin وذلك فى خانق أولدوقاى Oldivai Gorge فى تربة رمز لها ليكى Leakey برمز مصطبة Bed II o ، والموضع الثانى هو سلسلة من المدافن تقع على حافة موزعة فى مقاطعة المنتيتا فى كينيا وقد اكتشفت عام ١٩١٨، حيث إتضح أنه بعد الدفن إرتفعت مياة بحيرة ناكورو Nakuru فكان أن أضرت بالهياكل المدفونة، والموضع الثالث عثر عليه ليكى أيضا هو كهف جامبل Gam-ble's Cave وعنه سميت الفترة المطيرة الجامبيلية Gamblian Pluvial Pe-riod حيث إكتشفت خمسة هياكل فى هذا الكهف، وقد إكتشفت مسز ليكى وبوبى A. J. Poppy، الموضع الرابع حيث إكتشفت هيكلا عظيما مماثلا للسابقين مدفونا الى جوار بحيرة قديمة قرب محطة نيفاشا للسكك الحديدية (كينيا)، وفيما عدا أولدوقاى فان باقى المواضع مجاورة بعضها من بعض.

وكان كهف جامبل هو الوحيد الذى كان سليما وكانت حفريات وعيناته من الآلات والحيوانات كافية. وكانت الآلات قفصية، ولكن فيما بين المستوى الثانى والخامس من أعلى يوجد تداخل من الآلات الأفريقية التى ترجع الى العصر الحجري الوسيط Middle Stone مع آلات قفصية فوقها وتحتها، أما الحيوانات فمعاصرة، وتاريخ هذا الموضع (كهف جامبل) تحدده ثلاث حقائق الكسرات الخزفية Potsherds حيث وجدت فى إثنين أو ثلاث طبقات قفصية، (الفخار لم يصنع فى الشرق الأدنى أو فى أى مكان آخر عدا اليابان قبل عام ٥٤٠٠ ق.م) ولما كانت القفصية حضارة شعب هامشى فإنه لم يكن أمامهم فرصة لصنع الفخار (١٠٠)، وقد عثر فى طبقة عليا على عظمة هاربون Har-poon (رمح) مماثلة لعظمة عثر عليها فى طبقة عليا فى الكنفو (فى موضع ايشانجو Ishango) مؤرخة ٦-٥. ٤ الف سنة ق.م، وترجع كل المواضع القفصية الأخرى فى كينيا الى فترة مابعد الجليد Postglacial ، وعليه فإن

حفريات (جامبلز كيف) فى كينيا تتحدد تاريخيا فى سلسلة التاريخ المحلى لكينيا بعد وصول الحضارة القفصية الى شمال أفريقيا.

والآن نحاول أن نعرف كيف وصل القفصيون من شمال أفريقيا الى شرقها، غالبا تم هذا - رغم عدم تأكدها - عبر الطرق المباشرة التى تعبر الصحراء عبر ممرات فى جبال تبستى، وربما عبر وادى النيل وقد تمت هجراتهم خلال الألف الأولى المبكرة بعد إنتهاء البلاستوسين (منذ ٢٥ ألف سنة ق.م) حيث كانت الصحراء غنية بالمياه السطحية أكثر مما هو حاليا، مما جعلها أكثر سكانا مما هى عليه الآن، وقد تحدد أن أحد عشر هيكلا من المواضع الاربعة كانوا من القوقازيين وبالتحديد من سلالة البحر المتوسط -Mediterranean بما لهم من رأس طويلة ووجوه ضيقة وأنوف طويلة، وكان لهم كلهم نمط الذقن الحديث (البارز) وقد قدر متوسط حجم فراغ الدماغ للذكور ١٤٩٧ سم^٣ (من ٧ حالات) والإناث ١٢٢٣ سم^٣ (من ثلاث حالات) (١٠١). هؤلاء الناس كانوا أكثر طولا فى القامة من القفصيين من شمال أفريقيا، حيث نجد أن هيكل أولدوفاي II كانت قامته ١٨٠ سم، ورقم II فى كهف جامبل كان من طوال القامة وربما أكثر، وهيكل محطة سكة حديد نيفاشا كما يقول ليكى؛ كانت قامته ٢٠٣ سم (عملاق) لذا فان هذه القامات يمكن أن تشبه بقامات الواتوتسى من العمالة الحاميين فى شرق ووسط أفريقيا (١٠٢).

هذا وقد عثر ليكى فى ذات المنطقة على عدة مواضع نيوليثية Neolithic بعضها على الأقل كانت زراعية وكلها تحدد امتداد البانتو Bantu ، وكل حفائر هذه المواضع خاصة جبانة ناكورو (٦ هياكل) وويليزكويجي Willey's Kopje بجوار المنتيتا (٣ هياكل) قسمت وحددت سلالاتها دلت على أن القوقازيين من أوائل القفصيين قد وفدوا منذ العصور المبكرة حتى عصر الحديد أو حتى وصول البانتو حيث تم الإختلاط مع الأسلاف القدامى من سكان شرق وجنوب أفريقيا ومع أسلاف البوشمن أكثر من الزنوج المحدثين، ورغم إنتشار لغة وثقافة البانتو فى المرتفعات اليوم، فإن هناك كثير من رجال القبائل الوطنية ممن لهم بشرة سوداء أو بنية وشعر مجعد مازالوا يحملون صفات قوقازية على وجوههم (١٠٣).

جنوبى القارة

كان القسم الجنوبى من أفريقيا مفتوحا خلال عصر البلايستوسين أمام الكتل الهوائية الباردة شديدة البرودة القادمة من أنتاركاتيك، بحيث أصبح هذا القسم من القارة مختلفا تماما في مناخه ومستقلا عن وسط وشرق القارة^(١٠٤)، وقد اعتبر دارون وهكسلى أفريقيا الموطن الأسمى للإنسان الأول مسترشدين بأنه يعيش فيها الشمبانزى والجوريلا، وهما أكثر الرئيسيات قريبا من الإنسان مورفولوجيا وفسولوجيا وبياثولوجيا وسيكولوجيا وبيوكيمائيا، كما عثر فى أفريقيا الشرقية والجنوبية على حفريات للبشرىات القديمة تعزز هذا الرأى، ومازالت الكشوف عن البقايا البيولوجية والمخلفات التكنولوجية مستمرا.

وكان من الذين قالوا بأن أفريقيا هى موطن الإنسان والإنسانية، كين Keane, A. وليكى Leaky, L.S. خاصة الأخير الذى إهتم العالم بكشوفه فى شرق أفريقيا بعد ما قضى زهرة شبابه بل رعمه كله متنقلا مع عائلته باحثا فى صحراء الصومال وكينيا وتنزانيا عن حفريات البشر القدماء أسلاف الإنسان الأول والإنسان القديم، وكان لكشفه لبقايا ولمخلفات الإنسان الماهر (الحاذق) Homo Habelis فى خانق أولوفاي فى كينيا، أثر كبير فى تغيير مفاهيم بائدة عن تطور الإنسان^(١٠٥) كما أكدت عراقه وأصالة أفريقيا، خاصة قسمها الشرقى والجنوبى فى نشأة الإنسان وتأقلمه^(١٠٦).

ويتميز القسم الجنوبى من القارة الأفريقية بأنه كان، شأنه شأن معظم أجزاء القارة الأخرى من المواطن التى كانت تحيا فيها الأنواع والسلالات العريقة فى القارة التى تركت مخلفات أثرية حجرية قديمة، هذا ومازالت السلالة الكيبوانية Capoid (البوشمن والهوتتوت) وأفرادها، تحيا فى غالبيتها الساحقة فى مستوى حضارة ما قبل التاريخ^(١٠٧).

هذا وقد دلت كشوف جنوبى أفريقيا (١٩٢٠) عن البشرىات الجنوبية Australopthicus، تلك التى كانت تعيش فى عصر البلايستوسين الأدنى (منذ أكثر من مليون سنة) على أن بلوغ الوضع المنتصب كان سابقا لتطور

المخ، وذلك بعكس ما كان يظن سابقاً، وهكذا يتضح من شكل عظام الحوض والخذ والساق؛ أن أسلاف الإنسان قد تمكنوا أولاً من أن يقفوا منتصبين قبل أن تتغير أمخاخهم وتتطور مقترية من المستوى الإنسانى (١٠٨).

كان أول كشف فى أفريقيا عن بقايا بشرية قديمة عام ١٩١٣، عندما عثر مزارع على جمجمة فى بوسكوب Boskop بالقرب من بوتشفستروم Potch-efstroom، وكان حجم المخ فيها كبيراً أكبر من الانسان المعاصر، وكان هذا الكشف بداية سلسلة كشوف عن إنسان أواخر عصر الحجري المتوسط فى أفريقيا، وهو أكثر قرباً من الإنسان الحديث المعاصر من إنسان بروكن هل Broken Hill الذى عرف بإسم إنسان روديسيا Rhodesian Man والذى كان يتميز بحافة فوق حجاجية ناتئة Supra Orbital Ridge، وحجاجين واسعين ووجه قوى وجزئه الأوسط بارز، كما عثر أيضاً على جمجمة أخرى مماثلة فى Hopefield (حقل الرجاء) بجوار خليج سالدانها Saldanha Bay الى الجنوب من بروكن هل بأكثر من ١٥٠٠ ميل، كما كشف عن جمجمة أخرى فى فلوريسباد Florisbad على بعد ٢٠ ميل من بلومفونتين فى ولاية أورانج الحرة، وهى تشبه جمجمة إنسان روديسيا، ولكن ليست متطابقة تماماً معه، معنى هذا أن إنسان روديسيا القديم كان واسع الانتشار فى جنوبى القارة الأفريقية، وأن سلالاته كانت تتباين باختلاف البيئات المحلية (١٠٩).

وهناك أدلة كثيرة (جدول ٢) على أن بيئة جنوبى القارة الأفريقية كانت تحوى المؤشر النهائى لأقدم السلالات الأفريقية، حيث وضع عمق الصلة البيولوجية للإنسان الأفريقى القديم؛ بين أقاليم وبيئات القارة الأفريقية من أقصى الشمال الى أقصى الجنوب.

جدول ٢ - بيان بالبقايا العظمية لأسلاف الكيبوانيين (١١٠)

القطر	الموضوع	العصر	المادة	السلالة
السودان	سنگا Singa	٥ - ١٠ آلاف سنة ق.م	قحف Caharia	Homo Sapienes Capoid
مقاطعة الرأس	فیش هوك Fish Hoek	ما بعد البلايستوسين	هيكل عظمي Skeleton	Homo Sapienes Capoid
مقاطعة الرأس	نهر مايجز Matjees River	ما بعد البلايستوسين	بقايا ٢٧ فرداً	Homo Sapienes Capoid
ناتال	بوردر كيف Border Cave	ما بعد البلايستوسين	هيكل لشخص بالغ وهيكل لطفل	Australoid
كينيا	خرائب هوما Huma	ما بعد البلايستوسين	سبع هيكل عظمية	Homo Sapienes Capoid
الترنسفال	بوسكوب Boskop	ما بعد البلايستوسين	قحف Caharia وقطع مكسرة من الفك السفلي	Homo Sapienes Capoid
زامبيا	بروكن هل Broken Hill	البلايستوسين الاعلى	شخصين : قطعة جمجمة علوية - قطعة فك علوي - عظام طويلة	Homo Rhodesienis
مقاطعة الرأس	بروكن فلاتس Cape Flates	أواخر البلايستوسين الاعلى وما بعده	ثلاث أشخاص : أثنين جمجمة علوية - عظام طويلة	Australoid
مقاطعة الأورانج	فلورسباد Florisbad	أواخر البلايستوسين الاعلى أو أوائل ما بعده	قطع مكسرة من الجمجمة العلوية وسنة Tooth	Homo (Africanthropus Helmei
المغرب	طنجة Tangier	الفترة النقبية الأخيرة الى الكانجيرا (فرم المبكر)	فك علوي Maxilla	Homo Capensis

هذا ولفظ قرد الجنوب Australopithecus مشتق من الكلمة اللاتينية Australis بمعنى الجنوبي Southern ومن الكلمة الإغريقية (اليونانية القديمة) Pithekos بمعنى قرد An Ape ، وتلك التسمية أطلقها ريمون دارت R. Dart عام ١٩٢٤، عندما درس جمجمة اكتشفت فى تونج Taung فى شمال مقاطعة الكيب فى جنوب أفريقيا، وذلك بإعتبارها تنتمى الى السلف القردى للإنسان، ومنذ ذلك الحين؛ توالت الكشوف عن عظام مختلفة وأسنان لهذا الكائن البشرى القردى فى أماكن كثيرة منها ستركفونتين -Sterkefonti وكرومدارى Kromdraai وسوارتكرانس Swartkrans وما كبا نزجيت en Makapansgat فى الترنسفال من جنوب أفريقيا؛ كما عثر على بقايا مماثلة لها فى عدة أماكن من شرق أفريقيا (أولد وقاى) ووسط أفريقيا (شواطئ بحيرة تشاد)، كان ذلك منذ مليون سنة، خلال فترة بدأ يسود فيها الجفاف فى مناطق واسعة من جنوبي القارة الافريقية^(١١١).

وأمام سؤال صريح بعد الكشف عن أدوات وأفخاخ صيد للحيوانات وجدت مع هذه العظام؛ هل كان هذا الكائن من البشر (A Man)؟ أو من القردة (An Ape) وكانت الإجابة القاطعة أنه كان من البشر^(١١٢).

هذا وقد عثر فى تلك المقاطعة على بقايا ثقافية لهذا الإنسان، ترجع الى أوائل وأواسط البلايستوسين الأعلى، خاصة من الثقافات الشيلية Chellian (الفؤوس الحجرية)، ومن الثقافة الأشولية Acheulian (فؤوس أكثر رقة) ومن الثقافة الليفلوازية-الموستيرية Levallois-Mousterian (حضارة النصال)، ومن ثقافة السانجوان Sangoan (وهى التى تمثل حضارة محلية من الفؤوس الحجرية كانت تسود فى المناطق الغابية)^(١١٣)، وتعد ثقافة سانجوان San-goan^(١١٤) نموذجا للثقافة الأشولية المتأخرة (فؤوس يدوية) وهى التى عثر عليها فى القسم الجنوبي من القارة الأفريقية، حيث كانت مختلطة مع مصنوعات من العصر الحجرى الأوسط، وقد إمتد تواجدها حتى نهاية البلايستوسين الأعلى.

وقد حلت الشظايا ذات النمط الليفلوازي الموستيري العام -Levalloisio-Mousterian فى شرق وجنوب أفريقيا محل الآلات الأشولية Acheulian من الفؤوس اليدوية، ويبدو أن انتشارها كان من الشمال نحو الجنوب، بحيث أن تلك الثقافة وصلت مقاطعة الرأس فى جنوب أفريقيا متأخرة بنحو ١٠٠ ألف سنة عن وجودها فى أوروبا والشرق الأدنى.

ويبدو أن حضارة زمبابوى القديمة التى كشف عن أثارها العريقة فى منطقة وسط أفريقيا الجنوبية خصوصا زامبيا وزمبابوى الحاليتين^(١١٥)؛ يبدو أنها كانت إمتدادا لنشاط بشرى أقدم وأعرق سبقها فى هذه المناطق، قام به أسلافهم ممن كانوا أكثر نشاطا فى العصور السابقة على التاريخ؛ بدليل الآلات الحجرية التى عثر عليها مع بقايا فخار قديم قام بدراستها مجموعة من الباحثين البريطانيين^(١١٦)؛ وذلك بدليل ماكشف عنه القطاع الصخرى المجاور لشلالات كالامبو Kalambo (٨.٤٥ جنوبا و ٢١.٤٠ شرقا) فى زامبيا؛ عن تتابع كامل لعصر البلايوستوسين؛ وفيه نجد أن الحضارة الأشولية إستمرت حتى مابعد عام ٥٥٤٠٠ ق.م.، أى حتى قرب نهاية الوقفة ما بين جليد ثرم فى أوروبا، ثم تبعت هذه الحضارة الأشولية، حضارة أخرى أكثر تقدما إشتقت من الحضارة القفصية المهاجرة الى شرق أفريقيا من شمال القارة، هى ثقافة ولتون Wilton التى إنتشرت بعد ذلك بين جماعات البوشمن فى جنوب أفريقيا، وهى الجماعات التى كانت منتشرة من قبل خلال الألف الأولى وربما الثانية قبل الميلاد فى شمال وشرق أفريقيا، وثقافة ولتون تتميز بصناعة الأسلحة القزمية، وقد إستمرت هذه الثقافة الحجرية منتشرة بين بعض الجماعات الأفريقية حتى بداية القرن الحالى كما يقول فان ريت Van Riet ، حيث يذكر أن إستعمال آلات قاطعة وشاطرة ضخمة مصنوعة من النواة كان مستخدما لدى البوجيسو Bugisu (الباجيشو Bagishu) الذين كانوا يعيشون بالقرب من جبل ألجون فى أوغندا^(١١٧).

وقد عثر درينان Drennan, M.L (١٩٢٩) فى كهف مفتوح فى كيب فلاتس Cape Flats بجوار كيب تاون وعلى عمق ثلاث أقدام على عظام ثلاث

أفراد، مصحوبة ببعض آلات شظايا ستيلباي Stillbay والى جوارها بعض الآت من ثقافة ويلتون؛ التي كانت حضارة قفصية محلية عرفت أولا فى شرق أفريقيا مع البوشمن (سنداوا حاليا)، وهناك أدلة أثرية أخرى من ثقافة ولتن هذه؛ تدل على وجود صلة بيولوجية بين سلالة بوسكوب Boskop (عشر على بقايا عظمية متحجرة لها على الشاطئ الشرقى لنهر موى Mooi جنوب غرب الترنسفال) وبين السلالة الكيبوانية (البوشمن والهوتنتوت) التي غالبا أنها كانت قد وصلت الى جنوب أفريقيا منذ الألف الثالثة قبل الميلاد^(١١٨).



الخاتمة

يبدو أن هناك حاليا نزعه تهدف الى محاولة التعليم من أسلوب حياة إنسان ما قبل التاريخ، حيث نجد أن كلود ليفى ستروس Levi-Strauss,C. (١٩٠٨ -)^(١١٩)، نجده قد اعتنق فكر جان جاك روسو (١٧١٢-١٧٧٨) الذى قال فى كتابه العقد الإجتماعى: "أن الإنسان البدائى الذى كان يحيا فى حالة طبيعية قبل إنتقاله الى الحياة الإجتماعية وأتمامه للعقد الإجتماعى^(١٢٠) أنه رغم خضوعه لغرائزه، فإنه كان بريئا وعادلا يفعل الخير بالفطرة وبتلقائية"، لذلك قيل عن الحياة البدائية أنها أكثر الأنساق الثقافية ملائمة للحياة الانسانية واستمرارها (!).

والحقيقة أن عالم اليوم الذى يعتمد على العلم والمعلومات لدرجة أن العصر الحالى أصبح عصر المعلوماتية الحقيقية؛ أن بدايته كانت هناك، وأقول هنا فى عصر ما قبل لتاريخ، حيث ظهرت إرهابات الحضارة الإنسانية والأنثروبولوجية المتنامية، وهنا بالتحديد فى أفريقيا، كان البدء وكانت البداية للوعى والكلمة والحضارة والتقدم.

هل تفيد دراسة التاريخ في معرفة المستقبل؟

الماضى لا يموت، حيث أننا نتعلم من تجاربه وخبراته، كي ننجح فى الحياة فى المستقبل. إذن هل تتركز دراسة الآثار فقط فى تسجيل أحداث الماضى؟ البعض لا يعتقد ذلك؛ فالمصادر التى تقص تطور حياتنا وتعكس نمونا تستمد دروسها من الماضى، خاصة لهؤلاء الذين يظنون أن الفرق الأساسى بيننا وبين الشامبانزى هو أننا نحيا بأن نقتل، وأن نستمر كذلك، وليكن مستقبلنا دمويًا، وذلك فيما عدا بعض اللحظات القاسية التى نملك فيها أنفسنا؛ بحيث نُعلمها كيف تسلك سلوكًا مهذبًا، وموقف آخر مماثل يعكس النظرية الأخرى القائلة أن القناصين والجماعين كانت لهم حياتهم الهادئة المنظمة، حتى ظهور ضغوط الحياة التى بدعت فى الظهور خلال الآلاف الأخيرة القليلة من السنين، التى حولت السلوكيات البشرية الى التوحش.

هذه تبسيطات كثيرة فكرية - ليست بالضرورة سياسية، وهى تبدو أنها حقائق تروى عن الماضى وتعطى تصور وملخص يمكن إستخلاصه من أحداث التاريخ، وبلاشك فإن الأحداث الجارية حاليًا تعتبر ذات أهمية أكثر من أحداث الماضى، وهكذا تتدرج الأهمية الى أن نصل الى نقطة المعاصرة، هذا رغم أن البحث فى أعماق التاريخ البدائى البكر له جاذبية جميلة وممتعة بحيث يمكن وضعه فى المستوى اللائق به، ولكن الإستغراق فيه ليس بمستحب، خاصة اذا كان هذا سوف يستغرقنا كثيرًا.

وإذا كنا كما نتوقع نعتقد أن الشعوب البدائية الموجودة حاليًا هى من أشقى الناس على الأرض، وعليه فإن كل دقيقة من الماضى وكل فرد منهم له قيمة، وعلى ذلك يجب فصل الأحداث والوقائع بعضها عن بعض بغرض التوصل الى تحليل وفهم صحيح للأحداث ومجريات الأمور، وفى عرض مثل عرضنا هذا، لا يمكن التفرقة بين ناس وأحداث العصر الحجرى منذ ١٥٠ أو ١٤٠ ألف سنة من حيث أشكال وأنماط الحياة والسعادة والمعاناة، ولكن يمكن القول بعامة أن حياتهم كان لها مذاق وأهمية حياتنا المعاصرة الحالية.

ومن الطبيعي أننا ننظر الى الماضي عندما ننظر الى المستقبل، وذلك بإعتبار أن المستقبل بالقطع يبدأ من هنا، وأن اللحظة الحالية تمثل أحداثا مستمرة متحركة، فكل خططنا وأفكارنا مبنية على الذكريات وتحليلات الماضي، وهذا يصدق على سلوك أصغر الأطفال الى أكبر رجالات الدولة، فخياراتنا تقع على إمتداد تحليلات الماضي الذى نختارها، وكل تحركاتنا في حياتنا اليومية قائمة على تحليلات أحداث الأيام والشهور والسنين الماضية^(١٢١).

فائدة قصة الإنسان

تتركز قصة الإنسان على الأرض فى نمط تحول مصادر الطاقة المتعددة الأشكال الى نظم وأنساق إجتماعية إنسانية، فلقد مرت حضارة الإنسان بعدة مراحل كانت تتسمى بإسماء أنماط الآلات المستعملة، فكانت العصور الحجرية ثم النحاسية والبرونزية والحديدية.. وهكذا الى أن أصبحت تتسمى بأسماء وأنماط الطاقة المستخدمة مثل عصر البخار، والآلات، والديزل، والكهرباء، والذرة ... وأخيرا تحولت الى التسمية المكانية مثل عصر الفضاء، ثم تحولت الى التسمية المعرفية مثل عصر المعلومات وهكذا... الحياة فى تغير مستمر.

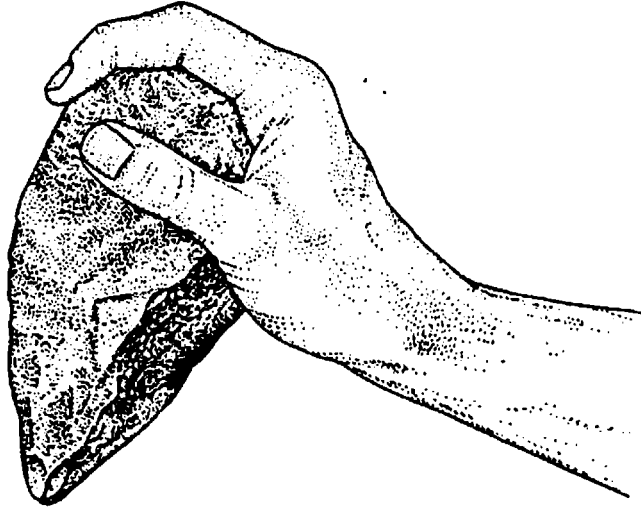
والحقيقة أن أول مصادر الطاقة لدى الإنسان القديم كانت النار ثم الكلب، فبالنار أمكن للإنسان الإستدفاء والإنارة وطهى الطعام، إذ كان الشواء هو أقدم وسائل الطهى، وبالكلب أمكن للإنسان زيادة إمكانياته العصبية وذلك بإطالة مدى إدراكه الحسى؛ إذ أن الكلب يمكنه سماع الأصوات ذات التردد العالى للغاية والتي يصعب على الأذن البشرية إلتقاطها، كما أن بإمكانه الكلب أن يلتقط آثار الرائحة التى ليس بإمكان أى أنف بشرية أن تشمها، بالإضافة الى أن الكلب صياد ماهر فى البرية، وهكذا أصبحت الألفة بين الإنسان والكلب مريحة وهامة وضرورية لكليهما^(١٢٢).

ويبدو أن الإنسان فى هذه الفترة من السنين الماضية، لم يكن يملك إلا مايستطيع حمله على ظهره وهو يسير فى طرق الصيد متتبعا الحيوان من مكان

الى آخر، فى هذه الفترة لم يكن الإنسان يحتاج لتحقيق الحياة الراضية الى غير القوة والمهارة والحكمة، وكان بعض الناس قادة وبعضهم أتباعا ولكن الفرق فى الثروة المادية كان ضئيلا، ولم يكن الناس يمتازون فيما بينهم إلا بقوة الشخصية ومثانه الخلق، ولكن بعد أن أصبح فى الإمكان خزن الثروة من موسم الى موسم، دخلت الحياة الإنسانية فى طور جديد فقد ظهر أساسا جديدا للتمييز بين الناس، حيث أدى ظهور الثروة الى ظهور التجارة، وقد وسعت التجارة دورها العلاقات بين الناس وجعلت أبناء القرى والمناطق المختلفة يلتقون ويتفاهمون^(١٢٣) فظهرت الأسواق والنقود بعد ذلك، ولكل بوره فى تطور الحضارة الإنسانية.

هذا ولا تقتصر أهمية دراسة علم ما قبل التاريخ وما يتصل به من علوم خاصة أصل الإنسان، لا تقتصر على أنها تلقى الضوء على مستقبل الإنسانية^(١٢٤) وبكل ما يتعلق بها من علوم المستقبلات، بل تتعدى ذلك الى وضع نظرية التلازم الإيكولوجى والاجتماعى وتكيف الإنسان مع مجريات ومشكلات حياته اليومية، مما يؤهله لمواجهة كل ما يلاقه، بأساليب وطرق مناسبة تؤهله لها نظرتة الأمبيريقية العملية الواقعة، تلك النظرة التى كان إنسان ما قبل التاريخ أستاذا تطبيقيا عمليا براجماتيا فيها الى أقصى درجات النجاح، ومنه وعنه يمكن أن يستقى الإنسان المعاصر الكثير كى يواجه مشكلاته الجارية اليومية وتلك المتوقعة فى المستقبل.

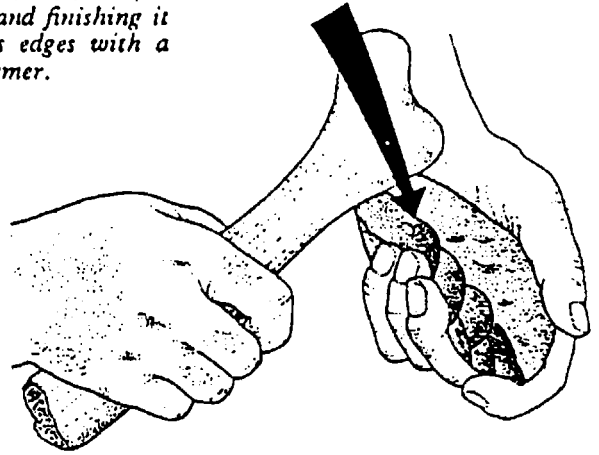
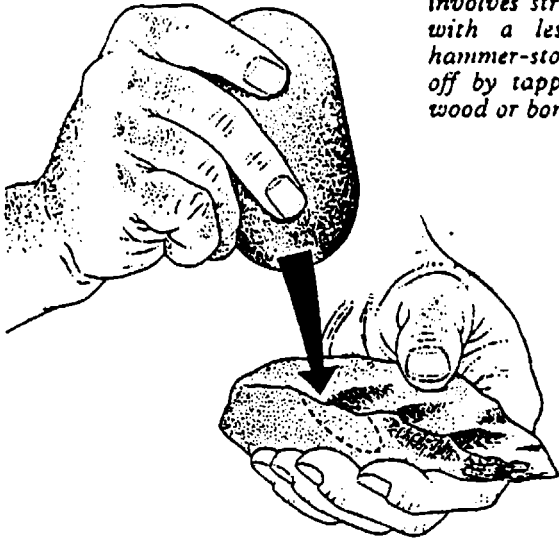
والآن دعونا نختتم هذا المقال، بالإستفهام عن وضع الأفراد أو المجتمعات التى تزداد فيها نسبة الأمية (عدم معرفة القراءة والكتابة) عن ٦٠٪ مثل كثير من مجتمعات أفريقيا القريبة جدا منا، هل نعتبرها تحيا فى عصر ما قبل التاريخ برغم أنهم يعيشون فى عالم التليفزيون والكمبيوتر وأقمار الاتصالات، إننى استفسر عن مفهوم ما قبل التاريخ هل تغير؟ وما هو الحل لزيادة الوعى بإنسانية الإنسان؛ أو حتى بمجرد الإنسانية.

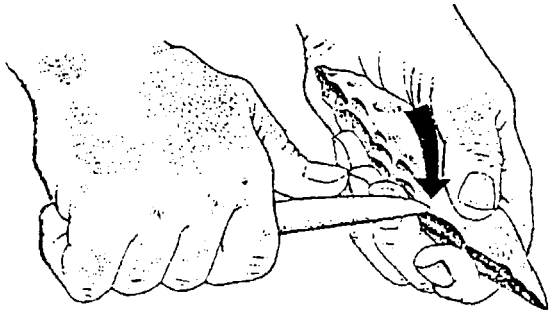


The stone hand axe was probab. gripped in the palm of the han .

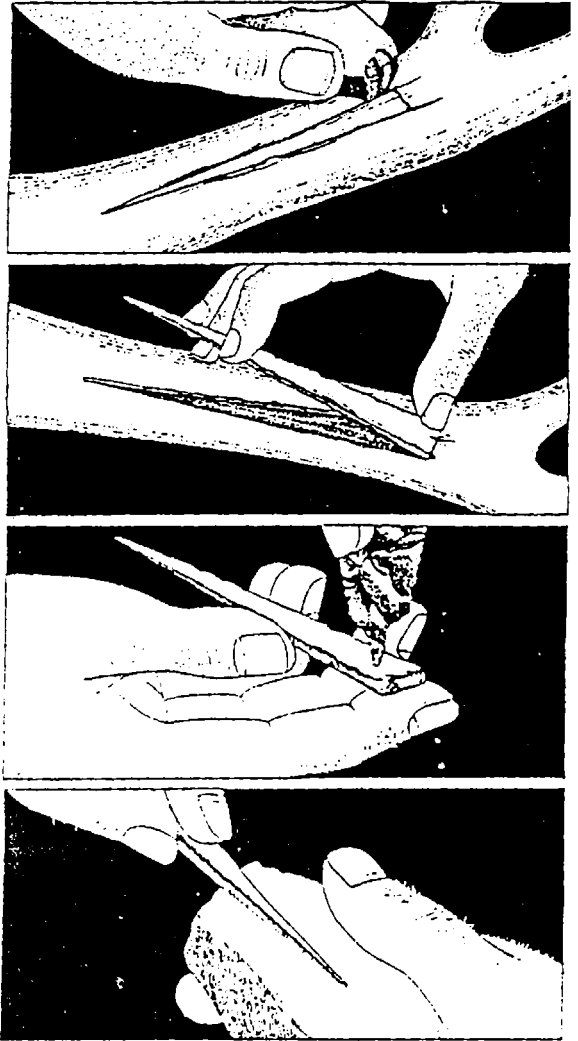
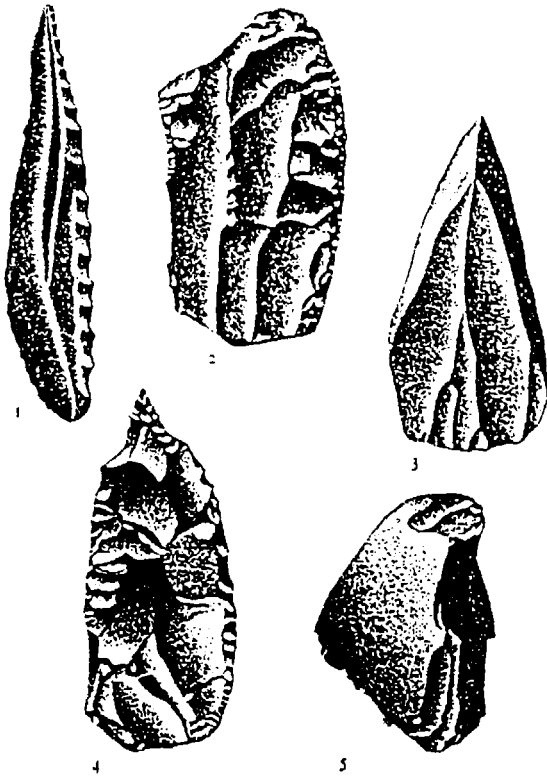
صناعة الآلات الحجرية وإستعمالها

An early method of tool-making involves striking a piece of flint with a less brittle stone ('a hammer-stone'), and finishing it off by tapping its edges with a wood or bone hammer.

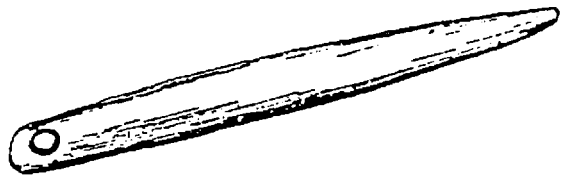


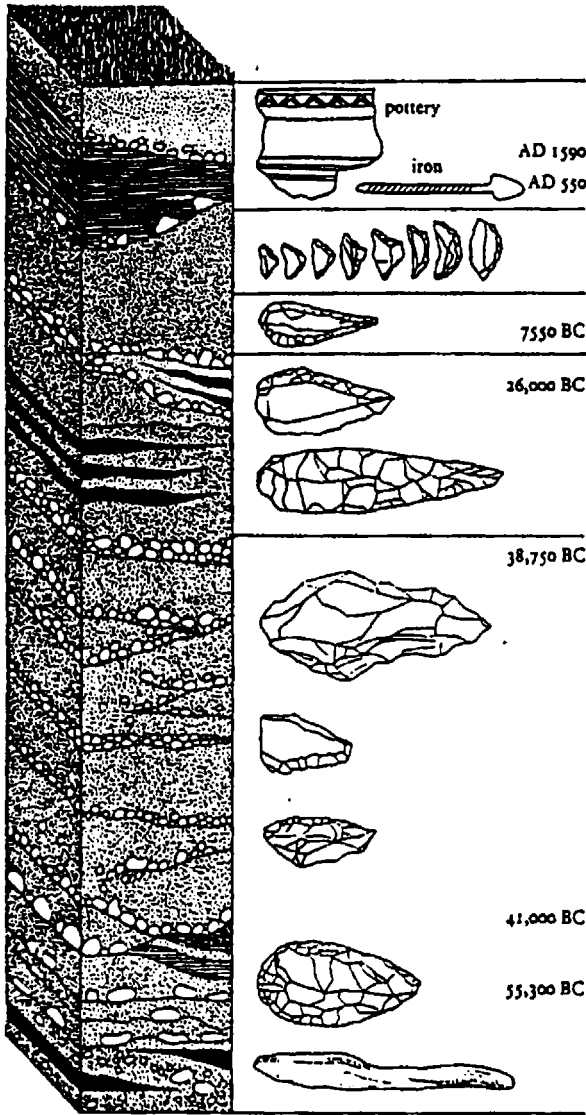


Another method of tool-making is to press from above against the edge of the flint with a pointed implement made from wood, bone or stone until a flake comes off the lower surface. This method of careful percussion flaking allows for more control and led to the manufacture of a greater variety of tools. Some of the new range of tools are illustrated below: 1. a knife-like blade, 2. a side-scraper, 3. a point, 4. a borer, 5. a burin.

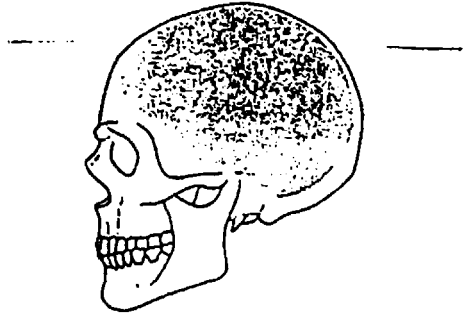


Needles were cut from bone or antler using a burin. The eye of the needle was then drilled by rotating a flint point to and fro, and the needle rubbed against a sandstone block to obtain a smooth finish. A needle is shown below.

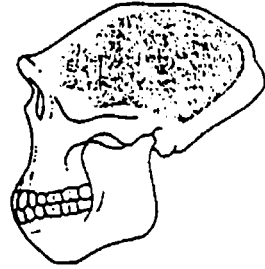




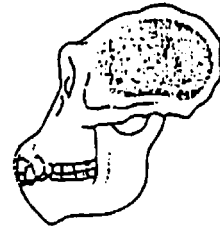
As man evolved, his face remained approximately the same size, but his brain grew dramatically. The brain of Homo erectus was already much larger than that of a chimpanzee, yet still considerably smaller than that of modern man.



man

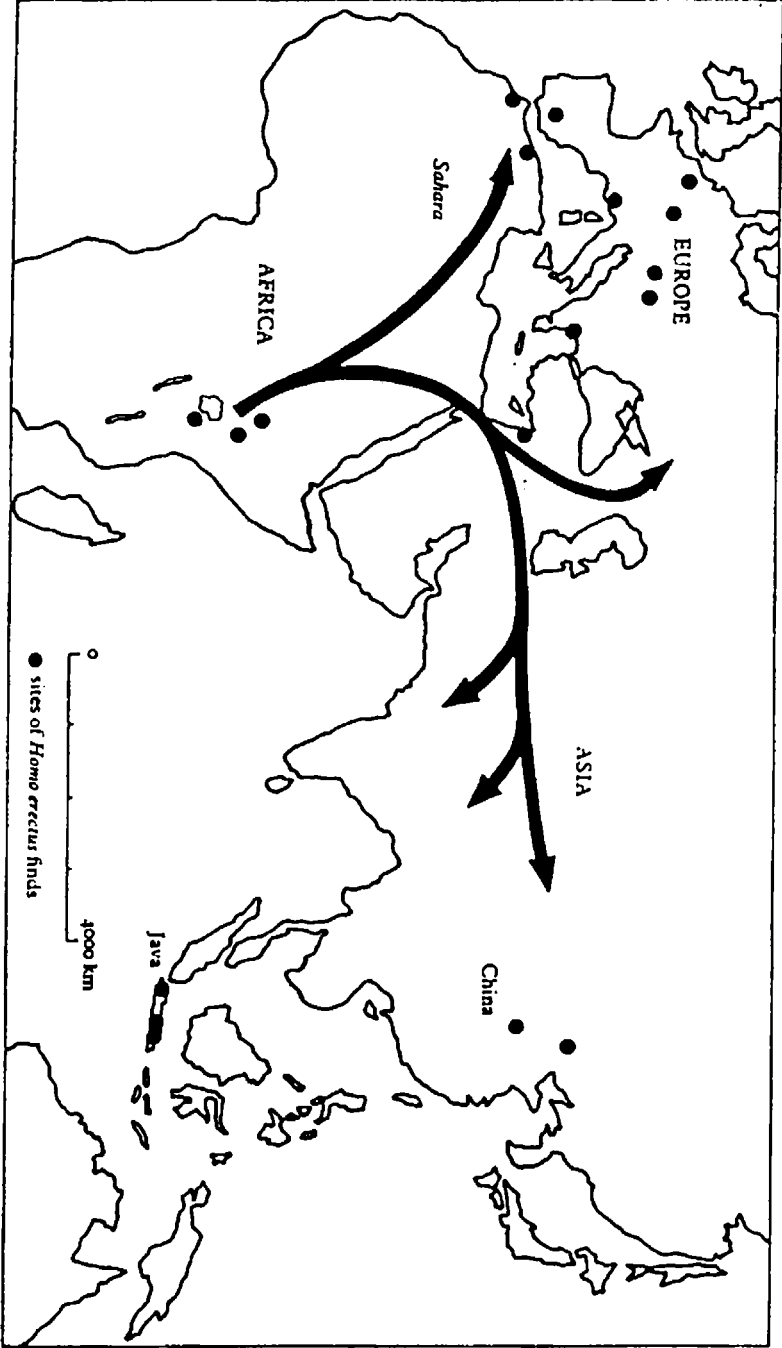


Homo erectus



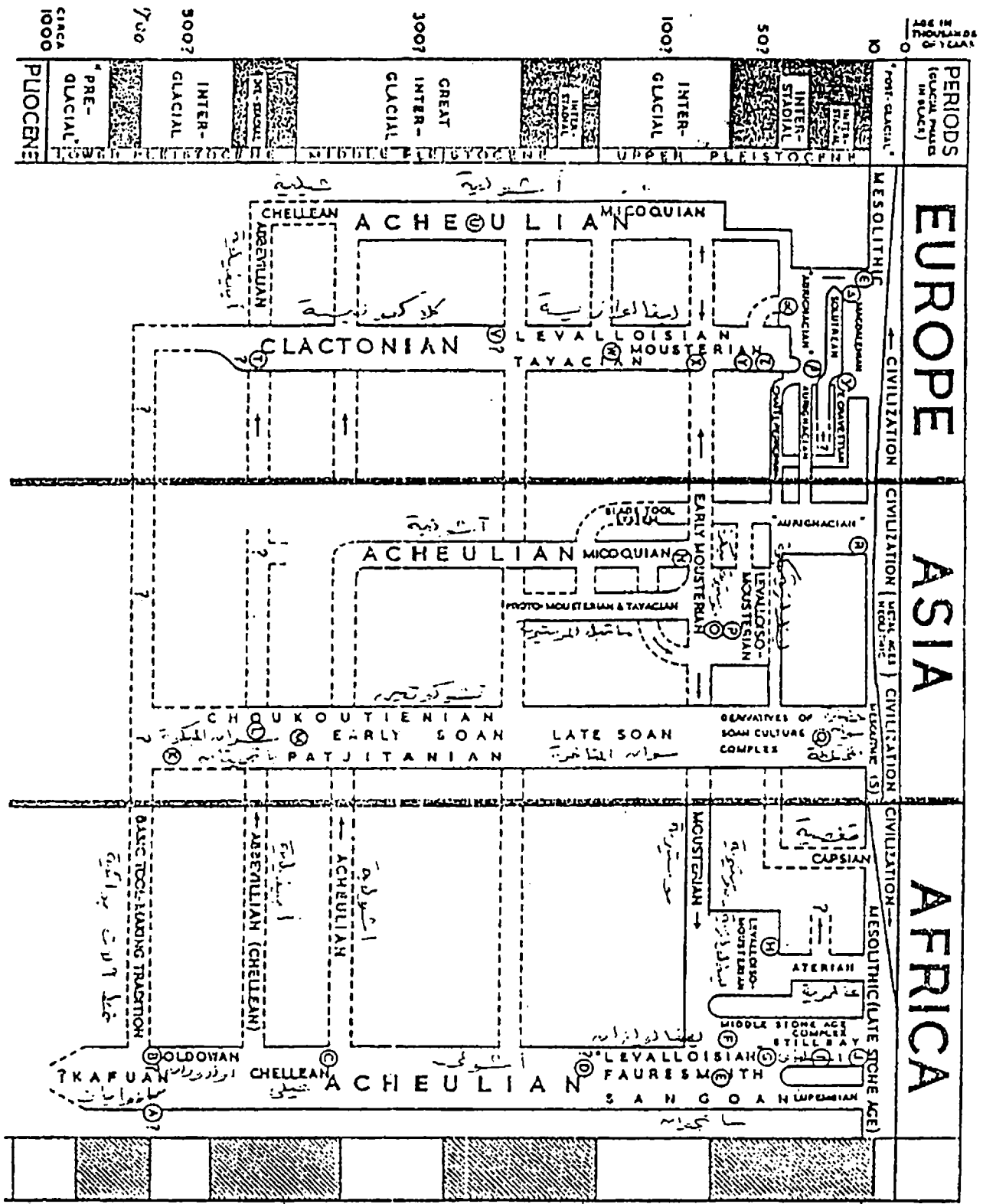
chimpanzee

A diagrammatic cross-section (of the soil at Kalambo Falls, Zambia) shows how objects from succeeding 'cultures' can be found in sequence. At the bottom lie the earliest stone tools and at the top pottery and iron implements of more advanced peoples.





The Olduvai Gorge in the Great Rift Valley.

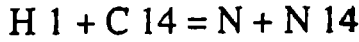


علاقة الحضارات البشرية الأولى في قارات العالم القديم (أفريقيا - آسيا - أوروبا)

الحواشى

- (١) سيد توفيق، سيد أحمد على الناصرى : معالم تاريخ وحضارة مصر من أقدم العصور حتى الفتح العربى. ط٢. القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٨٠، ص٧
- (٢) نفس المصدر، ص٩ - ١٠
- (٣) هيجل، ج : فلسفة التاريخ ترجمة امام عبد الفتاح امام، القاهرة، دار المعارف ١٩٦٠، ص ٢٩
- (٤) لمزيد من التعمق فى موضوع الوعى أنثروبولوجيا المرجو الاطلاع على مؤلفات بيير دى شاردان Chardin, de P.T. خاصة :-
- The Phenomenon of Man, 1959
- The Place of Man in Nature, 1960
- (6) Coon, C.S. : The Origin of Races, p. 315
- (7) Butzer, K.W.: "Climatic Change in Arid Regions Since The Pliocene". In: A History of land Use in Arid Regions. Nancy France, UNESCO, 1961, p.38
- (٨) يصاحب العصر الجليدى تناقص معدل غاز ثان اكسيد الكربون فى الجو اذ اتضح أن نسبة هذا الغاز كانت ٢٠٠ جزء فى المليون خلال العصر الجليدى الثالث والرابع (رس وقرم) على وجه الخصوص بينما كانت هذه النسبة خلال الفترة الدفيئة والحارة التى كانت فيما بين هذين العصرين ٢٠٠ جزء فى المليون.
- وهذه الذبذبة فى معدلات ثان أكسيد الكربون فى الجو تسببها عوامل طبيعية جيولوجية ونباتية، هذا والجدير بالذكر أن الإنسان الحالى يتسبب بأعماله فى تزايد هذه النسبة الى معدلات عالية للغاية تكاد تصل الى ٦٠٠ جزء فى المليون فى بعض المناطق مما يؤدي الى تزايد فى درجة الحرارة وظهور الجفاف والتصحر.
- (٩) رشدى سعيد، هـ. فور: الإطوار الزمنى للمراحل المطرية والجمود بأفريقيا. فى: اليونسكو. تاريخ أفريقيا العام. مج ٨، باريس، جين أفريك. ١٩٨٠، ص ٤١٢-٢٧٣
- (١٠) عن طريق التأريخ باتباع طريقة الكربون ١٤ (المشع) إذ أن الأرض تتعرض الى موجات من الأشعة الكونية القادمة من الفضاء الخارجى ونتيجة لذلك فان نيترونات Neutrons هذه الأشعة الكونية تتفاعل مع نيتروجين الغلاف الهوائى مما ينتج عنه كربون مشع (وزنه الذرى ١٤ لذا يسمى كربون ١٤) مضافا اليه هيدروجين (وزنه الذرى ١) وذلك طبقا للمعادلة الآتية:-

نيوتروجين ١٤ + نيوترونات = كربون ١٤ + هيدروجين ١



وبمجرد تكوين هذا الكربون المشع يتحول الى ثنائي أكسيد الكربون المشع (وهو الذي فى نواته ٨ نيوترونات وعدد ٦ بروتونات فيكون المجموع ١٤) ويختلط مع ثنائي أكسيد الكربون العادى (المستقر) وهو الذى وزنه الذرى ١٢ لأن فى نواته عدد ٦ نيوترونات ومثلها بروتونات، وينقل ثنائي أكسيد الكربون المشع (وهو ما يهمنى هنا) ويدخل فى عملية الأيض (التمثيل الضوئى) فى النباتات كما يدخل فى الحيوانات من خلال التنفس، وترسب ذراته فى الأجزاء الصلبة من الكائنات الحية (النبات والحيوان)، وعندما تنتهى الحياة من الكائنات الحية أى تقف عملية التجديد والاضافة المستمرة من الكربون المشع، تبدأ هذه الكائنات فى فقدان هذا الكربون المشع بمعدل ثابت حيث يتحول هذا الكربون الى الكربون العادى (وزنه الذرى ١٢)، ويضاء على معرفة العلماء لمدة نصف عمير الكربون ١٤ وهى ٥٧٣٠ ± ٢٠ سنة، فانه يمكن تقدير عمر النباتات (شعير-قمح-خشب الأشجار) أو الحيوانات (عظام-أسنان... الخ) من التى قد يعثر عليها كمخلفات أثرية، حيث يمكن بذلك تقدير عمر الحضارات السابقة وإجراء المقارنات اللازمة.

(Gowlett, J.: Ascent to Civilization. London, Collins, 1984, p.198)

(١١) محمد السيد غلاب، يسرى الجوهري، الجغرافيا التاريخية: عصر ما قبل التاريخ. ط ٢.

القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٨٦، ص ٦٤-٦٥

(12) Weaver, Kenneth F. (ed.): The Search for early Man. National Geographic, Vol. 168, No. 5, Nov. 1985, p. 560-623.

(١٣) كشفت عائلة ليكى Leakey Family عن كثير من مخلفات البشر والانساسى الاوائل فى شرق أفريقيا حيث كشف الأب لويس سيمور بازت ليكى Leakey, L.S.B. (١٩٠٢-١٩٧٢) الذى ولد فى قرية كابت بالقرب من نيروبي من أبوين بريطانيين من المبشرين عن قرد كينيا Kenyanthropus وبعض بشرىات خائق اولدوفاي واشترك فى تصنيف عظام الإنسان البارح Homo Habilis أما زوجته مارى دوجلاس ليكى فقد كشفت عن Proconsul Africanus وعن Zinjanthropus وأيضا عن Australopithecus Africanus كما شارك الإبن ريتشارد أرسكين فريير ليكى Leakey, Richard A.F. فى الكشف عن جزء من جمجمة Turkana وعن هيكل عظمى (١٩٨٢) بالاشتراك مع آلن والكر Alan Walker) بجوار بحيرة توركانا وهذه العظام تخص الانسان المنتصب Homo Erectus

(Leakey, R.A.F & Walker, A.: Homo Erectus National Geogrorhic Vol. 168, No.5, Nov. 1985, p.624 - 629)

- The World هذه هي عائلة ليكي الأنثروبولوجية
Book Encyclopedia, Vol. 12. Chicago, World Book Inc., 1991,
p.161)
- (14) Paoldge, T.M & Rose, M.: The Great DNA Hunt. Ar-
chaeology, Sept./Oct./1996, p. 101-115
- (15) Gowlett, J.: Ascent to Civilization. London, Collins
1984, p.84-85
- (16) Coon, C.S.: The Story of Man. New York, Alfred A. Knopf,
1954, p. 40
- (17) Gowlett, J.: Ascent to Civilization p. 57
- (18) Loc. Cit.
- (19) Montagu, A.: Man; his first million years. New York, World
Publishing Co., 1957, p. 211
- (٢٠) باسكوم، وليم وهير سوفتزر، مليفل (محرران) : الثقافة الأفريقية، دراسات في عناصر
الاستمرار والتغير ترجمة عبد الملك الناشف. بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٦٦، ص ٦٢
- (٢١) موري: "الفن الصخري فيما قبل التاريخ في الصحراء الليبية". في: اليونسكو: ليبيا
القديمة، ص ١٦٢-١٦٥
- (٢٢) رشيد الناصوري: التطور التاريخي للفكر الديني، ص ٢٩-٣١
- (٢٣) نفس المصدر، ص ٢٨-٤٤
- (٢٤) رشدي سعيد، هـ. فور "الاطار الزمني للمراحل المطرية والجمودية بأفريقيا" في:
اليونسكو: تاريخ أفريقيا العام، مج ١، باريس جين أفريك ١٩٨٠، ص ٣٧٣-٤١٢
- (٢٥) ج.كي. زير بو: المنهجية وعصر ما قبل التاريخ في أفريقيا. في: اليونسكو: تاريخ أفريقيا
العام، مج ١، باريس، جين أفريك ١٩٨٠، ص ١٩
- (٢٦) سليمان حزين: سكان مصر، ودراسة تاريخهم الجنسي. المجلة التاريخية المصرية
مج ١، ع ١ و ٢، مايو وأكتوبر ١٩٤٨، ص ١-٤٠
- (٢٧) محمد السيد غلاب: وحدة الوطن. الهلال، مارس ١٩٩٢، ص ١٣٦-١٤١
- (٢٨) جمال حمدان: شخصية مصر. ج ٢. القاهرة، عالم الكتب، ١٩٨١، ص ٢٢٥-٣٥٩
- (29) Chard, Chester S.: Man in Prehistory. 2nd. ed. New York,
Mc Grow Hill, 1975, p.61
- (30) Shewika, F.A.G.: Side Lights Upon Prehistoric Man and his
Civilization in North East Africa, p.3

- (٣١) نيقولا جريمال: تاريخ مصر القديمة ترجمة ماهر جريجاتي. القاهرة، دار الفكر للدراسات والنشر، ١٩٩١ ص٢٤
- (٣٢) نفس المصدر، ص ٢٥
- (33) Coon, C.S.:The Living Races of Man, p.87.
- (٣٤) نيقولا جريمال: تاريخ مصر القديمة ترجمة ماهر جريجاتي. القاهرة، دار الفكر للدراسات والنشر، ١٩٩١ ص٢٦-٢٧
- (٣٥) نفس المصدر، ص ٢٨
- (٣٦) نفس المكان
- (37) Coon,C.S: The Origin of Races. London, Jorathan cape, 1963, p.609
- (٣٨) فؤاد حسنين على: التوراه الهيروغليفية، القاهرة، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، دت، ص٢
- (٣٩) نفس المكان
- (٤٠) نفس المصدر، ص٤
- (41) Noldeke, T.:"Semitic Languages." In: Encyclopaedia Britannica, 13, ed. 1976, Vol. 24, p.617-630
- (42) Coon,C.S.: The living Races of Man. New York, Alfred A. Knopf, 1965, p.95
- (٤٣) محمد عوض محمد: السودان الشمالي، ص٦
- (44) Clark, J.Desmond: "Prehistoric Origin of African Culture". In : Mc Ewan, P.J.M. (ed.) : Africa from early times to 1800. London. Oxford Univ. Press, 1968, p. 1-20.
- (45) Coon, C.S.: The Origin of Races. London, Jonathan cope, 1963,p.336
- (46) Clark,J. Desmond: op. cit.,p. 1-20
- (47) Coon, C.S.: The Origin of Races, p. 329-330
- (48) Gowlett,J. :Ascent to Civilization, p. 115
- (49) Ibid,p. 596
- (50) Briggs, L.C.: "The Stone Age Races of Northwest Africa." **Bulletin of the American School of Prehistoric Research.** Cambridge, Mass., No. 18, 1955, p.56

- (51) Coon, C.S.: Origin of Races, p.330
- (٥٢) الحضارة المولوية Mouillian نسبة الى La Mauillah على بعد ٢٥ ميلا أى بالقرب من تليمسان فى غرب الجزائر، وهذه الحضارة ترجع الى عشرة آلاف سنة قبل الميلاد وقد عثر على بقايا أصحابها فى أماكن عدة منها على باشا وكهف الأم تريزا فى الجزائر، وفى دار السلطان وتافورات فى المغرب (كون: أصل السلالات، ص ٦٠٥)
- (53) Mc Burney, C.B.M: The Stone Age of Northern Africa. London, Penguin Book, 1960, p.225
- (54) Briggs, L.C.: op. cit., p.57
- (55) Coon, C.S.: Origin of Races, p. 604
- (٥٦) جوليان، أندرية: تاريخ أفريقيا، ترجمة أباطة، ص ١
- (٥٧) رشيد الناضورى: المدخل فى التحليل الموضوعى المقارن للتاريخ الحضارى والسياسى فى جنوب غربى آسيا وشمال افريقيا. بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٧٧، مج ١، ص ١٥٢
- (٥٨) رشيد الناضورى: مصدر سابق، ص ١٠٥
- (٥٩) نفس المصدر، ص ١٠٦-١٠٧
- (60) Winkler, H: Rock Drawings of Southern Upper Egypt. Vol.2 London, 1934, p.28
- (٦١) فاروق عبد الجواد شويقة: المجموعة الكيبوانية، دراسة فى الأنثروبولوجيا الجغرافية مجلة الدراسات الأفريقية، ع ٦٤، ١٩٧٧، ص ١١١-٢٠٨
- (٦٢) إستاذ انثروبولوجية ماقبل التاريخ فى جامعة كاليفورنيا.
- (٦٣) سعد عبد المنعم بركة: الرسوم الصخرية بالصحراء الكبرى فى العصر الحجرى الحديث. رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الافريقية جامعة القاهرة، ١٩٩٢، ص ١٢٢
- (64) Coon, C.S.: The Living Races of Man. New York, Alfred A. Knopf, 1965, p.90
- (65) Shewika, F.A.G.: Side Lights upon Prehistoric Man and his Civilization in North Eastern Africa. African Studies Review, Vol. 8, 1979, p. 1-56
- (٦٦) اليونسكو: تاريخ أفريقيا فى ماقبل التاريخ، ج ١، ص ٢٧٥ و٢٨٢-٢٨٥
- (67) Coon, C.S.: The Living Races of Man, p.87
- (68) Roberts, J.M.: The Earliest Men and Women, p.42

(٦٩) مونتاجو: المليون سنة الأولى من عمر الانسان، ص٧٩

(70) Gawlett, J.: Ascent Civilization, p. 101

(٧١) مونتاجو: المليون سنة الأولى ص٨٠

(72) Leakey, L.S.B.: "Earlier Prehistory". In: Morgan, W.T.W.

(ed.): East Africa; its peoples and resources. 2 nd. rev. ed.

Nairobi, Oxford Univ. Press, 1972, p.9-14

(73) Clark, J. Desmond: "Prehistoric Origin of African Cultre: In:

Mc Ewan, P.J.M. (ed.): Africa from early times to 1800. Lon-

don, Oxford Univ. Press, 1968, p. 1-20

(74) Coon, C.S.: The Origin of Races, p. 330

(75) Ibid, p. 41

(76) Murdock, P.G.: Africa, p. 193

(77) Ibid, p. 194

(78) Gowlett, J.: Ascent to Civilization, p. 23

(79) Gowlett, J.: Ascent to Civilization, p. 46

(80) Loc, cit.

(81) Loc, cit.

(٨٢) درجة مئوية أو درجة سلسيوس وهو الإسم الجديد للدرجة المئوية نسبة إلى العالم

السويدي أندرز سلسيوس Anders Celsius الذي وضع المقياس المئوي لدرجة

الحرارة (سيد رمضان هدارة: استكشاف الفضاء واستغلال موارد الكون. القاهرة،

مركز الأهرام للترجمة والنشر، ١٩٩٦، ص٢٢ حاشية)

(83) Gowlett, J.: op.cit. p. 47

(84) Coon, C.S.: The Living Races of Man, p. 88

(85) Davies, O: The Climatic and Cultural Sequence in the late

Pleistocene of the Gold Coast. **Proceeding of the Third Pan-**

African Congress on Prehistory held in North Rhodesia,

Livingstone, 1955, Pub., London, 1957, p.1-5

(86) Gowlett, J.: op. cit., p 68

(87) Ibid, p. 69

(88) Loc. cit.

(89) Ibid, p. 71

- (90) Gowlett, J. : Asent to Civilization, p. 72
- (91) Ibid, p.73
- (٩٢) اليونسكو: تاريخ افريقيا. مج (ماقبل التاريخ) ج ١، ص ٢٥١
- (٩٣) نفس المصدر، ص ٢٥٢
- (٩٤) نفس المكان
- (٩٥) فاروق عبد الجواد شويقة: الالتزام الأفريقيون. مجلة الدراسات الافريقية. مج ٥، ١٩٧٦، ص ١-١٠٢
- (٩٦) اليونسكو: تاريخ أفريقيا مج ماقبل التاريخ، ج ١، ص ٢٤٩
- (97) Coon, C.S.: The Origin of Races, p,330
- (98) Ibid, p.606
- (99) Ibid, p.607
- (100) Coon, C.S.: The Origin of Races, p,643
- (101) Ibid, p.635
- (١٠٢) فاروق عبد الجواد شويقة: الواتوتسى عمالقة افريقيا. مجلة الدراسات الافريقية. ع ٧، ١٩٧٨، ص ٦٥-١٣٨
- (103) Coon, C.S.: op. cit., p.636
- (104) Coon, C.S.: The Origin of Races, p,315
- (105) Leakey, R.E.: Skull 1470; discovery in kenya of the ealist suggestion of the genus homo nearly three million years old compls a rethinking of mankinds pedigree. National Geogr Vol.143, No.6. June 1973, p.819-829
- (١٠٦) فاروق عبد الجواد شويقة: أفريقية؛ إيكولوجيا. القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٨٢، ص ٨٩
- (١٠٧) فاروق عبد الجواد شويقة: المجموعة الكيبوانية الأفريقية. مجلة الدراسات الافريقية. ع ٦، ١٩٧٧، ص ١١١-٢٠٨
- (108) Montagu, A. :Man; his first million years. New York, World Publishing Co., 1957 p.44
- (109) Terry, Roy W. Man in Africa. Johannesburg, The Institute for the Study of Man in Africa., 1963, p.6
- (١١٠) فاروق عبد الجواد شويقة: المجموعة الكيبوانية الأفريقية. مجلة الدراسات الافريقية. مج ٦، ١٩٩٧، ص ١١١ - ٢٠٨

(111) Terry, Roy W.:op.cit.,p.23

(112) Ibide,p.4

(113) Clark,J. Desmond:"Prehistoric Origin of African
Cultre",p.1-20

(١١٤) ثقافة السانجون تتكون من رؤوس حراب وقطع مدببة وآلات غير مهذبة ومشتقة من الصناعة الأشولية، وهذه السانجوانية أستمرت حتى عام ٢٨٧٥٠ ق.م، والمرجح أنها صناعة نشأت فى بيئة غابية مطيرة لان الآتها مصممة لقطع الاخشاب.

(١١٥) شوقى عطا الله الجمل: حضارة زمبابوى. مجلة الدراسات الأفريقية. ٦ع، ١٩٧٧، ص١-٧٢

(116) Caton-Thompson, Gertrude: The Zimbabwe Culture.
London, 1971,p.248

(١١٧) فاروق عبد الجواد شويقة: المجموعة الكيبوانية الأفريقية. مجلة الدراسات الأفريقية ٦ع، ١٩٧٧، ص١١١-٢٠٨

(118) Coon, C.S:The Living Races of Man,p.88.

(١١٩) وهو مؤسس الأنثروبولوجيا البنائية الفرنسية وصاحب البحوث الميدانية على الشعوب البدائية فى حوض الأمازون الأعلى، وعنه تنطلق موجات فكرية بناءة عديدة فى سائر المجالات الأنثروبولوجية.

(١٢٠) حسين فهيم: قصة الأنثروبولوجيا. الكويت، المجلس الوطنى للثقافة والعلوم والآداب، ١٩٨٦، ص٢٨٠

(121) Gowlett,J.: Ascent to Civilization,p.196-197

(122) Coon,C.S.:The Story of Man, p.12

(123) Ibid,p.157

(١٢٤) عبد الوهاب جعفر: البنيوية فى الأنثروبولوجيا، الاسكندرية، دار المعارف، ١٩٧٩، ص٦

بيبلوجرافية مختارة

- عبد الرسول، كوثر: الحضارات الأفريقية، فكرة الإنتشار الحضارى وطرقه فى أفريقيا حوليات كلية البنات بجامعة عين شمس. العدد الرابع، يوليو ١٩٦٤، ص ٩٥-١٤٦
- Clark, J Desmond: "Prehistoric Origin Of African Culture" In: Mcewan, P.J.M. (Ed): African From Early Times To 1800. London, Oxford UnVin Press, 1968
- Clark, W.E.le G.: The Fossil Evidence For The Human Evolution. Chicago, Univ. Of Chicago Press, 1956
- Coom, C.s: The Origin Of Races. London, Jonathan Cape, 1963
- Feder, Kenneth L. : Human Antiquity; An Introduction To Physical Anthropology And Archaeology. 3 Rd. Ed. Montain View Calif., Mayfield pir. Co., 1996
- Gate, R.R.: Human Ancestry From A Genetical Point Of View. Cambridge, The Univ. Press, 1948.
- Gowlett ,J.: Ascent To Civilization. London, Collins, 1984.
- Jolly, Clifford J. : Physical Anthropology And Archaeology, New York, Mcgrow-hill, 1995
- Leakey, L.S.B.et.el.: Age Of Bed I, Olduvai Gorge, Tanganika. Nature , Vol. 191, No 4787, 1961, p. 478-479.
- Yurco, Frank J.: The Ancient Egyptians. Chicago, 1992
- Montagu, A.: Man, His First Million Years. New York, The World Puplishing Co., 1975
- Morgan, W.T.(ed.) : East Africa, Its Peoples And Resources. 2nd. Rev ed. Nairobi, Oxfoed Unive. Press, 1972.
- Phillipson, D.W.: African Archaeology. Cambridge, The Univ. Press, 1985
- Roberts, J.M.: The Earliest Men And Women. London, Penguin Books, 1980
- Robertshaw, P.: A History Of African Archaeology, London, 1990
- Shewika, F.A.G.: Side Light UpOn Prehistoric Man And His Civiliz - ation In North East Africa. African Review, Vol. 8, 1979, p. I - 56

افريقيا مهد الأنسانية

إعداد

أ.د. محمد السيد غلاب

القاهرة

١٩٩٧

أفريقية مهد الانسانية

١. د محمد السيد غلاب

منذ أن اصدر تشارلز دار وين كتابته المشهور أصل الانواع (١٨٠٩) وأتبعه بكتاب هبوط الانسان (١٨٧١) والبحث جاد عن أصل الانسان وتطوره، وعمما يمكن أن يقال له الوطن الأصلي للانسان. ويعتمد هذا البحث على ما خلفه الانسان من آثار، سواء كانت أنوات أو رسوم أو تماثيل، وعلى ما تبقى منه من هياكل عظمية أو جماجم أو أجزاء منها، وقد عثر على هذه الآثار والبقايا الحفرية فى طبقات الأرض وقد نشأ منذ أقل من قرن علم يجمع شتات هذه المعارف وينظمها، يسمى علم ما قبل التاريخ. وغالبا ما يقتصر البحث فيه على لعصر الجيولوجى الحديث الذى يسمى بعصر البلايستوسين وهو يمثل المليون سنة الأخيرة من عمر الأرض. وقد سمي هذا العصر أيضا بالزمن الرابع، ويمتاز هذا العصر بحدوث ظاهرة تغير المناخ، من الدفء إلى البرد الشديد فى العروض العليا من أوراسيا وأمريكا الشمالية، فى فترات أربع، ومن الجفاف إلى المطر فى العروض الوسطى التى تحتلها الصحراء الكبرى والصحراء العربية فى الوقت الحاضر. ومن ثم فقد شهد تطور الإنسان هذه التغيرات المناخية الكبرى أو ما نجم عنها من تغير فى الغطاء النباتي.

ومنذ أن ظهر الجنس البشرى، ظهرت معه معالم ثقافية، مثل صنع النار وصنع الآلات المختلفة، التى بقى منها ما صنع من الحجارة، وبعض الفنون التشكيلية مثل الرسم والنقش على الحجارة، وغيرها من معالم الثقافات التى يطلق عليها اسم ثقافات العصور الحجرية.

ومن هنا كان لابد للباحث فى موضوع أصل الإنسان أن يلم بعلوم الحفريات أو الأحياء القديمة، وطبقات الأرض، ولا سيما جيولوجية البلايستوسين وأثار ما قبل التاريخ وقد تجاوز البحث فى هذا الموضوع مرحلة التسمية، أو الإستدلال بطريقة الاستبعاد (مثلما فعل الأستاذ فليير فى الثلاثينات، ومثلما فعل الدكتور/ محمد عوض محمد فى سكان هذا الكوكب (١٩٣٦) وأصبح البحث يعتمد اعتمادا تاما على الاثار المادية وعلى الحفريات، سواء كانت بشرية أو نباتية أو حيوانية.

وبين أيدينا الآن سجلا حافلا بالحفريات البشرية، التى جمعت من قارات العالم القديم، وفى كثير من متاحف أفريقية (نيروبي) وأوروبا (المتحف البريطانى ومتحف الإنسان فى باريس، وأسيا تقبع الحفريات الأصلية، أو تعرض نماذج منها. وقد جمعت هذه الحفريات من جماجم أو قطع منها وأسنان وفكوك وهياكل عظمية على مدى ما يقرب من قرن. وحددت المواقع التى عثر فيها عليها، مع ما يكتنفها من بقايا نباتية وحيوانية أو رديم صخرى مما يساعد على تحديد بيئاتها وتاريخها. وقد انتهى العلماء من تحديد مواقع كل منها فى سجل الأحياء وسلم التطور. ويستعرض هذا البحث ما وجد فى القارة الأفريقية من حفريات بشرية بترتيبها الكرونولوجى.

احتفظت طبقات الأيوسين والاوليجوسين بحفريات أقدم الفصائل التى تعتبر أسلافا أول للعائلة البشرانية الكبرى، وذلك فى جبل قطانى بشمالى الفيوم. ويطلق على هذه الحفريات اسم قرد الأوليجوسين المصرى *Oegyptopihecus* وقد انقرض شبيهه القرد هذا، فى نهاية عصر الأوليجوسين أى منذ ٤٠ مليون سنة.

وقد عثر فى إحدى الجزر الصغيرة الموجودة فى خليج كافوندى، شمال

شرقى بحيرة فكتويا على حفريات مخلوق ينتمى إلى العائلة البشراية الكبرى، وترجع إلى عصر الميوسين، قبل ١٨ مليون سنة، وهذا المخلوق يمشى على أربع، ويعتقد أنه السلف المشترك لكل من عائلة القرود العليا والإنسان. وقد أطلق عليه أسم بروقتصل.

أما العائلة البشراية، فقد ظهرت وتطورت فى عصر البلايستوسين أو الزمن الرابع وتشمل جنسين كبيرين، هما البشريات الجنوبية *Oustrcilopihecus* والجنس البشرى *Genus, Genera Hominodea Homo*

- والجنس ينقسم بدوره الى أنواع: *mx Species*

عثر عام ١٩٧٤ فى إقليم عفار شرق افريقية على أقدم حفريه تنتمى إلى البشريات الجنوبية أطلق عليها اسم لوسى، كما عثر على حفريات بشرية مشابهة فى إقليم أومو فى أثيوبيا ولا يتولى فى تنزانيا. وقد أطلق عليها جميعا اسم القرود الجنوبي العصرى. *Oustralopithecus afarensis*

وكان هذا المخلوق يسير على قدمين، ولكنه دقيق الجسم، وله مخ صغير، ولكن ذراعه طويلان ويعتبر الهيكل العظمى للوسى هو أقدم هيكل بشرانى عثر عليه حتى الآن

وتتسم عظام حوض هذا المخلوق بالضيق مقارنة بعظام حوض الإنسان الألى. ويقدر عمره بنحو ٤ - ٢,٥ مليون سنة مضت وقبل أن ينقرض ترك المجال لجنس آخر من البشرايات اسمها *Oustralopithecus boisei* عثر على معظمها فى جنوب أفريقيا.

البشریات الجنوبية Oustralopithecus

تلقي عدة اكتشافات حفرية أجريت في جنوب أفريقية، منذ عام ١٩٢٥ أضواء كاشفة عن أصل الإنسان فقد عثر الأستاذ دارت A.R.Dort من جامعة جوهانسبرج على اكتشاف هام، هو بقايا جمجمة لمخلوق بشري يشبه القرد مع تفرغ كامل لداخل الجمجمة نفسها. وتحفظ الجمجمة نفسها بالأسنان اللبنية كاملة وبعض الأسنان البالغة وكانت مطمورة في طبقات من الصخر الرملي داخل كهف تاونجز Taungs في بتشوانا (مقاطعة الكاب) وهذا الكهف يقع على بعد ١٢٨ كيلو مترا شمالي كمبري. وقد أطلق دارت على صاحب هذه الجمجمة القرد الجنوبي، إذ وجد فيها اقترانا عجيبا لصفات قردية وصفات بشرية عامة.

بعد ذلك اكتشف بروم R. Broom حفرية أخرى في استركفونتين -Sterkfontein على بعد ١٢ كيلو مترا شمال غرب كروجز دورب. Krugers dorp وعلى بعد ٦٥ كيلو مترا شمال غرب جوهانسبرج. وقد درس بروم روبنسون J.T. Robinson هذه الحفرية التي كانت لجزء من عظام الوجة، وقليل من الأسنان وطرف عظمة الساق. وفي العام التالي اكتشف جمجمة تكاد تكون كاملة جزء كبير من عظام الوجة وعظام الجمجمة والفك وعدة أسنان وهذه الجمجمة تختلف عما وجد في تاونجز. وقد أطلق عليها اسم قريب البشر الترانسفالي Plesianthropus ونلاحظ هذا أن العلماء قد بدعوا يطلقون على هذا الجنس اسم البشر أو البشرانيات وقد أظهرت كشوف كرون راى -Krondraai على بعد ١٢ كيلو مترا شمال غرب كروكرز دورب. Krugersdorp عدة حفريات بشرية درسها بروم (١٩٤٠) منها عظمة الساق، وبعض الضلوع، لمخلوق أطلق عليها بروم اسم Paranthropus robustus

وفى عام ١٩٤٩ عثر فى سوار تكرانس Swartkrans على بعد ١٠ كيلو مترات شمال شرقى كروجرزد روب فى ترانسفال على أجزاء من جماجم عديدة لهذا المخلوق كما عثر بروم وروينسون على حفريات أطلق عليها اسم قريب البشر Yeleantropus أيضا

وتشاهد اكتشافات كهف مكابانسيان Mawapausgat (١٩٤٥ — ١٩٤٧) على تحديد الفترة الزمنية التى أرسبت فيها طبقات الجير ووجدت الحفريات البشرية مطمورة منها. وقد استنتج دارت منها أنها ترجع إلى الفترة الفاصلة بين عصرى البلايوسين والبلايستوسين، وهى الفترة المعروفة فى حوض البحر المتوسط بفترة فيلا فرانشيا.

وقد اكتشف كول لارس L.Kohi Larseu فى الشاطئ الشمالى الشرقى بحيرة اياسى، فى مكان اسمة جاروزى Garusi بتنزانيا على فك مطمور فى ركام يعتبر الطبقة الأولى مخانق أولاد قاي (بدء الفترة المطيرة الكاماسية). وقد أرجعها لارس عام ١٩٤٣ لجنس البشرىات الجنوبية، ولكن أبحاث فينرت H.weinerc ريمان A. Remau (١٩٥٠ - ١٩٥١) يريان أنها المقابل الافريقى لنظيرة فى جاوة، وأنه أشبه بقريب البشر فى جنوب أفريقيا.

وقبل أن نترك الحديث عن هذا الجنس الذى يعرف عامة بالبشرىات الجنوبية Oustralopithecies يجدر بنا الإشارة الى حفرية تنتمى له، ووجد معها بقايا من رماد النار، مما يدل على أن صاحبها عرف صنع النار، وقد طلق عليها روينسون وبروم اسم صانع النار Prometheus

أشرنا إلى محاولة العلماء معرفة العصر الذى ينتمى إليه حفريات هذه البشرىات الجنوبية، وأنها ترجع إلى أواخر البلايوسين وأوائل البلايستوسين أى

ما بين مليونى ومليون سنة مضت: وتمتاز هذه الحفريات بعدة ميزات ترفع صاحبها من مستوى القردة فسطح مخة أكثر تعقيدا من مخ القردة العليا، وحجم جسمة أكبر من حجم الشمبانزى، ولكن ضخم وبارز، وأخراسة كبيرة، والجمجمة فى شكلها العام لا تختلف عن جماجم القردة العليا، ولكنها تختلف عنها من ناحية هامة، وهى منطقة اتصالها بالهيكل العظمي، إذ أنها أسفل قليلا من مؤخرة جماجم القردة العليا. وتشبه فى ذلك حفريات الأنواع البشرية البائدة الزخرى، وهى صفة أقرب إلى البشرية، وأرقى من القردة ويبدو صاحبها منكفئا على وجهة بينما تركز هامات البشر الآن عمودية على الهيكل العظمي، على أن شكل الجبهة لدى هذه البشرى الجنوبية كانت أقرب إلى حياة البشر منها للقردة، فعظام الحجاجين بالرغم من ضخامتها إلا أنها أقل ضخامة من مثيلتها لدى القردة العليا ومن صندوق المخ أكثر ارتفاعا فى مستواه من صندوق المخ لدى القردة العليا.

أما من حيث الأسنان، فإنه يلاحظ أن ناب هذه المخلوق أصغر بكثير من أنياب القردة العليا، كما أن قواطع أصغر نسبيا من قواطع القردة العليا، وكانت أفراسة مسطحة مما يدل على أن حركتها فى المضغ كانت تشبه حركة الأخراس فى الإنسان الحالى. وكان ترتيب الأسنان عنده على شكل قوس ويشبه ترتيبها عند الإنسان الحالى

جدول يبين أنواع البشريات الجنوبية
وأماكن العثور عليها

المكان	الاسم	المكتشف	
Taings	Africanus	Oustralopihecus	Dart
Makapan	Prometheus	Oustralopithecus	""
Stenk fontein	tramsvaolensis	Plesianthropus	Broom
Kromdraai	Robustus	Plesianthropus	""
Swartkrans	Crassidens	Paranthropus	""

على الرغم من ضخامة الأسنان والأنياب والأخراس في هذا المخلوق بالمقارنة مع الإنسان العاقل، إلا أنه كانت في ترتيبها تشبه الأسنان البشرية الحالية لا شك في هذا. إنما الجدل في دلالتها. فقد قيل أن هذا الكائن كان قردا بشريا من نوع بدائي سار في تطور خاص، وتخصصت بعض صفاته تخصصا مستقلا ولكنه اكتسب مظهراً بشريا. فهو اذن لا يمت إلى الإنسان العاقل (الحديث). بصلة وليس تمت قرابه تربطهما. ومن ناحية أخرى فهناك فريق من العلماء يرى أن دراسة حفريات هذا الكائن تدل على أن هناك بعض نواحي شبه بينه وبين الإنسان، وأن هذه النواحي من التعدد والتخصص والدقة في التفاصيل بحيث لا يمكن اغفالها وبحيث تدفعنا إلى أن نعتقد بأنها لابد وإن كانت خطوات في سبيل التطور نحو الإنسان العاقل. فهناك تركيب قاعدة الجمجمة القريبة من البشرية، وهناك صفات الأسنان وترتيبها التي اتخذت شكل قوس بينما هي في القردة العليا على شكل مستطيل، وإذا كانت هناك أي إثارة من شك في هذا الاستدلال فانه لا يلبث أن يتبدد من اكتشاف أجزاء من الهيكل

العظمى، فقد عثر على بعض العظام والفخذ والقصبة وعظام رسغ القدم ولوح الكتف، وبعض عظام الأطراف، وهذه الأخيرة ذات دلالة كبيرة، لأن كلا من عائلة القردة العليا والعائلة البشرية قد اختط طريقة خاصة فى تطوره

ومن مظاهر الاختلاف بين البشريات الجنوبية وبين القردة العليا شكل عظام الحوض. فهى فى القردة منبطحة ومستطيلة بينما هى فى الإنسان عريضة لكى تتلام مع قامة الإنسان المنصبة. فعظام الحوض العريضة لدى الإنسان تتصل بعضلات المعجز القوية، ومن ثم تستطيع أن تحتل ثقل مضغفة الأعلى عندما يقف منتصباً، وعندما يسير أو يتحرك، كما أنها تستطيع أن تحتل عضلات البطن فى وضع رأس. وفى هذا يبدو أن عائلة البشريات الجنوبية، بشرية الصفات تماماً، وليس فيها ما يشبه أى قرد موجود حالياً: وبعبارة أخرى نستطيع أن نستنتج من عظام المعجز أن ذلك الكائن كان يقف على قدمية تماماً. وكان يسير كما يسير الإنسان. وهذا الإستنتاج يتفق مع وضع فقرات الرقبة واتصالها بالجمجمة، كما أنه ينسجم مع شكل عظام الفخذ كما أن عظام الساعد تبدو بشرية تماماً وليست قروية.

ويستمر الأستاذ كون فى وصف تفصيلات تشريح البقايا الحفرية للبشريات الجنوبية فيبين أن عظمة الرسغ فى هذا الجنس تجمع بين بعض صفات البشر وبعض صفات القردة. فهى العظمة التى ينتقل فيها ثقل الجسم من قصبة الساق إلى بقية القدم هذه العظمة لدى هذا الجنس متسعة إلى حد يشبه مثيلاتها فى القردة. ويبدو أن إبهام القدم كان منفصلاً عن بقية الأصابع بحيث استطاع أن يلتقط الأشياء به كما تفعل القردة الآن.

لقد بلغ الشبه بين هيكل هذا المخلوق وبين الهياكل البشرية حداً جعل بعض العلماء يشك فى أنها خليط من هياكل بشرية وجمام قرود، ولكى ننفى هذا

الشك ينبغى أن نذكر أن عظمة الحوض مع بعض عظام الأطراف والضلوع وجدت فى أحد المواضع مقترنة بإحدى الجماجم كما وجدت فى مواضع أخرى عظام الفخذ ولوح الكتف وعظام القدم مع جمجمة أخرى، اذن فلا داعى لهذا الشك ولا بد أن نعترف بأن هذه العظام وتلك الجماجم تنتمى لمخلوق معين من جنس واحد. وأن هذه المخلوقات كانت لها عظام وأطراف تشبه نظائرها لدى الإنسان، وتختلف تماما عن نظائرها لهذه القردة ولاشك أيضا بأن هذا الكائن كان يستطيع أن يقف ويمشى على قدميه كما يفعل الإنسان، بالرغم من صغر حجم مخة وعظم فكته. ومن المهم مقارنة هذه الصفات بالظروف المناخية والنباتية التى كان يعيش فيها، فهو لم يكن يعيش فى بيئة غابات مثل القردة العليا ولكن فى ظروف مناخية جافة لا تسمح بنمو الغابات ومن ثم تكيفت صفاته مع ظروف حياته على الأرض، وإذا كان هذا الكائن دقيق الحجم فربما كان أشبه بالسلالات القزمية من نوع الإنسان العاقل.

هذا العدد الكبير من العظام والجماجم التى عثر عليها فى جنوب افريقيا لهذا الجنس البشرى تسمح لنا باعداد تصور شكله العام، فقد كان أصحابها بشرا له قامة قصيرة ومخ لا يزيد حجمه عن حجم مخ الغوريلا أو الشمبانزى.

وفك قوى، لهم بعض الصفات البشرية وجمجمة أقرب فى تفاصيلها إلى جماجم الإنسان منها إلى جماجم القردة وأسنان بشرية (على الرغم من ضخامة حجم الأضراس الأمامية والأضراس الخلفية) ولم تكن لهم أنياب بارزة كأنياب القردة العليا الحالية وأهم من هذا فإن أطرافهم كانت تشبه أطراف البشر ولا شك أن أغرب ما فى هذه الكائنات هو حجمها بين مخ القردة وأطراف البشر.

إذا كان تقديرنا لعمر البشريات الجنوبية صحيحا من أنه يرجع الى عصر

البلايوسين، فإنه يتضح اذن أن ظهور البشريات Hominidae وتطورها قد بدأ من ذلك العصر وأن هذا التطور قد سار قد ما نحو ظهور بعض ظهور صفات بشرية لا ريب فيها، وخصوصا فى الأطراف، أى أن تطور الأطراف (بما فيها الحركة والسير على قدمين وتطور الأصابع) نحو البشرية كان أسرع من تطور المخ. ويبدو أن هذه الظاهرة كانت مشتركة فى جميع الثدييات ومن هذا يتضح أن اتساع المخ ونحوه كان تاليا لكحال الأطراف، بل كان متأثرا بها

والآن ما هو مركز البشريات الجنوبية، أو القرده الجنوبية كما أطلق عليها وقتنا ما إن الأستاذ لى جروكلارك لا يشك فى أنها تنتمى إلى البشريات وقد حاول بعض العلماء فى وضعة مع البشريات Honindae أو البشريات أى القريبة من البشر Homoidae

ولكن ما هو الإنسان تعريف الإنسان وظيفى وليس تشريحي الانسانية كما نفهمها هى القدرة على الكلام والقدرة على صنع الآلات واستخدامها.

وفى هذا الصدد نذكر أن الدكتور ليكى وزوجته عثر فى ١٧ يوليو ١٩٥٩م على ٢ أسنان بشرية وجمجمة تنتمى لهذا الجنس فى موضع بخانق اولد فاي Olduvai فى شرق أفريقيا، كما عثر فى نفس الوضع على آلات حجرية بدائية وميزابها أولى مراحل العصر الحجرى القديم فى أفريقيا وكانت هذه الآلات ملقاه على الأرض فى نفس المستوى الذى كان الإنسان يعيش فيه ومعها عظام حيوانات أخرى مما كان يصيده.

وقد وصف ليكى هذه الجمجمة، وأطلق عليها إسما محليا يثير البلبله هو الإنسان الزنجى Zinjanthropue (ويجب أن لا تخلط بينة وبين الزنجى الحالى) إلا أن صفات هذه الجمجمة لا تختلف كثيرا عن صفات البشريات لجنوبية. ولكن

المهم أنه كان يستخدم الآلات ويصنعها وهذه هي القرينة التي كانت تنقص الباحثين لكي يحكموا على بشرية هذه الحفريات. ومادام قد عثر على الآت حجرية مقترنة بهذه الحفريات فهي إنسانية لا شك فيها حسب التعريف الوظيفي للإنسان فإذا أضفنا إلى هذا قرائن سابقه، مثل العثور على جماجم نسانيس مهشمة الجبهة كما لو كانت قد ضربت بسلاح دقيق معين والعثور على عظام محترقة، مما يدل على أن هذا المخلوق كان يستخدم النار وكان يقدها، فإننا نستطيع أن نقرر مطمئنين أن ما يسمى يوما بالقرود الجنوبي، لم يكن قردا، ولم يكن شبيها بالإنسان ولكنه كان بشرا سويا.

وأخيرا هل هناك علاقة نسبة بين هذا المخلوق وبين الإنسان للإجابة على هذا السؤال لابد من مواصلة البحث التشرىحي فى حفرياته وبقاياه من عظام وجماجم من ناحية، ولابد من التأكد من العصر الجيولوجى الذى تنتمى إليه من ناحية أخرى، فإذا كان حقيقة يرجع إلى عصر البلايوسين فربما كان حلقة وسطى فى تطور الإنسان من قرد أعلى، وأما اذا كان راجعا الى عصر البلايستوسين فلا يمكن أن يكون جسدا للإنسان، إذ أنه سيكون أحدث عمرا (مليون سنة) من أن يمثل هذا المركز، وعندئذ لا محيىض من أعتباره تطورا جانبيا لم يلبث قليلا حتى انقرض.

نوع الانسان منتصب القامة

منذ أقل من قرن عثر مهندس هولندى على بعض الحفريات البشرية فى وسط جزيرة جاوة، كانت تشمل عظمة فخذ، وعظام جمجمة وسنتين وكانت عظمة الفخذ تدل على أن صاحبها كان يسير منتصب القامة، وكانت عظام غطاء الجمجمة مفلطحة من أعلى، وتمتاز ببروز شديد فى عظام الجماجين. وقد أثارت هذه الإكتشافات اهتمام علماء الأحياء المتطورين فأسرعوا باطلاق أسم الإنسان

القرد على هذا المخلوق Pithec anthropus وأضافوا إليه أهم صفة تميزه وهي انتصاب القامة erectus وقد اقلع العلماء بعد ذلك عن تلك التسمية واكتفوا بإطلاق اسم الإنسان منتصب القامة عليه Como erectus

وقد عاش هذا النوع البشرى منذ ١,٦ مليون سنة مضت وظل حتى ٢٠٠,٠٠٠ عام مضت، ومن المحتمل أن يكون قد نشأ في أفريقيا، وانتشر بعد ذلك إلى أوروبا وإلى جنوب شرق آسيا ووصل إلى الصين حيث أطلق عليه اسم انسان الصين أو انسان بكين.

وتمتاز رأس هذا النوع بأنه طويل، ولكن غطاء جمجمته كان منخفضا كما كانت جبهته متقهقرة، وحجم المخ لدية صغيرا (٩٠ سم ٣) وكان هذا الإنسان أقرب الى القصر. وكانت رأسه تتصل بعموده الفقارى من مؤخرة الجمجمة. أى أنه كان يسير منكفئا على وجهه. إلا أنه استطاع أن يصنع آلات حجرية، كما كان يستطيع أن يصنع النار.

وقد عثر على حفريات هذا النوع البشرى فى أماكن متفرقة من شمال أفريقية (الرباط) ومن شرقها (ملكا كونتورة فى إقليم عفار وفى حوض نهر أومو وفى كينيا (خانق اولد فاي) وفى تنزانيا وفى جنوب افريقيا (سوارتكران)

وقد درس فالوا حفريات الرباط التى وجدت مطمورة فى الصخور الرملية التى يرجع تاريخها إلى فترة انحسار البحر التى تلت الفترة الصقلية كما درس نيفيل وروهلماان الآلات الحجرية التى عثر عليها، ووصفاها وهى ترجع إلى العصر الحجرى القديم الأسفل.

كما عثر فى نفس المنطقة (ترنفين) جنوب شرقى مسكرة، على حفريات

بشرية من نفس النوع عام ١٩٥٢ وتابع العلماء التنقيب عن البقايا الحفرية لهذا النوع، ووجدوها فى محجر عند الدار البيضاء عام ١٢٥٥، مقترنة بالآلات حجرية أشولية. ويطلق على هذا النوع أيضا اسم إنسان الأطلنطى *Atlantropus*

ويرجع اكتشاف هذا النوع البشرى إلى الأستاذ ليكى *L.S.B. Leaky* الذى عمل فى شرق أفريقيا فترة طويلة من الزمن. فقد عثر على بقايا فك بشرى على شواطئ خليج كافرندو (شرقى بحير فكتوريا) مطمورة فى طبقات كانام. وعثر أيضا على بقايا اربع جماجم وجزء من عظم الساق عام ١٩٣٢، أثارت كثيرا من الجدل بين الأنثروبولوجيين إذ أن بها شبه قرى بصفات الإنسان العاقل. غير أن الجيولوجى بوزول أثار مسألة عمر بقايا كانجيرا وكانام، كما أطلق عليها. نوع نياندرتال

عثر فى كهف ديرد اوى بمحافظة هرد عام ١٩٢٣ على فك بشرى أرجعة برويل *H. Breuil* وفيرنرت *W. Wernert* الى نوع نياندرتال.. كما عثر فى كهف هوافتيحة على فك سفلى يرجع الى $22,050 \pm$ الى $28,000 \pm$ سنة مضت (باستخدام طريقة الكربون المشع)

وقد أثارت بقايا بشرية عثر عليها بالقرب من بحيرة أياسى كثيرا من الجدل إذ أن صفاتها أرقى من صفات الإنسان منتصب القامة، وقد أطلق عليها اسم إنسان أياسى، وهى تنتمى إلى نوع نياندرتال وعثر معها على الآت حجرية موستيرية (العصر الحجري القديم المتوسط) كما عثر معها على نباتات ترجع إلى الفترة المطيرة الجامبية.

ويعتبر العثور على جمجمة بروكن هل *Broken Hill* عام ١٩٢١ أول كشف لنوع نياندرتال فى أفريقيا، وقد أطلق عليها أرمسترونج *A.S. Ormstrong*

(١٩٢١)، وهو لاشيا A.Herdilia'a (١٩٢٥) اسم انسان رود يسيا وقد انتهت الأبحاث الأركيولوجية والفيزيوغرافية إلى أن إنسان روديسيا معاصر للعصر الحجري القديم الأوسط، ويرجع تاريخه إلى الفترة المطيرة الجامبية وتنتمي هذه الحفريات إلى نوع نياندرتال، والجمجمة مستطيلة وحجم المخ ١٤٠٠ سم^٣ وعظام الحجاجين فيها ضخمة، كما أن جبهتها متقهقرة جدا، أما الإنسان فهي بشرية تماما. وتستقر الجمجمة فوق العمود الفقري كما تستقر جمجمة الإنسان الحديث فوقة. ولذلك فهو يسير بشكل أكثر اعتدالا من النوع السابق له (الإنسان منتصب القامة). كما أن عظام الأطراف لدى هذه الحفريات شبيهة بعظام أطراف الإنسان الحالي.

وعثر على جمجمة أخرى من هذا النوع البشري في سالدانها وفي فلوريسباد في جنوب أفريقية.

وفي عام ١٩٣٩ عثر كارلتون كون على فك لطفل في منطقة كهف هرقل، على ساحل المحيط الاطلنطي بالقرب من طنجة، وعثر معها على آلات حجرية ليقالوازية مستيرية (العصر الحجري القديم الاوسط)، وعلى آلات صخرية عاطرية (نهاية العصر الحجري القديم الاوسط) وهذه الحفريات تنتمي إلى نوع نياندرتال أيضا، كما أنها أيضا ترجع إلى الفترة المطيرة الجامبية.

نوع الإنسان العاقل Homo Sapiens

عثر ريك. H.Reck في المستوى العلوي لخانق اولدوفاي على هيكل كامل لإنسان مدفون وهو في وضع يشبه وضع الجنين في بطن أمه. وعثر معه على آلات حجرية شيليه (العصر الحجري القديم الأسفل) ويرجع تاريخها إلى الفترة المطيرة الكاماسية. وقد أطلق عليه اسم إنسان ألدوفاي.

وقد عكف جيزلر W.Geisler وموليسون Th. Mollison على دراسة هذه الحفرية. ووجدوا أنها لإنسان طويل القامة، ذكرتها بالماساي المعاصرين الذين يسكنون شرق أفريقيا في الوقت الحاضر وجمجمة إنسان اولدوفاي هذا طويلة، ووجهه مستطيل، وبفكة بروز طفيف.

واكتشف الأستاذ ليكي وزوجته بوبي A.I Pooppy عام ١٩٤٠ على ساحل بحيرة نايقاشا، عددا كبيرا . لعظام مقترنة بالآلات حجرية قفصية (العصر الحجري القديم الأعلى) مطمورة في رمال الشاطئ وهي تحتل صفات مشابهة للإنسان العاقل الذي ينتمي للعصر الحجري القديم الأعلى في أوروبا، أي يشبه الإنسان كرومانيون وكومب كامل، الذي عثر عليها في إقليم نوردي بفرنسا

كان ليكي قد عثر على بقايا خمسة هياكل عظمية، بعضها تكاد تكون كاملة في كهف جامبل عامي ١٩٢٧ هـ ١٩٢٩ بالقرب من بحيرة اليمينتيتا Elementita وهي تشبه بقايا انسان اولدوفاي وكانت لرجال طوال القامة.

كما كان ليكي قد عثر على فك في محاجيرا بالقرب من كاتام على الشاطئ الشرقي لبحيرة فكتوريا عام ١٩٢٢، وهي بقايا إنسان حديث بلاشك وهي تدل على قدم الإنسان العاقل في أفريقيا.

وعثر ديرير T.F. Dreyer على جمجمة مقترنة بالآلات حجرية تنتمي إلى العصر الحجري القديم المتوسط في فلوريسباد بجنوب أفريقيا عام ١٩٢٢. وهذا الموقع يبعد عن بلومفونتين بنحو ٥٠ كيلو مترا في ولاية اورنج. وهذه الجمجمة تنتمي أيضا إلى الإنسان العاقل.

اللافت للنظر أن حفریات الإنسان العاقل الأولى في أفريقية تشير الى أنها

جميعا ترجع إلى سلالة واحدة، هي السلالة التي أطلق عليها كون اسم سلالة العصر الحجري القديم الأعلى، وهي تضم ما وجد في كومب كابل وكرومانيون في أوروبا، كما تشمل ما عثر عليه في مشتي العربي وطنجة في شمال أفريقيا، وما عثر عليها في كانجيرا في شرق أفريقيا. وأنها أيضا طلائع ما يسمى بالسلالة القوقازية أو البيضاء. ولم تظهر الصفات الزنجانية إلا فيما بعد، في العصر الحجري المتوسط

في عام ١٩٢٧ عثر مونود Th. Monod وبزنارد W.Beanard على هيكل عظمياً متحجراً بالقرب من أسيلار على بعد ٢٠٠ كيلو مترا شمال شرقي تمبكتو، في رواسب وادي تلمس، رافد قديم جاف لنهر النيجر. ويظهر مما عثر على هذه الحفرية من نبات أو حيوان أن صاحب هذا الهيكل قد عاش في عصر ما بعد الجامبلي. وقد درس فالوا وبول M.Boule عام ١٩٢٢ هذا الهيكل، ووجدوا أنه لرجل في منتصف العمر طولة ١٧٠سم ويحمل صفات زنجانية، منها طول الأطراف، والرأس الطويل، والأنف الأفتس والفك البارز. إلا أن هذه الصفات الزنجانية لا تقارن بصفات السكان الزنوج الذين يعيشون في المنطقة في الوقت الحاضر، وأنه أقرب إلى صفات البوشمن والهوتنتوت والبانتي في جنوب أفريقية، وهناك شبه بين صفات أسيلار وصفات جريبي لدى الذي عثر عليها في جنوب أوروبا مكان يعيش في العصر الحجري القديم الأعلى. ويبدو أن صفات السلالة الزنجانية قد بدأت الظهور في العصر الحجري المتوسط جنوبي الصحراء الكبرى.

وقد عثر أركل A.I.Arkel وديبونو F.Debono على ١٧ هيكل عظمياً بالقرب من أم درمان وهي جميعا للسلالة الزنجانية وترجع إلى العصر الحجري المتوسط أيضا كما ظهرت الحفائر التي أجريت في مواضع عديدة من جنوب

أفريقية عدة حفريات بشرية ترجع إلى نفس العصر منها جمجمة فلوريسباد التي عثر عليها في بلومفونتين Blomfontein في ولاية اورانج، وهي جمجمة تحمل صفات استراليانية ومنها أيضا هياكل فلاتس بالقرب من مدينة الاب، وما عثر عليه في كهف بورد وبوسكوب Baskop وقد كانت الحفريات الأخيرة محل دراسة عدد من علماء جنوب أفريقية مثل سميث (١٩١٦) وهوتون (١٩١٧) وبروم (١٩١٨) وهذه الحفريات تحمل صفات شبيهة بصفات جمجمة كرومانيون الأوروبية، ولفتت أنظار العلماء بضخامة حجمها وكبر حجم المخ فيها (١٧٠٠سم - ١٩٠٠ سم) الجبهه العمودية. وقد عثر أيضا في زيمبابوى على حفريات بشرية ترجع إلى أواخر العصر الحجري.

وقد أظهرت حفائر مرمدة بنى سلامة فى مصر السفلى وحفائر العمرى والبرارى ومستجده فى مصر العليا وغيرها من مواقع عصر ما قبل الأسرات حشدا كبيرا من الحفريات البشرية ترجع الى هذا العصر (الذى يعاصر العصر الحجرى الحديث) وقد درس فوكز برجر F.Falkenburger (١٩٤٧) ووجد أن ثلثها تحمل صفات كرومانيونية و٢٠٪ خلاسية بين الكرومانيون والزنجانية.

والخلاصة أن أفريقية، ولأسيما اقليم البحيرات الكبرى كانت أثناء الزمن الثلاثى مركزا هاما للبشرانيات. ولذلك لم يكن غريبا أن تظهر فى جنوب أفريقية فى نهاية هذا الزمن وبداية الزمن الرابع مجموعة جنس البشر الجنوبيين Australopithecoids ليس من المؤكد ما أن كان هذا الجنس خطوة فى تطور البشر، أو أنه كان تطورا جانبيا انتهى بالإنقراض، وترك المسرح للجنس البشرى. ولم يقتصر ظهور البشر الجنوبيين على جنوب أفريقية فحسب، بل من يمثله فى شمال أفريقية، تلك الحفرية التى أطلق عليه أرامبورج Orombourg اسم إنسان الاطلنطى الموريتانى *Atlantropus mouritanicus*

وقد ظهرت أنواع الإنسان الثلاثة الرئيسية فى أفريقيا ويؤكد علماء الأنثروبولوجيا أن كلا من هذه الأنواع ظهر أولاً فى القارة الإفريقية، ثم انتشر منها إلى أوروبا وإلى آسيا وأستراليا فنوع الإنسان منتصب القامة -Homoere-tus قد عثر على بقاياها فى شرق أفريقيا وفى شمالها (فى الرباط).

أما بقايا نوع نياندرتال فقد كان أوسع انتشاراً، ويرى بعض العلماء أن قريب البشر *Telearthropus* الذى عثر عليه فى سوارتكرايز يحمل صفات نياندرتاليه

وقد استمر نوع نياندرتال فى أفريقيا منذ أواخر الفترة المطيرة الكاماسية الأولى حتى نهاية الفترات المطيرة، وقد انتشر على طول القارة الإفريقية وعرضها من طنجة شمالاً حتى الكاب فى جنوب إفريقيا جنوباً، وانتشر أيضاً فى شرق إفريقيا (اثيوبيا) وفى وسطها (ملاوى).

وأخيراً فقد عثر على حفريات الإنسان العاقل فى كينيا فى عصر مبكر، خلال الفترة المطيرة الثانية، وهى تعاصر فترة جليد الرس الأوربية.

كما عثر على بقاياها فى شمال أفريقيا وتشبه صفات هذا الإنسان صفات السلالة القوقازية التى كانت تعيش فى العصر الحجري القديم الأعلى.

ولم تظهر السمات الزنجابية إلا فى العصر الحجري المتوسط، وذلك فى هيكل اسيلار، على حافة الصحراء الكبرى الجنوبية.

لمحات عن دراسة السلالات البشرية الحالية في القارة الأفريقية

(شويقة)
أ.د.

فاروق عبد الجواد شويقة
إستاذ الأنثروبولوجيا
ورئيس القسم السابق

و

(غلاب)
أ.د.

محمد السيد غلاب
إستاذ الجغرافيا
وعميد المعهد السابق

القاهرة

معهد البحوث والدراسات الأفريقية

١٩٩٧

مقدمة

دراسة السلالات البشرية هي الدراسة البيولوجية للجماعات البشرية، لذلك فهي تدرس الفروق الجسمانية بين المجموعات البشرية الكبرى والصغرى وتتدرج حتى تدرس الفروق بين الأفراد، بل وحتى السمات البيولوجية الشخصية.

لذلك تعتبر الدراسة العلمية للسلالات البشرية مرحلة تالية وتابعة للدراسة البيولوجية التي تتضمنها الأنثروبولوجيا الطبيعية تلك التي تتسع لتشمل نشأة وتطور وتأقلم الإنسان (الأفراد والجماعات) مع البيئة الطبيعية المتغيرة خلال الزمان.(١).

والسلالات البشرية الحالية ما هي إلا نتاج ذلك، خاصة سلالات القارة الأفريقية، وهذه القارة التي عرفت عنها بقينا الآن أنها كانت الموطن والمنشأ الأول للبشرية في العالم وفي التاريخ(٢).

ودراسة السلالات البشرية كانت تدرسها علوم كثيرة منها فروع الطب خاصة التشريح والفسولوجيا والباثولوجيا، وفروع علم الحيوان خاصة التشريح المقارن، والتاريخ عندما كان يهتم بالرحلات وغرائب الشعوب ثم جغرافيا تلك التي كانت تعنى بوصف البلاد والعباد، ولكن مع ظهور الأنثروبولوجيا أصبحت هي الأحق بها وأهلها، ولأنها بفروعها المختلفة هي الجانب البشرى من الجغرافيا المعاصرة، شأنها شأن الموارد الطبيعية تلك التي أصبحت بفروعها المختلفة هي الجانب الطبيعي من الجغرافيا المعاصرة أيضا.

ولكن لما هذا التطاحن، فبحر العلم واسع، فلينزله الجميع وليستخرجوا كل مفيد من عطايا الله كي يفيدوا عباده وعبيد على السواء.

السلالات والاثروبولوجيا:

قيل أن الإثنولوجيا Ethnology هي العلم الذي بدء بدراسة مراحل

تطور الإنسان في مساره الثقافى والحضارى ثم إستخدام دراسة وصف وتصنيف الصفات الجسمية للسلاسل البشرية، ثم أصبح منذ بدايات القرن العشرين يدل على الدراسة التحليلية للثقافات والحضارات الإنسانية ودراسة النظم الإجتماعية للمجتمعات غير الأوربية والثقافية بوجه خاص (٣).

والحقيقة أن الأنثروبولوجيا ظلت قسما من الجغرافيا حتى عام ١٨٦٦ عندما إنتقل نشاطها الى الأنثروبولوجيا، ذلك العلم الذى أخذ يتبلور ويأخذ طريقه فى الظهور خلال الفترة ١٨٢٥-١٨٥٩، على أيدي باحثين كانوا فى الأصل من البيولوجيين وانتهوا جغرافيين وأنثروبولوجيين، ولكن يبدو أن هذا جيل قد قارب على الإنقراض، لولا بقية تحاول الحياة من خلال الإهتمام بموضوعات الإيكولوجيا البشرية Human Ecology ذلك العلم الواسع الكبير ذا الأهمية والمستقبل (٤).

وكما أن كتابة ورواية التاريخ ليس علما، وإنما العلم هو تحليل الأحداث وتعليلها وربطها، كذلك كانت الجغرافيا والوليد والمولود البكر والأول للتاريخ فهى علم وصف مظاهر الأرض وتحليلها وربطها، أما تفاعلها مع الإنسان فهو من أهم موضوعاتها إن لم يكن أهمها على الإطلاق، ومن هذه النقطة ظهرت الأنثروبولوجيا الإيكولوجية فهى بخاصة تدرس أثر البيئة على الإنسان ومنها أيضا خرجت الإيكولوجيا البشرية (٥).

وهكذا نجد أنه كما خرجت الجغرافيا من عباءة التاريخ خرجت الأنثروبولوجيا من وعاء الجغرافيا، لذا كانت دراسة الأنثروبولوجيا الذى يتولاها حاليا- فى مصر على الأقل لظروف معينة وخاصة ووقتيّة- الإجتماعيون (من قسم الاجتماع)، يصعب عليها أن تنجح دون الاستعانة الجادة والأمينة والواعية والدائمة بالتاريخ والجغرافيا موضوعا ومنهجاً وفكراً وتخطيطياً- حيث يمثل متصل الجميع دراسة الإثنولوجيا فى صورتها الجديدة المستقبلية.

هذا وكان تقسيم ليناوس Linnaeus, C (1707-1778) أول تصنيف للجنس البشرى وللنوع الإنسانى حيث قسم ناس الأرض على قاراتها الأربع التى كانت معروفة فى ذلك الزمان فكان أن أطلق عليهم، الأوربيون، والآسيويون، والأمريكان الحمر والأفريقيون، ثم جاء بعده بلومباخ -Blu menback, J. (1752-1840) فقسم سكان العالم الى خمسة مجموعات هى ما أطلق عليها: القوقازيون، والأحباش والمغول، والأمريكان والملايو^(٦).

وقد إعتمدت هذه التقسيمات على الفروق الظاهرية البادية للعيان على أفراد هذه المجموعات، مثل لون وشكل الشعر وشكل وقياس بنية الجسم وشكل وقياس الرأس (الجمجمة) مثل صفات أجزاء الوجه كالعين والأنف معتمدة على المقاييس الأنثروبومترية القياسية والأنثروبوسكوبية الوصفية⁽⁷⁾.

وجاء بعد ذلك كثير من العلماء والباحثين الذين أثروا المجال بالكثير من التصنيفات، خاصة بعد بياسوتى Biasutti, R. (1912) وتوزيعاته الجغرافية للصفات الأنثروبومترية والأنثروبوسكوبية، وبحوث بويد Boyad, W. (1902-50) ثم بحوث مورانت Mourant, A.T. ورفاقه فى الدم ومكوناته، حيث إتجهت الدراسات الى مزيد من التعمق، إذ استفادت من قوانين مندل للوراثة وغيرها من البحوث الأخرى بما فيها البحوث الطبية، فظهرت بحوث ودراسات فصائل الدم بمختلف مجموعاتها خاصة مجموعات ABO, MN, RH وغيرها، وهى التى بُنيت على أساسها تصنيف السلالات البشرية على أساس فصائل الدم، مثل تصنيف بويد الذى صنف الجنس البشرى بين ست مجموعات تتميز كل منها بصفات سيرولوجية خاصة بها^(٨).

عزارة السلالات البشرية:

تتمثل عزارة القارة الأفريقية من الناحية الأنثروبولوجية فى ناحيتين الأولى أنها تمثل حتى الآن الموطن المرجح لنشأة الإنسان، والثانية فى أن كل سلالاتها

عريقة فيها حيث نشأت معظمها، ولم تغد إليها من خارجها كما كان يظن من قبل^(٩).

وقد دلت الحفريات على أن الإنسان إرتقى في أفريقيا، فالقرد الجنوبي *Australopithecus* والبشرىات صانعة الآلات التى تحتل موضعا فيما بين القردة العليا والإنسان، كانت تعيش فى أفريقيا الشرقية والجنوبية منذ نحو ٣.٥ مليون سنة. كما عثر على بقايا الإنسان الحكيم (البارع) *Homo Habilis* صانع الآلات والإنسان المنتصب *Homo Erectus* صاحب المخ الكبير أيضا فى هذه المناطق، وإن كانت الأدلة تتباين من مكان الى آخر على تطور الإنسان العاقل *Homo Sapiens Sapiens* الذى ربما ظهر فى القارة منذ مائة الف سنة، وقد ساعدت أدلة البحث الحديثة الجيولوجية والاركيولوجية والانثروبومترية والإشعاعية على أن أفريقيا قد ساهمت مساهمة كبيرة فى ملئ فراغ شجرة تطور الإنسان، بما كشفت عنه حفريات شرق أفريقيا خاصة فى كينيا، حيث كشفت أسرة ليكى عن بقايا عظمية وآلات حجرية للعائلة البشرية الاولى التى ترجع الى نحو ٣ مليون سنة.

والحقيقة أن أفريقيا كانت ومازالت قارة تحوى على أرضها كل النماذج السلالية البشرية الرئيسية فى العالم المعاصر، بل وتلك التى مرت عليها الأجيال خلال عصور التاريخ المختلفة، ففى أفريقيا تحيا المجموعة الزنجية (الكونجولية كما تسمى أحيانا) والمجموعة الكيبوانية تلك المجموعة القديمة التى تتمثل فى قبائل البوشمن والهوتنتوت وأحيانا يضاف إليهما أقزام أفريقيا (النجريلو) فبهذا يتبين أن المجموعتين أفريقيتى الأصل كما أنهما أفريقيتا الإنتشار خاصة الثانية، إذ لانجد لها أى تمثيل خارجها.

وفى أفريقيا أيضا سلالات أخرى تنتمى الى مجموعة ثالثة هى المجموعة القوقازية (القوقازانيون كما يطلق عليهم أحيانا) وهذه السلالات تشتمل على سلالات مختلطة وفدت فى رأى كون Coon, C.S. الى أفريقيا من غرب آسيا وربما من أوروبا خلال الفترة الممتدة منذ ١٢ الف سنة ق.م الى عام

١٢٠٠م، وهؤلاء هم العرب والبربر والكوشيون وبعض شعوب السودان وشرق أفريقيا^(١٠)، ولكن الجدير بالذكر هنا أن هناك رأى آخر قال به بياسوتى Biasutti, R. يقول فيه أن أصل نشأة القوقازيون تم فى منطقة الصحراء الكبرى الأفريقية وأن تلك الصحراء هى منطقة تخصصهم Area of Cha-ractization ومنها إنتشروا الى أوروبا وغرب آسيا^(١١).

هذا وتعتبر منطقة الصحراء الكبرى الأفريقية أيضا موطن السلالة الزنجية حيث كُشف عن أعرق هيكل عظمى فى أسلار Asselar (وتقع فى مالى على بعد ٤٠٠ كيلو الى الشمال من تمبتكو) وذلك عندما عثر برنارد ومونود عام ١٩٢٧ على عظام هيكل إتضح من دراستها أنها لإنسان كانت قامته ١٧٠ سم كما كانت ممشوقة وأن ساعده كان طويلا نسبيا وكذا أطرافه السفلى وأيضا عظام القدم واليد تحمل سمات زنجية^(١٢).

والمرجح فى ضوء ذلك أن القسم الشمالى من الصحراء الكبرى الأفريقية كان موطناً لأرومة السلالات القوقازية، وكما كان هذا القسم الشمالى موطناً أيضا لأرومة السلالات الزنجية، ومن بين الأدلة الموضحة لهذا الرأى وجود عناصر التحنو القديمة (ذات السمات الشقراء) التى كانت تحيا الى الغرب من دلتا النيل ووجود عناصر التحنو القديمة (ذات السمات المخالفة) التى كانت تحيا الى الغرب من صعيد مصر إبتداء من الواحات الخارجة وحتى واحة سليمة وذلك منذ الدولة الفرعونية القديمة (النصف الثانى من الألف الثالث قبل الميلاد)^(١٣).

وإذا أضفنا الى ذلك دور الصحراء الكبرى فى نشأة السلالات الكيوانية وتأصيل سماتها فيها قبل أن تنتقل هذه السلالات الى جنوب أفريقيا حيث عرفت باسماءها العرقية (البوشمن والهونتوت) وذلك بأدلة كثيرة منها الباقى حتى اليوم (عائلة الداوودة فى الواحات البحرية المصرية)، وهى التى مازالت تحمل صفات أنثرومترية كيوانية واضحة^(١٤).

كذلك يمكن القول بإطمئنان شديد أن أفريقيا هي القارة الأم للجنس البشرى والنوع الإنسانى؛ ليس فقط للبشرية الحديثة المعاصرة بل أيضا للبشرية القديمة والحفرية، وذلك بعد ما تم الكشف عنه من حفريات فى مناطق القارة المختلفة خاصة الشمال والشرق والجنوب الأفريقى (راجع أعمال وكتابات: كون، ليكى، غلاب، شويقة).

المجموعات السلافية الرئيسية الأفريقية

كانت ومازالت القارة الأفريقية تضم فوق أرضها أعرق وأقدم السلالات البشرية، كما تحيا فيها نمازجا وأنماطا بشرية متباينة، الى درجة يلاحظ فيها الملاحظ أن ناس أفريقيا ما هم إلا أخلاط أملاط، ولكن الحقيقية التى سرعان ماتظهر بعد نظرة عميقة متأنية، تكشف عن سينفونية بشرية متكاملة تحيا- رغم الإختلاف الظاهرى Phynotype والباطنى Genotype أحيانا- فى تناغم بناء متكامل، لولا مؤثرات وعوامل خارجية تعيق حركة نموها وتقدمها وتنميتها.

فالقارة الأفريقية تضم بين جنباتها وفى أقاليمها الطبيعية والبشرية أقدم السلالات والأعراق والشعوب البشرية ممثلة المجموعات الكيبوانية Capoid Group وفى أقزام أفريقيا Negrillo ثم أحدث السلالات والشعوب الوافدة ممثلة فى قوقازيو أوربا الوافدين إليها خلال وقبل فترة الاستعمار الأوروبى للقارة، وفيما بين أولئك وهؤلاء، هناك السلالات الزنجية بأنماطها المختلفة، والسلالات القوقازية الأفريقية (السلالة البنية Brown Race كما أسماها إليوت سميث) وغيرها من عرب ساميون توطنوا أفريقيا فى حوض النيل الأوسط والأدنى منذ فجر التاريخ.

والقارة الأفريقية ليست متحفا حيا للسلالات البشرية وحسب، بل إنها متحفا للأنثروبولوجيا التاريخية خاصة لعصر ما قبل التاريخ أيضا، فهى بعد كشوف عائلة ليكى Leakey Family فى شرق أفريقيا خاصة فى كينيا،

أصبحت تحل لواء وزعامة النظرية القائلة بأنها مهد البشرية والآدمية والإنسانية، على نفس درجة ومستوى أنها مهد الحضارة (إكتشاف واستخدام النار والزراعة والرعى والفخار والإستقرار).

وكما كانت أفريقيا موطننا للسلالات الأفريقية الأصيلة والعريقة كالكيبوانيون والكونجوليون (الزنوج) وزنوج البانتو، فإنها عند البعض (بياسوتى Biassuti - ١٩١٢) كانت أيضا موطننا للسلالة البيضاء القوقازية (فى الصحراء الكبرى) ومنها إنتقلت الى أوربا شمالا وأسيا شرقا، خلال عصر البلايستوسين، وعليه فإن القارة الأفريقية تكون مهد البشرية ومهد ثلاث سلالات كبرى من السلالات الأربع التي يضمها الجنس البشرى الحالى.

وإذا تتبعنا بعض التقسيمات والتصنيفات العرقية والإثنية لناس أفريقيا^(١٥) نجد أن أولها هو تقسيم سيلجمان Seligman, C.E (١٩٣٥)^(١٦)، وهو التقسيم الذى إعتده محمد عوض محمد ومازال يأخذ به معظم الأنثروبولوجيين:-

(١) القوقازيون Caucasoids

١ - ساميون Semites

٢ - هاميون Hamites

أ - شرقيون: مصريون- نوبيون- صوماليون- بعض الإثيوبيون

ب - شماليون: البربر- الطوارق- التبو- الفولاني

(٢) الزنوج Negroids

١ - الزنوج Negroes

أ - الزنوج القح True Negroes (غينيا- السنغال- السودان

الأوسط)

ب - مجموعات Groups فى مناطق اعلى انهار الكونغو
والنيل وىولى Uele وأويانجى (زانوكى-بونجو)

ج - داما Dama

٢ - الأقرام Negrillos

٣ - خواسان Khoisan

٤ - زنوج ساميون Negro-Samites

١ - أنصاف هاميين Half Hamites (ماساى-ناندى-سوك-توركانا)

ب - النيلون Nilotes

(١) - النيل الاعلى (لوبا Luba - لنو Lendu)

(ب) - النيل الأوسط (شيلوك Shilluk - أنواك Anuak)

- أتشولى Acholi - لانجو Lango

ج - البانتو Bantus

أ - شريقيون Eastern

ب - الوسط Central

ج - بحيريون Interlacurrire

د - غربيون Western

هـ - جنوبيون Southers

ويلاحظ أن هذا التقسيم قد إعتد أساسا على العناصر البيولوجية
(السلالية-العرقية) ثم الأقاليم والمناطق الجغرافية (الإيكولوجية) وأخيراً بعض
العناصر الثقافية خاصة الصفات والسّمات اللغوية التى كانت أساسا فى

تصنيف المجموعات اللغوية الأفريقية وهي التي تعد الأساس الأول في تقسيم الأعراق السلالية الى مجموعات إثنية كمقدمة ومدخل للتقسيمات الإثنية والإجتماعية التالية الأخرى^(١٧).

فالملاحظ أن السلالات البشرية في القارة الأفريقية تتميز بكونها معقلا لكثير من المجموعات البشرية الحالية المنتشرة في العالم، بل إنها تنفرد بون غيرها من القارات ببعض المجموعات المتميزة الفريدة مثل السلالة الكيبوانية^(١٨) التي تحيا في ركن القارة الجنوبي الغربي، بالإضافة الى سلالات مختلفة تكونت نتيجة تزاوج واختلاط تم بين أوعية وراثية Genepools عديدة مثل ذلك الذي حدث في جزيرة مدغشقر، وحدث في بعض مناطق من القارة خاصة قسمها الشرقي.

وبعامة يمكن القول أنه إذا إتخذ تصنيف تيود وسيوس بوبزانسكى Dobzansky, Th. للسلالات البشرية -أساسا- باعتباره من أحدث ما نشر^(١٩)، نجده يقسم الجنس البشرى الى ٢٤ سلالة يوجد منها تسعة (٤٧، ٢٦٪) في أفريقيا، هي: البحر المتوسط، وشرق أفريقيا، والسودانيون، وزنوج الغابة، والبانطو، والبوشمن، والهونتوت، وأقزام أفريقيا، وملونو جنوب أفريقيا. ويتفق هذا الى حد كبير مع تصنيف كون وجارن وبيردسيل (١٩٥٠) وكذلك مع تصنيف مونتاجو (١٩٦٠) وأيضا مع التصنيف الذى نشر عن اليونسكو (١٩٥١).

ويعتبر الزنوج أقدم الأنماط السلالية الأفريقية في مناطق جنوب الصحراء، إذ يرجع تواجدها بالقارة الى عصور ما قبل التاريخ (قبل ٨ آلاف عام ق.م) حيث لم يكن بالقارة الأفريقية من سلالات إلا أربعة أنماط فقط كانوا هم أهمهم وأكثرهم وكان معهم الأقزام والبوشمن والشعوب النيلية الصحراوية، أما في مناطق شمال وشرق الصحراء الكبرى فكان يقطنها المجموعة الحامية/السامية حيث كانوا ينقسمون الى جماعات محلية تتباين لغويا ففي الغرب كان يعيش البربر، وفي القرن الأفريقي فى الشرق كان يحيا الكوشيون والنوبيون، وفي وادى النيل الأدنى والدلتا كان يحيا المصريون^(٢٠).

وحول عام ٥٠٠ ق.م وفدت جماعات عربية سامية من شبه الجزيرة العربية الى الاراضى الأفريقية فيما يعرف حالياً باسم إرتيريا حيث فصلوا الكوشيون فى الجنوب عن البجاة فى الشمال علما أن الإثنان من الحاميين وكان أهم هذه الجماعات السامية تنتمى الى قبيلة حبش العربية حيث أخذت منها الحبشة إسمها، والى قبيلة الأجازى العربية التى أعطت أسمها الى اللغة الأمهرية القديمة المسماه الجعز(٢١).

وهناك المؤرخ الأفريقى الشيخ أنتاديوب السنغالى الأصل الذى يقول فى كتابه "الأمم الزنجية والثقافة" أن الحضارة المصرية القديمة أصلها زنجى، حيث يعتمد على أدلة لغوية قائلًا أن الشكل العدائى للجنس أو السلالة السوداء فى الكتب المقدسة خاصة التوراة؛ وأن أصل تسمية "حام" جاء محرفاً من كلمة "كام" العبرية وتعنى أسود وهى جاءت من كلمة "كيميت" الهيروغليفية بمعنى الأرض السوداء (أرض مصر).

ويحاول أنتاديوب إرجاع أصل الحضارة الفرعونية الى أهالى الوجهة القبلى الذين (كما يقول) وفدوا من إثيوبيا (وهى كلمة يونانية تعنى أرض السود) حيث أنها حضارة عريقة، لذا لايربطها بأهالى الوجهة البحرى الحديثى العهد والوافدين الى مصر والذين يرجئون الى السلالات القوقازية (البيضاء)(٢٢).

ورغم الإنتقادات التى وجهت لنظرية أنتاديوب والتى بناها على أدلة لغوية (كما سبق الإيضاح) وأدلة إجتماعية (الختان-سلطة الأم-إعدام الملك عندما يهرم)، خاصة من المؤرخ الفرنسى سوريت كانال الذى قال بأن المصريين القدامى لم يكونوا يختلفون كثيراً عن المصريين المحدثين من أن سكانها إختلطوا منذ القدم بكثير من العناصر الوافدة إليها من الشرق والغرب ومن الشمال والجنوب مما أدخل اليها دماء كثيرة، ورغم كل ذلك فإن نظرية أنتاديوب جديرة بالدراسة المتعمقة ونقدها حيث تمكن الأنثروبولوجيون من خلال دراسة البقايا العظيمة من التوصل الى الأصول القديمة للمصريين حيث كان يعيش فى

مصر العليا خلال فترة ما قبل الأسرات سلالة أولية طويلة الرأس منحدره من السلالة القديمة التي كانت تحيا فوق الهضبة الصحراوية على كلى ضفتى نهر النيل فى الصحراء الشرقية والغربية خلال فترة العصور الحجرية وقد أطلق فلنדרز پترى على هذه السلالة القديمة إسم Aeneolithic.

أما خلال الفترة الأولى من عصر ما قبل الأسرات فقد كان تحيا فى مصر سلالتان الأولى تتركز فى الفيوم أى فى وحول مصر الوسطى والسفلى وقد أطلق عليها Theboid بينما الثانية كانت تحيا فى مصر العليا، ورغم أنهما لم تكن مختلطتان إلا أنهما كانا من أصل واحد^(٢٣)، مما سهل إندماج السلالتين بمرور الزمن مكونين سلالة واحدة تشمل كل المصريين.

هذا ولا يقلل من هذه الوحدة السلالية للمصريين منذ أقدم عصور التاريخ كثرة التأثيرات الأفريقية الزنجية والحامية ولكن على إستحياء فى الأطراف الجنوبية وكذا كثرة التأثيرات الآسيوية والليبية والى درجة ما الأوربية فى الأطراف الشمالية خاصة الى الشرق والى الغرب منها ولكن يجب التاكيد على أن كل هذه العناصر السلالية قد تم إذابتها داخل الوعاء الجينى المصرى بسرعة مما عجل بالوحدة البيولوجية السلالية للمصريين وهى صفة يتميز بها المصريون بإستمرار.

الخاتمة:

يعد وجود الأعراق والشعوب والقبائل من السمات العامة للحياة البشرية، لذا فان دراسة أى موضوع يتصل بها يحتاج معرفة كافية عن كل منها، وهذا لا يتحقق إلا من خلال تصنيفها وتوصيفها وتحديد مواضع علاقاتها بغيرها، فهذه الدراسة محاولة أولى لتصنيف أهالى وسكان أفريقيا، مع العلم أن دراسات التصنيف العلمى Taxonomy يفضل أن تتم على أسس رقمية (كمية) وعشرية Disimel^(٢٥) مما يتيح فرصة إستخدام الحاسوب مع توافر مرونة التغيير المحتمل بإستمرار فى ضوء مايكشف عنه من معلومات جديدة تضاف بإستمرار بحكم التجديد والتعميق العلمى.

أما أهمية هذا العمل فتتركز - بالاضافة الى أكاديمية الإتجاه - تتركز فى معرفة الموضع Site والموقع Situation ليس بالمفهوم الجغرافى والإيكولوجى فقط، ولكن بالمفهوم الثقافى الحضارى وبالمفهوم الإجتماعى الشامل، مما يتيح فرص معرفة التشابه والتقارب أو الاختلاف والتباعد، مما قد يعطى فرص الإستفادة البرجماتية الأمبريقية فى أمور وشئون الحياة على المستوى المحلى المحدود، أو المستوى الدولى الممدود، حيث يمكن أن تستفيد التجارة والصناعة من تسويق المناسب من السلع والخدمات.

وإذا كان دوبرزانسكى يقول أن التصنيف المثالى^(٢٦) للسلالات البشرية ينتظر من يقترحه^(٢٧)، فإن الحقيقة تؤكد أن الإختلاط بين السلالات ومجموعاتها الرئيسية والفرعية فى تزايد مستمر خاصة فى السنين القليلة الماضية، نظرا لتزايد نزعة الترابط بين الشعوب والسلالات المختلفة لعدة أسباب لعل من أهمها كثرة وسهولة وسائل النقل والمواصلات، وزيادة الوعى الثقافى والفكرى، وإنتشار وإعتناق أفكار الحرية والإخاء والمساواة، وحقوق الإنسان، فكل هذا، قلل من نظرات التعالى والتسامى التى كانت تمنع الإختلاط البيولوجى بين المجموعات السلالية والجماعات الشعوبية والقبلية، وكان نتيجة ذلك أن بدأت تظهر سلالات مركبة جديدة تجتمع فيها صفات أكثر من سلالة.

لهذا فاننا نقترح أن تجرى دراسة مماثلة لهذا العمل، كل نصف قرن (خمسین عاما) على سلالات وشعوب القارة الأفريقية معتمدة على الدراسات والبحوث العلمية التفصيلية الميدانية التى تجرى خلال هذه الفترة، وحبذا لو إجريت دراسات مقارنة رابطة بين فروع وتخصصات المعهد المختلفة الأخرى.

فإذا تم ذلك، فإن الأمر سيتضح أمام الكافة، خاصة أمام الصفوة متخذى القرار، فى أن ماينفع الناس ويمكث فى الأرض، هو "المحبة" بمعناها الواسع الشامل التطبيقى.

هذا ولعل من سلبيات النظم القبلية، تباين الأعراف والتقاليد أي الثقافات المحلية مما يؤدي الى إختلاف مفاهيم الحياة الإجتماعية، وهي أمور تجاوزها الإنسان المتحضر وتعداها منذ العصور الوسطى الأوربية وما تلاها من نهضة فكرية وعلمية شاعت وانتشرت حاليا هنا وهناك فى العالم، ولكنها مازالت متأخرة كثيرا فى القارة الأفريقية، لذا لزم معالجتها بسرعة وبحزم، وعندى أن الحل الوحيد فى هذا المجال هو تطوير نظم التعليم كى تتوحد وترتكز على التعليم التقنى الذى يكسب المتعلم قدر مناسب من التدريب والخبرة، ليدخل بهما ميدان الحياة العلمية إذا لم يوفق فى مواصلة التعليم الجامعى أو العالى^(٢٨).

والجدير بالذكر أن نوضح عدة نقاط أساسية عن الإنسان والسلالات البشرية الحالية فى القارة الأفريقية:-

١ - أن أفريقيا هى موطن البشرية والإنسانية، وأنها موطن المجموعة السلالية الزنجية، ولما كان الزنجى بطبعه وبسبب ظروف إيكولوجية معروفة، متحرك دائما وغير مستقر فهو دائما فى هجرة وحركة مستمرة، فقد ترك هذا أثره الواضح على إنتشار السلالة الزنجية المتغير فى القارة وأيضا خارجها.

٢ - أن مناطق الإلتقاء والاحتكاك بين المجموعات السلالية فى أفريقيا هى دائما مناطق الخلط والإختلاط مما يجعلها مواطن السلالات وأيضا الثقافات- المختلطة والمعقدة والجديدة والمتجددة باستمرار.

٣ - يتميز الأفريقيون خاصة العناصر السوداء الزنجية (رجالا ونساء) بأنهم مثاليون من حيث التكوين البيولوجى (مورفولوجيا وفسولوجيا) وأنهم مؤهلون للحصول على أعلى الجوائز والدرجات فى المنافسات الرياضية، وقد تم التوصل الى هذه النتيجة بعد الدراسة الأنثروپولوجية التى أجريت على عينة من ١٢٠٠ رياضى فى الدورة الأولمبية الدولية فى المكسيك عام ١٩٦٨ (الامرام، ١٩٧٦/٧/٣١، ص١٠).

٤ - ولكن مع تزايد شعور الزوج والسود بعامة بالغبن الواقع عليهم هنا وهناك تحركت مسيرة المليون أمريكي من أصل أفريقي (من السود) في واشنطن العاصمة يوم الاثنين ١٦ من أكتوبر ١٩٩٥، بقيادة لويس فرخان، للتعبير عن مقاومة التفرقة العنصرية التي يشعر بها الكثيرون من الأمريكيين في الولايات المتحدة الأمريكية، وذلك خلال يوم التكفير والمصالحة كما أطلق عليه، والتي قامت به جماعة أطلق عليها أمة الاسلام (B B C الاثنين ١٦/١٠/١٩٩٥م، والاهرام الثلاثاء ١٧/١٠/٩٥ ص١).

هذا ومشكلات القارة الأفريقية متعددة ومتشابكة، فأساسها الأزمة الاقتصادية التي زاد من حدتها محاولة المنظمات الدولية فرض سياسات مالية وإقتصادية غير مناسبة للتطبيق المحلي، ومما زاد من تعميق فجوات الفروق بين أفراد المجتمعات الأفريقية محاولة تطبيق النظم السياسية الديمقراطية الغربية بحذافيرها، مما تزايدت معه الصراعات العرقية والقبلية سعياً للوصول للسلطة وإغتنام ما وراها دون دراية كافية مما يسببه ذلك من مشكلات كثيرة نظراً لقصور خبرة وتدريب الكوادر الأفريقية الوطنية المخلصة.

لذلك فالمقترح هو العمل الهادئ المخلص المنظم الهادف من المؤسسات والمنظمات الأفريقية الوطنية خصوصاً الجامعات ومراكز البحوث، لتأمين إعداد الكوادر العلمية السياسية اللازمة لعملية التنمية الاقتصادية والإجتماعية أي التنمية الشاملة، حتى تترسخ عمليات التنمية على خبرات وعلى خطط وطنية أفريقية قومية ومحلية قوية، مما يباعد بينها وبين النكسات والمشكلات التي غالباً ماتصاحب عمليات التنمية، خاصة إذا شاع سوء التخطيط والتنفيذ وإختلط الأمر على متخذي القرارات السياسية المصيرية.

والأمل في الحقيقة عندي هو العودة الى أنماط الحياة السهلة البسيطة المتلائمة مع المجتمعات المحلية الصغيرة، بحيث تعمل الأسر والعائلات والعشائر والقبائل؛ على إنتاج ما تحتاج اليه من ضرورات الحياة الرئيسية (الميمات الخمس: الماكل- المشرب- الملبس- المسكن- المركب) ثم العمل على الوصول

بإنتاجها منها الى توافر فائض مناسب يكفى للتصدير الى سكان المدن فى الوطن القومى، وأكثر منه للتصدير الى الخارج وذلك حتى يتوازن الميزان التجارى وتتوافر فيه ومنه فوائض تعمل على تزايد الحصيلة القومية والفردية من العملات الحرة الدولية، التى يمكن بها أن تشتترى الخبرة والادوات التكنولوجية المتقدمة، وهى تلك اللازمة لعملية التنمية، ولكن يجب ألا تستغرقنا سهولة وحلاوة إقتناء وإستعمال هذه الأدوات الحديثة المتقدمة والمتقدمة جدا، فان خطرها ماحق وساحق لما يجره على مجتمعاتنا الفقيرة من ديون وفوائد الديون والسيطرة والخنوع، الحل إذن فى التوازن بين هذا وذلك.

والحقيقة لقد أصبحت معظم المشكلات الدولية والأقليمية، والمحلية فى أفريقيا وسائر القارات الأخرى فى عالم اليوم، ترجع فى أصولها الى جذور عرقية وإثنية وسلالية أو جنسية كما يشاع، لذلك كانت أهمية دراسة ومعرفة الأصول العرقية للشعوب سواء على أساس المنهج الجغرافى الإيكولوجى المكانى، بين الجماعات السلالية المختلفة عن طريق إشاعة روح الأخوة والمحبة المبنية على أساس وحدة الأصل والتشابة العام فى التكوين والتفكير، وذلك كى تسود روح الجماعة والحرص عليها وعلى تقدمها وترقيتها، وهى نزعة إنسانية تظهر فى كثير من المجتمعات الشرقية والغربية، فهى تحمل فى كوريا اسم "زوتشية" وتعنى أن تصبح الأمة أو المجتمع كله حريصا على الفرد، بنفس درجة حرص الفرد على المجتمع أو كما قيل *One for all, and all for one*.

وعندى أن هذا هو الهدف الأنثروبولوجى بل والإنسانى من دراسة السلالات البشرية، والجدير بالذكر والإستغراب فى أن واحد أن تدريس مقرر السلالات البشرية قد أُلغى فى معظم أقسام الجغرافيا التى كانت تدرسه، فى الوقت التى أخذت تزداد فيه أهمية الموضوع على النطاق العالمى، لذلك فالواجب أن يعاد تدريسه فيها، وفى حالة توافر قسم للأنثروبولوجيا فى المؤسسة فإنه يترك أمر تدريسه له فى سائر الأقسام، على أن يتولى تدريسه أنثروبولوجى جغرافى إن أمكن.

الحواشي

- (١) راجع: فاروق عبد الجواد شويقة: الأنثروبولوجيا الطبيعية والسلالات البشرية، القاهرة، ١٩٨٢
- (٢) راجع مقال: حضارات إنسان ما قبل التاريخ في القارة الأفريقية في هذا المجلد.
- (٣) حسين فهيم: قصة الأنثروبولوجيا؛ فصول في تاريخ علم الإنسان. القاهرة، الكويت. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، فبراير ١٩٨٦، ص٣٢
- (٤) فاروق عبد الجواد شويقة: الأنثروبولوجيا الطبيعية والسلالات البشرية، ص١٩٩
- (٥) ———: الأنثروبومتريا. القاهرة، مكتبة النهضة العربية، ١٩٨١، ص٥٩-١٤٤
- (٦) نفس المصدر، ص ١٥٣-١٥٤
- (7) Montagu, A.: An Introduction to Physical Anthropology, 3 ed. ed., Springfield, Thomas, 1960, p. 419
- (٨) فاروق عبد الجواد شويقة: العلاقة بين الأنثروبولوجيا والجغرافيا. مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة، المجلد ٥٠، العدد الأول، مايو ١٩٩٠، ص١-٥١
- (٩) فاروق عبد الجواد شويقة: الإكلوجيا البشرية. مجلة الدراسات الأفريقية، ع٢، ١٩٧٤، ص١٨٣-٢٠١
- (10) Coon, C.S.: The Living Races of Man. New York, Alfred A. Knopf, 1965, p.84
- (11) Sergi, G.: The Mediterranean Race; a study of the origin of European peoples, The Netherlands, Oosterhout N.B., 1976, (After the 7th. English ed. London, 1901).
- (12) Boule & Vallois: l'Homme Fossile d'Asselar, Sahara. Archives de l'Institute paleontologie Humaine, Paris No. 9, 1932, p.20
- (١٣) عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم. ج١ مصر والعراق. ط٤. القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٩٠، ص ٢٠٠-٢٠١
- (14) Shewika, F.A.G.: Side Lights upon Prehistoric Man and his Civilization in Northeastern Africa. Africa Studies Review, Vol. 8, 1979, p. 1-56
- (15) Alexander Alland, J R. : "Human Biological Diversity in Africa". In: Skinner, Elliott, "Peoples and Cultures of Africa, p. 59-76.

- (16) Seligman, C.G.: Races of Africa. 4th. ed. London, Oxford Univ. Press, 1976.
- (١٧) فاروق عبد الجواد شويقة: أفريقيا وحوض النيل. ط٢. القاهرة، دار روتابرننت للطباعة، ١٩٨٦، ص٧٥-١٠٨
- (١٨) فاروق عبد الجواد شويقة: المجموعة الكيوانية الأفريقية؛ دراسة فى الأنثروبولوجيا الجغرافية. مجلة الدراسات الأفريقية، ع ٦، ١٩٧٧، ص١١-٢٠٨
- (19) Dolzhansky, Th.: Mankind Evolving. New Haven, Yale Univ. Press, 1962, p. 264
- (٢٠) ماكينيدى، كولين: أطلس التاريخ الأفريقى، ترجمة السويفى. القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧، ص٣٥-٣٦
- (٢١) نفس المصدر، ص٤٩
- (٢٢) كلود فوتييه: أفريقيا للأفريقيين، ترجمة أحمد كمال يونس. القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٨، ص١٨٧-١٨٩
- (23) Morant, G.M.: A Study of Egyption Craniology from Pre-historic to Roman Times, **Biometrika**, Vol. 17, Nos. 1 & 2, June 1925, p.5
- (٢٤) وهى فى ذلك تشبه الحكمة الالهية من خلق الحرية والعدالة (فاروق عبد الجواد شويقة: الاسلام وإنسانية الإنسان. مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة، العدد ٦٤، يوليو ١٩٩٤، ص٣٥٥-٤٠٦).
- (٢٥) راجع المقال المنشور فى مجلد الأنثروبولوجيا من هذه الموسوعة بخصوص هذا الموضوع.
- (٢٦) راجع المقال المعنون "خريطة رقمية للسلاسل والشعوب فى أفريقيا Digital Map of Man in Africa" وذلك فى مجلد الأنثروبولوجيا من هذه الموسوعة.
- (27) Dobzhansky, Th.: On Species and Races of Living and Fossil Man. **American Journal of Physical Anthropology**, Vol, 2, 1944, p. 251-265
- (٢٨) صدرت توصية بذلك من مجلس الشورى (ثانى المجالس النيابية المصرية) فى الثالث الأول من شهر إبريل عام ١٩٩٧

بيبلوجرافية ارشادية

فاروق عبد الجواد شويقة: مدخل الى الأنثروبومتريا. القاهرة، مكتبة النهضة

العربية، ١٩٨١

_____ : مقدمة فى الأنثروبولوجيا الطبيعية والسلالات

البشرية. القاهرة، مكتبة النهضة العربية، ١٩٨٢

_____ : دراسات إيكولوجية فى أفريقيا وحوض النيل. ط٢.

القاهرة، دار روتابرت، ١٩٨٦

_____ : الجغرافيا الأنثروبولوجية. القاهرة، مكتبة دار الفكر

العربى، ١٩٨٨

Saligman, C.G.: Races of Africa. 4 th. ed. London. Oxford Univ.
Press, 1976

Sergi, G.: The Mediterranean Race; a study of the Origin of Eu-
ropean Peoples. The Netherlands, Osterhout N.B., 1967 (Af-
ter the 7th. English ed. London, 1901)

محمد رياض: الانسان؛ دراسة فى النوع والحضارة. ط٢، بيروت، دار النهضة

العربية، ١٩٧٤

محمد السيد غلاب: تطور الجنس البشرى. ط٥، القاهرة، مكتبة الانجلو

المصرية، ١٩٧٤

محمد عوض محمد: الشعوب والسلالات الأفريقية. القاهرة، الدار المصرية

للتأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٥

Murdock, P.G.: Africa; Its Peoples and Their Culture History.

New York, Mc-Grow Hill, 1959

**الأقاليم المناخية في أفريقيا
في ضوء تصنيف
(كين)**

د . يوسف عبد المجيد فايد

أستاذ الجغرافيا

جامعة القاهرة

القاهرة

١٩٩٧

الأقاليم المناخية فى أفريقيا فى ضوء تصنيف « كين »

مقدمة

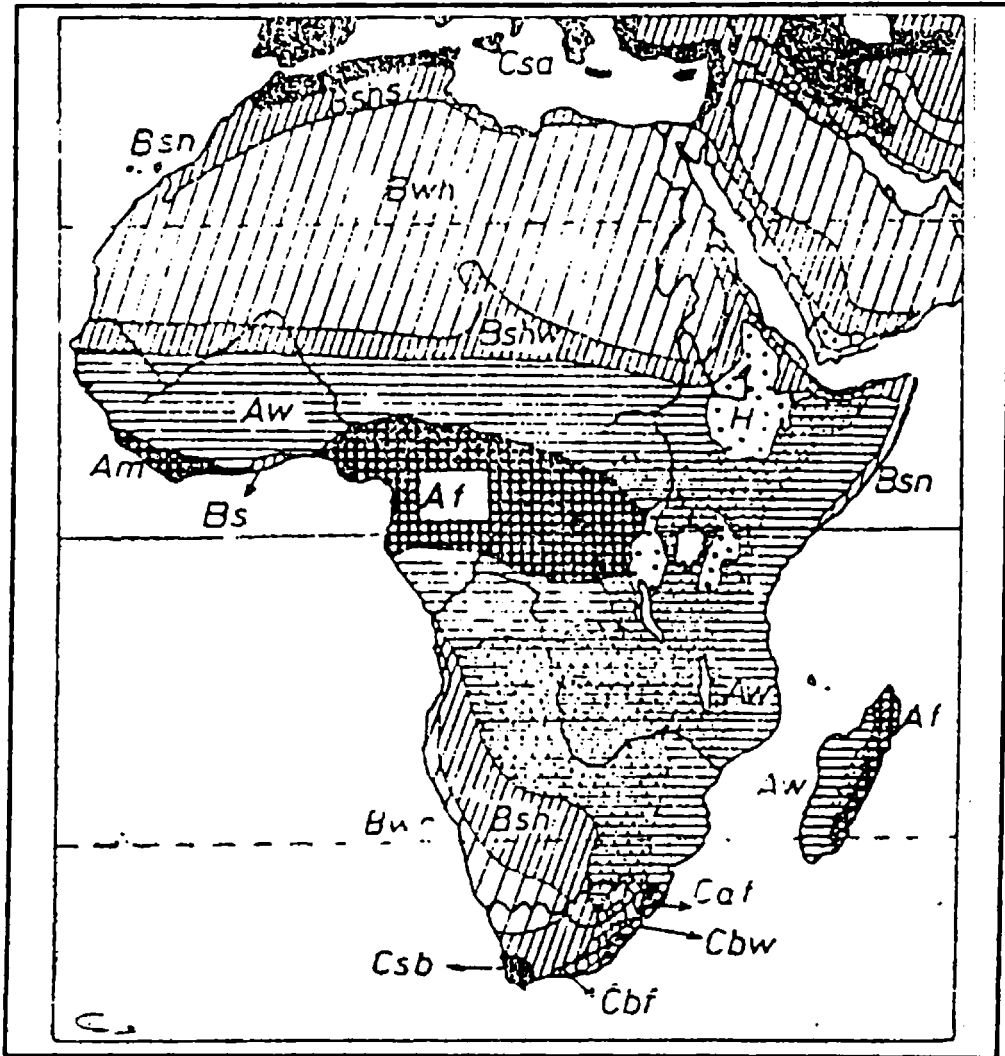
أفريقية من القارات الفريدة فى تركيبها الجغرافى سواء من النواحي الطبيعية أو البشرية، لذلك يقبل الكثيرون على دراستها، وعندما يقومون بتلك الدراسات فإنه لايفوتهم أن يشيروا الى ازواجية الأقاليم الجغرافية سواء كانت أقاليم مناخ أو نبات أو تربة أو غير ذلك شمال خط الاستواء وجنوبه. فالقارة الافريقية يمر فى وسطها خط الاستواء، ويقع نصفها فلكيا شمال خط الاستواء، ويمتد نصفها الآخر الى الجنوب منه وان اختلفت مساحة القسم الشمالى عن القسم الجنوبى بسبب اتساع واضح للقارة الى الشمال من خط الاستواء، وضيق ظاهرا الى الجنوب منه، فالأقاليم تتكرر فى ثنائية الى الشمال والجنوب من خط الاستواء، وتصل افريقية فى امتدادها الشمالى والجنوبى الى عروض متساوية تقريبا. هذه الخصائص الجغرافية عامة والمناخية خاصة لاتفوت الدارس لأفريقية، ولايخلو من الاشارة اليها بحث أو كتاب عن هذه القارة.

غير أنه من الامور الهامة التى يجب البحث فيها مدى التشابه أو التطابق بين أقاليم الشمال ومسمياتها فى الجنوب، وهل التطابق تام أو غير تام وأسباب الاختلاف بين شقى الاقليم.

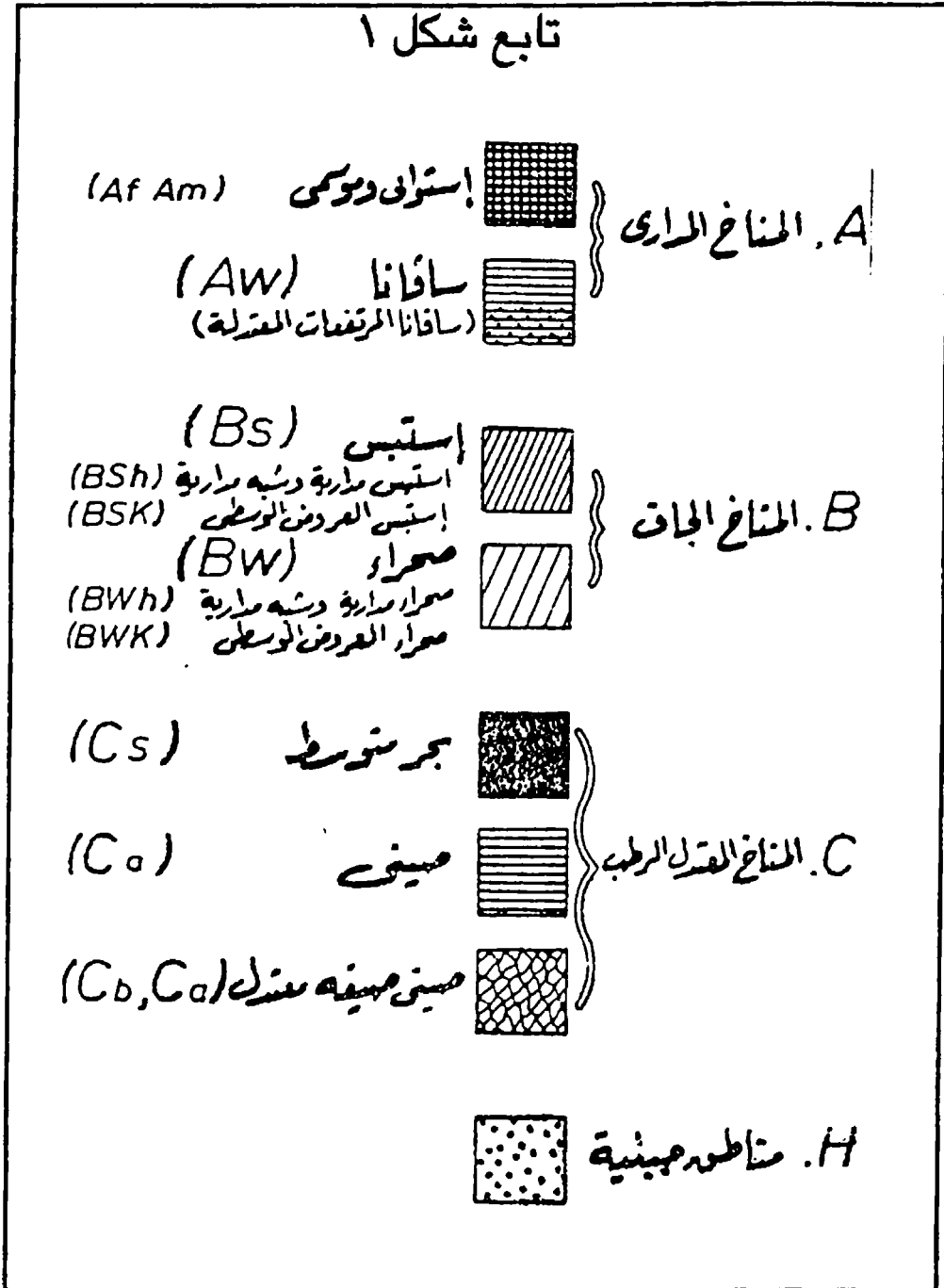
وهناك ناحية أخرى وهى أننا درسنا الأقاليم المناخية بمسميات لفظية كأن نقول اقليم البحر المتوسط ونضم فيه ما يوجد منه فى شمالى غرب القاهرة وجنوبها الغربى، وتكلمنا عن الجميع على أساس أنهم فى اقليم واحد له خصائص واحدة، فلاشك أننا نكون قد قررنا منذ البداية تجاهل هذه الاختلافات. كما أننا لو درسنا مناخ القارة على أساس سرد كل رقم فان الخصائص الاقليمية لمناخ القارة سوف تضيع فى خضم من المحطات والأرقام دون اطار يجمعها.

لذلك فان استخدام أحد التصنيفات المناخية فى تقسيم القارة الافريقية الى أقاليم يصبح أفضل منهج للدراسة المناخية الاقليمية، خصوصا اذا كان هذا التصنيف سهل الاستخدام وشاملا واذا كان يعطى فى نفس الوقت ملامح الاختلافات الاقليمية بين جزء وآخر من أجزاء القارة. وقد اخترنا لهذه الدراسة تصنيف "كين" المعروف، ذلك لأنه من التصنيفات التى كثر استخدامها وأخذ به الكثير من الباحثين. واذا أوضح تصنيف "كين" فى أفريقية الخصائص الرئيسية لمناخ القارة فانه حينئذ يستحق الوقوف عنده واعطائه المزيد من الاهتمام، خصوصا اذا اتفقت أقاليمه فى افريقية مع بعض التوزيعات الجغرافية الأخرى مثل توزيع النبات الطبيعى واستخدامات الأرض.

وسوف نعرض فيما يلى الأقاليم المناخية فى أفريقية طبقا لتصنيف "كين" على أساس الخريطة الواردة فى البحث رقم (١).



تابع شكل ١



المناخ (a,b) Cs

يشار الى هذا الاقليم عادة باسم اقليم البحر المتوسط، وتجد هذا النوع المناخي لذا بدأنا من أقصى شمال القارة الافريقية حيث يحتل الطرف الشمالي الغربي منها، كذلك في أقصى طرفها الجنوبي الغربي. ويشير "كين" الى القسم

الشمالي من هذا الاقليم فى منطقة بلاد المغرب بالحروف C s a ولكنه يصبح مختلفا فى الطرف الجنوبى الغربى من القارة حيث يشار اليه بالحروف C s a ، وهذا الاختلاف الذى يتعلق بالحرف الأخير يخص حرارة فصل الصيف، اذ أن الصيف فى القسم الجنوبى أقل حرارة من صيف نظيره فى القسم الشمالى من القارة، مع أننا عادة نطلق على النطاقين معا اسم اقليم البحر المتوسط لكون تمييز، وهنا تبين لنا أهمية استخدام التصنيفات التى تعتمد على قيم رقمية احصائية. ورغم أن تصنيف "كين" ليس من التصنيفات التى تحتوى على تفاصيل كثيرة، الا أنه رغم هذا قد أوضح الاختلاف بين حرارة الصيف فى اقليم البحر المتوسط المغربى، واطليم البحر المتوسط فى منطقة الرأس الجنوبى. وهذا الاختلاف طبقا لتصنيف "كين" يعتمد على أن حرارة الصيف فى القسم الشمالى من الاقليم تفوق درجة ٢٢ مئوية فى أكثر شهور الصيف حرارة وقد تصل الى أكثر من هذا بكثير، ولكنها لاتنخفض تحت هذا الرقم فى آخر الشهور، وبذلك يكون الصيف فى جملته متميزا بالحرارة المرتفعة، ويميز "كين" هذه الحالة بالحرف a بينما فى الطرف الجنوبى الغربى من القارة حيث يوجد مايسمى أيضا باقليم البحر المتوسط، فان متوسط حرارة أكثر شهور الصيف قيظا لا يصل الى درجة ٢٢ مئوية، وهذا معناه أن الصيف هنا ليس شديد الحرارة وانما يتميز بالاعتدال.

ويشغل اقليم البحر المتوسط نو الصيف الحار فى الشمال الجزء الساحلى من شمالى غرب أفريقية فى المغرب والجزائر وتونس، بينما يشغل اقليم البحر المتوسط نو الصيف الأكثر اعتدالا جزءا صغيرا فى الطرف الجنوبى الغربى من جمهورية جنوب أفريقية.

أما الحروف الأخرى التى يستخدمها "كين" لتميز الاقليم وهى C فتدل على شتاء معتدل غير بارد حيث لاتنخفض الحرارة فى فصل الشتاء فى المتوسط عن -٣ مئوية ولكنها أيضا لاتتعدى ١٨ مئوية. أما حرف S فهو يدل على جفاف صيفى أى فترة المطر الرئيسية هى فصل الشتاء الذى يسقط به وحده ما لا يقل عن ٧٠٪ من مجموع المطر السنوى.

ويتضح لنا الفرق بين إقليم البحر المتوسط فى شمال غرب أفريقية، وإقليم البحر المتوسط فى جنوب غرب القارة اذا أخذنا مدينة الجزائر كمثال للإقليم الشمالى ومدينة الرأس كمثال للإقليم الجنوبى، فنجد أن درجات حرارة الصيف فى المدينة الأولى تصل الى ٢٥ مئوية فى شهر أغسطس، بينما هى لا تتعدى ٢٠ مئوية فى الثانية فى شهر يناير (١) (الصيف الجنوبى) وهذا يؤيد ما ذكرناه من أن هناك اختلافا فى حرارة الصيف بين شطرى إقليم البحر المتوسط فى الشمال والجنوب، يصل هذا الاختلاف الى خمس درجات مئوية بين مدينة الجزائر ومدينة الرأس رغم أنه قد جرت العادة على الإشارة الى النطاقين على أنهما يتبعان إقليما مناخيا واحدا هو إقليم البحر المتوسط.

ويرجع السبب فى هذا الاختلاف فى حرارة الصيف بين شقى إقليم البحر المتوسط الأفريقى الى عدة عوامل، أولها التأثير القارى حيث أن الأثر القارى يتمثل بصورة واضحة فى شمال القارة الذى يتميز باتساع اليابس. ويكاد لا يظهر تأثيره فى الطرف الجنوبى للقارة حيث يضيق اليابس ويعم الماء.

أما العامل الثانى فهو تأثير التيارات البحرية، فالتيارات البحرية التى تؤثر فى سواحل إقليم البحر المتوسط هى، تيار كناريا بالنسبة للشمال وتيار بنجويلا بالنسبة للجنوب، وقد يقال ان كلا التيارين بارد، غير أن البرودة تختلف فى الدرجة، فتيار كناريا يأتى من جوار سواحل غرب أوروبا، وهى وان تكن سواحل أبرد فى مياها من الساحل الأفريقى إلا أنها سواحل تعرف بدفئها النسبى، ناهيك عن تيار كناريا يؤثر فقط فى الجزء من إقليم البحر المتوسط الذى يطل على المحيط الأطلسى، بينما تيار بنجويلا فى نصف الكرة الجنوبى يأتى من مياه مفتوحة على القارة القطبية الجنوبية وهى مياه اشتهرت ببرودتها الشديدة وبكتل الثلج الطافية التى تصل أحيانا الى العروض الدفيئة، فلا شك أن مياه تيار بنجويلا أكثر برودة من مياه كناريا ويصل الفرق الى أربع أو خمس درجات مئوية على الأقل، ويؤثر تيار بنجويلا البارد فى كل أجزاء إقليم البحر المتوسط فى جنوبى أفريقية وذلك بسبب صغر مساحة ذلك الإقليم ولأنه يطل كله على المحيط الأطلسى الجنوبى.

جدول يوضح درجات الحرارة في مدينتي الجزائر والرأس (مئوية)

المدينة	يناير	فبراير	مارس	أبريل	مايو	يونيه	يوليه	أغسطس	سبتمبر	أكتوبر	نوفمبر	ديسمبر
الجزائر	١١	١٢	١٤	١٦	١٩	٢٢	٢٥	٢٥	٢٤	٢٠	١٧	١٣
الرأس	٢٠	٢٠	٢٠	١٧	١٥	١٣	١٢	١٣	١٣	١٦	١٧	١٦

أما العامل الثالث الذى يفرق بين مناخ شطرى اقليم البحر المتوسط فى افريقية فهو ظروف الجوار، فاقليم البحر المتوسط الشمالى يجاور اكبر صحراوات العالم وأشد جهات الأرض حرارة فى فصل الصيف، ويتأثر الاقليم تأثراً أكيدا بما ينشأ فى الصحراء الكبرى من أحوال مناخية وما ترسله من موجات ساخنة فى فصل الربيع وأوائل الصيف الى جيرانها فى الشمال، وهى الرياح المحلية الحارة التى اشتهرت بها هذه المنطقة من العالم. ولاشك فى أن أعلى درجات حرارة فى العالم قد سجلت فى أجزاء من الصحراء الكبرى (العزيفية فى ليبيا حيث سجلت درجة حرارة ٤٦.٤ مئوية). وعندما يخرج الهواء فى مقدمة الانخفاضات الجوية التى تمر فوق البحر المتوسط فى الربيع وأوائل الصيف فان هذا الهواء الساخن يصل بدرجات الحرارة فى المنطقة الى مستويات قريبة من تلك التى توجد فى الصحراء الكبرى ذاتها(٢). هذه الحالة لاتوجد بنفس الصورة فى الشق الجنوبى من اقليم البحر المتوسط الافريقى حيث صحراء كلهاى أو صحراء ناميب لاتعرف مثل هذه الحرارة المرتفعة، وحيث لاتوجد مسارات طويلة ومحدودة بوضوح للانخفاضات الجوية فى جنوبى افريقية، ويرجع ذلك بالطبع الى ضيق الياوس القارى حيث تستدق افريقية فى طرفها الجنوبى فلا تعطى الفرصة لقيام مثل هذه النظم من الرياح المحلية الساخنة التى تكاد تكون فريدة فى قوتها وانتشارها فى منطقة الصحراء الكبرى والبحر المتوسط، وحتى اذا وجدت رياح ساخنة فى جنوبى افريقية فهى أقل حرارة وأضيق انتشار وأضعف أثراً من الرياح المحلية الحارة فى نصف القارة الشمالى. ولما كان تصنيف كين قد أظهر هذا الاختلاف بين شطرى اقليم البحر المتوسط فى افريقية منذ البداية، فانه يكون قد أثبت صلاحيته للاستخدام وأن استخدامه فى الدراسات المناخية الاقليمية أدق وأفضل من مجرد اعطاء المسميات التقليدية التى تقوم على الجمع والتعميم دون اظهار للفروق المحلية.

المناخ B W h

ويشار الى هذا الاقليم بالمناخ الصحراوى، وهو الاقليم الذى يتميز بالجفاف بحيث أن كمية الأمطار الساقطة لاتكفى حاجة النبات، وبذلك يكون

هناك دائما عجز في كمية المياه. وإذا أريدت الزراعة فلا بد من امدادها بالرى الصناعى. والصحراوات هنا من النوع الحار ويشار لارتفاع حراراتها فى تصنيف "كين" بالحرف k الذى يعنى أن متوسط الحرارة السنوى يفوق ١٨ مئوية.

ويوجد هذا النوع من المناخ فى منطقتين وان تشابهتا فى التسمية والوصف العام، فانهما تختلفان اختلافا كبيرا فى القدر والمميزات الخاصة، هاتان هما الصحراء الكبرى فى شمالى القارة، وصحراء ناميب فى جنوبى القارة (مع جزء من صحراء كهارى).

والصحراء الكبرى من الامتداد والاتساع حتى أنها أعطت اسم الصحراء لبقية مناطق العالم التى تتصف بالجفاف، بينما صحراء ناميب تشغل شريطا صغيرا على الساحل الجنوبى الغربى للقارة. وليست المشكلة الرئيسية هى كبر مساحة الصحراء الكبرى وصغر صحراء ناميب، وانما النقطة الرئيسية هنا هى أن مدلول الصحراء الجافة يستخدم فى الدراسات الجغرافية للصحراويين على قدم المساواة من حيث درجة الجفاف بل ويضم اليهما صحراء كهارى.

وإذا كان تصنيف "كين" قد أوضح منذ البداية أن الصحراء الحقيقية لاتشمل صحراء كهارى كلها وانما جزء صغير منها يلاصق صحراء ناميب (أنظر شكل ١) بينما الصحراء الحقيقية بجفافها المعروف تغطى معظم الصحراء الكبرى، فمعنى هذا أن التصنيف قد نجح فى أول اختبار له بالنسبة للمناخ الصحراوى ومناطق انتشاره فى أفريقية. كذلك أظهر "كين" أن الصحراء الحقيقية لاتشغل سوى جيوب صغيرة فى الصومال فحدد بذلك تعميما شائعا عن الصومال كله عندما توصف أراضيها بأنها صحراوات جافة.

والاختلاف الأساسى بين صحراوات أفريقية وبعضها هو مدى الجفاف فالصحراء تتسع فى شمالى القارة بسبب سيادة أحوال الجفاف بوضوح، بينما تضيق فى الجنوب وفى الشرق بسبب انكماش ظروف الجفاف، ومن المعروف أن الصحراء فى هذه العروض (١٨-٢٠ شمالا وجنوبا فى غربى القارات) تنشأ

نتيجة لوجود مناطق الضغط المرتفع بون المدارية - Sib-Tropical anti-cyclones التي مركزها حوالي خط عرض ٣٠ شمالا وجنوبا تقريبا وان كانت تتحرك مع حركة الشمس الظاهرية حوالي عشر درجات عرضية، ويصاحب وجود مناطق الضغط المرتفع هذه هواء هابط في الأجزاء الشرقية من هذه الضغوط. ولما كانت مناطق الضغط المرتفع تتمثل على أشدها وتتصف بصفة الدوام فوق المحيطات (مناطق الضغط المرتفع فوق القارات تتحول الى ضغط منخفض في فصل الصيف بسبب التسخين الشديد لليابس) فان حركة الهواء الهابط تكون أوضح مايمكن في الجزء الشرقي من المحيط أو بمعنى آخر في الجزء الغربي من القارة. والسبب في أن هبوط الهواء يكون أوضح في الجزء الشرقي من المحيط عنه في الغربي منه هو أن دورة الهواء في مناطق الضغط المرتفع تكون مع دورة عقارب الساعة في نصف الكرة الشمالي وضدها في نصف الكرة الجنوبي، فالهواء القادم الى شرق المحيط يكون آتيا من الشمال أو من العروض الباردة (نصف الكرة الشمالي) أو من الجنوب ومن العروض الباردة أيضا (نصف الكرة الجنوبي)، والهواء البارد في غربي القارة يكون ميالا الى الهبوط بسبب ثقله، لذلك تنشأ ظروف صحراوية في شرق المحيطات أو بمعنى آخر في غرب القارات في هذه العروض.

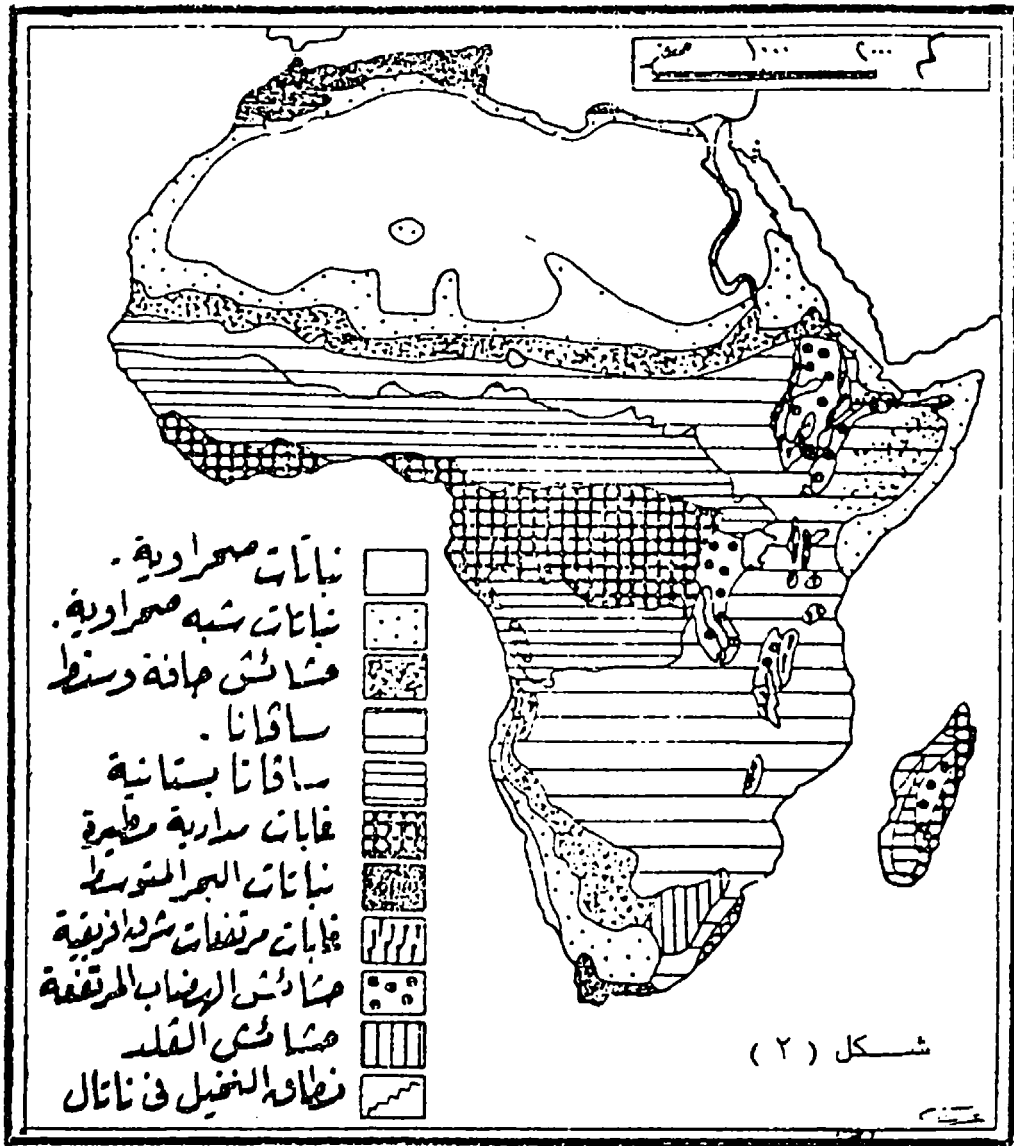
وصحراء ناميب توجد في غرب جنوب أفريقية، ولكن مابال الصحراء الكبرى توجد في غرب وشرق القارة بل ووسطها أيضا. للاجابة على هذا لابد لنا أن نتذكر شكل اليابس الأفرو آسيوى وهو الذى جعل من شمالي أفريقية كلة -من البحر الأحمر شرقا حتى المحيط الأطلسى غربا- مجرد امتداد غربى لليابس الآسيوى، وبمعنى آخر فان الصحراء الكبرى هي الامتداد الغربى لليابس الأفرو آسيوى وموقعها بهذا الشكل وامتدادها بهذه الصورة أمر طبيعى اذا أضفنا أن اليابس الأفريقى يتسع اتساعا فريدا في هذه العروض الجافة.

وهناك عوامل أخرى تساعد على قيام الصحراء في هذه العروض بالاضافة الى العامل الرئيسى الذى ذكرناه. ومن هذه الأسباب وجود التيارات البحرية الباردة مثل تيار كناريا بالنسبة للصحراء الكبرى، وتيار بنجويلا بالنسبة

لصحراء ناميب (٣)، وهذه التيارات الباردة لا تشجع على سقوط المطر لأن الهواء عندما يمر فوق الماء يبرد جزؤه السفلى وينتج عن ذلك تكوين الضباب، ثم اذا دخل هذا الهواء الى اليابس بعد ذلك فانه يسخن ولايسقط مطرا بل على العكس تزداد قابليته لحمل بخار الماء.

وقد أوضح كين هذه الصورة عن صحراوات أفريقية من حيث مواقعها وامتدادها وأضاف للأجزاء الساحلية منها الحرف N وهو الدال على وجود الضباب.

واذا أخذنا بعض المحطات المناخية كأمثلة للصحراء الكبرى وصحراء ناميب، فاننا نجد أن مدينة القاهرة تنال ١.٣ بوصة من المطر في السنة، ومدينة أسوان تكاد لاترني المطر اطلاقا، وفي مدينة بورت نولووث-Port No-loth في صحراء ناميب تصل كمية المطر السنوى الى ٢.٢ بوصة. أما في صحراء كلهارى فان التباين يبدو واضحا اذا أخذنا مدينة كنهارتKenhardt حيث تصل كمية المطر السنوى الى ٥.٨ بوصة، وفي مدينة كيتمانسبوب Keetmanshoop حيث تصل الكمية الى ٥.١ بوصة (٢)، لذلك فان صحراء كلهارى لايصح أن توضع مع الصحراء الكبرى في اقليم مناخى واحد، وانما هى تتبع فى معظم أجزائها الاقليم شبه الصحراوى B S.



2. L. Dudley Stamp; Africa, London, 1960, p. 77.

المناخ B S h

ويعرف هذا الاقليم عادة بشبه الصحراء أو إقليم الاستبس، ولاشك أن استخدام حروف "كين" أفضل حتى من الناحية الشكلية من استخدام كلمة استبس أو شبه صحراء ذلك لأن هذه التسميات نباتية وليست مناخية. ويشغل هذا النوع من المناخ حواف الصحراء الحقيقية ولذلك يشار اليه على انه شبه صحراء، ويعطى "كين" هذا الاقليم الحرف B وهو الدال على الجفاف والحرف S وهو الدال على أن درجة الجفاف متوسطة وليست شديدة كما هو الحال في

الاقليم السابق الذى يستخدم له الحرف W وأول ما نلاحظه بخصوص توزيع هذا الاقليم فى افريقية أنه يشغل شريطا ضيقا يحف بالصحراء الكبرى على حدها الشمالى وشريط ضيق آخر يطوقها من الجنوب. ولما كان الاقليم شبة الصحراوى فى النصف الشمالى من افريقية يتميز بالضيق فمعنى هذا أن الصحراء لحقيقية ذات الجفاف الشديد هى المسيطرة على أقاليم الجفاف فى شمال القارة وهى لا تترك مجالا واسعا أمام الاقليم شبه الجاف ليبسط ظروفه على مساحة كبيرة من المنطقة.

وإذا انتقلنا الى جنوب القارة نجد الصورة معكوسة فالصحراء الحقيقية هى التى تشغل الشريط الضيق الممتد على طول الساحل الغربى، بينما تخلق الصحراء مكانها فى الداخل وباتجاه الشرق والجنوب والشمال لشبه الصحراء حيث تخف حدة الجفاف، ومعنى هذا أن موارد المطر فى هذا الجزء من افريقية تأتى من الشرق حيث المياه الدفينة فى المحيط الهندى، وحيث لا توجد مرتفعات عالية تعوق توغل الكتل الهوائية نحو الداخل، إذ أن جبال داركنزبرج وهضبة الكارو ليست بالعوائق التضاريسية المؤثرة فى مناخ المنطقة بدرجة كبيرة. وافريقية فى عرض شبه الصحراء ضيقة الامتداد ومجاورة لمياه دفيئة فى الشرق بسبب مرور تيار أجولهااس وليس معنى هذا أن الأمطار غزيرة فى القسم الداخلى من جنوبى افريقية، ولكنها من ناحية أخرى ليست نادرة أو معدومة، فهى تكفى لنمو حشائش الاستبس. وتقف صحراء كلهارى فى هذا تناقض واضح مع الصحراء لكبرى حيث ينعدم المؤثر الشرقى تماما بالنسبة للأخيرة، فالاراضى الواقعة الى الشرق من الصحراء الكبرى ليست أحسن حالا من جارتها الافريقية.

وشبه الصحراء فى النصف الشمالى من افريقية علاوة على ضيقها فهى منحة، أما من اقليم البحر المتوسط الى الشمال من الصحراء حيث المطر شتوى، أو من الاقليم السودانى فى الجنوب حيث المطر صيفى.

ولا يقصر تصنيف "كين" دون توضيح فصيلة المطر فى الاقليم B S h وتباين هذه الفصيلة من منطقة لأخرى فيضيف حرف S الصغير اذا كانت المنطقة شبه الصحراوية ذات مطر شتوى وحرف W الصغير اذا كان المطر صيفيا . والتصنيف بهذا يعطى الفكرة ملخصة وسريعة.

أما الأحوال المناخية فى منطقة ساحل الصومال فهى أحوال شبه جافة نتيجة لموازاة الساحل لاتجاه الرياح سواء كانت الموسمية الصيفية المتجهة صوب شبه جزيرة الهند فى فصل الصيف وهى رياح تكون فى الأصل جنوبية شرقية ولكنها تصبح جنوبية غربية على أثر عبورها لخط الاستواء، وفى الشتاء يكون اتجاه الرياح الموسمية الشتوية الخارجة من الهند موازيا أيضا لاتجاه الساحل. ويضاف الى هذا العامل الرئيسى الذى يسبب جفاف ساحل الصومال، عامل آخر وهو وجود مياه باردة نسبيا بجوار الساحل. وتنتج هذه الحالة عن قوة هبوب الرياح الموسمية خصوصا وأنها تهب موازية للساحل اذ تعمل هذه الرياح القوية على ازاحة المياه السطحية فتحل محلها مياه باردة من أسفل ويطلق على هذه الظاهرة Upweiling ومن المعروف -كما ذكرنا من قبل- أن وجود المياه الباردة لايساعد على سقوط الأمطار.

وتكاد صحراء الصومال تكون فى هذه الظروف شبه الجافة فى مثل هذه العروض الاستوائية فى قارة أفريقية، اللهم الا جزئا صغيرا من ساحل غانا حول مدينة أكرا عاصمة جمهورية غانا. وتتجه آراء علماء المناخ الى تفسير ظروف الجفاف حول أكرا بنفس الأسباب التى تفسر بها ظروف الجفاف فى الصومال، وهى موازاة الساحل لاتجاه الرياح السائدة ووجود تضارب فى اتجاه التيارات البحرية فى خليج غانا بين التيار الاستوائى والتيار الاستوائى المعاكس Counter Current ، فالمياه تصطدم بالساحل ثم تدور وتعود فى الاتجاه المضاد، وتؤدى حركة المياه بهذا الشكل الى ازاحة المياه السطحية وظهور المياه السفلية الباردة. وقد ميز "كين" المنطقة المحيطة بمدينة أكرا بالحرفين B S أو شبه الصحراء.

المناخ A w

وهو مناخ السفانا أو المناخ السوداني نو المطر الصيفي، ويشغل هذا الاقليم مساحة كبيرة فى أفريقية، اذ يغطى وحده أكثر من نصف مساحة القارة، حتى أن افريقية تسمى احيانا بقارة السفانا. ونشير هنا الى أن السفانا تنتشر فى افريقية على حساب الاقليم المدارى المطير الذى تنكمش مساحته كثيرا فى هذه القارة كما سيرد ذكره فيما بهد.

وتوجد مناطق المناخ A w فى نطاق واسع للغاية الى الجنوب من الاقليم شبه الصحراوى فى شمالي أفريقية ثم يمتد شرقا فيغطى هضاب شرقى القارة مطوقا بذلك الاقليم الاستوائى من ناحية الشرق وما نعا اياه من الامتداد على طول العروض الاستوائية فى الشرق. ثم يمتد الاقليم A w الى الجنوب من الاقليم الاستوائى ويصل فى امتداد حتى الأطراف الجنوبية الشرقية من القارة. ويتمثل هذا النوع المناخى أيضا فى النصف الغربى من جزيرة مدغشقر. وهكذا نجد أن امتداد هذا الاقليم الى الجنوب من خط الاستواء يفوق امتداده الى الشمال من خط الاستواء، وذلك بعكس الاقليم الصحراوى. ويرجع هذا الى أن ظروف الجفاف أقل حدة فى نصف افريقية الجنوبى اذا قورن بنصفها الشمالى. ولاشك أن أحد العوامل التى ساعدت على زيادة انتشار المناخ A w فى أفريقية هو ارتفاع السطح نسبيا فى منطقة شرق القارة مما أتاح الفرصة لنمو الحشائش بدلا من الأشجار.

ومن مميزات تصنيف "كين" بالنسبة لهذا النوع المناخى هو أنه يعطينا رمزا مناخيا بدلا من استخدام كلمة سفانا وهى تعبير نباتى وليس مناخى، أو استخدام تعبير الاقليم السودانى وما يحمله هذا التعبير من خلط بين الاقليم وبين الدولة التى تحمل نفس الاسم وضرورة التنوية الى الفرقة بينهما كلما استخدمنا هذا الاسم فى الدراسات الجغرافية. أما استخدام الرمز فى تصنيف "كين" فهو أمر محدد وواضح ولايحتمل الخلط أو التأويل فالحرف A هو للمناخ المدارى حيث درجات الحرارة لاتنخفض عن ٨ مئوية فى أبرد شهور السنة،

والحرف W معناة أن فصل الجفاف هو فصل الشتاء، وأن ٧٠٪ على الأقل من المطر تسقط في فصل الصيف. والمناخ A W على هذا الأساس يختلف عن مناخيات أخرى في نفس العروض، فالمدارى المطر طول العام يميز بالحرف f بدلا من الحرف W أو الموسى نو المطر الغزير صيفا يميز بالحرف m.

ومن الملاحظات الأخرى أن الأمر ليس مجرد ضيق للاقليم AW فى النصف الشمالى من القارة الافريقية، واتساع له فى نصفها الجنوبي، ولكن لما كان الأمر متعلقا بزيادة المطر فى الجنوب وهو العامل الذى أدى فى الواقع الى اتساع رقعة هذا النوع من المناخ على حساب المناخ الصحراوى الجاف، فمعنى هذا أن المناخ A W فى جنوبي القارة وبصرف النظر عن مساحته لابد أن يكون أكثر مطرا من نظيره فى شمالى القارة. فاذا أخذنا أمثله من الجنوب والشمال نجد أن مدينة جوريه Jores تحصل على ٢٠.٤ بوصة من المطر سنويا، ومدينة كايس Kayes تحصل على ٢٩.١ بوصة، بينما كمية المطر فى مدينة دار السلام تصل الى ٤٥.٣ بوصة، وفى مدينة موزمبيق ٢٩.١ بوصة، وفى موانزا ٤٢.٦ بوصة، وفى مدينة زومبا ٥٤.٢ بوصة، والمحطات الأربعة الأخيرة فى القسم الجنوبي من القارة، وقد يقال أن زيادة المطر فى المحطات الجنوبية ترجع الى ارتفاع سطح الأرض، غير أن معظم هذه المحطات توجد فى اراضى منخفضة خاصة دار السلام وموزمبيق اللتان توجدان على الساحل مباشرة فى منطقة السهل الساحلى.

ويعتمد الاقليم AW فى مطره على سيطرة جبهة الالتقاء المدارية. التى مركزها الأصلى عند خط الاستواء، حيث تلتقى التجاريات الشمالية مع التجاريات الجنوبية دافعة معها الكتل الهوائية المدارية الرطبة، وعلى أثر التقائها ومع عملية التسخين الشديدة تبدأ حركة التصعيد للهواء الساخن الرطب الى طبقات الجو العليا ويسقط المطر (٤). ومركز هذا النظام -كما ذكرنا- هو خط الاستواء، غير أنه يتحرك شمالا فى الصيف الشمالى مع حركة الشمس الظاهرية فيتمركز فوق الاقليم AW الذى نحن بصدده، وبدلا من حدوث اللقاء بين الكتل الهوائية فوق منطقة خط الاستواء، فإنه يحدث فوق عروض تمتد ما

بين خطى عرض ٨ ، ١٨ شمالا حيث يسقط المطر. وفي الصيف الجنوبي تتحرك الشمس ظاهريا لتصبح أشعتها عمودية على مدار الجدى، وينتقل النظام معها الى نصف أفريقية الجنوبي، وفي هذه الفترة يسيطر الضغط المنخفض وجبهة الالتقاء المدارية على الاقليم AW فى جنوب أفريقية ويحدث به ما حدث فى النصف الشمالى خلال صيف الشمال. غير أن الكتل الهوائية عندما تصل الى نصف افريقية الجنوبي تصله وهى أكثر غنى ببخار الماء لأن المسطحات المائية أكثر قربا وأكثر اتساعا، ولذلك كان المطر أغزر فى الجنوب عنه فى الشمال.

وسواء أما الاقليم AW فى شمالى القارة أو فى جنوبيها فإنه يصاب كثيرا بالذبذبة فى كمية أمطاره ومن سنة لأخرى وبصورة صارخة أحيانا. ويرجع ذلك الى حركة جبهة الالتقاء المدارية نحو الشمال أو نحو الجنوب، فأحيانا نجد أن هذه الجبهة عندما تتحرك شمالا تصل فقط الى خط عرض ١٠ شمالا أو حتى ١٥ شمالا، وكلما كانت الجبهة أقوى وكلما كان موقعها الى الشمال أكثر (نصف أفريقية الشمالى) كلما كان مطر الصيف فى الاقليم AW أعم وأغزر والعكس صحيح، ومثل هذا يقال ولكن بدرجة أخف عن إقليم جنوبى القارة. وقد تصل الذبذبة فى كمية المطر السنوى الى ٥٠٪ أو أكثر. ويذكر لنا الأستاذ ددلى سامب فى كتابه عن افريقية احصائية عن كمية المطر فى احدى محطات غمبيا توضح هذه الحالة التى ذكرناها، ونورد فيما يلى هذه الأرقام للتدليل على مدى الذبذبة فى الاقليم من سنة لأخرى:

السنة	كمية المطر بالبوصة	السنة	كمية المطر بالبوصة
١٩٠١	٤٥	١٩١٠	٤٤
١٩٠٢	٢٩	١٩١١	٢٨
١٩٠٣	٥٧	١٩١٢	٣٤
١٩٠٤	٣٨	١٩١٣	٢٤
١٩٠٥	٦٦	١٩١٤	٤٩
١٩٠٦	٣٤	١٩١٦	٢٨
١٩٠٩	٥٧	١٩١٨	٥٤

ومن هذا الجدول نرى أن كمية المطر السنوي قد انخفضت الى ٢٤ بوصة في احدى السنوات وهي سنة ١٩١٢، بينما ارتفعت الى ٦٦ في سنة أخرى وهي سنة ١٩٠٥، والتفاوت بين السنتين كبير للغاية يصل الى ٢٧٥٪.

وإذا كان تصنيف "كين" قد قصر عن اظهار هذه الناحية فان أى تصنيف آخر لا يستطيع اظهارها، الا فى حالة واحدة هى تصنيف مثل هذه المحطة على أساس السنوات وليس على أساس المتوسطات، أى أن نقوم بتصنيف المحطة فى سنة ١٩٠٥ وتصنيفها أيضا فى سنة ١٩١٢ بدلا من استخدام رقم واحد هو متوسط عدد من السنين كما يفعل كثير من الدراسين للمناخ (٥)، فالمحطة سالفة الذكر لو صنفنا فى سنة ١٩٠٥ طبقا لـ "كين" فانها تكون Aw اما اذا صنفنا فى سنة ١٩١٢ عندما سقطت بها ٢٤ بوصة من المطر فقط فانها تكون BSh أى شبه صحراء، لذلك فانه من المفيد عمل خرائط لمثل هذه الاقاليم تبين توزيع الحدود المناخية فى سنوات الشح وسنوات الفيض.

المناخ $C(w,fa,fb)$

يعرف هذا المناخ جملة باسم المناخ الصينى، وقبل أن نبدأ فى دراسة هذا الاقليم فى افريقية نشير الى الفرق بين هذا التعميم وبين التفاصيل التى يعطيها "كين" لأجزائه المختلفة، فالحرف W يعنى أن المطر صيفى وأن الجفاف يقع فى فصل الشتاء، أما الحرف F فيعنى أن المطر يسقط طوال العام، وأما الحرف A وقد ورد من قبل ويقصد به صيف حار، وأخيرا الحرف B ويقصد به الصيف المعتدل.

ويمتد هذا النوع من المناخ فى القسم الجنوبي الشرقى من افريقية الى الجنوب من المناخ Aw ومواجهها فى جزء منه لنظام البحر المتوسط الذى يوجد على الجانب الغربى من القارة، والجزء من الاقليم هو المطر الدائم Cfa, Cfb يشرف على الساحل مباشرة حيث أن هذا الساحل يواجه الكتل الهوائية المدارية الرطبة القادمة من المحيط الهندى، ويميزه "كين" بالحرف F للتدليل على

أنه رطب حيث لا يوجد به فصل جفاف حقيقي، والجزء الشمالي من هذا المناخ الرطب يتميز بصيف حار ولذلك يضاف اليه الحرف A وهنا تفوق درجة الحرارة في فصل الصيف ٢٢ مئوية، ولكنه يتحول الى اقليم ذى صيف معتدل في قسمه الجنوبي حيث أكثر شهور السنة حرارة لاتصل الى ٢٢ مئوية. والاقليم Cfb في الطرف الجنوبي الشرقى من القارة شبيهه في هذه الناحية بالاقليم Csb الذى يشغل الطرف الجنوبي الغربى من القارة وهو اقليم البحر المتوسط السالف الذكر، والاختلاف الوحيد بينهما يتعلق بفصلية المطر.

أما القسم الذى يميز بالحروف CW وهو الاقليم المعتدل ذو المطر الصيفى فيوجد فى الداخل بعيدا عن الساحل. وهذا النوع من المناخ وان كان يحصل على مطره من المؤثرات الشرقية كما هو الحال بالنسبة للنطاق الساحلى، الا أن موقعه الداخلى يجعل مطره أقل من ناحية وقاصرا على فصل الصيف من ناحية أخرى، والمطر الصيفى به يأتى عندما تزداد قوة الكتل الهوائية القادمة من الشرق ويتمكن من الدخول الى الداخل بعد أن تتكون منطقة للضغط المنخفض فوق جنوبى داخل أفريقية فى فصل الصيف الجنوبى، وهذا الضغط المنخفض ما هو الا امتداد للضغط المنخفض الاستوائى الذى يتحرك جنوبا مع حركة الشمس الظاهرية.

وإذا نظرنا الى هذا القسم من قارة افريقية نجد أن الأنواع المناخية تتدرج فيه نحو الجفاف كلما اتجهنا من الساحل الشرقى الى الداخل ثم الى الساحل الغربى، فمن الاقليم ذى المطر الدائم F الى الاقليم ذى المطر الصيفى W الى شبه الصحراء BS ثم الى الصحراء.

وفيما يلى جدول يشمل عددا من المحطات التى تبين هذه الاختلافات فى كمية وفصلية المطر فى هذه المنطقة من القارة الافريقية.

مدينة دربان - Cfa الحرارة بالمتوى والمطر بالبوصة

الحرارة	٢٥	٢٥.٥	٢٤	٢٢	٢٠	١٨.٥
	١٨	٢٠	٢١	٢٢	٢٤	
المطر	٤.٩	٥.٤	٣.٤	١.٩	١.٢	١.٢
	١.٧	٣.٢	٥	٥.١	٥.١	٤٣.٢

مدينة بلومفتين Cw

الحرارة	٢٢	٢١	٢٠	١٥.٥	١١	٩
	٩	١١	١٥	١٧	٢٠	٢٢
المطر	٣.٨	٢.٣	٣.٦	١.٨	١.١	٠.٤
	٠.٤	٠.٩	١.٧	٢.١	٢.٣	٢١.٩

بورت اليزابيث Cfb

الحرارة	٢١	٢١	٢٠	١٩	١٧	١٥
	١٥	١٥.٥	١٦.٥	١٨	٢٠	
المطر	١.٢	١.٣	١.٨	١.٩	٢.٤	١.٧
	٢.١	٢.٣	٢.٢	٢	١.٦	٢٢.٤

جوهانسبرج

الحرارة	١٨	١٧	١٦	١٥	١٣	١٠
	١٠	١٣	١٦	١٧	١٨	
المطر	٥.٦	٥	٣.٨	١.٣	٠.٧	٠.١
	٠.٣	٠.٩	٢.٧	٥.١	٤.٨	٣٠.٩

ويبدو من هذه المحطات أن دربان ذات مطر موزع على مدار السنة وأن كمية المطر لاتقل في أى شهر من الشهور عن ١.٢ بوصة، كما أن حراراتها تصل الى أكثر من ٢٥ مئوية في آخر شهور السنة، وتفق ٢٢ مئوية في ستة أشهر، وإذا قورنت دربان مع بورت اليزابيث فاننا نجد أنه لاختلاف يذكر في كمية المطر، بينما حرارة الصيف تنخفض بشكل واضح في الأخيرة فلا تتعدى ٢٢ مئوية في آخر الشهور، وهذا هو الفرق بين النوعين، ويرجع هذا الاختلاف الى تأثير خط العرض وأثر المياه الباردة عند الطرف الجنوبي لقارة (٦).

أما المحطات ذات الجفاف الشتوى فقد مثلنا لها بمدينتى بلومفنتين وجوهانسبرج، ففي جوهانسبرج تنخفض كمية المطر في فصل الشتاء الى ٠.١ من البوصة في شهر يونيه، بينما ترتفع كمية المطر في شهر يناير الى ٥.٦ بوصة. كذلك الحال في بلومفنتين حيث تنخفض كمية المطر في شهر يونيه الى ٠.٤ من البوصة، وترتفع الى ٢.٨ بوصة في شهر يناير.

المناخ Am

وهو المناخ الموسمي، وقد يعتقد بعض الدراسين أن تسمية الاقليم الموسمي بهذا الاسم تعتبر كافية للتدليل على وصفة المناخى، غير أن الموسمية -وهى هنا تعنى موسمية المطر- ليست قاصرة على هذا الاقليم بالذات، وانما الموسمية فى المطر توجد فى كل أقاليم العالم التى يسقط مطرها فى فصل أو موسم بعينه، لذلك فان هذه التسمية قاصرة وبها شئ من التعميم. وفى تصنيف "كين" فان استخدام الحرف M له دلالة مناخية خاصة وهى أنه يشير الى مطر صيفى من الغزارة بحيث يعوض جفاف الشتاء. لذلك كان فصل الشتاء فى اقليم السفانا وعلى الأخص أواخره من الفترات التى توصف بفصل الجوع وذلك عندما تجف النباتات وينخفض مستوى الجريان السطحى والماء الباطنى وتضعف الحيوانات ويموت بعضها جوعا وعطشا، ويتأثر الانسان بوضوح بهذه الاحوال. مطر الصيف تجعل من جفاف الشتاء عابرا محتملا(٧).

يضع لنا "كين" معادلة يصنف على أساسها المناخ بأنه Am وهى:

$$\text{مطر أجف الشهر} = \frac{\text{المطر السنوى (بالبوصة)}}{٢٥} - ٣.٩٤$$

فاذا كان ناتج المعادلة أكثر من كمية المطر فى أجف شهور السنة فان المناخ يكون Am ، والا فهو شئ آخر. وغنى عن الذكر أن كمية المطر السنوى لا بد أن تكون على الأقل ٩٨.٥ بوصة حتى يكون المناخ من النوع M (٨).

وبالنظر الى توزيع الأنواع المناخية فى افريقية فاننا نجد أن المناخ Am يوجد فى جزء صغير منها فى منطقة ساحل غانا، ويدعو هذا الوضع الى التأمل، غير أننا لو تذكرنا أن المناخات غزيرة المطر تتميز فى افريقية بالانكماش، وأن المناخات الجافة تتميز بالاتساع والتعدد وطبقنا هذا على الاقليم Am لأصبح الأمر بالنسبة لضيق مساحته شيئاً عادياً، فالمناخ Am كما ذكرنا فى الفقرة السابقة من المناخات المطيرة أو بالأحرى الغزيرة المطر، وهذا وضع غريب على القارة الأفريقية، لذلك ضاق فيها هذا النوع من المناخ. ومن أمثلة المناخ الموسمى فى افريقية مدينة فريتاون فى سيراليون حيث كمية المطر السنوى ١٧٥.٣ بوصة، وبينما تسقط ٣٦.٦ بوصة فى شهر أغسطس وحده، فإن الكمية فى شهر يناير لا تتعدى ٠.٤ من البوصة. وفى شهر مايو ويونيه ويوليه وأغسطس وسبتمبر وأكتوبر -وهى شهر نصف السنة الصيفى- يصل مجموع كمية المطر الى ١٤٤.٨ بوصة أو حوالى ٩٣٪ من كمية المطر السنوى، وهذا يظهر لنا الموسمية الحادة فى هذا الاقليم. ولاننسى أيضاً أن الحرف M لا يقترن الا بالحرف A وهو الذى يدل على الظروف المدارية من حيث الحرارة .

المناخ Af

وهو المناخ المدارى المطير أو كما يسميه بعض العلماء المناخ الاستوائى وهو النوع الذى تسوده الحرارة المرتفعة ويسقط به المطر الغزير طوال شهر السنة بون فصلية واضحة سواء فى الحرارة أو فى الأمطار. وقد اشترط "كين" لهذا الاقليم أن تكون حرارة أبرد شهور السنة ٨. منوية على الأقل، وأن تكون كمية المطر فى أقل الشهور مطراً ٢.٤ بوصة. وقد تكون الحرارة أعلى من هذا الحد الأدنى، وأن يكون المطر أكثر من ٢.٤ بوصة فى أي شهر.

والاقليم Af يوجد فى افريقية فى اجزاء من حوض الكنفو وأجزاء من ساحل غانا بالقرب من مصب نهر النيجر وامتداد هذه المنطقة نحو الشرق، كذلك يسود هذا النوع المناخى على الساحل الشرقى لجزيرة مدغشقر وهو

الساحل المواجه للكتل الهوائية المحملة ببخار الماء والقادمة من المحيط الهندي. والمناخ Af لايمتد فى شرقى القارة الأفريقية كما هو الحال فى قارة أمريكا الجنوبية أو فى قارة آسيا، وذلك بسبب الارتفاع حيث تقل درجات الحرارة عن الحد المطلوب، وبسبب قلة كمية المطر حيث أن مصدر الرطوبة يأتى من الغرب فى الجزء من أفريقية وذلك على أثر عبور الرياح لخط الاستواء وتغيير اتجاهها من جنوبية شرقية الى جنوبية غربية(٩)، والغريب أن منطقة المجرى الأدنى لنهر الكنفو ومنطقة المصب لاتباع المناخ Aw حيث أن كمية المطر السنوى فى مدينة بنانا على مصب الكنفو تصل الى ٢٨.٦ بوصة فقط، وتنخفض الكمية الى الصفر فى شهرى يونية ويولية، ولا تتعدى ٠.١ من البوصة فى شهرى أغسطس وسبتمبر. والمنطقة المحيطة بمصب الكنفو تتبع بذلك المناخ AF بل وتقترب من الظروف شبة الصحراوية السائنة فى منطقة الساحل الجنوبى الغربى من القارة. وترجع قلة المطر فى هذا الجزء من حوض الكنفو الى شكل الساحل الغربى لافريقية الى الجنوب من خط الاستواء حيث أن اتجاه الساحل فى هذا الجزء هو نفس اتجاه الرياح السائدة ويساعد على الجفاف أيضا وجود تيار بنجويلا البارد الذى يحمل المياه الباردة الى مناطق قريبة من خط الاستواء عند مصب نهر الكنفو، ووجود هذه المياه الباردة لايساعد على سقوط الأمطار.

والمثال الجيد للمناخ الاستوائى المطير فى افريقية هو مدينة أكاسا عند مصب نهر النيجر حيث أقل شهور السنة مطرا هو شهر يناير وتصل كمية المطر فيه الى ٢.٦ بوصة. أما مدن لولوابورج Luluaburg فى الحوض الأعلى لنهر كاساي، مدينة موباى Mobaie فى الحوض الأوسط لنهر أوبانجى فلا تتعدى كمية المطر السنوى فيهما ٦٠ بوصة، وبهما شهور تنخفض فيها كمية المطر الى أجزاء من البورصة. وتقف هذه المحطات فى تناقض واضح مع المحطات الاستوائية فى القارات الأخرى مثل مدينة بادانج فى جزيرة سومطرة حيث تصل كمية المطر السنوى الى ١٧٧.٦ بوصة وحيث أقل شهور السنة مطرا يحظى بكمية تصل الى ٩.٩ بوصة. ومدينة سانتوس فى البرازيل وبها كمية المطر السنوى ٧٨.٠ بوصة، وكمية المطر فى أقل الشهور ٢.٤ بوصة.

أما الساحل الشرقى لجزيرة مدغشقر فأن له ظروفًا مواتية تجعله يتميز بمناخ من نوع Af حيث تصل كمية المطر السنوى فى تامتيف Tamatave الي ١٣٠.٩ بوصة، والكمية فى أقل الشهور مطرا تصل الي ٣.٩ بوصة.

وليفوتنا أن نذكر أن هناك أمثلة فريدة لمحطات مناخية فى الأقليم Af الافريقى رغم هذه الصورة العامة التى قدمناها للاقليم. إذ ان هناك مناطق من هذا الاقليم تتخذ أحيانا كأمثلة لأغزر جهات العالم مطرا وتقف من هذه الناحية فى مصاف تشيرابونجى فى شبه القارة الهندية، والسواحل الشمالية لجزيرة هوائى فى المحيط الهادى، تلك هى مرتفعات الكمرون حيث تصل كمية المطر السنوى فى مدينة دوالا Duala الي ٤١٢ بوصة، وفى شهر واحد وهو شهر سبتمبر تسقط ٦٥.٢ بوصة ويدانيه فى هذا تقريبا شهور يونية ويولية وأغسطس.

خاتمة

فى نهاية هذا البحث نود أن نوضح أن دراسة مناخ القارة الافريقية تظهر خصائص خاصة بهذه القارة تميزها عن غيرها من القارات وأن تساوت العروض، فمن ازواجية توزيع الأقاليم فى لشمال والجنوب من خط الاستواء، الى التباين الكبير بين إقليم الشمال وأقاليم الجنوب وان تشابهت الأسماء، ويسهل الأمر كثيرا استخدام أحد التصنيفات المناخية فى رسم الصورة المناخية للقارة، فالأسماء المناخية أو النباتية لاتعطى أية فكرة عن الفوارق المناخية بين إقليم واقليم، أما استخدام تصنيف مناخى يعتمد على الأرقام فانه يوضح لنا خصائص كل اقليم على حدة.

ويكفى أن ننهى هذا البحث بمقارنة خريطة الأقاليم المناخية فى افريقية (شكل ١) طبقا لتصنيف "كين" مع خريطة بها بعض الحدود النباتية ذات الدلالة الهامة (شكل ٢) مثل حدود نمو شجرة نخيل الزيت وهى شجرة مدارية تنمو فى المناطق المطيرة، وحدود نمو شجرة الباوباب وهى أيضا شجرة مدارية ولكنها تنمو فى المناطق ذات المطر الصيفى المحدود، وحدود نمو شجرة نخيل البلح وهى شجرة مدارية تنمو فى المناطق ذات المطر القليل النادر، فمقارنة هذه الحدود مع الحدود المناخية للأقليم Af نو المطر الغزير، والأقليم Aw نو المطر الصيفى المحدود، وحدود الاقليم B وهو الاقليم نو المطر القليل والنادر تظهر مدى فائدة استخدام خريطة "كين" فى التوزيعات المناخية الاقليمية.

ولاشك أن الصورة تكتمل تماما اذا قارنا بين أقاليم "كين" فى افريقية وبين الخريطة النباتية للقارة (شكل ٢). هذه المقارنات توضح لنا مدى أهمية استخدام خريطة مناخية جيدة التوزيع وواضحة الحدود والمعالم فى الدراسات الجغرافية عن هذه القارة.

الهوامش

- 1- Walter Fitzgerald; Africa, 1961, London, p. 61.
 - 2- Kendrew, W.G., The Climates of the Continentes, 2nd ed. Oxford, 1961, pp. 29 - 146.
 - 3- Henry M.Kendall and Others; Introduction to Geograophy, 2nd ed. New York, 1958, p. 139.
 - 4- Verner C. Finch and Others, "Elements of Geography," New York, 1957, p. 139.
- ٥ - من المعتقدات السائدة بين كثير من الدارسين للمناخ أن استخدام المتوسطات المناخية لمدة ٢٥ عاما يضع الباحث في موضع الامان، وهذا الاعتقاد يجانبه الصواب اذا أن المتوسطات المناخية عبارة عن مقبرة تدفن فيها الاختلافات بين سنة وأخرى، وقد تكون هذه الاختلافات أو هي فعلا أهم بكثير للبحث العلمى من دراسة المتوسطات.
- 6- Monica M. Cole, "South Africa," London, Methuen and Co. Ltd., 1966, p. 32.
 - 7- BrookS, C.E.P., "The Rainfall of Nigeria and The Gold Coast, Quart. Journ. R. Met. Soc. 1916
- ٨ - اذا كانت كمية المطر السنوى ٩٨.٥ بوصة فإن الناتج من المعادلة سيكون صفر وهو أقل ما يمكن، أما قل المطر السنوي عن ٩٨.٥ فإن ناتج المعادلة سيكون بالسالب وهو غير جائز
- $$\left(\frac{98.5}{25} - 3.94 = \text{صفر} \right)$$
- 9- W.B. Morgan and J.C. Pugh, "West Africa" Methuen & Co. Ltd., London, 1969. pp. 176 - 217.

ماذا بعد الجفاف في إفريقيا

د . يوسف عبد المجيد فايد

أستاذ الجغرافيا

جامعة القاهرة

القاهرة

١٩٩٧

ماذا بعد الجفاف فى إفريقيا

مقدمة :

أصاب النطاق شبه الصحراوى فى أفريقيا - وهو النطاق الواقع بين الاقليم الصحراوى من ناحية واطليم السفانا من ناحية أخرى - جفاف حاد خلال العقدين الأخيرين مما أدى الى تدهور أحوال الحياة النباتية والحيوانية ومن ثم الحياة البشرية فى الأقليم بشكل كبير. ومن المعروف أن هذا النطاق تتراوح كميات المطر به ١٠، ٢٠ بوصة فى السنة، غير أنه قد تمر سنوات عديدة يقل فيها المطر الساقط عن المعدل المعروف بكثير، وقد تجئ سنوات أيضا تسقط فيها كميات كبيرة غير متوقعة من الأمطار التى تأخذ شكل الرخات الغزيرة المفاجئة التى تفرق المعدلات المعروفة (كما حدث هذا العام ١٩٨٨). فالإقليم بهذه الصورة يتأرجح بين النطاق المطير الى جنوبه والنطاق الصحراوى الى شماله مما يجعله عرضة للأخطار المتلاحقة سواء كانت أخطار الجفاف كما حدث فى السنوات الأخيرة، أو أخطار السيول والفيضانات كما حدث أخيرا. وقد أصبح هذا الإقليم محط أنظار الدارسين، لذلك رأينا أن نلقى الضوء على بعض جوانب هذه المشكلة بطريقة غير تقليدية وأن نتطرق الى الإجابة على بعض التساؤلات التى كثيرا ما تثار حول هذا الموضوع.

ماهو الجفاف :

لابد أولا من التفرقة بين الجفاف والمجاعة وقلة المطر، حيث أن الكثيرين يخلطون بينها، أو على الأقل يعتقدون أن الواحدة منها تؤدى الى الأخرى بصورة مباشرة، وهذا اعتقاد غير دقيق. فقد يقل المطر ولكن لايسود الجفاف، وقد يوجد الجفاف ولكن لا تعم المجاعة. فالمطر ينقص ويزداد من سنة لأخرى فى كل جهات العالم، ولا يوجد مكان على سطح الكرة الأرضية تسقط فيه كميات متساوية من الأمطار من سنة لأخرى. غير أنه من المعروف أن الأقاليم قليلة المطر تزداد فيها درجة الذبذبة فى كمياته من سنة لأخرى.

والأقاليم الأكثر ذبذبة فى كمية الأمطار هى المناطق الهامشية الواقعة بين الأقاليم شبه الجافة والأقاليم الجافة، ذلك لأن ظروفها تتبع الأقاليم شبه الجافة فى بعض السنوات، وتتبع الأقاليم الجافة فى سنوات أخرى، فإذا استمرت أحوال الجفاف هى السائدة لعدة سنوات متتالية أو متقاربة فإن الأمور تسوء لدرجة كبيرة خصوصاً وأن هذه المناطق قد تعودت على أن تحصل على أمطار الأقليم شبه الجاف فى بعض السنوات على الأقل وبحسب قوانين الاحتمالية بنسبة ٥٠٪.

غير أنه على كل الأحوال لا بد أن نفرق بين قلة المطر أو انحباس المطر وبين الجفاف وبين المجاعة، فقلة المطر شئ واضح ويعرف مباشرة من مقاييس المطر التى توجد فى محطات الأرصاد الجوية، ومن مقارنة هذه الكميات من سنة لأخرى فى المكان الواحد نستطيع أن نقول أن المطر فى سنة ما أو فى عدد من السنين أقل من المعتاد أو أكثر من المعتاد، ويقصد بالمعتاد هنا متوسط كمية المطر التى تسقط. والمتوسط يؤخذ من أرقام عدد السنين اتفق بين المشتغلين بالدراسات المناخية أن يكون ٣٥ سنة.

غير أن قلة الأمطار لاتؤدى بالضرورة الى الجفاف، فهناك عوامل عديدة تساعد على حدوث الجاف أو عدم حدوثه. فمثلاً اذا كانت الحرارة مرتفعة فى وقت سقوط الأمطار ساعد هذا على إحتمال حدوث الجفاف لأن سقوط الأمطار فى فصل الحرارة المرتفعة يؤدى الى تبخر جزء كبير من الأمطار الساقطة ومعنى هذا أيضاً زيادة المتبخر فى الأقاليم الحارة عنها فى الأقاليم المعتدلة والباردة. كما أن مسامية التربة وشدة انحدار سطح الأرض يساعدان على قلة فاعلية المطر وقلة اتفاعة النبات والحيوان والإنسان من الأمطار الساقطة وبالتالي حدوث الجفاف.

أما المجاعة أو القحط فهو تعبير إقتصادي يدل على أن انتاج المواد الغذائية يقل عن الوفاء بحاجة السكان، كما أن هؤلاء السكان لا يملكون القدرة المالية على شراء حاجاتهم من المواد الغذائية من مناطق أخرى لتعويض النقص

فى الغذاء، أى لا توجد لديهم بدائل للإنتاج النباتى والحيوانى، فإذا قل الناتج من هذه المواد الغذائية عانت هذه المناطق وعم القحط.

ومعنى هذا أنه من الممكن أن يقل المطر فى بعض جهات العالم ولكن هذا لا يؤدى الى الجفاف، كما أنه من الممكن أن يحدث الجفاف ولكنه لا يفضى الى المجاعة.

وحالة الجفاف اذا هى بمعنى آخر انخفاض فاعلية المطر وليست فقط قلة كمية، ومن أكثر علماء المناخ الذين اهتموا بموضوع فاعلية المطر هو العالم الأمريكى وارن ثورنتويت فى تصنيفه المناخى الشهير الذى نشره عام ١٩٤٨، وتقوم الفكرة الأساسية لتصنيف ثورنتويت على استخراج قيمة أطلق عليها طاقة التبخر والنتج $Potenetial\ evapotranspiration$ وهو يستخرجها كقيمة شهرية معتمدا على درجات الحرارة وعلى نوع التربة، وهذه القيمة هى اللازمة لنمو النبات بحالة جيدة، واذا قورنت هذه الكمية بالكمية الفعلية للمطر التى تسقط فى المكان فاننا نحصل على قيم بالزائد اذا كان المطر الساقط أكثر من الـ PE أو بالسالب اذا كان المطر الساقط فعلا أقل من قيمة التبخر والنتج. بجمع القيم الموجبة نحصل على معامل الرطوبة، وبجمع القيم السالبة نصل على معامل الجفاف. ثم يقوم ثورنتويت بإدخال هذين المعاملين مع قيمة طاقة المتبخر النتج فى معادلة لإستخراج قيمة جديدة $\frac{S \times 100 - D \times 60}{PE}$ تعطينا فكرة عن طبيعة الأقليم من حيث كفاية المطر به أو عدم كفايتها^(١).

هل الجفاف دورى:

من الأسئلة الهامة أيضا، هل الجفاف يحدث فى دورات، وهل هى دورات منتظمة أى كل ثلاث سنوات أو كل خمس سنوات أو كل سبع سنوات أو كل إحدى عشرة سنة أو كل خمسة وثلاثين سنة. وهنا لابد أن نفرق بين الجفاف الذى يحدث فى دورات طويلة تقاس بالآف أو ملايين السنين وبين الجفاف الذى نحن بصددده هنا. حيث أن هناك خلطا بينهما أحيانا خاصة لدى غير

المخصصين من الجمهور العام الذي اذا مرت به عدة سنوات ذات مطر قليل تسرع في القول أننا تركنا عصرًا مطيرًا ونتجه الى عصر جفاف على سياق ما حدث في عصر البليستوسين. وبالمثل اذا جاءت عدة سنوات باردة اذا بالبعض يقول اننا مقبلون على عصر جليدي آخر يضاهاى الفترات الجليدية التي مر بها العالم في البليستوسين. غير أن الخطأ في هذا التنبؤ يكمن في أن البعض يقرن بين متناقضين هما الاتجاه الى فترة جليدية وشيكة الحدوث وفي نفس الوقت فترة جافة، رغم ما هو معروف أن الفترات الجليدية كانت مقرونة في الغالب بفترات في العروض الدنيا من الكرة الأرضية.

وعلى أية حال ورغم أنه لم يثبت ولا يمكن أن يثبت نون أرصاد عدة سنوات أن هناك فترة جليد أو فترة جفاف، فإن هناك فرقاً كبيراً بين الجفاف على مستوى العصور الجيولوجية ودورات الطويلة على مدى آلاف السنين وبين الجفاف الذي نشاهده في إقليم الساحل في قارة إفريقية في السنوات الأخيرة.

ولابد أن نقرر هنا أن موجات الجفاف الأخيرة في افريقية وان أخذت صفة الدورية إلا أنها ليست بالتاكيد دورات منتظمة. كما أنها ليست ذات أطوال محددة بالضبط. فقد يكون الجفاف لسنة واحدة أو اثنتين أو ثلاثة أو غير ذلك. ومن الطبيعي أن يميل الدارس لهذه الظاهرة لى الوصول الى دورات جفاف ودورات مطر واضحة ومحددة ومنتظمة لأسباب متعددة، أولها وهو شئ لا يخفى على أحد أن هذا شئ مستحب يسهل عملية التنبؤ بفترات المطر وفترات الجفاف وما يترتب على هذه المعرفة من استعدادات لكل منها.

وربما يرجع هذا أيضا الى التأثير بما ورد في القرآن الكريم عن السنوات السبع العجاف والسنوات السبع السمان التي حدثت في أيام سيدنا يوسف عليه السلام. غير أن ما حدث في عصر يوسف عليه السلام ليس بالضرورة أن يحدث بنفس الصورة مرة أخرى وليس هناك ذكر لإمكانية حدوثه بنفس الصورة أو المدة في القرآن الكريم، ولكنها حادثة لها دلالتها في ذلك الحين ولها أيضا دلالتها المناخية وما صحب ذلك ويصاحبه حتى الآن من توسع وإنكماش في

مساحة وإنتاجية المحاصيل الزراعية. غير أن ما يجب أن نسلم به أن الذنبية تحدث ولكن ليس بالضرورة كل سبع سنوات فالأرصاء الحالية لم تثبت لنا هذا رغم حودثه بهذه الصورة فى الماضى فى حائفة محددة بالذات.

هل أسباب الجفاف طبيعية (أو بشرية) :

يعد الإنسان - من خلال أنماط استخدامه للأرض بل ومن خلال استخدامه لكافة عناصر البيئة بما فيها الغلاف الجوى - سببا قويا وراء ما يتهدد الأنظمة البيئية من أخطار. لكل نظام بيئى طاقة أو حمولة، اذا ما زاد الضغط عليها، وهو ما يعبر عنه بالإستخدام الجائر أو الزائد، كلما حدث خراب لهذا النظام.

ولا شك أن بداية أحوال الجفاف فى اقليم الساحل فى افريقية ترجع لأسباب مناخية أى طبيعية متمثلة فى قلة المطر أو ما يعرف عادة بانحباس المطر عن معدلاته المعهودة، وقد انخفضت كميات المطر السنوى فى هذا الاقليم فى بعض السنوات الى النصف أو أقل ومن موجات قلة المطر الشهيرة فى القرن العشرين :

١ - من ١٩١٢ الى ١٩١٥

٢ - من ١٩٢٣ الى ١٩٢٧

٣ - من ١٩٣٩ الى ١٩٩٥

٤ - من ١٩٦٨ الى ١٩٧٣

كما أنه قد وردت فى الكتابات التاريخية أخبار عن سنوات جفاف أخرى فكانت ٦٥٠ ميلادية، ٦٥٣، ٦٧٨، ١٠٦٧، ١٠٧٤ من السنوات الشحيحة المطر.

وكما تعد الذنبتات المناخية شيئا عاديا حدث وتكرر فى الماضى البعيد والقريب وما زالت تحدث فى الحاضر، فمن الإنسان قد زاد من حدتها وتفاقمها خلال السنين الأخيرة وذلك بالإستخدام السئ لموارد بيئية محسودة العطاء، حيث

أن التوازن البيئي Eco - equilibrium ينبع أساساً من الأنشطة التي يزاولها الإنسان وأنماط استخدامه للأرض. وقد ظهرت مشكلة الجفاف بوضوح مع ازدياد هذا الاستغلال فوق طاقة البيئة الطبيعية، وقد تمثل هذا الاستخدام الزائد في التوسع العمرانى وتطور استخدام الآلات والتوسع الزراعى فى أقاليم هامشية لا تكفى موارد المياه فيها بالتوسع الزراعى وكذلك فى تقطيع الأشجار وزيادة أعداد الحيوانات وما يصاحب هذا من الرعى الجائر.

وقد كان لإدخال محاصيل جديدة لم تكن معروفة من قبل مثل القطن والأرز وهى محاصيل تحتاج الى كميات كبيرة من المياه، وكذلك أعداد الحيوانات وتركزها حول الآبار. وإزالة الأشجار والشجيرات التى تنمو طبيعياً، كان لكل هذا آثار سيئة على انهيار التوازن البيئى فى الإقليم. ولا شك أن أى خلل ولو بسيط فى التوازن البيئى فى مثل هذا الإقليم يؤدي الى آثار بالغة الخطورة بسبب المستوى التكنولوجى والإجتماعى والإقتصادى لسكانه الذين يصنفون مع الدول النامية أو دول الجنوب.

وفيما يلى بيان بتطور أعداد السكان وأعداد الحيوانات فى مناطق افريقية الجافة وغير الجافة فى الفترة من ١٩٥٠ الى ١٩٧٤: (٢).

أعداد السكان (بالمليون)

١٩٧٤ ... ١٩٧٠ ... ١٩٦٥ ... ١٩٦٠ ... ١٩٥٠

افريقية الجافة ١٦٢ ٢٠٤ ٢٢٦ ٢٥٨ ٢٨٨

افريقية غير الجافة ٥٥ ٧٠ ٧٧ ٨٧ ٩٦

أعداد الحيوانات (بالمائة وحدة حيوانية) :

١٩٧٤ ... ١٩٧٠ ... ١٩٦٥ ... ١٩٦٠ ... ١٩٥٠

افريقية الجافة ١١٤ ١٤٥ ١٦٤ ١٩١ ١٨٤

افريقية الغير جافة ٣٥ ٣٩ ٤١ ٤٢ ٤١

ومصر تتأثر بموجات قلة المطر التي تحدث في اقليم الساحل في افريقية من خلال مستوى الفيضان، وقد اتضح هذا في مستوى بحيرة ناصر ابتداء من عام ١٩٧٩. عندما بدأ السحب منها بكمية كبيرة لتعويض المستوى المنخفض للفيضان، وان كانت هناك سنوات فيضانها فوق المتوسط مثل موسم ١٩٨١/١٩٨٢، ١٩٨٢، ١٩٨٥/١٩٨٦. وقد وصل الرصيد الحى (٣) في بحيرة السد العالى عام ١٩٨٧ الى ٢٥ مليار متر مكعب من المياه. وقد بدأ المخزون في بحيرة السد العالى يزداد مع وصول فيضان ١٩٨٨ الذى وصل مبكراً (أواخر يولية حيث تصل مياه الفيضان عادة في أغسطس)، كما أن الدلائل تشير الى أنه فوق المتوسط أو عالى، وسوف يؤدي هذا الى زيادة رصيد البحيرة ودرأً خطر قلة المياه بعض الشئ:

بحث في دينامية سقوط المطر في اقليم الساحل في افريقية :

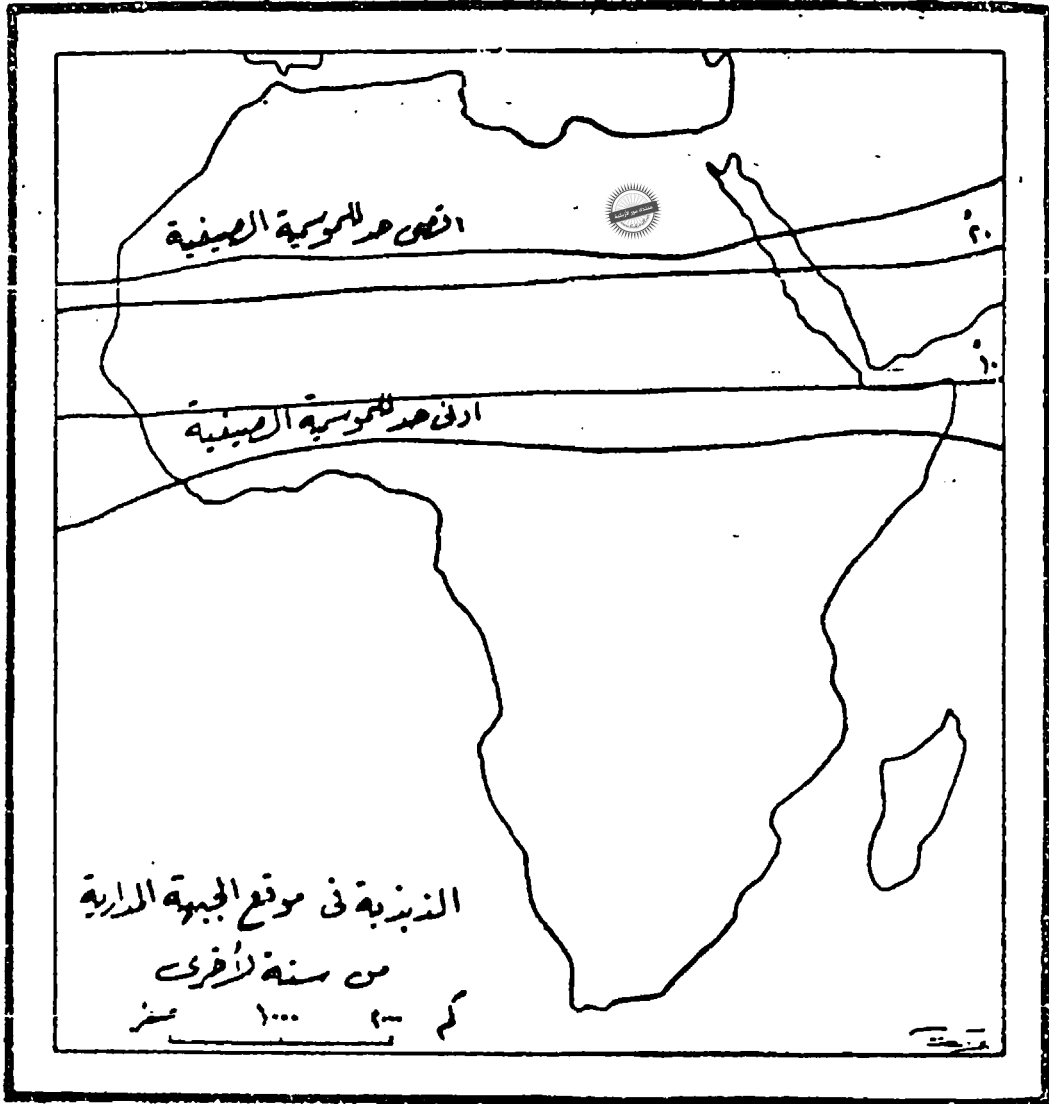
قد يتساءل المرء لماذا يقل سقوط المطر في بعض السنوات في اقليم الساحل؟ ولرد على هذا السؤال لابد أن نعرف عدة أمور هي أن مصدر المطر هو بخار الماء الذى يتبخر من المسطحات المائية ثم ينقله الهواء من مكان لآخر ثم يدخل في عمليات ميكانيكية وغير ميكانيكية تؤدي الى تبريد هذا الهواء والوصول بحرارته الى نقطة الندى ومن ثم حدوث التكاثف وسقوط المطر. ومعنى هذا أن سقوط المطر يرتبط بعمليات ثلاث أولها التبخر وثانيها نقل بخار الماء من مناطق تبخره الى مناطق تكثفه وسقوطه كأمطار وثالثها العمليات التى تؤدي الى حدوث التكاثف. وعلى هذا الأساس فمن نقص المطر يكون سببه قصور فى احدى هذه العمليات الثلاث أو فى أكثر من عملية.

فاذا نظرنا الى العملية الأولى وهى عملية التبخر نجد أنها تتأثر أساسا بدرجة الحرارة فكلما ارتفعت درجات الحرارة زاد التبخر والعكس صحيح. وقد كثر الحديث عن تغيرات فى درجات الحرارة التى تصل الى الأرض نتيجة لظهور البقع الشمسية أو الكلف الشمسى مما يؤدي الى تقليل قوة الأشعة الشمسية مما ينتج عن ذلك من خفض لدرجات الحرارة ومن ثم تقليل كمية المياه

المتبخرة. كذلك ذكر تأثير ثوران البراكين وما تخرجه هذه البراكين من دمار وأجسام صلبة تعمل على حجب جزء من الاشعاع الشمسى وحرمان الأرض منه مما يعمل على تقليل الحرارة وتقص التبخر. غير أن هذه العوامل لو صح تأثيرها على الحرارة والتبخر لأدت الى تقليل التبخر فى جهات العالم كلها وقله المطر فى كل الأقاليم وليس فى اقليم الساحل فى افريقية وحده نون سائر الأقاليم التى نسمع عن حدوث فيضانات مدمرة فى بعضها مثل الهند وجنوب شرق آسيا وغرب أوروبا وغيرها.

أما العملية الثانية وهى قوة الرياح التى تحمل بخار الماء من مناطق تبخره الى مناطق تكاثفه فإننا نعلم أنه كلما اشتدت قوة الرياح كلما كان هذا فى غير صالح سقوط المطر. ونقصد بقوة الرياح وضعفها هنا الرياح المتبادلة بين العروض المختلفة. اذ المعروف أن المناطق المدارية تزداد فيها الحرارة عن العروض العليا والوسطى. وتحاول الطبيعة أن توجد نوعا من التوازن فى درجات الحرارة ويتم هذا بواسطة الرياح التى تتحرك من المناطق الحارة الى الباردة ناقلة للحرارة، أو من المناطق الباردة الى الحارة ماقلة للبرودة، وأيضا ناقلة للرطوبة من مكان لآخر، وتسمى أجزاء الهواء المتحركة من مناطقها الى مناطق أخرى - حاملة لخصائص حرارية معينة ودرجات من الرطوبة - بالكتل الهوائى. ومرة أخرى نقول أن أى تغير فى خصائص هذه الكتل الهوائية أو فى حركتها من المفروض أن يشمل أقاليم أخرى فى العالم وليس اقليم الساحل الافريقى بالذات.

وهنا نأتى الى النقطة الثالثة وهى العمليات التى تؤدى الى تبريد الهواء ومن ثم حدوث التكاثر وسقوط الأمطار. ومن المعروف أن المطر يسقط فى اقليم الساحل فى افريقية صيفا نتيجة لوصول جبهة الالتقاء المدارية ITC الى هذا العروض. والجبهة المدارية تتحرك شمالا فى شهور الصيف الشمالية مع حركة الشمس الظاهرية للتعامد على مدار السرطان. وتصل الجبهة المدارية الى قرب خط عرض ١٠ شمالا فى هذا الفصل وعندها تلتقى الكتل الهوائية الشمالية مع الكتل الهوائية الجنوبية، والأخيرة تكون قادمة من فوق المحيط الهندى والأطلسى الجنوبى وتكون محملة ببخار الماء. وعلى



أثر الالتقاء وبسبب عمليات التسخين للهواء المدارى الرطب تتم عمليات التصعيد والتبريد والتكاثف وسقوط الأمطار. والجبهة المدارية التي يحدث عندها التصعيد وسقوط الأمطار عبارة عن نطاق عريض يصل الى بضعة مئات الكيلومترات ولايسير في نطاق مستقيم بل يتعرج شمالا وجنوبا كما أنه يتحرك شمالا وجنوبا بعض الشيء من يوم لآخر حسب قوة الكتل الهوائية القادمة من الشمال والتي تدفعه جنوبا بعض الشيء، أو القادمة من الجنوب والتي تدفعه جنوبا بعض الشيء، أو القادمة من الجنوب والتي تدفعه شمالا بعض الشيء، لذلك قد تصل الجبهة في بعض أجزائها الى خط عرض ١٥ شمالا أو أكثر وقد

تصل جنوبا الى خط عرض ٨ شمالا أو ما دون ذلك^(٤). ويؤثر موقع الجبهة وقوتها على كميات المطر الساقطة فالأمطار تسقط فى الأجزاء التى تقع فى نطاق الجبهة ولا تسقط فى الأجزاء التى تقع الى شمالها. كما أن المطر تتوقف كميته على مدى غنى الهواء الجنوبى ببخار الماء. ويظل الوضع كذلك حتى تبدأ حركة الشمس الظاهرية فى طريقها الى خط الاستواء فى شهر سبتمبر وإلى مدار الجدى بعد ذلك فتتحرك الجبهة المدارية الى جنوب خط الاستواء وتتلاشى الأوضاع التى تؤدى الى سقوط المطر فى إقليم الساحل ويحل فصل الجفاف.

ومن الواضح أن سنوات قلة المطر فى إقليم هى السنوات التى يكون فيها موقع الجبهة المدارية جنوبى على غير العادة، أو التى تكون فيها حمولة الكتل الهوائية الجنوبية من بخار الماء محدودة. وللأسف لم نستطيع حتى الآن تفسير هذه الأوضاع التى تحدث فى بعض السنوات دون غيرها.

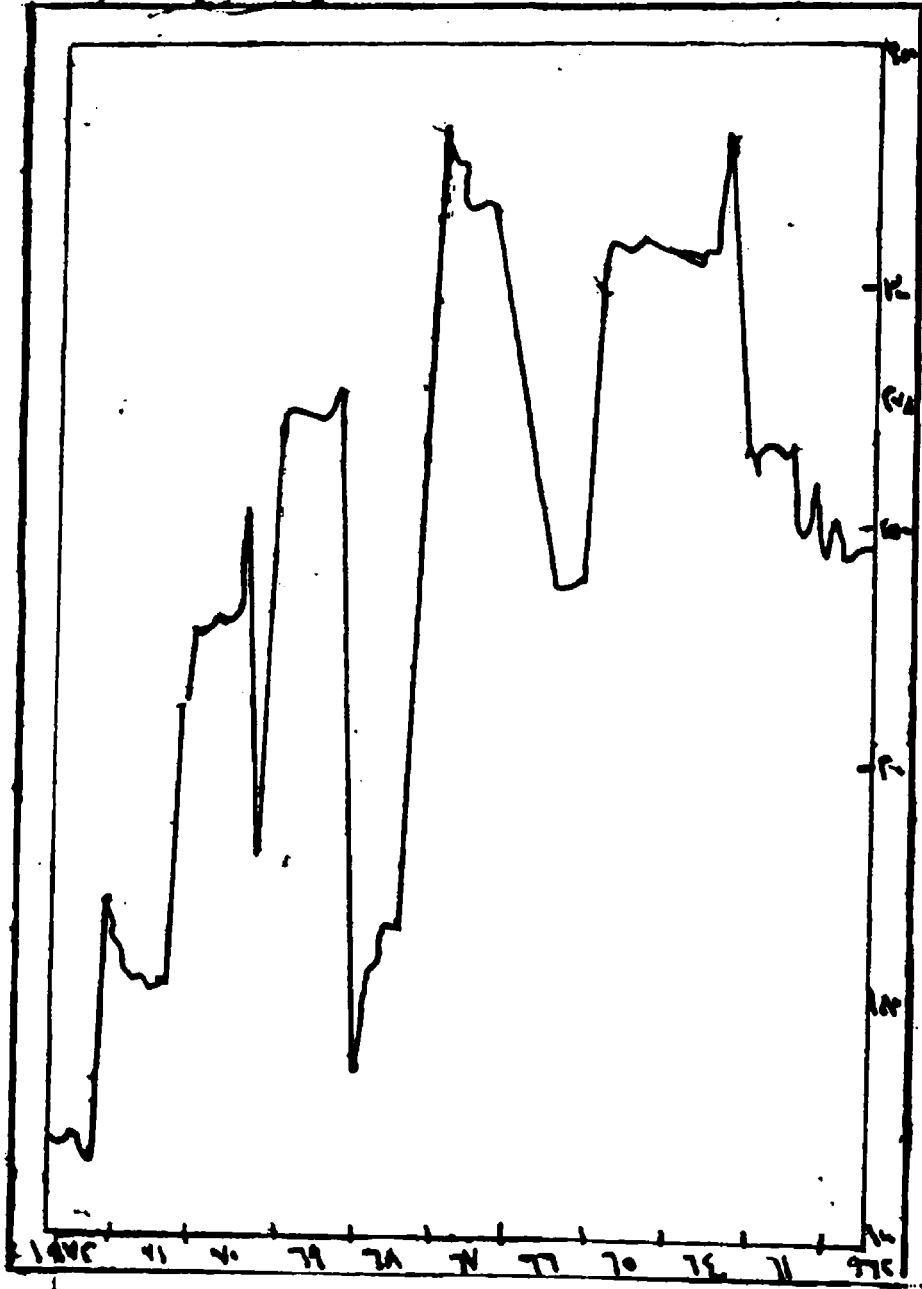
لماذا افريقية بالذات تصاب بالجفاف :

لابد أن يقفز الى أذهاننا لماذا أفريقية بالذات هى التى يحدث فيها الجفاف بهذه الحدة الظاهرة ولكى ندلل على أن الجفاف فى افريقية ليس لأسباب بشرية فقط وإنما له أساس من قلة المطر النسبية فى أقاليم افريقية اذا قورنت بنظيرتها فى قارات العالم الأخرى نورد الأرقام التالية :

كمية المطر السنوى بالبووصه	خط عرض	القارة	المدينة
٤٧,٦	١٣ شمالا	افريقية	بانهرس (غمبيا)
٣٨,٩	٥ شمالا	افريقية	منجلا (السودان)
٧٧,٢	١١ شمالا	آسيا	سايجون (فيتنام)
٧٢,٤	٢٠ شمالا	آسيا	بمباى (الهند)
٥٤,١	١٨ شمالا	أمريكا الوسطى	بورت اوبرنس (هايتى)
٦١,٨	١٢ جنوبا	أستراليا	دارون

وبالطبع فإن قلة المطر عن المعدل تحدث في كل جهات العالم وفي كل الأقاليم وفي جميع القارات، غير أن قارة افريقية تتضح فيها هذه الحالة أكثر من غيرها لأسباب جغرافية عديدة. فإذا نظرنا إلى جميع الأقاليم المناخية في افريقية أقل منها في قارات العالم الأخرى، ومعنى هذا أن قارة افريقية وخاصة في العروض المدارية تميل إلى الجفاف أساساً. وقارة افريقية أغلبها يقع في الأقاليم المدارية. ولتفسير هذا نورد الأسباب التالية: من الملاحظ أن قارة افريقية تمتد فيها مرتفعات جبلية وهضبية في جزئها الشرقى الذى هو مدخل الكتل الهوائية المدارية الرطبة، إذ المعروف في العروض الوسطى والعليا حيث أغلب الهواء يأتى من الغرب. وعلى هذا فإن المرتفعات الشرقية في افريقية تحجب عن بقية القارة قدراً كبيراً من رطوبة هذه الكتل الهوائية. ثانياً، أن الواجهة الشرقية لقارة افريقية ونقصد بها المواجهة المحيطية التى يأتى منها الهواء الرطب مسدودة باليابس الآسيوى وذلك إلى الشمال من القرن الأفريقى (البحر الأحمر بحر ضيق لا يمكن اعتباره بأية حالة مصدراً لكتل هوائية رطبة). وهذا يختلف تماماً عن القارات الأخرى مثل آسيا وأستراليا أو الأمريكتين فهى جميعاً تطل على محيطات فى شرقها. أما العامل الثالث فهو أنه حتى السواحل المفتوحة لافريقية المدارية تمر بجوار أغلبها تيارات بحرية باردة مثل تيار الصومال فى الشرق وتيار كناريا فى

رسم بياني



رسم بياني للذبيحة السنوية في كمية المطر في "نور الشرط"

الشمال الغربي وتيار بنجويلا في الجنوب الغربي، ومعروف أن التيارات البحرية الباردة تساعد على سيادة الجفاف في مناطق اليابس التي تمر بجوارها. هذه هي العوامل التي تؤدي إلى انخفاض معدلات المطر في الأقاليم الأفريقية عامة وفي إقليم الساحل خاصة. ومن المبادئ المناخية أن الأقاليم التي يقل فيها المطر هي أكثر الأقاليم التي تتأثر بالذبذبة في كميات الأمطار. ففي باهرست في غينيا سقطت في سنة ١٩٦٠ كمية من الأمطار وصلت إلى حوالي ٦٠ بوصة وفي السنة التالية سقطت ٦ بوصات من المطر فقط (٥). ولا شك أن توالي سنوات قلة المطر مع ما يصاحب هذا من أوضاع بشرية غير مواتية متمثلة في زيادة أعداد السكان وزيادة أعداد السكان وزيادة أعداد الحيوانات وسوء استخدام الأرض وعدم الدراية بالوسائل الحديثة في الرعي واستخدام موارد المياه وعدم وجود موارد أخرى تؤدي إلى حدوث الجفاف وما يتبعه من التصحر وحوث المجاعات.

ثم ماذا بعد حدوث الجفاف؟ :

عندما يقل المطر ويسود الجفاف ويتيسر الحشائش وتصعب الزراعة صعبة وتتفق الحيوانات ويصبح من الصعب على السكان الحصول على الغذاء وتتدهور صحة الأمهالي خاصة الشيوخ والأطفال نقول أن هناك مجاعة وتكون الحلول في نظر حكومات هذه الدول مثل موريتانيا ومالي والنيجر وتشاد والسودان واثيوبيا، أو الدول الأوربية والأمريكية الغنية أو منظمات هيئة الأمم المتحدة مثل منظمة الاغاثة أو الصحة العالمية أو منظمة الأغذية والزراعة، تكون الحلول في نظر هؤلاء جميعا هي ارسال المعونات السريعة إلى مناطق المجاعة متمثلة على وجه الخصوص في المواد الغذائية وخاصة الحبوب، إذ هي المواد التي يمكن نقلها بسهولة وتعتمد عليها السكان كعنصر أساسي وأحيانا وحيد في غذائهم. وأحيانا أخرى ينزح السكان من مناطق الجفاف إلى مناطق أخصبها أحوال أفضل أو ينزحون إلى عاصمة الدول ويعيشون على هوامش العاصمة أو ينتشرون داخل العاصمة بحثا عن مساعدة أو عمل بأية صورة سواء من النولة أو من الأفراد

وفى أغلب الأحيان عندما يزداد المطر مرة أخرى فإن التفكير المباشر هو أن يعود هؤلاء النازحون الى ديارهم وتعود الأمور سيرتها الأولى. وقد يركن هؤلاء النازحون الى الراحة والدعة فى الأماكن التى نزحوا اليها ويجدون من السهل أن يحصلوا على المعونات بصفة دائمة أو لأطول فترة ممكنة ويظلوا هكذا نازحين، غير أن المطر عندما يعود الى ديارهم لا يعود معه الرخاء تلقائيا أو بصورة مباشرة، بل قد تكون عودته بغزارة على تربة جافة خالية من الغطاء النباتى نعمة وليست نعمة لأنه سيؤدى الى تكون سيول ولا تصلح للزراعة. لذلك نقترح ما يلى بالنسبة لهذا الاقليم الذى أصابه الجفاف :

أولا : لابد من المسح الشامل الدقيق للاقليم للتعرف على تفاصيل طبيعته وأقسامه وامكانياته الفعلية سواء كانت زراعية أو رعوية.

ثانيا : تنظيم مناطق الرعى ومناطق الزراعة فى دورات محددة وتحديد أنواع الحيوانات وأعدادها ونوع المحاصيل التى تزرع.

ثالثا : استخدام الطاقة الشمسية فى الطهى وفى الأغراض الأخرى بدلا من الاعتماد على الوقود النباتى، والطاقة الشمسية موجودة وسهلة الاستخدام فى هذه البيئات المفتوحة الرعوية والزراعية حيث المساحات المتاحة شاسعة وحيث التوسع العمرانى أفقى وليس رأسى. كما أن الطاقة الشمسية تمثل موردا نظيفا من موارد الطاقة لا يخلف فضلات.

رابعا : وضع الرعاة والزراع جنوبا على الأطراف الأكثر مطرا ونباتاً فى الأقليم والتقليل من أعداد السكان والحيوانات فى الأجزاء الشمالية الجافة أو فى مناطق الآبار.

خامسا : زراعة أحزمة خضراء واتباع سياسة التشجير على حدود الاقليم الجافه.

سادسا : توعية السكان بحيث يتعرفوا على مشاكل اقليمهم حتى يعملوا على تحسين أوضاعه وليس على تفاقم مشاكله.

سابعاً : تحسين شبكة المواصلات داخل الاقليم وبينه بقية أجزاء الدولة.

ثامناً : تجميع المناطق الزراعية مع بعضها والمناطق الرعوية مع بعضها لتسهيل إدارتها وخدمتها والحفاظة عليها.

تاسعاً : زراعة حشائش علف للحيوانات وعدم الاعتماد على المرعى الطبيعي فقط ومحاولة توطين البنو الرحل.

عاشراً : تنويع أقتصاد الاقليم بحيث لا يعتمد على نوع واحد من الموارد.

هائى عشر : يجب تعليم السكان كيفية استغلال المصاطب النهرية ومناطق طرح الأنهار وهى عادة مناطق مرغوية، غير أنه يجب تنظيم استغلالها بحيث تستخدم فى زراعة محاصيل فصلية فقط، ويحظر استخدامها بصفة دائمة أو إقامة مبانى عليها أو زراعتها طول العام أو زراعتها بالأشجار، اذ بقدر خصوبة الغمر عندما يفيض النهر خاصة اذا جاء فيضانه مرتفعاً، ويصدق هذا أيضاً على هوامش الجزر النهرية. وما حدث فى فيضان النيل ١٩٨٨ لهو أصدق دليل على هذا، حيث اتسعت حدود الأضرار بسبب مرور سنوات عديدة متتالية ذات فيضان منخفض مما أدى الى إنكماش مجرى النهر تاركا مساحات واسعة على ضفتيه كان يغطيها فى سنوات الفيضان المرتفع، ونسى السكان فيضان ١٩٤٦، ونزلوا الى مصاطب النهر وهوامش الجزر فنزعوها بأشجار النخيل هكذا حتى اطمأن الناس الى سكنى هذه الجهات فى سنوات الجفاف وزاد اقترابهم من مجرى النهر أو بالأحرى من مورد الماء ووجدوا فى هذا سهولة كبيرة فلما جاء فيضان ١٩٨٨ عاليا غطى النهر هذه الأراضى وقضى على ما بها من مظاهر الاستغلال.

الهوامش

- 1- C.W. Thornthwaite, Towards a Rational Classification of Climate, Geog. Rev. 1948, Vol. 38, pp. 59 - 93.
- 2- FAO, Pastur and Food Crops Studies, No. 6, 1980, p. 40.
FAO, Environment Paper, No. 1, 1980, pp. 56-57.
- ٢ - الرصيد الحى فى بحيرة السد العالى هو الذى يمكن السحب منه أن هناك من مياه البحيرة لايمكن سحبه لإتخفاض مستواه.
- عن المهندس عصام راضى وزير الرى المصرى : جريدة الاهرام. عدد ١٢/١٢ ١٩٨٧
- ٤ - انظر شكل (١) ولاحظ التغير فى موقع الجبهة المدارية.
- ٥ - انظر شكل (٢) وهو مثال للعديد من المحطات فى الاقليم.

قائمة المراجع

- 1 - Charney, J.C., Dynamics of deserts and drought in the Sahel, *Quart Journ. of the Roy. Meteo. Soc.* Vol. 101, 1975, pp. 193-202.
- 2 - Hare, F.K., **Climate and desertification: a revised analysis**, World Climate Programme, WMO/UNEP, vol. 44, 1983.
- 3 - Jekinson, A.F., Some quasi-preiodic changes in rainfall in Africa and Europe; in *Processings of the WMO/IAMAP Conference on Longterm Climatic Fluctuations*. Norwich, V.K., 1975, PP. 453-460.
- 4 - Morals, C., *Saharan Dust. Scope*, vol. 14, J. Wiley, Chichester, U.K., 1979.
- 5 - Moreau, R.E., Climate classification from the stand-point of East Africa *Biology: Journ. of Ecology*, vol. 24, pp. 467-480.
- 6 - Nicklson, S., The nature of fluctuations in subtropical West African, *Monthly Weather Review*, vol. 108, 1980, p. 473.
- 7 - **The Sahel: a climate perspective**, club du Sahel, Paris, 1982.
- 8 - **The climatology of subSaharan Africa**, in *Environmental Chang in West African Sahel*, National Academy Press, Washington, D.C. U.S.A., 1983, pp. 71-92.
- 9 - Schnell, R.C., Biogenic and inorganic sources of ice nuclei for the drought stricken Sahel, 1974, Report to Directors of Rockefeller Foundation, New York, U.S.A., 1975.

- 10 - Kassas, M., Drought and desertification, 1987,
Buthermorth and Comp. (Publishers Ltd., pp. 389-399.

النمو السكاني في أفريقيا

إعداد

د. ماجدة إبراهيم عامر

مدرس بقسم الجغرافيا

معهد البحوث والدراسات الأفريقية

جامعة القاهرة

١٩٩٧

النمو السكاني ومكوناته في أفريقيا

✽ د. ماجده ابراهيم عامر

تعتبر قضية النمو السكاني مشكلة هامة في العالم الثالث بشكل عام وفي الدول الأفريقية بشكل خاص. فقد عرفت دول العالم الثالث بعد الحرب العالمية الثانية وضعاً فريداً من نوعه، ومن أهم سمات هذا الوضع هو الارتفاع الكبير في معدلات المواليد الذي يصل إلى ٢٨,٢ في الألف في الدول النامية للفترة من (١٩٩٠ - ١٩٩٥) و٢٥ في الألف في العالم في حين أن هذا المعدل في العالم المتقدم هو ١٢,٦ في الألف وإذا ما حاولنا مقارنة ذلك بحال الدول الأفريقية لوجدنا أن العديد من هذه الدول قد تعدى بكثير هذه النسب فوصل إلى ما بين ٢٥,٦، ٥٢,٥ بالألف^(١) والواقع أن الدول الأوربية لم تشهد في تاريخها معدلاً للنمو السكاني كالذي تشهده حالياً كثير من الدول النامية.^(٢)

ويلاحظ أن هناك علاقة واضحة بين النمو السكاني والتنمية الاقتصادية والاجتماعية فالقضايا السكانية لم تكن في يوم من الأيام منعزلة عن القضايا الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، بل تتشابك معها، تؤثر فيها وتتأثر بها، بل هي جوهرها. لذا فإن المشكلة السكانية تكتسب معناها ومضمونها حينما نضع النمو السكاني في إطار الحركة الاقتصادية والظروف المحيطة به وعلى هذا الأساس، فإن المشكلة السكانية والمظاهر التي تعبر بها عن نفسها تتفاوت من بلد لآخر، بل وداخل البلد الواحد باختلاف مراحل تطوره فهناك دول تعاني حقا من الإختلال القائم بين النمو السكاني الكبير وبين النمو الاقتصادي والاجتماعي

* مدرس الجغرافيا بمعهد البحوث والدراسات الافريقية

المتواضع. ومن هذه الدول، تعبر المشكلة السكانية عن نفسها في تفاقم مشاكل البطالة والغذاء وأنخفاض مستوى المعيشة والرعاية الصحية وأزمة المساكن والمواصلات... إلى آخره. وهناك دول، على العكس من ذلك، تعاني اختلافاً بين النمو السكاني المتواضع والطموحات التنموية الكبيرة. وفي مثل هذه الدول، تعبر المشكلة السكانية عن نفسها في صورة نقص الأيدي العاملة والحاجة إلى الاعتماد على عنصر العمل المستورد من الخارج^(٢)

وسوف نهتم في هذا الجزء بدراسة العناصر التالية:

أولاً: - اتجاهات النمو السكاني في قارة أفريقيا وعلي مستوي الدول الأفريقية.

ثانياً: - مكونات النمو السكاني ويشمل:-

١ - الزيادة الطبيعية

ب - الوفيات

أ - المواليد

٢ - الهجرة

أولاً - اتجاهات النمو السكاني فى أفريقيا

١ - اتجاهات النمو السكاني فى أفريقيا حتى القرن العشرين

قدر عدد السكان فى أفريقيا فى القرن الأول الميلادى بما يتراوح بين ٢٥ - ٤٥ مليون نسمة^(٤) وكان النمو السكاني بطيئاً للغاية. حتى أنه كان متوقفاً عند ١٠٠ مليون نسمة حسب تقديرات ويلكوكس، بل ومتهور حسب تقديرات كارسوندرز وذلك خلال قرنين كاملين من الزمن (١٦٥٠ - ١٨٥٠).^(٥) وقدرت بعض المصادر عدد سكان القارة بنحو ١١١ مليون نسمة عام ١٨٥٠. وعلى الرغم من أن معدل نمو السكان فى العالم قد بدأ فى الزيادة فى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر فقد تناقصت نسبة سكان القارة الأفريقية من ١٣,٤٪ من جملة سكان العالم عام ١٧٥٠ إلى ٨,٧٪ عام ١٨٥٠.^(٦) ويرجع ذلك إلى عدة أسباب لعل أهمها ظهور الأوربيين على أرض القارة وما صاحب ذلك من ظروف وعوامل ساعدت على انخفاض معدلات النمو لعل من أهمها هلاك عدد كبير من الأفريقيين فى العمليات الحربية التى دارت بينهم وبين الأوربيين^(٧) وقيام الرجل الأبيض بأستغلال العمال الأفريقيين بأسلوب بشع فى جمع المحاصيل وفى المزارع الرأسالية والأشغال العامة، إلى جانب ذلك فإن دخول الرجل الأبيض إلى أفريقيا أدى إلى ظهور أمراض غريبه فى القارة لم يكن للأفريقي مناعة ضدها مثل الأنفلونزا^(٨). فضلاً عن تدهور مستوى الوعى الصحى والعلاج الطبى.

ولاشك أن عملية الأسترقاق التى مارسها الرجل الأوربى بوحشية ضد الأفريقي كانت عاملاً رئيسياً فى تدهور نمو سكان القارة خاصة وأنه كان هناك تركيز على الذكور ممن هم فى سن الشباب.

٢ - اتجاهات النمو السكاني فى افريقيا خلال القرن العشرين:

يوضح الجدول رقم (١) والشكل رقم (١) أنه إبتداء من القرن العشرين بدأت معدلات نمو السكان تأخذ طابعاً أكثر سرعة وأرتفاعاً حيث قفز سكان القارة من ١٣٣ مليون نسمة عام ١٩٠٠ (تقدير متوسط) إلى ما يقرب من ٢٢٤ مليون نسمة عام ١٩٥٠، ومعنى ذلك أنه خلال النصف الأول من القرن العشرين أزداد عدد سكان القارة بقدر يقل عن التضاعف لأنهم بلغوا نسبة ١٦٨,٤٪ فى عام ١٩٥٠ عما كانوا عليه فى عام ١٩٠٠ وإن معدل النمو السكاني بلغ ١,٠٤٪ سنويا تقريبا.

أما خلال الفترة بين أعوام ١٩٥٠، ١٩٩٥ فإنه يمكن القول بأن سكان القارة قد بدأت معدلات الزيادة السكانية ترتفع بينهم، ويحدث نمو سكاني سريع ففى خلال ٤٥ عاماً أصبح عدد السكان حوالى ثلاثة أمثال عددهم فى عام ١٩٥٠. إذ بلغ نحو ٧٢٨,١ مليون نسمة وبمعدل نمو سنوى بلغ ٢,٨١٪ خلال الفترة من ١٩٩٠ - ١٩٩٥ وهو من أعلى معدلات النمو بين قارات العالم بما فيها أمريكا اللاتينية. ومعنى هذا أن سكان القارة سوف يتضاعفون خلال ٢٥ عاماً^(٩). ويرجع أرتفاع معدلات الزيادة بين سكان القارة إلى عامل الزيادة الطبيعية حيث ترتفع معدلات المواليد فى حين تنخفض معدلات الوفيات. ولا شك أن أرتفاع نسبة سكان الريف فى قارة أفريقيا والتي بلغت نحو ٦٥,٦٪ عام ١٩٩٥ (المتوسط العالمى ٥٤,٨٪)^(١٠) تساعد على أرتفاع معدلات المواليد.

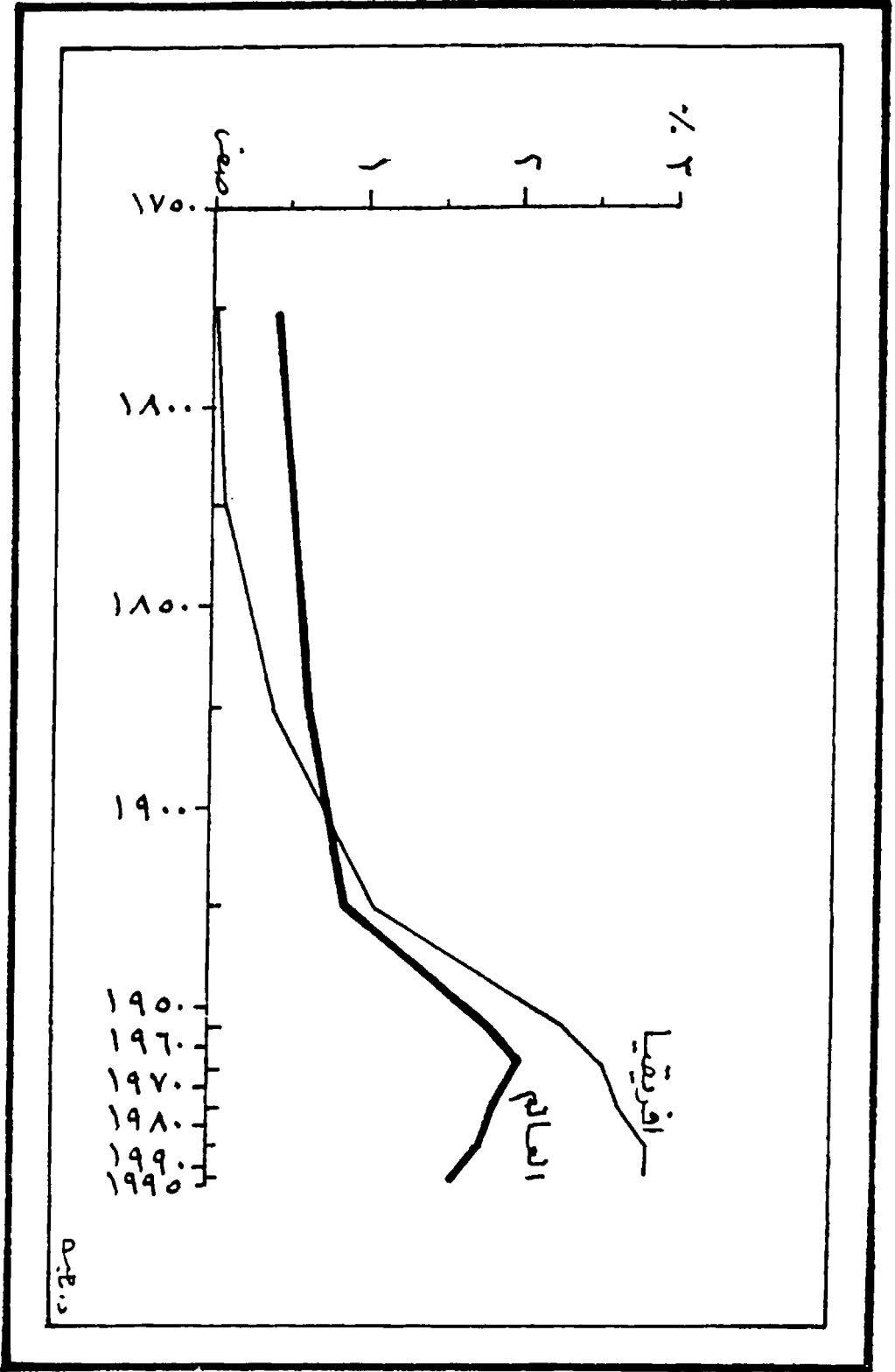
جدول رقم (١) نمو السكان في أفريقيا

% من جملة سكان العالم	معدل النمو السكاني		الزيادة المطلقة (بالآلاف)	عدد السكان في أفريقيا (بالآلاف نسمة)	السنة
	العالم	أفريقيا			
١٣,٤			-	١.٦,٠٠٠	١٧٥٠
١٠,٩	,٤٤	,٠٢	١,٠٠٠	١.٧,٠٠٠	١٨٠٠
٨,٧	,٥١	,٠٧	٤,٠٠٠	١١١,٠٠٠	١٨٥٠
٨,١	,٦٣	,٣٦	٢٢,٠٠٠	١٣٣,٠٠٠	١٩٠٠
تقديرات الأمم المتحدة					
٨,٩	,٩٠	١,٠٤	٩٠,٩٦٧	٢٢٣,٩٦٧	١٩٥٠
٩,٣	١,٨٠	٢,٣١	٥٨,١٦٩	٢٨٢,١٣٦	١٩٦٠
٩,٩	٢,٠٢	٢,٥٥	٨٢,٠٧٠	٣٦٤,٢٠٦	١٩٧٠
١٠,٧	١,٨٤	٢,٦٧	١١١,٤٥٨	٤٧٥,٦٦٤	١٩٨٠
١٢,٠	١,٧٣	٢,٨٥	١٥٧,٠٠٥	٦٣٢,٦٦٩	١٩٩٠
١٢,٧	١,٥٧	٢,٨١	٩٥,٤٠٥	٧٢٨,٠٧٤	١٩٩٥

المصدر من حساب الباحثة: -

- Clarke. J.I., "Population Geography" in An Advanced Geography of Africa by John, I. Clarke et. Cl, Hulton Educational publications Ltd, Great Britain, 1975, P 219

- U.N. World Population Prospects, the 1994 Revision, New York, 1995.



(شكل ١) معدلات النمو السكاني السنوي في أفريقيا مقسار. ونة بالعالم (١٩٥٠ - ١٩٩٥)

٣ - اتجاهات النمو السكاني فى اقاليم افريقيا.

يظهر من الجدول رقم (٢) أن أجزاء القارة نمت بمعدلات متباينة نسبياً خلال الفترة بين أعوام ١٩٥٠ - ١٩٩٥ إذ سجل شرقى أفريقيا أعلا معدلات للنمو السنوى للسكان خلال تلك الفترة، حيث بلغ السكان فى نهايتها ٣٤٦٪ عما كانوا عليه فى بدايتها وبمعدل نمو سنوى بلغ ٢,٧٦٪ للفترة كلها، ويليه غربى أفريقيا بنسبة ٣٣٤٪ وبمعدل نمو سنوى ٢,٦٨٪ ثم وسط أفريقيا (٣١٣٪، ٢,٥٣٪)، فجنوبى أفريقيا (٣٠٤٪، ٢,٤٧٪) وأخيراً يأتى شمالى أفريقيا (٣٠١٪، ٢,٤٥٪). شكل (٢). أما فى الفترة الأخيرة ١٩٩٥ - ١٩٩٠ فيلاحظ تفوق وسط وغربى أفريقيا على شرقها من حيث معدلات النمو السكاني والتي بلغت ٣,٠١٪، ٣,٠٢٪، ٢,٩٧٪ على الترتيب بينما تساوت معدلات النمو السنوى للسكان فى شمالى وجنوبى أفريقيا والذي بلغ ٢,٣٪.

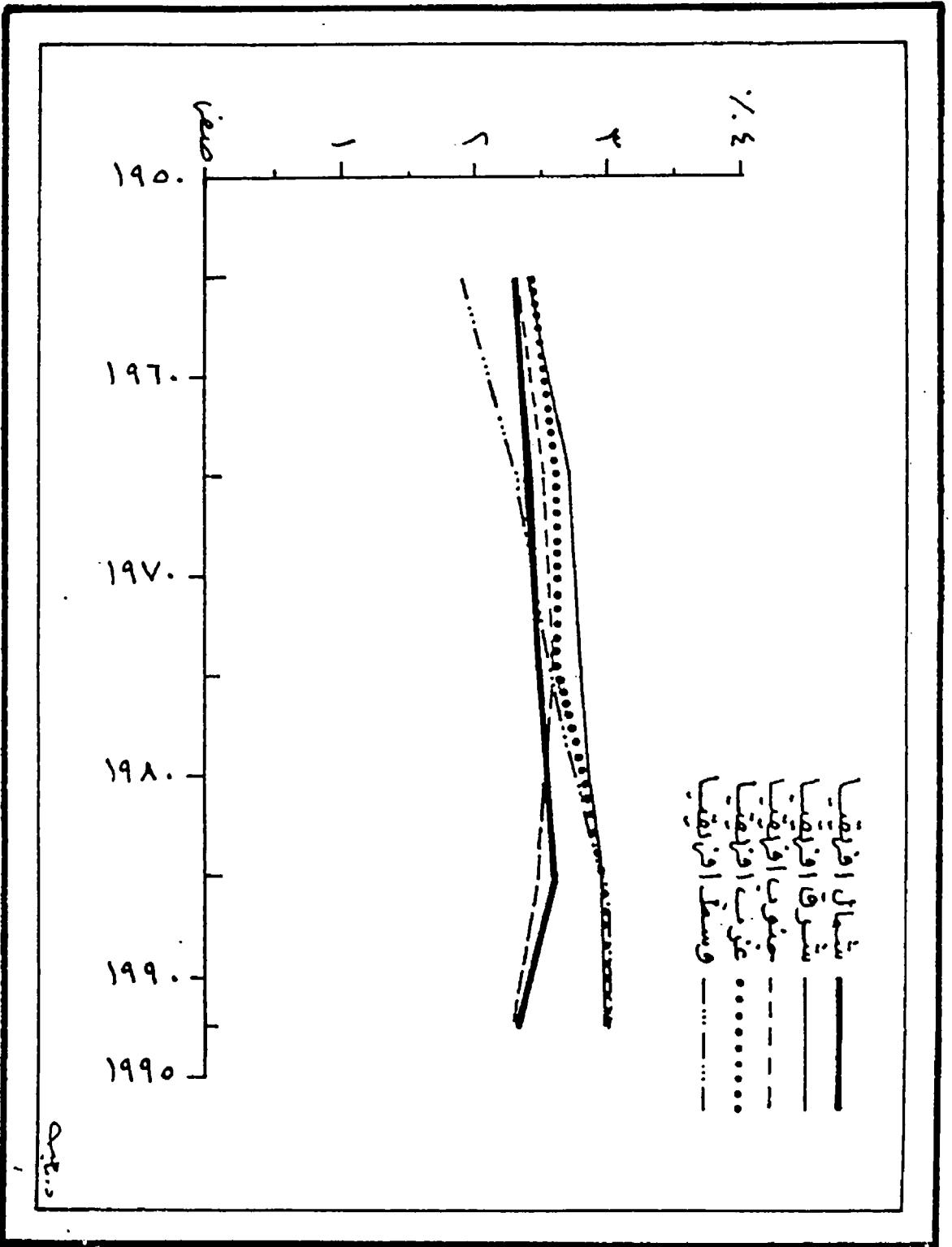
والواقع أنه يمكن أن نتعرف على عدد من أنماط النمو الأقليمي للسكان فى أفريقيا من دراسة الجدول رقم (٣) والشكل (٣) وذلك على النحو التالي:

جدول رقم (٢)

معدلات النمو السكاني في أقاليم أفريقيا بين ١٩٥٠ - ١٩٩٥

غرب أفريقيا	جنوب أفريقيا	شمال أفريقيا	وسط أفريقيا	شرق أفريقيا	الأقليم السنة
٦٣١٥١	١٥٥٨١	٥٣٣.٢	٢٦٣١٦	٦٥٦١٨	١٩٥٠ العدد بالآف
٨.١٧٣	١٩٦٩٨	٦٧.٣٣	٣١٨٣٣	٨٣٤.٠	١٩٦٠ العدد بالآف
٢,٤	٢,٣	٢,٣	١,٩	٢,٤	معدل النمو/ العدد ١٩٧٠
١.٣٦٩١	٢٥٣٧١	٨٥٣٩.٠	٤.١٠٢	١.٩٦٥٢	بالآف
٢,٥٧	٢,٥	٢,٤	٢,٣	٢,٧	معدل النمو/ العدد ١٩٨٠
١٣٤٨٢٥	٣٣.٠٠	١١.١.٠٩	٥٢٢٣٣	١٤٥٤٩٢	بالآف
٢,٦٣	٢,٦	٢,٥	٢,٦	٢,٨	معدل النمو/ العدد ١٩٩٠
١٨١١٣٥	٤٢٢٢٧	١٤٣.٢٣	٧.٤٨٤	١٩٥٨.١	بالآف
٢,٩٥	٢,٥	٢,٦	٣,٠	٢,٩٧	معدل النمو/ العدد ١٩٩٥
٢١.٦٦٣	٤٧٣٩٦	١٦.٥٨٢	٨٢٣٢٦	٢٢٧١.٧	بالآف
٣,٠٢	٢,٣	٢,٣	٣,١	٢,٩٧	معدل النمو/ العدد ١٩٩٥
٣٣٤	٣.٤	٣.١	٣١٣	٣٤٦	نسبة الزيادة الكلية (١٩٩٥-١٩٥٠)
٢,٦٨	٢,٤٧	٢,٤٥	٢,٥٣	٢,٧٦	معدل النمو السنوي (١٩٩٥-١٩٥٠)

المصدر: - نفس مصدر الجدول السابق



(شكل ٢) معدلات النمو السكاني في الأقاليم الأفريقية (١٩٩٠ - ١٩٥٠)

(١) الفئة الأولى : .

وتتضمن الدول الأفريقية التي يقل معدل النمو السكاني فيها عن ٢,٥٪ سنويا وعددها ١٦ دولة هي مصر، تونس والجزائر والمغرب في شمال أفريقيا حيث يرجع إنخفاض معدلات النمو السكاني هنا إلى انخفاض معدلات المواليد نتيجة لاتباعها لسياسات سكانية وبرامج قومية لتنظيم الأسرة منذ الستينات من هذا القرن (١١) كما يدخل ضمن هذه المجموعة الجزر المحيطة بقارة أفريقيا (موريشيوس - رينيون - سيشل - ساوتومي وبرنسيب، وسانت هيلانة) وعدد سكانها ضئيل بالمقارنة بقارة أفريقيا (٢٧,٠٪ من إجمالي سكان القارة). كما يرجع انخفاض معدلات النمو السكاني في بعض دول هذه المجموعة إلى ارتفاع معدلات الوفيات (مثل أفريقيا الوسطى، سيراليون، جيبوتي، غينيا بيساو وموزمبيق) أو إلى الظروف السياسية داخل الدول والتي تؤدي إلى ارتفاع معدلات اللاجئين إلى خارج الدولة كما هو الحال في الصومال.

(٢) الفئة الثانية : .

تشمل مجموعة الدول الأفريقية التي يتراوح معدل النمو السكاني فيها بين ٢,٥ - > ٣٪ سنويا وعددها ١٩ دولة، يبلغ عدد سكانها ١٩٤,٦٨٢ مليون نسمة بنسبة ٢٦,٧٪ من إجمالي سكان القارة ويتركز معظمها في شرقي ووسط أفريقيا هي أريتريا - أثيوبيا - رواندا - تنزانيا - زامبيا - زيمبابوي - الكاميرون - تشاد - الكنفو - غينيا الاستوائية - الجابون بالإضافة إلى السودان في شمالي أفريقيا، ليسوتو- نامبيا وسوازيلاند في جنوبي أفريقيا، وبوركينا فاسو، الرأس الأخضر، موريتانيا والسنغال في غربي أفريقيا، وتتميز معظم هذه الدول بارتفاع معدلات المواليد أكثر من ٤٠ في الألف بالإضافة إلى الارتفاع النسبي في معدلات الوفيات والتي ترتفع في معظمها عن ١٥ في الألف مما انعكس على النمو السكاني .

(٣) الفئة الثالثة :-

وهي تضم مجموعة الدول ذات المعدلات المرتفعة من ٢ - ٣,٥٪ وعددتها ١٦ دولة تتركز معظمها في غربى أفريقيا وهي بنين - كوت ديفوار - غانا - غينيا - ليبيريا - مالى - النيجر - نيجيريا وتوجو كما يدخل ضمنها بورندى - مدغشقر - ملاوى وأوغنده في شرقى أفريقيا، زانير (وسط أفريقيا)، ليبيا (شمالى أفريقيا) - بتسوانا (جنوبى أفريقيا)، ويبلغ عدد سكان هذه الدول حوالى ٢٨٧ مليون نسمة بنسبة ٢٩,٤٪ من إجمالى سكان القارة ويرجع ارتفاع معدلات النمو السكانى هنا إلى ارتفاع معدلات المواليد والتي تزيد في معظمها عن ٤٥ فى الألف إلى ٥٠ فى الألف بالإضافة إلى تحسن الرعاية الصحية والتي نتج عنها إنخفاض معدلات الوفيات بنسبة تتراوح بين ٢٠ و ٥٠٪ فى العديد من الدول (١٢) كما تتأثر بعض هذه الدول بتيارات الهجرة الوافدة إليها سواء للعمل أو اللجوء السياسى نتيجة للظروف السياسية السائدة فى بلدان المصدر كما فى حالة أوغنده وملاوى فى شرقى أفريقيا.

(٤) الفئة الرابعة

وهي تشمل مجموعة الدول ذات المعدلات غاية فى الارتفاع تزيد عن ٣,٥٪ وعددتها ٥ دول هي جزر القمر - كينيا - أنجولا - الصحراء الغربية وغمبيا وحجم السكان فى هذه الدول نحو (٤١,٤ مليون نسمة) بنسبة ٥,٧٪ من إجمالى سكان القارة الافريقية.

جدول رقم (٣)

البيانات السكانية الأساسية للدول الأفريقية

معدلات الزيادة الطبيعية ١٩٩٥ - ٩٠	معدلات وفيات الاطفال الرضع لكل الف مولود حي ١٩٩٥ - ٩٠	معدلات الوفيات العامة (في الالف) ٩٠ - ١٩٩٥	معدلات المواليد الخام (في الالف) ٩٠ - ١٩٩٥	معدلات النمو السكاني ٩٠ - ١٩٩٥ %	عدد السكان ١٩٩٥ بالالف	الدولة
٣٠,٢	١٠,٦	١٥,٨	٤٦,٠٠	٢,٩٧	٢٢٧١٠٧	شرق افريقيا
٣٠,٣	١٠,٢	١٥,٧	٤٦,٠٠	٣,٠٠	٦٣٩٣	بودوندي
٣٦,٨	٨٩	١١,٧	٤٨,٥	٣,٦٨	٦٥٣	جزر القمر
٢٢,٠	١١٥	١٦,١	٣٨,١	٢,٢٠	٥٧٧	جيبوتي
٢٧,٨	١٠,٥	١٥,٢	٤٣,٠٠	٢,٧٢	٣٥٣١	أريتريا
٣٠,٥	١١٩	١٨,٠	٤٨,٥	٢,٩٨	٥٥٠٥٣	أنثيوبيا
٣٢,٨	٦٩	١١,٧	٤٤,٥	٣,٥٩	٢٨٢٦١	كينيا
٣٢,١	٩٣	١١,٨	٤٣,٩	٣,٢١	١٤٧٦٣	مدغشقر
٣٠,٥	١٤٣	٢٠,٠٠	٥٠,٥	٣,٤٥	١١١٢٩	ملوي
١٤,٢	١٨	٦,٦	٢٠,٨	١,١٠	١١١٧	موريشيوس
٢٦,٧	١٤٨	١٨,٥	٤٥,٢	٢,٤١	١٦٠٠٤	موزمبيق
١٥,٦	٨	٥,٥	٢١,١	١,٥٥	٦٥٣	رينيون
٢٧,٤	١١٠	١٦,٧	٤٤,١	٢,٥٩	٧٩٥٢	رواندا
-	-	-	-	١,١٠	٧٣	سيشل
٣١,٧	١٢٢	١٨,٥	٥٠,٢	١,٢٨	٩٢٥٠	الصومال
٣٢,٦	١١٥	١٩,٢	٥١,٨	٣,٤٢	٢١٢٩٧	أوغندا
٢٩,٥	٨٥	١٣,٦	٤٣,١	٢,٩٦	٢٩٦٨٥	تنزانيا
٢٩,٥	١٠٤	١٥,١	٤٤,٦	٢,٩٧	٩٤٥٦	زامبيا
٢٧,١	٦٧	١٢,٠٠	٣٩,١	٢,٥٧	١١٢٦١	زيمبابوي

تابع جدول رقم (٢)

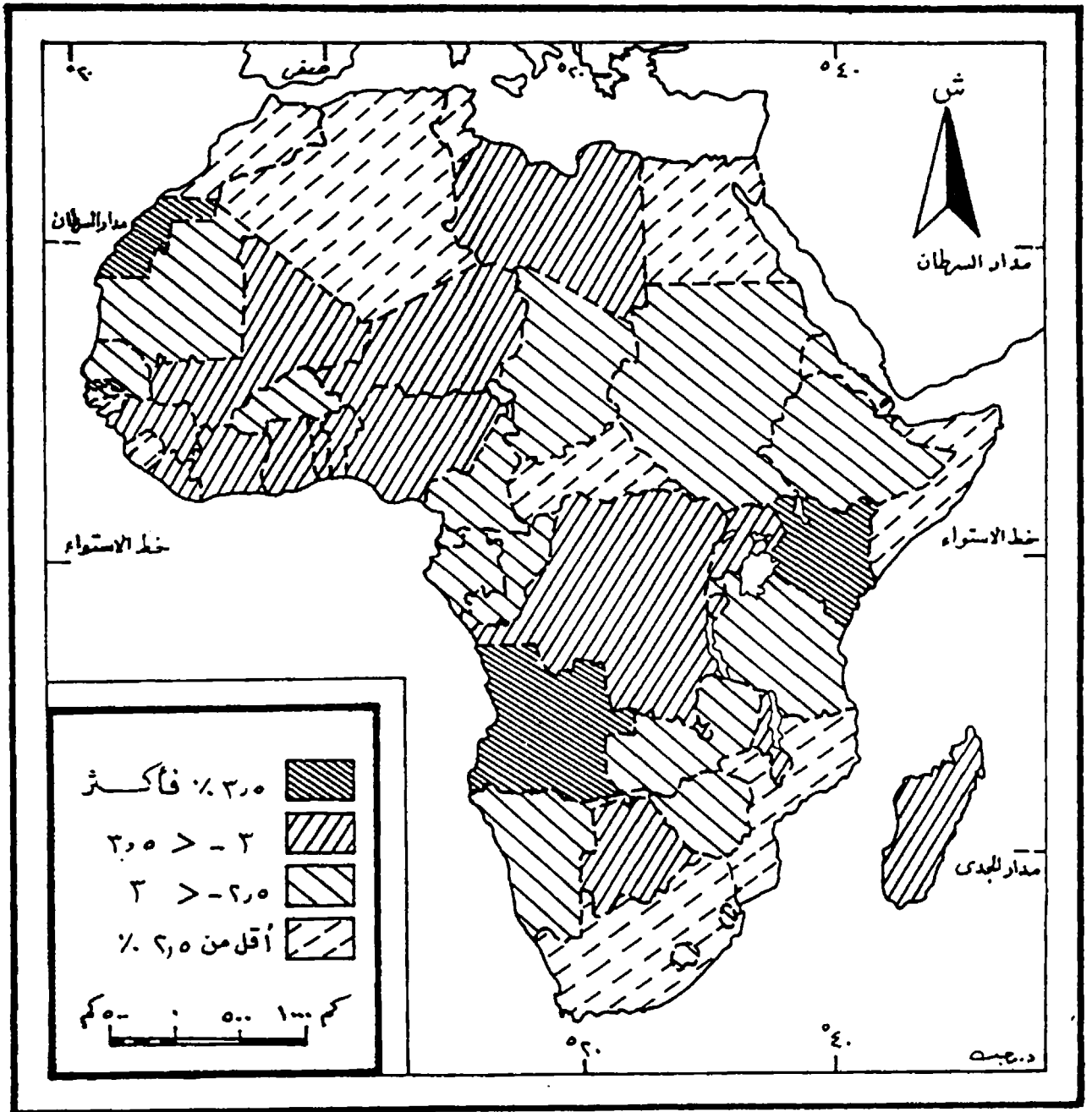
معدلات الزيادة الطبيعية ١٩٩٥ - ٩٠	معدلات وفيات الأطفال الرضع (لكل الف مولود حي ١٩٩٥ - ٩٠	معدلات الوفيات العامة (في الآلاف) ٩٠ - ١٩٩٥	معدلات المواليد الخام (في الآلاف) ٩٠ - ١٩٩٥	معدلات النمو السكاني ٩٠ - ١٩٩٥ %	عدد السكان ١٩٩٥ بالآلاف	المنطقة
٣٠,٩	٩٥	١٥,٢	٤٦,١	٣,١١	٨٢٣٢٦	وسط أفريقيا
٢٢,١	١٢٤	١٩,٢	٥١,٣	٣,٧٢	١١٠٧٢	أنجولا
٢٨,٥	٦٣	١٢,٢	٤٠,٧	٢,٧٦	١٢٢٢٣	الكاميرون
٢٤,٨	١٠٢	١٦,٧	٤١,٥	٢,٤٩	٣٣١٥	أفريقيا الوسطى
٢٥,٧	١٢٢	١٨,٠٠	٤٣,٧	٢,٧١	٦٣٦١	تشاد
٢٩,٨	٨٤	١٤,٩	٤٤,٧	٢,٩٨	٢٥٩٠	الكونغو
٢٥,٥	١١٧	١٨,٠٠	٤٣,٥	٢,٥٥	٤٠٠	غينيا الاستوائية
٢١,٨	٩٤	١٥,٥	٣٧,٣	٢,٨٣	١٣٢٠	الجابون
-	-	-	-	٢,٢٠	١٣٣	ساوتومي وبرنسيب
٢٣,٠٠	٩٣	١٤,٥	٤٧,٥	٣,١٩	٤٣٩٠١	زائير
٢٢,٧	٦٧	٨,٦	٣١,٣	٢,٣٢	١٦٠٥٨٢	شمال أفريقيا
٢٢,٧	٥٥	٦,٤	٢٩,١	٢,٢٧	٢٧٩٣٩	الجزائر
٢١,٢	٦٧	٨,١	٢٩,٣	٢,٢٢	٦٢٩٣١	مصر
٢٣,٨	٦٨	٨,١	٤١,٩	٣,٤٧	٥٤٠٧	ليبيا
٢١,٠٠	٦٨	٨,١	٢٩,١	٢,١٠	٢٧٠٢٨	المغرب
٢٦,٧	٧٨	١٣,١	٣٩,٨	٢,٦٧	٢٨٠٩٨	السودان
١٩,٢	٤٣	٦,٤	٢٥,٦	١,٩٢	٨٨٩٦	تونس
-	-	-	-	٤,١٦	٢٨٣	الصحراء الغربية
٢٣,٠٠	٥٤	٨,٩	٣١,٩	٢,٣١	٤٧٣٩٦	جنوب أفريقيا
٢٠,٥	٤٣	٦,٦	٣٧,١	٣,٠٦	١٤٨٧	بوتسوانا

تابع جدول رقم (٣)

معدلات الزيادة الطبيعية ٩٠ - ١٩٩٥	معدلات وفيات الاطفال الرضع (لكل الف مولود حي ٩٠ - ١٩٩٥	معدلات الوفيات العامة (في الالف) ٩٠ - ١٩٩٥	معدلات المواليد الخام (في الالف) ٩٠ - ١٩٩٥	معدلات النمو السكاني ١٩٩٥-٩٠ %	عدد السكان ١٩٩٥ بالالف	الدولة
٢٦,٩	٧٩	١٠,٠٠	٣٦,٩	٢,٦٩	٢٠٥٠	ليسوتو
٢٦,٥	٦٠	١٠,٥	٣٧,٠٠	٢,٦٥	١٥٤٠	ناميبيا
٢٢,٤	٥٣	٨,٨	٣١,٢	٢,٢٤	٤١٤٦٥	جنوب أفريقيا
٢٧,٨	٧٥	١٠,٧	٣٨,٥	٢,٧٨	٨٥٥	سوازيلاند
٣٠,٢	٩٧	١٦,٠	٤٦,٢	٣,٠٢	٢١٠٦٦٣	غرب أفريقيا
٣٠,٩	٨٦	١٧,٨	٤٨,٧	٣,١٠	٥٤٠٩	بنين
٢٨,٦	١٣٠	١٨,٢	٤٦,٨	٢,٧٦	١٠٣١٩	بوركينافاسو
٢٧,٦	٥٠	٨,٦	٣٦,٢	٢,٧٧	٣٩٢	الرأس الاخضر
٣٤,٨	٩٢	١٥,١	٤٩,٩	٣,٤٨	١٤٢٥٣	كوت ديفوار
٢٤,٩	١٣٢	١٨,٨	٤٣,٧	٣,٨٣	١١١٨	غمبيا
٣٠,٠	٨١	١١,٧	٤١,٧	٣,٠٠	١٧٤٥٣	غانا
٣٠,٣	١٣٤	٢٠,٣	٥٠,٦	٣,٠٤	٦٧٠٠	غينيا
٢١,٤	١٤٠	٢١,٣	٤٢,٧	٢,١٤	١٠٧٣	غينيا بيساو
٢٣,١	١٢٦	١٤,٢	٤٧,٣	٣,٣٢	٣٠٩٣	ليبيريا
٣١,٧	١٥٩	١٩,١	٥٠,٨	٣,١٧	١٠٧٩٥	مالي
٢٥,٤	١٠١	١٤,٤	٣٩,٨	٢,٥٤	٢٢٧٤	موريثانيا
٢٣,٦	١٢٤	١٨,٩	٥٢,٥	٣,٣٧	٩١٥١	النيجر
٣٠,٠	٨٤	١٥,٤	٤٥,٤	٣,٠٠	١١١٧٢١	نيجيريا
-	-	-	-	٠,٨٤	٦	سانت هيلانه
٢٧,٠	٦٨	١٦,٠	٤٣,٠٠	٢,٥٢	٨٣١٢	السنغال
٢٣,٩	١٦٦	٢٥,٢	٤٩,١	٢,٤٠	٤٥٠٩	سيراليون
٣١,٧	٨٥	١٢,٨	٤٤,٥	٣,١٨	٤١٣٨	توجو
٢٨,٢	٩٣	١٣,٧	٤١,٩	٢,٨١	٧٢٨٠٧٤	افريقيا
١٥,٧	٦٤	٩,٣	٢٥,٠	١,٥٧	٥٧١٦٤٢٦	العالم

المصدر: - الجدول من حساب الباحثة عن :

U.N., World population prospects, The 1994 Revision, New York, 1995, PP. 222 - 412



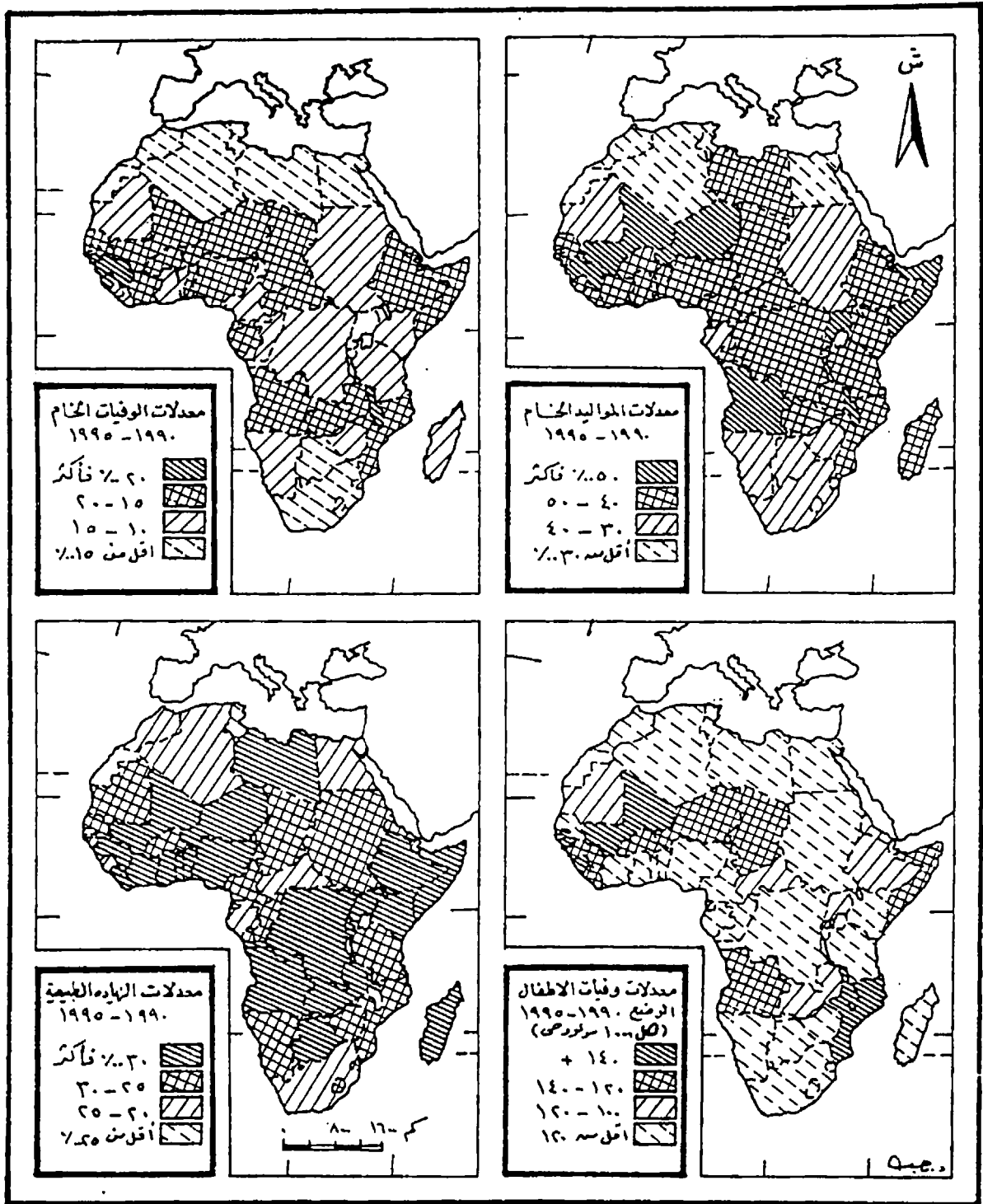
(شكل ٢): معدلات النمو السنوي للسكان في القارة الأفريقية (١٩٩٠ - ١٩٩٥)

- ينمو سكان بعض الدول الأفريقية بمعدلات زيادة طبيعية مرتفعة تتراوح بين ٢٥ - ٣٠ في الألف وعدد هذه الدول ١٨ دولة يبلغ عدد سكانها نحو ١٤٦ مليون نسمة تشكل نحو خمس سكان القارة الأفريقية معظمها يقع في شرقي أفريقيا (أريتريا، موزمبيق، رواندا، تنزانيا، زامبيا وزيمبابوي) ووسط أفريقيا (الكامرون، تشاد، الكنفو، غينيا الاستوائية) إلى جانب بوركينا فاسو، والرأس الأخضر، موريتانيا والسنغال في غربي أفريقيا والسودان في شمالي أفريقيا، وليسوتو وناميبيا وسوازيلاند في جنوبي القارة

- يتراوح معدل الزيادة الطبيعية من ٢٠ - ٢٥ في الألف في عشرة دول تشكل نحو ٢٣,٥٪ (١٧١,٢ مليون نسمة) من إجمالي سكان القارة وتتركز في شمالي القارة (الجزائر - مصر - المغرب) وغربي أفريقيا (غمبيا - غينيا بيساو، وسيراليون) إلى جانب جمهورية جنوب أفريقيا والجابون وأفريقيا الوسطى ثم دولة جيبوتي.

- تتحقق أقل معدلات للزيادة الطبيعية في القارة الأفريقية، وهي معدلات تقل عن ٢٠ في الألف في ثلاث دول هي جزر موريشيوس ورينيون في غربي أفريقيا وتونس في شمالي القارة وهي لا تضم سوى ٢,٨٪ من إجمالي سكان القارة الأفريقية.

يتبين لنا من العرض السابق للزيادة الطبيعية لسكان القارة الأفريقية تفاوت معدلات هذه الزيادة بين أقاليم القارة. ولما كانت هذه الزيادة هي الفرق بين المواليد والوفيات يجدر بنا الآن تناول كل منها لمعرفة تأثيره على معدلات الزيادة الطبيعية الذي عرضنا له في الجزء السابق.



(شكل ٤) : المؤشرات السكانية لقارة أفريقيا

١- معدلات المواليد

بلغ المعدل العام للمواليد والذي يعكس مستوى الخصوبة فى القارة الأفريقية ٤١,٩ فى الألف، ومع ذلك يتباين هذا المعدل من دولة إلى أخرى تبعا للتركيب العمرى للسكان. ولهذه المعدلات العالية للمواليد أثرها المباشر فى تزايد التراكم العددي فى قاعدة هرم السكان لهذه الدول مما يوجد الظاهرة المعروفة ديموجرافيا بظاهرة التجديد والتي ينتج عنها العديد من الظواهر الاجتماعية والاقتصادية المؤثرة فى معدل نمو السكان فى مثل هذه الدول.

ويلاحظ ارتفاع معدلات المواليد فى أفريقيا عنها فى القارة الآسيوية ٢٥,٢ فى الألف وأوربا (١١,٦ فى الألف)، وهذا المعدل العالى للمواليد ينطبق على أقسام القارة المختلفة فهى ٤٦,٢ فى الألف فى غربى أفريقيا، ٤٦,١ فى الألف فى وسط أفريقيا و٤٦ فى الألف فى شرقى أفريقيا، بينما تبلغ أدناها فى جنوبي القارة (٣١,٩ فى الألف) وشمالها (٣١,٢ فى الألف) وهى لا تزال مرتفعة كما نرى. غير أن الأمر يتطلب فحصاً متأنياً لتلك المعدلات على مستوى الأقطار الأفريقية للخروج منها بأنماط لا تأخذ الموقع الجغرافى من القارة فى إعتبارها ولكن تأخذ مدى ارتفاع تلك المعدلات أو إنخفاضها حيث يلاحظ من دراسة جدول رقم (٣) والشكل رقم (٤) الآتى:-

- ترتفع معدلات المواليد عن ٥٠ فى الألف فى سبع دول أفريقية هى (أوغنده، ملاوي، الصومال فى شرقى أفريقيا، أنجولا فى وسط أفريقيا، غينيا، ومالي، النيجر فى غربى أفريقيا. وتضم هذه الدول حوالى ١٠,٩٪ من إجمالى سكان القارة الأفريقية.

- تتراوح معدلات المواليد بين ٤٠ - ٥٠ فى الألف فى ٢٨ دولة تضم

٥٨,٨٪ من جملة سكان القارة الأفريقية. ومعنى ذلك أن ٢٥ دولة تضم سكاناً تصل نسبتهم إلى حوالى ٧٠٪ من جملة سكان القارة تعتبر من أعلى دول العالم من حيث معدلات المواليد المرتفعة وهى تتركز بصفة أساسية فى شرقى وغربى القارة الأفريقية.

وتتعدد العوامل التى تقف إلى جانب ارتفاع معدلات المواليد فى أفريقيا بصفة عامة وفى هذه الدول بصفة خاصة مثل قيمة عمل الأطفال ونقص الضمان الاجتماعى وارتفاع وفيات الأطفال^(١٣) بالإضافة إلى العديد من المتغيرات الاجتماعية والثقافية التى تؤثر على ارتفاع معدلات المواليد وهى أن الزواج فى البلدان الواقعة جنوب الصحراء مبكراً وشاملاً، وأن متوسط المرأة التى تتزوج للمرة الأولى فى أفريقيا جنوب الصحراء يتراوح من أقل من سبعة عشر عاماً إلى حوالى ٢٢ عاماً. وهناك آلية أخرى لها فعاليتها هى ممارسة ضغوط اجتماعية على الأراامل فى سن الأخصاب حتى يتزوجن مرة أخرى حتى ولو اضطر أخ الزوج المتوفى من الزواج من أرملة أخيه.

وهناك ملامح أخرى لأنماط الزواج الأفريقى هى ثروة العروس والزيجات المرتبة فعلى سبيل المثال لاحظ فرانك Frank وماك نيكول Menicol فى كينيا أنه بدلاً من أن تحضر المرأة ثروتها معها بعد الزواج فى شكل بوطه، فإن الزوجه تتم مبادلتها بالثروه التى تتحول إلى أبنائها وذريتهما وفى المقابل فإن عليها أن تلد أطفالاً ينتسبون لزوجها، وفى حالة الطلاق تترك أطفالها لزوجها^(١٤)

والحاجة إلى الأطفال ملحة جدا وقوية فى أفريقيا جنوب الصحراء. وفى الواقع، فإن الأطفال فى بعض أجزاء أفريقيا ضرورة أساسية للزواج، حتى أنه بدون أنجاب تصبح المرأة بلا مكانه، وموصومه، وتستحق الرثاء، ويتهم بأنها

ساحره. علاوة على ذلك، فإن الأطفال وبخاصة الذكور ينظر إليهم على أنهم مصدر الثروة والمكانة المرموقة فهم يعملون في المزارع، وهم أمان للآباء في الكبر، وأنهم يواصلون حمل أسم العائلة، ويعتبرون امتداداً لذرية بعد وفاة الأب، ويشعر الأب بالسعادة وهو يتفحص بيت العائلة وقد أمتلأ بالأطفال وبالماشية. وحتى تعزز المرأة في أفريقيا من مكانتها وأحترامها، فعليها أن تناضل من أجل نسبة خصوية مرتفعة، لأن مكانتها ترتفع ارتفاعاً يتناسب مع ما قدمته من أطفال. بالإضافة إلى وجود رغبة عامة نحو تكوين عائلات كبيرة في أفريقيا جنوب الصحراء تتراوح بين ١، ٦، ٧، ٨ طفل. كما أن نظام رعاية الأطفال في أفريقيا جنوب الصحراء يلعب دوراً هاماً في الأبقاء على الرغبة في تحقيق أعلى نسبة للمواليد. حيث أنه لما كان من المتوقع أن تكون مسئولية الأطفال تقع على كاهل الأسرة الكبيرة وليس فقط على كاهل والدتهم فإن عبأ تربية الطفل يصبح أقل وطأه على الوالدين (١٥)

إلا أنه يلاحظ أن هناك اتجاه نحو انخفاض معدلات المواليد في بعض هذه الدول في الفترة (١٩٩٠ - ١٩٩٥) عما كانت عليه في الفترة السابقة (١٩٨٠ - ١٩٨٥) وذلك نتيجة لتزايد انتشار وسائل منع الحمل وأرتفاع سن الزواج كما هو الحال في كينيا حيث أرتفع الأستخدام الحالى لوسائل منع الحمل من ٧٪ في ١٩٧٧/١٩٧٨ إلى ٣٣٪ في عام ١٩٩٣ بالإضافة إلى أرتفاع نسبة تعليم الأناث وأرتفاع مركز المرأة في المجتمع الكيني ومن ثم تناقص الرغبة في العائلات الكبيرة. وكان نتيجة ذلك أن أنخفض حجم الأسرة من ٧، ٢ طفل إلى ٣، ٧ طفل في الفترة السابقة. على التوالي. في رواندا أيضاً تزايد أستخدم وسائل منع الحمل من ١٠٪ في عام ١٩٨٣ إلى ٢١٪ في عام ١٩٩٣.

نلاحظ في بعض الأقطار أن أرتفاع سن الزواج بالإضافة إلى الرضاة

الطبيعية قد لعبا الدور الأكبر فى خفض الخصوبة حتى ولو كان استخدام وسائل منع الحمل منخفض فتنازانيا مثلاً نجد أن انخفاض الخصوبة يرجع إلى ارتفاع سن الزواج من ١٨ سنة عام ١٩٧٨ إلى ٢١ سنة عام ١٩٨٨ بالإضافة إلى الرضاغة الطبيعية. أما تأثير استخدام وسائل منع الحمل فهو محدود.

ونجد فى الكاميرون أيضاً انخفاض طفيف فى الخصوبة حيث إنخفض متوسط عدد الأطفال من ٦,٤ طفل لكل امرأة فى عام ١٩٨٠ - ١٩٨٥ إلى ٥,٧ طفل فى ١٩٩٠ - ١٩٩٥ (١٦).

- وقد حققت بعض الدول معدلات مواليد متوسطة نسبياً بالقياس إلى أفريقيا حيث تتراوح معدلات المواليد فيها بين ٢٠ - ٤٠ فى الألف. وعددها ١١ دولة هى جيبوتى وزيمبابوى فى شرقى أفريقيا، الجابون فى وسط أفريقيا، السودان فى شمالى القارة، وكل دول جنوبى أفريقيا بالإضافة إلى الرأس الأخضر وموريتانيا فى غربى أفريقيا ويعيش فى هذه الدول حوالى ٩١,٢ مليون نسمة يشكلون حوالى ١٢,٥٪ من جملة سكان القارة. ويلاحظ أن معدلات المواليد متوسطة فى هذه الدول نتيجة لتزايد انتشار وسائل منع الحمل وارتفاع سن الزواج. ففى زيمبابوى زاد استخدام وسائل منع الحمل من ٢٨٪ عام ١٩٨٤ إلى ٤٣٪ عام ١٩٨٩/٨٨ وفى السودان أنخفضت معدلات الخصوبة الكلية من ٦,٤ طفل إلى ٥,٧ طفل خلال الفترات ١٩٨٥/٨٠، ١٩٩٥/٩٠ على التوالي. كما يلاحظ انخفاض معدلات الخصوبة العامة ب ٢ طفل فى الرأس الأخضر Cape - Verd من ٦,٢ طفل فى ١٩٨٥/٨٠ إلى ٤,٢ طفل فى ١٩٩٥/٩٠، وفى موريتانيا من ٦,١ طفل إلى ٥,٤ طفل خلال نفس الفترة.

أما فى جنوبى أفريقيا فقد أنخفضت الخصوبة مبكراً، وهناك مؤشرات على انخفاض الخصوبة حديثاً فى بوتسوانا ناميبيا وسوازيلاند، ويرجع انخفاض

الخصوبة في بتسوانا إلى الانخفاض الحاد في المناطق الريفية والذي كان استجابة للظروف الاقتصادية القاسية إلى حد ما والتي كانت نتيجة للجفاف. ففي أثناء هذه الفترة واجه المقيمون في الريف عدة مواقف صارمة خفضت من خصوبتهم، على سبيل المثال. الرجال يعملون لفترات طويلة في المزارع البعيدة تاركين أسرهم. أيضاً أدت الظروف الاقتصادية غير الملائمة إلى صعوبة تحمل الرجال لتكاليف الزواج، بالإضافة إلى انتشار وسائل منع الحمل والتي ارتفعت من ٢٨٪ عام ١٩٨٤ إلى ٣٣٪ عام ١٩٨٨ هذا إلى جانب ارتفاع سن الزواج (٢٦ سنة في عام ١٩٨١) ساهم في خفض الخصوبة، (١٧) كما يرجع في بعض الدول إلى ارتفاع نسبة عقم المرأة كما هو الحال في الجابون حيث أن ٣٢٪ من النساء في سن الحمل لا ينجبن. (١٨)

- أما الدول الأفريقية التي تصل فيها معدلات المواليد أقل من ٢٠ في الألف فعددها محدود فهي تقتصر على شمالي أفريقيا (مصر - الجزائر - المغرب - تونس) بالإضافة إلى الجزر المحيطة بالقارة مثل (ريونيون) ويبلغ عدد سكان هذه الدول نحو ١٢٨,٧ مليون يشكلون حوالي ١٧,٧٪ من إجمالي سكان القارة الأفريقية ، ويلاحظ إن هذه البلاد ذات سياسات سكانية وبرامج قومية لتنظيم الأسرة ففي مصر جاء الاعتراف بالمشكلة السكانية والحاجة إلى حلها في ميثاق العمل الوطني الذي أعلنه الرئيس الراحل جمال عبد الناصر عام ١٩٦٢، كما تهتم هذه الدول بتعليم المرأة ورفع سن الزواج كوسائل لتخفيض الخصوبة، وتذهب تونس إلى أبعد من ذلك ببرنامج شامل لتحرير المرأة فقد أنشأت مؤخراً أول وزارة للمرأة في المنطقة. كما تشجع هذه الدول الهجره الخارجية المؤقتة. (١٩)

وفي الجزائر أنخفضت الخصوبة بمعدل ٢,٥ طفل لكل امرأة في عقد واحد

من ٦,٣ طفل فى ١٩٨٥/٨٠ إلى ٣,٨ طفل فى ١٩٩٥/٩٠. فقد زادت نسبة استخدام وسائل منع الحمل من ٣٦٪ فى ١٩٨٧/٨٦ إلى ٤٧٪ فى عام ١٩٩٢ (٢٠)

ب - معدلات الوفيات :

تناولنا فيما سبق معدلات المواليد والعوامل المؤثرة فيها، وسنتناول الآن العوامل المؤدية إلى تناقص السكان من الناحية الطبيعية. وكما سبق القول بأن قارة أفريقيا تحظى بأعلى معدلات للوفيات بين قارات العالم، حيث يبلغ متوسط معدل الوفيات بها ١٣,٧ فى الألف فى مقابل ٩,٣ فى الألف بالنسبة للعالم خلال الفترة ٩٠ - ١٩٩٥. ويوضح الجدول رقم (٣) والشكل (٤) السابقين معدلات الوفيات فى الدول الأفريقية ومنهما يلاحظ الآتى :

- ترتفع معدلات الوفيات عن ٢٠ فى الألف فى أربعة دول هى ملاوى فى شرقى أفريقيا وسيراليون وغينيا وغينيا بيساو فى غربى أفريقيا. وهذه الدول محدودة فى عدد سكانها، حوالى ٢٣,٤ مليون نسمة تشكل نحو ٣,٢٪ من إجمالي سكان القارة.

- تتراوح معدلات الوفيات بين ١٥ - ٢٠ فى الألف فى ٢٢ دولة تتركز فى شرقى وغربى ووسط أفريقيا ويعيش فى هذه الدول حوالى ٣٢٣,١ مليون نسمة تشكل نحو ٤٤,٤٪ من إجمالي سكان القارة. ويلاحظ من الشكل الذى يوضح معدلات وفيات الأطفال الرضع فى القارة الأفريقية بأن هاتين المجموعتين من الدول هما اللتين حققتا أعلى معدلات لوفيات الأطفال الرضع والتي ترتفع فى غالبيتها عن ١٠٠ فى الألف وقد سجلت سيراليون أعلى نسبة لوفيات الأطفال الرضع (١٦٦ فى الألف) بين دول هاتين المجموعتين.

- مجموعة الدول التي تتراوح فيها معدلات الوفيات العامة بين ١٠ - ١٥ في الألف وعددها ١٦ دولة هي كينيا - تنزانيا - زيمبابوي - مدغشقر - وجزر القمر في شرقي أفريقيا. وليسوتو وناميبيا وسوازيلاند في جنوبي أفريقيا. ويعيش في هذه الدول نحو ٢٠٣,٨ مليون نسمة يشكلون حوالي ٢٨٪ من إجمالي سكان القارة. كما تتراوح معدلات وفيات الأطفال الرضع بهذه المجموعة من الدول بين ٦٠ في الألف في ناميبيا و١٢٦ في الألف في ليبيريا.

- أما أدنى معدلات للوفيات العامة والتي تقل عن ١٠ في الألف فهي توجد في كل من مصر والجزائر وتونس والمغرب وليبيا في شمالي أفريقيا وبوتسوانا وجمهورية جنوب أفريقيا في جنوبي أفريقيا بالإضافة إلى الرأس الأخضر في غربي أفريقيا وجزر رينيون وموريشيوس في شرقي أفريقيا ويرجع إنخفاض معدلات الوفيات هنا إلى تزايد نشر الوعي الصحي ومد الخدمات الطبية والصحية و دور وسائل الإعلام في نشر الوعي بالنظافة وازدياد السيطرة على الأمراض الأساسية للطفولة والأمراض المنقولة والتحسين الواسع النطاق في خدمات صحة الأم.

* يلاحظ في الدول الأفريقية بصفة عامة أن هناك توافقاً كبيراً بين أنخفاض معدلات وفيات الأطفال الرضع وأنخفاض معدلات الوفيات العامة. وأن ٤٣٪ من حالات الوفيات حدثت في عمر أقل من ٤ سنوات، ١٦٪ فقط من حالات الوفيات في الأعمار ٦٥ سنة فأكثر. على النقيض في الأقطار المتقدمة ٢٪ في الأعمار الأقل من ٤ سنوات و٧٥٪ حدثت في الأعمار ٦٥ + (٢١) وترجع أسباب ارتفاع نسب الوفيات في معظم الدول الأفريقية إلى عوامل متعددة من بينها العامل الاقتصادي والحالة التعليمية والحالة الصحية وعامل الحرب وسوف نتناول دور كل منها بشئ من التفصيل.

١- العامل الاقتصادي :-

من المقارنة بين متوسط معدل دخل الفرد ومعدل الوفيات فى الدول الأفريقية يلاحظ أنه كلما أرتفع دخل الفرد كلما أنخفضت نسبة وفيات الأطفال الأقل من خمس سنوات فدخل الفرد منخفض جداً فى موزمبيق، فهو ٨٠ دولارا فى سنة ١٩٩٤ ولديها نسبة مرتفعة من وفيات الأطفال (٢٧٧ فى الألف) وكذلك الأمر بالنسبة لسيراليون وملاوى وأثيوبيا والصومال وأرتيريا وتنزانيا حيث يقل متوسط دخل الفرد عن ٢٠٠ دولار. (جدول رقم ٤) الا أن الأمر ليس مطلقا، ففى بعض الدول الأفريقية الأخرى حيث يرتفع دخل الفرد كما فى الجابون وأنجولا وليسوتوفنرى أن نسبة الوفيات عالية. ويمكن تفسير ذلك بأن دخل الفرد المشار إليه ليس معدل دخل الفرد الحقيقي، ومن ثم فإن أنخفاض دخل الفرد ينعكس بطبيعة الحال على وضع العائلات التى يعتبر دخلها منخفضا، ففى الجابون مثلاً نجد أن الجزء الأكبر من القوى العاملة (٧٥٪) يعمل فى القطاع الزراعى ومعنى هذا بأن الجزء الأكبر من السكان يتعايش من مربود هذا القطاع، وإذا علمنا بأن هذا القطاع لا يسهم سوى بـ ٩٪ من الناتج المحلى الأجمالى نفهم بأن أرتفاع معدل الوفيات أحد أسبابه الرئيسية أنخفاض دخل الجزء الأكبر من السكان.

كذلك الأمر بالنسبة للسنغال وغينيا حيث يعمل (٨١٪ ، ٧٨٪) من القوى العاملة فى القطاع الزراعى، ولايؤمن هذا القطاع سوى ١٩ ، ٢٩٪ من الناتج القومى فى ١٩٩١ على التوالى (٢٢) ويؤكد الجدول رقم (٤) ما نذهب إليه ففى الدول المتقدمة معدل دخل الفرد فيها مرتفع ومعدل الوفيات منخفض، فمعدل وفيات الأطفال بون الخامسة لا يتعدى ١٠ فى الألف فى الولايات المتحدة الأمريكية، و٩ بالألف فى كوريا و٨ فى الألف فى كندا، و٩ فى الألف فى فرنسا و٦ فى الألف فى اليابان.

جدول رقم (٤)

نصيب الفرد من الناتج القومي ومعدلات وفيات الأطفال دون الخامسة في بلدان
أفريقيا جنوب الصحراء عام ١٩٩٤

الدولة	نصيب الفرد من الناتج القومي بالدولار	معدل وفيات الأطفال دون الخامسة	الدولة	نصيب الفرد من الناتج القومي بالدولار	معدل وفيات الأطفال دون الخامسة
١ - الجابون	٣٥٥٠	١٥١	٢٥ - مالي	٢٥٠	٢١٤
٢ - موريشيوس	٣١٨٠	٢٣	٢٦ - غينيا بيساو	٢٤٠	٢٣١
٣ - جنوب أفريقيا	٢٠١٠	٦٨	٢٧ - مدغشقر	٢٣٠	١٦٤
٤ - بوتسوانا	٢٨٠٠	٥٤	٢٨ - النيجر	٢٣٠	٣٢٠
٥ - ناميبيا	٢٠٣٠	٧٨	٢٩ - زائير	٢٣٠	١٨٦
٦ - ليسوتو	٧٠٠	١٥٦	٣٠ - رواندا	٢١٠	١٣٩
٧ - أنجولا	٧٠٠	٢٩٢	٣١ - أوغنده	٢٠٠	١٨٥
٨ - الكاميرون	٦٨٠	١٠٩	٣٢ - تشاد	١٩٠	٢٠٢
٩ - الكونغو	٦٤٠	١٠٩	٣٣ - بورندي	١٥٠	١٧٦
١٠ - السنغال	٦١٠	١٥٥	٣٤ - سيراليون	١٥٠	٢٨٤
١١ - غينيا	٥١٠	٢٢٣	٣٥ - ملاوي	١٤٠	٢٢١
١٢ - ساحل العاج	٥١٠	١٥٠	٣٦ - اثيوبيا	١٣٠	٢٠٠
١٣ - زيمبابوي	٤٩٠	٨١	٣٧ - الصومال	١٢٠	٢١١
١٤ - موريتانيا	٤٨٠	١٩٩	٣٨ - اريتريا	١٠٠	٢٠٠
١٥ - ليبيريا	٤٥٠	٢١٧	٣٩ - تنزانيا	٩٠	١٥٩
١٦ - غانا	٤٣٠	١٣١	٤٠ - موزمبيق	٨٠	٢٧٧
١٧ - بنين	٣٧٠	١٤٢			
١٨ - جنوب أفريقيا	٣٧٠	١٧٥			
١٩ - غمبيا	٣٦٠	٢١٣	الولايات المتحدة	٢٥٨٦٠	١٠
٢٠ - زامبيا	٣٥٠	٢٠٣	الامريكية		
٢١ - توجو	٣٢٠	١٣٢	اليابان	٣٤٦٣٠	٦
٢٢ - بوركينا فاسو	٢٠٠	١٦٩	كندا	١٩٥٧٠	٨
٢٣ - نيجيريا	٢٨٠	١٩١	فرنسا	٢٣٤٧٠	٩
٢٤ - كينيا	٢٦٠	٩٠	كوريا	٨٢٢٠	٩

المصدر : من حساب الباحث عن اليونسيف ، مسيرة الأمم (بلدان العالم مرتبه حسب انجازاتها في مجالات صحة الأطفال وتغذيتهم وتعليمهم)، ١٩٩٦، ص ص ٥٢ - ٥٣

إن انخفاض نسبة أسهام القطاع الزراعي، إذا ما قيس بنسبة العاملين فيه يطرح أمراً في غاية الخطورة وهو ازدياد العجز الأفريقي في تأمين المواد الغذائية محلياً وبخاصة في أفريقيا جنوب الصحراء، ففي أحد عشر بلداً (ناميبيا، موزمبيق، أنجولا، بورندي، رواندا، الصومال، أثيوبيا، جمهورية أفريقيا الوسطى، تشاد وسيراليون) يقل المتاح من موارد الطاقة اليومية عن ٢٠٠٠ سعر، كما يوجد في أفريقيا جنوب الصحراء أدنى معدل لاستهلاك المنتجات الحيوانية حيث تمثل الجذور كاليام والمنبهوت في الأجزاء الوسطى والغربية مواد الغذاء الرئيسية، لكن أجزاء كبيرة من شرقي وجنوبي أفريقيا تعتمد على إنتاج الحبوب - الحبوب الخشنة أساساً كالذرة والدخن والсорجام - وتشير الأحصاء المتاحة للأسف إلى أنحدار مستويات الإنتاج للفرد خاصة من مطلع السبعينات وما يليها.

كما يلاحظ أنه في أفريقيا جنوب الصحراء تمثل معونات الحبوب فيها أكبر قسم من الواردات. وعلاوة على هذا يبدو أن موقف هذه المنطقة من المساعدات الغذائية أخذ في التدهور لأن عدداً متزايداً من البلدان يعجز عن دفع قيمة ما يكفي من واردات غذائية وقد صنفت ١٣ دولة من ٤٤ كدول ذات أمن غذائي معقول. و٢١ كدول مزعجة الأمن الغذائي. (٢٣)

أما نسبة الأطفال دون سن الخامسة والمصابين بسوء التغذية معتدل أو حاد فإنها ٢٢٪ في بلدان أفريقيا الصحراوية بصفة عامة وقد سجلت أعلى نسبة في أثيوبيا وموريتانيا ٤٨٪ لكل منهما، ٤١٪ في أريتريا، ٣٦٪ في كل من النيجر ونيجيريا، ٣٥٪ في زائير، ٣٢٪ في مدغشقر، ٣٠٪ في بوركينافاسو، ٢٩٪ في كل من تنزانيا ورواندا وسيراليون، ٢٧٪ في كل من ملاوي وغانا، ٢٦٪ في ناميبيا، ٢٥٪ في زامبيا، ٢٣٪ في كينيا، ٢١٪ في ليسوتو، ٢٠٪، في

السنغال ، ١٦٪ فى زيمبابوى*، ١٤٪ فى الكاميرون و ٩٪ فى جنوب أفريقيا، أما بالنسبة لشمال أفريقيا فقد سجلت السودان أعلى نسبة للأطفال سيئى التغذية (٣٤٪) فى حين أن مصر والجزائر والمغرب سجلت أدنى نسبة ٩٪ وذلك فى الفترة ما بين (١٩٩٥-١٩٩٠) (٢٤).

ويلاحظ مما سبق أن عدة بلدان أفريقية** تتزايد فيها معدلات سوء التغذية تحت تأثير الديون والتكيف الهيكلى وتزايد الفقر وتدهور خدمات البنية التحتية الأساسية. وعلاوة على ذلك فإن التأثير المروع لمرض نقص المناعة المكتسبة (إيدز) فى أفريقيا يسهم فى زيادة معدلات سوء التغذية وزيادة معدلات الوفاة بين الأطفال فى البلدان الأفريقية التى تحمل ٢٥٪ من نساها الحوامل فيروس نقص المناعة. (٢٥)

والأنيميا مرض تغذوى له آثار بالغة فى معدلات وفيات الأطفال وتأخر النشاط العقلى. ويمكن أن تترك الأنيميا أثراً دائماً دائمة على النمو العصبى لدى الرضع والنمو المعرفى لدى صغار الأطفال. ولقد أتضح بأن الانخفاض فى وفيات الرضع فى البلدان الصناعية مرده إلى تحسن الأحوال المعيشية العامة أكثر من تقدم العناية الطبية ففى عام ١٩٠٨ كان معدل وفيات الرضع ٢٣٨ فى الألف فى أحد أحياء برمنجهام (المملكة المتحدة) أى أعلى منه فى معظم البلدان النامية فى هذه الأيام. وبعد ٤٠ سنة هبط معدل الوفيات فى كل أنحاء بريطانيا إلى ٢٥ فى الألف. والتحليلات للهبوط المذهل فى المعدل الإجمالى للوفيات أظهرت بأن ذلك حدث قبل ظهور العلاجات الكيميائية الحديثة والتحصين الوقائى الفعال (٢٦).

* الأطفال دون الثالث

** يعاني زهاء ٢٤٠ مليون شخص (يمثلون حوالي ٣٠٪ من المجموع) من سوء التغذية

يتضح مما تقدم أن تحس الأوضاع المعيشية (العامل الاقتصادي) يساهم في خفض سوء التغذية وبالتالي انخفاض معدل الوفيات. غير أن العامل الاقتصادي ليس هو العامل المؤثر الوحيد في عملية التغذية وبالتالي تزايد الوفيات، ذلك أن عوامل أخرى هامة جداً تلعب دوراً بارزاً في التأثير على معدلات الوفيات مثل العامل الصحي والعامل التربوي.

٢- الحالة التعليمية

أثبتت الدراسة تلو الأخرى أن تعليم الفتيات هو أفضل الاستثمارات المتاحة للبلدان النامية . فهو يؤدي إلى زيادة الدخل ويساعد على تحرير المرأة من التبعية والاعتماد على الغير ويسهم في تحسين صحة الطفل وتغذيته.

وفي دراسة للأمم المتحدة شملت ١١٥ بلداً كانت الصلة بين مستوى التعليم واحتمال عيش الطفل عند الولادة أقوى من أى عامل مؤثر أخذ في الاعتبار. ولقد أكدت الدراسات الحديثة أنه كلما زادت ثقافة الأم ارتفع إمكان بلوغ طفلها عامه الخامس. بل أن مستوى ثقافة الأم له تأثير كبير في خفض الأمراض (٢٧).

وبرغم أهمية تعليم المرأة والذي يعتبر من أقوى المؤشرات على التقدم فإن عدد البنات اللواتي يلتحقن بالمدارس أقل من عدد الأولاد وترتفع النسبة في بلدان أفريقيا الواقعة جنوب الصحراء. ففي الصومال لوحظ أن ٩٤٪ من الفتيات في سن الدراسة لم يلتحقن بالمدارس الابتدائية وحوالي ٨٦٪ في كل من مالي والنيجر، ٨٤٪ في أثيوبيا، ٧٦٪ في أريتريا. ٧٥٪ في بوركينا فاسو، ٧٣٪ في تشاد، ٧٠٪ في السنغال، ٦٨٪ في غينيا بيساو، ٦٥٪ في بنين وموزمبيق، ٥٤٪ في غامبيا وجمهورية أفريقيا الوسطى، ٥٣٪ في زائير وبورندي، ٥١٪ في نيجيريا. وهذه الدول هي التي حققت نسباً أعلى من المتوسط

العام لبلدان أفريقيا جنوب الصحراء (٥٠٪) فى حين سجلت باقى الدول نسباً تقل عن هذا المتوسط.

ونجد فى شمال أفريقيا أن المعدل الأقليمى للبنات اللواتى لم يلتحقن بالمدارس الابتدائية هو ٢٢٪ ، وقد بلغت النسبة فى مصر ١٨٪ ، المغرب ٥٥٪ وليبيا ٤٪ ، تونس ٥٪ ، الجزائر ١١٪ (٢٨).

وبتفصيل أكثر نجد أن معدلات الأمية المرتفعة بين النساء مازالت موجودة فى معظم أنحاء شمال أفريقيا وأفريقيا جنوب الصحراء. وكثيراً ما تقتزن معدلات الأمية المرتفعة بفروق اسعة بين النساء والرجال. ففى البلدان التى تشيع فيها الأمية يزيد معدل الأمية لدى الشابات فى سن (١٥ - ٢٤) بمقدار ٢٥٪ على الأقل على معدل الشبان. وأمىة المرأة الأكبر سناً عالية فى معدلها فى جميع البلدان النامية تقريباً وهذه نتيجة طويلة الأجل لانعدام فرص المرأة فى التعليم أو لحصولها على فرص ضيقة جداً فى هذا المجال. ومعدلات الأمية بين النساء اللاتى تزيد أعمارهن على ٢٥ سنة تبلغ فى المتوسط ضعفى معدلات الشابات فى سن ١٥ - ٢٤ أو تزيد على هذه المعدلات. وتعانى المرأة فى المناطق الريفية حرماناً بالغاً فى مجال محو الأمية. ففى البلدان القليلة التى تتوافر فيها بيانات حديثة نسبياً، فإن معدل الأمية بين الشابات فى المناطق الريفية يزيد على الدوام مرتين إلى ثلاث مرات على المعدل فى المناطق الحضرية والفرق فى الكاميرون يبلغ أربعة أمثال.

وقد سجلت النيجر أعلى معدل للنساء الأميات فى سن ١٥ - ٢٤ حيث بلغت نسبتهن ٩٠٪ فى الفترة (٨٥ - ١٩٩١). مالى (٨١٪) ، السنغال (٦٩٪) كوت ديفوار وموريتانيا (٦٢٪) ، جمهورية أفريقيا الوسطى (٦٥٪) ، بورندى (٥٢٪) ، مصر (٤٦٪) ، الجزائر (٣٨٪) ، تونس (٢٨٪). (٢٩).

مما سبق يتضح أن جزءاً من ارتفاع معدلات وفيات الأطفال ناجم عن الجهل والامية التي تتميز بها فئة هامة من النساء الأفريقيات. إلا أنه لا بد من الإشارة إلى أن هناك بعض الدول بدأت تتصدى لهذه المشكلة ففي مالي تم تأسيس ٧٥ مدرسة قروية متساوية الأعداد وتدير المدارس لجنة مختارة من قبل المجتمع المحلي وفي السنغال شنت منظمة توستان برنامجاً لتوفير مرافق التعليم غير النظامي لنحو ١٤٠٠ فتاه في ٢٠ قرية. وفي بوركينا فاسو. تم إنشاء مدرسة غير نظامية لتوفير فرص متكافئة للأولاد والبنات الذين تسربوا من المدرسة ممن تتراوح أعمارهم ٧ - ٩ سنوات وبعد قضاء ثلاث سنوات في هذه المدارس يستطيع الطالب أن ينتقل إلى المدارس الابتدائية النظامية. (٣٠).

ولقد ركز المؤتمر الدولي للسكان والتنمية الذي أُنعقد في القاهرة في سبتمبر سنة ١٩٩٤ على أهمية دور المرأة بأن جعلها ضمن التيار الرئيسي للتنمية. إذ لا يمكن أن تكون هناك تنمية بشرية مستدامة بدون مشاركة المرأة فيها مشاركة كاملة وعلى قدم المساواة مع الرجل لما للمرأة من تأثير على حياة الأسرة وحجمها وبالتالي على تطور المجتمع. ولذلك حث المؤتمر جميع البلدان على السعى جاهدة إلى كفالة توفير الأماكن الكاملة لحصول البنات على التعليم الابتدائي وتحصيلهم فعلاً لذلك التعليم وذلك في أقرب وقت ممكن وقبل سنة ٢٠١٥ بأى حال. كما حث على إمكانية حصول البنات والنساء على التعليم الثانوي والعالي على أوسع نطاق وفي أقرب وقت. وكذلك على التدريب المهني والتدريب الفني، أخذه في الاعتبار ضرورة تحسين نوعية ذلك التعليم ووثاقته صلته بفرص العمل (٣١).

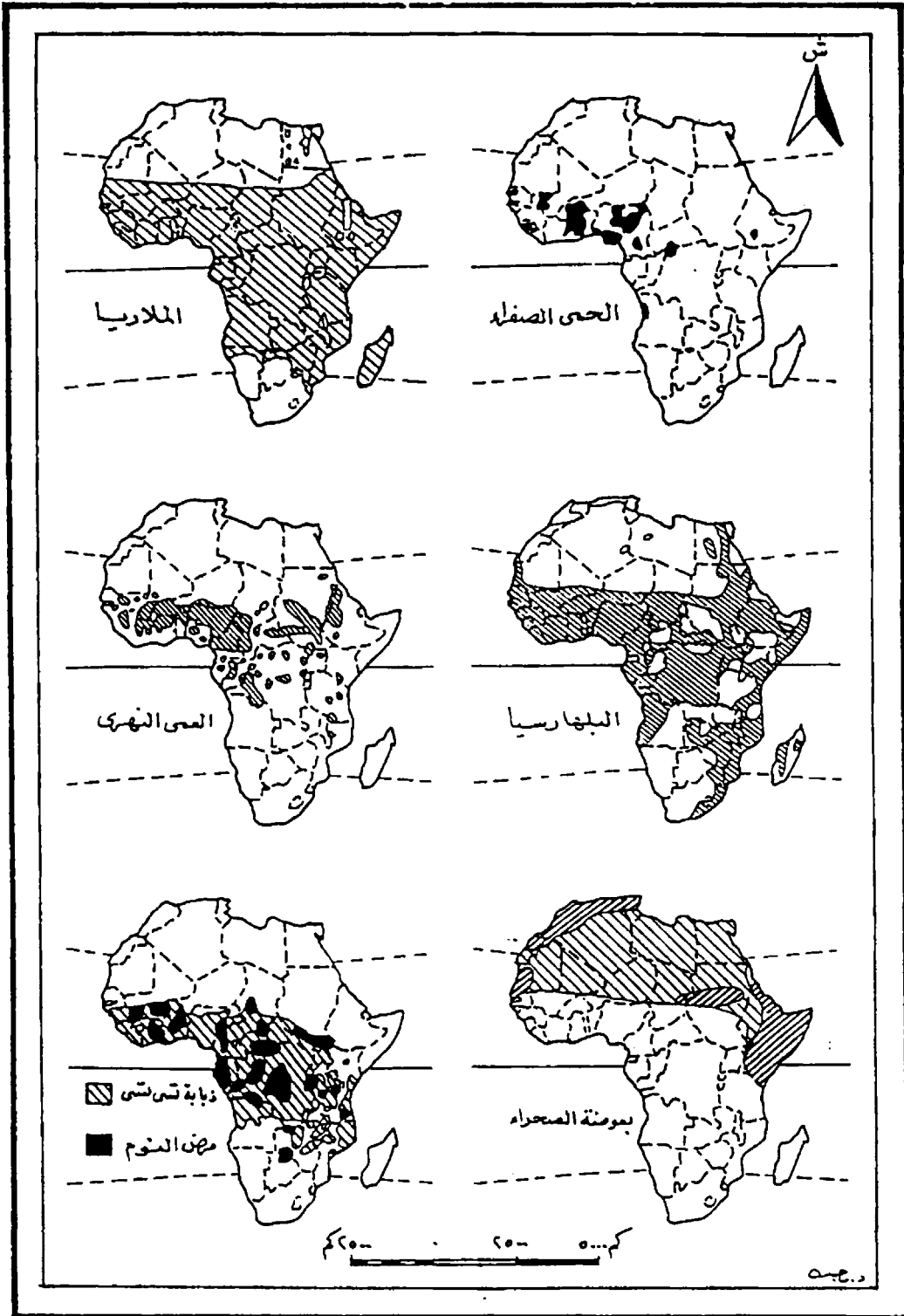
٣ - الحالة الصحية :

إذا كان العامل الاقتصادي له آثار على تأمين الغذاء وبالتالي على معدل

وفيات الأطفال. وإذا كانت الحالة التعليمية لها دور هام فى التخفيف من الوفيات كما وضع سابقاً. فإن الحالة الصحية لها دور هام فى تجنب حدوث الوفيات. ذلك أن الأسباب الرئيسية للوفاة فى البلدان النامية هى الأمراض المعدية والطفيلية التى تقتل ١٧ مليون شخص سنوياً. من بينهم ٦,٥ مليون يموتون نتيجة لالتهابات الجهاز التنفسى الحادة، ٤,٥ مليون يموتون نتيجة لأمراض الأسهال. ٣,٥ مليون يموتون نتيجة للسل. ومعظم هذه الوفيات مرتبطة بسوء التغذية وبالعيش فى بيئة غير سليمة - لا سيما شرب مياه ملوثة. مما يسهم فى حدوث زهاء بليون حالة إسهال فى كل عام (٣٢).

وتتسبب الأمراض المعدية فى وفيات النساء والرجال بنسبة ٥ - ٦٪ فقط فى المناطق المتقدمة النمو وحوالى ١٥٪ فى الصين وأن كانت النسبة فى أفريقيا جنوب الصحراء ترتفع إلى حوالى ٧٠٪ (٣٣). وينتشر على نطاق واسع فى أفريقيا جنوب الصحراء مرض الملاريا التى تكون مسؤولة عن وفاة حوالى مليون طفل سنوياً. (٣٤). بالإضافة إلى الحمى الصفراء والكوليرا والطاعون والبلهارسيا وداء الديدان الخيطية (عمى الأنهار) والمنقبيات الأفريقية (مرض النوم) والسل وشلل الأطفال (٣٥). (انظر الشكل ٥).

وبالنسبة لمدى شيوع فيروس نقص المناعة البشرية HIV و الأيدز Aids فى أفريقيا، فإن هناك تباينات إقليمية داخلية حيث نجد أن وسط وشرق أفريقيا أكثر فى معدلات الإصابة من غيرهما وأكثر شدة يليهما جنوب أفريقيا وغربها. ثم يأتى شمال القارة فى أدنى مستويات الإصابة، ومن هنا نلاحظ تبايناً فى شدة الإصابة على مستوى أقاليم القارة. وفى منتصف ١٩٩٠ كانت هناك سبع دول أفريقية تتركز بها معظم حالات الأيدز وأهمها، هى أوغندا وكينيا وزانير ورواندا وبورندى وهى ما يطلق عليها حزام الأيدز Aids Belt



(شكل ٥) : الأمراض المتوطنة في أفريقيا

المصدر: Griffiths. I.L.I., The Atlas of African Affairs, Second edition, New York, 1994. P. 23

وبها ما يقرب من ٧٥٪ من إيدز أفريقيا. أما بالنسبة لمدى شيوع المرض حسب النوع فنجد أن أفريقيا تنفرد بين قارات العالم فى تصاعد الأصابة بمعنى أن نسبة النوع هي ١ : ١ أى تساوى المصابين من الذكور والنساء تقريبا (النسبة فى الولايات المتحدة هي ١٩ ذكر لكل أنثى مصابة) ومع ارتفاع معدلات الأصابة بين النساء يزداد عد المواليد المصابين، حتى أنه وجد في أوغندا أن أغلب الأطفال جري تشخيص المرض لديهم قبل بلوغهم السنة الثانية (٨٧٪) والأغلبية أكتسبت المرض قبل الولادة (٣٦).

وفى السنوات العشرين الأخيرة هبط العمر المتوقع لكل من المرأة والرجل هبوطاً كبيراً فى اثنين من بلدان جنوب الصحراء - فى أوغندا من ٤٨ إلى ٤٣ للمرأة ومن ٤٥ إلى ٤١ للرجل ، وفى زامبيا من ٤٩ إلى ٤٥ للمرأة ومن ٤٦ - ٤٣ للرجل. وتقدر شعبة السكان بالأمانة العامة للأمم المتحدة أن العمر المتوقع سيقبل أكثر من ذلك بسبب الأيدز فى هذين البلدين فى السنوات الخمس القادمة - وأنه سيتجمد أو يقل فى ثمانية بلدان أخرى من بلدان جنوب الصحراء (جمهورية أفريقيا الوسطى ، جمهورية تنزانيا وروندا وزانير وزيمبابوى وكوت ديفوار والكنغو وملاوي). (٣٧).

ولو حاولنا رصد نسبة الأطفال المحصنون ممن تبلغ أعمارهم سنة لوجدنا أيضاً أن معدلات التحصين تختلف من دولة إلى أخرى. فهي لا تتجاوز ١٤٪ فى إثيوبيا، ٢١٪ فى تشاد، ٢٨٪ فى النيجر، ٣٤٪ فى جزر القمر، ٢٤٪ فى الصومال، وتقل عن ٦٠٪ فى معظم دول شرقى ووسط وغربى أفريقيا، بينما ترتفع نسبة المحصنين فى شمالى وجنوبى أفريقيا. (٣٨) وإذا علمنا بأن جرعة كاملة من الأدوية الأساسية الضرورية لمواجهة معظم أمراض الطفولة الشائعة (مرض ذات الرئة - الدوسنتاريا - التهابات الأذن الوسطى - الملاريا - الجفاف

- الحصبة - الديدان المعوية - التهاب العيون - التهاب الجلد) تتكلف حوالى ١٥ سنت ، وإذا ما أخذ كل طفل دون الخامسة فى البلدان النامية جرعه كامله مرتين فى السنة فستكون التكلفة الأجمالية أقل بكثير من ٢٠٠ مليون دولار فى السنة^(٣٩). لذلك يتبين أنه يتوجب العمل الكثير لتحسين الأطفال فى البلدان الأفريقية.

وتتوفر الخدمات الصحية بنسبة ١٠٠٪ للسكان فى معظم الدول المتقدمة. ونرى أن تأمين هذه الخدمات يعوزه الكثير فى الدول الأفريقية فهى لا تتجاوز ١٥٪ فى ريف الصومال فى حين أن النسبة ٥٠٪ فى الحضر فى الصومال ، فى حين كانت النسب ١٣٪ ، ٨٨٪ للريف والحضر فى سيراليون على التوالى، ٢٢٪، ٥٠٪ فى جزر القمر ، ١٧٪، ٨٦٪ فى النيجر، وتحسن الخدمات الصحية أكثر من ذلك فى موريشيوس، ليبيا، مصر ، لتصل إلى ١٠٠٪ لكل من الريف والحضر.

وزيادة فى الأيضاح نجد أنه يوجد طبيب واحد لكل ١٨ ألف نسمة فى أفريقيا جنوب الصحراء بالمقارنة بطبيب واحد لكل ٧ الاف شخص فى العالم النامى، وطبيب واحد لكل ٣٩٠ نسمة فى البلدان الصناعية^(٤٠) ونجد أن هناك فروقاً واضحة على مستوى الدول حيث أنه لكل ٧١٤٢٠ مواطن فى كينيا، ولكل ٦٢٥٠٠ مواطن فى زيمبابوى ولكل ٥٠ ألف مواطن فى رواندا وملاوى وموزمبيق وغينيا هناك طبيب واحد يشرف عليهم ويتحسن الأمر فى شمال أفريقيا حيث يقابل كل طبيب ١٣٢٠ مواطن فى مصر ، ٦٩٠ مواطن فى ليبيا ١٨٧٠ فى تونس، أما فى جمهورية جنوب أفريقيا فكانت نسبة السكان لكل طبيب هى ١٦٤٠ مواطن ، وإذا قارنا ذلك مع مثيلاته فى الدول المتقدمة لوجدنا أن الفرق مهم. ففي ألمانيا هناك طبيب لكل ٢٧٠ مواطن، وفى إيطاليا هناك طبيب

لكل ٢١٠ مواطن، وفي الولايات المتحدة الأمريكية هناك طبيب لكل ٤٥٠ مواطن وذلك عام ١٩٩٠ (٤١).

وتبلغ النسبة المئوية من الناتج المحلى الأجمالى المخصصة لقطاع الصحة عام ١٩٩١ (٥,٦٪) فى جنوب افريقيا، ٧٪ فى الجزائر، ٤,٩٪ فى تونس، ٢,٦٪ لكل من مصر والمغرب والكاميرون، ٦,٢٪ فى زيمبابوي، ٤,١٪ فى توجو، ٣,٢٪ فى زامبيا، ١,٥٪ فى الصومال فى حين لو قارنا تلك النسب بما هى عليه فى دول متقدمة لوجدنا بأن الولايات المتحدة الأمريكية تنفق ١٣,٣٪ من الموازنة على الصحة، وإن كندا تنفق ٩,٩٪، وفرنسا وإيطاليا تنفق ٩,١٪ على الصحة. (٤٢)

ولو أخذنا أيضا نسبة السكان الذين تتوافر لهم مياه مأمونة لوجدنا أن هذا الأمر مقصر عن أن يؤمن كامل الحاجات. فالوصول على المياه المأمونة أسوأ ما يكون فى أفريقيا، التى يوجد فيها أدنى مستويات الحصول على المياه التى تتمثل فى كل من أثيوبيا وموزمبيق وجمهورية أفريقيا الوسطى وزائير وأوغندا والكونغو ومدغشقر وغينيا الاستوائية. حيث لا يكاد يحصل ثلث السكان بكل من الدول السابقة على حاجته من المياه المأمونة، فى حين أظهرت دول شمال أفريقيا تقدما فى مجال الحصول على المياه المأمونة فى الفترة من ١٩٨٨ - ١٩٩١. حيث بلغت نسبة السكان الذين يحصلون على مياه مأمونة ١٠٠٪ فى موريشيوس، ٩٩٪ فى تونس، ٨٨٪ فى مصر، ٨٦٪ فى جيبوتى، ٧٧٪ فى غامبيا، ٧٠٪ فى موريتانيا والجزائر وكوت ديفوار. (٤٣)

وفى النهاية ترى الباحثة أن الاهتمام بالناحية التعليمية والصحية وإعاده هيكلة الأنفاق الحكومى فى معظم الدول الأفريقية سوف يكون له مردود إيجابى فى تحسين صحة الإنسان الأفريقى ورفع مستواه المعيشى ومن ثم يؤثر

على التنمية البشرية بالقارة والتي تقع الغالبية العظمى من دولها ضمن مناطق التنمية البشرية المنخفضة، وتحتل المراكز الأخيرة فى دليل التنمية البشرية.

٤ - الحرب :-

تعتبر الحرب من العوامل الهامة المؤدية لهلاك الألاف، بل الملايين من السكان فى العديد من الحالات. ولطالما وقع الأطفال ضحايا الحروب، غير أن التطورات التى حدثت فى الأونة الاخيرة فى فنون القتال والحروب زادت كثيراً من أخطارها. اذ يقدر أن ضحايا الحروب من الأطفال، خلال العقد المنصرم كانوا على النحو التالى :- مليوني قتيل ، ما بين ٤ - ٥ ملايين من الأطفال المعاقين ، ١٢ مليون مشرد، وما يربو على مليون يتيم ومشتت عن والديه ، وزهاء ١٠ ملايين يعانون من الأثار النفسية للحرب.

وتفسر النسبه المرتفعه للوفيات بين المدنيين فى النزاعات التى وقعت مؤخراً هذا العدد المتزايد للضحايا من الأطفال وهذا يعود، جزئياً، إلى تكنولوجيا الحروب . فقد أدى القصف الجوى إلى توسيع منطقة المعركة لتشتمل كافة مناطق البلاد. بالإضافة إلى أن غالبية النزاعات المعاصره لاتقع بين دوله وأخري. بل فى الدول نفسها. ولم يعد الأطفال والعائلات عالقين بين نيران الأطراف المتقاتلة فحسب وإنما أصبحوا هدفاً محدداً لها نظراً لأن العديد من الصراعات المعاصره يقع بين الجماعات العرقية المختلفه فى نفس الدوله . وعندما تسود الولاءات العرقية، يبرز منطق خطير. إن التحول المتسارع من التفوق العرقى إلى التطهير العرقى وإلى الأباده الجماعية، يمكن أن يصبح عملية تتعذر مقاومتها ويصبح قتل الكبار غير كاف، اذ لا بد من القضاء على الأجيال القادمة للعدو. (٤٤)

وقد شهدت الدول الأفريقية أثراً هاماً للحروب تجلت في التركيب النوعي والعمري للسكان من جهة، وعلى النمو السكاني من جهة ثانية وعلى التوزيع السكاني من ناحية ثالثة .

ففي نهاية عام ١٩٩٤ كان نحو ١١٤.٠٠٠ طفل في رواندا مشتتين عن والديهم وقد حدثت أسوأ حالات فقدان الأطفال في السودان أثر الحرب الأهلية في جنوب السودان، حيث فر ما لا يقل عن ٢٠.٠٠٠ من الشباب السودانيين، غالبيتهم من الأولاد بين سن ٧-١٧ من بيوتهم، خوفاً من الموت أو الوقوع في الأسر.

إن معظم الأطفال الذين يلقون حتفهم في الحروب لا يذهبون ضحايا القنابل والرصاص، وإنما ضحايا الجوع والمرض. ففي الحروب الأفريقية أدى نقص الأغذية والخدمات الطبية، إضافة إلى الأجهاد الناجم عن الفرار من وجه الحرب إلى وفاة عدد من الأطفال يفوق ما قتلته الأسلحة بعشرين مره. وينجم معظم هذه الوفيات عن توقف إنتاج وتوزيع الأغذية. ويأتي نقص المياه النظيفة والرعاية الصحية المناسبة لجعل الأطفال يدفعون ثمناً باهظاً ورهيباً ففي الجنوب الأفريقي. قدر عدد الأطفال الذين قضوا نحبهم في الفترة ما بين ١٩٨٠ - ١٩٨٨ جراء أسباب متصلة بالحروب بنحو ٣٢٠.٠٠٠ طفل في أنجولا ونحو ٤٩٠ ألف طفل في موزمبيق.

وتجدر الإشارة إلى أن العديد من مشكلات التنمية والصحة لا ينجم عن الحروب العسكرية فحسب وإنما عن الحروب الاقتصادية أيضاً. كما هو الأمر عندما يمارس العالم ضغوطه على الأنظمة الخارجة على الإرادة الدولية.

ويعانى الأطفال الذين ينجون من الحرب من مشكلات نفسية حادة. ففي

أنجولا أظهرت دراسة مسحية أجريت على عينه من الأطفال عام ١٩٩٥ أن ٦٦٪ منهم شاهدوا أناساً يقتلون و٩١٪ شاهدوا جثث القتلى و٦٧٪ شاهدوا إناساً يتعرضون للتعذيب أو الضرب أو الايذاء - إن ما يزيد عن ثلثي الأطفال عاشوا أحداثاً واجهوا خلالها الموت. (٤٥). مما يؤدي إلى صعوبة التركيز عند الأطفال والكآبه والشعور بأنعدام الأمل في المستقبل.

وفي أفريقيا يوجد ثلاث نماذج واضحة بوجه خاص الصومال في الشرق. وليبيريا في الغرب. ورواندا في الجزء الأوسط. فقد تسببت الحرب الأهلية في ليبيريا. على سبيل المثال. والتي يتقاتل فيها في الوقت الراهن ست مجموعات مسلحة مختلفة في ترحيل ما يزيد على ٥٠٪ من سكان هذا البلد الذي يبلغ تعداده (٢,٣ مليون نسمة) بالإضافة إلى قتل أكثر من ١٥٠٠٠٠ من غير المحاربين (٤٦). ونشأ عن الصراع القائم على أساس عشائري في الصومال حوالي ٥٠٠٠٠٠ لاجئ وأعداد لا تحصى من الأشخاص المشردين. وفي رواندا، تعتبر نتائج الصراع أشد فظاعة: فقد تم ذبح نصف مليون شخص في النصف الأول من عام ١٩٩٤. وأعقب ذلك نزوح حوالي مليون لاجئ إلى تنزانيا وزائير. ومعظمهم هرب من وطنه خلال أسبوع واحد. (٤٧). بالإضافة إلى الصراعات الدائرة في كل من سيراليون. بورندي، أنجولا، موزمبيق، زائير. والتي نتج عنها أعداد كبيرة من اللاجئين.

نستنتج من كل ما سبق أن ارتفاع نسبة الوفيات في معظم الدول الأفريقية يعود إلى عوامل سوء التغذية. الأمية، نقص الرعاية الصحية والحرب.

٢- الهجرة: .

يعد موضوع الهجرة من الموضوعات ذات الأهمية الكبيرة في دراسة مكونات النمو السكاني بالقارة الأفريقية والتي لها دور كبير في تغيير حجم

السكان ومع ذلك فإن دراستها ليست ميسره، وذلك نظراً لصعوبة الحصول على البيانات. وما يعنينا هنا هو الهجرة الداخلية نظراً لضعف الأثر الذي تلعبه الهجرة الخارجية في نمو سكان القارة. وقد لعبت الهجرة الخارجية دوراً كبيراً في التأثير على نمو سكان القارة من أواخر القرن السابع عشر وحتى منتصف القرن التاسع عشر حيث كان نظام أسترقاق العبيد والتي شكلت أساس إنتاج السلع في المزارع والمناجم في العالم الجديد. والتي كانت تشكل عصب المقدره الأقتصادية والقوة السياسية لبريطانيا وفرنسا. وقدر أن نحو ١٥ مليون عبد (رجال ونساء) نقلوا من أفريقيا إلى أمريكا قبل عام ١٨٥٠ (٤٨) أما في الوقت الحاضر فنلاحظ التأثير المحدود للهجرة الخارجية. حيث بلغ صافي الهجرة الخارجية للقارة الأفريقية (-) ٦٣ ألف مهاجر خسرتهم القارة لصالح القارات الأخرى وبمعدل هجرة صافيه هو - ٠,١ لكل ألف من السكان. (٤٩) وهذا الرقم يبدو منخفض جداً عندما نعلم أن مستويات مرتفعه جداً للهجرة الخارجية تحدث داخل القارة.

ويلاحظ أن الهجرة السائده في أفريقيا هي تحركات اللاجئين والتي تحدث عادة داخل الأقاليم. كما أن هناك بعض الأختلافات عبر الأقاليم الأفريقية كما يوضحه الجدول رقم (٥) والذي يتبين منه أن أقليم شرقي أفريقيا يأتي في مقدمة أقاليم القارة الأفريقية الطارده للسكان حيث بلغ صافي الهجرة (-) ١٢٨ ألف مهاجر وبمعدل - ٠,٦١ لكل ألف من السكان خلال الفترة (١٩٩٠ - ١٩٩٥)، أما أكثر أقاليم القارة الأفريقية جذباً للمهاجرين فهو شمالي أفريقيا حيث بلغ صافي الهجرة ٦٩ ألف مهاجر بمعدل ٠,٤٥ لكل ألف من السكان، أما باقي الأقاليم الأفريقية فصافي الهجرة إليها ليست ذا أهمية.

جدول رقم (٥)

تقديرات الهجرة الخارجية الصافية ومعدلات الهجرة (١٩٩٥ - ١٩٩٠)

المعدل (لكل ألف من السكان)	العدد (بالألف)	الهجرة الخارجية السنوية الصافية
٠,٦١ (-)	١٢٨ (-)	شرقي أفريقيا
٠,٠٥ (+)	٤ (+)	وسط أفريقيا
٠,٤٥ (+)	٦٩ (+)	شمالي أفريقيا
٠,٠٤ (+)	٢ (+)	جنوبي أفريقيا
٠,٠٥ (-)	١٠ (-)	غربي أفريقيا
٠,٠٩ (-)	٦٣ (-)	أفريقيا

المصدر U.N. Op. Cit. p . 128

(٥٠) - واقع الهجرة البينية في أفريقيا -

تتميز القارة الأفريقية بكثافة تحركات السكان عبر حدودها المعروفة حالياً، ويمكن الوصول بتقدير الهجرة عبر الحدود إلى ٤٠ مليون من السكان الأفارقة وهو ما يمثل قرابة نصف عدد المهاجرين في العالم في حين أن سكان القارة لا يمثلون سوى ١٢,٧٪ من سكان العالم. وتشير بحوث ميدانية نفذت في نيجيريا إلى أن ٧٥٪ من المهاجرين يعيشون مع زوجاتهم اللاتي رافقنهم أو التحقن بهم. كما لوحظ في ساحل العاج أن عدد النساء من غانا فيها هو ثلاث أضعاف عدد الذكور.

وقد تبدو هذه التقديرات تجنح إلى المبالغة ذلك أن أجهادات أخرى تبلغ

بعدد المهاجرين للعمل إلى ما بين ١٦ و ٢٠ مليون بينهم ما بين خمسة أوسته ملايين قوه عاملة. وهناك كثير من المؤشرات ترجح التقدير المرتفع لأعداد المهاجرين وهى :-

١ - أن التعدادات التى تنفذ لا تشمل على الأرجح عدداً هاماً من المهاجرين غير المسجلين.

٢ - تميل الهجرة الأفريقية إلى الاستقرار بل الأستيطان وبذلك تضيع هوية المهاجر لتحل محلها هوية مواطن فى حالات كثيرة.

٣ - أمتداد المجموعات العرقية الواحدة فى أكثر من بلد أفريقى وفى أفريقيا الغربية وحدها هناك ما يزيد عن ١٠٠ مجموعة عرقية يتجاوز مجال حياتها المجال الذى رسمته الحدود الدولية.

٤ - اعتماد بعض المجتمعات الأفريقية على الرعى الذى يقتضى الترحال المستمر حيث الكلا والماء.

٥ - شيوع الهجره الموسميه التى تكاد تكون يوميه أحياناً وهى تلاحظ مثلاً ما بين نيجيريا وبنين وما بين كينيا وتنزانيا .

٦ - حركات اللجوء الواسعه سواء الأقتصادى منها بحكم الجفاف والكوارث الطبيعية أو السياسى خاصة بسبب. الحروب الأهلية.

ثانياً: الهجرة الأفريقية على المستوى شبه الاقليمى :

١ - شمالي أفريقيا :

يعتبر شمالي أفريقيا أحد أقاليم أفريقيا الفرعية الذى تميز دائماً بالهجرة على نطاق واسع. فهذا الأقليم الفرعى بما له من موقع جغرافى مميز يتمتع بأتصالات سهلة ودائمة مع أوروبا والعالم العربى وأفريقيا جنوب الصحراء،

والواقع إن هذا الأقليم يأوى شعوباً متجانسة من الناحيتين التاريخية والثقافية. لها نفس اللغة ونفس الديانة. وهذه الخصائص المشتركة تسهل التحركات أو الهجرة بين البلدان.

ومع استقلال دول شمال أفريقيا، شجعت الحكومات الهجرة الواسعة خاصة إلى أوروبا، نتيجة لزيادة الطلب الجماعي على الأيدي العاملة المغاربية التي كانت اقتصاديات أوروبا في أمس الحاجة إليها وخاصة العمالة غير المؤهلة. ولكن منذ بداية السبعينات، أصبحت الدول الأوروبية تغلق حدودها تبعاً في وجه العماله المهاجرة إليها من المغرب، وذلك نتيجة لارتفاع نسبة البطالة بين الأوروبيين، بالإضافة إلى المشاكل الكبيره للاندماج مع المجتمع والتي بدأت تتطور. (٥١)

أما الهجرة نحو بلدان الخليج فهي ليست أقل أهمية. وإذا كانت الهجرة إلى تلك المنطقة قد بدأت مؤخراً فهي قديمة وواسعة النطاق بالنسبة لبلدان شمالي أفريقيا مثل جمهورية مصر العربية.

وتعتبر الهجرة نحو أفريقيا جنوب الصحراء محدوده للغاية ولكنها في ازدياد مطرد. ومعظم المهاجرين هم من الشباب الباحثين عن عمل. كما أن هناك هجرة تتجه نحو أمريكا. وعلى الأخص الولايات المتحدة الأمريكية وكندا وأسيا وجزر أوقيانيا.

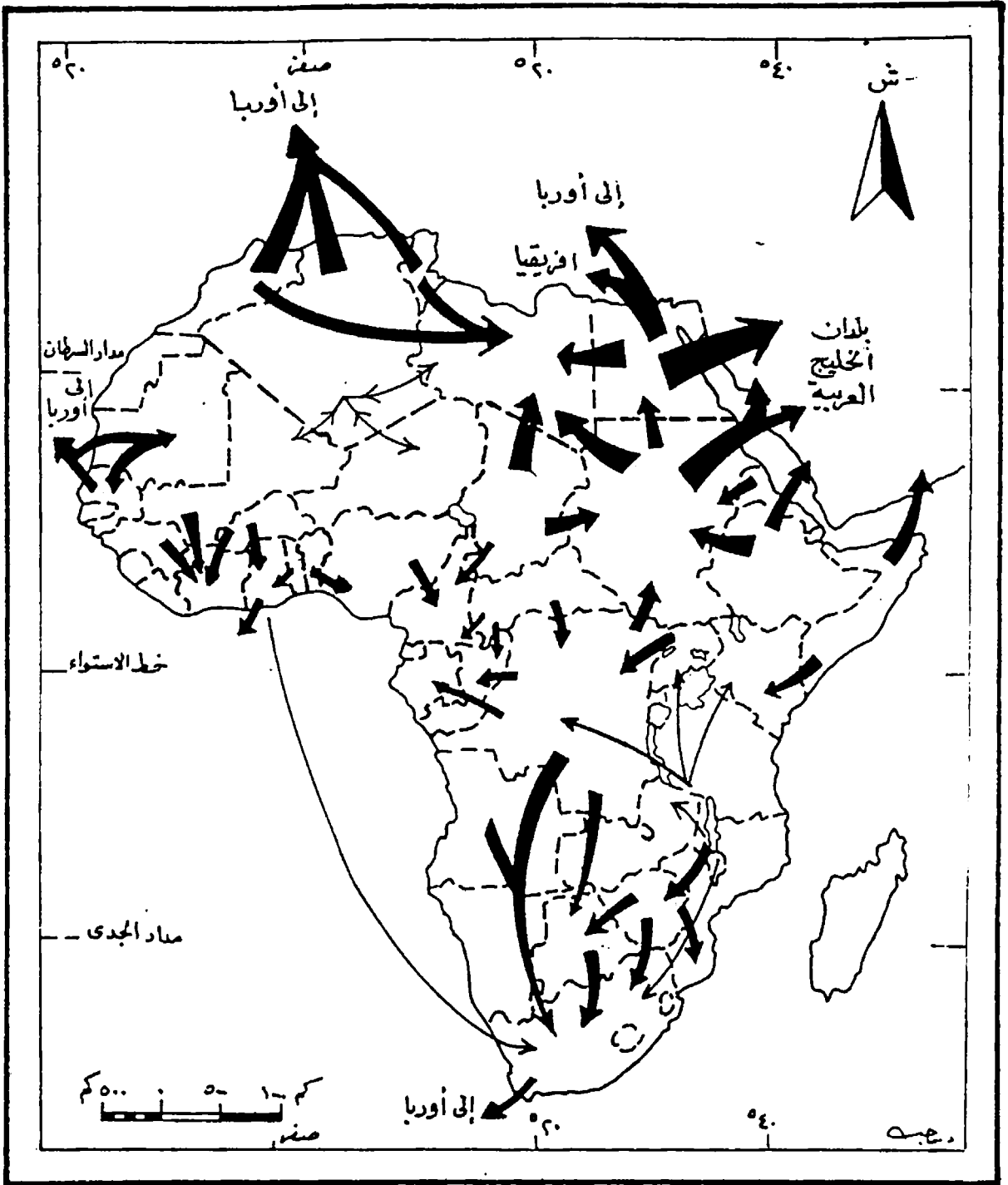
وعند تحليل سياسات هجرة العمالة في العالم العربي، فقد لوحظ إن تلك السياسات تتراوح بين الخطر التام لهجرة العماله (الجزائر) والتشجيع الإيجابي (تونس) مروراً بالتحكم الاختياري (مصر) وعدم المعارضه (المغرب) ويترتب على هذه الملحوظة أن تونس والمغرب تفتحان مجال السفر إلى الخارج أمام رعاياهما ودخول الأجانب إلى أراضييهما، والحقيقة أن هذين البلدين يصدران أيدي عاملة أكثر من أستقبالهما لها. وهما أيضاً أقل جاذبية للعمال الأجانب عن جيرانهما. (أنظر شكل ٦).

ورغم أن هجرة المغاربة أقرب عهداً وأقل حجماً من هجرة الجزائريين، فقد عوض المغاربة المقيمون في الخارج هذا التأخر، ويوجد حالياً أكثر من ١,٥ مليون مغربي في الخارج (٥٢) يعيش نصفهم في فرنسا، وحوالي ١٢٪ في كل من هولندا وبلجيكا، كما يعيش حوالي ٢٥٠.٠٠٠ نسمة في إيطاليا وأسبانيا وألمانيا، بينما تنتزع البقية على بعض الدول الأخرى مثل سويسرا، والسويد، والنرويج والدنمارك وفنلندا، وذلك عام ١٩٩٠. (٥٣)

وعلى خلاف الاتجاه نحو التناقص الذي سجلته الجالية الجزائرية في أوروبا، واصل عدد المغاربة ارتفاعه إذ أصبح عددهم قرابة ١٠٤٥ ألف مقابل ٦٤٢ ألف جزائريين وذلك عام ١٩٩٠، كذلك تغيرت أهمية البلدان المستقبلية فبعد أن كانت فرنسا تستقبل ٩٢٪ من المهاجرين الأفارقة (خاصة من المغرب العربي) أصبحت هذه النسبة قرابة ٦٠٪ فقط وذلك بامتداد الهجرة الأفريقية إلى باقي الدول الأوروبية كما سبق القول. (٥٤)

وفضلاً عن ذلك، نجد عدداً كبيراً من مواطني المغرب يعيشون في الوقت الحالي في بعض الدول العربية. منها الجزائر (١٠٠ ألف مغربي) وليبيا (٩٠ ألف مغربي) أما البلدان الأخرى مثل تونس ومصر والسعودية والكويت والامارات العربية المتحدة لا يتجاوز عددهم بضعة آلاف.

لقد بدأت الهجرة من المغرب أساساً بطبقة عاملة تنتمي أصلاً إلى الريف من (سوس) و(ريف) تفتقر إلى التأهيل، وهاجرت في اتجاه أوروبا والشرق الأوسط. ثم شهدت الهجرة المغربية إلى الخارج تغيرات كبيرة حتى امتدت إلى كل أنحاء المغرب. وزاد أجتذابها لأبناء المدن. أي الكوادر المؤهلة ومعهم أيضاً بعض المشتغلين بالحرف الصغيره التي يفتقر إليها الاقتصاد المغربي. (٥٥)



(شكل ٦) : إتجاهات الهجرة البينية والخارجية في أفريقيا
 المصدر : محمد الأمين فارس ، واقع وآفاق الهجرة الإفريقية والعربية والندوة الإفريقية
 عن الهجرة (جنوب / جنوب) من إفريقيا ، القاهرة (٥ - ٩ ديسمبر ١٩٩٥)

ويستقر في أوروبا في وقتنا الحالي ما يقرب من ٨٥٠ ألف جزائري، فضلاً عن الأعداد الكبيرة التي حصلت على الجنسية الفرنسية حتى أصبح المهاجرون الجزائريون يمثلون ٢,٢٪ من سكان الجزائر. وجليد بالذكر أن كل ١٠ من المهاجرين إلى أوروبا يعيش ٨ منهم في فرنسا أما الجزائريون المهاجرون داخل العالم العربي فقد ظل عددهم محدوداً لا يتجاوز بضعة آلاف وهم يعيشون أساساً في المغرب وتونس والمملكة العربية السعودية (٥٦)

وفيما يتعلق بتونس، بلغ عدد السكان التونسيين المهاجرين نحو ١١ . ٥٦٤ عام ١٩٩١، بينما بلغ عام ١٩٩٢ نحو ٦٠٢٥٠٠ من جملة السكان، وتأوى نول المغرب العربي الأربع ٨,١٩٪ من إجمالي التونسيين المهاجرين، أي ٤٠٩٧٦ في ليبيا، ٢٦٢٧٥ بالجزائر و٦٢٤٨ بالمغرب وموريتانيا، والواقع أن هجرة التونسيين إلى ليبيا هي أهم هذه الموجات نظراً للأغراء الاقتصادية التي تقدمها الدولة الليبية (٥٧)

أما في موريتانيا فتبادل المهاجرين مع السنغال كان هو السائد وقد جاءت أحداث ١٩٨٩ التي أدت إلى عودة ١١٢ ألف موريتاني في السنغال مقابل عودة عدد أقل من السنغاليين في موريتانيا ولعلها كانت بلد أستاذقبال قبل ذلك التاريخ لتصبح بلد أرسال بعد ذلك (٥٨)

أما في السودان فقد بدأت الهجرة الخارجية إلى الدول العربية البترولية في منتصف السبعينات، للبحث عن فرص عمل أفضل ومرتببات أعلى بسبب الطلب المتزايد في تلك الدول على العماله لتنفيذ مشروعات التنمية أثر تدفق البترول وتتسم ملامح هذه الهجرة في أنها عشوائية وانتقالية ومؤقتة في ذات الوقت لذلك أصبح من غير الميسور تقدير حجمها وخصائصها. ويقدر حجم الهجرة الخارجية بنحو ١,٥ مليون سوداني. وتأتي المملكة العربية السعودية على قائمة

دول الاستقبال بسبب سهولة الوصول إليها فى المواسم الدينية ثم ليبيا لعدم وجود قيود تحد من حرية الأنتقال والأقامة والعمل.

كما يوجد فى السودان عدد لا بأس به من اللاجئين والذى يقدر بأكثر من مليون لاجئ يتركز معظمهم فى الأقليم الشرقى.(٥٩)

أما فى مصر فقد بلغ عدد العاملين بالخارج نحو ٢,٩٧١ مليون وذلك وفقاً لتقديرات الأداره العامة للعلاقات العمالية الدولية بوزارة القوى العاملة والتدريب عام ١٩٩٢. وتحتل الجماهيرية الليبية المرتبة الأولى بين الدول المستقبلة للعمالة المصرية حيث يصل عدد المصريين ١,٥١٩ مليون بنسبة ٥١٪ من جملة المصريين بالخارج. وتحتل المملكة العربية السعودية المرتبة الثانية حيث يوجد بها ٨٥٠ الف عامل بنسبة ٢٨,٦٪، ثم المملكة الأردنية الهاشمية التى تأتى فى المركز الثالث حيث يوجد بها حوالى ١٦٨ ألف عامل، تأتى بعدها كل من العراق والكويت ويأتى بعد ذلك اليونان وقطر واليمن وسلطنة عمان والبحرين.(٦٠)

ويبقى مركز الجذب الرئيسى للهجرة فى هذا الأقليم وهو الجماهيرية الليبية وذلك بفضل عوائد إنتاج النفط وسعة المساحة وتنوع النشاط. غير أن رصد حجم الهجرة إلى هذا البلد أصبح بالغ الصعوبة وذلك لتغيير حجم المهاجرين وتياراتهم وذلك للتغير فى سياسات الهجرة من أنفتاح واسع إلى تقييد شديد. وبشكل عام فهى تستقبل مهاجرين أغلبهم من البلدان المحيطة بليبيا خاصة مصر مع أختلاف أهمية باقى الجنسيات حسب الفترات (تونس ، السودان ، المغرب ، تشاد ، الجزائر).

٢ - غربى أفريقيا (٦١)

تمثل منطقة غربى أفريقيا أكبر تجمع للمهاجرين. وعلى الرغم من بعض

القلق السياسي والحروب الأهلية التي شهنتها أجزاء من الأقليم الفرعى فإن الهجرة مازالت فى جوهرها مسأله أقتصاديه. وكرد فعل إزاء أوجه التفاوت فى التنمية الأقتصادية ومستويات الدخل وفرص الأستثمار بين الدول الأعضاء. وقد كانت غانا تعتبر حتى عام ١٩٦٠ من أكثر بلدان الأقليم الفرعى رفاهية بسبب ما تملكه من مزارع الكاكاو والشاسعة والموارد المعدنية الغنيه، حيث كانت تجتذب العمال المهاجرين بصفة رئيسية من نيجيريا وبوركينا فاسو وتوجو وساحل العاج، وكان الأجنب يشكلون ١٢٪ من سكان غانا المقيمين.

أما فى السبعينات وحسب التغيرات الأقتصادية، والنمو السريع لأقتصاد ساحل العاج القائم على صادراتها للمنتجات الزراعيه والأستقرار السياسى النسبى أدى إلى إجتذابها للعمال المهاجرين من بوركينا فاسو ومالى وغينيا وغانا، وقد كشف الأحصاء السكانى لعام ١٩٧٥ أن نسبة المواطنين الأجنب فى ساحل العاج تقدر بحوالى ٢١٪ من إجمالى السكان المقيمين.

وتعتبر نيجيريا بلداً رئيسياً آخر كان يقصده العمال المهاجرين فى أواخر السبعينات حتى منتصف الثمانينات. وأن الأزهار الأقتصادى الذى واكب أستغلال النفط قد أجتذب أعداداً كبيرة من العمال المهاجرين الذين يفدون إليها فى الغالب من غانا وبنين وتشاد والنيجر وقد عانى المهاجرون الغانيون من العمالة الأفريقية التقليدية لأن معظم الغانيين كانوا من المهنيين (المدرسون - المرضيون - الصيادل - المهندسون - والمحاضرين الجامعيين) وقد قامت نيجيريا فى عام ١٩٨٢، ١٩٨٥ بطرد حوالى ١,٥ مليون وافد غير شرعى منهم ٧٠٠.٠٠٠ غاني. (٦٢) وقد عدد الأجنب المقيمين فى نيجيريا بصفه غير شرعية فى التسعينات بحوالى ٢ مليون شخص.

وفى إطار المجموعة الأقتصادية لدول غرب أفريقيا هناك بلدان أخرى كانت

فى وقت ما مضيفه للعمال المهاجرين الدوليين وهى غينيا والسنغال وليبيريا حتى نهاية السبعينات.

ومن الصعب تقييم حجم المهاجرين فى التسعينات ذلك لأن أحصاءات السكان التى أجريت فى الأقليم لم تنشر بعد. ولكن يلاحظ أن ساحل العاج فى مقدمه الدول المستورده للعماله المهاجره فى أفريقيا جنوب الصحراء. وأن واحداً من كل خمسة أشخاص مقيمين فى ساحل العاج مهاجر. وفى غمبيا التى تعتبر بلداً صغيراً نسبياً يشكل السكان الأفريقيون المهاجرون نسبة كبيره من السكان المقيمين ويعتبر واحداً من كل ١٠ أشخاص فى غمبيا عاملاً أجنبياً تقريباً.

ويلاحظ أن الدول الرئيسية المصدره للعماله المهاجره هى مالى وبوركينا فاسو وموريتانيا، بينما تعتبر السنغال وغانا مستوردتين ومصدرتين فى نفس الوقت للعماله المهاجره.

ولا يكاد يوجد دليل قوى على مدى هجرة العمالة الإقليمية بين دول غربى أفريقيا والأقاليم الأخرى لأفريقيا جنوب الصحراء فى الشرق والوسط والجنوب وتفيد الأحداث الأخيرة المتعلقة بطرد المهاجرين غير الشرعيين إن هناك مرورا منتظماً للمهاجرين من المجموعة الاقتصادية لدول غربى أفريقيا إلى إقليم وسط أفريقيا. وتشكل زائير والجابون - بسبب ما تزخران به من موارد معدنية غنية - مراكز يقصد إليها العمال المهاجرون من نيجيريا والنيجر، كما أن مزارع الكاكاو والبن فى ساوتومى وبرنسيب وغينيا الاستوائية قد اجتذبت المهاجرين من بلدان غربى أفريقيا. كما أن المهاجرين فى إقليم وسط أفريقيا من السنغال ومالى وبنين والنيجر كانوا معروفين بأنهم تجار وعمال خدمات.

ويوجد أيضاً مهاجرين من غربي أفريقيا في السودان، ويمكن ربط هذا النوع من هجرة المواطنين بعوامل تاريخية ودينية، حيث أن من المعتقد إن عدد من مسلمي نيجيريا والنيجر وموريتانيا ومالي قاموا بالسفر براً إلى مكة للحج عبر شرق أفريقيا، أما أولئك الذين أنقطعت بهم السبل فقد استقروا في هذا الأقليم وسعوا إلى الحصول على أى شكل من أشكال العمل، كما أنه من المعروف أيضاً أن المهاجرين والرحل من دول غربي أفريقيا هاجروا بمواشيهم نحو الجنوب بحثاً عن المرعي.

وقبل الثمانينات كانت هناك هجرة من دول الجنوب الأفريقي إلى دول غربي أفريقيا، وكان هؤلاء يشكلون بصفة رئيسية الطلبة واللاجئين السياسيين من زيمبابوى وجنوب أفريقيا وموزمبيق وأنجولا، وربما أنخفضت هذه النسبة بدرجة كبيرة بعد حصول هذه البلدان على الاستقلال.

ويبدو أن تدفق المهاجرين في الأونة الاخيرة يتمثل في الأيدي العاملة الماهره عاليه المستوى من دول غربي أفريقيا إلى دول الجنوب الأفريقي مثل زيمبابوى وبوتسوانا، وبرزت غانا كدوله رئيسيه توفر مستوى عالياً من الأيدي العاملة من المهنيين الذين أنتشروا في كل مكان من أفريقيا بدءاً ببتسوانا وجنوب أفريقيا وحتى الجماهيرية العربية الليبية.

٢ - شرقي أفريقيا :

كانت منطقة شرقي أفريقيا بأكملها من تنزانيا وزامبيا إلى دول الجنوب الأفريقي لفترة طويلة مصدراً للعماله المهاجرة في جنوب أفريقيا حتى قطعت هذه الدول علاقتها مع جنوب أفريقيا بسبب سياسة الفصل العنصري، كما كانت تتوافد أعداداً كبيرة على نحو تقليدي من بلدان القرن الأفريقي إلى دول الخليج الغنية بالبتروول.

ولكن ينعكس الطابع المؤقت للهجرة الدولية للعمالة فى حالة موريشيوس. ففى أواخر السبعينات شاركت الجزيرة فى أنظمته لتشغيل العمال مؤقتاً وذلك بإرسال مواطنيها إلى بوتسونا ونيجيريا وزامبيا، وبحلول منتصف وأواخر الثمانينات أصبحت تفضل أستيراد العماله غير الماهره تشغيلها فى صناعة السكر التى تتبعها أستثمارات أخرى.

ويتشابه هذا الوضع المتقلب مع ما كان يحدث فى قلب الشرق الأفريقى حيث كان العمال المهاجرون فى أوج عهود الأستعمار يدعمون الزراعة التجارية وتعددين النحاس فى مناجم كيلمبى بأوغندا، ومزارع المناطق الجبلية للبيض سابقاً فى كينيا، ومزارع القرنفل والسيسل فى تنزانيا. (٦٣)

وقد كانت أوغندا أقليم جذب للمهاجرين من الأقطار المجاوره خاصة من رواندا، بورندي، كينيا، السودان وتنزانيا للعمل فى مزارع القطن. وقد قدر تعداد ١٩٦٩ أن نسبة المهاجرين فى أوغندا بلغت حوالى ٥,٧% من إجمالى سكان البلد ولكن مع التطورات الأخيرة التى شملت الحروب الأهلية، والنواحى السياسية وأنهييار الأقتصاد الأوغندى كلها أدت إلى خروج السكان من أوغندا، ففى ١٩٧٢ قامت أوغندا بطرد حوالى ٤٠.٠٠٠ أسويى الذين كانوا مستقرين منذ الأستعمار، وفى عام ١٩٨٥ قدر صافى الهجره إلى أوغندا (-٧٥.٠٠٠) هاجروا من أوغندا خاصة إلى كينيا وتنزانيا. ولكن فى السنوات الحديثة ونتيجة لتزايد العماله الماهره فى كينيا وضغطها على سوق العمل الكينى مما كان من نتيجته أن أتجه الأوغنديون إلى مناطق أخرى داخل أفريقيا وخارجها(٦٤).

وفى تنزانيا، سجلت هجره العماله غير الماهرة فيها أتجهاً نحو الأخفاض مع هبوط أسعار السيسل وتفق الألياف الصناعية، وكان يعيش فى جزيرتى زنجبار وبمبا ٤١٢٢٧ من السكان الأجانب أشتراك معظمهم فى جمع محاصيل

القرنفل - بينما أستوطن في تنجانيقا ٥٧٪ من إجمالي هذا العدد ومعظمهم من بورندي ورواندا (٦٥) وفي ١٩٨٥ قدر صافي الهجرة إلى تنزانيا بـ ١٠٠٠٠ فرد ومعظم المهاجرين اليها من كينيا، رواندا، بورندي، ملاوي، وأوغندا وموزمبيق وكان كثير من مواطني تنزانيا يعيشون في كينيا، أوغندا، بورندي، وزامبيا (٦٦)

وقد قدر صافي الهجرة إلى كينيا في عام ١٩٨٥ بحوالي ٨٠٠٠٠، وتستقبل كينيا مهاجرين من أوغندا وتنزانيا أساساً كما أنها ترسل بمهاجريها إلى أوغندا وجنوب أفريقيا. (٦٧)

وقد أرتفع عدد العاملين في قطاع التعدين في زامبيا من مواطني ملاوي وتنزانيا مما يؤكد المناخ الملائم الذي كانت زامبيا تحظى به في الماضي. غير أن الوضع قد تدهور مما اضطر الزامبيين إلى الهجرة إلى زيمبابوي في الوقت الذي فرضت فيه حكومة زامبيا حظراً على هجرة مواطنيها إلى جنوب أفريقيا. مع العلم بأن هذا الوضع قد تفاقم من جراء زيادة هجرة المهنيين من زامبيا وأوغندا وتنزانيا وأثيوبيا وزيمبابوي. ولاسيما إلى جنوب أفريقيا بل وخارج أفريقيا. فالتقديرات تشير إلى أنه بحلول أبريل ١٩٩٤ كان ٣٠٠ ألف من الزيمبابويين (١٤٠٠ منهم أطباء) قد غادروا بلادهم للعمل في جنوب أفريقيا. وقد تضمنت هجرة العمالة المذكورة العمال بعقود مؤقتة والعاملين المهنيين المؤقتين والعمال السريين أو غير القانونيين وهي أشكال الهجرة السائدة في مختلف بلدان شرقي أفريقيا. (٦٨)

وتمثل تحركات اللاجئين نوع الهجرة الدولية الذي يرتبط به شرقي أفريقيا ارتباطاً وثيقاً. فقد أتضح أنه في عام ١٩٩٥ تركزت نسبة ٦٠,٣٪ من إجمالي عدد اللاجئين في شرقي أفريقيا. (٦٩) وأنه قبل عام ١٩٩٠ كان هذا الأقليم

الفرعى يضم نحو ٤, ٨٣٪ من هذا العدد ولا يوجد إلا عدد قليل من البلدان فى هذا الأقليم الفرعى لم تخرج منها أعداد كبيره من اللاجئين تثير الأنتباه العالمى.

وتوضيحا لذلك. أشتهرت أريتريا وأثيوبيا والصومال ورواندا وبورندى وزيمبابوى حتى أوائل الثمانينات وأوغندا خلال السبعينات وأوائل الثمانينات بكونها مصادر رئيسية للاجئين وفى المقابل. تشير مصادر أكيدة إلى أهميه تنزانيا وكينيا وأوغندا وملاوى وزامبيا وزيمبابوى كبلدان رئيسية مستقبلة للاجئين.

٤ - إقليم وسط أفريقيا :

تشهد بلدان وسط أفريقيا حركات كثيفه للأشخاص سواء داخل حدودها الخاصه أو فيما بينها، أو بينها وبين بقية مناطق القارة الأفريقيه بل وأنحاء العالم. وتدل بعض البيانات على أن نسبة الأشخاص المولودين فى الخارج والمقيمين فى مختلف بلدان وسط أفريقيا تتراوح ما بين ٢, ١٪، ٦, ٦٪ باستثناء رواندا التى توجد بها نسبة أقل.

وتدل الأحصائيات على أن عدد الأجانب فى مختلف بلدان وسط أفريقيا يشهد تغيراً كبيراً بصورة مستمره. ففى الجابون، بلغ عدد الاجانب ١١٪ سنه ١٩٧٦ و ١٤, ٧٪ سنه ١٩٨٠ من إجمالي عدد السكان، وحسب أحصائيات ١٩٩٢ فإن نسبة الاجانب من بين السكان البالغين ١٨ عاماً فأكثر، تقدر بحوالى ١٨, ٢٪ منها ١١, ٢٪ يعيشون فى المناطق الحضرية، ٧٪ فى المناطق الريفية وتشير تقديرات وزارة الدفاع والأمن والهجره، أنه خلال الفترة من ١٩٧٦ - ١٩٨٥، أرتفع عدد الرعايا من مالى فى الجابون من ٢٧٦٧ إلى ١٥٥٨٦، وعدد الرعايا من الكاميرون من ٨٢٤٦ إلى ١٤٢١٢. ومن توجو أرتفع عدد الرعايا

من ٢٩٤٤ إلى ٦٢٤٠، السنغال من ٥٣٥٨ إلى ١٠٩٣٣. وترى الإدارة العامه للوثائق أن السكان الأجانب فى الجابون سوف يتضاعف عددهم مرتين تقريباً ما بين ١٩٨٥ ، ١٩٩٥ ليرتفع من ١٠٧٨٠٧ إلى ٢٠٠٠٠٠ شخص . (٧٠)

وفى جمهورية أفريقيا الوسطى شهدت نسبة الأجانب أنخفاضاً ما بين ١٩٧٥ ، ١٩٨٨ ، حيث أنخفضت من ٣٪ إلى ٦ ، ٢٪ معظمهم من زائير وتشاد والسنغال والسودان والكاميرون. ويعمل معظمهم فى التجارة والخدمات، وتعود الهجرة التشادية إلى عهد قديم. وقد تضاعفت بسبب عدم الاستقرار السياسى فى تشاد. وفى مجال هجرة العماله من جمهورية أفريقيا الوسطى فإن أهم اتجاهاتها هى الكاميرون وتشاد ، زائير.

وتعتبر زائير أهم مستقبل للهجرة فى وسط أفريقيا (أكثر من ٦٠٠ ألف) للعمل فى المناجم ، وقد قل عدد المهاجرين بعد عام ١٩٩١ (٧١) ويعمل السنغاليون والماليون فى التجارة والحرف الصغيرة ويتخصصون فى بيع الأحجار الكريمة، وصنع المجوهرات والأعمال الحرفية. أما الوافدين من أنجولا فإنهم يعملون بالزراعة، ويشتغل الزامبيون فى تجارة التجزئة فى شرق البلاد. أما القادمون من الكنفو فإنهم يعملون فى التجارة أيضا. ويمارس الروانديون والبورونديون والتنزانيون الأنشطة الزراعية وصيد الأسماك وتربية المواشى فى شرق البلاد وتوجد فى زائير هجرة كبيرة للعقول نحو زامبيا والكنفو والجابون وجنوب أفريقيا.

ويمثل الأجانب نحو ٣ ، ٥٪ من إجمالى عدد العمال فى الكاميرون. ويعمل نحو ٥٧ ، ٢٪ فى الزراعة والصيد وتربية المواشى (مع تفوق رعايا نيجيريا وتشاد) ويشكل التجار والباعة نحو ٢٠ ، ٨٪ أغلبهم من غرب أفريقيا (نيجيريا ، السنغال ، مالي) أما الصناع الحرفيون فتبلغ نسبتهم ١٢ ، ٦٪ ، والعمال المتخصصون فى الفنادق وتقديم الخدمات نسبتهم ٦ ، ٤٪. (٧٢)

ومعظم المهاجرين إلى الكاميرون من زائير من الذكور حيث تبلغ نسبة النوع ٢٥٩ ذكر / ١٠٠ أنثى، وترسل الكاميرون مهاجرين إلى نيجيريا والجاون وجمهورية أفريقيا الوسطى. (٧٣) وفي الكونغو كان السكان الأجانب يمثلون سنة ١٩٨٤ نسبة ٤,٥٩٪ من إجمالي السكان. يعمل معظمهم في الزراعة والتجارة وعلى الأخص رعايا بلدان زائير وأنجولا وجمهورية أفريقيا الوسطى أما رعايا بلدان غرب أفريقيا. فيفضلون الاستثمار في التجارة. فقط نحو ٢,٨٦٪ من العمال الأفريقيين المهاجرين في الكونغو يعملون في القطاعات العلمية والفنية.

وفي غينيا الاستوائية لم يتجاوز عدد السكان الأجانب نسبة ١,٦٪ من إجمالي عدد السكان في سنة ١٩٨٢. ومعظم العمال المهاجرين إليها من نيجيريا، ليبيريا وسيراليون ويعمل معظمهم في مزارع الكاكاو (٧٤) وجوز الهند وبنجر السكر والبن.

٥ - جنوبي أفريقيا

تمثل جمهورية جنوب أفريقيا أهم قطب لجذب العمالة وذلك بالنسبة لقارة أفريقيا. وتعد إليها العمالة خاصة من بتسوانا وليسوتو وملاوي وموزمبيق وسوازيلاند ويعمل هؤلاء المهاجرين خاصة في المناجم (٨٠٪) ويتحكم في التوظيف غرفة المناجم. ولكن مع زيادة أهمية نقابات عمال المناجم أزداد عدد الوطنيين العاملين في المناجم مع تحسن أوضاع وشروط العمل فيها. (٧٥)

ويصعب الحصول على إحصائيات دقيقة وصادقة عن الهجرة في جنوبي أفريقيا. وتجدر الملاحظة أن صافي عدد المهاجرين من جماعة تنمية الجنوب الأفريقي إلى جنوبي أفريقيا قد انخفض في السنوات القليلة الماضية من بتسوانا وموزمبيق وناميبيا كما أن الميل نحو الهجره قد تضاعف كثيراً في جميع

الدول باستثناء ناميبيا حيث ظل كما كان عليه ويعود ذلك إلى الأغراءات المحلية أو القوة الجاذبه من ناحية سياسة الهجرة التي تتبعها جنوب أفريقيا.

ويلاحظ أن زائير ومادير اوموريشيوس وكينيا أكبر مصادر المهاجرين على التوالي. أما عن هجرة مواطنى جنوب أفريقيا إلى دول أخرى فيبدو أن موريشيوس تستهوى الأغلبية تليها كينيا.

أن أغلب المهاجرين إلى جنوب أفريقيا من المهنيين ولكن هذا هو حال المهاجرين من جنوب أفريقيا. إلا أن جنوب أفريقيا فى نهاية الأمر هى المستفيد الأكبر من المهاجرين المؤهلين وهجرة العقول. وذلك يرجع إلى أن جنوب أفريقيا تدفع مرتبات أفضل وتوفر فرصاً أحسن للتقدم مما تستطيع أن توفره لهم أوطانهم. مما قد يسبب ضرراً اقتصادياً بالغاً على الاقتصاد الوطنى فى الدول المجاورة. وتعتبر زيمبابوى من أكثر دول الجنوب الأفريقى تأثراً بهجرة العقول. (٧٦) كما سبق القول.

دوافع الهجرة

– أن معدلات النمو السكانى وحجم السكان لهما تأثير كبير على الهجرة بتخفيض فرص هذه الهجرة ويعنى ذلك أن انخفاض معدلات النمو السكانى والعدد الصغير للسكان يؤدى إلى الحد من الهجرة حيث لا يوجد ضغط فى بلد الهجرة. كما تؤدى نسبة دخل الفرد من إجمالى الناتج الوطنى ونسبة التحضر أيضا إلى تقليل فرص الهجرة. لأن التمدن بصفة عامه يرتبط بالتصنيع. وعليه فإن البلد الصناعى/ المتحضر يحتمل أن تتوفر لديه فرص أكثر للعمل وبالتالي يحتفظ بمواطنيه.

– عدم الاستقرار السياسى الذى لا يسعى لتسكين أعداد هائله من السكان

بل يرغمهم على ترك أوطانهم بحثا عن الأمان والاستقرار. إن نصيب أفريقيا هو ٦,٧٥ مليون من إجمالي حجم اللاجئين فى العالم عام ١٩٩٥ والذى يبلغ ١٤,٤ مليون وذلك طبقا لتقديرات المفوضية السامية لشئون اللاجئين التابعه للأمم المتحدة. أن الكثيرين منهم تم أستبغادهم من جراء الصراعات ويشمل هؤلاء المهاجرين العديد ممن فروا من صراعات التنافس على السلطه أو بسبب الصراعات الدينية والعرقية فى رواندا، السودان، أريتريا، ليبيريا، سيراليون، غانا، موزامبيق وأنجولا.

- أن العوامل الأقتصادية هى السبب الرئيسى لهجرة العمالة الأختيارية فى كل أقاليم القارة. إن عوامل الأمداد واضحة فى كثير من البلدان التى لا يتقدم فيها الأقتصاد بصوره سريعه تكفى لأستيعاب القوى العاملة التى تتزايد بسرعة. كما أن ترك كثير من العمال الأعمال الزراعية يرجع إلى ندرة الأراضى الصالحة للزراعة فى الأقاليم كثيفة السكان وكذلك الكوارث الطبيعية التى تسبب الهجرة. بالأضافة إلى تدهور التربة وهبوط محصول الفدان بحيث تصبح الأرض عاجزه عن أشباع حاجة السكان.

الخلاصة

نستطيع من خلال العرض السابق لاتجاهات النمو السكاني فى أفريقيا ومكونات هذا النمو خلال فترة الدراسة أن نخلص إلى ما يأتى :-

١ - نجد ان هناك تبايناً بين النمو السكاني فى أفريقيا. مقارنة بمثيله على مستوى العالم خلال فترة الدراسة بصفة عامه.

٢ - يلاحظ إنه قد ظهر التباين واضحاً على مستوى الأقاليم الأفريقية فى معدلات النمو بمقارنة ذلك بأفريقيا كوحدة مستقلة ولعل من أوضح مظاهر هذا الاختلاف ارتفاع معدلات النمو السكاني فى شرق أفريقيا عن باقى الأقاليم الأفريقية. ما عدا الفترة الأخيرة (١٩٩٠ - ١٩٩٥) حيث تفوق إقليم وسط أفريقيا على باقى الأقاليم الأفريقية فى ارتفاع معدلات النمو السكاني.

٣ - أتضح من الدراسة أن عامل الزيادة الطبيعية هو أساس ارتفاع معدلات النمو السكاني فى القارة الأفريقية.

٤ - أوضحت الدراسة أيضاً أن منطقة غرب أفريقيا تمثل أكبر تجمع للمهاجرين ومعظمها لأسباب اقتصادية، بينما نجد على العكس من ذلك أن منطقة شرق أفريقيا تركز فيها أكبر عدد من اللاجئين. أما فى شمال أفريقيا فان الهجرة فى معظمها لأسباب اقتصادية وتعتبر ليبيا مركز الجذب الرئيسى للعمال فى شمالى القارة.. وفى جنوبى أفريقيا فإن تيارات الهجرة يغلب عليها هجرة العمال إلى جمهورية جنوب أفريقيا. بالإضافة إلى نمو السكان اللاجئين فى الأقليم الفرعى. بينما نجد أن طابع الهجرة فى وسط أفريقيا فى معظمها هجرة مؤقتة وتغلب نسبة الذكور على الأناث.

الهوامش

- (١) U.N. World population prospects. The 1994 Revision. New York. 1995. p. 306
- (٢) فتحى محمد أبو عيانه، جغرافية السكان ، دار النهضة العربية، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٩٨٦ ، ص ٢٦٣ .
- (٣) رمزي زكي، المشكلة السكانية وخرافة المالتوسية الحديثة، عالم المعرفة، رقم (٨٤)، الكويت ١٩٨٤ ، ص ٢٥٨ .
- (٤) أحمد على أسماعيل، أمال أسماعيل شارر، أفريقيا المعاصرة - البيئة والانسان والتحدى، دار الثقافة والنشر والتوزيع. ١٩٨٩ ، ص ١٩٦ .
- (٥) وارين س ، تومسون دافيدت ، لويس ، مشكلات السكان ، ترجمة راشد البراوي، الأنجلو، ١٩٦٨ ، ص ٥٩٢ .
- (٦) Clarke. J.I. "Population Geography" In An Advanced Geographay of Africa. By John Clarke et. cl. Hulton Educational Publications Ltd. Great Britain. 1975. pp. 218-219
- (٧) Pritchard. J.M., Africa., Astudy Geography for Advanced Students. Revised Third Edition. Longman. 1986. p.59
- (٨) محمد عبد الغنى سعودى ، أفريقيا، دراسة فى شخصية القارة وشخصية الأقاليم ، الأنجلو، ١٩٨٣ ، ص ٧١ .
- (٩) لحساب الوقت التقريبى اللازم لتضاعف عدد السكان عن طريق المعادلة التالية .

$$\text{معدل النمو السكاني} = \frac{70}{\text{أنظر}}$$

- صندوق الأمم المتحدة للسكان، قضايا سكانية، ملف أعلامى، ١٩٩٤ ، ص ١٠ .
- (١٠) صندوق الأمم المتحدة للسكان، حالة سكان العالم، ١٩٩٥ ، ص ٦٧ .
- (١١) عبد الرحيم عمران، سكان العالم العربى حاضراً ومستقبلاً، صندوق الأمم المتحدة للأنشطة السكانية، نيويورك، ١٩٨٨ ، ص ٢٣٩ - ٢٤٦ .
- (١٢) Baker. K.M., The changing Geography of west Africa and

The Middle East. Edited by : Chapman. G.P., & Baker.
K.M. London and New york. 1992. p.83.

Griffiths. i.li., The Atlas of African Affairs. Second edition. (١٣)
London. 1994. p.137.

(١٤) شريف سونكو ، الخصوية والثقافة فى أفريقيا جنوب الصحراء : نظره عامه، المجلة
الدولية للعلوم الاجتماعية، العدد ١٤١ ، اليونسكو، سبتمبر ١٩٩٤ ، ص ٩٩ - ١٠٨ .

(١٥) المرجع السابق، نفس الصفحات.

U.N. op.cit,pp. 10 - 15. (١٦)

Ibid. pp. 10 - 15 (١٧)

(١٨) الأمم المتحدة، المرأة فى العالم ١٩٩٥ ، اتجاهات وأحصاءات، السلسله كاف - الرقم ١٢ ،
١٩٩٥ ، ص ٨٠ .

(١٩) عبد الرحيم عمران ، مرجع سابق ، ص ٢٤٢ - ٢٤٥ .

U.N. op. cit. p. 14 (٢٠)

I bid. p .124 (٢١)

(٢٢) برنامج الأمم المتحدة الانمائى ، تقرير التنمية البشرية فى العالم ١٩٩٤ ، ص
١٦٣ ، ص ١٨١ .

(٢٣) تيم دايسون، النمو السكانى العالمى وموارد الغذاء. ترجمة د. شريف بهلول، المجلة
الدولية للعلوم الاجتماعية، العدد ١٤١ ، سبتمبر ١٩٩٤ ، اليونسكو ، ص ٦٥ - ٧٤ .

(٢٤) فوليمبرى رامالفا سوامى ، ايربان جونسون وجون رودى ، اللغز الآسيوى المحير،
مسيرة الأمم (بلدان العالم مرتبه حسب أنجازاتها فى مجالات صحة الأطفال وتغذيتهم
وتعليمهم وتنظيم الأسره وتحسين أوضاع النساء)، اليونسيف ، ١٩٩٦ ، ص ١٨ .

(٢٥) المرجع السابق ص ١٦ .

(٢٦) عبد الهادى يموت، النمو السكانى والتنمية الاقتصادية والاجتماعية العربية، الدراسات
الاقتصادية، معهد الأبناء العربى ، بيروت ، ١٩٨٨ ، ص ٢٦ - ٢٧ .

(٢٧) المرجع السابق، ص ٤٣ .

(٢٨) باتريشيا لون ، إبقاء الفتيات فى المدارس ، مسيرة الأمم (بلدان العالم مرتبه حسب

أنجازاتها في مجالات صحة الأطفال وتغذيتهم وتعليمهم وتنظيم الأسره وتحسين أوضاع النساء) اليونسيف، ١٩٩٦ ، ص ٣٠.

(٢٩) الأمم المتحدة ، المرأه في العالم ، مرجع سابق ، ص ص ٨٩ - ٩٠ .

(٣٠) باتريشيا لون مرجع سابق، ص ٢٩ .

(٣١) صندوق الأمم المتحدة للسكان، مرجع سابق، ص ص ٩ - ١٠ .

(٣٢) برنامج الأمم المتحدة الأنمائي ، مرجع سابق، ص ٢٧ .

(٣٣) الأمم المتحدة، المرأه في العالم ، مرجع سابق ، ص ٧٢ .

Nevill, C.G., Malaria in sub-saharan Africa. Social science (٣٤)

Medical Vol . 31. No. 6. Great Britain. 1990 p. 668

Griffiths. I.li., Op. Cit. p.22 (٣٥)

(٣٦) فاتن محمد البنا، الأبعاد الجغرافية لمرض الإيدز في قارة أفريقيا، مجلة بحوث كلية

الآداب. جامعة المنوفية، العدد ١١ ، ديسمبر ١٩٩٢ ، ص ١٣١ ، ص ١٤٧ .

(٣٧) الأمم المتحدة، المرأه في العالم، مرجع سابق ، ص ٦٦ .

(٣٨) برنامج الأمم المتحدة الأنمائي ، مرجع سابق، ص ص ١٥٠ ، ١٥١ .

(٣٩) مونيكا شارما وجيمز تولوخ، الصحة «مهمة لم تنجز»، مسيرة الأمم (بلدان العالم

مرتبته حسب أنجازاتها في مجالات صحة الأطفال وتغذيتهم وتعليمهم)، اليونسيف،

١٩٩٦ ، ص ٢٥ .

(٤٠) برنامج الأمم المتحدة الأنمائي ، تقرير التنمية البشرية في العالم ١٩٩٥ ، ص ٢٨ .

(٤١) تقرير التنمية البشرية في العالم ١٩٩٤ ، مرجع سابق، ص ص ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٨٤ .

(٤٢) المرجع السابق ، ص ص ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٨٧ .

(٤٣) المرجع السابق ، ص ص ١٢٢ ، ١٢٣ .

(٤٤) اليونسيف ، ملخص تقرير وضع الأطفال في العالم ، ١٩٩٦ ، ص ٢ .

(٤٥) المرجع السابق، ص ص ٤٠٣ .

(٤٦) مفوضية الأمم المتحدة لشئون اللاجئين، حالة اللاجئين في العالم، ١٩٩٥ ، مركز الأهرام

للترجمة والنشر ، الطبعة الاولى، ١٩٩٦ ، ص ١١٢ .

(٤٧) المرجع السابق، ص ص ٢٢ ، ٢٣ .

Castles. s., & Miller. M.J. The Age of Migration. Interna- (٤٨)
tional population Movements in the Modern world" The Mac-
millan press ltd. london. 1993. p.48

U.N. op cit. p. 128 (٤٩)

(٥٠) محمد الأمين فارس ، واقع وأفاق الهجرة الأفريقية والعربية ، الندوة الأفريقية عن الهجرة
(جنوب / جنوب) في أفريقيا، منظمة العمل العربية بالأشتراك مع منظمة الوحدة
الأفريقية، المنعقدة في القاهرة (٥ - ٩ ديسمبر ١٩٩٥) ص ص ٢ - ١٠.

Joffe. G. "The changing Geography of north Africa. Devel- (٥١)
opment Migration and The Demographic time bomb." in :
chapman G.P. & Baker. K.M., The changing Geography of
Africa and the Middle East. london & New york. 1992. p.
145.

(٥٢) تقرير الأمين العام بشأن هجرة العمالة بين الدول الأفريقية في الأقليم الفرعى لشمال
أفريقيا، الندوة الأفريقية عن الهجرة (جنوب / جنوب) في أفريقيا، مرجع سابق، ص ٩.

(٥٣) عبد الله براده، الهجرات الدولية في المغرب العربي، المؤتمر العربى للسكان ٤ - ٨ أبريل
١٩٩٣ ، عمان ، ص ٥.

(٥٤) محمد الأمين فارس ، مرجع سابق ، ص ١٠.

(٥٥) عبد الله براده. مرجع سابق ، ص ٦.

(٥٦) المرجع السابق ، ص ٤.

(٥٧) تقرير الأمين العام بشأن هجرة العماله بين الدول الأفريقية في الأقليم الفرعى لشمال
أفريقيا، مرجع سابق، نفس الصفحة.

(٥٨) محمد الأمين فارس ، مرجع سابق ، ص ١٠.

(٥٩) عائشه عبد الله إدريس، التشغيل والهجرة في السودان ، منظمة العمل العربية، المؤسسة
العربية للتشغيل، ندوة التشغيل والهجرة في الأقطار العربية، ٩ - ١٤ سبتمبر ١٩٩١،
طنجه ١٩٩٢، ص ص ٢٤٣ - ٢٤٥.

(٦٠) رفعت نصر عبد الفنى ، سياسات الاستخدام في مصر ، منظمة العمل العربى ومنظمة
العمل الدولية والبرنامج الانمائى للأمم المتحدة، ندوة سياسات التشغيل في البلدان

العربية، القاهرة (١٠ - ١٢ مايو ١٩٩٢) ، الجزء الثاني، الأوراق القطرية، أكتوبر ١٩٩٢ ، ص ٣١٧ .

(٦١) تقرير الأمين العام بشأن هجرة العمالة الدولية داخل المجموعة الاقتصادية لدول غرب أفريقيا، الندوة الأفريقية عن الهجرة (جنوب / جنوب) في أفريقيا، مرجع سابق، ص ص ٦ - ١٣ .

Stock. R., Africa south of the sahara. Ageographical inter (٦٢) pretation. New york. 1995. p. 139.

(٦٣) تقرير الأمين العام بشأن هجرة العمالة الدولية داخل المجموعة الاقتصادية لدول شرق أفريقيا، الندوة الأفريقية عن الهجرة (جنوب/جنوب) في أفريقيا، مرجع سابق، ص ص ٢٦ ، ٢٧ .

Russell. S.S., & Jacobsen. K. & stanley W.D. International (٦٤) Migration and Development in sub-Saharan Africa. world Bank Discussion papers. No-102. Vol. II. Washington. 1990. p. 40

(٦٥) تقرير الأمين العام بشأن هجرة العمالة في شرق أفريقيا، مرجع سابق ، ص ٢٧ .

Russell S.S. (et-al) . op. cit. 107 (٦٦)

ibid. p. 25 (٦٧)

(٦٨) تقرير الأمين العام بشأن هجرة العمالة الدولية لدول شرق أفريقيا، مرجع سابق ، ص ص ٣١ .

(٦٩) تم حساب هذه النسبة من الجدول رقم (٤) من :-

مفوضية الأمم المتحدة لشئون اللاجئين، حالة اللاجئين في العالم بحثاً عن حلول ١٩٩٥، مركز الأهرام للترجمة والنشر ، ١٩٩٦ ، ص ٢٥١ .

(٧٠) منظمة العمل العربية، منظمة الوحدة الافريقية، هجرة العمالة الدولية داخل المجموعة الاقتصادية لدول وسط أفريقيا، الندوة الأفريقية عن الهجرة (جنوب/ جنوب) في أفريقيا، القاهرة ٥ - ٩ ديسمبر ١٩٩٥ ، ص ص ٨ ، ٩ .

(٧١) محمد الأمين فارس ، مرجع سابق، ص ٥ .

(٧٢) منظمة العمل العربية ، منظمة الوحدة الأفريقية، مرجع سابق ص ٢٣ .

Russell S.S. (et-al) op. cit. p.6 (٧٣)

ibid. p. 13 (٧٤)

(٧٥) محمد الأمين فارس ، مرجع سابق، ص ٥ .

(٧٦) تقرير الأمين العام حول هجرة العمالة الدولية في الجنوب الأفريقي، الندوة الأفريقية عن

الهجرة (جنوب/ جنوب) في أفريقيا، القاهرة (٥ - ٩ ديسمبر ١٩٩٥) ص ١ - ١١ .

مقدمة عن النشاط الأقتصادي

إعداد

أ.د. السعيد البدوي

القاهرة

١٩٩٧

مقدمة عن النشاط والاقتصادي

د. د. السعيد البدوي

الملاح العامة : للنشاط الاقتصادي فى افريقيا

يوجد تنوع كبير فى الوضع الاقتصادي فى افريقيا بين الدول، كما يوجد اختلاف وتباين أيضا من إقليم إلى آخر داخل هذه الدول. وتعتبر جمهورية جنوب افريقيا وفقا لبعض المعايير الاقتصادية استثناء فى هذا المجال حيث انها تعتبر الدولة الافريقية الوحيدة التى تعد من الدول المتقدمة Developed، كما ان القطاعات الاقتصادية المختلفة بها أكثر توازنا عن أى دولة أخرى فى القارة الافريقية، ولكن يمكن ان يكون التعميم، فى مجال النشاط الاقتصادي مقبولا اذا كان هذا التعميم يسرى على المساحة العظمى من افريقيا، ولذا فاننا نورد هنا بعض الملاح الهامة والرئيسية التى يتسم بها النشاط الاقتصادي فى القارة الافريقية.

(١) التخلف

تعتبر قارة افريقيا من القارات المتخلفة، كما أنها بطيئة السرعة فى التقدم إذا ماقيست بأى معيار فى مجال التقدم الاقتصادي، حيث تنخفض إنتاجية الفرد كإنسان عامل له نشاط وكذلك بالنسبة للمساحة المنتجة & Per man per area فى المجال الزراعى. فمزال جزء كبير من القارة يخضع لنمط الانتاج المعيشى، كما أن النشاط السائد فى معظم أنحاء القارة هو النشاط الاستخراجى extractive أو يمكن ان نسميه الاستغلال الهدمى سواء بالنسبة للزراعة أو التعدين. كما إن إنتاج القوى المحركة والانتاج الصناعى

يتطور بدرجة غير سريعة حيث يوجد نقص واضح فى الخبرة الفنية (العمال المهرة) هذا بالإضافة إلى النقص الكبير فى مجال الأعمال والإدارة. وبالتالي فإن الحاجة ماسة إلى التوسع الكبير فى التعليم إذ أن معظم الاقطار الافريقية لا يوجد بها إلا مدارس عليا قليلة، وبالتالي فإن عدد خريجي الجامعات والمؤسسات العليا قليلة، وبالتالي فإن عدد خريجي الجامعات والمؤسسات العليا قليل، ويضاف إلى ذلك انتشار الأمية وارتفاع نسبتها فى أنحاء القارة، كما أن البنية الأساسية infrastructure اللازمة لى تنمية اقتصادية، واجتماعية غير متوفرة على نطاق ملائم باستثناء بعض التحسينات الحقيقية التى حدثت فى سنوات مابعد الحرب العالمية الثانية بمعدل سريع واضح.

وتوضح التقديرات الحديثة ان متوسط الدخل السنوى للفرد فى افريقيا منخفض حيث يتراوح بين ١٥٠ ، ٢٨١ دولار.

وفى بداية العقد الماضى كان نصيب افريقيا من الواردات الحرة ٦ و٥٪ بالنسبة للعالم، وحوالى ٤ و٥٪ من الصادرات العالمية

(٢) الاقتصاد المعيشى والتبادلى:

تتميز قارة افريقيا بتعايش أو حتى تجاور أنواع متناقضة من الاقتصاد. وتتم معظم هذه الأنماط الاقتصادية من مرحلة الاقتصاد المعيشى إلى لاقتصاد التبادلى، ولكن توجد مجموعات قليلة نسبيا من السكان الذين لم يتأثروا ولو بشكل ما بالقوى الاقتصادية الحديثة. إذ قدرت المساحة الخاضعة للاقتصاد المعيشى بحوالى ٦٩٪ من المساحة الكلية المزروعة فى افريقيا المدارية ويعيش عليها حوالى ٦٠٪ من السكان الذكور الذين يزيد عمرهم عن الخمسين عاما. وقد انخفضت هذه النسبة فى السنوات التالية ولكن ليس بشكل واضح

وقد جاء فى تقرير اصدرة الامم المتحدة عن افريقيا : انه يوجد بالقارة نظامان اساسيان على طرفى نقيض، وبينهما يقع أغلب الاقتصاد الافريقى وفى كلا النظامين يوجد الاقتصاد التقليدى والاقتصاد الحديث

ففى النوع الاول

نجد ان النظام التبادلى التجارى Commercialization قد اصبح النظام السائد حيث انه حل محل جزء او أجزاء من الاقتصاد التقليدى، وذلك فى الغالب فى الانتاج الزراعى المخصص للتصدير أى المحصولات النقدية اساسا. وتوجد استثمارات قليلة نسبيا فى هذا الاقتصاد فى المشروعات الزراعية الواسعة، ومازالت حركة العمال نحو الاقتصاد الحديث قليلة نسبيا . ومن الدول التى تدخل بشكل واضح فى هذا النوع من الاقتصاد:-

غنيا ، ساحل العاج، مالى بوركينا فاسو، النيجر، نيجيريا، تشاد، جمهورية افريقيا السطى، أوغندا ، تنزانيا .

اما النظام الاساسى الثانى:

فانه يتميز باقتصاد تبادلى يغلب عليه رأس المال الاجنبى والمشروعات الاجنبية ويعمل برأس مال كبير وطرق استغلال متقدمة اساسا فى التعدين والمشروعات الزراعية الواسعة، وتوجد حركة عمالية افريقية من النظام التقليدى نحو هذا النظام بشكل كبير. ويدخل فى هذا النظام جمهورية جنوب زمبابوى وزامبيا وكينيا وبالطبع جمهورية جنوب افريقيا ويؤدى الانتقال من النظام الاقتصادى التقليدى إلى النظام التبادلى الحديث إلى وجود بعض المشكلات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية. حيث نجد أن النظام التقليدى للملكية واستخدام الارض لا يعرقل فقط المحافظة على التربة ولكن بتعارض ايضا مع

التنظيم الاقتصادي للأرضى ومن الواضح ان النظام القبلى القديم يتعارض بطريق مباشر مع الاتجاهات الحديثة الاقتصادية، ويؤدى هذا بالتالى إلى وجود بعض من اعقد المشكلات السياسية فى افريقيا. كما انه يمكن ان تؤدى هجرة العمال من المناطق التى يسود فيها النظام التقليدى إلى النظام الحديث إلى انهيار الانتاج القائم على النظام المعيشى، ومن ناحية اخرى يؤدى هذا إلى ايجاد كل المشكلات المرتبطة بعملية التحول إلى النظام الحضرى -Urbanization وهي ظاهرة حديثة فى افريقيا ولكنها واحدة من تلك الظواهر التى تنتشر بسرعة واضحة كما ان لها ابعاداً عديدة.

وللملاحظ ان الدول التى تدخل فى النظام التقليدى تتحرك نحو الاقتصاد الحديث، ويؤدى هذا التحرك إلى تغييرات فى هيكل الاقتصادى القديم. أما الدول التى تدخل فى النظام الثانى فان النتيجة هى تدهور وانهيار الاشكال الاقتصادية السابقة وسيادة النظام التبادلى الاقتصادى الحديث.

(٣) سيادة النشاط الاستخراجى:

تعتبر اهمية الانتاج الأولى ملمحا سائداً فى الاقتصاد الحديث فى القارة الافريقية ويعطى الجدول الاتى بعض الایماعات عن الصادرات الافريقية المدارية فى خلال العقد الماضى وذلك بحسب نوع السلعة كنسبة مئوية للقيمة الكلية للصادرات ومقارنة ذلك بافريقيا كلها

القيمة الكلية المصادرات الافريقية

السلعة	افريقيا كلها	افريقيا المدارية
منتجات نباتية	٪ ٤٥,٢	٪ ٦١,٢
انتاج معدني	٪ ٣٥,٩	٪ ٢٨,٦
انتاج حيواني	٪ ٥,٩	٪ ٣,٢
انتاج صناعي	٪ ٤,٤	٪ ١,٠٠
اخرى	٪ ٨,٦	٦,٠٠
	٪ ١٠٠,٠٠	٪ ١٠٠,٠٠

ملحوظة:

المقصود بافريقيا كلها - القارة الإفريقية بما فيها جزر خليج بياقرا + مدغشقر والمقصود بافريقيا المدارية - افريقيا كلها باستثناء المغرب + الجزائر + تونس + ليبيا + مصر + جمهورية جنوب افريقيا والاقطار التي تدخل في اتحاد جمركي مع جنوب افريقيا

ويلاحظ على هذا الجدول مايلي:

(١) تأتي المنتجات النباتية في مقدمة صادرات القارة الافريقية ككل اذ تصل إلى ما يقرب من نصف هذه الصادرات الكلية للقارة. ولكن هذه النسبة تزداد وضوحا في افريقيا المدارية حيث تصل إلى ما يقرب من ثلثي الصادرات في افريقيا المدارية.

(٢) تأتي الصادرات المعدنية في المرتبة الثانية في كل من افريقيا عموما و افريقيا المدارية كذلك ولكنها في الأولى تكون نسبة عالية تزيد عن ثلث الصادرات وفي الثانية تزيد قليلا عن الربع .

٢) كذلك تأتي الصادرات الحيوانية فى كل من افريقيا ككل وافريقيا المدارية بصفة خاصة فى المرتبة الثالثة وان كانت تحتل نسبة اكبر فى افريقيا ككل وذلك يرجع إلى ماسبق ان اشرنا اليه من عدم ملائمة الظروف المدارية لتربية الثروة الحيوانية بسبب أنتشار ذبابة تسي تسي على نطاق واسع فى هذه المنطقة

٤) يلاحظ على افريقيا المدارية ان نسبة صادراتها من المنتجات الصناعية اقل من تلك النسبة الخاصة بافريقيا ككل. وهذا شئ طبيعى لان التقدم الصناعى النسبى واضح فى افريقيا المعتدلة اكثر منه فى افريقيا المدارية

ومن الملاحظ بصفة عامة ان الانتاج التجارى مخصص للتصدير خارج القارة ولا توجد إلا نسبة ضئيلة نسبيا من التجارة بين الاقطار الافريقية كما ان الاسواق المحلية فى الدول الافريقية ذاتها فقيرة او محدودة

ويعنى النشاط لاستخراجى ان افريقيا مازالت تعاني بشكل حاد وواضح من الانخفاض العام فى اسعار المواد الخام الذى بدأ فى أوائل الخمسينات وتوضيح الارقام ان اسعار المواد الخام فى انخفاض مستمر، هذا فى حين ان مؤشرات أسعار المواد المصنوعة فى الخارج والتي تستوردها القارة فى ارتفاع مستمر، وقد يرجع هذا إلى مسالة العرض والطلب حيث أن المواد الخام التى تصدرها القارة الافريقية تشترك معها دول مداريات العالم الثالث ايضا، ومن ثم فان المعروض منها كثير - فيما عدا البترول الذى بدأت اسعاره ترتفع منذ نصف القرن الحالى - ولذلك نجد ان اسعارها تنخفض، فى حين ان الدول المتقدمة التى تصنع المنتجات الصناعية وتصدرها إلى الدول الافريقية اقل فى العدد كما ان الطلب عليها كبير وبالتالي ترتفع أسعارها وقد يرجع ذلك ايضا من ناحية ثانية إلى أن الدول الصناعية المتقدمة هى التى تفرض أسعارها على هذه الدول المتخلفة بحكم انها الدول الأقوى اقتصاديا وحضاريا وبصفتها الدول التى

تحتاج اليها الدول المتخلفة علما وصناعة وحضارة فى الاونة الراهنة. إلا ان هذا الاتجاه دفع الدول المنتجة للمواد الخام سواء الخامات الزراعية او المعدنية إلى تكوين منظمات لتحديد كميات الانتاج من هذه المواد لكي لا يكون هناك فائض فى الانتاج عن الطلب يقلل من الاسعار. مثلا نجد منظمة «الايك» التى نجحت فى فرض شروطها على الشركات المنتجة للبتروى ورفعت اسعار البتروى اكثر من مرة. بل رأينا ان بعض الدول استطاعت ان تشتري اسهم الشركات المنتجة للبتروى كلها وبالتالي لم تصبح مشاركة فى الانتاج ولكنها اصبحت المالكة الفعلية لهذه المادة الهامة وبالتالي اصبحت هذه الشركات مجرد شركات وظيفية تستخدمها الدول النامية لانتاج وتصدير البتروى نظير عمولة معينة كذلك تكونت هيئات من الدول المنتجة للبن، لتسير فى نفس الطريق الذى سارت فيه منظمة (الايك) ولتنسيق الانتاج فيما بينها وان كان البعض منها لم يواته التوفيق. كما ان الدول الافريقية حاولت فى نفس الوقت تنويع الصادرات وقد نجحت هذه المحاولات إلى حد ما. وحيث أن التكهن او التنبؤ غير ملائم فان تحديدات السعر والسوق وأثرهما على زيادة المبيعات من الانتاج الافريقى فى الاسواق العالمية يعتبر من أعقد المشكلات التى تقابل التنمية فى القارة الافريقية.

وبعد ان استعرضنا بعض الملامح الرئيسية الخاصة بالاقتصاد الافريقى نذكر الآن لمحة سريعة عن أنواع هذا النشاط..

الإنتاج الحيواني في القارة الأفريقية

إعداد

د. صلاح الدين حميدة عوض

القاهرة

١٩٩٧

الإنتاج الحيوانى فى القارة الأفريقية،

د. صلاح الدين صميذة عوض

تقديم

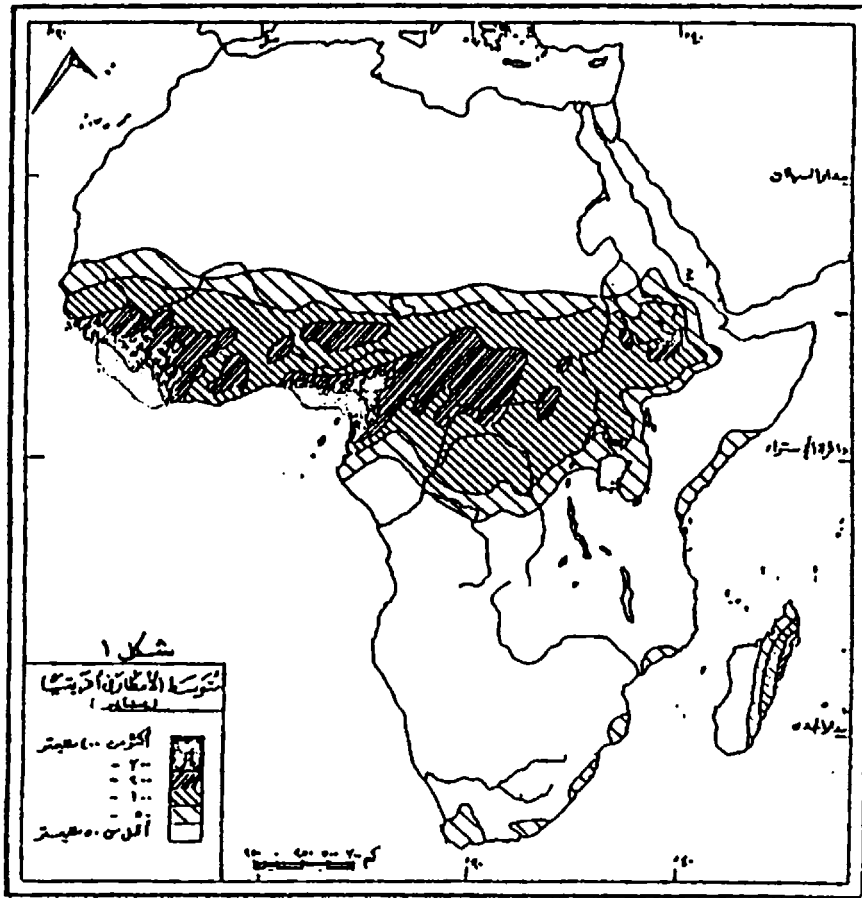
تتميز القارة الإفريقية بسمات جغرافية تجعلها تختلف جوهريا عن باقى قارات العالم، ولا يقتصر هذا التميز على الجوانب الطبيعية فقط بل ينسحب على تاريخها وتطورها البشرى أيضا.

تقع القارة فلكياً بين خطى طول ١٧° غرباً و ٥١° شرقاً ودائرتى العرض ٣٧° شمالاً، و ٣٥° جنوباً وبهذا يبلغ أقصى امتداد شمالى جنوبى لها حوالى ٧٩٨٠ كم، بينما أقصى امتداد شرقى غربى حوالى ٧٦٧٥ كم، يكاد خط الاستواء ينصف القارة، وإن كان حوالى ثلثا مساحتها يقع إلى الشمال منه.

هى ثانية قارات العالم مساحة (حوالى ٢٠ مليون كم^٢)، ويبلغ طول سواحلها حوالى ٣٠٤٠.٠٠٠ كم، أى كيلو متر من الساحل لكل ألف متر مربع من المساحة (أوروبا ٤ كم سواحل) وهذا يفسر ذلك العدد الكبير من الدول الحبيسة (١٤ دولة) وأن حوالى ٤٢٪ من مساحة القارة يبعد حوالى ٥٠٠ كم عن البحر المفتوح، ولاتوجد الخلجان الكبيرة (المكسيك أو همدسن) بالقارة، كما لاتوجد أشباه الجزر كبيرة المساحة، وتبلغ مساحة الجزر الأفريقية حوالى ٦٥٣ الف كم^٢ أكبرها مدغشقر ٥٩٠ الف كم^٢.

تشغل الصحارى مساحة واسعة من القارة (الصحراء الكبرى وحدها ٨

مليون كم^٢ وهي أكبر الصحارى الحارة مساحة على الإطلاق، إضافة إلى صحارى مثل الصومال وناميب وكلهاري)، كما تتمثل فى القارة كافة الأقاليم المناخية المعروفة، وبالتالي فالقارة تضمن كافة الأشكال النباتية وإن كانت تتميز بسيادة المناخات المدارية الحارة، ولاتكاد توجد بها المناخات المعتدلة إلا فى أطرافها الشمالية والجنوبية أو على المرتفعات فى وسط القارة سواء أكانت جبالا مفردة (كينيا - الجون - كليمنجارو مثلا) أو سلاسل تكونت نتيجة اندفاعات اللافا البركانية إبان تكون الأضدود الأفريقي بخاصة بداية من الزمن الجيولوجى الثانى وحتى بداية الزمن الثالث (رونزورى - مفيمبيرو) أو هضبات مثل أثيوبيا والبحيرات. ويتأثر الانتاج الحيوانى فى القارة بعدة ضوابط طبيعية وبشرية كما يلي:



أولاً - الضوابط الطبيعية:

١. الظروف المناخية:

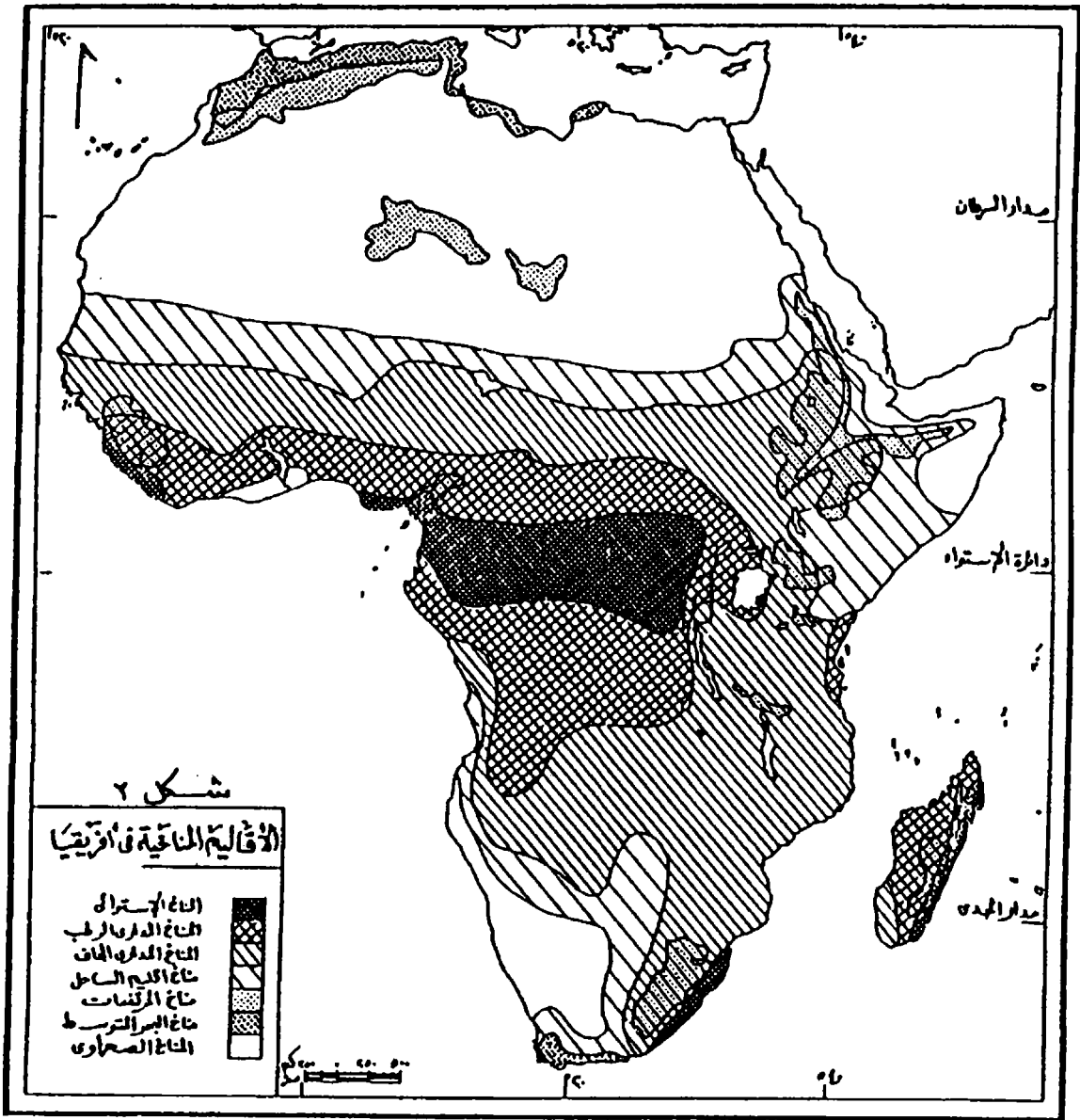
كما بينا سابقاً - يؤثر الموقع الفلكي للقارة - إضافة إلى علاقات اليابس والماء وأشكال السطح وغيرها في توزيع الأقاليم المناخية بها فتبدو متناظرة إلى حد ما بين الشمال والجنوب من خط الاستواء، كما أنه نظراً إلى ذلك، فإن أكثر من ثلثي مساحة القارة يقع بين المدارين، وتتأثر نطاقات الضغط الجوي فوق القارة بدرجات الحرارة وبالتالي تتشكل الأمطار كمية وموسماً، وعليها وضوابط أخرى - يتوقف نمو النبات الطبيعي الذي يؤثر في توافر النطاقات الرعوية المختلفة وبالتالي نوعية وكثافة القطعان.

ويمكن تقسيم القارة الأفريقية من حيث أنظمة سقوط الأمطار (شكل ١، ٢) إلى ثلاثة أقسام رئيسية هي :

١- الاستوائى نوقمى المطر ونو القمة الواحدة وهو إقليم واسع يمكن تقسيمه إلى:

* الاستوائى الرطب العام (وسط القارة) فى حوض زائير شمال عرض ٥° جنوباً، والمطر هنا انقلابى نوقمى فى إبريل ونوفمبر، ويختلف هذا القسم عن نظيره فى حوض الأمزون، فأمطار زائير بين ١٥٠، ٢٠٠ سم بينما هى فى الأمزون بين ٢٠٠، ٢٥٠ سم، وتشغل هذا القسم الغابة الاستوائية بأشجارها متعددة الأنواع، ونباتاتها المتسلقة وجوها الطارد للإنسان وغير المناسب لتربية الحيوان.

* ساحل غانا من سيراليون إلى الكمرون وحتى دائر العرض ٥٧ شمالاً والمطر صيفي طبقاً لنظام الرياح السائدة (الجنوبية الغربية الموسمية الصيفية) وتزداد الأمطار فوق المرتفعات (جبل الكمرون أغزر جهات أفريقيا مطر ١٢٠٠ سم) وكمية الأمطار في هذا القسم قد تزيد كثيراً عنها في القسم السابق (متوسط فريتاون مثلاً يبلغ ٢٤٠ سم)، تنمو الغابة الاستوائية والحشائش الطويلة والمتسلقات في هذا القسم، وهي لا تختلف نباتياً عن القسم السابق إلا في ظهور الحشائش الطويلة وذلك لوجود قمة مطر واحدة بدلاً من قمتين.



* الاستوائى المعدل (شرق إفريقيا) بين دائرتى العرض ٥٣ ، ٥٥ جنوبا حيث ترتفع هضبة شرق أفريقيا (+ ١٠٠٠ متر)، يفرز المطر حيث توجد بعض القمم التى ترتفع عن ٤٠٠٠ متر (كينيا - إيجون - كليمنجارو)، والمطر هنا نوعمتين أيضا لكنهما تختلفان عن قمى القسم الأول فقد يتفان فى الموعد ويختلفان فى الكمية وقد يختلفان فى الموعد والكمية أيضاً (أمطار نيروبي مثلا فى إبريل ونوفمبر بمتوسط ٩٠ سم، بينما فى أديس ابابا المطر صيفى بمتوسط ١٣٠ سم)، وهكذا الحال حول بحيرة فيكتوريا أو مناطق البحيرات الأخرى.

والنبات هنا متنوع بين الغابة والسافانا والحشائش والأعشاب بما يتيح مجال أكبر لرعى وتربية حيوان متنوع، إذا ما توافقت بقية العوامل المواتية لهذا النشاط كما سيأتى بيانه فيما بعد.

٢- المدارى وهو نظام يشغل مساحة كبيرة من القارة، ويتميز بتنوع أمطاره ولهذا يمكن تقسيمه إلى :

* الموسمى المطير أو السافانا أو السودانى ، ويتسم بزيادة الأمطار وطول موسمها وذلك بالاقتراب من خط الاستواء، والمطر هنا صيفى، ويمثل مرحلة انتقالية بين القسمين الاستوائى والصحراوى ويؤثر شكل اليابس فى طبيعة الأمطار فى هذا القسم، وعليه، تختلف الأشكال النباتية بين الشمال والجنوب فنظرا لاتساع القسم الشمالى من القارة واتصاله بقارة آسيا فإن الرياح الشمالية الشرقية (التجارية) تعمل على امتداد الظروف الصحراوية إلى مسافات طويلة داخل القارة حتى تصل الهرمتان إلى ساحل غرب أفريقيا فتعمل على تقليل الرطوبة وتحسين حالة الجو فى تلك الأجزاء.

أما الشكل النباتى فى هذا القسم فهو الأعشاب شبه الاستبسية وتتأثر

بكمية الأمطار وموسم سقوطها وهى عماد الغذاء لثروة حيوانية تتشكل من الأغنام والماعز والماشية والإبل.

أما الهضبة الجنوبية فتحيطها المياه من الشرق والغرب والجنوب ولهذا تتوغل التأثيرات المحيطية إلى الداخل أكثر من القسم الشمالي، وبالتالي، تزيد كمية الأمطار وينخفض المدى الحراري، والمطر هنا صيفي (١٠٠ سم فى المتوسط)، وهى إقليم رعى مثالى أصبح مجالاً خصباً لتربية الحيوان (الماشية والأغنام بخاصة).

* النطاق شبه الجاف (الساحل) نطاق انتقالى إلى البحر المتوسط شمالاً والسافانا جنوباً، وبهذا يتلقى قدراً من الأمطار الشتوية فى الشمال وهى أقل من تلك التى يتلقاها صيفاً فى الجنوب، وعليها المعول فى قيام الزراعة وغنى المرعى ولكن أمطار النطاق تتسم بالذبذبة كمية وموسم سقوط، وهى ذبذبة شديدة تؤثر بعمق فى الكيان الاقتصادى والبشرى للسكان ولعل كارثة تصحر الساحل، وجفاف ١٩٧٣، وما خلفاه من آثار عميقة على النطاق ماثلة أمامنا ولسنوات قادمة قد تطول.

* تبدو الصحارى الأفريقية ملمحاً جغرافياً بارزاً ومميزاً ليس فقط فى القارة وإنما على مستوى العالم، فالصحراء الكبرى بمساحتها الشاسعة وقاريتها الشديدة تقف نموذجاً فريداً بين صحارى العالم، والجفاف وفقدان الغطاء النباتي، وارتفاع معدلات التبخر الأقصى PET عن معدلات التساقط تؤدي جميعاً إلى وجود غطاء نباتي هزيل، شوكى غالباً، صنفه د كاندول De Can-dolle (١٨٧٤) على أنه من فصيلة Xerophytes وتناوله كبن Koppen (١٩١٨) ليستخرج له صيغة مناخية فى تصنيفه لمناخات العالم هى BW، وعلى أية حال فالصحارى الأفريقية تبدو كوحدة مناخية نباتية ليست متجانسة

تماما، حيث يختلف نباتها إلى حد ما من موضع إلى موضع طبقا لضوابط عديدة، والمدى الحرارى اليومى كبير قد يصل إلى ٥١٩ م (عين صلاح بصحراء الجزائر ٥٢٧ شمالا، ٥٢ شرقا)، والمطر عادة يقل متوسطه عن ٢٥ سم، وقد تعرف بعض مناطقها الفيضان!!

ومع كل ما سبق فالصحراء تبدو مرعى مناسباً لعدد من الحيوانات، تاتى الإبل في مقدمة المركب الرعوى الصحراوي، والماعز والأغنام مكملاً لهذا المركب، وسقيا الحيوان هي مشكلة رعاة الصحراء الأفريقية أكثر من توافر العشب أحيانا، وهي تعتمد على المياه الجوفية، أو ما يتخلف من (برك) بعد الأمطار والنظام القبلى السائد يحدد مواطن المرعى لكل قبيلة كما سيأتى بيانه.

٣- مطر العروض المعتدلة شتوى شمالا وصيفى جنوبا على أطراف القارة:

* فى شمال القارة، حيث الصيف الجاف الحار فى إقليم أطلس ويمتد من ميناء أسفى فى المملكة المغربية وحتى ميناء صفاقس فى تونس، ثم فى مناطق محدودة حول طرابلس والجبل الأخضر وغرب برقة، أما الشتاء فهو دفى، وغير قارس البرودة فى المرتفعات وذلك لتأثير البحر الذى يزداد مع تيار كنارى البارد، والأمطار الشتوية ناتجة عن زحزحة نطاقات الرياح مع حركة الشمس الظاهرية نحو القطب صيفا، والمتوسط العام ٤٠ - ٧٠ سم، وللمطر هنا طبيعة خاصة حيث أنه قد يسقط بكميات كبيرة وعلى هيئة السيل بما يؤثر على التربة فيجرفها والمحصولات الزراعية فيتلها.

أما المطر الصيفى فيسقط فوق هضاب وسواحل جنوب شرق القارة وليس له نظير فى شمال شرق القارة، وتنال الهضبة - لارتفاعها وبعدها عن تيار موزمبيق الحار قدرأ كبيراً، والرياح الجنوبية الشرقية هي جالبة تلك الأمطار،

ويبلغ المتوسط العام حوالى ١٠٠ سم، ويمتد فصل المطر غالباً من أغسطس وحتى إبريل (الصيف الجنوبي) والفرصة هنا مواتية لنمو حشائش طويلة وأعشاب جيدة لتغذية الحيوان فى المراعى الطبيعية أو تلك المخصصة لتربية الحيوان، وتنعكس الظروف الطبيعية المواتية على الثروة الحيوانية فى دول ذلك النطاق خصوصاً جمهورية جنوب إفريقيا ذات الإنتاج الحيوانى المتميز من الماشية والأغنام ومنتجات اللحوم والألبان والصوف.

٢ - النبات الطبيعى : (شكل ٣)

هو ناتج التفاعلات بين مظاهر السطح وتكوينات التربة وعناصر المناخ، وهو فى النهاية يمثل أحد أهم العناصر المؤثرة فى الإنتاج الحيوانى فى القارة الأفريقية، حيث، عليه تعتمد كل من حرفتى الرعى المطلق وتربية الحيوان .

ويتشكل النبات الطبيعى فى القارة الأفريقية من مركب قد يبدو بسيطاً للوهلة الأولى لكنه مركب معقد غاية التعقيد، فصورته العامة هى ذلك الغطاء الغابى أو العشبى أو الحشائش، لكنه تفصيلياً يختلف كثيراً عن ذلك ليس فقط من حيث مكونات النبات نفسه لكن من حيث توزيعه الجغرافى، ودرجة تكاثره فى المكان، وأنواعه المفيدة للحيوان، ومحتواه المائى، إضافة إلى النظام البيئى الذى ينمو به، ومدى تكاملة مع هذا النظام.

وتلعب دورة تجدد النبات دوراً مهماً فى توافر المراعى، كما يؤثر سيادة نوع منه دون آخر فى قابلية الحيوان للغذاء عليه، أو العزوف عنه فى مواسم دون أخرى كما أن هناك ما هو دائم ومنها ما هو موسمي، وما يعود للنمو بعد انقطاع طويل أو قصير طبقاً لظروف طبيعية أو بشرية أخرى.

وقد تغيرت صورة النبات الطبيعي في القارة كثيراً حيث أزيلت مساحات واسعة منه لتحل محله الزراعة - المحاصيل النقدية بخاصة - أو حتى بغرض الاستخدام الزراعي والعمراني العاديين (البحر المتوسط وهضبات شرق أفريقيا)، كما يمكن القول بأن الرعى الجائر في المناطق الحدية قد غير كثيراً من الصورة النباتية الطبيعية كثافة ونوعاً.

وتتكون الحياة النباتية في القارة الأفريقية من الأشكال الآتية:

(١) الحياة الشجرية وتشغل ما يزيد قليلاً على ٢٠٪ من مساحة القارة وهي تتركز بصفة خاصة - حوالي ثلثي المساحة - في شرقي القارة وغربها (أفريقيا المدارية)، لكن يمكن تصنيف تلك الأشجار كما يلي:

* الغابة المدارية المطيرة في غرب القارة في نطاقين من سيراليون إلى غانا، ومن جنوب نيجيريا إلى وسط حوض زائير، وبين النطاقين توجد الفجوة الجافة على الساحل (بنين - توجو) كما توجد ملامح قوية لتلك الغابة في جزيرة مدغشقر، والأشجار هنا من النوع صلب الأخشاب (الأبنوس - الماهوجني).

* المانجروف المستنقعية (دلتا النيجر) على السواحل المدارية بصفة عامة، ومن أشجارها التك.

* الغابة المدارية فوق المرتفعات (هضبة أثيوبيا وجبال كينيا - الجون - كليمنجارو).

* أحراج السافانا وقد تعرضت منذ الماضي لممارسات اقتصادية متعددة منها الأجتاث والإحراق لإعداد التربة للزراعة البدائية أو الحديثة على حد سواء، واستغلال أشجار السنط والباوباب، ورعى قطعان من أبقار الزيبو، إضافة إلى

إنشاء المحميات الطبيعية والحدائق المفتوحة ورحلات السفارى والصيد، ويمكن القول أن هذا الاستغلال الاقتصادى قد تشوبه كثير من المحاذير حيث قد يؤثر فى التوازن البيئى بدرجة أو بأخرى إذا ما تحول إلى الاستغلال الجائر، وهو بالفعل قد نما نحو ذلك وبدأت آثار ذلك تظهر ممثلة فى انقراض الكثير من الأشكال النباتية والحيوانية، وانجراف التربة الزراعية وزيادة قلويتها أو تملحها، كما نال العقم الإنتاجى من مساحات واسعة من الأراضى الزراعية والرعية.

* الأحرار المعتدلة فى مساحة ضيقة من المغرب العربى، وهذه قد نالها الكثير من الاستغلال الهدمى نظراً لقدم سبناها، وإزدحامها بالسكان، ونشأة المراكز الحضارية القديمة بها، ولهذا فقد أزيلت غالباً بهدف الزراعة والسكنى وإنشاء الطرق وغيرها من المشروعات العمرانية الضخمة.

ويعد البلوط والفيلينى منه بخاصة - والصنوبر الحلبي، وأنواع من الماكى من أهم الأشكال النباتية فى هذا النطاق المحدود، وهى أشبه ببقايا حفرة أو قن متحفية لنمط نباتى أخذ فى الانقراض.

٢. الحشائش

تمثل فى أشكالها المتعددة الغذاء الأول لحيوان الرعى، فهى الأسهل تناولاً، والأوسع انتشاراً، والأجود غذاءً والأكثر تعدداً وأنواعاً، ولكل هذا فهى ما يهمنى فى هذا المجال، وعلى مدى توافرها وجودتها تتوقف عائدات الإنتاج الحيوانى فى القارة، ويمكن تقسيم الحشائش فى أفريقيا إلى الأنواع الآتية:

* السافانا وتنتشر فى جهات متعددة وتغطى حوالى ١٦٪ من مساحة القارة وقد تتخللها مجموعات من الأشجار أو الشجيرات السنطية، ومن هنا

سميت بالسافانا البستانية، ويتراوح طول هذه الحشائش بين المتر والمتر ونصف وقد لايناسب هذا النوع من الحشائش تغذية الحيوان لخشونتها أو لوجود عوامل أخرى طاردة للحيوان والإنسان معا، لكنها توجد على ضفاف الأنهار وقد تنمو على المرتفعات فى جنوب القارة حيث المطر الصيفي، وتعرف هنا بالفلد المرتفع وهى مراعى جيدة وصحية.

* السافانا المفتوحة وتنمو فى مجموعات وهى حشائش قصيرة نوعا وقد تتخللها بعض الشجيرات الشوكية ، وتنمو هذه الحشائش فى المناطق شبه الجافة إذا كانت ظروف التربة مواتية .

* الأعشاب الصحراوية وشبه الصحراوية وتغطى معظم مساحة القارة الأفريقية وهى مناط الرعى المتنقل فى القارة، وتشغل الأعشاب الصحراوية حوالي ٤٢٪ من مساحة القارة، وتختلف من مكان إلى آخر طولاً وقصراً، طراوةً وجفافاً، تكاثفاً وتخلخلاً، والماء هنا هو العامل الحاسم فى نمو هذه الأعشاب، وقد تؤدى الأمطار الفجائية الغزيرة إلى نمو كثيف لتلك الأعشاب مما يشكل بدوره موسماً رعوياً مزدهراً، ويحدث العكس إذا انحبس المطر أو قل عن معدله فإن ذلك يشكل ما يشبه الكارثة الاقتصادية بالنسبة للرعاة فى هذا النطاق (جفاف ٧٣، ١٩٨٤ فى منطقة الساحل).

وقد تحصل تلك الأعشاب على متطلباتها المائية من الندى خصوصا فى المناطق الجافة فى الصحراء الكبرى، وقد لجأ الرعاة قديما إلى تكثيف وجمع الندى عن طريق بناء أحواض دائرية حول الشجيرات التى قد تنمو فى النطاق، وبطبيعة الحال تزداد كميات الندى بوجود مسطح مائى قريب.

وتتعدد الأعشاب الصحراوية وشبه الصحراوية لكنها عموما تندرج تحت

الأنواع الجافة xerophytes وبعضها حوليات annuals تتحاشى الجفاف بقصر العمر وسرعة النمو، وبعضها دائم perennials تتحمل الجفاف فتبدو كالحة طوال فصل الجفاف لكن دون أن تموت، وبعضها من العصاريات -suc culents كالصبار تخزن الماء في الجذور والسوق (السيقان) أو تحتوى من الجفاف بلحاء سميك وأوراق إبرية أو حتى بانعدام الأوراق تماما.

وعموما تنمو تلك النباتات متباعدة لأنها تمتاز بنظام جذرى ضخم أفقيا أو رأسيا للحصول على أكبر قدر من المياه، أغناها ما ينمو على ضفاف الأودية الجافة التي يصيبها وابل فى القليل من مواسم المطر أو ظل فى غالبية المواسم وتنمو ضمن هذا الغطاء بعض الشجيرات القصيرة وهى تشكل مراعى مناسبة للإبل والماعز وقد تعرض هذا النوع من النبات للتدمير الشديد بفعل الإفراط الرعوى overgrazing وقد امتد التدمير ليشمل نوعا من التبدل النباتى حيث حلت أنواع غير مستحبة للحيوان بدلا منه (النال والعدار بدلا من السبحة فى البطانة شرق السودان والحوص بدلا من الحسكيت فى دار فور).

ويمكن القول بصفة عامة أن فاعلية الأمطار ترسم الخطوط العريضة للحياة العشبية فى الصحراء وشبه الصحراء وشبه الصحراء، وتحدد التربة تفاصيل تلك الحياة النباتية وعموماً يقل غنى النبات كلما بعدنا عن هوامش الصحراء وهذا إلى جانب فروق السطح والتربة يؤدى إلى اختلاف فى نوع الحيوان وحياة الرعاة، لكن، وبصورة أكثر عمومية لاتكفى الصحراء حياة حيوانية منتجة إلا تحت ضوابط خاصة، وذلك بعكس المراعى المعتدلة (الاستبس) وهذا من الفروق المهمة فى ما تتركه من آثار على حياة سكان هذين الإقليمين.

ثانياً: اوضاع السكان :

يؤثر السكان كثافة وحرفة، ونظماً ثقافية، وخصائص اجتماعية فى الانتاج بعامة والحيوانى منه بخاصة، كما تلعب الظروف الاقتصادية وأنماط الاستهلاك وأساليب التغذية لهؤلاء السكان دوراً لا يقل أهمية - كما سيتضح فيما بعد.

ويسكن القارة الأفريقية حوالى ٦٥٠ مليون نسمة (١٩٩٣) يعتمد ٧٥٪ منهم على الزراعة والإنتاج الحيوانى ٦٠٪ منهم على الأقل يعملون بحرفة الرعى (الجدول)، ويشوب القصور وعدم الدقة كثيراً من الاحصاءات المتعلقة بالقارة الأفريقية وذلك لأسباب منها الطريقة التى يجرى بها الاحصاء أو التعداد، ووضع السكان بين الظعن والارتحال، ورداءة المواصلات والاتصالات، وانتشار الأوبئة وتدنى الوعى الاحصائى لدى السكان إلى غير ذلك من الأسباب، لكننا، فى النهاية نتعامل مع هذه البيانات لانها وردت فى وثائق صادرة عن هيئات موثوقة كتلك التى تنشرها الأمم المتحدة ومنظماتها المختلفة كالمكتب الديموجرافى ومنظمة الأغذية والزراعة وغيرهما، ومن ثم فلا مفر من الاعتماد عليها لأنه ليس لدينا سواها هذا من جهة، ثم أنها قد تعطى لنا صورة تطويرية مقنعة لما مرت به القارة من ظروف سكانية تبدو مختلفة إلى حد كبير عن ظروف غيرها من القارات .

جدول (١) بيانات مقارنة للعالم وافريقيا (جدول مجمع).

الغابات والأحراج	مساحة المراعى مليون كم ^٢	يعتمدون على الزراعة	يعملون بالزراعة مليون	الكثافة العامة نسمة/كم ^٢	المساحة مليون كم ^٢	عدد السكان مليون	
٤١	٤١,٦	١١١٠	٢٤٠٠	٤١	١٣٥	٥٥٠٦	العالم
٧,٠	٩,٠	١٦٠	٤٠٠	٢٢	٣٠,٢	٦٥٠	أفريقيا
١٧	٢٢	١٤	١٧	-	٢٢	١٢	% من العالم

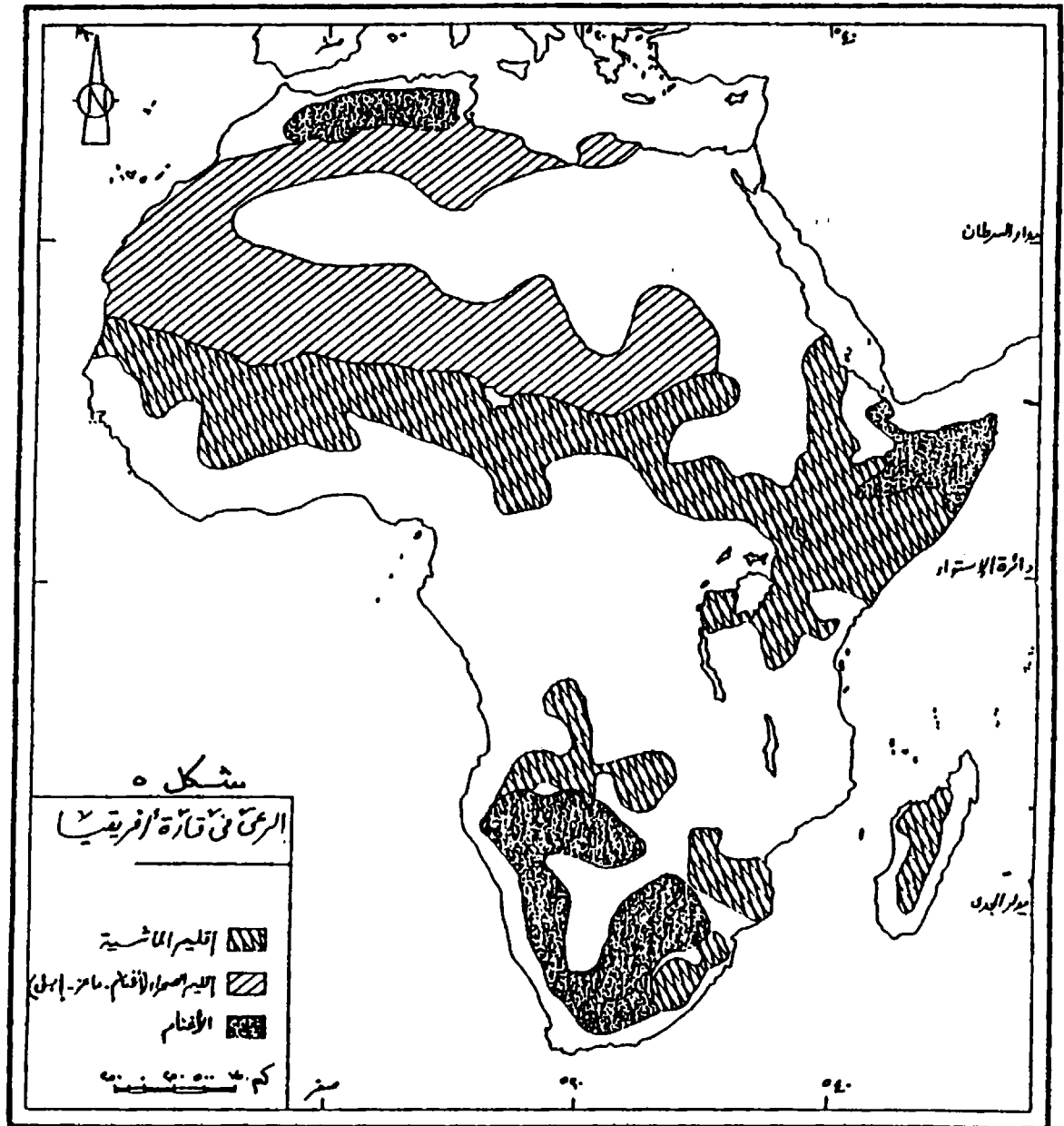
وتبدو الكثافة العامة للسكان فى القارة غير الواقع، فهناك مساحات واسعة تكاد تخلو من السكان كمناطق الغابة الاستوائية الموبوءة، أو المناطق شديدة الجفاف أو شديدة الوعورة، كما أن هناك مناطق يحتشد فيها السكان احتشاداً كدلنا النيل وواديه فى مصر، وبعض جهات المغرب العربي، وجنوب القارة وشرقها والجهات المرتفعة معتدلة المناخ جيدة التربة ونطاقات السافانا فى غرب أفريقيا.

* كما تؤثر الأحداث التاريخية التى مرت بها القارة فى توزيع السكان خصوصاً ذلك النطاق المخلخل فى غرب القارة بين السافانا والنطاق السودانى من جهة والغابة الاستوائية المعدلة من جهة أخرى - حيث كان يمثل أرض النزال أو المعارك إبان حركة الكشف الجغرافى وتجارة الرقيق، أيضاً هناك مناطق تبدو طاردة للسكان بحكم طبيعتها المضرسة لكنها تكتظ بسكانها لأسباب تاريخية كمناطق ملاجئ أو اختباء أو حماية أثناء الغزو (هضبة جوس فى نيجيريا وبعض مناطق الغابة الاستوائية).

* ويؤثر المطر كثيراً فى توزيع سكان القارة الأفريقية وذلك فى المناطق التى لايجرى بها نهر دائم الجريان، أو تمتلك قدرأ كافياً من المياه الجوفية وينمو السكان حالياً بصورة متسارعة، خصوصاً بعد أن تجاوزت معظم دول القارة مشكلاتها مع الاستعمار منذ الستينيات، وارتفاع مستوى الخدمات الصحية، وقضى على كثير من الأوبئة التى كانت تفتك بالأطفال خاصة، ولهذا فالقارة مقبلة على مرحلة سكانية خطيرة إذا لم يتم تطوير الاقتصاد الأفريقى ٣٪ سنوياً على الأقل فى معظم دول القارة، إضافة إلى ضبط وتنظيم النسل بعامة، ويهمنى فى هذا المجال أن التضخم السكانى يرتبط عادة بمشكلات إنتاج الغذاء - وهى مشكلة مزمنة فى القارة - و أن الإنتاج الزراعى والحيوانى يمثل

عنصراً جوهرياً فى توفير الاحتياجات الغذائية للسكان، ناهيك عن التطوير الصناعي، والنهوض بالبنية التحتية والمواصلات منها بصورة خاصة.

* وتنتشر فى القارة بعض الحشرات ذات الخصائص التى تنفرد القارة الأفريقية بها ومنها ذبابة تسمى تسمى الناقله لمرض النوم الذى يؤدى إلى نفوق الحيوان ووفاة الإنسان، وهذا، بطبيعة الحال طارد للسكان والحيوان معاً من مناطق وجود وانتشار هذه الحشرة التى تشغل مساحة واسعة من وسط أفريقيا وفى واقع الأمر فإن هناك علاقة عكسية بين وجود هذه الحشرة والإنسان ولا يعرف أيهما يطرد الآخر فالإنسان لكى يستخدم الأرض فى هذا النطاق - عليه أن يزيل الغطاء النباتى الذى يعد الملاذ الأساسى للذبابة فهى تعيش خلاله وفى الظل فإذا ما أزيل أو تخللته أشعة الشمس ابتعدت الذبابة، وعموما فالذبابة تعيش فى المناطق المدارية التى لايزيد ارتفاعها عن ١٠٠٠ متر حيث الغابة الرطبة والظل، وحيث تقل كثافة السكان عن ٥ نسمة / كم^٢ فى المناطق قليلة المجرى المائية أو ٢٥ نسمة / كم^٢ فى المناطق كثيرة المجرى المائية فإذا ما انعدمت هذه الظروف اختفت الذبابة والعكس.



وتوجد إلى جانب ذبابة تسي تسي وحيث غابات الأورقة داخل السافانا في الإقليم السوداني بين درجتى عرض ٩ ، ١٢ - توجد الذبابة المسببة للعمى النهري مما أدى إلى تخلخل الكثافة السكانية فى تلك الأراضى، إضافة إلى مرض الطاعون البقرى وأمراض الطفيليات المعروفة (البلهارسيا - الانكلستوما) إلى جانب أمراض سوء التغذية والأمراض الفيروسية والميكروبية المرتبطة بالقارة الأفريقية

* تنخفض كثافة السكان فى زامبيا وأنجولا حيث إقليم السافانا فى شرق القارة والهضبة الوسطى وتصل إلى أدناها فى جمهورية أفريقية الوسطى (٢ نسمة كم^٢) وقد يكون (التهاون) فى استخدام الأرض هو السبب المباشر لانخفاض الكثافة السكانية فى هذا النطاق.

وعلى العكس من ذلك فى هضبة شرق القارة حيث الاستخدام الكثيف للأرض والظروف المناسبة من مناخ وتربة وسهولة نسبية فى المواصلات ويتضح هذا فى كثافات الدول حول بحيرة فكتوريا (أوغنده ٦٩/كم^٢، وراوندا ٢٧٣/كم^٢، وكينيا ٤٥/كم^٢، وتنزانيا ٢٥/كم^٢) وينسحب هذا أيضا على المرتفعات الأثيوبية والهضبات البركانية حيث زراعة الحاصلات النقدية .

«الرعى وتربية الحيوان»

(أولاً: ملامح عامة (شكل ٥))

* يمثل الرعى حرفة راسخة القدم فى القارة الإفريقية، فهو نشاط قديم، إن كانت بعض الآراء تتفق بأن حيوانات المراعى الإفريقية قد استؤنست خارجها أولاً، ثم انتقلت فيما بعد مع هجرة السكان، أو مع البدايات الباكراة لتعمير القارة وقد يصدق هذا القول على تلك المراعى لإفريقية جنوب الصحراء أما الشمالى فقد شهد حضارات مستقرة منذ القدم شملت ضمن مركبها الرعى وتربية الحيوان منذ مايربو على القرون العشرة

* تبلغ مساحة المراعى فى القارة حوالى ٩ مليون كم^٢ (٣٥٪ من اجمالى المساحة) بينما تمثل الأحراج والغابات الحوالى ٢٣٪ من مساحة القارة (٧ مليون كم^٢) وهى مساحات متغيرة بالضرورة طبقاً لمتغيرات طبيعية وبشرية تؤثر فيها وتتأثر بها، لكن المراعى بخاصة تتناقص بالتدرىج إما لاستقرار الرعاة أنفسهم وممارستهم النشاط الزراعى، أو لظروف الجفاف وتقلص الغطاء العشبى، وقد يكون الرعى الجائر أو حرائق السافانا أو انتشار الأوبئة التى تفكك بالحيوان أو الحروب والهجرات الجماعية ... الخ... كل ذلك أو بعضه يكمن وراء تغير مساحة المراعى الإفريقية.

* ويعد اتجاه الرعاة فى أفريقيا إلى الاستقرار أمراً مؤكداً، حيث تعمل الحكومات والهيئات على الحد من ارتحال الرعاة وراء قطعانهم لمسافات طويلة وذلك بتوطينهم، وتحسين سلالات الحيوانات التى يقومون برعيها، إضافة إلى

مساعدتهم وارشادهم لأحسن الطرق المتبعة للاستفادة من الثروة الحيوانية لديهم إلى أقصى حد ممكن، لكن ذلك مازال ينفذ في مساحات محدودة للغاية ليظل الرعى المتنقل نشاطا ممارسا على نطاق واسع في القارة الإفريقية خصوصا ذلك الممتد من الهضبة الأثيوبية إلى السنغال، ومن الصحراء إلى حدود السافانا الشجرية إضافة إلى نطاق أصغر يشمل سافانا هضبة البحيرات والسافانا الجنوبية ومدغشقر (شكل ٥)

* وترتكز اقتصاديات كثير من الدول الإفريقية على الرعى والانتاج الحيوانى خصوصا بول الصحراء ومنطقة الساحل السودانى (موريتانيا - مالى - النيجر - تشاد - بوركينافاسو - السودان - الصومال - جيبوتى - إريتريا) وقد يتوقف مسار الاقتصاد والتنمية فى تلك الدول إذا ما أصاب الرعى فيها عامل محدد Limiting Factor كحالة الجفاف وانحباس المطر، أو الحروب والمشكلات السياسية (الحدود - الانقلابات .. الخ) وقد يصعب الحكم أيها كان السبب وأيها كانت النتيجة خصوصا فى حالة حدوث هجرات ونزوح جماعي، أو انتشار أمراض سوء التغذية بين السكان وحوث المجاعات.

ومن الجدول ٢ يمكن أن نتبين ما يلي:

* أن الإبل تمثل حيوان الرعى المثالى فى النطاق الصحراوى الشاسع بالقارة وفى هذا - تحتل القارة الإفريقية المركز بين قارات العالم (حوالى ٧٥٪ من العالم ١٩٩٠)، وقد كان دخول الإبل إلى القارة منذ القرن الأول قبل الميلاد، وهى فترة قصيرة نسبيا، ولم يكن دخولها مستمرا وبدرجة متساوية طوال تلك المدة، بل يمكن القول، بأن أوج ازدهارها كان إبان الفتح الإسلامى للقارة، والفترة التالية له كوسيلة انتقال مثالية خصوصا بين البحر المتوسط والسافانا عبر دروب القوافل التجارية الشهيرة فى الصحراء الكبرى، ومع الإبل يوجد

الماعز والأغنام ، ولكن بصورة أقل من الماشية، أما الخنازير فلا تمثل إلا شظية صغيرة فى المركب الحيوانى فى القارة (٦.١٪ من العالم) وذلك لسيادة الدين الإسلامى الذى يحرم أكل لحومها .

جدول ٢ ماتملكه القارة الافريقية من ثروة حيوانية ١٩٩٠ (ألف رأس)

الماشية	الإبل	الأغنام	الماعز	الخنائير	
١٢٧٩٢٥٦	١٩٤٥٠	١١٩.٤٩٩	٥٥٧.٣٠	٨٥٦٧٦٢	العالم
١٨٧٧٧١	١٤٥٠٩	٢٠٥.٩٤	١٧٣٩٤٤	١٣٥٨٥	إفريقية
١٤,٧٠	٧٤,٦٠	١٧,٢٠	٣١,٢٠	١,٦٠	٪ من العالم

كما يمكن القول أنه فيما عدا الإبل فإن نصيب القارة من بقية الحيوانات يتضاقل بالنسبة للعالم عدا ما تمتلكه من الماعز (٣١٪ من العالم) فنصيبها من الماشية لايزيد عن ١٥٪ وكذلك الأغنام ١٧٪ وقد يرجع ذلك إلى أن الإبل والماعز من الحيوانات التى تتحمل شظف المرعى من نقص المياه وخشونة العشب خصوصا فى النطاق الصحراوي.

وتعتمد على الإبل جماعات قبلية كثيرة فى القارة وهى بطبيعة الحال تعيش فى النطاق الصحراوي وشبه الصحراوي بعامه والنطاق السودانى بخاصة فهى تمثل موردا اقتصاديا مهما لدول الصحراء وساحل النيجر وتشاد ومالى إضافة إلى غرب السودان وموريتانيا وجنوب الجزائر وشمال نيجيريا والصومال وجيبوتى إضافة إلى دول المغرب العربى ومصر، لكن وجودها جنوب الصحراء والساحل محدود وذلك لأن الماشية تحل محله كما أن المراعى أغنى نسبيا فتصبح جوى استخدامه للماشية والأغنام أقوى، و لاتحتل صحراء كلهارى دورا مهما فى رعى الإبل فسكانها لايعتمدون عليه فى مركبهم الاقتصادى حيث يعتمدون على صيد الحيوان وليس تربيته.

وتأتى الصومال فى مقدمة الدول التى ترعى الإبل (٦٨٥٥ ألف رأس وهو ما يساوى ٤٧٪ من القارة، ٣٢٪ من العالم) وهى ثروة ضخمة على مستوى القارة والعالم، لكن هناك معوقات للاستفادة من هذه الثروة وهى الجفاف والرعى الجائر وعدم الاستقرار السياسى، وهى مشكلات مزمنة فى الصومال تؤثر بدون شك على تنمية هذه الثروة من الإبل.

وتحتل السودان المركز الثانى فى القارة (٢٨٠٠ ألف رأس وهى مايساوى ١٩٪ من القارة وحوالى ١٠٪ من العالم) وتتركز مناطق الإبل فى غرب السودان (مديريات دار فور وكردفان ٩ حيث تقوم قبائل الأباله والكبابيش برعى هذا الحيوان، والكبابيش بخاصة لهم نظام مميز ورحلة رعى ذات مركب ثقافى خاص على مستوى القارة ثم إن مراعيهم، والطرق التى يسلكونها تعد إرثا حضاريا عريقا فى غرب السودان، بعد ذلك تاتى بول مثل الكمرون (١٠٨٠ ألف رأس) وموريتانيا (٨٢٠ ألف رأس)، وتشاد (٥٤٠ ألف رأس) وليبيا ومصر (١٩٠ ألف رأس لكل).

ويلاحظ أن النطاق المثالى لرعى الإبل هو الصحراء وشبه الصحراء وفيه حوالى ٨١٪ من إبل القارة ٦١٪ من إبل العالم، وهى خاصية فريدة يتميز بها هذا النطاق بون غيره، وتشكل المظاهر الجيومورفولوجية المتمثلة فى بحور الرمال والغرود و الكئبان، ومناخات الساحل وتناثر الواحات ودروب الصحراء، والأسواق التقليدية فى مدن هوامش الصحراء ونظام الرعى المتنقل - يشكل كل ذلك نسيجاً اقتصادياً وحضارياً وثقافياً لا يمكن أن يكتمل إلا بوجود الإبل كمحور أو كدعامة رئيسية لهذا النسيج أو المركب.

* ومع الإبل يعيش ٤٣٪ لكل من الأغنام والماعز فى النطاق نفسه وهى نسبة محدودة فهى لاتمثل إلا حوالى ٩٪ من العالم، لكن ما يلفت النظر أن أعداد

الأغنام تكاد تتساوى مع أعداد الماعز فى النطاق الصحراوى وشبه الصحراوى (٨.٧ مليون اغنام ٧.٦ مليون ماعز) بينما تنحدر تلك الأعداد بشدة فى النطاق الرطب خصوصا فى الأغنام فهى لاتزيد عن ١.٧ مليون رأس (أقل من ربع عددها فى الصحراء وشبه الصحراء)، لكن تبقى الماعز أكثر عددا (٢.٥ مليون رأس) لكنها لاتزيد عن نصف عددها فى الصحراء وشبه الصحراء وهذا يفسر إمكانية تربية الماعز فى مختلف المراعى الإفريقية وذلك لأنها حيوان يتحمل ظروف المرعى أيا كانت إذا ما اهتم به المربون أو الرعاة لدرجة يمكن معها أن تسد احتياجات القارة من البروتين الحيوانى، لكن ما يعوق ذلك هو موقف الأنظمة الاجتماعية القبلية، حيث ينظر إلى المعازة على أنهم طبقة اجتماعية متدنية، وبالتالي فهم أسفل السلم الاجتماعى وكذلك الماعز فلا تستخدم فى دفع المهور أو ديات القتلى كالماشية والإبل. وأظن أن هذا الوضع مرهق بتقديم القارة الثقافى، والقضاء على تلك النظرة الضيقة لحيوان يمكن أن يسد عجزا غذائيا مؤثرا لو اهتم المسئولون عن تنمية الثروة الحيوانية باختيار سلالاته الجيدة، ورعايتها بيطريا وتحديد مراعى خاصة بها كما هى الحال فى جنوب إفريقيا أو بعض دول شمال افريقيا.

ويهم أن نعرض لبعض المتغيرات المرتبطة بالرعى وتربية الحيوان فى النطاق الصحراوى وذلك لأنه يشغل حوالى ٥٢.٦% من مساحة القارة (١٦ مليون كم^٢) ويسكنه حوالى ١٦٥ مليون نسمة (٢٨% من سكان القارة) كما أنه يمثل أمل مرجو لأى توسعات فى الأراضى الزراعية وتوطين البدو وانشاء المراكز الحضرية والمدن الجديدة.

وأول هذه المتغيرات هو أن سكان النطاق يتزايدون حاليا بمعدلات كبيرة ويكفى أن نشير إلى أنهم قد زابوا من ٩٥ مليون ١٩٧١ إلى حوالى ١٦٥

مليون ١٩٩٣ أى بنسبة تتجاوز ٥٨٪ فى مدة لاتزيد عن عقدين فقط ويعنى هذا أن هناك زيادة مطردة للسكان وأعداد الحيوان، وهذا لا يعد مشكلة إذا ما كانت هذه الزيادة مرتبطة بخطة تنمية مدروسة من قبل حكومات النطاق، خطة تسعى لاستخدام أمثل للأراضى يلتزم بتوقيات محددة ويرتكز على ضوابط وقواعد عملية تضع فى الحسبان دائما الإمكانيات المتاحة فى النطاق من مياه جوفية او سطحية وطاقه مرعى تفى بحاجة القطعان من العشب والسقيا والحركة، إضافة إلى نظرة عميقة للتوسع الزراعى على حساب الرعى، كل ذلك مع دراسة المركب الثقافى والاجتماعى للنطاق، وكافة الممارسات الاقتصادية الأخرى التى يمارسها السكان (تحركات الرعاة، الاحتطاب، الصيد الزراعى وتربية الحيوان، نظم الاستقرار الخ)

* الماشية (الأبقار بخاصة) هى الركيزة الثانية فى الانتاج الحيوانى بالقارة ولا تنتشر فى نطاق السافانا بالضرورة إلا تحت ظروف معينة ومع ذلك فالأبقار الإفريقية ذات قيمة اقتصادية محدودة، وذلك لقله أوزانها رغم أحجامها الكبيرة نسبيا، كذلك فإن انتاجها من الألبان قليل وهى فى هذا تشبه أبقار الهند مع الفارق العددي (الهند ٢٠٠ مليون رأس، بينما افريقيا كلها ١٨٥ مليون رأس ١٩٩٠)، ولعل من الأمور المثيرة للدهشة أن أبقار إفريقيا تلعب دورا اجتماعيا أثقل وزنا من دورها الاقتصادى فعلى عددها فقط - وليس نوعيتها أو جودة لحومها وألبانها - يتحدد المركز الاجتماعى والوزن السلطوى فى القبلية أو بين القبائل، ومنها تدفع مهود الزواج وديات القتلي، كما أن هناك مجموعات قبلية يرتبط تراثها الحضارى والعقائدى بالأبقار وأن هناك من يتغذى بدمائها وليس بألبانها ولحومها.

* ولا ترتبط الماشية، كما ذكرنا بالنطاق السافانى الرطب الذى تبلغ مساحته

حوالى ٧,٥ مليون كم^٢ (٢٥٪ من مساحة القارة) ويسكنه حوالى ٢١٠ مليون نسمة (٣٥٪ من سكان القارة)، ومعنى هذا أنه نطاق كثيف السكان نسبياً، والمطر هو عامل الجذب السكانى لممارسة الرعى والزراعة وتربية الحيوان، والنطاق يكاد يخلو تماماً من الإبل، لكنه لا يخلو من الخنزير حيث يضم مع النطاق الجبلى (جنوب القارة وشرقها) ما يقرب من ٨٤٪ من أعداده فى القارة، بينما تحتل الماشية فيه نسبة لا تتعدى ٨.٣٪ وتأتى دول مثل أنجولا ٢.١ مليون رأس، بتسوانا ٢.٦ مليون رأس، زانير ١.٦ مليون رأس - فى مقدمة دول النطاق فى تربية الماشية بينما تبرز نيجيريا فى تربية الماعز والأغنام (٢٢ مليون، ٩ مليون رأس على التوالي) وذلك فى ثلثها الشمالى بعيداً عن النطاق الرطب وتمثل هذه الأعداد ٦٢٪، ٥٣٪ من ماعز وأغنام النطاق بل تتقدم نيجيريا دول القارة جميعاً فى تربية الماعز تليها الصومال ٢١ مليون رأس (حوالى ١٣٪ من ماعز القارة ككل). ومن هذا يتبين أن الماشية فى هذا النطاق تعاني من انتشار بعض الحشرات الطاردة للإنسان والحيوان، وأن الرطوبة العالية والظل الكثيف وراء انتشار ذبابة «تسى تسى» وغيرها من الحشرات، وأنه لا بد من الابتعاد عن تلك المناطق وبالتالي حصر نطاق المرعى فى المناطق المرتفعة أو المكشوفة أو تلك التى تقترب من الهامش شبه الصحراوى تفادياً للأخطار التى تحدى بالحيوان قريباً من الغابة المدارية أو شبه المدارية الرطبة.

وإذا كانت الصحراء الجافة والغابة الرطبة طاردتان للماشية فإن شبه الصحراء والنطاق الجبلى المعتدل المناخ جاذبتان لها، وفى الأولى تشع المياه ويندر العشب وفى الثانية تزداد الرطوبة والحشرات الضارة والعشب الخشن رغم وفرة أما شبه الصحراء والنطاق الجبلى فالماء والعشب مناسبان، والمناخ ملائم اذا روعيت الضوابط الجغرافية الحاكمة فى نطاق يتسم بالذبذبة المناخية

أو بظروف السطح ودرجة انحداره أو سهولته، ونظم استخدام الأرض فيه بما يحفظ عليه صيانة أنظمتها البيئية وبالتالي ديمومة عطاها وانتاجه.

تبلغ مساحة النطاق ٧ مليون كم^٢ (حوالي ٢٣.٥٪ من مساحة القارة) ويسكنه حوالي ٢٣٠ مليون نسمة (٣٨٪ من سكان القارة) فهو أكثف من النطاق الرطب سكانا رغم أنه أصغر منه مساحة، تمثل الماشية فيه أهم أنواع المركب الحيواني (حوالي ٧٠ مليون رأس، ٣٨٪ من جملة ماشية القارة) ويشكل مع النطاق شبه الصحراوي (الذي يحوى ٥٧ مليون رأس، ٣٢٪ من جملة ماشية القارة) نطاقا كاملا يمكن أن نطلق عليه نطاق الماشية (١٢٧ مليون رأس، ٧٠٪ من القارة)، لكن تتفوق ماشية النطاق الجبلى من حيث السلالة ونوعية المرعى.

ويمتطى النطاق الجبلى كافة المرتفعات الإفريقية الإلتوائية منها أو البركانية، أو الحافات القافزة من الأخدود الإفريقي كما يضم كافة الأشكال الهضبية فيما اصطلح عليه بإفريقية العليا، والى جانب الماشية تجود تربية الأغنام والماعز فى هذا النطاق (٤٦٪، ٢٥.٥٪ من القارة ككل).

وتأتى جمهورية جنوب إفريقيا فى مقدمة الدول ليس فقط على مستوى النطاق بل على مستوى القارة كلها حيث تضم ٣٥٪ من ماشية النطاق ١٦٪ من ماشية القارة، أيضا، إثيوبيا ٢٤٪ من النطاق، ١١٪ من القارة.

ويعد النطاق الجبلى والنطاق الرطب من مراكز تربية الخنزير فى القارة حيث يمتلك الأول ٤٦٪ من القارة، والثانى ٣٨٪ (كل افريقيا ٠.٧٪ من العالم) تحتل جمهورية جنوب افريقيا المركز الأول (١.٥ مليون رأس ٢٤٪ من القارة) ومالاجاش (١.٤ مليون رأس ٢٣٪ من القارة) ثم الكامبيرون بالعدد نفسه.

ويوضح الجدول ٣ بياناً بأعداد الخيل والبغال والحمير
في القارة ١٩٩٠ بالآلاف رأس

النوع	العالم	افريقية	% من العالم
الخيـل	٦٠٩٢٠	٤٩٨٧	٨,١
البغال	١٤٨١٨	١٣٦٩	٩,٢
الحمير	٤٣٥٧٧	١٠٣٧٦	٢٠,٠

وترتبط الخيل والبغال والحمير أساساً بالنشاط الزراعي بالدرجة الأولى ويوضح الجدول فقر القارة الشديد في الخيل والبغال وقد يعزى ذلك لانتشار الإبل حيث تقوم مقامهما في العمليات الزراعية والرعية مع فارق أن الإبل تتحمل صعوبة الحياة على عكس الخيول التي تتطلب عناية خاصة من مربّيها، ومراعى سهوية واسعة، وقد تنتشر البغال في المناطق الجبلية وذلك لملاستها - أما الحمير فهي ركيزة العمل الحقلّي في البلدان الزراعية ولهذا ترتفع نسبتها في القارة خصوصاً إذا عرفنا أن الاقتصاد الزراعي المعاشي يهيمن على كثير من البلدان الإفريقية وأن استخدام الحيوان في العمليات الزراعية أمر قائم ومطلوب وليس الآلة.

وتملك مصر حوالي ٢,٥ مليون رأس جاموس، وهي الدولة الوحيدة في القارة التي يربى فيها هذا الحيوان، وهو حيوان حقلّي بالضرورة منتج للحوم والألبان ويستخدم في كثير من العمليات الزراعية.

ولاتقل الثروة الداجنة أهمية والقارة تمتلك ٨٦١ مليون من الدجاج (٨% فقط من العالم ١٧ مليون من البط) (٢% فقط من العالم) أما الرومي فهناك مليون طائر (٢,٢% فقط من العالم) وواضح مدى فقر القارة في هذه الثروة المهمة، والتي يمكن أن تسد العجز الشديد في نقص البروتين الحيواني.

واستكمالاً لصورة الانتاج الحيوانى فى القارة، نعرض لإنتاج الألبان والجبن والزبد وبيض المائدة ونصيب القارة بالنسبة للعالم هو:

٣٪ ألبان بقر ، ٥.٢٢٪ ألبان جاموس، ٣.٣٪ من الجبن ٢.٣٪ من الزبد
٤٪ من بيض المائدة

أما إنتاج الجلود المدبوغة فهى كالآتى:

٤.١٠٪ من جلود الأبقار، ١٣٪ من جلود الأغنام، ٢٣٪ من جلود الماعز.

ويستعرض تلك النسب نجد أنها تمثل إنتاجاً محدوداً نسبياً بالنسبة للعالم فيما عدا تلك الخاصة بإنتاج الجلود المدبوغة للأغنام والماعز (١٣٪، ٢٣٪ على التوالي)، ويعنى هذا أن القارة بصفة عامة - عدا بعض الدول القليلة فيها (مصر - جمهورية جنوب أفريقيا - بعض دول المغرب العربي) تعاني تدهوراً شديداً فى الانتاج الداخلى ومنتجات الألبان، وهذا ينعكس بدوره على نقص المكون البروتينى فى غذاء السكان، وما لذلك من آثار سيئة على الصحة والبنية الجسمانية لهم، وانتشار أنواع معينة من أمراض سوء التغذية وبالتالي ارتفاع معدلات الوفاة بعامة ووفيات الأطفال بخاصة .

ويضاعف من تلك الآثار أن كثيراً من القبائل الأفريقية (جنوب الصحراء بخاصة) لاتهتم بوجود البروتين الحيوانى أصلاً فى غذائها، حيث يقتصر الغذاء غالباً على المكون النباتى (الدرنيات بخاصة) ودماء الأبقار، كما أن قبائل أخرى يعزف أبناؤها عن تناول الأسماك.

ولايمثل الإنتاج السمكى فى القارة إلا جزءاً يسيراً من الإنتاج العالمى ولاتكاد دول القارة - عدا المملكة المغربية وجنوب أفريقيا وناميبيا وموزمبيق - تنتج

مايسد احتياجاتها من الأسماك رغم أن هناك ما يقرب من ٤٠ دولة لها سواحل على المحيطين الأطلسي والهندي، والبحرين المتوسط والأحمر إضافة إلى أسماك المياه العذبة من البحيرات والأنهار داخل القارة على الرغم من أن الأسماك من العناصر المهمة فى الغذاء وغذاء الأطفال بخاصة.

ثانياً: ملاحظات عامة على الإنتاج الحيوانى فى إفريقيا:

من خلال ما سبق يمكن أن نتبين بعض الملاحظات الخاصة على الإنتاج الحيوانى فى القارة كما يلى :

١- أن نظم الرعى السائد فى أفريقيا نظم تفتقر إلى وضع المعايير الاقتصادية للرعى وتربية الحيوان كمنشأ اقتصادى مؤثر خصوصاً فى قارة تتسع فيها نطاقات الرعى، ويمارسه سكانها منذ وقت طويل ويعتمد أغلبهم عليه وعلى الزراعة ويتضح هذا من الإحصاءات التى وردت فى مقدمة الدراسة .

٢- أن الذبذبة المناخية خصوصاً فى النطاقات الهامشية (الساحل وشبه الصحراء) وما يكتنف تلك الذبذبة من ظروف عن الاستقرار وحيث الجفاف، ونقص المياه والعشب - كل ذلك يعكس أثراً قوية على الثروة الحيوانية من سنة إلى أخرى، ومن موسم رعى إلى آخر، حيث تطول رحلة الرعى بحثاً عن الماء والعشب، ويختل تركيب القطعان (الصفار لا تتحمل وكذلك حالات الحمل)، إضافة إلى الهزال الشديد الذى يصيبها وبالتالى تزداد حالات النفوق فى الحيوان وتتناقص أعداد الحيوان سريعاً وبصورة مدهلة (حالة تصحر نطاق الساحل منذ ١٩٧٣ وحتى ١٩٨٦ حيث نفقت ملايين الماشية والأغنام).

٣- قد تتفوق القارة فى حيوان بون آخر، وهذا أمر لا بأس به، فالقارة تمتلك

ثروة ضخمة من الإبل (حوالي ٧٥٪ من العالم)، وهي كما ذكرنا حيوان مثالي في الصحارى الأفريقية الشاسعة، لكنها لا تهتم بحيوان آخر يمكن أن يعيش نفس ظروف الإبل، ويكتفى بالقليل من الغذاء والماء وهو الماعز الذي يمكن أن يكون (بقرة الفقير بحق The cow of the poor)، ولكن، ولأسباب ثقافية - يهمل هذا الحيوان ولا ينال اهتمام الرعاة إلا قليلاً.

٤- تتفوق الماشية - الأبقار بخاصة - على غيرها من حيوان المرعى وذلك لارتباطها بالمركب الاجتماعي - وليس الاقتصادي - للقبيلة، والتفوق الذي نعنيه هو التفوق العددي فقط، فالأبقار بعامة من نوع هزيل قليل اللحم واللبن إلا في دول مثل جمهورية جنوب أفريقيا وبعض دول المغرب ومصر، وهي في هذا تشبه أبقار الهند عدداً فقط نون اهتمام بالنوع أو الجدوى الاقتصادية من تربيتها.

٥ - أن القارة تفتقر بشدة إلى الإنتاج الداجني والسمكي ومنتجات الألبان وهذا بدوره ينعكس على ما يتناوله الفرد من بروتين حيواني بديل وما يتبع ذلك من نقص الغذاء الصحيح، وانعكاسات كل ذلك على وضع الدول الأفريقية من حيث المستوى الصحى المتدنى إضافة إلى أثر ذلك على الحالة الاقتصادية وحتى السياسية فى تلك الدول.

ويمكن أن نتبين ما ذكرناه من ملاحظات إذا عرضنا لبعض البيانات والأرقام الخاصة بصادرات وواردات القارة من المنتجات الحيوانية فى الجول التالي

جدول ٤ قيمة صادرات وواردات القارة

من المواد الغذائية الحيوانية (ألف دولار) ١٩٩٠

الجبين	الزبد	أسماك	دجاج طازج	أغنام وماعز	ماشية	
٥١١٥	٤٧٦٠	٢٠٠	١٥١٠	١٨٤٧٨٢	١٩٥٧١٠	صادرات
١٢٥٢٠٠	٣٠٣٣٩٤	٦١٨٧٥	١٣٧٠٩٣	٢٦٠١٢٢	٢٧٤٥٩٩	واردات

ويكفى أن ننظر إلى الأرقام الواردة في ذلك الجدول لنتبين ذلك الفرق الكبير بين ما تصدره القارة من منتجات حيوانية وما تستورده، ويتضح ذلك في النسب التالية لقيم الواردات (١٤٠٪ للماشية، ١٤٠.١٪ للأغنام والماعز، ٩٠.٧٩٪ في الدجاج الطازج، ٣٠.٩٣٧.٥٪ من الأسماك، ٦٣٧٤٪ من الزبد، ٢٤٤٤٨٪ من الجبن) وهي نسب لا تحتاج منا إلى تعليق.

عموماً يمكن للقارة أن تنمي ثروتها الحيوانية بما يكفل لسكانها درجة من الإكتفاء من البروتين الحيواني في غذائهم، خاصة إذا ما عرفنا أن المجاعات وسوء التغذية وما يرتبط بهما من آثار مدمرة على البنية الاقتصادية والاجتماعية للقارة، من الأمور التي يتكرر حدوثها في القارة، وكما شهدت القارة في تاريخها الطويل من أحداث نتيجة المجاعات وسوء التغذية، ويمكن التغلب على هذه المشكلات باتباع برامج تنمية للإنتاج الزراعي بعامة والحيواني منه بخاصة وذلك كما يلي:

١- أن تتبنى دول القارة برنامجاً لتنمية الثروة الداجنة والسومية وذلك بالإمكانات المتاحة لها ودون الاندفاع الذي يؤدي إلى نتائج غير متوقعة، وأن يبدأ السكان أنفسهم بهذا النشاط في مزارعهم الخاصة أو حتى في بيوتهم في الريف خاصة وبغرض الإكتفاء الذاتي من هذا النوع، وبطبيعة الحال يتبع ذلك ضرورة التوعية الغذائية لكافة القطاعات وطرق تناول الغذاء والتعرف على مكوناته الضرورية، إضافة إلى شرح أبسط الطرق لتربية الدواجن والأرانب وغيرها، وإمداد السكان بالمعلومات البسيطة عن أجود السلالات وطرق العناية بها وتغذيتها.

٢- أن يستفاد من برامج الأمم المتحدة (الفاو، برنامج الغذاء العالمي، برامج البيئة) في كيفية التعامل مع الأنظمة البيئية المختلفة في القارة بما يحافظ عليها

ويحميها من التدهور تحت ضغط الاستخدام الجائز سواء فى الزراعة أو الرعى أو الاحتطاب، وأن تنفذ البرامج التى وضعت لنماذج الاستخدام الأمثل للمزارع والمراعى وهى كثيرة وقد أعدها خبراء لهم مكانتهم العملية على مستوى العالم .

المراجع

أولا باللغة العربية:

- ١- أحمد اسماعيل، أمال شاور، «أفريقية المعاصرة، البيئة والانسان والتحدي»، القاهرة، ١٩٨٩.
- ٢- السعيد ابراهيم البدوي، «النقل في أفريقية، الأنماط - المشكلات - الحلول» القاهرة، ١٩٨٦
- ٣-، مصادر الطاقة في افريقية»، فى : مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد السادس، الرياض، ١٩٧٦.
- ٤ جمال حمدان «أنماط من البيئات»، القاهرة، بدون تاريخ (د.ت).
- ٥ زين الدين عبد المقصود ، «مشكلة التصحر فى العالم الاسلامى»، فى نشرة قسم الجغرافيا بجامعة الكويت والجمعية الكويتية، العدد ٢١ سبتمبر، ١٩٨٠
- ٦- عبد العزيز طريح، «الجغرافيا المناخية والنباتية، الأسس العامة»، ط٦، الإسكندرية، ١٩٧٤
- ٧- الفار، معجم المصطلحات المستخدمة فى المراعى الطبيعية والمزروعة، روما، ١٩٧٩.
- ٨ فؤاد ابراهيم، «مشكلة التصحر فى السودان»، فى : المجلة الجغرافية السورية، المجلدان٧، ٨ دمشق ، مايو ١٩٨٢.
- ٩- كينيث والتون، «الأراضى الجافة» ترجمة على شاهين، الإسكندرية، ١٩٧٢.
- ١٠- محمد رياض، كوثر عبد الرسول، «الاقتصاد الإفريقي» القاهرة، ١٩٦٣.
- ١١-، «أفريقية، دراسة لمقومات القارة»، سببوت، ١٩٧٣.
- ١٢- محمد عبد الغنى سعودى «أفريقية، دراسة شخصية الأقاليم»، القاهرة، ١٩٧٦
- ١٣ -، «الاقتصادى الإفريقى والتجارة الدولية»، القاهرة، ١٩٧٣.

١٤- محمد عبد المنعم القصاص، «زحف الصحراء ومسئولية الإنسان»، في مجلة رسالة اليونسكو، العدد ١٩٤، سبتمبر ١٩٧٧.

١٥- مصطفى خوجلي، «الأسس الاقتصادية لاستقرار البدو في السودان»، في : المجلة الجغرافية العربية، العدد العاشر، القاهرة، ١٩٧٧.

ثانياً. باللغة الأجنبية

- 1- FAO, "Food supply situaton and crop prospects in sub - saharan Africa" special report, April, 1993
- 2- FAO, "Pasture and Good crops Studies, "No: 6,7.8, Rome, 1980
- 3- FAO, "Production year Bood, Vol. 44, 1990.
- 4- FAO, "Trade year Bok, Vol. 44, 1990.
- 5- U.N "Desertification, its causes and consequences, London, 1977.
- 6- Matlock, w., "Realistic Planning for arid lands, London, 1977
- 7- Meckelein, W., (Ed.), "Desertification in extremely Arid lands., Stuttgart, 1980.
- 8- Ojo, O., "The climates of West Agrica". London,. 1977.
- 9- Oliver, J. "Climatology, Selected Applications" London. 1981
- 10- Pollock, M., "Studies im emerging Africa", London., 1972
- 11- Spooner, B., & Mann, H., (Eds), "Desertification and Development". Lond., 1982
- 12- Stamp, D.,& Morgan, W., "Agrica, Astudy in Tropical Development. 3rd. ed., N. Y., 1972.

الأنماط الزراعية في افريقية

(دراسة في التفاعل البيئي)

إعداد

أ.د. السعيد ابراهيم البدوي

القاهرة

١٩٩٧

الانتماء الزراعي في افريقية (دراسة في التفاعل البيئي)

١. د/ السعيد ابراهيم البدوي

مفهوم البيئة:

للبيئة مفاهيم كثيرة ومتنوعة، ولكن في اطار الموضوع الذى نتناوله فإننا يمكن أن نذكر أن البيئة هى المعطيات الطبيعية والبشرية الموجودة فى منطقة معينة.

من الناحية الطبيعية يمكن أن يندرج الموقع والتكوين الصخرى وأشكال التضاريس، بالإضافة إلى الظروف المناخية والغطاء النباتى والتربة.

أما من الناحية البشرية فهى الإنسان ومكتسباته وانجازاته الحضارية ويدخل فى هذا المجال السكان وصفاتهم الديموجرافية المختلفة، العادات والتقاليد ومدى التقدم التكنى والنظام الاقتصادى والسياسى السائد، أو بمعنى آخر الاطار العام الذى يعيشون فيه وهو ما يطلق عليه بالفرنسية *milicux*

بهذا المفهوم الشامل فإن البيئة تلعب دورا كبيرا فى أى نشاط أو انجاز بشرى، بل اننا لا نعدو الحقيقة إذا قلنا أنها هى التى تضع بصمتها على هذا النشاط، وخصوصا تلك المناطق التى ما زال الناس يعيشون فيها على فطرتهم أو هم أقرب إلى ذلك.

وبقدر ما تؤثر البيئة على الإنسان فإن هذا الإنسان يؤثر فيها أيضا. فالتأثير والتأثر شيء ملحوظ في البيئات المختلفة، وان اختلفت درجة التأثير من منطقة إلى أخرى وفقا لما بلغه الإنسان من تقدم من ناحية ووفقا لمدى صعوبة أو سهولة البيئة التي يعيش فيها . كما أن تأثير الإنسان يمكن أن يكون بطريقة سلبية أو ايجابية.

ولا شك أن معظم القارة الافريقية تعتبر من تلك المناطق التي ما زال للتأثير البيئي قوته على الإنسان الافريقي، ولهذا فإن التأثير البيئي على النشاط الاقتصادي واضح جلي. خصوصا في المجال الزراعي والرعي اللذان يرتبطان ارتباطا وثيقا وقويا بالظروف البيئية في افريقية. ولهذا فإن هذين النشاطين يعتبران انعكاسا واضحا للبيئة الافريقية.

الظروف البيئية والبشرية المؤثرة:

كما سبق أن اشرنا فإن «التركيبة» في افريقية متنوعة وكثيرة ولكننا يمكن أن نذكر أن أهم هذه العناصر تأثيرا في النشاط الزراعي تختزل في ضوابط ثلاثة مؤثرة ورئيسية هي:

أولا: التربة باعتبارها «الزاد» الأول للنبات سواء الطبيعي أو المزروع.

ثانياً: الظروف المناخية خصوصا الحرارة والأمطار أو يمكن أن نقول بشكل أخص هي الأمطار التي هي أساس الحياة بالنسبة للإنسان والنبات والحيوان كما أنها الأساس الرئيسي «لمصادر المياه المختلفة في القارة» سواء فوق الأرض أو تحتها.

ثالثا: الإنسان وعلى وجه الخصوص درجة كثافة السكان ونوعيتهم في أي منطقة من مناطق القارة الافريقية.

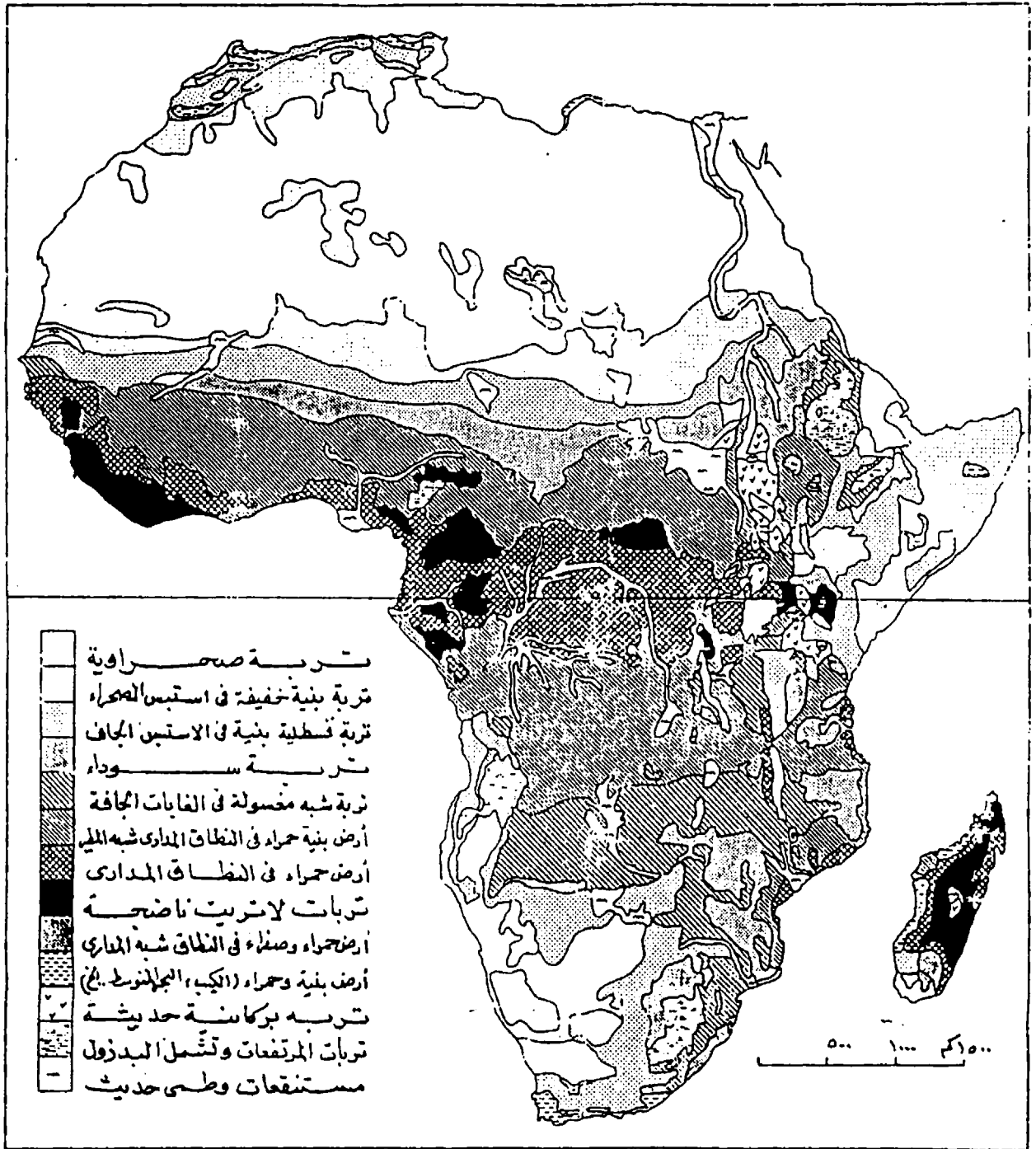
هذه الضوابط الثلاثة لها تأثيرها الواضح على تحديد الأنماط الزراعية فى قارة افريقية. ومن هنا يلزم علينا أن نعطى اشارة سريعة عن ما هية كل منها فى هذه القارة.

اولا: التربة:

هناك عوامل كثيرة تؤثر على التربة فى افريقية. ويعتبر المناخ أهم العوامل خصوصا كمية الرطوبة، وفى النطاق الرطب تحرم التربة من بعض العناصر فى الطبقة العليا منها، وبالعكس فى المناطق الجافة لأن الحركة فى النطاق الرطب إلى أسفل (التربة) وفى النطاق الجاف إلى أعلى بسبب التبخر والقوة الشعرية. كذلك فإن درجة مسامية التربة لها تأثير وكذلك كمية الأمطار وفترة ومدة سقوطها، كذلك فإن تأثير الغابات واضح على التربة حيث أنها تمنع جرف التربة بالإضافة إلى تخفيض تقلبات الحرارة على التربة والتبخر منها، ولكن من ناحية أخرى فإن الحرارة المرتفعة تؤدي إلى تحلل «الدبال» ويكون هذا التحلل أسرع من معدل تكوينه.

وتغطى التربة الحمراء حوالى ثلث مساحة القارة بين المدارين وما وراء مدار الجدى فى جنوب القارة.

وتختلف عملية تحويل التربة إلى لاتريت Laterization من منطقة لأخرى وفقا للظروف السائدة، ولذلك فإن تربة اللاتريت الناضجة ضئيلة المساحة فى افريقية، أما الجزء الأكبر فيطلق عليها الأرض الحمراء Red earths أو الصفراء اللون. وحينما توجد الظروف الرطبة الحارة فإن مادة السليكا تهبط إلى أسفل ويظل أكسيد الحديد والألمونيوم على السطح أو قريبة، وخلال فترة الجفاف النسبى تصعد هذه الأكاسيد إلى أعلى، لذا فإن تناوب الرطوبة



شكل رقم (١) : أنواع التربة في أفريقيا

والجفاف يعتبر عاملا هاما لتكوين تربة اللاتريت الناضجة. كذلك فإن الإنسان له تأثير على التربة عندما يجتث مساحات من الغابة فتصبح التربة معرضة للانجراف خصوصا وقت تركها للراحة fallow ولذلك فإنه على الرغم من أن التربة تكونت عبر آلاف السنين إلا أنها يمكن أن تدمر بسهولة وسرعة بواسطة الطرق الزراعية غير الملائمة وبعد التدمير من الصعب عمل أى شئ لاستعادتها، ولذلك فإن التربة فى افريقية وفقا لهذه الظروف تعتبر «هشة» نسبيا بالمفهوم الطبيعى والكيمائى، ولذا ينبغى أن يراعى هذا عند التخطيط لأى تنمية زراعية^(١).

ثانيا: الظروف المناخية ومصادر المياه:

تعتبر قارة افريقية أكثر قارات العالم مدارية حيث ينصفها خط الاستواء تقريبا ومن ثم جزأها الأكبر يقع فى العروض الاستوائية والمدارية. تحدد ظروف المناخ التى يتفاوت فيها المطر من أكثر من ١٠٠ بوصة من ناحيه إلى الجفاف التام من ناحية أخرى، تحدد الأنماط النباتية الكبرى فى القارة هى الغابات المدارية المطيرة وأراضى الشائش ثم الصحراء الحارة حيث نجد التوافق - بصفة عامة - واضحا بين النطاقات المناخية والنباتية.

وتوضح خريطة الأمطار كمية الأمطار الساقطة على القارة حيث توجد بقع على الساحل الغربى للقارة يتجاوز كمية الأمطار ١٠٠ بوصة تجاورها مناطق أخرى يسقط عليها ٧١ بوصة وكذلك فى وسط حوض الكنفو أما معظم الحوض - فتسقط عليها أمطار حوالى ٥٦ بوصة وتقل الأمطار كلما بعدنا عن خط الاستواء (من ٥٦ بوصة إلى لا شئ فى الصحراء الكبرى) ثم نجد نطاق البحر المتوسط شمالا وجنوبا حيث كمية الأمطار تنور حول ٨ بوصة فى السهول وفى المرتفعات حول ٢٠ بوصة.

ولكن اذا ما نظرنا إلى المناخ من وجهة النظر النفعية فاننا نجد أن جزءا كبيرا من القارة ذا انتاجيه منخفضة، إذ أن افريقية تأتي فى المرتبة الأولى عالميا بالنسبة لظروفها القارية من حيث المناطق التى يسودها المناخ الجاف حيث يوجد بها حوالى ثلث المساحة الجافة فى العالم كله، كما أنها تأتي فى المرتبة الثانية فى العالم بعد استراليا فى النسبة المئوية للأراضى الجافة بالمقارنة بالمساحة الكلية لكل قارة على حدة. حيث يقدر Meigs المساحة الجافة فى أفريقيا كالتالى:

شديد الجفاف Hyper-arid	=	١٥,٢%
جاف Arid	=	٢٤,٣%
شبه جاف Semi-arid	=	٢٠,٢%
		<hr/>
		٥٩,٧

ويقدر ورثنجتون Worthington أن كمية التساقط فى افريقية ضئيلة فى حوالى ٧٥% من مساحتها الكلية هى العامل الطبيعى الأساسى الذى يقف أمام التقدم الاقتصادى والاجتماعى . وهذه المناطق لا تعاني فقط من قلة كمية الأمطار ولكنها تعاني أيضا من الذبذبة الواضحة من موسم لآخر، ونرى هذا واضحا فى المناطق الهامشية من النطاق السودانى (أى تلك المناطق شبه الصحراوية) وقد رأينا هذا واضحا فى العقدين الأخيرين.

ومن ناحية أخرى فإن افريقية تضم حوالى ٨% من المساحة الكلية يسود بها المناخ المدارى المطير حيث يمتد فصل الأمطار بين ٨ - ١٢ شهرا، ومعظم هذه المساحة غير مناسبة للمنفعة البشرية المثلى Optimum utility بسبب غزارة الأمطار على الأقل وفقا لطرق الاستغلال الحالى، ومع ذلك فإن ارتفاع الحرارة

المستمر والأمطار الغزيرة يمكن أن يقدم انتاجا احتياطيا كبيرا اذا ما استغل المناخ استغلال ملائما .

ومن هنا فإن أكثر المناطق الافريقية ملائمة من وجهة النظر الاقتصادية فيما يتعلق بالمناخ هي أقاليم المرتفعات حيث الحرارة المعتدلة والأمطار المتوفرة. من ذلك هضبة الحبشة وهضبة الفلد الأعلى في جنوب القارة وغيرها من المناطق ذات المساحات الأصغر. أما مرتفعات شرق افريقية فيكتنفها صعوبة التضاريس كما أن بعض المرتفعات المدارية نائية الموقع مثل مرتفعات شرق الكنفو أو جنوب غرب تنزانيا .

أما الأقاليم شبه المدارية Sub-tropical فإنها صغيرة المساحة نسبيا، ويحدد المساحة المستغلة هنا درجة وعمرة السطح.

ويمكن أن يقال بصفة عامة أن ٩٢٪ من مساحة القارة يعاني من عدم ملائمة الظروف المناخية لسبب أو لآخر، وتعتبر هذه الحقيقة من أهم الحقائق المتعلقة بالقارة، فمثلا فيما يتعلق بالأمطار فإنها غزيرة لدرجة تفوق الحد اللازم في بعض المناطق التي لا تحتاج اليها كثيرا في حين أنها في مناطق أخرى ضئيلة بشكل واضح هي في أشد الحاجة اليها .

ومن ناحية أخرى فإننا يجب أن نلاحظ أن المناخ في بعض المناطق لا يلائم المعيشة من وجهة النظر الصحية، وكذلك من ناحية النشاط والحيوية على الرغم من عدم وجود برهان للتدليل على هذه النظرية، حيث يذكر بعض الباحثين أنه بجانب قلة الرغبة في النشاط فإنه لا توجد آثار أو نتائج مضرّة على صحة الإنسان الذي يعيش في المنطقة المدارية. كما أن كثيراً من الحيوانات لا تستطيع التأقلم مع الظروف المدارية الصعبة ومن ثم تقل تربية المواشى وينعكس

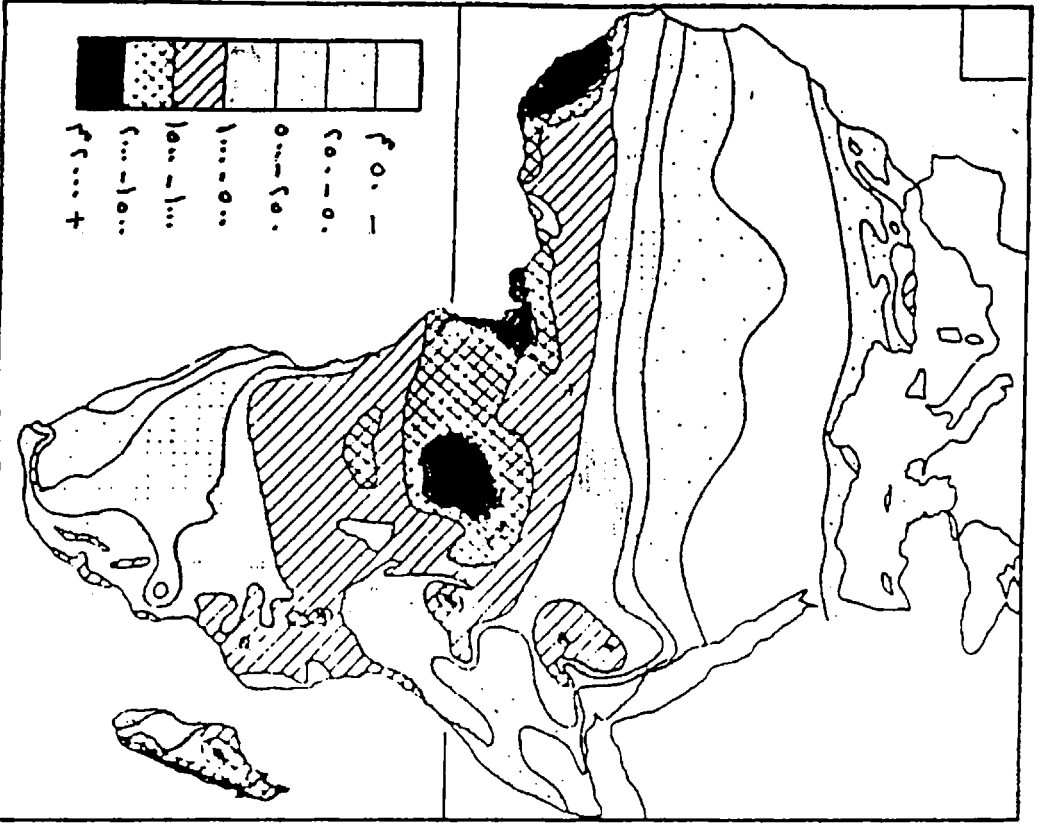
هذا على النواحي الاقتصادية المختلفة، كذلك فإن الحرارة المرتفعة والأمطار الغزيرة تساعد على تكاثر الحشرات والحياة البكتيرية الأمر الذى يؤدي فى النهاية إلى الاضرار بالانسان والحيوان.

أما بالنسبة لمصادر المياه الأخرى وهى الأنهار والمياه الباطنية فإن قارة افريقية تتمتع بشبكة جيدة من الأنهار ولكن فعاليتها بالنسبة للزراعة تختلف من منطقة إلى أخرى، ففي المناطق الاستوائية والمدارية المطيرة حيث تغزر الأمطار فى معظم شهور السنة فإن الحاجة إلى الأنهار ضئيلة ولكن هذه الأهمية تزداد فى المناطق الجافة وشبه الجافة، ولعل نهر النيل يمثل هذه الحقيقة بوضوح حيث تزداد أهمية مياهه كلما اتجهنا ناحية الشمال حيث تقل الأمطار خصوصا فى شمال السودان ومصر ، وعلى العكس من ذلك فى جزئه الجنوبى، وعكس ذلك نجد نهر زائير وروافده حيث غزارة الأمطار فى النطاق الاستوائى. كذلك نجد أنهار النيجر والزمبىزى وطبوبو والسنغال وفولتا وغيرها حيث تزداد أهميتها فى المناطق الجافة وشبه الجافة

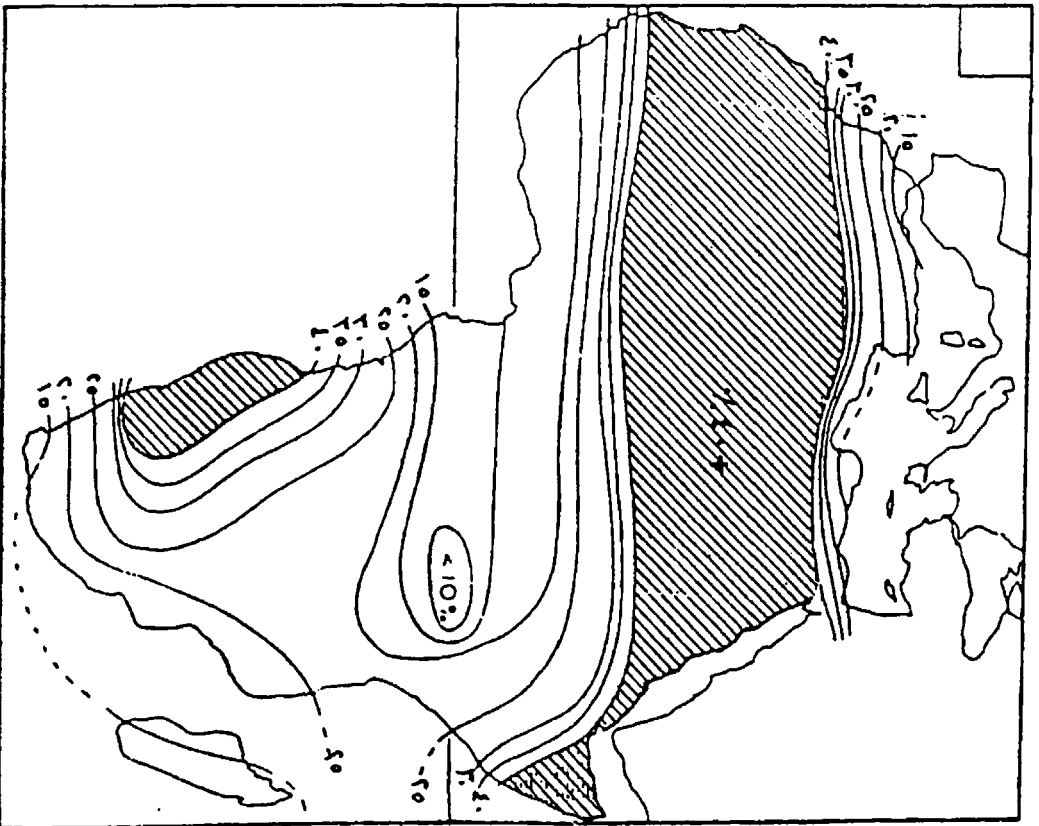
أما بالنسبة للمياه الجوفية فتزداد أهميتها بدرجة واضحة حيث تقل الأمطار أو تندر ومع عدم وجود أنهار كما هو الحال فى الصحراء الكبرى، هنا نجد الواحات المتناثرة التى تعتمد اعتمادا رئيسيا على المياه الجوفية خصوصا وأن التكوينات الصخرية فى شمال القارة ذات تكوين رسوبى مسامى.

ثالثا: كثافة السكان:

يختلف توزيع السكان فى قارة افريقية وفقا للظروف الطبيعية السائدة . فكلما كانت الظروف الطبيعية من ناحية الحرارة والأمطار والترية ملائمة الحياه كلما كان هناك تركيز للسكان وازدياد فى الكثافه ، والعكس اذا ارتفعت الحرارة



شكل رقم (٢٢) متوسط الأمطار السنوي في أفريقيا



شكل رقم (٢٣) توزيع الأمطار في أفريقيا

تُتثر من اللازم أو كانت التربة ضعيفة فقيرة أو كانت التضاريس وعرة، فإن هذا يجعل السكان يعزفون عن سكنى هذه المناطق، ومعنى ذلك أن خريطة توزيع السكان تعتبر الصورة النهائية للتفاعل بين عناصر البيئة الطبيعية والعناصر البشرية.

ويمكن أن نقسم توزيع السكان فى افريقية إلى قسمين.

١ - القسم المعمور. ٢ - القسم اللامعمور.

وفى الواقع فإنه لا توجد منطقة فى القارة غير معمورة بصورة مطلقة، وإنما هناك تدرج فى الكثافة السكانية من منطقة لأخرى حيث نرى أنه رغم صعوبة الظروف الصحراوية إلا أنها معمورة من جانب بعض الجماعات التى تأقلمت مع الظروف الصعبة، وكذلك فى بيئة الغابات الاستوائية الكثيفة حيث يعيش الأقرام، كذلك نلاحظ أن المعمور يختلف من عصر إلى آخر ، مثلا اكتشاف البترول فى الصحراء الليبية ساعد على الاستقرار وكذلك صحراء الجزائر و صحراء مصر الغربية.

وتعتبر قارة افريقية فى الوقت الحالى من المناطق التى تسود فيها الكثافة المنخفضة (١٨ نسمة /كم^٢) ويحدث فيها نمو سريع للسكان وبالتالي سوف ترتفع الكثافة تدريجيا، ولكن هناك بعض المناطق فى القارة التى ترتفع بها الكثافة بشكل واضح فى دلتا مصر وجزء من الوادي، وفى منطقة تجاور مدينة (كانو) فى شمال نيجيريا وكذلك شمال لاجوس وجوار نيروبي فى كينيا ومنطقتى دربان وجوهانسبرج فى جنوب افريقية وتصل الكثافة فى هذه المناطق إلى أكثر من ١٠٠ نسمة/كم^٢.

وتلى هذه المناطق ذات الكثافة المرتفعة مناطق أخرى تتراوح فيها الكثافة بين ٢٥ - ١٠٠ نسمة/كم^٢ فى وادى النيل حتى الخرطوم أى فى مصر والسودان ومعظم مناطق نيجيريا والأجزاء الجنوبية من غينيا وسيراليون وأجزاء من بوركينافاسو (فولتا العليا سابقا) ورواندا، بوروندى وشمال بحيرة فيكتوريا فى أوغندا ومنطقة جنوب شرق جمهورية جنوب افريقية وكذلك شمال غرب المغرب العربى الاساحلي.

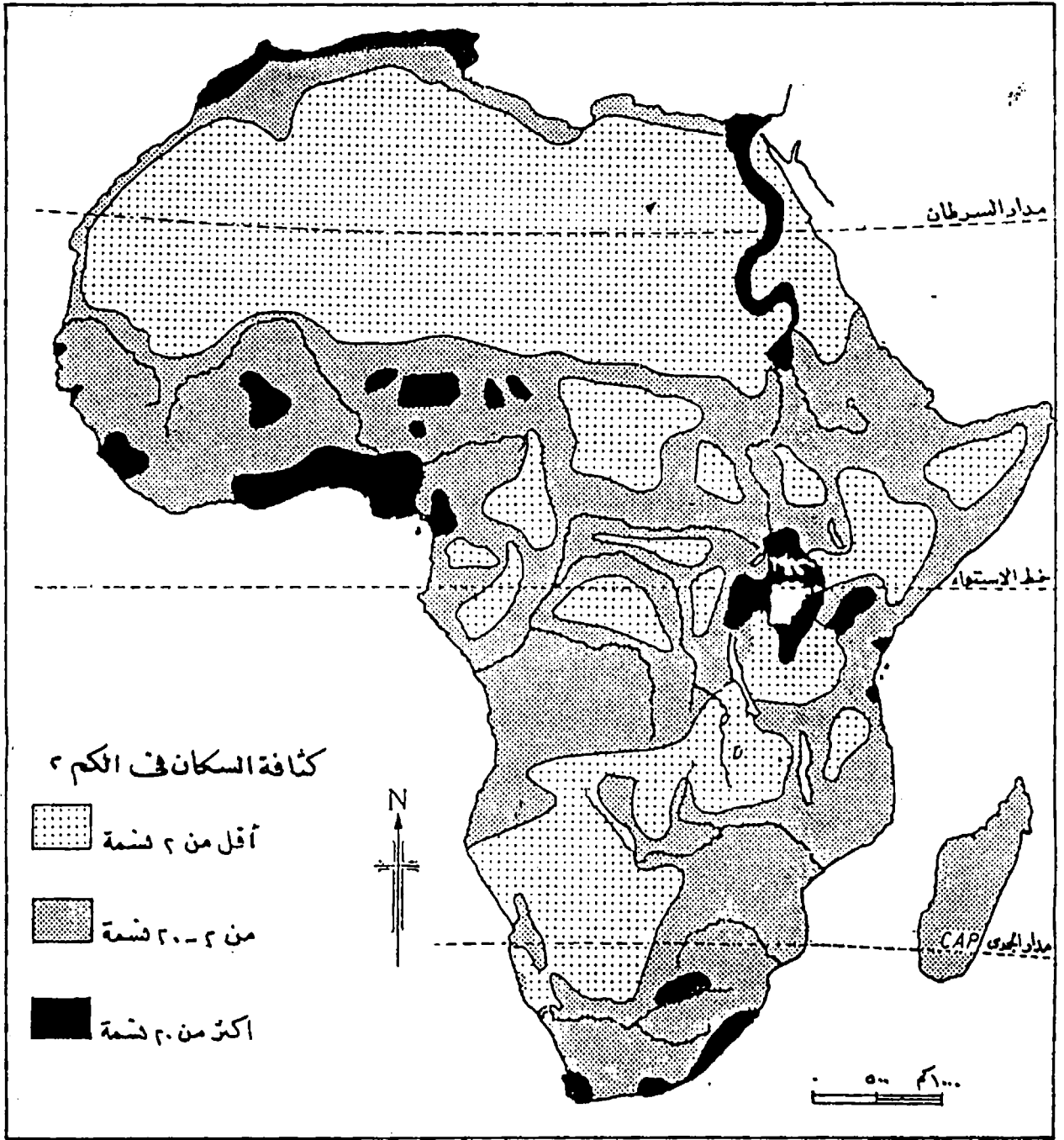
أما بقية افريقية عدا الصحراء - فإن الكثافة تتراوح بين ٢ - ١٢ نسمة/كم^٢ وتقل الكثافة بشكل واضح فى المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية حيث تتراوح بين ١ - ٢ نسمة/كم^٢ فى الصحراء الكبرى وصحراء الصومال وناميبيا وشمال كينيا وأجزاء من تنزانيا الداخلية وأجزاء من زائير الغابية الكثيفة وأجزاء من بتسوانا وبعض المناطق الوعرة القاحلة فى جنوب افريقية.

وبصفة عامة لا توجد أجزاء مكتظة بالسكان فى القارة إلا فى دلتا النيل وجزء من الودى وبعض أجزاء من ساحل غينيا.

وسوف نلاحظ أن هناك علاقة بين كثافة السكان والأنماط الزراعية، حيث أن ارتفاع الكثافة يؤدي إلى سيادة نمط الزراعة الكثيفة ذات الدورة الزراعية حيث المحصولات النقدية والغذائية، والعكس فى المناطق ذات الكثافة المنخفضة (ذات الأمطار) حيث تسود الزراعة المتنقلة التى تعتمد على اراحة الأرض لفترة من الزمن تختلف من منطقة لأخرى حسب درجة الكثافة ونشاط السكان.

اهمية الزراعة فى افريقية:

أفريقية عالم ريفى. وترجع أصلاتها أساسا إلى حضارتها الزراعية، فمن أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب، ومن الشرق إلى الغرب، وعبر تنوع التربة



شكل رقم ٣: كثافة السكان في أفريقيا

والظروف المناخية، نجد أن الشعوب الأفريقية لديها بصفة عامة خبرة ومعرفة طويلة بالزراعة وطريقة الحياة الريفية، ففي كل مكان في افريقية البحر متوسطية. وافريقية المدارية نجد أن العمل والنظام اليومي يرتبط ارتباطا وثيقا بفصول السنة المختلفة.

ففي خلال فصل الأمطار تزرع المحصولات، أما في فصل الجفاف فهو بداية لفترة طويلة من الراحة الاجبارية، ولكن هذه الفترة هي في نفس الوقت فترة الاحتفالات الشعبية والهجرة المؤقتة إلى المدن، ويعتمد حجم (وفرة) الحصاد على كمية الأمطار. ولذلك فإن ذبذبة الأمطار وعدم انتظامها في المناطق التي يطول فيها موسم الجفاف يعتبر بمثابة نقطة الضعف في النظام الزراعي السائد، كما أن ذلك يؤدي إلى عدم تطور الوسائل المستخدمة في الزراعة بسبب ضعف المحصول والتغير الكبير في الانتاج من عام إلى آخر. ولكن الزراعة المستقرة يمكن أن تكون مضمونة نسبيا في المناطق التي تسقط. عليها أمطار أكثر من ٤٠٠ مم، أما أقل من ذلك فليس هناك شيء مضمون.

وتعتبر الزراعة في افريقية جنوب الصحراء الحرفه الأساسية المطلقة لأكثر من ٨٠٪ من السكان، ربما فيهم الجزء الأكبر من هؤلاء الذين يعيشون في المدن. وغالبا ما يكون المظهر الريفي غير منظم حيث الحقول صغيرة غير منتظمة الشكل، وحدودها غير محددة بدقة، كما تتناثر بقايا جنوع الأشجار، كما أن الحقول تتناثر على نطاق واسع وسط مناطق تسود فيها الأشجار ، وقد يعطى هذا انطباعا بأن الإنسان هنا ليس له الا تأثير محدود ولكن هذا ليس صحيحا على الإطلاق.

تفرض الطبيعة الصارمة للأمطار المدارية مجموعة من الضوابط على الزراعة، كذلك فإن التربة التي غسلتها الأمطار والتي تخضع في نفس الوقت

أهمية الزراعة (في بعض الدول الأفريقية)

الدولة	النسبة المئوية للعمالة في الأنشطة المختلفة سنة ١٩٨١			مساهمة الأنشطة في الدخل القومي % سنة ١٩٨٣		
	الزراعة %	الصناعة %	الخدمات %	الزراعة %	الصناعة %	الخدمات %
اثيوبيا	٨٠	٧	١٣	٤٨	١٦	٣٦
مالي	٧٣	١٢	١٥	٤٦	١١	٤٣
زائير	٧٥	١٣	١٢	٣٦	٢٠	٤٤
بوركينافاسو	٨٢	١٣	٥	٤١	١٩	٤٠
تنزانيا	٨٣	٦	١١	٥٢	١٥	٣٣
توجو	٨٧	١٥	١٨	٢٢	٢٨	٥٠
غانا	٥٣	٢٠	٢٧	٥٣	٧	٤٠
سيراليون	٦٥	١٩	١٦	٣٢	٢٠	٤٨
كينيا	٧٨	١٠	١٢	٣٣	٢٠	٤٦
ليسوتو	٦٠	١٥	٢٥	٢٣	٢٢	٥٥
زامبيا	٦٧	١١	٢٢	١٤	٣٨	٤٨
مصر	٥٠	٣٠	٢٠	٢٠	٣٣	٤٧
المغرب	٥٢	٢١	٢٧	١٧	٣٢	٥١
نيجيريا	٥٤	١٩	٢٧	٢٦	٣٤	٤٠
الجزائر	٢٥	٢٥	٥٠	٦	٥٤	٤٠

Mountjoyt, A. & Hilling, D. Africa: Geography and Development Table 6, P. 69 + Table 47, P. 436.

المصدر:

انماط الزراعة فى افريقية

باستقراء الظروف البيئية والنشاط الزراعى فى افريقية كما سبق أن أوضحنا أن هناك مجموعة من الأنماط الزراعية الواضحة يمكن أن نحصرها فيما يلى:

(اولا: نمط الزراعة المطرى وينقسم إلى الأقسام الرئيسية الآتية:

١ - الزراعة المتنقلة فى النطاق الاستوائى.

٢ - زراعة «الحريق» فى نطاق السفانا.

٣ - زراعة «المدرجات» فوق المرتفعات.

٤ - زراعة «السهول» سواء الساحلية أو الداخلية.

كما هو الحال فى سواحل افريقية وخصوصا شمال افريقية وغربها فى سهل السودان الوسطى.

ثانيا: نمط الزراعة المروية، وهذه نجدها حيثما تتوفر مياه الرى بواسطة الأنهار التى أقيمت عليها السدود كما هو الحال فى مصر والسودان وغيرهما.

ثالثا: نمط الزراعة الذى يعتمد على المياه الجوفية فى واحات الصحراء الكبرى على وجه الخصوص وكذلك فى بعض المناطق الأخرى الجافة.

رابعاً: نمط الزراعة الفيضى flush cultivation حيثما تنساب المياه عند نهاية الأودية بعد فصل الأمطار كما هو الحال فى منطقة داربيسى القاش وبركة فى السودان وغيرهما .

أولاً: نمط الزراعة المطرية Rain cultivation

تزرع مساحات واسعة فى قارة افريقية معتمدة على الأمطار مباشرة، خصوصاً وان هناك نطاقات مناخية تسقط فيها الأمطار بشكل يكفى حاجة الزراعة وتزيد. ويعتبر النطاق الاستوائى من أهم النطاقات الزراعية فى افريقية التى تقوم على الأمطار حيث تسقط الأمطار بغزارة طول العام ويصفى تكاد تكون يومية، ولكن ليس كل أجزاء النطاق سواء فى كمية الأمطار. ثم يأتى بعد ذلك النطاق المدارى المطير حيث الأمطار الصيفية ثم النطاق. الموسمى نو الأمطار الشتوية (نطاق مناخ البحر المتوسط) وبالإضافة إلى هذه النطاقات المطرية الثلاثة هناك أيضاً المرتفعات التى تتناثر فى أنحاء القارة وخصوصاً فى شمال وشرق وجنوب القارة.

وفيما يلى استعراض للنطاقات الزراعيه المطريه المختلفه فى القاره بشكل مختصر وسريع.

١ - الزراعة المنقلة فى النطاق الاستوائى:

Equatorial shifting cultivation

يعبر هذا النمط عن الظروف البيئية التى توجد فى النطاق الاستوائى الافريقى حيث الأمطار الغزيرة حيث أن الأمطار الغزيرة طول العام تؤدى إلى غسل «التربة» Leached soil فقيرة هشة تعلق أكاسيد الحديد والألمنيوم على السطح، ومن هنا كان التلاؤم مع هذه الظروف مؤدياً إلى الزراعة غير الكثيفة

حيث توجد فترة «راحة» follow طويلة. إلا عندما تزداد كثافة السكان بشكل واضح، ومن هنا يعتبر هذا النظام الزراعي ملائماً صبوراً من جانب المجتمعات الريفية التقليدية مع الظروف الطبيعية غير المواتية، ويعنى هذا النظام التغير المستمر فى الحقول الزراعية. وبالتالي التغيرات القصوى فى الموطن الريفى Rural habitation والأداة الأساسية للزراعة هنا هى الفأس التى يتعدل شكلها باختلاف طبيعة نوع التربة ولكنها بصفة عامة ذات نصل من الحديد الثقيل يتصل بيد خشبية طويلة وتستعمل لتقليب التربة بعكس الحال فى بيئة البحر المتوسط حيث يستعمل المحراث الخشبى القديم وان حدثت بعض التغيرات فى بعض المواقع حيث تستخدم الآلة الحديثة.

أما من حيث الأساليب المتبعة فى الزراعة فإنها تجمع بين الدهاء والابتدال (عدم الاهتمام) فى نفس الوقت، حيث أنها ثمرة توازن معقد مع البيئة الايكولوجية Eco-equilibrium، ونادراً ما نجد حيوانات هنا ترتبط مع الزراعة (بسبب سيادة ذبابة تسمى تسمى والظروف المناخية الصعبة) ولذا فإن المخصبات الطبيعية غير موجودة فيما عدا الرماد الناتج عن حرق الأعشاب والحشائش الضارة فى نهاية موسم الجفاف (النسبى) قبل الزراعة مباشرة.

هذا النوع من الزراعة غير الكثيفة يوجد ضمن اقتصاد معاشى -Subsistence Economy فقير ليس له إلا فرصة ضئيلة للتجارة ، وفى مناطق ليس لسكانها ضغط كبير على الأرض ولهذا فإن المكان متسعاً يسمح بنقل الزراعة من مكان إلى آخر، ومع ادخال النظام الزراعى النقدى -Commercial Economy my وزراعة المحصولات النقدية عبر عقود عديدة، بدأ هذا النظام المعاشى يتحسن فى عديد من الأقاليم خصوصاً فى المناطق الساحلية وبالتالي انكشفت فترة «الراحة» من ٥ - ٧ سنوات أو أكثر إلى سنة واحدة خصوصاً اذا كانت

كثافة السكان مرتفعة، ففي السهول الساحلية فى خليج غينيا (ابتداء من ساحل العاج حتى نيجيريا) على سبيل المثال أصبحت الزراعة الكثيفة بشكل واضح وأصبح المنظر الريفى مستغل تماما، هنا وصلت الكثافة ما بين ١٠٠ إلى ٦٠٠ نسمة/كم^٢، حيث حول شعب الفون Foon فى داهومى الأدنى (بنين) الإقليم الساحلى إلى مزرعة واسعة لنخيل الزيت تتخللها زراعة الذرة الشماية المانيوق. كذلك اندفع اليوروبا فى نيجيريا والاشانتي فى غانا والايفى (الايوى) فى توجو الأدنى، وشعب الأجنى Agni والبولى Baoule فى ساحل العاج إلى زراعة التربة بشكل كثيف للغاية، وقد دفعهم إلى ذلك الحوافز النقدية الناتجة عن الاقتصاد الزراعى التجارى.

ومن سمات الأساسية فى هذا النظام عدم تملك الفرد مطلقا للأرض، إذا أن المزارع يملك فقط حق الاستغلال، فهى ذات نظام جماعى ولا يمكن التصرف فيها وبيعها لأنها ملك للجماعة سواء الأسرة أو مجتمع القرية أو العشيرة وان كانت الملكية الفردية قد ظهرت فى بعض المناطق بصفة محدودة فى المناطق التى تحتاج إلى مجهود شخصى شاق واستثمار نقدى حيث ظهر هنا حافز الربح وهناك سمة أخرى وهى العمل الزراعى الجماعى سواء بواسطة «جمعات العمل» التى ربما تكون جماعات «السن» age groups أو العائلات أو جماعات المقاولات، ولذا فإن فرق العمل موسمية تتكون من الرجال والنساء فى بداية كل موسم زراعى، ورغم أن هذه غير ثابتة التنظيم (هشة) إلا أنها فعالة كما يسود روح التعاون بين أفرادها (jouno Airlqno, p, 02)

تسود هنا المحصولات النشوية بصفة أساسية مع قليل من محاصيل البروتين وأهم المحصولات الذرة الرفيعة والشامية، اليام، الكسافا، الموزولكن الانتاج ضعيف وسوء التغذية متفشى. أما المحصولات النقدية التى أدخلت

حديثاً فأهمها الكاكاو (غانا + نيجيريا + سيراليون + كوت ديفوار)، القطن (أوغندا + الكونغو)، نخيل الزيت (نيجيريا + سيراليون + كوت ديفوار)، البن (أو غندا + كوت ديفوار + الكونغو + الكامرون).

وبجانب سومة ربط رفاهية المزارع الأفريقي بالأسواق العالمية البعيدة وغير المضمونة فإن هذا النظام (النقدي) أدى إلى سيادة المحصول الواحد-Mono Culture وكل هذا يؤدي الي مقدمة لانهاك التربه إذ أنه على الرغم من أن زراعة المحصول الواحد مجزئ إلا إنه يدمر نفسه أكثر من أن يكون ثابتاً مستمراً كما أنه ليس عمليات تجمع بتزايد سكانه بسرعة في حين ان نظام الزراعة المعاشيه أن لم يكن مجزيا في حد ذاته إلا إنه يضمن الاستمرارية ولذا فإن نظام الدورة الزراعية والزراعة المختلطة حيثما أمكن وجودها يعتبران الحل المرغوب فيها، ولكن هذا يستدعى عمل زراعى شاق(٣).

٢ = الزراعة المتنقلة فى نطاق السفانا (زراعة الحريق):

وهذا النمط أيضا يعتبر نوعا من الزراعة المتنقلة وان كان يوجد في بيئة تختلف إلى حد كبير عن البيئية فى النمط الاستوائى، حيث نلاحظ هنا أن الأمطار فصلية تسقط خلال فصل الصيف على وجه الخصوص، الأمر، الذى يؤدي الى نمو السفانا على نطاق واسع، وهذا النوع النباتى ينمو ويزدهر عند سقوط الأمطار وبعدها مباشرة، ثم يذبل النبات ويجف خلال موسم الجفاف (الشتاء) ومن هنا فان هذا المظهر النباتى أوحى الى المزارع الأفريقي باستغلال الموقف لصالحه عن طريق حرق هذه (الثروة النباتية) الجافة واستخدامها فى تخصيب التربة التى هى خصبة أصلا نتيجة لارتفاع نسبة «الدبال» بها بسب وجود هذه الحشائش التى تتراكم سنويا. وفى كثير من الأحيان يترك المزارع هذه الحشائش الجافة لأكثر من عام حيث تتكون طبقة سميكة متراكمة من

بقاياها ثم يضرب فيها النيران دفعة واحدة وتبدأ بعد ذلك عملية الزراعة بعد أن تكون قد أضيفت ثروة «سماوية» عضوية ضخمة تعمل على تخصيب التربة بشكل مستمر واضح. ولكن بعد أن تزرع الأرض فترة من الزمن وتبدأ التربة فى الإنهاك ينتقل المزارع الى قطعة أرض جديدة «مخصبة» بالطريقة السابقة ثم الى قطعة أرض ثالثة وهكذا.

هنا نجد أن «الضابط» الرئيسى المتحكم هو «النبات السفاني» الناتج أصلا عن الأمطار الموسمية «الصيفية» والحرارة المرتفعة طوال العام بالإضافة الى التربة الخصبة والارث الحضارى البشرى، ويساعد على ذلك أيضا اتساع رقعة الأرض الصالحة للزراعة وانخفاض كثافة السكان، نسبيا(٤).

أما بالنسبة للمحصولات السائدة هنا فهى القطن وقصب السكر والذرة الرفيعة والعريضة فى السودان ونيجيريا وأفريقية الوسطى ومناطق من شمال كل من غانا وسيراليون وبنين وفولتا العليا وانجولا وزامبيا وزمبابوى وموزمبيق وتنزانيا وأجزاء من كينيا.

٣ - زراعة الكنتور (المصاطب) على جوانب المرتفعات:

Terraces cultivation

يوجد هذا النمط الزراعى حيثما توجد المرتفعات بالإضافة الى الأمطار. وقد نشأ هذا النمط بصفة أساسية للتلاؤم مع هذين العاملين الطبيعيين، حيث حتمت هذه الظروف الطبيعية على السكان فى هذه المناطق انشاء المصاطب من أجل الوصول إلى هدفين:

الأول: التغلب على مشكلة جرف التربة من على جوانب هذه المرتفعات بفعل الأمطار التى تهطل على هذه الجوانب.

الثاني: ايجاد رقعة من الأرض شبه مسطحة ذات مساحة معقولة لقيام الزراعة عليها وايجاد حواجز حولها يمكن عن طريقها تمرير المياه (الأمطار) بنظام محدد ومقنن.

ويتمثل هذا النمط خير تمثيل في المغرب العربي وعلى وجه أخص في الجزائر ، وكذلك يوجد في كينيا (المرتفعات البيضاء) وجبل كينيا (في كينيا) وجبل كلمنجارو في تنزانيا ومرتفعات أوغندا وخصوصا جبل «الجون» ومرتفعات الكمرون وفي مرتفعات جمهورية جنوب افريقية. كما يوجد هذا النمط الزراعي بشكل طبيعي (بون اعداد المدرجات) في هضبة الحبشة حيث «تتدرج» الأرض طبيعيا وفقا لطبقات التكوينات البركانية المتراكمة والتي تتكون منها هذه الهضبة. وكذلك الحال في مناطق من مرتفعات جنوب شرق أفريقيا، وكما أشرنا فإن «الضابطين» المؤثرين هنا هما: المرتفعات والأمطار بالاضافة الى خبرة السكان في الزراعة.

ومن الواضح أن المحصولات تتنوع في هذا النمط وفقا لمحورين أساسين:

الأول : الارتفاع في التضاريس في موقع ما .

الثاني: الموقع الجغرافي والفلكى في أنحاء القارة.

وبالاضافة الى ما سبق هناك مناطق أخرى كثيرة مرتفعة يمارس فيها المزارع الأفريقي الزراعة على جوانب المرتفعات بون القيام باعداد «المصاطب» وانما يعتمد على اختلاف مناسيب الارتفاعات نفسها أو جود الأودية حيث يزرع جوانبها والقيعان بعد جفافها، بالاضافة الى تلك المرتفعات التي توجد بين تضاعيف المرتفعات.

وجدير بالذكر أن التوسع فى هذا النمط الزراعى يمكن أن يكون له فوائد كثيرة منها: -

١ - التوسع فى الرقعة الزراعية وبالتالي زيادة الانتاج الزراعى خصوصا فى مناطق الكثافة السكانية المرتفعة كما هو الحال فى الشمال الافريقى الساحلي.

٢ - المحافظة على التربة وتثبيتها على جوانب المرتفعات.

ولكن يقف أمام ذلك مشكلة المواصلات وعدم توفر رأس المال فى كثير من مناطق المرتفعات بالاضافة إلى عدم الاستقرار السياسى وأفضل مثال على ذلك اثيوبيا.

وكما أشرنا فان المحصولات هنا متنوعة ولكن أهمها فى بيئة البحر المتوسط الفواكة وخصوصا الموالح، والزيتون، والقمح، وفى اثيوبيا البن والذرة الرفيعة، وفى شرق افريقية القمح والشاى والبن، وفى هضبة افريقية الجنوبية الطباق والشاى.

٤ - النظم الزراعى المطرى فى السهول: Rain plain cultivation

وكما سبق أن أشرنا هناك السهول الساحلية فى شمال افريقية وغربها وشرقها، هذا بالاضافة الى السهول الداخلية فى أنحاء القارة. ومن أبرز الأمثلة سهول شمال افريقية الساحلية فى الجزائر والمغرب وتونس وليبيا. ونلاحظ هنا تداخلا بين الزراعة السهلية المطرية والزراعة المرويه حيث الأودية والأنهار، وأهم المحصولات هنا فواكه البحر المتوسط والزيتون والقمح والشعير والخسروات والذرة العريضة، أما فى سهول شرق افريقية فتوجد الذرة الرفيعة

والمحصولات الشجرية مثل جوز الهند. وفي غرب افريقية البن والكاكاو والكاسافا ونخيل الزيت.

أما في السهول الداخلية في نطاق السودان الجغرافى (والسودان السياسى على وجه الخصوص) فيزرع القطن (قصير التيلة) والذرة الرفيعة وعلى حواف الصحراء نجد الفول السودانى والسوسم ، والأرز والذرة فى مدغشقر والسيسل فى شرق افريقية.

ثانياً: نمط الزراعة المرويه : Irrigater cultivation

يتركز هذا النوع من الزراعة ذى الدور الزراعي المنتظمة فى مناطق محددة فى مصر والسودان، هنا يعتبر نهر النيل والمشروعات المقامة عليه هو «الضابط» الرئيسى المتحكم، وبالإضافة الى التربة الخصبة التى جلبها النيل أصلاً. ولقد تطور هذا النوع من الزراعة مرحلة بعد أخرى، فمن الرى الفيضى الحوضى الى الرى الدائم الذى يعتمد على دورة زراعية مقننة، ولقد لعب العامل البشرى دوراً واضحاً فى هذا النمط، حيث قامت الحضارة المصرية القديمة على الزراعة فى الوادى ثم الدلتا. كذلك نجد هذا النمط فى السودان - ولو أن ذلك ظهر حديثاً - حيث أقيم مشروع الجزيرة بين النيلين الأبيض والأزرق ثم بدأ التوسع فيه تدريجياً، كذلك هناك الرى بالطلمبات على النيلين الأبيض والنوبى. ولاشك أن التحكم فى مياه النيل عن طريق إقامة السدود كان له الأثر الأكبر لتكوين بيئة مثالية لقيام هذا النمط وقد تأكد ذلك بالارث الحضارى البشرى.

وبالإضافة إلى مصر والسودان هناك بعض المناطق المروية معتمدة على مياه بعض الأنهار الافريقية وانشاء السدود عليها للإفادة فى تخزين المياه وتوليد الكهرباء مثل نهر القولتا (غانا) ونهر السنغال (السنغال) ونهر النيجير (نيجيريا) ونهر الزمبىزى (زامبيا وزمبابوى) وغيرها، ولكننا ينبغى أن نلاحظ أن

الزراعة المروية فى مصر على وجه الخصوص أكثر كثافة more intensive عنها فى أى منطقة أخرى مروية فى القارة الإفريقية كلها، وتفسير ذلك أن الازدحام البشرى والتكثف الحضارى قد لعبا دورا واضحا فى هذا المجال.

إضافة الى ما سبق كان انشاء سد على نهر جوبا/ شيبلى فى الصومال له الأثر الواضح على قيام الزراعة المرويه فى جنوب الصومال. وكذلك الحال فى المغرب العربى على أنهار وأودية أم الربيع وتنسفت وبورقراق وسيبو وملوية فى المملكة المغربية، والأودية الكثيرة القصيرة والسريعة الهابطة من مرتفعات أطلس فى تونس والجزائر وكذا فى ليبيا. خصوصا بعد انشاء «النهر العظيم» الذى يحمل مياهه من أقصى جنوب ليبيا (مياه جوفية) الى أقصى الشمال.

وفى إطار هذه المساحات المروية الكبيرة تزرع محاصيل متنوعة حيث القطن والأرز والقمح والذرة والخضروات فى مصر والسودان، والفواكه (خصوصا الموالح) والقمح والشعير والذرة والخضروات فى المغرب العربى. والموز والفواكه المدارية والذرة الرفيعة فى شرق افريقية، والقطن والدخن والطباق والشاي فى أفريقيا الجنوبية، والقطن والفول السودانى والذرة فى غرب افريقية شبه الجافة.

ثالثا: الزراعة الفيضية المحدودة: Flush Irrigation

يوجد هذا النوع من الزراعة فى مناطق مصبات الأودية فى أنحاء متفوقة من القارة الأفريقية، والعامل الحاسم فى هذا النمط هو المياه الفيضية الموسمية، بالإضافة الى التربة الفيضية الخصبة فى هذه المناطق، وهى مناطق (بقع) محدودة بالطبع، من أوضح الأمثلة على ذلك خورى القاش وبركة فى شرق السودان حيث ينحدر هذان الخوران بشدة وسرعة من مرتفعات الحبشة

الشمالية متجهان نحو الشمال الغربي ولكنهما سرعان ما ينتهيان وسط مناطق مسطحة حيث يفرغان حمولتهما من المياه والطمى مكونان ما يسمى بالمراوح الفيضية Aliuvial fans وسط مغازات شرق السودان.

ومن الواضح أن الزراعة هنا مرة واحدة في السنة بعد عملية الفيضان الموسمي وتختلف المحصولات التي تزرع في هذه «البقع» وفقا للموقع الجغرافي والفلكي ومدى كمية المياه وخصوبة التربة. ففي دلتا خورى الفاش وبركة يزرع القطن والذرة الرفيعة والخضروات.

ولقد مرت مصر بمرحلة الري الفيضى قبل انشاء السدود والقناطر خصوصا سد أسوان والسد العالى التي حدثت من غلواء فيضان النيل وفي نفس الوقت نقلت الزراعة في مصر من المرحلة الفيضية إلى مرحلة الري الدائم المنظم، وكان لهذه السدود أثر واضح على تدهور التربة وارتفاع المياه الجوفية ونحر الترع كما سوف نعالج ذلك لاحقا.

رابعاً: النمط الزراعى فى واحات الصحراء

تكون المناطق الجاف فى افريقية نسبة كبيرة من المساحة الكليه كما سبق أن أشرنا، وتعتبر الصحراء الكبرى فى شمال القارة ملمحا رئيسيا من الناحية الجغرافية سواء الطبيعية أو البشرية (تضاريسيا ومناخيا ونباتيا وكثافة سكان ونوع حياتهم وحرفتهم) فى القارة كلها، حيث انعكست الظروف الجافة فى هذه الصحراء على نمط الاستغلال الزراعى، هنا نجد الحرارة المرتفعة صيفا على وجه الخصوص وأثناء النهار على وجه العموم (صيفا وشتاء) ولذا قيل أن نهار الصحراء هو صيفها وشتاؤها يتمثل فى ليها. والأمطار قلية نادرة واذا سقطت فهى سريعة فجائية تهطل كأنها ماء مصبوب من أفواه القرب أما لتربة هنا... فهى فقيرة فى المادة العضوية وان كانت غنية فى نسبة الكربون. والأملاح واضحة ناتجة عن الخاصة الشعرية.

ومن هنا كانت الواحة هي الملاذ لتجمع السكان وقيام نمط من الزراعة يتلاءم مع هذه الظروف الصعبة حيث أن الواحة تتمتع بميزتين واضحتين: -

الأولى: يؤدي انخفاضها الى تقريب المسافة (العمق) إلى المياه الجوفية (السطحية أو العميقة) تلك التي انحدرت إليها في الحاضر القريب أو الماضي السحيق. وخصوصاً التكوينات الصخرية الرملية هي السائدة في أنحاء هذه الصحراء، وهذه التكوينات تعتبر بمثابة «اسفنج» يتشبع بالمياه الجرفية حتى يتم استغلالها ويدعم ذلك وجود طبقة صلبة غير منفذة المياه تحتها.

الثانية: وجود التربة الدقيقة الخصوبة نسبياً في هذه الواحات بسبب:

(١) دقة الحبيبات حيث ارتفاع نسبة الطمي والطفلة.

(ب) وجود نسبة من المواد العضوية ناتجة عن نمو النبات الطبيعي (حيث ترتفع نسبة الرطوبة الأرضية بسبب الانخفاض) أو عن بقايا زراعة المحصولات.

هذه الظروف الطبيعية دفعت سكان هذه المناطق، وهم رعاة أو تجار رحل - إلى التلاؤم مع ظروف البيئة وقيام هذا النمط الزراعي المتميز في الصحراء الكبرى في واحات الداخلة. والخارجة. الفرافرة، سيوه، وليبيا (جفبوب، الكفرة .. الخ) والجزائر (عين صلاح وغيرها) وتونس وموريتانيا وجنوب المملكة المغربية والصحراء الإسبانية وشمال السنغال والنيجر وتشاد وشمال السودان.

ولقد كانت الصحراء الكبرى هي نمط الواحات الزراعي بامتياز، أما الصحراوات الأخرى في بقية القارة في الجنوب الغربي والصومال والأجزاء الداخلية من كينيا وتنزانيا فهي شبه صحراوية أو هي صحراء غير حقيقية. نتيجة لظروفها الخاصة بالموقع الجغرافي والفلكي بالإضافة إلى ارتفاع

التضاريس نسبياً في جنوب وشرق القارة عن شمالها الصحراوى، ومن هنا كانت هذه الصحراء (جنوب وشرق القارة) أقل حدة في الحرارة وأقل اتساعاً في المساحة وأيسر في الأمطار والمعيشة.

وجدير بالذكر أن ضيق الرقعة الزراعية في بعض الدول الصحراوية في افريقية - وخصوصاً مصر - قد دفعها الى تحويل أجزاء من الصحراء الى مناطق زراعية معتمده على مياه النيل أو المياه الجوفية، كما حدث في مديرية التحرير، منطقة الصالحية (غرب وشرق الدلتا على التوالي) كما يجرى الآن نقل المياه تحت قناة السويس الى شمال سيناء لزراعة مناطق فيها. هنا ينبغي أن تطبق طرق ووسائل جديدة في الري والزراعة تتلاءم مع ظروف هذه البيئة تختلف عن تلك الموجودة في الودى والدلتا (مثل الرش والتنقيط) كما أن هناك مشروعاً لاستغلال مساحة كبيرة صالحة للزراعة بجوار جبل عوينات في جنوب غرب مصر اعتماداً على المياه الجوفية التي تدل التقارير أنها بكميات كبيرة، وقد سبق أن أشرنا إلى مياه «النهر العظيم» في ليبيا التي هي مياه جوفية صحراوية والتي تحاول بدورها اقتحام الصحراء وزراعتها.

أما بالنسبة لمحصولات الواحات فأهمها تمر النخيل والخضروات والشعير وهي محاصيل تتلاءم في الواقع مع ظروف الصحراء الكبرى. أما صحراء جنوب وشرق افريقية فغالباً ما تستخدم في تربية الحيوان عن طريق حرفة الرعى.

النمط الزراعي الاوروبي: European cultivation

تتميز قارة افريقية بتعايش أو حتى تجاور أنواع متناقضة من الاقتصاد. وتمر معظم هذه الأنماط الاقتصادية من مرحلة الاقتصاد المعيشى الى

الاقتصاد التبادلى .التجارى Commercial ولكن توجد مجموعات قليلة من السكان الذين لم يتأثروا ولو بشكل ما بالقوى الاقتصادية الحديثة، إذا قدرت المساحة الخاضعة للاقتصاد المعيشى بحوالى ٦٩٪ من المساحة الكلية المزروعة فى أفريقيا المدارية ويعيش عليها حوالى ٦٠٪ من السكان الذكور الذين يزيد عمرهم على الخمسين عاما، وقد انخفضت هذه النسبة فى السنوات الأخيرة الى حد ما . وقد جاء فى تقرير أصدرته الأمم المتحدة عن أفريقيا أنه يوجد بالقارة نظامان أساسيان على طرفى نقيض (التقليدى والأوربى الحديث) وبينهما يقع أغلب الاقتصاد الأفريقى، وفى كلا النظامين يوجد اختلاط ولكن بنسب مختلفة من منطقة الى أخرى.

ويتميز النظام الأوربى (التجارى) الحديث بأنه يغلب عليه رأس المال والمشروعات الأجنبية، كما أن رأسماله كبير وطرق الاستغلال متقدمة، كما تسود المزارع الواسعة plantations Estates وتنتشر هذه المزارع فى أماكن كثيرة من القارة أهمها جنوب افريقية وزامبيا وزمبابوى وكينيا وليبيريا وساحل العاج ونيجيريا، أوغندا، سيراليون والكنغو بشقيه، وبصفة عامة فإن المزارع الأوربية الواسعة تتركز فى غرب وجنوب القارة.

أما أهم محاصيل هذه المزارع فهى البن والكاكاو ونخيل الزيت والمطاط والموز وهى من المحاصيل الاستوائية والقطن والقصب وهما من المحاصيل المدارية المطيرة، وكذلك الطباق والشاى فى المناطق المرتفعة المدارية والموالح والكروم فى النطاق المعتدل الدفئ (بحر متوسط)، والفول السودانى فى النطاق المدارى شبه الصحراوى، وإن كان قد فشل مشروعه فى تنجانيقا فى الماضى إلا أنه يزرع وفق النظام التقليدى الأفريقى المعدل.

نتاج التفاعل بين الاتماط الزراعية والبيئة:

يتضح مما سبق أن هناك مجموعة من الأنماط الزراعية هي نتاج لتفاعل الانسان مع البيئة التي يعيش فيها فى مجال النشاط الزراعى، ولكن هذا التفاعل يؤدي فى بعض الأحيان وفى بعض المناطق إلى آثار ايجابية أو سلبية أو هما معا، ومن هنا استلزم رصد هذه النتائج فى الأتى:

النوع الأول : هدم أو تخريب أحد مكونات (عناصر) البيئة أو عدة عناصر، كما يحدث فى الزراعة المتنقلة فى النطاق الاستوائى حيث تؤدي عملية اجتثاث الأشجار أو حرقها إلى تعريض التربة الاستوائية (اللاتريت وأشباهاها) الى الانجراف Soil erosion خصوصا من على جوانب المرتفعات، وهى فقيرة أصلا، كذلك فإن حرق الأشجار يؤدي إلى اصابة التربة بالضرر بسبب ارتفاع درجة الحرارة عليها، وقد ينطبق هذا الوضع على المزارع الأوربية الواسعة الا أن نظام قطع الأشجار بها والزراعة لا يساعدان على تدهور التربة، ويرجع ذلك إلى:

١ - الزراعة الواسعة مستقرة غير متنقلة، كما أن نوع المحصولات التى تزرع بها محاصيل شجرية (الكاكاو، نخيل الزيت، المطاط.. الخ) وبالتالي فإنها مماثلة إلى حد ما للغابة الطبيعية، ومن هنا فإن التربة ليست معرضة تماما للظروف الجوية (خصوصا الأمطار) كما هو الحال فى الزراعة المتنقلة لدى الأفريقيين حيث تزرع أساسا المحاصيل الغذائية.

٢ - نظم التسميد والرعاية التى يمارسها الأوربيون فى هذه المزارع الأمر الذى يساعد على الاحتفاظ وتجديد خصوبة التربة بصفة مستمرة./

النوع الثانى: الاستغلال الزراعى مع المحافظة على مكونات (عناصر) البيئة

وخصوصا خصوبة التربة، ويتمثل هذا فى نمط زراعة «الحريق» حيث أن هذا النمط يساعد على ارتفاع نسبة «الدبال» باستمرار كما سبق إشرنا - والمحافطة عليها ، ولكننا نلاحظ فى نفس الوقت أن كثرة الحرائق وانتشارها فى موسم الجفاف يؤدى الى تلوث الهواء من ناحية أخرى.

النوع الثالث: تحسين ظروف البيئة أملا فى استغلال أفضل فى مجال الزراعة ويتمثل هذا فى زراعة «الكنطور» أو المصاطب، حتى لو تركت جوانب المرتفعات بدون مصاطب وبدون زراعة لجرفت مياه الأمطار التربة، وبالتالي تصبح عملية الاستغلال الزراعى ضئيلة وغير جيدة. ولكن نلاحظ أيضا وفى نفس الوقت أن ازالة الغطاء النباتى من على جوانب هذه المرتفعات قد يؤدى على المدى الطويل الى تغيير فى مكونات البيئة وبالتالي تدهور بطى فى نواحى معينة مثل الغطاء النباتى والثروة الخشبية وينعكس ذلك على الظروف المناخية والحيوية الأخرى.

النوع الرابع: يؤدى نمط زراعة الصحراء. بما يواكبه من ادخال نظم رى وزراعة لاتتلاءم مع «الركب» البيئى، إلى مشكلات بيئية واضحة، فاستخدام طريقة الغمر فى الرى يؤدى الى تكون طبقة محلية علي سطح الأرض وارتفاع مستوى المياه الجوفية وبالتالي تدهور التربة والانتاج الزراعى على المدى الطويل، ولذا لابد من استخدام الطرق الملائمة للرى والزراعة.

النوع الخامس: وهو الزراعة المروية الكثيفة فانها بقدر ما هى ذات انتاج زراعى وفير سواء على مستوى الوحدة المساحية أو الفرد فان هذا النمط وما يستدعية من إقامة السدود والخزانات المائية لاستخدامها وقت الحاجة، كما حدث فى مصر والسودان وغيرهما، تودى إلى حجز الطمى الخصب (السد العالى فى مصر) وقد انعكس ذلك على ضعف التربة، ونحر قاع النيل والترع

وانهيار الجسور، كما أن التعويض باستخدام المخصبات الكيماوية لتخصيب التربة يودى إلى سلسلة أخرى من المشكلات البيئية والاقتصادية هذا فضلاً عن ارتفاع مستوى المياه الجوفية في الأرضى الزراعيه والقرى ومن هنا تكون مجموعه من حلقات سلسله البيئه قد انكسرت تماماً

النوع السادس: أما بالنسبة للنظام المظري فانه يتمشى مع ظروف البيئه الى حد كبير ، حيث تقوم الزراعة على أساس كمية الأمطار سواء قلت أو كثرت، تقدمت أو تأخرت في السقوط، ولكن المشكلة الملحة فى افريقية هى ذبذبة الأمطار - كمية ومدة - وبالتالي انعكاس ذلك على الزراعة كما رأينا فى العقدين الأخيرين وبالتالي تدهور الإنتاج الغذائى والتصديرى. وعلى الرغم من أن الانسان كان له دور فى ظاهرة التصحر Desertification إلا أن نقص الأمطار وارتفاع الحرارة على المستوى العام كان له دور أيضا فى انتشار هذه الظاهرة . (أنظر خريطة ذبذبة الأمطار).

النوع السابع وهو النمط الزراعى الأوربى حيث المزارع الواسعة التى تنتج المحصولات النقدية بصفة أساسية من أجل التصدير ، ورغم أن انتاج هذا النوع مرتفع بالنسبة للوحدة المساحيه والفرد إلا أن المربود منه على الاقتصاد الافريقى الوطنى قليل: ذلك لأن الفائدة موجهة أساسا لصالح الشركات الأوربية، كذلك فإن اتجاه المزارعين الافريقيين لزراعة هذا النوع من المحصولات واعتماد الاقتصاد الافريقى الوطنى على سلعة واحدة للتصدير one crop economy يودى الى تدهور الاقتصاد الوطنى اذا ما حدثت هزة فى أسعار السوق العالمى بالنسبة لهذه السلعة (الكاكاو، البن ، زيت النخيل، المطاط .. الخ) ويضاف إلى ذلك أن جذب العمال الأفارقة من أعمالهم الأصلية للعمل فى هذه المزارع الأوربية بسبب ارتفاع الأجور نسبيا ينعكس على قطاعات الاقتصاد الافريقى الأخرى.

التغير والثبات فى علاقة الأنماط الزراعية بالبيئة.:

من المعروف أن الجغرافيا فى التحليل الأخير تدور أساسا حول العلاقات المتبادلة بين الإنسان والبيئة التى تعيش فيها Inter relationship بين العوامل البشرية والظروف الطبيعية. وهذا التفاعل مستمر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. ولكن نظرا لأنه ليس هناك ثبات أصيل ودائم فى مفردات هذه العلاقة المتبادلة أو هذا التفاعل فإن الناتج النهائى يختلف من زاويتين:

الأول: اختلاف زمنى، من فترة زمنية إلى أخرى.

الثانى: اختلاف مكانى وفقا لشخصية المكان وظروفه الطبيعية والبشرية.

وفى مجال دراسة الأنماط الزراعية فى افريقية وعلاقتها بالبيئة فإننا يمكن أن نحدد المعايير أو الأسس التى يقوم عليها هذا التفاعل، وهى نوعان:

الأول: الظروف الطبيعية التى غالبا ما تكون أقرب إلى الثبات متمثلة فى التكوين الصخرى والتضاريس والحرارة والأمطار والغطاء النباتى والتربة.

الثانى: الظروف البشرية التى هى غالبا ما تكون أقرب إلى التغير المستمر وتتمثل فى الإنسان من حيث الإرث الحضارى، والعدد السكانى، ومدى التقدم التقنى الذى يحرزه هواء السكان باستمرار، بالإضافة الى خدمات النقل والمواصلات، ورأس المال، وانتهاء بالنظام الاقتصادى والسياسى السائد.

فبالنسبة للظروف الطبيعية السائدة فى افريقية، فإنه رغم الثبات النسبى لها، إلا أننا نستطيع أن نتبين ذبذبات وتحولات، وأوضح مثال على ذلك ذبذبة الأمطار ونقصها التى حدثت خلال السبعينيات والثمانينيات، الأمر الذى انعكس أثره على الزراعة والرعى فى القارة الافريقية، وظهور ظاهرة التصحر -Desertification التى حدثت بشكل واضح فى نطاق «الساحل» الافريقى، ورغم أن

الظروف البشرية كان لها تأثيرا فى هذه الظاهرة إلا أن العامل الطبيعى (الأمطار) كان هو الأساس.

كذلك فإن متوسطات الحرارة تتغير من عام إلى آخر وفقا لعوامل منها ما هو أرضي ومنها ما هو كوني، وينعكس هذا أيضا على الغطاء النباتى الطبيعى والتربة وبالتالي على أنماط الزراعة فى افريقية.

أما بالنسبة للعوامل البشرية فى أفريقيا فقد حدث فيها تغيير واضح سواء من حيث عدد السكان (العدد الآن حوالى ٦٦٥ مليوناً) أو التقدم التقنى الذى كان التقدم فيه بطيئا لا يتناسب مع التطور العدى أو التقدم الهائل والسريع فى مستحدثات العصر، وحتى مع هذا التقدم النسبى الضئيل فقد كان أثره على البيئة مدمرا من حيث التلوث وحرق الغابات والحشائش واجتثاثها خصوصا فى ظل التزايد العدى الرهيب فى السكان وكان لهذا أثره على وضوح ظاهرة التصحر كما سبق أن أشرنا.

أما بالنسبة للنقل والمواصلات فقد حدث تطور ضئيل وما زالت الحاجة ماسة إلى رأس المال المحلى والخارجى من أجل تدعيم البنية الأساسية وبالتالي الاتجاه نحو تنمية الموارد المحليه، وخصوصا الزراعة والرعى والتعدين.

أما بالنسبة للنظام الاقتصادى والسياسى فإن قارة أفريقيا قد شهدت خلال العقود الثلاثة الأخيرة تغيرات وتقلبات واضحة وقد انعكس أثر هذا التغير وعدم الاستقرار على ضعف معدلات التنمية فى جميع المجالات رغم وجود بعض الاستثناءات على مستوى القارة، وكفى أن نذكر أن معظم الدول الافريقية تدخل فى عداد الدول ذات الدخل المنخفض والمتوسط المنخفض (انظر تقرير البنك الدولى - تقرير التنمية فى العالم لعام ١٩٨٨).

ملحق

انتاج أهم المحاصيل في الانماط الزراعية (بالآلاف طن متري)

ملاحظات	١٩٩٠	١٩٨٦	الانماط الزراعية المحاصيل والمواد	١٩٩٠	١٩٨٦	الانماط الزراعية المحاصيل والمواد
	٦٦١١٨	٥٣٥١	الليغون	٥٩٩٤٢	٦٦٩٩٠	(١) زراعة بحر متوسط: العالم
	٤٧٨	٤٠١	العالم	٢٨٢٧	٢٦٢٤	العالم
	٢٤٠	١٥٤	افريقية	١٤٦٣	١٥٢٠	افريقية
	٤٥	٦٢	جنوب افريقيا	٣٦٣	٤٦٥	جنوب افريقيا
	٥٢	٥٢	السودان	٥٨٠	٣٢٠	الجزائر
		٢٠	كينيا	٢٣٢	١٧٠	مصر
			القمح			المغرب
	٥٩٥١٤٩	٥٣٥٨٤٢	العالم	٥٢٢١٦	٤١٤٣٨	البرتغال
	١٤٠٣٢	١١٥٤٧	افريقية	٣٦٦٠	٣٥٠٤	العالم
	٣٧١١	٣٨٠٩	المغرب	١٤٢٠	١١٧٠	افريقية
	١٧٩٤	٢٠٣٤	جنوب افريقية	٧٧١	٨٤١	مصر
	٤٢٦٧	١٩٢٩	مصر	٥٢٠	٥٣٥	المغرب
	٧٥٠	١٤٤٥	الجزائر	١٧٧	٢٢٠	جنوب افريقية
	٩٢٢٨	٩١٤٨	الزيتون	١٤٠	١٥٦	الجزائر
	١٠٠١٩	١٢٤٨	العالم			تونس
	٣٥٠	٣٢٠	افريقية			
	٢٣٠	٦٥٠	المغرب			
	٢٣٠	٦٥٠	تونس			

ملاحظات	١٩٩٠	١٩٨٦	الانماط الزراعية المحصولات والنول	١٩٩٠	١٩٨٦	الانماط الزراعية المحصولات والنول
	١٢٠٤	١٢٦٠	افريقية	١٧٩	١٤٠	الجزائر
	٢١٩	٢٨٠	كوت ديفوار	١٢٥	١٢٠	ليبيا
	١٩٥	٢٢٥	اثيوبيا			(٢) زراعة استوائية:
	٩٠	١٢٥	كينيا			الكاكاو
	١٠٠	١٢٢	الكامرون	٢٣٩٨	٢٠٠٢	المالم
	١٦٨	١٩٥	اوزندا	١٢٦٣	١٠٦١	افريقية
	٥١٠٨	٤٣٧٢	المطاط البرى	٧٠٠	٥٢٠	كوت ديفوار
	٢٨٦	٢٤٩	المالم	٢٤٥	٢٤٠	غانا
	٧٠	٩٠	افريقية	١٥٥	١٢٥	نيجيريا
	٨٠	٦٠	ليبيريا			نغسل الزيت
	٧٤	٤٨	نيجيريا	١١٠٨٤	٨٢٢٧	المالم
	٢٠	٢٣	كوت ديفوار	١٧٦٢	١٤٩٧	افريقية
			زائير	٩٠٠	٧٦٠	نيجيريا
			الكسافا	٢١٤	١٨٠	كوت ديفوار
			المالم	١٨٠	١٦٠	زائير
			افريقية	١٠٠٨	٨٥	الكامرون
			زائير			البن
			نيجيريا	٥٩٦٤	٥١٨٨	المالم
	١٥٧٦٥٦	١٣٧٢٩٧				
	٧٣٣٠٧	٦٠٨٥٠				
	١٧٥٠٠	١٥٥٧٠				
	٢٦٠٠٠	١٤٧٠٠				

ملاحظات	١٩٩٠	١٩٨٦	الانماط الزراعية المحصولات والبول	١٩٩٠	١٩٨٦	الانماط الزراعية المحصولات والبول
	٢٩٨١٧	٢٠٨٠٠	الزرة الرفيعة			
	٩٠٦٦	١١٧٤٣	العالم	٥٥٠٠	٥٥٠٠	تنزانيا
	٤٠٠٠	٣٧٨٠	افريقية	٣٢٠٠	٥٠٠٠	أوغندا
	١١٣٣	١٣٨٣	نيجيريا			(٣) زراعة مدارية مطيرة:
	٦٩٥	١٢٨٤	النيجر			قصب السكر
	٥٩٧	٦٨٧	مالي	١٠٢٥٠٩٦	٩٢٢١٧٨	العالم
	٥١٤	٧٠٣	بوركينافاسو	٧٢٩٨٢	٧٢٨١٩	افريقيا
			السنگال	١٨٧٠٠	٢٠٥٠٠	جنوب افريقية
			الموز	١١١٤٣	٩٤٥٠	مصر
	٤٥٨٤٥	٤١٢٩٩	العالم	٥٥٤٨	٦١٣٠	موريشيس
	٦٢١٠	١٥٩٣	افريقية	٤٣٠٠	٥٢٠٠	السودان
	١٦٠٨	١٢٦٠	بورندي			القطن
	١٣٨٠	١١٠٠	تنزانيا	١٨٤٥٧	١٥٠٤٨	العالم
	٤٩٠	٤٤٠	أوغندا	١٣١٧	١٢٨٨	افريقية
	٤٠٤	٣٣٥	زائير	٣٣٠	٤٣٤	مصر
			(٤) مداري مطير(مرتفعات)	١٢٥	٧٠	السودان
			التبغ (الطباق)	٩٧	٧٠	مالي
	٦٦٣٤	٦١٠٩	العالم	٧٩	٦٩	زيمبابوي
	٣٦٧	٣٢٩	افريقية			

ملاحظات	١٩٩٠	١٩٨٦	الاتحاد الزراعي المصنوعات والنول	١٩٩٠	١٩٨٦	الاتحاد الزراعي المصنوعات والنول
الاجزاء شبه	٢٠١٤	٢٢٨١	المستعم	١٢٩	١١٨	زيمبابوي
	٢٩٦	٦٢١	العالم	٩١	٧١	مالاوي
	٦٦	٢٠١	افريقية	٢٤	٢٩	جنوب افريقية
	٧٠	٧١	السودان	١٥	١٢	تنزانيا
	٥٠	٤٥	نيجيريا	٢٥٢٢	٢٢٩٨	الشيبي
	٤٦	٤٢	الصومال	٢٢٣	٢٦٧	العالم
الجات	٢٨	٢٧	ازغندا	١٩٧	١٤٠	افريقية
	.		اثيوبيا	٢٩	٤٢	كينيا
	٧١٤٩٢	٧٥٥٢٧	الشمس	١٧	١٦	مالاوي
	٥٣٢٢	٤٥٠٦	العالم	٢	١٥	زيمبابوي
	٢٤١٥	٢٤٩٩	افريقية			موزمبيق
	١٠٦٠	٦٧٤	المغرب			(٥) شبه الصحراوي:
	٩٥٠	٩٠٠	الجزائر	٢٣١٠٩	٢١٥١٢	القول السوداني
	١٢٨	١٢٥	اثيوبيا	٤٧٦٥	٤٤١٠	العالم
	٥٨٠	١٥١	ليبيا	١٨٠	١٨٠	افريقية
			تونس	١٤٠	١٥٢	مالاوي
			المصن:	١٠٠	١٤٢	بوركينافاسو
			الاجزاء	١٠٠	١٤٠	افريقية الوسطي
			الشمالية	١٨٠	١٢٩	الكمون
						غانا

FAO Production year
Book, Rome 1987 & 1991

المصادر

- 1- Hodder, B.W. : Economic Development in the Tropes.
- 2 - Michie, W.D. & Peoples of Central Africa, 1985.
- 3 - Mountjoy, A.B. & Hilling, P. : Africa: Geography and Development, 1988.
- 4 - Ominde, S.H. (editor): Studies in East African Geography and Development, 1977.
- 5 - Turner, H. : Africa, a New Study Geography, 1985.
- 6 - Turner, H. : Africa South of The Sahara, 1986,
- 7 - Wrigley, G. : Tropical Agriculture

مراجع

(١) راجع كتاب Mountjoy & Hilling انظر قائمة المصادر ص ٢٤ - ٢٧.

(٢) (Jeune Afrique Atlas, P. 62)

راجع تركيب الانتاج فى افريقية - جدول ٤٧ ص ٤٢٦ من كتاب:

Alan Mountjoy & David Hilling : Africa Geoggraphy and
Development.

وكذلك التركيب الحرفى فى افريقية سنة ١٩٦٦/٦٥ جدول (٦) ص ٦٩ نت نفس الكتاب.

(٣) Montjoy & Hilling, P. 65-67)

(٤) انظر خرائط توزيع الامطار وكثافة السكان.

الصناعة

أ. د / السعيد إبراهيم البدوي

القاهرة

١٩٩٧

الصناعة

ما زالت معظم الصناعات فى افريقيا مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالحرف الاستخراجية Extra otive activities حيث ترتبط بالعمليات الاستخراجية سواء فى التعدين أو الغابات أو صيد الأسماك، وتمثل جمهورية جنوب افريقيا حوالى ١/٥ الانتاج الصناعى فى افريقيا كلها، وفى نفس الوقت تعتبر الدولة الافريقية الوحيدة التى يعتمد بناؤها الاقتصادى على القطاع الصناعى، كذلك نلاحظ أيضاً أنه فى بعض دول شمال أفريقيا وخصوصاً فى مصر والجزائر والمغرب يشغل عدد كبير من السكان فى الحرف الصناعية سواء بالحرف التقليدية اليدوية Hand crafts أو الصناعات الحديثة التحويلية Recent industries وكذلك نلاحظ أن زيمبابوى تعتبر من الدول التى بدأت فيها بدايات صناعية وخاصة بين الدول المدارية التى تنخفض بها نسبة التصنيع - كذلك هناك بعض الدول الأخرى داخل النطاق المدارى التى تقوم فيها صناعات تجهيزية، وخاصة تجهيز المعادن تمهيداً لتصديرها إلى الخارج وكذلك تجهيز المنتجات الزراعية قبل عملية التصدير، ولأن هناك عوامل كثيرة لعبت دوراً كبيراً فى تأخير التنمية الصناعية فى القارة الافريقية وأهم هذه العوامل مايلى:-

(١) نقص الخبرة الفنية :-

وقد أشرنا الى ذلك عند الحديث عن الملامح الاقتصادية للقارة الافريقية، ويرجع هذا النقص إلى عوامل كثيرة: أهمها: انتشار الأمية على نطاق واسع، بالإضافة الى ان الشركات الاجنبية التى تستغل الموارد الاقتصادية فى القارة حرصت كل الحرص على عدم تكوين كوادر فنية يمكنها القيام بالتصنيع فى القارة.

(٢) نقص رأس المال :-

ويرجع هذا الى عوامل كثيرة أهمها :- ان معظم المواد الخام تصدر كمواد، وبالتالي تكون اسعارها منخفضة اذا ما قورنت بأسعار السلع الصناعية المستوردة من الخارج.

(٣) ان السوق الداخلى محدود :- وخصوصا فى القوة الشرائية

وليس القوة العددية.

الأمر الذى لا يساعد على وجود انتاج صناعى ذا حجم كبير -Mass Pro- ductiun وبالتالي تقل تكلفة الوحدة المصنوعة وبالتالي تستطيع المنافسة للسلع المصنعة والمستوردة من الخارج.

(٤) العادات والتقاليد السائدة :-

أو بمعنى أدق الجو غير الصناعى السائد فى القارة الافريقية حيث ان الحرف الأولية هى التى يقبل عليها السكان بشكل واضح نتيجة للمرحلة الحضارية التى يمر بها هؤلاء السكان، وبناءً على ما سبق فإننا نلاحظ أن عدد الذين يعملون فى الصناعة بالقارة عدد محدود إذا قورن بالأعداد التى تعمل فى الحرف الاخرى كذلك نلاحظ أن مساهمة الانتاج الصناعى فى الانتاج القومى محدود Gross Domestic Production = (الناتج القومى).

كذلك نلاحظ أيضاً أن مساهمة الانتاج الصناعى فى الصادرات الافريقية محدود للغاية هذا فى حين أننا نجد أن الصناعات تكون نسبة عالية من الواردات الافريقية القادمة من الخارج بل إن هذه المصنوعات التى تأتى من الخارج تُكوّن البند الاول فى الواردات الافريقية ولاشك ان القطاعات الاقتصادية Economlc Sectors تختلف من دولة لأخرى وفقاً لمدى التقدم الذى وصلت إليه هذه الدولة - وكذلك وفقاً لهذه الموارد المتاحة فى داخل كل دولة.

وعلى سبيل المثال نلاحظ أن الصومال تعتبر الثروة الحيوانية بها القطاع الاقتصادي الرئيسي. هذا في حين أن السودان تكوّن الزراعة فيه القطاع الاقتصادي الرئيسي، وفي مقابل ذلك نجد أن زامبيا أو زائير يكون الانتاج المعدنى الاستخراجى يعد الاقتصاد الرئيسى، وكذلك الحال فى ليبيا حيث يكون البترول عمادا اقتصاديا.

وهناك بعض الدول ذات الاقتصاد المتوازن - وعلى رأس هذه الدول جمهورية جنوب أفريقيا وهناك بعض الدول الاخرى التى بدأت فيها الصناعة تنمو وخصوصا فى مصر والجزائر والمغرب.

وكما يذكر برتشر Prichard, Africa, a study geography For advanced students 1979.

تعتبر القارة الافريقية المحطة الاخيرة فى التطور الصناعى ويعتبر اللاندسكيب الافريقى ريفى الطابع عدا أجزاء من جنوب افريقيا حيث لا توجد أقاليم يبدو فيها الدخان الذى يؤدى الى السواد كما هو الحال فى أوروبا أو أمريكا، وأن المناطق الصناعية فى القارة متناثرة ومخطط لها جيداً وتقع خارج المدن الكبرى.

ويذكر أيضا أن نمو وتوطن الصناعات الحديثة فى افريقيا يعتمد على عوامل عديدة منها :-

توفر الفحم والبترول والطاقة الكهربائية المولدة من المياه، وكذلك الأيدي العاملة ذات المهارة المتقدمة وامكانية الوصول إلى الاسواق الكبيرة ذات القدرة الشرائية، ووجود شبكة نقل ذات كفاءة لكى تخدم الأسواق ووجود المواد الخام بمعدلات اقتصادية مناسبة.

إذا ما استثنينا منطقة الترنسفال فإننا لانجد نوعاً من الترابط (التجمع) لوجود الحديد مع الفحم، وكذلك وجود بعض المعادن المفيدة الاخرى. حيث أن كل هذا يؤدى إلى وجود صناعة ثقيلة للحديد والصلب.

هذا بالرغم من أن نيجيريا خطت خطوات متقدمة لصناعة الصلب وكذلك مصر التي تنقل المواد الخام لمسافات طويلة.

ولهذا فقد لعبت القارة الافريقية دور المورد للمعادن إلى الدول الصناعية المتقدمة ومازالت عمليات تجهيز المعدن في مراحلها الأولى في أفريقيا وتنتج قارة أفريقيا ١٪ فقط من الحديد الزهر و ١٪ فقط من الصلب الخام، ٣٪ فقط من الرصاص والزنك بالنسبة للإنتاج العالمى، وفى نفس الوقت فإن افريقيا مع ذلك تعتبر المنتج الكبير الثالث بالنسبة للنحاس وبعد الولايات المتحدة وشيلي .. وفى نفس الوقت تملك رواسب غنية من المعادن الحيوية التي تهم الاقتصاد العالمى :-

الماس ٨٠٪ من الانتاج العالمى

الذهب ٦٦٪ » » »

المنجنيز ١٨٪ » » »

الكروميت ٣٣٪ » » »

كما ان انتاجها من البوكسيت قد تزايد من ٢٪ سنة ١٩٥٧ الى حوالى ٧٪ فى الوقت الراهن.

ويشير بريتشارد إلى أن جنوب أفريقيا تعتبر الدولة الوحيدة التي تتميز بالتقدم الصناعى علاوة على بعض المناطق المتناثرة كما هو الحال فى نيجيريا وزانير وفي الجزائر وليبيا - كما يشير أيضا الى انتاج الكهرباء المولدة من المياه التي بدأ استغلالها فى القارة والتي تعتبر أفريقيا من القارات الهامة التي تحتزن امكانيات هائلة من هذا لمصدر تصل الى حوالى ٢٣٪ من احتياطى العالم فى هذا المصدر.

ويشير بريتشارد فى نفس الوقت الى أن القارة تعتبر القارة الاخيرة التي لم تمسح مسحاً جيولوجيا دقيقاً حتى الآن وبالتالي فان هناك امكانيات كثيرة

ما زالت لم تكتشف بعد داخل هذه القارة الافريقية ثم يشير الى فحم باعتباره من دعائم الصناعة ويوزع هذا المعدن فى المناطق المنتجة له فى قارة افريقيا وخاصة فى جمهورية جنوب افريقيا وفى زيمبابوى، وأيضا فى نيجيريا- كذلك يشير الى البترول باعتباره من مصادر الطاقة الأساسية فى الدول المنتجة وخاصة فى الجزائر ونيجيريا ومصر والجاون وتعتبر مراكز تكرير البترول من الصناعات الأساسية فى قارة أفريقيا. وتوجد خامات مختلفة بالقارة أهمها النحاس والحديد والذهب والقصدير والماس ومن ثم قامت بعض بعض الصناعات الاستخراجية وكذلك الصناعات الاخرى المتمثلة فى صناعات الأخشاب وخاصة فى منطقة غرب ووسط أفريقيا، أما عن مستقبل التصنيع فى القارة الافريقية فإنه ليس هناك من شك فى أن القارة تلعب دوراً كبيراً كمصدر أساسى من مصادر الطاقة والمعادن على مستوى العالم، ومثال ذلك انه فى عام ١٩٦٠ كان انتاج القارة من البترول ١٪ من الانتاج العالمى لكنه وصل الان الى حوالى ١١٪ وتستورد قارة اوربا حوالى ٣٠٪ من بترولها من القارة الافريقية أن القارة يوجد بها احتياطى بترولى يصل إلى ما هو موجود فى الاتحاد السوفيتى وشرق اوربا والصين مجتمعة- وأكثر من ذلك فان انخفاض نسبة السلفور فى البترول الافريقى يجعله أكثر أهمية بالنسبة للسوق العالمى عن بترول الشرق الأوسط.

كذلك فان أفريقيا تتميز بوجود الغاز الطبيعى على نطاق واسع وتعتبر الجزائر المصدر الأول الهام لهذا المعدن، كما أن تدفق الغاز بدأ فى مصر فى العقد الأخير.

ومن المتوقع أن يصبح الغاز الطبيعى المصدر الاساسى للعمله الاجنبية فى اكثر من البترول -حيث يصدر الغاز الطبيعى المسيل (السائل) Liquified إلى الولايات المتحدة وأوربا ويكون هذا الغاز حوالى ٨٪ من مجموع الغاز الطبيعى الذى يدخل فى التجارة الدولية، وعلى الرغم من أن نسبة الاحتياطى من الفحم ضئيلة على مستوى القارة وهى حوالى ١٪ إلا أن أسعاره فى افريقيا لاتزال منخفضة.. ولهذا فإنه يمكن أن يكون من المعادن الأساسية التى يمكن أن

تصدر الى الخارج- أما بالنسبة للطاقة النووية فان جمهورية جنوب افريقيا تمتلك الاحتياطي الثانى الضخم على مستوي العالم من اليورانيوم ويمكن أن يغطى هذا الاحتياطي ثلث احتياجات العالم كله.

وفيما يلي نبذة عن كل من الصناعة الأولية (الاستخراجية) والصناعة التحويلية

أولاً: الصناعة الاستخراجية : الانتاج المعدني

ترتبط الثروة المعدنية ارتباطاً وثيقاً بالتكوين الصخري للقارة الافريقية حيث نجد أن الصخور الاركية القديمة تضم المعادن الفلزية مثل الذهب والنحاس وغيرها .

اما الصخور الحديثة فانها تضم المعادن اللافلزية مثل البترول والفسفات وغيرها وبناء على ذلك فان القارة الافريقية نظراً لانها تكونت اساساً من الصخور الاركية القديمة فان معظم المعادن الموجودة بها معادن فلزية وتفتقر للمعادن اللافلزية Non-Metallic وان كانت هذه المعادن اللافلزية تتركز بوضوح على هوامش القارة الافريقية التي تكونت فيها الصخور الحديثة ويأتي التعدين في المرتبة الثانية بعد الزراعة من الأنشطة الاستخراجية Extractive من حيث قيمة الانتاج، ويشغل في هذا القطاع اكثر القطاعات الاقتصادية الافريقية تنظيمياً وتركيزاً على رأس المال في كل فروع الاقتصاد النقدي، وقد بدأ هذا النشاط التعدين في القارة منذ زمن بعيد ولكنه اخذ قيمته الاقتصادية على نطاق واسع منذ ان دخل الاستعمار الاوربي الى القارة الافريقية.

ومن ناحية أخرى فان هذا النشاط التعدينى لايتوزع توزيعاً منتظماً على جميع ارجاء القارة اذ انه يتركز بصفة عامة في الجزء الجنوبي والوسط من افريقيا، وكذلك على الهوامش الشمالية ويقع صغيرة في غرب افريقيا .

اما بالنسبة للاجزاء الشرقية والغربية والجزء الاوسط الغربى فان هذا النشاط ضئيل الى حد كبير والدليل على ذلك اننا نلاحظ ان حوالى ثلاثة ارباع القيمة الكلية من الانتاج المعدني الافريقى يتركز في كل من جمهورية جنوب افريقيا وتامبيا وزيمبابوى وزامبيا وزائير، وتكون جنوب افريقيا وحدها حوالى ٥٠.٢ من القيمة الكلية من الانتاج المعدني في افريقيا .

اما بالنسبة لافريقيا ككل فان الانتاج المعدنى يصل الى حوالى ٣٦٪ من القيمة الكلية للصادرات وفى افريقيا المدارية تكون هذه القيمة حوالى ٣٠٪ فقط. وتساهم افريقيا فى الخامات المعدنية والمعادن الخردة Scrap بنسبة لا بأس بها فى الصادرات العالمية.. وفيما يلى بعض الامثلة التى توضح اهمية افريقيا فى هذا المجال:-

(١) النحاس

يعتبر النحاس من المعادن الهامة التي تعدن في القارة الافريقية ويمثل النحاس المركز الثاني في الصادرات الافريقية بعد البترول، وهناك دول كثيرة تنتج هذا المعدن وخصوصا دولة زامبيا التي يوجد فيها النحاس على شكل نطاق Belt ويعتبر هذا النطاق امتداداً لمخزن المعادن الموجودة في شابا، وتحتل زامبيا المركز الثالث في انتاج النحاس بعد الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي إذ تنتج حوالي ١٣٪ من الانتاج العالمي، ونسبة النحاس في الخام مرتفعة تتراوح ما بين ٥.٢ ويضاف إلى ذلك أن المنطقة تحتوى على احتياطي ضخم من هذا الخام.

أما بالنسبة لزائير فانها تنتج حوالي ٦٪ من الانتاج العالمي أي نصف انتاج زامبيا تقريبا، ولذلك فانها تأتي في المرتبة السادسة في انتاج النحاس على مستوى العالم ويتركز الانتاج كما سبق ان أشرنا في منطقة شابا على شكل نطاق يبلغ طوله حوالي ٢٠٠ كم في اقصى الجنوب الشرقي من زائير، ومعنى ذلك ان الموقع يشكل عقبة أمام تصدير هذا المعدن الأمر الذي أدى الى انشاء خط السكة الحديد الذي يصل من هذه المنطقة إلى لوبيتو في أنجولا على الساحل الغربي والي ببيرا (في موزمبيق) على الساحل الشرقي فكان لهذا الخط الحديدي أثره الواضح على زيادة الصادرات سواء من شابا أو من نطاق النحاس في شمال زامبيا، ولكن قبل استقلال كل من أنجولا وموزمبيق كانت هناك اضطرابات بالنسبة لعملية التصدير خصوصا وان زامبيا وزائير استقلتا قبل استقلال هاتين الدولتين يضاف الى ذلك ان هذا الخط المتجه نحو المحيط الهندي كان يمر عبر روديسيا التي كانت تسيطر عليها العناصر البيضاء قبل استقلال هذه الدولة التي أصبح اسمها فيها بعد زيمبابوى.

وبجانب زامبيا وزائير تنتج أيضا زيمبابوى وجمهورية جنوب افريقيا كميات من النحاس. ويلاحظ على انتاج النحاس في القارة الافريقية انه يرتبط ارتباطا وثيقا بالتكوين الصخري القديم إذ أن النحاس من المعادن الفلزية.

(٢) البوكسيت

وهو من الخامات التي تنتشر على نطاق واسع في القشرة الأرضية ولكن استغلال هذا الخام وتحويله الى معدن الالوميت ثم الالومنيوم ظل حتى وقت قريب سراً مغلوقا الى أن توصل الى ذلك احد العلماء واستطاع ان يستخلص المعدن من الخام ولكن ليس كل منطقة فيها هذا الخام يمكن أن تستخلص المعدن وهذا يرجع إلى أن عملية الاستخلاص تحتاج الى الكهرباء الرخيصة بشكل واضح ومن ثم فقد ارتبط استخلاص هذا المعدن بوجود الكهرباء الرخيصة.

وبناءً على ذلك فقد دخلت افريقيا فى مجال الانتاج الحديث واهم الدول المنتجة غينيا حيث تقع مناطق الانتاج فى الداخلى بعيدا عن كوناكرى العاصمة.

كذلك يوجد الخام فى الجزر الساحلية المجاورة خصوصا كاسا Kassa وقد استغل الخام اعتمادا على الكهرباء المولدة من الانهار التى تهبط من منطقة هضبة فوتا چالون نحو المحيط الاطلنطى.

كذلك يوجد البوكسيت فى غانا على شكل نطاق ممتد من الساحل الى الداخلى وأهم ما فى مناطق هذا الخام تلك التى تقع الى الغرب من كوماسى وقد استغل المعدن أيضا نتيجة لتوليد الكهرباء من سد الفولتا الذى اقيم على هذا النهر وينقل بالسكة الحديد الى ميناء تاكورادى من اجل التصدير.

(٣) القصدير

عرف القصدير منذ فترة طويلة من الزمن لصناعة البرونز، وتعتبر منطقة افريقيا الوسطى أهم مناطق انتاج القصدير فى افريقيا وخصوصا فى زائير ورواندا بالاضافة الى نيجيريا حيث تنتج هذه المنطقة حوالى ٩٪ من الانتاج العالمى ولكن يلاحظ ان هذا الخام يصدر كما هو دون تصنيع فى الداخلى.

(٤) الفوسفات

وهو من المعادن اللافلزية ولذلك فان وجوده يرتبط ارتباطا وثيقا بالصخور الرسوبية الحديثة، وينتشر على نطاق واسع فى القشرة الارضية، ويتركز انتاج الفوسفات فى افريقيا فى منطقة المغرب خصوصا فى المملكة المغربية وتونس حيث يكونان حوالى ١٧٪ من الانتاج العالمى، وتنتج المملكة المغربية وحدها حوالى ١٣٪ وهى بهذا تحتل المرتبة الثالثة بعد الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى.

كذلك تنتج مصر كميات لاباس بها ومن الملاحظ ان احتياطى المغرب يشكل نسبة عالية من احتياطى العالم.

(٥) الفحم

افريقيا فقيرة فى انتاج الفحم ولكن توجد مصادر اخرى للطاقة اهمها البترول والطاقة الكهربائية المولدة من المياه، وتعتبر جمهورية جنوب افريقيا أعظم الدول الافريقية فى انتاج الفحم، وقد زاد انتاجه فى السنوات الاخيرة حتى وصل الانتاج الي مايقرب من ٢٠.٥٪ من الانتاج العالمى، وتساهم الترانسفال بأكثر من نصف الانتاج فى هذه النولة ويوجد اهم الحقول بالقرب من جوهانسبرج الى الشرق من ناتال، وسلك الخام هنا كبير لدرجة واضحة، وهو من النوع البتومينى الجيد وبالتالي فانه يصلح لاستخراج الكوك منه والذي يعتبر من الخامات الضرورية لصناعة الحديد والصلب، ولذلك قامت فى منطقة جوهانسبرج صناعة متقدمة تعتمد على هذا الفحم وهى صناعة الحديد والصلب التى تتركز بالاضافة الى جوهانسبرج فى برييتوريا وغيرها.

كذلك توجد التكوينات الفحمية فى ناتال على حافة وراكزبرج ويستخرج الفحم هنا حول مدينة نيوكاسل الواقعة الى الشمال الغربى من ميناء دربان بحوالى ٤٠٠ كم، وتمتاز مناجم نيوكاسل بفحم الكوك الجيد الذى يخلط بفحم الترانسفال، كذلك نجد الفحم فى روديسيا (زيمبابوى) حيث يوجد على نطاق

وأوسع فى حقل وانكى ولهذا الحقل أهمية كبيرة حيث قامت على الفحم صناعة الحديد والصلب لحديثة فى مدينة كويكى Queque التى تقع فى الجزء الاوسط من زيمبابوى.

كذلك يوجد الفحم فى نيجيريا حيث يوجد فى حقل صغير فى منطقة إنوجو الواقعة على الخط الحديدى شمال ميناء بورت هاركورت Harcourt.

وكما أن أفريقيا ذات انتاج ضئيل من الفحم فانها ايضا لاتحوى من الاحتياطى الا كميات ضئيلة لاتزيد عن ١.٥٪ فقط من الانتاج العالمى.

(٦) البترول

يعتبر البترول من المعادن الرئيسية التى تنتجها افريقيا، ويرتبط وجود البترول بوجود الصخور الرسوبية الحديثة ولذلك فانه يتركز فى الاجزاء الهامشية من القارة وقد زاد انتاج افريقيا من البترول فى خلال العقد الماضى (السبعينيات) على وجه الخصوص حيث انضمت الى مصر وليبيا والجزائر دول افريقية اخرى هى نيجيريا وجابون وانجولا ورغم التقلبات العالمية فى الأسعار التى تنعكس بدورها على كميات الانتاج البترولية فاننا نلاحظ انه فى الفترة الاخيرة زادت معدلات الانتاج بشكل واضح واهم مناطق الانتاج هى ليبيا والجزائر ونيجيريا وجابون وانجولا بالاضافة الى مصر.

ومن الملاحظ على انتاج البترول فى دول شمال افريقيا أنه يتركز فى المناطق الصحراوية التى كانت فى الماضى جزءا من بحر التتس القديم وعن الارسابات البحرية والبرية فى هذا البحر الضحل تكون خام البترول.

كذلك نجد أن بترول نيجيريا يتركز فى الاجزاء الهامشية الساحلية منها خصوصا فى الجزء الجنوبى الشرقى من هذه النولة.

لذلك نجد البترول فى جابون وفى أنجولا، وقد عرض البترول نقص الفحم فى القارة الافريقية ولكن من الملاحظ ان معظم البترول يصدر على هيئة مادة خام نون الاستفادة الاقتصادية المرجوه من هذا المعدن الحيوى الهام.

وبجانب المعادن السابقة فان افريقيا تنتج كميات كبيرة من معادن اخرى بل قد تحتل المرتبة الاولى بالنسبة لهذه المعادن حيث نجد ان قارة افريقيا تساهم بحوالى ٧٠٪ من الانتاج العالمى من الذهب الذى يتركز فى جمهورية جنوب افريقيا التى تنتج حوالى ٧١٪ من الانتاج العالمى باستثناء الدول الشيوعية.

كذلك نجد أن افريقيا تكاد تحتكر انتاج الماس على مستوى العالم حيث تنتج حوالى ٩٣٪ من الماس الذى يستخدم فى الزينة، ٩٨٪ من الماس الذى يستخدم فى الصناعة.

ايضا تنتج افريقيا كميات ضخمة من اليورانيوم الاستراتيجى الهام ويتركز الانتاج فى منطقة شابا التى تنتج وحدها حوالى نصف الانتاج العالمى هذا بالاضافة الى جمهورية جنوب افريقيا وجابون.

ومن الملاحظ ان انتاج اليورانيوم يرتبط بانتاج الذهب، ولكننا فى نفس الوقت لابد أن نلاحظ ان الاحصائيات الخاصة بمثل هذه المعادن الاستراتيجية غير حقيقية لان الشركان الاجنبية التى تقوم بالانتاج تخفى حقيقة الاوضاع بالنسبة لهذا المعدن وغيره من المعادن الممثلة.

كما نجد أن المنجنيز يوجد فى القارة بشكل لا بأس به حيث تساهم افريقيا بحوالى ٢٠٪ من الانتاج العالمى، وتكاد تحتكر غانا هذا الانتاج اذ انها مع جابون تصدر حوالى ثلث الصادرات الافريقية، ومن المعروف أن هذا المعدن له أهمية كبيرة فى صناعة الحديد والصلب.

وبالإضافة الى كل ما سبق فان افريقيا غنية فى خام الحديد حيث تنتج حوالى ٨٪ من خام الحديد العالمى وتشير الدلائل الى أن القارة الافريقية سوف يزداد انتاجها من هذا المعدن الهام واكبر الدول انتاجا للحديد هى ليبيريا وجمهورية جنوب افريقيا وموريتانيا وكذلك يوجد فى انجولا وفى سيراليون وفى الجزائر وغينيا ومصر.

والخام الافريقي من الخامات الجيدة حيث يتراوح المعدن فى الخام ما بين ٥٢٪ الى ٦٦٪ كما ان نسبة الشوائب من الكبريت والفسفور منخفضة كما ان معظم الخام ينتج عن طريق الفتحات المكشوفة نظرا لوجود هذا الخام على سطح الارض، وبالتالي يقلل هذا من تكاليف الانتاج، ويلاحظ على هذا المعدن ان بعض الدول الافريقية هى التى تقيم عليه صناعة الحديد والصلب نظرا لتوافر العوامل الاخرى اللازمة وأهمها فحم الكوك والمنجنيز والجير والمياه الوفيرة بالاضافة الى الايدي العاملة الفنية المدربة، ولذلك نجد أن جمهورية جنوب افريقيا تعتبر الدولة الرائدة فى مجال صناعة الحديد والصلب، وأيضا مصر الذى قامت فيها هذه الصناعة. اما بقية الدول الاخرى فانها تصدر الخام بعد تركيزه نظراً لعدم توفر العوامل الاخرى.

ثانيا: الصناعة التحويلية

تعتمد الصناعات التحويلية فى أفريقيا على مجموعة مختلفة من العوامل أهمها: البنية الأساسية الملائمة، إمكانية توفر الأيدي العاملة الفنية من العمال المهرة والمهندسين، السوق الواسعة فى القوى الشرائية، الاستثمارات المتزايدة.

والى جانب جمهورية جنوب أفريقيا المتقدمة صناعيا عن غيرها من دول القارة، توجد بعض الدول الأخرى -فى مجال الصناعات التحويلية التى تتركز فى عمليات الانتاج الأولى وغيرها من الصناعات- توجد زمبابوى، مصر، وأهم هذه الصناعات طحن البن، واستخراج زيت النخيل، وإعداد الأخشاب، وتعليب الأسماك وغيرها، وفى معظم أفريقيا المدارية يوجد تزايد كبير فى الصناعات الغذائية.

ونلاحظ تزايد استخراج زيت النخيل- فى بنين وساحل العاج والسنغال، والكمرون. كما أن زائير وملاياش يوجد بهما صناعة تكرير السكر، بينما نجد تزايدا لصناعة طحن الدقيق فى عديد من الدول الأفريقية نتيجة لتزايد الحاجة الى منتجات الدقيق بالاضافة الى ماسبق تنتشر صناعة الغزل والنسيج والملابس سواء من جانب الشركات الوطنية أو الأجنبية. كما ان هذه الدول الأريقية تشجع أيضا الصناعات المتعلقة بالتشييد والبناء والمعادن والمطاط. ولكن معظم هذه المنشآت ذات أحجام صغيرة أو متوسطة الحجم باستثناء مصانه صهر الخامات المعدنية، وتجهيز الأخشاب والقشرة وبعض المصانع المرتبطة بصناعة النسيج.

جذور الحضارية الأفريقية « نموذج شمال إفريقيا »

د. فاتن محمد البنا

استاذ مساعد

بقسم الجغرافيا

معهد البحوث والدراسات الأفريقية

١٩٩٧

رغم أن موضوعات الحضرية الأفريقية حديثة التداول ومليئة بعلامات الاستفهام، إلا أن الثابت أن مواقع معينة من القارة قد شهدت نماذج حضرية أكيدة، ورغم أن الحضرية فى معظم القارة لها سمات القرن العشرين، إلا أن للقارة تاريخ طويل فى النمو الحضري والحضرية.

وتختلف الحضرية الافريقية كثيراً نتيجة تشابك المؤثرات خلال القرون حيث تداخلت المؤثرات الوطنية الافريقية مع المؤثرات العربية الاسلامية، والمؤثرات الأوربية فى كثير من الأحيان لتخلق نمطاً حضرياً افريقياً مميزاً. ويشير "ستوك Stock" إلى أن الحضرية الأفريقية يمكن التعرف عليها من خلال المحيط البيئى، وأختلاف الموارد التى أثرت فى نموها من ناحية، ومن خلال التاريخ السياسى والاقتصادى لكل مجتمع وكل إقليم من ناحية أخرى (Stock, 1995:193)^(١) ويؤكد "حمدان" أن المدينة الافريقية ليست اضافة أوربية من فيض الرجل الابيض ولكنها ثمرة التفاعل بين التراث الافريقى الأصيل والطارئ الأوربى الدخيل، وهى بذلك على أسواء تقدير مخلوق خلاسى وتركيب مزجى يجمع بين التقاليد والتقليد، والخلق الافريقى والنقل الأوربى (جمال حمدان: ١٩٦٦: ١٣٢)(٢).

والمدينة فى افريقيا ليست ظاهرة حديثة، بل ترجع فى نشأتها إلى عهود بعيدة، ارتبطت بإستيطان الانسان السهول الفيضية الزراعية، فى الشرق الأوسط.

ويشير "هانس Hance" إلى أنه رغم كثرة عدد المدن التى نشأت بالقارة حتى الحرب العالمية الأولى، الا أن نمو السكان بالمدن الافريقية حتى هذه الفترة كان فى معظمها بطئ، ولم تظهر المدن ذات الاحجام الكبيرة (نسبياً) إلا فى شمال وجنوب القارة. وقد اصبح النمو السكانى السريع والتضخم من السمات المميزة لمعظم المدن الافريقية فى العصر الحديث وأصبح التحضر Urbanization يتم بمعدلات كبيرة فى دول القارة مثلما يحدث بالدول التى أخذت بأساليب التنمية منذ عهد قريب. (Hance W., 1970:216)^(٣).

وتهدف الدراسة الى القاء الضوء على نشأة المدن الافريقية وتطورها فى العهود المختلفة، وتحليل نمط التباين الاقليمي لتلك النشأة لدحض الفكرة القائلة بأن أفريقيا لم تعرف ظاهرة المدن قبل مجئ الاستعمار الأوربي، فالحضرية الافريقية ليست بالقطع اضافة أوربية، وليست نتاج الاتصال أو الاستعمار الأوربي فقط بل هى نتاج العديد من المؤثرات.

وقد تناولت الدراسة الاختلافات والتباينات الاقليمية ومدى تلقيها للمؤثرات الحضرية عبر الزمن، والذي نتج عنه أن اجزاء من القارة شهدت مولد المراكز الحضرية، أو حتى تعرضت للارهاصات الحضرية قبل غيرها، فالمدينة الافريقية مثل باقى مدن العالم الثالث ليست منفردة Single وليست مجموعة متشابهة Homogeneous Group، وتختلف ديناميكياتها الداخلية Internal dynamis مثل علاقاتها الخارجية External Relation اختلافا كبيرا من اقليم إلى آخر. (Hartshorn, T.,A., 1992:47) (٤).

وتعد افريقيا اليوم أقل قارات العالم تحضرا، ورغم ذلك فقد عرفت المدن قبل أقاليم كثيرة من العالم، ويحلو للبعض الربط بين الحضرية واستعمار القارة، وهى رابطة لاينهض عليها اى دليل، إذ أن الدلائل العلمية تشير الى أن القارة قد عرفت منذ العصور التاريخية العديد من المدن التى تعددت أنماطها.

والدراسة الحالية، ترمى الى اثبات هذه الحقيقة، إضافة الى تحليل الحضرية الافريقية القديمة تحليلاً جغرافياً ضمن إطار جغرافية المدن التاريخية Historical Urban Geography وسوف نرى، كما هو الحال فى التوزيع الحديث لمراكز الحضرة الافريقية، انها تتصف بتوزيع غير متساو Uneven من الناحية الاقليمية، وذلك بتأثير النواحي الطبيعية والاقتصادية والحضارية التى تقف وراء هذا التوزيع. ومعنى ذلك. أن مناطق من القارة، إستأثرت بكثافة حضرية وشبكة مدنية أكبر من غيرها، وسيوضح ذلك فى تحليل الموضوع.

نظرة تاريخية:

يُرجع "رودز مورفي" بنور الحضرية في مصر والعراق الى ٤٠٠٠ سنة قبل الميلاد، وذلك بحكم تأثير النيل والفرات ودجلة، إذ أن توزيع المدن عكس محاولتها الاستفادة بقدر الامكان من الجبهة المائية، كما أنها إحتلت مواضع ومواقع تتيح لها سهولة توزيع السلع والخدمات في اقليمها (Murphy, 1970:25-6)^(٥) وفي افريقية، تختلف ظروف نشأة المدن باختلاف الاقاليم، ومن أهم الملامح المرتبطة بنشأة المدن الافريقية وخاصة في شمال افريقيا (مصر) كانت ظروف سيادة الجفاف، واضطرار الجماعات المتجولة الى الاستقرار بجوار المجارى المائية، ثم معرفة الزراعة، وتوفر الفائض مما أتاح ظهور اشكالا حضرية عديدة (محمد مدحت جابر: ١٩٨٥ : صفحات متعددة).

وفي اجزاء افريقية أخرى، أجبر الجفاف العديد من الزراع والرعاة فيما بين سنة ٥٠٠٠ - ٢٠٠٠ سنة قبل الميلاد إلى النزوح إلى مناطق أكثر ملاءمة في النطاق السودانى عند الحافة الجنوبية للصحراء الكبرى، إذ تشير الأدلة الأثرية إلى وجود مجتمع زراعى ورعوى فى موقع ديما Daima وغيره فى شمال نيجيريا، ازدهر منذ الألف الأولى ق.م، كذلك وجد إلى الغرب من Dhartichitt فى موريتانيا ما يدل على وجود مجتمعات منتجة للغذاء فى وقت مبكر، وقاموا أيضا برعى الحيوان، وعاشوا فى قرى صخرية حوالى سنة ١٢٠٠ ق.م، وعرفوا زراعة الدخن Millet وزاد عددهم مع الاستقرار بسرعة، ووصلوا لقمة عددهم فى عام ٨٠٠ ق.م، ووجد قطاع سكانى منهم سكن المدن الكبيرة جيدة التشييد، والتي يرى الأثريون انها كانت لها علاقات تجارية مع جماعات Garamantes فى فزان بليبيا (Lamphear & Falola; 1995:81)^(٦)، ومع تزايد الجفاف، اجبر هؤلاء على النزوح وهاجروا إلى مناطق اخصب فى الجنوب، وهناك أدلة على وجود نظام إدارى وزراعى قوى وجد فى هذه المدن الصخرية، وأتاح الفائض الزراعى تدعيم الحياة الحضرية والنمو السكانى وقيام حياة اقتصادية واجتماعية، وهذه المجتمعات هى التي كونت بنور الحضرية من غرب

افريقيا فى النطاق السودانى، وعملت هذه التطورات على قيام كيانات سياسية فى المدينة قادرة على وقف زحف البدو من الشمال الطارد، مما كثف الحاجة للسلطة، وعزز العلاقات التجارية والتي ظهرت بوادرها فى هذا النطاق فى الألف الأولى قبل الميلاد (Lamphear and Falola; 1995:81)^(٧).

وتجدر الإشارة إلى انه ليس من السهل دائما فى كافة أنحاء افريقيا تتبع تلك الارهاصات الحضرية، فإن العديد منها قد اختفى بفعل الزمن كما تشير إلى ذلك مهريتو (Mehretu, 1983:244)^(٨).

أما شرق افريقيا فقد نُظر اليه دائما كما يشير "أبونجو" على أنه تلقى تأثيرات خارجية فى وقت مبكر، وعمق فيه التأثير العربى والفارسى على وجه الخصوص (Abungo and Mutora, 1993:695)^(٩) وقد كانت المحلات الباكرا فى الساحل الشرقى لأفريقيا تجنح لأن تحتل مواضع دفاعية كالجزر مثل ماندا وباتى Pate وكانت هذه المحلات القديمة هى نوايا الحضرية فى شرق افريقيا والتي تأثرت بالمؤثرات الخارجية بشدة كما أسلفنا، لدرجة أن نظر الى الساحل الشرقى لإفريقيا على أنه ينظر إلى البحر ومنفصل عن افريقيا Sea-Facing, Cut from the African Continent، أو انه إحدى مقاطعات الشرق الأوسط، أى انه غريب عن افريقيا (Chittick and Rotberg, 1975)^(١٠).

ويرى كل من "ابونجو وموتورو"، أن بنور الحضرية فى هذا الساحل كانت فى صورة محلات عمرانية تسمى ماكايا Makaya (المفرد Kaya) أقامتها جماعات Mijikenda وكانت لها طبيعة دفاعية Fortified Settlements جنحت لأن تأخذ أحيانا مواقع داخلية بعيداً عن الساحل فى منطقة الغابات فى ظهير الساحل الكينى (Abungo & Mutoro, 1993:699)^(١١).

وفى القسم الجنوبي والأوسط من افريقيا، كانت هناك ايضا ملامح باكرا للمدن، وخاصة حول مدينة زيمبابوى الكبرى، أى العاصمة لنفس المملكة، (Sinclair, et al, 1993:705)^(١٢).

خلاصة القول أن افريقيا عرفت المدن فى فترة مبكرة، وانها اى افريقيا، حين وصل الأوربيون كانت حضارة المدن تغطى نصفها على الاقل (جمال حمدان -١٩٦٦:١٣٢) (١٣)، ولكى نكون صورة مكانية عن المدن الأفريقية قبل وصول المستعمر، فلا بد من العرض الاقليمي لمراكز الحضرة على صفحة افريقيا لنتبين أهم الملامح المتضمنة من الناحية الجغرافية، ووجه التشابة والاختلاف التى أملتها البيئة الجغرافية فى كل إقليم من أقاليم القارة، ونظراً لاتساع نطاق هذا الموضوع، وتعدد الاقاليم الافريقية، فسوف تبدأ الباحثة بتناول شمال أفريقيا كنموذج إقليمى نشأت به أقدم المراكز الحضرية بالقارة، تتبعه دراسة تفصيلية لباقى اقاليم القارة الافريقية.

مدن شمال افريقيا (محور وادى النيل والقرن الافريقى)

المدينة فى البداية والأصل من صنع الشرق الأوسط القديم بعامة وقطاعة الأفريقى بخاصة، وإذا ذكرت افريقيا، ذكرت بلدانها ذات الحضارة القديمة الفيضية وعلى رأسها مصر، والتى عرفت الاستقرار والتحضرة منذ القدم، ولعل أقدم المدن التى نشأت فى مواطن حضارات العالم هى تلك التى نشأت فى مصر (احمد على اسماعيل، ١٩٩٠:٤١) (١٤)، أى أن المدن المصرية هى من أقدم المدن فى العالم، وأقدمها فى افريقيا بلا نزاع، ساعد على قيامها تلك الحضارة الزراعية التى يسررتها الثورة المائية Hydraulic revolution، كما أوضح "بوتزر" Butzer " (Butzer K., 1976:11-34) (١٥) وإذا صحت آراء العالم ساور Souer عن مواطن الزراعة وانتشارها فإن هذه المجتمعات الزراعية الحضرية Agricultural Urban Societies تكون قد ظهرت منذ فترة تتراوح بين ٤٠٠٠-٥٠٠٠ سنة فى كل من الشرق الأوسط والصين (فتحى محمد ابو عيانه: ١٩٩٦:٧٨) (١٦).

العوامل التى أثرت على الحضرية المصرية:-

١ - لقد لعب وادى النيل دوراً محورياً فى تاريخ الحضرية فى مصر، حيث ارتبط توزيع العمران منذ البداية بالمعطيات الطبيعية فى الوادى والدلتا، وكان

لاتساع السهل الفيضى وحجم احواض الرى دورها الكبير فى توزيع السكان وكثافتهم وبالتالي كثافة المحلات العمرانية، ويعد الفرق فى التطور العمرانى بين الوادى والدلتا واضحاً منذ البداية، وبدا ذلك فى عدد المقاطعات وحدودها التى كانت أكثر ثباتا عبر التاريخ فى الوادى عنها فى الدلتا المتغيرة نتيجة تحول المجارى والفروع النيلية واستصلاح الأراضى مما أثر على العمران وعدل من الحدود كثيراً (محمد مدحت جابر، ١٩٨٤: ٢٣، ٧٨) (١٧).

وعندما قام بوتزر Butzer بتصوير الشبكة العمرانية فى مصر فى الفترة من حوالى ٢٢٠٠ ق.م الى ٢٢٢ ق.م أى فى عهد الاسرات، حدد هذه الشبكة فى مصر العليا ومقاطعة منف لكونهما الأكثر ثباتا واستقرارا عمرانيا عبر التاريخ، ومن خلال محاولة بوتزر الافتراضية لتصوير الشبكة العمرانية فى مصر العليا وجد أن هذا النطاق ضم مايقرب من ١١٩ مركزا عمرانيا حضريا و١٨٧ قرية كبيرة، ومن بين المراكز العمرانية الحضرية هناك ١٨ مدينة كبيرة الحجم هى عواصم النومات فى مصر العليا (المقاطعات) منها شطب واخميم واطفيح والكاب وإدفو والفنتين وقفت وهو وغيرها (Butzer, 1976:74-75) (١٨).

٢ - كذلك لعب العامل الإدارى والسياسى دورا كبيرا فى الحضرية المصرية، حيث كانت مصر مقسمة إلى مقاطعات مستقلة منذ فجر التاريخ ثم اصبح للوجة البحرى مقاطعاته والقبلى مقاطعاته، وكانت المقاطعة وعاصمتها تمثل الخلية الأولى للتكوين السياسى والإدارى والروحي لمصر الفرعونية.

وقد عرفت مصر مدن العواصم نتيجة لاندماج واتحاد المقاطعات المصرية منذ فجر التاريخ، فظهرت على سبيل المثال مدينة بحدت (قرب دمنهور) عاصمة للوجة البحرى، ونقادة (قرب قفت) عاصمة للوجة القبلى، كذلك كانت بوتو (قرب دسوق) عاصمة للشمال، ونخن (شمال ادفو) عاصمة للجنوب، إلا أنه مع بداية الوحدة الدائمة لمصر فى ٢٢٠٠ ق.م، ومع بداية عصر الاسرات ومع التوحيد وتكوين الدولة ظهرت المدن العواصم. فعرفت مصر العواصم السياسية، التى كان لها اشعاعها الثقافى والدينى (محمد فتحى مصيلحى، ١٩٨٨: ٢٨) (١٩).

ومن أشهر المدن التي اضطلعت بدور العاصمة السياسية مايلي :-

برزت "هليوبوليس" كعاصمة لمصر ينظر لها على أنها رمز الوحدة (أنشأت قبل اختيارها عاصمة في ٤٢٤٠ ق.م) وتعد مدينة أولى Primate City، ومركزاً لعبادة إله الشمس في مصر، وبالإضافة إلى أهميتها الدينية والثقافية كان لها الدور والأهمية التجارية عن طريق استقبال تجارة أسيا عبر برزخ السويس (محمد السيد غلاب: ١٩٧٢: ٤٠٨: ٤١٠) (٢٠).

وجاءت "منف" عاصمة مصر المركزية (الحائط الأبيض) معبرة عن فهم عميق من قبل فرعون مصر (مينا) لمزايا الموقع والموضع، حيث حقق الموقع مزايا سهولة الاتصال بين الشمال والجنوب والربط بينهما، وكان اختيار موضع العاصمة على الضفة الغربية لمجرى النيل عند رأس الدلتا معبراً عن ميزة استخدام النيل كفاصل جغرافي له شأنه في رد هجمات بدو الصحراء الشرقية وبدو شرق الدلتا عن العاصمة، ويشير "جيمس بيكي" إلى أن "مينا" مؤسس مدينة منف لم يقنع بميزات الموضع الطبيعية، ولكنه أضاف إلى هذه الخصائص خصائص جديدة من صنع الإنسان لتصبح العاصمة أكثر قدرة على الدفاع عن نفسها ضد المغيرين، فعدل في الموضع، وربطها بالقنوات ودعم جسور النيل (جيمس بيكي-١٩٦٣: ٢٠١ - ٢٠٢) (٢١).

وظلت منف عاصمة مزدهرة ذات سلطة طاغية وذات مركزية واضحة حيث اختيرت ثلاث مرات لتكون عاصمة للدولة خلال عمر الوحدة المصرية الدائمة، في العصر الفرعوني الذي يمتد من ٢٢٠٠ إلى ٢٢٢ ق.م، واستمرت منف تحكم مصر لثمانية قرون تقريباً (٧٧٨ عام)، ولكن في فترات متقطعة وغير مستمرة، كما كانت مقر القيادة العسكرية وتكنات الجيش في فترات حكم عواصم مصرية أخرى. (فتحي مصيلحي: ١٩١٨: ٥٧-٥٩) (٢٢).

وتعد "اهناسيا" (عند مدخل الفيوم) من المدن المصرية التي ظلت طوال فترة حكم الاسرة التاسعة والعاشره عاصمة لمصر، وأظهرت خلال هذه الفترة نفوذاً ثقافياً كبيراً تعدى في بعض الأحيان حدود البلاد (محمد مدحت حابر-١٩٨٤: ١٢٨-١٢٩) (٢٣).



شكل (١) المصدر: فتحي مصيلحي خطاب - تلمود العاصمة المصرية والقاهرة الكبرى
القاهرة - ١٩٨٨ - ص

ويرجع البعض نشأة طيبة إلى ٢٠٠٠ ق.م (فتحي ابو عيانة، ١٩٩٦: ٨٤) (٢٤)، او ترجع فى نشأتها إلى الاسرة الاولى ممثلة فى نواة المدينة وقلبها القديم الواقع بين معبدى الأقصر والكرنك شرق النيل وبين ذراع أبو النجا ومدينة هابو على الشاطئ الغربى، وأصبحت طيبة عاصمة لمصر خلال حكم الأسرة الحادية عشر، وحكم الاسرة الثامنة عشر، وهى بذلك بنيت فى فترة أقدم من الفترة التى اختيرت فيها كعاصمة، وقد اختيرت طيبة عاصمة الدولة اربع مرات، وقدرت فترة حكمها كعاصمة ب ٤٠٢ سنة (فتحي محمد مصيلحي، ١٩٩٨: ٣١) (٢٥)، وامتد نفوذ طيبة العاصمة (فى عهد الاسرة الثامنة عشر) السياسى والتجارى والحربى خارج حدود مصر إلى العالم المعروف آنذاك عاكسا قوة السلطة المركزية للدولة.

تعد "اواريس" من عواصم مصر الشمالية المتطرفة (عند اطراف الدلتا الشرقية) وقد نشأت عاصمة لمصر فى عهد الاسرة الخامسة عشر واستمرت حتى حكم الاسرة الثامنة عشر (استمرت عاصمة لمصر أكثر من مائة عام اثناء حكم الهكسوس) وموضع اواريس الذى تدخل فى اختياره قوى خارجية كان يهدف إلى تحقيق الحماية فى المقام الأول حيث اقيمت المدينة فوق كتبان رملية تطل على الفرع الثانيسى وتحميها المناقع، كما حقق موقعها عند اطراف الدلتا الشرقية مزايا القرب من الموطن الاصلى للهكسوس فى آسيا والقرب من الطريق التجارى الذى يصل الشام ومصر (فتحي مصيلحي، ١٩٨٨: ٤٦) (٢٦).

وتعد مدينة "تل العمارنة" من العواصم المصرية المتفردة فى العديد من المظاهر والصفات، فهى أقصر العواصم المصرية عمراً (كانت العاصمة فى الفترة من ١٣٥٣ الى ١٣٣٥ ق.م)، وقد اقيمت على الجانب الشرقى لنهر النيل بين النيل والجبل (احمد على اسماعيل، ١٩٩٠: ٤٥) (٢٧)، عند منحدر صخرى يتراجع ليكون نصف دائرة ضخمة بطول ٧ ميل وعرض يتراوح بين ٢.٥ و ٣ ميل، والعاصمة بذلك يكون قد اختير لها موقعا جديدا محميا طبيعيا لم يختر من قبل لتكون مركزا للعبادة الجديدة عبادة (أتون) بعيدا عن طيبة العاصمة التقليدية ومركز عبادة أمون (Morris A., 1994:27) (٢٨)، كذلك يأتى تفرد تل العمارنة من خلال بنائها دفعة واحدة ووفق خطة موضوعة ومدروسة وهى بذلك من المدن المصرية القلائل التى اقيمت وفق خطة هندسية منتظمة ومدروسة.

ورغم ان العامل الادارى والسياسى ادى الى ظهور مدن العواصم السياسية فى مصر الفرعونية، الا أن المدن المصرية لم تكن تضطلع بالوظيفة الادارية او السياسية فقط، بل تعدت الوظائف التى كانت تقوم بها المدن فى تلك الفترة، حيث قامت بعض المراكز بوظائف خاصة بالتوزيع والتسويق كمناطق عقدية، وكمراكز لإعادة التوزيع مثل الموانى التى كانت واقعة على الجبهة النيلية، وظهرت مراكز الحصون والقلاع، وعرفت بعض المراكز العمرانية كنقاط مزارات ومدن حج ومدن النبوءات والعرافة، وهذه كانت عديدة فى مصر، وارتبطت أهمية هذه المدن بالآلة المحلين واستمدت هذه المراكز أهميتها من قوة الإله الكائن فى معبدها، ولم ترتبط أهميتها او تقترب بكم حجم المدينة السكانى أو المادى، ولعل أوضح الأمثلة على هذه النوعية من المدن مدينة "سيوة" مقر معبد آمون صاحب النبوءات. (Fakhry, A., 1973: ١٢٥ - ١٢٩) (٢٩).

كما عرفت هليوبوليس وإبيدوس ومنف كمراكز ثقافية هامة فى مصر فمنها ما كان مركزا للاشعاع الثقافى الدينى وللعبادة مثل "إبيدوس" ومنها ما أشتهر بدورة وهيمنته فى مجال الفكر والثقافة والإبداع مثل "منف".

أما فيما يختص بأحجام المدن المصرية فى العصر الفرعونى، فيرى "ديبليجى" De Blij أنه من الصعب تحديد أحجام المدن القديمة بدقة، ولكنه قدر متوسط أحجام المدن القديمة فى مصر وبلاد ما بين النهرين فى مدى حجمى يتراوح بين ١٠.٠٠٠ إلى ١٥.٠٠٠ نسمة، وقد أشار إلى أن هذه المدن قد كانت جزر حضرية وسط مجتمع ريفى سائد، وأن المجتمعات الحضرية المتعارف عليها الآن لم تنشأ الا بعد عدة آلاف من السنوات اللاحقة (De Blij, A. J., 1996:377) (٣٠).

كذلك يرى جونز Jones أن الأساس الزراعى للاقتصاد المصرى القديم لم يسمح بظهور مدن كبيرة الحجم السكانى، ورغم صعوبة تقدير حجم سكان المدن فإنه افترض احجاماً للمدن المصرية تراوحت بين ٧.٠٠٠ و ٢٠.٠٠٠ نسمة (Jones, E., 1976:19) (٣١).

ومما لاشك فيه بأن المدينة بمقاييسها الحجمية والوظيفية السائدة اليوم لم تكن موجودة، ففي مصر لم يكن يسمح الاساس الزراعى للاقتصاد المصرى القديم ينمو مدن كبيرة الحجم، بل كان له الأثر الأكبر فى أن قطاعاً كبيراً من سكان المدن المصرية يعمل بالزراعة، وأن المدن كانت تحوى قطاعاً زراعياً داخلاً فى حدودها.

وجدير بالذكر أن درجة الحضرية فى مصر القديمة قد قدرت فى ازهى عصور الازدهار والرخاء المصاحب بالنمو السكانى بين ٨ إلى ١٢٪ حين قدر عدد سكان مصر بحوالى ١٠.٥ مليون نسمة، يضاف اليهم مليون نسمة هم سكان المدن فيكون اجمالى عدد سكان مصر يتراوح ما بين ١١ إلى ١٢ مليون نسمة (عبد الفتاح وهيبه، ١٩٧٥: ٣٥-٤٠) (٣٢).

٣ - لعب العامل الدينى دوراً كبيراً فى التأثير على الحضرية فى مصر الفرعونية، حيث ارتبطت المدن المصرية بالكرة بالدين الذى يمكن اعتباره عنصر التمييز الرئيسى بين المدينة والقرية، فقد كان المعبد يمثل مركز الحياة والعمران فى المدينة المصرية ومن حوله كانت المدينة تنمو وتمتد مساحتها وتدور صور الحياة بها، ويشير "أحمد اسماعيل" إلى دور الآله المحلية للمقاطعات كعامل هام عمل على نشأة المدن الأقليمية بمعابدها (أحمد اسماعيل ١٩٩٠: ٤٠) (٣٣).

وجدير بالذكر أن العقيدة المصرية والاعتقاد الدينى والديوى فى الملك الإله قد خلق المدن (التوأمية) Twin City فى مصر او بمعنى آخر مدن الموتى الملحقه بالمدينة الأصلية، حيث كانت تقام مدن الأحياء على جانب من النهر يقابلها مدن الموتى على الجانب الآخر، وهو مظهر موفولوجى لم يتطور بهذا الشكل سوى فى مصر القديمة، وقد أدى الأهتمام بمدن الموتى او مدن المعابد Temple Cities أن حظيت بإستخدام مواد البناء الصلبة القوية المتنوعة مثل الجرانيت والحجر الرملى والحجر الجيرى الذى كان مادة البناء الرئيسية خاصة بالمعابد والمنشآت الدينية والمقابر، فى حين لم تنل مبانى الأحياء بمثل هذا

الاهتمام، حيث استخدم فى بنائها الطوب اللبن Mud-Bricks ولذا فقد عصفت بها السنون وعوامل الزمن وفتت المواد الطينية البسيطة التى بنيت بها، مما أدى الى انطمار معظم مدن الأحياء فى مصر الفرعونية واختفائها تحت مستوى الأرض الزراعية أو العمران التالى (احمد اسماعيل: ١٩٩٠: ٤٠) (٣٤).

وقد أدى هذا الانطمار للمدن المصرية إلى غموض فى ملامح المدن القليلة المتبقية، ولذلك قد وصف العديد من علماء الآثار مدن مصر الفرعونية بأنها مدنا غير باقية Non-existent وذلك بالمقارنة بالعديد من المباني الباقية الشامخة للمعابد والمباني الدينية (Morris, 1994:26-27) (٣٥).

كذلك كان للعقيدة المصرية، والاعتقاد فى الملك الإله بورهما الطاغى على خطة المدينة المصرية وموفولوجيتها، فالمعبد دائما كان يتوسط المدن، وكانت المدينة فى أوائل عصر الاسرات وحتى عصر الامبراطورية، مركزا لإقامة الطقوس الدينية، وكان قوامها القصر والمعبد والهيكل، ولم تعرف المدن المصرية فى تلك الفترة الاسوار، ولم يكن للسور المحيط بالمدينة أهمية، إذ أن اعتقاد المصرى فى الملك الاله وبأنه هو حامية ومنقذه جعل مسألة قيام السور ليست واردة، وأكمل هذه الصورة كما اوضحها "محمد مدحت" العزلة النسبية التى ميزت العمور المصرى فترة من الزمن وحمايه ذلك العمور فى معظم الجهات بالصحراء (محمد مدحت جابر: ١٩٨٥: ٧٢، ١٨٢) (٣٦) ولذا فقد كان التكوين الحضرى فى مصر تكوينا حضريا مفتوحا فى تلك الفترة وليس مشابها لما كان سائدا لدى معظم الحضارات الأخرى، وتعد مدينة "تل العمارنة" من أشهر المدن المصرية القديمة التى لم يكن يحيط بها السور.

وقد جاء السور كأحد المعالم فى مورفولوجية المدينة المصرية فى عهد متأخر وزادت أهمية السور نتيجة تأثيرات اجنبية منها مثلا غزو الهكسوس الذى ساعد فى ظهور السور كمعلم فى مورفولوجية المدينة (محمد مدحت جابر: ١٩٨٥: ١٨٣) (٣٧).

التأثير المصرى على الحضارات المجاورة والحضرية بها

قد ظلت مصر القديمة الموحدة (من ٢٢٠٠ ق.م الى ٢٢٢ ق.م) نشطة لعدة آلاف من السنين، تمثل مركز اشعاع ثقافى وتجارى ودينى وقوة سياسية، ولقد كان لهذه الدولة تأثير على نمو الممالك الأفريقية اللاحقة، ويبدو هذا التأثير مباشرا على ممالك الجنوب التى امتد النفوذ المصرى اليها جنوبا على طول وادى النيل حتى النوبة وكوش.

وقد نمت مملكة كوش Kush وازدهرت خاصة من القرن الثالث ق.م عندما تحركت او انتقلت عاصمتها تجاة الجنوب من نباتا Napata إلى مروي Meroe، وقد ميز هذه العاصمة وقوعها قرب طرق التجارة التى ربطت وادى النيل شمالاً بإقليم السودان فى الغرب، كذلك استفادت من الوقوع قرب طريق تجارة القوافل على محور نهر عطبرة وشمال اثيوبيا وصولاً الى موانئ المحيط الهندى، ويرى البعض أنه كان هناك تبادل بين حديد مروي وحرير الصين والبرونز أيضاً، وكذلك المنسوجات القطنية من الهند إضافة إلى منتجات شبة الجزيرة العربية (Pritchard, 1979, 49-51)^(٣٨) وقد أدى توفر الحديد الخام والأخشاب فى مدينة مروي إلى اشتهاها كمركز صهر وتعددين الحديد، وقد بدى التأثير المصرى واضحاً فى شكل ووظائف هذه المدن (نباتا ومروي) حيث انشئ بهما المعابد والاهرامات ذات الطابع المصرى وهذا قد عكس الروابط القوية بمصر كما ذكر "ستوك" (Stock, R., 1995:194)^(٣٩).

وجدير بالذكر أن لامبير Lamphear قد رأى أن تأثر مروي ونباتا بالمؤثرات والممارسات المصرية لم يتم بصورة مباشرة بل اضيف اليها المؤثرات المحلية الخاصة بالمنطقة ويبدو ذلك واضحاً فى لغة الـ Meroitic وأشكال الفن الجديد المستمدة من مصر وكذلك الأهرامات التى كانت تحاكي مثلتها المصرية (Lamphear, J., 1995 :80)^(٤٠).

ونمت فى أواخر القرن الأول الميلادى مدينة أكسوم كعاصمة سياسية تمثل قوة مملكة أكسوم فى منطقة القرن الافريقى (صلاح عبد الجابر عيسى، ١٩٩٦:١٧١)^(٤١) وازدهرت أكسوم من خلال وظيفتها السياسية ونشاطها

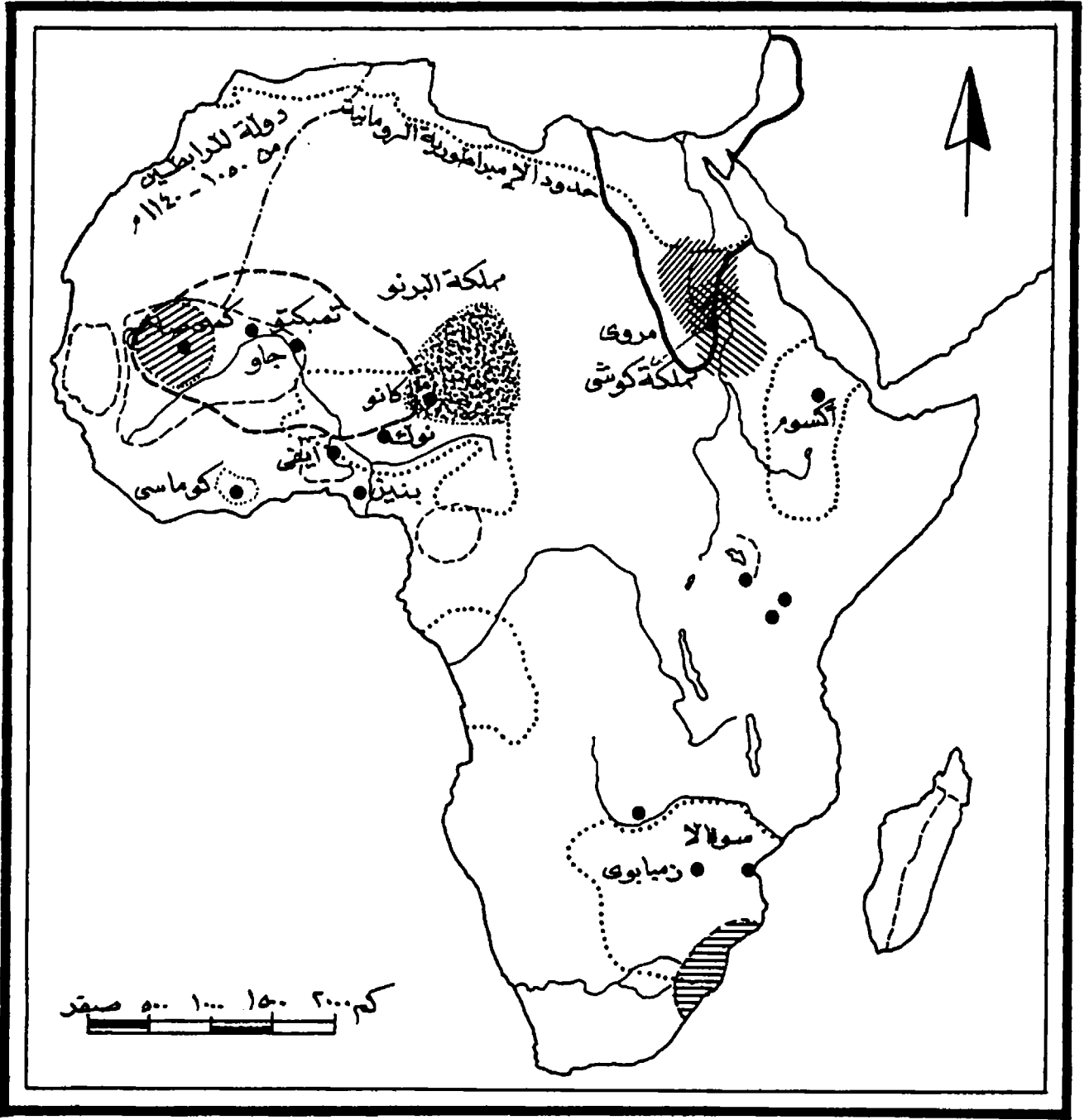
التجارى خاصة تجارة الذهب والفضة والعبيد، كما أشتهرت بسوقها الضخم الخاص بتجارة العاج، وعرفت أكسوم صناعة الفخار وتميزت مبانيها بالضخامة واستخدام الأحجار كمادة بناء أساسية لهذه المدن (Pritchard, 1977:55).

المؤثرات الخارجية على الحضرية المصرية

تعرضت مصر خلال العصر الفرعونى الذى قدر بنحو ٢٠٠٠ سنة (٣٢٠٠ الى ٢٢٢ ق.م) إلى العديد من التدخلات والمؤثرات الخارجية، قدرت الفترات الاستعمارية التى شهدتها مصر خلال العصر الفرعونى بحوالى ٦٥٠ سنة منها فترات حكم الهكسوس فى حوالى القرن ١٨ ق.م والذى استمر لمدة ١٥٠ سنة تم التدخل الليبى الذى استمر لمدة ٢٠٠ سنة (من الاسرة ٢٢ الى الاسرة ٢٥) ثم جاء التأثير الاثيوبى خلال الاسرة ٢٥ واستمر لمدة ٨٠ سنة ثم تلاه التدخل الاشورى فى الاسرة ٢٥ إستمر ١٠٠ سنة ثم حكم الفرس فى الاسرة ٢٧ لمدة ١٥٠ سنة (جمال حمدان: شخصية مصر، ١٩٨١:٦٤٩)(٤٢).

كذلك أشار جمال حمدان إلى فترة استعمارية اخرى أسماها بالأستعمار الكلاسيكى وقد كانت إستعماراً بحرياً استمر لمدة ١٠٠٠ عام (من القرن ٣ ق.م إلى القرن ٧ م) وتمثل فى الاستعمار اليونانى والرومانى والبيزنطى، شهدت مصر بعدها المرحلة الاسلامية والتى كانت ممثلة لسيطرة القوى البرية الآتية من الشرق (جمال حمدان-شخصية مصر:٢٤٩)(٤٣).

رأينا فيما سبق كيف أن المدن فى مصر كانت وطنية النشأة Indigenous نمت وتطورت كنتاج لظروف البيئة المصرية، فكانت تبدى استقلالاً وتفرداً، ومع دخول المؤثرات الاجنبية، وبدخول الاستعمار مصر تأثرت الحضرية المصرية، وقد شمل التأثير الاجنبى شبكة المدن المصرية، كما أبدت المدن المصرية فى ظل التدخل الاجنبى انماط ووظائف مختلفة عما كانت سائدة طوال الفترة السابقة لهذا التدخل، وهذا ماسيتضح من الأمثلة التالية:-



شكل (٢) بعض الممالك القديمة في إفريقيا
 المصدر: Pritchard, J.M.؛ Africa, Longman, England, 1979, P.46

أولاً: بدأ التأثير على شبكة المدن فى شرق الدلتا واضحاً إثر غزو الهكسوس لمصر، فقد كان هذا الغزو دافعاً لحكام مصر بالإهتمام بشرق الدلتا كمدخل شرقى لمصر، وصاحب هذا الاهتمام محاولة للتطوير الاقتصادى أدى إلى تزايد سكانى ترتب عليه نمو وتخطيط عمرانى فى هذا النطاق، كانت من أهم نتائج العمرانية نشأة إحدى عشر مدينة جديدة ظهرت لأول مرة زمن الرعامسة (الاسرة ١٢) (Butzer, 1976: 95) (٤٤).

وبتأثير تزايد نفوذ الهكسوس انشئ العديد من الحصون والمعسكرات فى شرق الدلتا على نمط غير مصرى (محمد مدحت جابر: ١٩٨٥: ١١١) (٤٥).

وجدير بالذكر انه لن يقتصر التأثير الاجنبى على شبكه المدن المصرية فى شرق الدلتا فقط، بل شهدت منطقة شمال الدلتا ومنطقة مريوط نشأة ٣٥ مدينة جديدة، حين جرى الاستقرار لأول مرة فى المناقع الشمالية بعد عمليات الاستصلاح التى تمت زمن البطالمة فى الفترة من ٩٥٠ إلى ٦٠٠ ق.م فى هذا النطاق.

وفى بعض الاحيان لعبت المؤثرات الوطنية الداخلية دورا مع الأخرى الخارجية فى خلق نمواً عمرانياً جديداً شهدته شبكة المدن فى بعض مناطق مصر ومنها منطقة الفيوم، فقد شيدت نهضة عمرانية نتيجة لعملية ضخمة لإستصلاح اراضى زراعية نمت فى فترتين الأولى زمن الدولة الوسطى من العصر الفرعونى (٢١٦٠-١٧٧٥ ق.م) والثانية زمن حكم البطالمة، وقد أشار نصحى " إلى أنه اقيم بالمنطقة ١١٤ قرية ومدينة قد كانت من نتاج هذه النهضة، وواكب هذا التوسع فى المجالات العمرانية نمواً سكانياً كبيراً (ابراهيم نصحى، ١٩٦٦، صفحات متعددة) (٤٦).

وأضيف على ساحل البحر الأحمر بعض المدن بفضل المؤثرات الخارجية زمن الرومان منها مدينة ليكوس ليمن "Leukes Limens" "القصير" والقلمز انشأت مصاحبة لحفر قناة تراجان وقد ورثها السويس الحالية (احمد اسماعيل: ١٩٩٠: ٦٣) (٤٧)، ومن المدن التى أضيفت لشبكة المدن المصرية زمن الرومان مدينة بابلون Babylon ، ويؤكد "موريس لومبارد" انها بدأت كقلعة

تشغل موقعاً استراتيجياً عند ذروه الدلتا، لتسيطر على الطريق البرى المؤدى إلى بلاد الشام، وغرباً نحو افريقيا والمغرب متحاشية بذلك مروحة الدلتا، كذلك حقق موضعها نقطة انطلاقاً إلى قناة تراجان Trajani ammis التى تحقق الوصول إلى البحر الأحمر (موريس لومبارد -١٩٧٩:١٧٩) (٤٨).

وكما كانت المؤثرات الاجنبية فى بعض الاحيان عاملاً مساعداً على نمو العمران والاهتمام بالتخطيط العمرانى فى مصر (كما سبقت الاشارة) فقد كانت فى احيان أخرى سبباً ساعد على افول نجم بعض المدن والعواصم الهامة فى مصر، ومثال ذلك أنه بقدم الرومان مصر اقل نجم مدينة هليوبوليس وهجرت، واصبحت بعض المراكز الحضرية الأخرى مثل "ابيدوس" و "طيبة" مجرد مجموعة من المحلات العمرانية المتواضعة "Hamlets".

كان العالم الاسلامى بين القرنين الميلاديين السابع والحادى عشر ميدانا لنهضة عمرانية خارقة، تميزت هذه النهضة اولا بإنشاء شبكة من المدن تحول بعضها بسرعة الى أكبر مدن فى العالم (منها القاهرة) بالاضافة إلى ما أضافته هذه النهضة من رصيد من المدن الجديدة فقد منحت العديد من المدن القديمة مزيداً من النمو والازدهار وهكذا انشأت شبكة حضرية واسعة، كانت تشكل بسبب اتصالها من مدينة لمدينة أخرى الهيكل المادى للعالم الاسلامى.

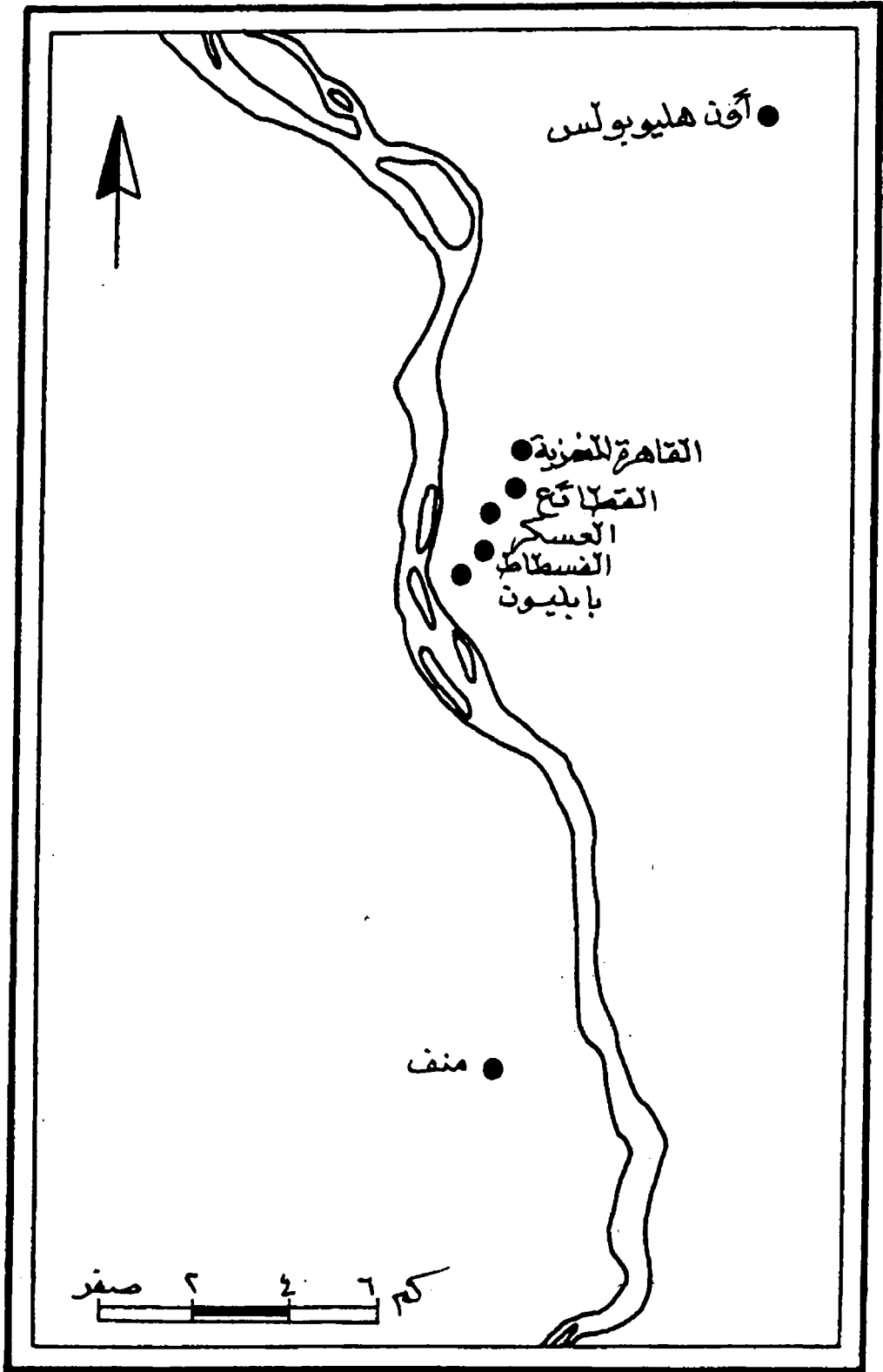
ويشير "موريس لومبارد" إلى أن قوة اتساع العمران فى العهد الاسلامى قد تجاوزت من حيث القوة والاتساع حركة العمران الكبيرة التى شهدتها كل من العصريين الهلينيى والرومانى (موريس لومبارد ١٩٧٩:١٦١) (٤٩).

ومن المناطق التى شهدت حركة عمرانية كبيرة فى ظل العصر الاسلامى المناطق التى تبعت الدولة البيزنطية ومنها الشام ومصر، حيث استنؤنفت نهضة عمرانية كانت راكدة فى العصر البيزنطى، الذى تقلص فيه النشاط العمرانى والحضرى واقتصر على بعض المدن الكبرى فى ذلك الحين مثل الاسكندرية وانطاكية والقسطنطينية.

وقد أثر الفتح الاسلامى لمصر تأثيراً كبيراً على شبكة العمران الحضريّة المصرية مثلما وضع البصمات الإسلاميّة على مورفولوجيه المدنيّة المصريّة، وتركيبها الداخليّ. وقد نكتفى هنا بالتعرض لقمة التأثير الاسلامى على العاصمة المصريّة والتي تقف الآن على قمة الهرم المدنيّ المصريّ.

تعد مدينة القاهرة سلسلة متعاقبة من المواضع التي كانت وليدة للفتح العربيّ (خريطة شكل ٣) واولى هذه المواضع ما أقامة عمرو بن العاص سنة ٦٤١م، كمعسكر شمال حصن بابليون والذي تحول الى مدينة الفسطاط حيث دعمها انشاء جامع عمرو الكبير ودار الامارة والاسواق، وفي سنة ٧٤٩-٧٥٠م تأسست مدينة جديدة شمال الفسطاط هي مدينة العسكر، وضمت بدورها قصر الحاكم والاسواق إلى جانب الجامع الكبير، ثم انشأ احمد بن طولون في عام ٨٧٢-٨٨٥م مدينة القطائع شمال العسكر وقد تم دعم هذه المدينة انشاء قصر عند اقدام جبل المقطم وانشاء جامع فوق جبل يشكر سنة ٨٧٥م ثم اكتملت بعض ذلك باقى المنشآت الحضريّة للمدينة، ثم انشأت القاهرة في عهد الفاطميين ٩٦٩م على يد جوهر الصقلى القادم من افريقيا الشماليّة، وقد دعمت القاهرة ببناء الجامع الأزهر ٩٧٢م ونمت المدينة حول الابنية الرسميّة، وبلغت عصرها الذهبى في القرن العاشر والحادى عشر، حين شيّدت العديد من المباني التي وصلتها بالقطائع، وكانت المدينة تحوى حينذاك قرابة نصف مليون نسمة (موريس لومبارد: ١٩٧٩: ١٨١-١٨٢) (٥٠).

وجدير بالذكر أن التأثير الاسلامى كما كان بانيا ومنشأ للعاصمة المصريّة القاهرة، كان مؤثراً بصورة سلبية على بعض المراكز الحضريّة الأخرى في شبكة المدن المصريّة، ولعل أوضح الامثلة على ذلك الأهمال والاضمحلال الذي شهدته مدينة الإسكندرية العاصمة المصريّة (في العصر البطلمى والعصر الرومانى)، ويشير "محمد صبحى عبد الحكيم" إلى أن التأثير السلبيّ للإسكندرية الذي اقترن بالعهد الاسلامى لم يكن تأثيراً مباشراً، بمعنى أن العرب لم يحملوا معهم للإسكندرية الخراب والاضمحلال، وانما كانت مقدمات الاضمحلال تسبقهم الى المدينة المزدهرة، كل ما فى الأمر أن ظروف الفتح



شكل (٣) سلسلة المواقع المتعاقبة للعاصمة
 المصرية "القاهرة" منذ العصر الفرعوني
 وحتى العصر الإسلامي
 المصدر: فتحي محمد مصيلحي - مزجح سبق ذكره ص ٥٥

وانصراف العرب عن الاسكندرية إلى الفسطاط ساعد استمرار ظاهرة الاضمحلال والانكماش التي كانت قد بدأت تشهدها المدينة قبل وصول العرب اليها (محمد صبحى عبد الحكيم، ١٩٥٨، ١١٦-١١٧) (٥١). (خريطة شكل ٤).

ثانياً: شهد البناء الحضري فى مصر نتيجة للقوى الاجنبية الوافدة، انماطاً حضرية غربية على نمط الحضرية المصرية، ففى بعض الاحيان نشأت مراكز حضرية داخل مصر منقولة من بيئات حضارية أخرى، ممثلة بذلك شتلات منقولة من بيئات اخرى ولم تكن نتاجاً محلياً مصرياً. ومن امثلة هذه المدن مدينة "نقراطيس"، والتي يمكن أن نشبهها بما يعرف اليوم بنمط المدينة الدولة "City State" وقد عكس هذا النمط الحضري البيئة الاساسية لحياة الاغريق بعامه، والتي تمثلت فى العيش "بالمدينة" حيث حرص الاغريق على إنشاء مدنا مستقلة لأنفسهم فى أى مكان ينزلون به ويتخونونه مستقراً لهم.

وتعد "نقراطيس" (المدينة الاغريقية القديمة التى أسسها التجار الاغريق فى منتصف القرن السابع قبل الميلاد (عهد الاسرة ٢٦) والتي اقيمت على الشاطئ الشرقى للفرع الكانويى قرب الاسكندرية)، ممثلة لهذا النمط العمرانى الفريد والغريب على نمط العمران المصرى، حيث كانت بمثابة دولة اغريقية خالصة مستقلة داخل الدولة المصرية، وقد كانت على درجة كبيرة من الثراء نتيجة لوظيفتها التجارية وتحكمها فى تجارة مصر مع بول البحر المتوسط فى تلك الفترة، ولم تفقد هذه المدينة اهميتها التجارية الا بعد أن سلبتها اياها الاسكندرية (محمد صبحى عبد الحكيم، ١٩٥٨: ٨٨-٨٩) (٥٢).

كذلك كانت لواريس عاصمة مصر زمن حكم الهكسوس تمثل نشازاً حضرياً ضمن شبكة المدن المصرية، فقد كانت ذات طابع عسكري محصنة ومسورة، تمثل بؤرة نخيلة وسط وجود مصرى صميم (محمد مدحت جابر، ١٩٨٥: ١٣٣) (٥٣).

ثالثاً: شهدت العديد من المدن المصرية تغيرات فى وظائفها بفعل المؤثرات الأجنبية الوافدة، والأمثلة على ذلك عديدة ولعل ابرزها ما حدث من تحول وظيفى

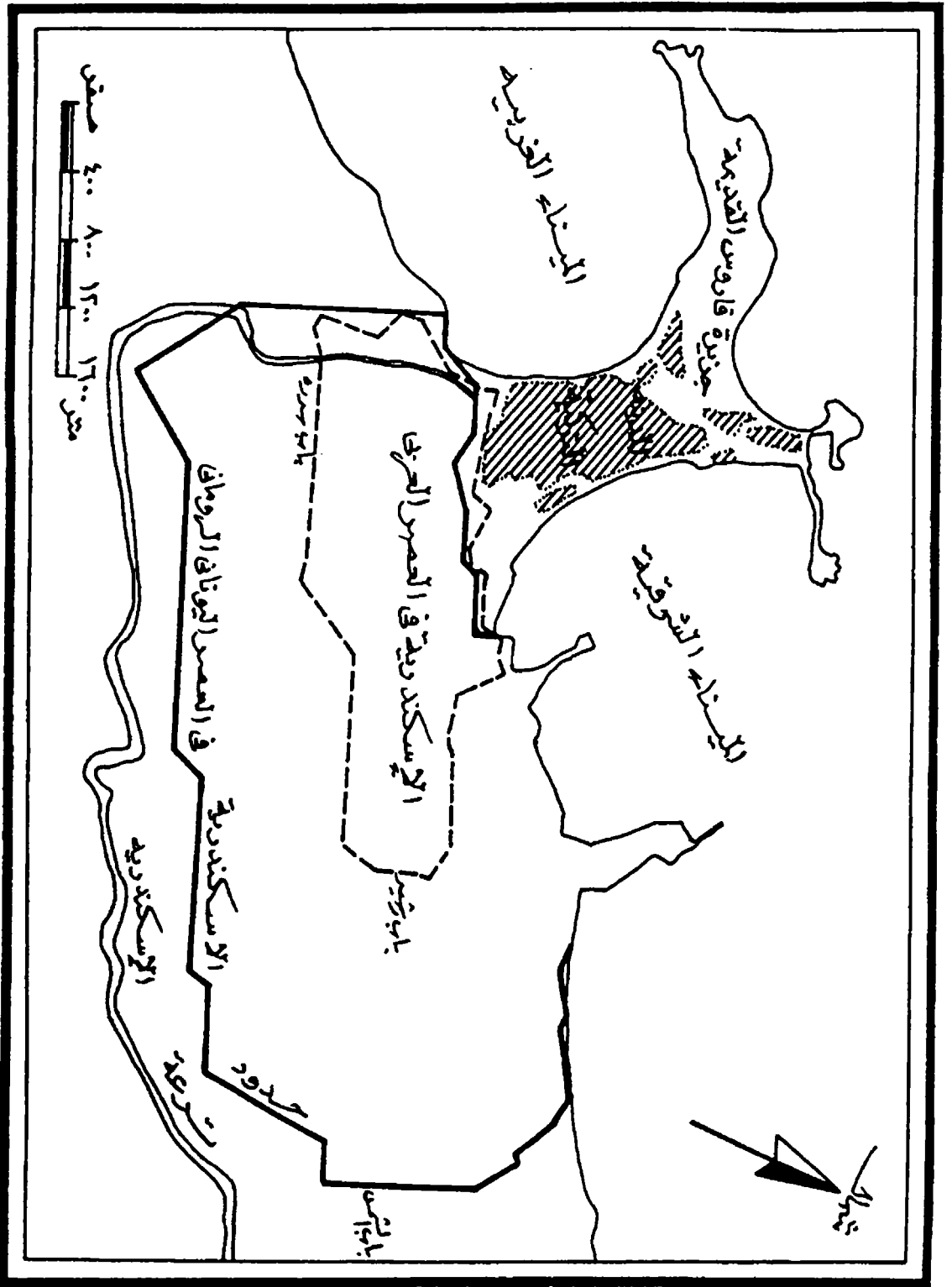
لمدينة الاسكندرية كان جد مختلف عما كان سائداً بها فى فترات سابقة للتغيرات الاجنبية الوافدة.

من الثابت ان الاسكندرية مُنحت اسمها من الاسكندر الأكبر فى عام ٣٣٢ ق.م وكان مقدر لها أن تصبح اعظم المدن بل اعظم العواصم فى العالم الاغريقى، وقد قامت بدورها كعاصمة لمصر فى العصرين الاغريقى والرومانى، واضطلعت بوظيفة العاصمة لإمبراطورية الاسكندر، كما اضطلعت بوظيفتها كمركز تجارى هام وميناء رئيسى يخدم التبادل التجارى العالمى فى ذلك الوقت حيث كانت احدى أهم ثلاث مدن (الاسكندرية-انطاكية-القسطنطينية) تضطلع بالنشاط التجارى فى عهد الدولة البيزنطية.

هذه المدينة كان يشغل موضعها فى العصر الفرعونى قرية أو بلدة راقودة (Rhakotis) وهناك من يرى انها بلدة فرعونية قامت بوظيفة العاصمة لاقليم شامل لست عشرة بلدة أخرى، كما كانت تقوم بوظيفة الحصن الامامى فى الاقليم الغربى الواقع على الحدود تجاه ليبيا منذ الأسرة الثانية عشر، (زمن الرعامسة)، وكذلك اضطلعت بالوظيفة التجارية حيث كانت المنفذ للتجارة بين مصر وبلاد البحر المتوسط، كانت مركزاً تجارياً تعامل مع بلاد الاغريق فى عصر الاسرات السادسة والعشرين والتاسعة والعشرين والثلاثين، ساعدها على ذلك سهولة الاتصال بالعالم الاغريقى من خلال مرفأها على الساحل الشمالى لمصر. (محمد صبحى عبد الحكيم، ١٩٥٨: ٩٤) (٥٤).

وفى ضوء ماتقدم فقد كانت مدينة الاسكندرية بلدة قديمة فرعونية أعيد تأسيسها وبنائها، كما اختلفت وظائفها بفعل المؤثرات الاجنبية الوافدة حيث تغيرت وظائفها من عاصمة اقليمية صغيرة الى عاصمة عالمية، ومن مركز تجارى متواضع النشاط إلى مركز عالمى يعد من أكبر المدن التجارية فى عهد الدولة البيزنطية ومن مرفأ صغير على ساحل البحر المتوسط إلى ميناء تجارى رئيسى ومنفذ رئيسى لتجارة مصر مع بلاد البحر المتوسط، لذلك لم يقف التأثير الناتج عن الوقود الاجنبى لمدينة الاسكندرية عند التغيرات فى وظائف المدينة بل امتد إلى تطور وظائف المدينة ايضا.

وجدير بالذكر أن التأثير الوافد فى احيان أخرى قد صحبة اضمحلال وتراجع لبعض وظائف مدينة الاسكندرية، ففى الفترة الممتدة منذ الفتح العربى وحتى اواخر العصر الايوبى، فقدت الاسكندرية دورها ووظيفتها كميناء مصر الأول، (رغم تمتعها بمكانه تجارية مرموقة)، وسلبتها دمياط دورها التجارى حين اصبحت ميناء مصر الأول فى هذه الفترة.



شكل (٤) إكتشاف الإسكندرية في العصر الوسيط
 المصدر: محمد صهيبي عبد الحكيم، مدينة الإسكندرية والقاخرة ١٩٥٨م ص ١١٩

مدن شمال إفريقيا (محور البحر المتوسط)

التأثير الفينيقي على الحضرية فى شمال إفريقيا :-

يرى "اندرى جوليان" أن الشمال الافريقي لم يشهد الارهاصات الحضرية إلا بعد الوصول الفينيقي، حيث كان معظم السكان البربر من الرعاة ومربي الحيوانات دائمى التنقل والترحال من مكان إلى آخر، ولهذا فهم يقبلون على سكنى المنازل المتقلة، اما الذين عرفوا الزراعة منهم واستقروا فقد كانت سكناهم فى اخصاص من فروع الشجر تميل إلى الطول أو فى أكواخ مربعة من حجر أو طين جاف، وكانت تتجمع هذه الأكواخ فى اماكن صالحة مختارة لتكون قرى كانت تعرف عندهم بإسم كستلا "Castella" وكانت تعد بالمئات، ولذلك يقرن "جوليان" وجود المدن ونشأتها بالمعنى المفهوم فى الشمال الافريقي بالقدوم الفينيقي (اندرى جوليان : ١٩٦٩:٧٦)(٥٥).

ومن هذا المنطلق نجد أن الحضرية الافريقية فى شمال القارة وعلى طول محور البحر المتوسط قد تأثرت بالمؤثرات الخارجية منذ ١٢٠٠ ق.م حيث اقيمت شبكة من المدن والمراكز التجارية على طول الشاطئ الشمالى لإفريقيا بفضل النشاطات التجارية التى كان يقوم بها الفينيقيون على طول ساحل البحر المتوسط والتي استمرت لقرن كامل تقريباً (السيد الحسينى: ١٩٨١: ٢١٣)(٥٦).

وارتبط بهذه الشبكة من المدن طوال العصر الفينيقي اى من الألف الثانية ق.م وحتى ١٤٦م. تنظيم اقتصادى واجتماعى متطور ومتشابك وأدى النشاط التجارى والقوة الاقتصادية المصاحبة له على طول هذا المحور (البحر المتوسط) إلى قيام العديد من المدن فى الشمال الافريقي من ليبيا شرقاً وحتى المغرب غرباً (احمد اسماعيل: ١٩٩٠: ٥٢)(٥٧).

وقد أسس اهل صور (Tyriens) مراكز تجارية على السواحل الافريقية

منذ القرن الثانى عشر ق.م نذكر منها مايلى:-

من اقدم المراكز التجارية التى اقامها الفينيقيون او تيكة "Utique" على الساحل الغربى من خليج تونس وذلك فى سنة ١١٠١ ق.م و لوكسيس Lixus على الساحل الأطلسى للمغرب الاقصى ويقال أنها تأسست سنة ١١١٠ ق.م وطنجة التى انشأت فى سنة ١١١٠ ق.م، ويبدو أن هذه المراكز قد اقيمت فى طور التعرف والاكتشاف الذى قام به الفينيقيون ليفسح المجال للتجارة وليس فى طور الاستقرار الحقيقى الذى تؤسس فيه المراكز التجارية على سواحل القارة، حيث ان الاستقرار الفينيقى على ما يبدو لم تتوطد أركانه الا شيئاً فشيئاً من الشرق إلى الغرب، فقد استقر الفينيقيون فى أول الامر على سواحل "سرتا" ثم اقاموا فى قرطاج قبل أن يؤسسوا مستعمرات او مراكز تجارية حقيقية (اندرى جوليان: ١٩٦٩: ٧٥-٨٦)(٥٨).

تعد قرطاج من أهم المدن التى تأسست على يد الفينيقيين عام ٨١٢ ق.م وتأتى اهمية هذه المدينة فى أنها قد خلفت مدينة صور فى الدور الذى كانت تلعبه كمدينة أم، وكقاعدة تجارية، وذلك منذ بداية النصف الثانى من القرن الخامس قبل الميلاد، وعلى الرغم من تعدد المدن والمراكز الحضرية الا أن قرطاج كانت اعظم مركز تجارى فى حوض البحر المتوسط منذ القرن السادس ق.م، واستطاعت ان تبسط نفوذها على غرب جزيرة صقلية وجزر البليار وجنوب اسبانيا وضمت اليها الجانب الشمالى الشرقى من تونس وكان سلطانها يمتد بصفة غير مباشرة إلى داخل البلاد، وقد لقبت مدينة قرطاج بملكة افريقية بفضل هيمنتها على تجارة المدن الأخرى، والتى لعبت دوراً كبيراً فى تجارة البحر المتوسط والداخل عبر الصحراء الكبرى قاصدة بلاد السودان لجلب الرقيق والعاج والذهب وغير ذلك من انواع البضائع الثمينة (عزيزة بدر: ١٩٨٤: ١٢)(٥٩).

وقد كان موقع قرطاج عاملاً مساعداً على التوسع الافريقى وسهولة التبادل مع العالم الشرقى أو الغربى، حيث تمتعت المدينة بموقع فريد على ضفة خليج منفتح صوب المضيق الموصل بين حوض البحر المتوسط الشرقى والغربى واقامت فى موضع له مزايا المنعة مثل اغلب المدن الفينيقية، فقد اقيمت فى رقعة

من الأرض متوغلة في البحر لايربطها باليابس سوى جزء ضيق من الارض لايزيد عرضه على بضع كيلومترات ينحسر بين بحيرة تونس وسبخة اريانة (اندرى جوليان: ١٩٦٩: ٨٧) (٦٠).

وكذلك تعد مدينة طرابلس من المدن ذات النشأة الفينيقية والتي يرجع تاريخ نشأتها فيما بين القرنين السابع والثامن ق.م وقد كانت هذه المدينة احدى المراكز التجارية الساحلية الثلاثة على الساحل الليبي والتي ضمت ماركا اويات Marca Uiat ولبدة Leptis Magna وصبراته Abrotonom (فاتن محمد البنا: ١٩٧٧: ٣٠) (٦١).

وقد تحدد موضع طرابلس الفينيقية او ماركا اويات Marca Uiat بواسطة مينائها الصخرى المحصن طبيعياً (محمد السيد غلاب: ١٩٧٢: ٢٥١) (٦٢)، ويمكن القول أن موقع اويات الجغرافي كان يساعد على تحقيق التلاحم التجارى بينها وبين تلك المدن لتى تحتل مكانها على الشواطئ الخاصة بالامبراطورية الفينيقية، كذلك لعبت اويات (طرابلس) دوراً رئيسياً فى عقد صلات قوية فى التجارة الصحراوية وفى تنمية النشاط التجارى داخل افريقيا، ومما زاد من أهمية المراكز التجارية والمدن على الساحل الليبي ذلك الطريق الرئيسى الذى اسسه الفينيقيون والذى امتد بمحاذاة الساحل مبتدئاً من قرطاج منتهاً عند اويات وقد كان لوجود مثل هذه الطريق الفضل فى زيادة حجم المعاملات التجارية مع العاصمة البونيقية (قرطاج) (نجم الدين غالب الكيب: ١٩٧٠: ١٣) (٦٣).

وأدى توجيه الفينيقيين جل اهتمامهم نحو النشاط التجارى "البحرى او البرى التبادلى" إلى نوع من الفصل شهدته المدن الساحلية الفينيقية بينها وبين الداخل الافريقى، فقد اشار "كولين ماكيفيدى" إلى وجود انفصال تام بين الحضريين الذين كانوا يقيمون فى مدن الشاطئ الافريقى وبين السكان داخل الأراضى الافريقية جنوب تلك المدن والمراكز التجارية الساحلية (كولين ماكيفيدى: ١٩٨٧: ٤٩) (٦٤)، كما أشار "الصدى" إلى الاهتمام الأحادى

للفينيقيين (بالنشاط التجارى وما يخدمه ويرتبط به) بون الأهتمام بجوانب العمران الأخرى مثل إقامة المنشآت العمرانية داخل المراكز الساحلية التجارية الفينيقية ومنها مدن اويات ولبدة وصيراته، وكان الأهتمام ينصب على الأكتفاء بصيانه المباني المشيدة من قبل السكان المحليين، ولم تكن البقايا المعمارية القليلة التى وجدت تحت الأنقاض فى العصر الحديث فى "اويات" او غيرها إلا صورة من عمارة الفينيقين انفسهم فى بلادهم الاصلية مقلدة ومقتبسة (محمود الصديق ابوحامد: ١٩٦٨: ١٢٧-١٣٧) (٦٥).

وتعد مدينة طنجة من اقدم المراكز التجارية التى أسسها الفينيقيون على الساحل الافريقى، وقد اختلفت الآراء حول تأريخ تأسيس هذه المدينة، فيرجع البعض تأسيسها إلى عام ١١١٠ ق.م (عزيزة بدر: ١٩٩٦: ٨٢٢) (٦٦)، ونظراً لما شهدته المدينة من ازدهار تجارى فقد انتعشت اقتصادياً كميناء وكقاعدة لاقليم خاصة فى الفترة من ٥٥٠ ق.م إلى ٢٨ ق.م، اى فى العصر القرطاجى، أدى ذلك الى استقرار السكان حول خليج طنجة وامتداد العمران خارج نواة المدينة، كما نشأت عدة مراكز عمرانية هامة فى الاقليم تحيط بمدينة طنجة (عزيزة بدر: ١٩٩٦: ٨٣) (٦٧).

وجدير بالذكر أن الفترة القرطاجية (٥٥٠ ق.م إلى ٢٨ ق.م) قد شهدت توزيعاً جيداً لمراكز تجارية كانت اسواقاً ومراكز تسويق (أطلق عليها أساكل مفردهل اسكلة) على طول البحر المتوسط، وسواحل المحيط الأطلنطى وقد وقعت جميع هذه المراكز تحت هيمنة العاصمة اليونيقية قرطاج وتوضح الخريطة شكل(٥) والجدول (١) أهم او بعض هذه المراكز الفينيقية فى العهد القرطاجى.

جدول (١) اهم المراكز التجارية الفينيقية في العهد القرطاجي في الشمال الافريقي *

الموقع	اسم المدينة الحالي	المركز الفينيقي
واقعة على البحر المتوسط	لبدة	leptis Magna
»	قابس	Tacapas
»	رأس الديرماس	Thapsos
»	سوسة	Hadrumete
»	لمطة	Leptis
»	أوتيقة	Utique
»	بنزرت	Hyppo Diarrytus
»	عناية	Huppa Regius
»	سكيكة	Rusicade
»	بجاية	Saldae
»	دلس	Ruscum
»	ماتيفو	Rusguniae
»	الجزائر العاصمة	Lcosium
»	شرشال	Lol
»	قبة سيدي ابراهيم	Guniga
»	تناس	Cartennae
على المحيط الأطلنطي		
»	تشميش	Luxus

* تشارل اندري جوليان - مرجع سابق ١٩٦٩ - ص ١٠٩

ويتضح من الجدول (١) والخريطة (٥) مايلي :

شغلت كل المراكز التجارية الفينيقية فى الفترة القرطاجية مواقع ساحلية، معظمها يطل على البحر المتوسط، والقليل منها يطل على المحيط الأطلنطى.

يشير "جوليان" إلى أن معظم هذه الفترة قد شغلت المراكز مساحات صغيرة او متواضعة نسبياً، ولم يكن لهذه المراكز العمرانية نفوذ سياسى أو تداخل داخل البلاد المحتلة سواء كانت فى افريقيا او فى غيرها (أسبانيا او مالطة)، يستثنى من ذلك هيمنة مدينة قرطاج التى قد امتدت فى بعض الاحيان إلى الاجزاء الشرقية الداخلية فى تونس، والخريطة توضح الحد التقريبى لهيمنة قرطاج الممتدة نحو الداخل.

تشير الخريطة السابقة إلى أن المدن الساحلية الفينيقية لم تكن الا نقاط ارتكاز فى الفترة الفينيقية تؤدي دوراً اقتصادياً رئيسياً فى المقام الأول، ويتمثل فى جمع المواد الأولية وتوزيعها، او بمعنى آخر هو دور تجارى فقط، ولم يتم تفاعل بين سكان هذه المدن من الفينيقين التجار وسكان البلاد الاصليين.

التأثير الرومانى على الحضرية فى شمال أفريقيا :-

تلقت شمال افريقيا المؤثرات الحضرية الرومانية حين وقعت البلاد تحت تأثير الاستعمار الرومانى منذ عام ١٤٦م والذي استمر حتى بداية الفتح العربى فى النصف الثانى من القرن السابع الميلادى.

وجدير بالذكر أن التأثير الرومانى الواقد قد اختلف اختلافاً جذرياً عما سبقه من تأثيرات اجنبية، ويرجع ذلك لعدة أسباب منها أن الرومان كانوا غزاة محتلين، دفعهم التوسع السياسى إلى احتلال اجزاء متسعة من شمال افريقيا ومصر وأوربا وأسيا الصغرى. (خريطة شكل (٦))، وقد كان استعمارهم لبلاد البربر استعماراً للإستغلال قبل أن يكون للعمران، لذلك أهتم الرومان بتهيئة بلاد البربر وتنظيمها بما يسهل ويسر هذا الاستغلال، ومثال ذلك أنهم قد

شجعوا على ازدهار الزراعة وخاصة زراعة القمح والزيتون والكروم لسد حاجة الامبراطورية الرومانية من هذه المحاصيل، ولتحقيق هذا الازدهار قد قاموا بتوطيد الأمن فى ارجاء البلاد وحفرت مئات الآبار، وفجرت العديد من الآبار الارتوازية فى الواحات، واهتموا بإقامة السدود، وكانوا يراقبون بكل عناية المياه الجارية وينتفعون بها، كما كانوا يجمعون حتى اصغر الجداول المنسابة أمام السدود المقامة فى الأودية، وكذلك اهتموا بتعدد وسائل الانتاج وإحياء الأراضي، وتنظيم الاسواق (اندرى جوليان، ١٩٩: ٢٠٥-٢١٢) (٦٨)، وقد ساعدهم فى ذلك انهم مهندسون ومحاسبون ومنظمون مهرة (احمد خالد، وآخرون: ١٩٩٣: ١٠١) (٦٩).

ويعد اهتمامهم بعمل وإنشاء شبكة من الطرق فى الولايات أو الإدارات التابعة لهم، والتي لاتزال بعض اجزائها موجودة إلى اليوم، احد عوامل التطور الأقتصادي الذى شهدته افريقيا فى تلك الفترة، كذلك أدت هذه الطرق إلى ربط شبكة المدن المقامة، وعلى سبيل المثال ربطت الطرق مدينة Ammaedara حيدرة و Tacapas قابس، ومدينة تبسة و Hippo Reguis (عنابة)، وبين طنجة وسلا و طنجة ووليلي. وحظيت ولاية افريقية او البروقنصلية بشبكة كثيفة من الطرق، كانت قرطاج محورها الرئيسى، فمنها يتفرع طريقان طريق نحو Hippo Regius (عنابة) ماراً ببنزرت Hippo Diarrhytus و Chullu (القاله) والثانى شق وادى مجردة حتى وصل إلى شمتو، ومن أهم الطرق الطريق الذى ربط بين قرطاج وتبسه والذى بلغ طوله ٢٧٥ كم، كذلك من الطرق الهامة التى كان لها فضل ربط شبكة مدن الإقليم، الطريق الساحلى المتجهة نحو الجنوب الى لبدة. Liptis M. و Hadrusetum (سوسة) (وطرابلس) اوريا Oea وقد تجاوزت طولة ٨٠٠ كم، وكما اختلفت شبكة الطرق فى اطوالها فقد اختلفت فى اتساعها حيث تراوحت بين ٢.٣٧ مترا و ٧.٥٠ مترا كما كانت تقام الكبارى لإجتياز الأودية (اندرى جوليان، ١٩٦٩: ٢١٤-٢١٨) (٧٠) حيث برع الرومان فى تشيد الجسور والكبارى والأقواس والطرق الاستراتيجية كما برعوا فى بناء وتشيد المدن (Pritchard, 1979:45) (٧١).

ويوضح الجدول (٢) والخريطة (٦) مدى ارتباط العصر الروماني بانتشار وازدهار شبكة المدن على صفحة الاقليم، ومن الخريطة والجدول يلاحظ مايلي:-

١ - تم تقسيم شمال افريقيا إلى اربع وحدات إدارية هي إفريقية البروقنصلية او "إفريقية" و "نوميديا" و "موريتانيا القيصرية"، و "موريتانيا الطنجية"، كذلك قسمت هذه الوحدات إلى مناطق ثم قسمت كل منطقة بدورها إلى جهات. ويلاحظ أن الجدول قد اضيف اليه مدن طرابلس الواقعة إلى الشرق من ولاية افريقية والتي تمتد بالاراضي الليبية الآن.

٢ - لم يقتصر وجود المدن على النطاق الساحلى بل امتد انتشار المدن فى المناطق الداخلية، ويمكن ملاحظة هذه الظاهرة فى ولايات افريقية وموريتانا القيصرية ونوميديا، فالأولى كانت زاخرة بالمدن الواقعة على الساحل او بالقرب منه مثل قرطاج Carthage وبنزرت Hippo Diarrht والمهدية Gummi وغيرها، ومن المدن الداخلية والتي ارتبطت بوادى مجردة ووادى ملىان، حيدرة Ammaedara والكاف Sicca Yeneria وهنشير Althiburos وغيرها.

وضمت ولاية موريتانيا القيصرية العديد من المدن الواقعة على الساحل كما أنتشرت بها المدن الداخلية بتأثير المستعمر الروماني، حيث نظمت فى خطين عسكريين، يحازى الأول البحر وهو يمر من عين تيمو نشانت (Albae) وحمام ابو حجار (Dracones) وأريال Regiae وسان نونيس (Tasaccora) وغيرها من المدن.

اما الثانى ويقع إلى الجنوب ويمر بتمسان (Pomaria) و لاموريسيا (Al-tava) وشانزى (Caputtasaccora) وتمزدين (Lucu) وغيرها، وقد تم توزيع الأراض الزراعية على قدماء الجند حول هذه المدن فنشأت المداشر او المدن السابقة الذكر (اندرى جوليان: ١٩٦٩: ٢٣٨) (٧٢).

٣ - توضح الخريطة السابقة أن معظم المدن فى إدارة ولاية موريتانيا الطنجية (الواقعة فى اقصى الغرب) كانت تقع على السواحل سواء السواحل

المحيطية (الاطلنطى) او ساحل البحر المتوسط، كذلك شهدت المنطقة الواقعة شرق ولاية افريقية المدن الساحلية الموقع فى معظمها .

٤ - توضح الخريطة السابقة والجدول (٢) ارتفاع كثافة المحلات العمرانية الحضرية بصورة كبيرة فى ثلاث ولايات هى ولاية افريقيا ونوميديا وموريتانيا القيصرية، وقد اشار "سليمان" إلى أنه مع نهاية القرن الثالث الميلادى زاد عدد المدن بهذه الولايات زيادة كبيرة (سليمان عبد الستار خاصر، ١٩٧٨: ٥-٦) (٧٣).

سبقت الاشارة الى انه فى ظل النفوذ الفينيقي لم تخرج المراكز العمرانية فى ساحل شمال افريقيا عن كونها مراكز للتجارة، ولم يستثنى الا بعض المدن (قرطاج) التى اضطلعت بالعديد من الوظائف بالاضافة لوظيفتها التجارية، وقد شهدت المدن مع القدوم الرومانى الوظائف المتعددة والمتباينة، وعلى سبيل المثال كانت قرطاج تمثل عاصمة لولاية افريقية وثالثة أكبر المدن بعد روما والاسكندرية على مستوى الامبراطورية الرومانية، ومثلت سيرته (قسطنطينة) عاصمة اقليمية لولاية نوميديا وقامت بعض المدن بالوظيفة الإدارية مثل Dollfusville سوفسار فى ولاية نوميديا فقد كانت مركزاً إدارياً لدائرة رومانية، وظهرت مدن الحصون مثل سور الغزلان فى نوميديا Auzia وقد شيدت فوق منطقة مرتفعة تنحصر بين نهرين، وقامت بعض المدن مثل Am-maedara حيدرة وقرطاج بوظيفة المدن العقدية Nodel Point، حيث سيطرة الأولى على المواصلات التى ربطت بين ولاية نوميديا والبروقنصلية واحتلت موقعاً استراتيجياً هاماً، وكانت الثانية نقطة تفرع وتلاقى العديد من الطرق الرئيسية سواء الذى امتد منها موازياً للساحل او امتد الى داخل البلاد كما سبق الذكر، وقامت العديد من المدن الساحلية بوظيفة الميناء مثل قالة Chullu وبيجاية Saldae والجزائر Lcosium وغيرها .

جدول (٢) اهم المدن فى شمال افريقيا فى العصر الرومانى *

اسم المدينة الحالى	اسم المدينة الرومانية
	١ - مدن طرابلس :-
طرابلس	OEA
صيراته	Sabratha Vulpia
لبدة	Leptis Magna
	٢ - مدن البروقنصلية :-
المهدية	Gummi
رأس الديماس	Thapsur
فلمطة	Leptis Minor
المنستير	Ruspina
صفاقس	Taparura
سوسة	Hadrumetum
قرطاج	Carthage
اوتيكة	Utiqua
بنزرت	Hippo Diarrhytus
عنابة	Hippo Regius
تلابت	Thelepte
القصرين	Cillium
حيدرة	Ammaedara
الكاف	Sicca Veneria
هنشير	Althiburos
مكتر	Mactaris
قالمة	Calama
الخميسة	Thubursicu Numidarum
مداوروش	Madauras
تبسة	Capsa

تابع جدول (٢) اهم المدن فى شمال افريقيا فى العصر الرومانى

اسم المدينة الحالى	اسم المدينة الرومانية
	٣ - مدن توميديا :-
قسطنطينة	Cirta
القاله	Chullu
خنشلة	Mascula
تيمقاد	Thamugadi
جميلة	Culcal
	٤ - مدن موريتانيا القيصرية:-
چيجلى	Lgilgili
بجاية	Saldae
تغزرت	Lomnium
دلس	Rusuccru
ماتيفو	Rusguniae
الجزائر	Lcosium
تيازة	Tipaza
قبة سيدى ابراهيم	Gunugu
وتنس	Cartennae
شرشال	Lol
تناراموزا	Tanaramusa
سوفسار	Dollfusville
افرقيل	Malliana
المليانة	Zucchabar
عين تيمو	Albulae
حمام بوحجار	Dracones
أريال	Regiae
سان نونيسى	Tasaccora

تابع جدول (٢) اهم المدن فى شمال افريقيا فى العصر الرومانى

اسم المدينة الحالى	اسم المدينة الرومانية
تلمسان	Pomaria
لاموريسيار	Altava
شانزى	Coputtasaccora
وتمزوين	Lucu
وينيان	Ala Miliaria
تعزمرات	Cohars Breucorum
	٥ - مدن موريتانيا الطنجية:-
طنجة	Tingis
تشميش	Lixus
وليلى	Volubilis

* شارل اندرى جوليان - مرجع سابق - ١٩٦٩ - ٢٣١ - ٢٣٩ .

خضعت المدن في شمال افريقيا الى الخطة الشترنجية التي حرص على تطبيقها الرومان عند انشائهم للمدن، فعادة تقام المدينة على شكل مربع او مستطيل يخترقها طريقان رئيسيان متعامدان احدهما من الشمال الى الجنوب ويسمى كاربو Cardo والآخر من الشرق إلى الغرب ويسمى Decomanus وبذلك تنقسم المدينة اربعة اقسام، وغالبا ما يقع هذان الطريقان في وسط المدينة وعند تقاطع الطريقين يخطط ميدان رئيسى مفتوح، ويحيط بالمدينة سور له بوابات (احمد خالد علام وآخرون، ١٩٩٣، ١٠٢) (٧٤).

وكانت المدن الرومانية تخطط لإستيعاب ٥٠ ألف نسمة كحد أمثل لأحجام المدن، الا أن هذا الرقم قد زاد في الكثير من الأحيان وقل في احيان أخرى خاصة في المناطق الخاضعة للإستعمار الرومانى، وعلى سبيل المثال فإن متوسط احجام المدن في ولاية افريقية كان عشرة آلاف نسمة بما حولها من ضواحي، وكان الكثير من المدن يتراوح سكانها ما بين ٢٠٠٠، ٦٠٠٠ نسمة، وكانت المدينة مركزا سياسياً ودينياً بما فيها من مساحة عامة ومحكمة، وهياكل، وكانت ايضا مركزاً اقتصاديا بأسواقها وحوانيتها وصناعاتها، وكانت مقر اجتماع ومكان للهو بما حوت من مسارح وحمامات (عزيزة بدر: ١٩٨٤، ٢١) (٧٥).

مما سبق يتضح أن التأثير الرومانى الواقد على الشمال الافريقى، قد اثر بما لا يدع شك في العمران الحضري في هذا الجزء من القارة الافريقية وأدى الحرص الشديد على التخطيط واقترن التخطيط الخاص بالمدن بتخطيط مصاحب للاراضى الزراعية وامتداد التخطيط إلى الطرق وتقسيم الحقول والاهتمام بالامداد بالمياة هذا جعل هناك محافظة على التوازن بين الريف والحضر في الاراضى التي امتد اليها النفوذ الرومانى، ومنها شمال افريقيا.

تدهور الحياة الحضرية في نهاية الحكم الرومانى :-

تعد المدينة ظاهرة حضارية يصعب فصلها عن المستوى الحضارى العام الذى تمر به الشعوب، وهى تكون فى العادة تعبيراً صادقاً عن المرحلة

الحضارية للاقليم (احمد اسماعيل، ١٩٩٠، ٦٦) (٧٦)، وجدير بالذكر أن المرحلة الحضارية التي مرت بها شمال افريقيا فى القرن الخامس الميلادى قد تركت بصماتها واضحة على الحياة الحضرية فى هذا النطاق، حيث يرى "هانس Hance" أنه قد حدث تدهور شديد قد أصاب المدن فى كل مكان وفى ارجاء الشمال الافريقى فى فترة القرن الخامس الميلادى (Hance, W.A 1970:210) (٧٧)، وصحب هذا التدهور تقهقر فى حركة العمران، وانكماش وتقلص فى رقعة الاراضى الزراعية والمناطق الريفية المحيطة بالمدن والتي كانت تعتمد عليها (المدن) فى الامداد بالمؤن الغذائية، وأصبحت مظاهر الطمس للمؤثرات الرومانية واضحة، وأصاب العمران الحضرى اندثار فى كثير من المواقع، وشهدت هذه الفترة زحفاً للبداءة مرة أخرى.

ويمكن أن نرجع هذا الوضع المتدهور إلى الأزمة الكبرى التى انتابت الامبراطورية الرومانية فى الفترة من ٢٢٥-٣٩٥م (أى الحقبة الثانية من الامبراطورية الرومانية) بتأثير غزوات البرابرة (أقوم قدمت من سهول آسيا الوسطى إجتاحوا أوروبا من الشرق على فترات متعددة منهم الهون والجرمان.. الخ) ويذكر "موريس لومبارد" أن المحاولة التى قامت بها الدولة البيزنطية عند ضم شطر صغير ساحلى فى الفترة من ٥٢٣ إلى ٦٤٧م اليها للحيلولة بون تقلص التيارات التجارية والتقهر الاقتصادى بالمنطقة لم تأتى بالنتائج المرجوة، ولم تفلح هذه المحاولة فى تخفيف نتائج انكماش وتقلص الأراضى الزراعية او وقف اختناق الحياة الحضرية فى الشمال الافريقى (موريس لومبارد ١٩٧٩: ٧٦-٧٨) (٧٨)، وجدير بالذكر أنه مع استمرار هذه الأحوال المتردية للعمران فى الشمال الافريقى فقد بقيت بعض المدن والنويات الحضرية مثل قرطاج وفولوبيليس (وليلى) وتنجيس (طنجة) وسبتم (سبته)، غير أنها كانت فى حالة من الضعف والتدهور نتيجة لزحف واتساع حياة البداءة فى انحاء الأقليم.

ويتضح مما سبق أن بلاد المغرب العربى كانت تعاني عشية الفتح الإسلامى من تقهقر عمرانى مقترن بتدهور اقتصادى شديد. وبدخول الاسلام

افريقيا الشمالية نجح الحكم الاسلامى فى رد اقطار افريقيا الشمالية إلى الحياة الاقتصادية المزدهرة وإلى انبعاث مذهب فى الحياة الحضرية، وعادت الحضارة العمرانية للظهور، فظهرت المدن الاسلامية النشيطة تجارياً، ذات المورقولوجية المميزة، ومع المدينة الاسلامية نمى نمط جديد من الافراد، وهو بربرى اثر فيه الاسلام بصورة عميقة، ويفضل جهوده اخذت المؤثرات العمرانية فى الانتشار (موريس لومبارد: ١٩٧٨: ١٠٣) (٧٩).

التأثير الاسلامى على الحضرية فى شمال افريقيا :-

يشير "أبن خلدون" إلى مدى الارتباط الوثيق بين قوة الدولة وازدهار العمران الحضري بها ويؤكد أن دور الدولة القوية لا يقتصر على زيادة معدل نمو العمران وازدهار المدن القائمة، بل يتعدى ذلك إلى إستحداث مدنا جديد، وخاصة زمن الفتوحات الكبيرة لهذه الدولة، حيث انها تكون فى حاجة إلى إستحداث بعض المدن والثغور لإيواء حامياتها وحماية حدودها الجديدة من غارات الدول المجاورة.

كذلك ربط "أبن خلدون" بين رقى الدول وما يطرأ على المدن من ازدهار ونمو تبعاً لذلك، وبين اضطراب احوال الدول فى أواخر أيامها وما تتعرض له المدن من تدهور وخراب، وذلك لما يحدث فى مثل هذه الفترات من أحداث ترتبط بطبيعة هذه المرحلة من حياة الدولة، فمما لاشك فيه يؤدي التدهور الاقتصادى وعدم الاستقرار السياسى إلى تدهور المدن واضمحلالها. (عبد العال عبد المنعم الشامى - ١٩٧٨ : ١٣٢ - ١١٣) (٨٠).

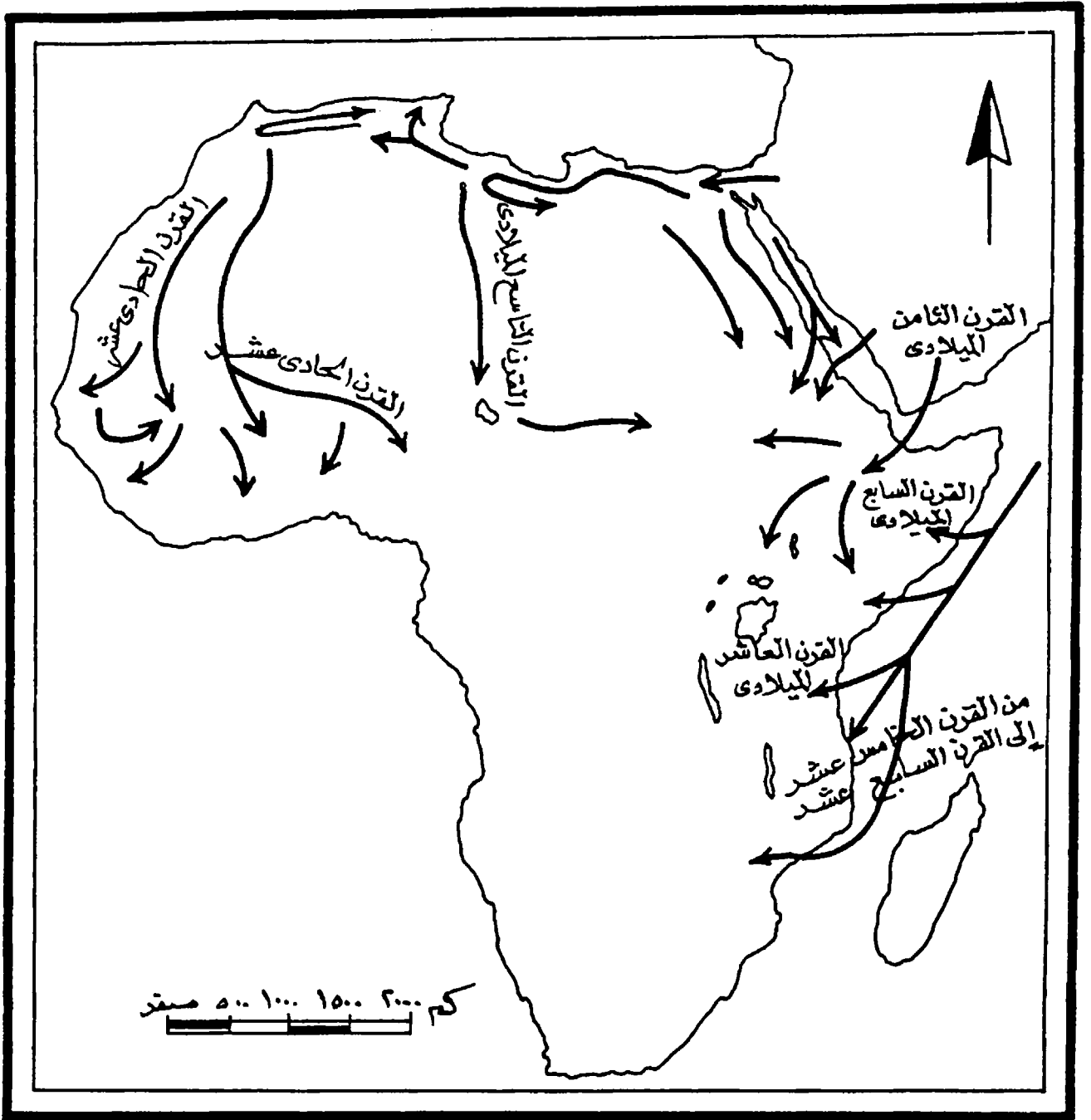
ويمكن تطبيق ذلك على الفتوحات الاسلامية فى شمال افريقيا والتي صاحبها إقامة أمصار جديدة وسلسلة من المدن والثغور، شُيد بعضها مع بداية الفتح الاسلامى. وشُيد البعض الآخر مع قيام نول إسلامية مستقلة بالمغرب العربى. فيما بعد، وذلك فى خلال فترة الحكم الاسلامى فى شمال أفريقيا التي امتدت من القرن السابع الميلادى حتى بداية القرن السادس عشر الميلادى.

وجدير بالذكر أن العديد من هذه المدن شهدت فترات من النمو والازدهار ومرت بفترات أخرى من التدهور والتدنى، وذلك تبعاً لما تعرضت له أحوال الدول المتعاقبة التي قامت على صفحة الاقليم. وهذا ما سيتضح فى العرض التالى :-

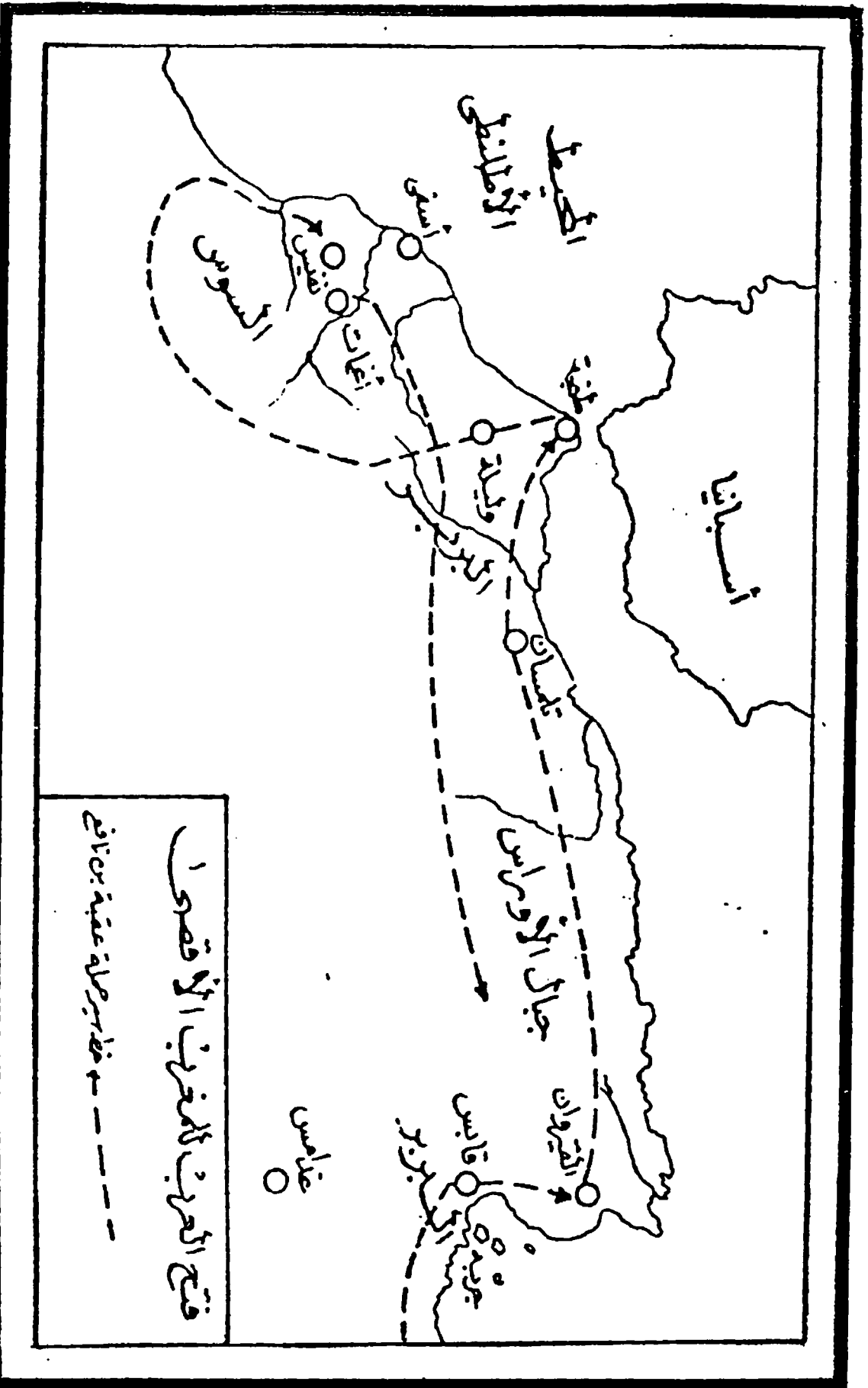
كان استيلاء المسلمين على مصر عام ٦٤١م، يعد بداية التأثير الاسلامى على الشمال الافريقى، حيث كان هذا ايذاناً بامتداد سلطانهم غرباً، فتوالت حملاتهم على هذه البلاد حتى دخل الشمال الافريقى كله فى كنف الدولة العربية الإسلامية (شوقى عطاالله الجمل - عبد الله عبد الرازق ١٩٩٦: ٤٥) (٨١).

وقد واجه الانتشار Diffusion العربى الاسلامى العديد من الصعوبات فى بادئ الامر سواء من قبل البدو من البربر أو من قبل البيزنطيين، إلا أن الاسلام قد استطاع أن يرسى قواعد الوحدة بين أقاليم الشمال الافريقى فى العديد من الفترات. (Best and De Blij, 1977 : 67) (٨٢) فقد تم وحدة الشمال الافريقى فى عهد الدولة الاموية (حين خرج عقبة بن نافع ٦٨١م من القيروان كنقطة إنطلاق إلى الغرب، فسار إلى الزاب (جنوب قسنطينة) ثم إستولى على تلمسان واتجه جنوب المغرب الأقصى فأستولى على طنجة، وتقدم فى بلاد المغرب فوصل إلى السوس الأدنى والسوس الأقصى وانتهى إلى مدينة اسفى على المحيط الأطلنطى) (شوقى الجمل - ١٩٩٧ : ٨) (٨٣)، كذلك شهد الشمال الافريقى الوحدة فى عهد الدولة الفاطمية، وفى غيرها من الفترات.

وفى ظل الاسلام شهد الشمال الافريقى قيام العديد من الأمصار والمدن كان أولها نشأة مدينة "القيروان" على يد عقبة بن نافع عام ٦٧٠م، وقد شيدت المدينة فى موقع داخلى بعيداً عن البحر، حيث تحاشى العرب فى بادئ الامر الاقتراب من المناطق الساحلية (Best and De Blij, 1977 : 67) (٨٤) واستكملت مقومات مدينة القيروان كمدينة إسلامية ببناء جامع عقبة بن نافع فى وسط المدينة، وخططت لتكون موقعاً دفاعياً ومعسكراً للإنطلاق، وتعرضت القيروان للتخريب فى اواسط القرن الثامن الميلادى، نتيجة للإضطرابات سياسية تعرضت على إثرهما العديد من المدن والقرى للتدمير والتخريب (شوقى الجمل - ١٩٩٧ : ٩) (٨٥).



شكل (٧) إنتشار الإسلام في إفريقيا منذ دخوله إلى القارة
 في القرن السابع الميلادي
 المصدر: Pritchard, J. M., op. cit, p. 47.



المصدر: سوقي البهمل - مرجع سابقه - ١٩٩٧ - ص ٥٨٤ (شكل ٨)

وقد اعيد بناء القيروان عام ٧٧٢م واضطلعت بدور العاصمة فى عهد دولة الأغالبة المستقلة التى قامت فى ولاية افريقية (من ٨٠٠م الى ٩٠٩م)، وكان جامع القيروان الذى شيد بالمدينة منارة علمية لعبت فى شمال أفريقيا دور ثقافى ودينى كبير (شوقى الجبل - ١٩٩٧: ١٣) (٨٦).

وبذلك تعددت وظائف القيروان حيث اضطلعت بالعديد منها فقد كانت العاصمة، ومركز اشعاع دينى، وثقافى، ومركز تجارى يعد من أكبر المراكز التجارية فى غرب البحر المتوسط، وأصبحت طرقها تربطها بأوروبا المسيحية، وكانت تلك الطرق تربط القيروان بأواسط أفريقيا مصدر التبر والعبيد من الزنوج، وتربطها بالشرق الثرى حيث كانت تصدر له العبيد والزيت (عزیزه محمد على بدر - ١٩٨٤: ٣١) (٨٧).

وضمنت شبكة المدن الإسلامية مدينة العباسية (القصر الجديد) التى انشأت سنة ١٨٥هـ / ٨٠١م جنوب القيروان بأربعة كيلومترات. وقد شيدت لتكون مقراً للحاكم (ابراهيم بن الاغلب) ومعسكر لجنده، وأقيم بها القصور والحدائق واماكن القيادة، إلا أن هذه المدينة قد انطمست معالمها فى الوقت الحاضر ولم يبق منها سوى الأطلال التى يطلق عليها قصور الاغالبة.

وتعد مدينة "رقادة" أو "القصر الجديد" من مدن الوسط التونسى والمقامة فى منطقة داخلية فى عهد اسرة الاغالبة أيضا (انشأت ٢٦٤هـ / ٨٧٨م) وقد اتخذت مقراً وعاصمة لحكم هذه الاسرة فى أواخر ايامها، ولذلك فقد عمرت بالاسواق، والحمامات والفنادق والعديد من المنشآت العمرانية وأقيم حولها سور من الطوب اللبن لإستكمال دواعى الامن المعروفة فى فترة العصور الوسطى لمعظم المدن (الرفيق القيروانى - ١٩٩٤: ٣٦) (٨٨).

ويضم نطاق المدن الإسلامية الداخلية مدينة "فاس" التى نشأت فى عهد دولة الأدارسة سنة ١٩٠هـ / ٨٠٨م (فى عهد ادريس الثانى) وقد اختير لإقامة المدينة موضع فى سهل سايس على ضفتى وادى فاس (سيبو الحالى)، ولهذا تعد فاس من المدن التوأمية "Twin City"، حيث تنقسم إلى شطرين الشطر

الأيسر من المدينة ويطلق عليه عدوة القرويين، والشطر المشيد على الضفة اليمنى وهو الشطر القديم وقد اطلق عليه فيما بعد عدوة الاندلسيين، وقد تم توحيد شطري المدينة فى عهد أول ملوك دولة المرابطين (يوسف بن تاشفين)، (المكتب الوطنى المغربى للسياحة ١٩٩١: ٦ - ٧) (٨٩).

واكتسبت المدينة اشعاعاً فكرياً وحضارياً بعد التأسيس جامع القرويين بها سنة ٨٥٩م، والذي أصبح جامعة شهيرة، وأصبح منارة للإسلام ومركزاً هاماً للدراسة. (شوقى الجمل - ١٩٩٧ : ٢٤) (٩٠)، واضطلعت مدينة فاس بوظيفة العاصمة فى عهد الأدارسة وفى عهد حكم الاسرة المرينية ١٢٤٨م، وقد ضمت العديد من المؤسسات والمنشآت الحضارية من أهمها القصر الملكى الحالى وعدة مدارس منها مدرسة الصغارين والعطارين وغيرها (المكتب الوطنى المغربى للسياحة : ١٩٩١ - ١٠) (٩١).

اسست مدينة مكناس فى القرن العاشر الميلادى، فى موقع يتوسط سهل سايس الكائن بين سفوح جبال أطلس الوسطى وهضبات ما قبل الريف، وتعد مكناس من المدن الداخلية التى توسعت عمرانياً على مر عهود الدول المتعاقبة عليها، فقد حصنها المرابطون فى القرن الحادى عشر، واتسعت رقعتها العمرانية فى القرن الثامن عشر على يد الموحدين، وقد اضطلعت بوظيفة العاصمة فى عهد الدولة العلوية (١٦٧٢م - ١٧٢٧م) حيث شملتها نهضة عمرانية وثقافية مكثفة، فشيد بها القصور والاسوار والأبواب والمدارس والحدائق وغيرها من المؤسسات العمرانية.

أما مدينة مسراكش فقد أنشأت فى عام ٤٦٢هـ - ١٠٦٩م زمن دولة المرابطين (فى عهد يوسف بن تاشفين) وقد تم بناء المدينة فى موضع بواحة تلتقى عندها الطرق الى كانت تمر بها قوافل الجنوب (المكتب الوطنى المغربى للسياحة: ١٩٩١: ١٠) (٩٢)، وهى بذلك تميزت بموقع عقدى طبيعى، حيث توفر لها امكانيات الحماية والإتصال الجيد، وبرزت مدينة مراكش كعاصمة لدولة المرابطين التى اتسعت دولتهم حتى صارت تجمع ما بين المغربين الأقصى

والأوسط شرقاً، وبلاد الاندلس شمالاً وتمتد إلى بلاد السودان جنوباً (شوقى الجمل - ١٩٩٧ : ٢٠ - ٢١) (٩٣) وقد حصنت المدينة بالأسوار، واقيم بها العديد من المنشآت العمرانية.

شهدت المدينة فترات من الازدهار والنمو العمرانى (مثلما كان فى عهد يعقوب المنصور فى الفترة من ١١٨٤ إلى ١١٩٩م)، كما شهدت فترات أخرى من الانحطاط كما حدث لها فى عام ١٢٦٣م (فى عهد الدولة المرينية) وفى أواخر عهد السعديين.

ومن المدن الاسلامية الساحلية مدينة "المهدية" التى أنشأت فى عام ٩٢١م فى عهد الدولة الفاطمية العبيدية، لتكون عاصمة ومنطلقاً للحملات الموجهة صوب الشرق، وقد بنيت على موضع عتيق يرجع إلى القرنين الرابع والثالث ق.م، تمثل فى شبه جزيرة تعرف بقصر جمة على الساحل الشرقى لولاية افريقية، وقد أنشأت بالمدينة العديد من المنشآت العمرانية مثل دار الصناعة ومخازن المياه، وسرايب داخل المدينة وغير ذلك، وجدير بالذكر انه قد تم ردم مقدار من البحر مساوى مقدار أو مساحة المدينة وضم اليها، وفى هذا الجزء أقيم الجامع الأعظم (الجامع العبيدى) ودار المحاسبات. وشيد المهدي مؤسس المهدي مدينة أخرى تسمى "زويلة" جعل بها الاسواق والفنادق وادار حولها خنادق متسعة تجمع فيها مياه الامطار وكان يطلق عليها اسم إحدى المهديتين (عزيزة على بدر - ١٩٨٤ - ٣٤) (٩٤).

ترجع نشأة مدينة تونس إلى عهد الدولة الاموية على يد حسان بن النعمان، بعد قيامه بتخريب مدينة قرطاج (حسين مؤنس - ١٩٩٣ : ٦٧ - ٦٨) (٩٥)، وقد خلفت تونس مدينة قرطاج حيث شيد بها المباني والاسواق ودار صناعة السفن، وقد اضطلعت تونس بوظيفة العاصمة فى عهد الموحدين (١١٣٠م) وفى عهد حكم الدولة الحفصية بتونس (الحالية) (١٢٣٠ - ١٥٧٤م) وقد ساعد موقعها المنيع وانفتاحها على البحر واهتمامها بالتجارة البحرية يوفر لها موارد هامة مما أدى إلى استمرار ازدهارها (عزيزة على بدر - ١٩٨٤ : ٤١) (٩٦).

نشأت مدينة الرباط في القرن العاشر الميلادي في موضع على الجانب الأيسر لوادي نهر أبي الرقراق لتكون حصناً واقياً للدفاع عن مدينة "سلا" المقامة على الضفة اليمنى للنهر، وأطلق على هذا الحصن رباطاً ومن هنا سميت المدينة بالرباط. وفي عهد الموحدين تحولت إلى مركز محصن أطلق عليه "رباط الفتح"، وبدأت تستقبل مدينة الموحدين أفواج المسلمين النازحين من بلاد الأندلس منذ عام ١٦١٠م. إلا أن توحيد المدينتين أو المدينة "سلا" والحصن "الرباط" قد تم في عهد الدولة العلوية عام ١٦٦٦ (المكتب الوطني المغربي للسياحة - ١٩٩١ : ٣) (٩٧).

رغم تعدد المدن التي تم تناول نشأتها في العرض السابق إلا أنه يبقى العديد من المدن التي تم تأسيسها خلال الفترة الإسلامية في الشمال الأفريقي والجدول التالي يتناول بعضها.

جدول (٣) تاريخ نشأة بعض المدن الإسلامية في شمال أفريقيا*

المدينة	تاريخ النشأة	المدينة	تاريخ النشأة
القيروان	٦٧٠م	تاهرات	٧٦١م
تونس	-	تونس	٨٧٥-٨٧٦م
المهدية	٩٥١م	وهران	٩٠٣-٩٠٢م
عشير	٩٣٥م	فاس	٨٠٧م
الجزائر	٩٥٠م	مكناس	٩٦٠م
مليانة	٩٤٦م	وجدة	٩٦٤م
ميدية	٩٤٦م	مراكش	١٠٧٧م
قلعة بني حماد	١٠٠٧م		

*Hance W.M., op cit,

- موريس لومبارد - مرجع سابق - ص ١٨٢-١٨٧

يتضح مما سبق انه ارتبط بالفتح العربي الإسلامى للمغرب العربى نشأة شبكة كثيفة من المدن اتخذت قواعد متقدمة لتدعيم أنتشار الاسلام والحضارة العربية فى هذا الاقليم، وأهم ما يلاحظ على هذه الشبكة ما يلى :-

نمت العديد من المدن الاسلامية فى الفترة من القرن الثامن إلى الحادى عشر مستفيدة من التجارة والنشاط التجارى، وخاصة تجارة العبور (ترانزيت) التى كانت تتم بين الشرق الاسلامى وبين صقلية واسبانيا، وبين البلاد الإسلامية ككل وبين منطقة السودان الغربى عبر الطرق الصحراوية المخترقة الصحراء الكبرى.

وجدير بالذكر أن النهضة العظيمة التى شهدها الشمال الأقصى والقائمة فى جزء منها على التجارة العابرة للصحراء، قد دفعت الى انشاء سلسلة من المدن شمال الصحراء الكبرى تخدم هذه التجارة، ومن هذه المدن على سبيل المثال لا الحصر مدينة سجلماسة، ورقلة، والمزاب وإيعلى التى شيدت فى القرن التاسع فى منطقة السوسى الأقصى، كنقطة نهاية لأحد الطرق او المسالك العابرة للصحراء الكبرى، ويؤكد "موريس" أن انشاء كلا من مدينتى فاس والقيروان كان له صلة مع تلك الواجهة الجنوبية لتجارة شمال افريقيا مع السودان الغربى (موريس لومبارد : ١٩٧٩ : ١٨٢) (٩٨).

- قد شهد النظام الحضرى تحولا أساسيا فى بلاد المغرب العربى نتيجة للإهتمام بالتجارة الداخلية، وعلى سبيل المثال تحول النظام الحضرى فى تونس فى الفترة من منتصف القرن السابع وحتى اواسط القرن الحادى عشر الميلادى، والذى كان متركزا فى القسم الشمالى الشرقى من افريقية (تونس الحالية) حول قرطاج واقليم بنزرت، إلى الوسط التونسى فى منطقة داخلية بعيدة عن البحر، واصبحت شبكة المدن والعمران الجديدة تعتمد على طرق تجارية برية داخلية تربطها بالمغرب الأوسط والأقصى من ناحية، وافريقيا جنوب الصحراء أو السودان الغربى من ناحية أخرى، كذلك بالشرق العربى الاسلامى بواسطة طريق طرابلس البرى (فتحي محمد ابو عيانه - ١٩٨٩ : ١٢٢) (٩٩).

أدى التدهور الأقتصادي والسياسي والذي تفاقم في القرن الحادي عشر وحتى بداية القرن الثالث عشر، مع قدوم بنى هلال وبنى سليم من البدو العرب الى الشمال الافريقي والذين تمكنوا من مهاجمة المراكز العمرانية والسكان المستقرين الى تقلص المدن الداخلية والحياة الحضرية بل قد زالت وهدمت بعض المدن مثل مدينة المنصورية (التي اسست قرب القيروان في عهد الدولة الفاطمية)، كما أصاب مدينة القيروان الكثير من الأضرار وقد قيل أنها زالت في هذا الوقت (عزيزة على بدر ١٩٨٤-٣٧) (١٠٠)، وبينما شهدت القيروان والمدن الداخلية والصحراوية تدهور عمرانياً مستمراً، ازدهرت في تلك الفترة العديد من المدن الساحلية مثل مدينة تونس وبنزرت وسوسة والمهدية وصفاقس وقابس وغيرها (فتحى محمد ابوعيانه ١٩٨٩-١٢٣) (١٠١).

ارتبط في كثير من الاحيان عمر العاصمة بعمر الدولة التي شيدتها، فمع امتداد عمر الدولة تقام المباني وتتسع الأسواق وتزداد رقعة المدينة. كما حدث في مدينة القيروان عاصمة الاغالبة، وفاس عاصمة الأدارسة. ويؤدي انقراض الدولة وضعفها الى تدهور العاصمة ونقص العمران بها حتى تنتهي المدينة الى خراب، وقد حدث ذلك لكل من مدينة العباسية ومدينة المنصورية وغيرها من العواصم، وقد لايتحقق تدهور العواصم على النحو السابق وذلك حين تقف الظروف البشرية وراء بقاء العواصم على حالها، وذلك إذا بقيت العاصمة مركزاً ومقرراً لحكم الدولة الجديدة. واستغنت الدولة بها عن اختطاط عاصمة جديدة على نحو ماحدث لفاس ومراكش وغيرها من مدن العواصم، وقد يكون للعاصمة ظهير بشري في ضواحيها والمناطق المحيطة بها يمدّها بالسكان فيؤدي هجرة أو تحول سكان الريف والبادية الى سكنى المدن الى الحفاظ على بقاء العاصمة كما هو الحال بفاس وجاية بالمغرب (عبد العال عبد المنعم الشامي ١٩٧٨:١٣٤) (١٠٢).

وقد شهد النظام الحضري في الشمال الافريقي العديد من الظواهر والمؤثرات الحضرية الوافدة مع الفتح الاسلامي للإقليم ونستطيع أن نعدد بعض هذه الظواهر فيمايلي:

١ - ظاهرة الإلتحام والإزنواج، تعد ظاهرة "التحام المدن" كثيرة الحدوث في الاقطار العربية الإسلامية ومن أشهر الامثلة عليها الفسطاط -القاهرة، وتعد القيروان مثال آخر على ظاهرة الالتحام التي تتم نتيجة كثافة سكانية مرتفعة وانفجار عمرانى ثم تلاحم، أو تحدث نتيجة لضم الحصون والأريضة الخاصة بالجيش المجاورة للمدن، ففي حالة القيروان التي تأسست عام ٦٧٠م. وكانت معسكراً او موقعاً دفاعياً فى بادئ الامر، وعلى مر العصور شهدت المدينة نمواً عمرانياً كبيراً، ونمت الضواحي حولها ونشأت مراكز جديدة، كانت مدناً سكنية او قصور سرعان ما أحيطت بأسوار وأصبحت مراكز لنوايا عمرانى أهلة بالسكان، وقد التحمت هذه النوايا العمرانية بالمدينة الأم، ومن أشهر النوايا التي اضممت الى القيروان مدينة "صبرة منصورية" التي انشأت خلال عامى ٩٤٨ و ٩٤٩م، وأسسها الخليفة الفاطمى المنصور. وقد كانت "صبرة" كثيرة القصور وبها العديد من المؤسسات التجارية وواقعه الى الشرق من القيروان وقد أدمجت فى داخل سور القيروان الموسع وأصبحت أحد أحياء المدينة، وتعد "المهدية و زويلة" من الأمثلة الأخرى لظاهرة الالتحام.

٢ - شهد الشمال الافريقى نمطا آخر للمدن وهو المدن التوأمية "Twin City" وتعد مدينة فاس من أشهر الأمثلة على هذه الظاهرة فقد اقيمت فاس "القديمة" على الضفة اليمنى لنهر فاس (نهر سيبو حالياً) سنة ٧٨٩م، وتعد المدينة القديمة بربرية الطراز، تضم تجمع من الخيام وجامع ومساكن سيئة التشييد وحظائر للماشية ويحيط بالجميع سور من جنوع الاشجار ومن القصب، واجملاً كانت متواضعة، وفى عام ٨٠٨م، انشأت فاس الجديدة على ضفة النهر اليسرى، وأصبحت هى المدينة الرسمية، بها الجامع الكبير، والاسواق ومقر الحكم (موريس لومبارد: ١٩٧٩: ١٠١) (١٠٣)، كذلك تعد مدينة الرباط من المدن التوأمية.

٣ - من الظاهرات والمؤثرات الوافدة مع الفتح الاسلامى، ظاهرة انتشار "الرباطات" وهى المدن العسكرية او الحصون للمتطوعين من المجاهدين الذين كانوا يتناوبون على مراقبة حركات العدو فى البحر وكانت تنتشر على جميع

الشواطئ البحرية بواقع رباط واحد لكل سته كيلومترات (فتحى مصيلحى-١٩٩٥:٢٤٣)(١٠٤)، ومن الرباطات رباط سوسة ورباط "المنستير"، وكان رباطاً أو قصرأ يربط فيه المسلمون لحماية ثغور إفريقية من الغارات البحرية التى كان يقوم بها الروم. وقد بنى عام ١٨٠هـ، وهو من أقدم وأجمل الرباطات من الناحة الهندسية، وقد إتسع هذا الرباط حتى أصبح على شكل حصن كثير السكان. (الرفيق القيروانى - ١٩٩٤ : ٣٥)(١٠٥).

٤ - شهد الشمال الافريقى فى الفترة الاسلامية ظاهرة "المواضع المتعاقبة" او المدن "البدائل"، أو ظاهرة هجرة المدينة على مر العصور بين عدد من المواضع داخل نفس الموقع الواحد تلبية لحاجة السكان للأمن والحماية ومثال ذلك تتابع منف ثم الفسطاط ثم القاهرة على رأس الدلتا فى مصر، وتتابع قرطاج وتينس Tyns الرومانية وتونس فى رأس تونس، وتتابع فاس مع مدينة فولوبيليس (وليلى) فى سهل سايس. ووحدة الوظيفة وعدم اختلافها بين المواضع كان شرطاً من شروط التتابع المدنى أو مدن البدائل التى أوردها "اندريه اليكسى"، بشرط تحقيق الموضع الجديد لوظيفة الموضع القديم فى ظل ظروف أكثر امنا وحماية للسكان (جمال حمدان ١٩٧٢ : ٢٧٨ - ٢٧٩)(١٠٦).

ومع المد العربى الاسلامى انتقل إلى مدن الشمال الافريقى أساليب وأسس هندسية البناء الاسلامى، وكانت المدينة العربية الاسلامية متأثرة فى نشأتها بالطابع الدينى، وبالطابع الحربى للامصار التى أنشأت لتكون معسكرات فى بادئ الامر، فهذا الخليط من الاعتبارات المدنية والحربية أوجد اسلوب للمدينة الاسلامية مالمبث أن انتقل إلى البلاد التى انتشر بها الاسلام.

اثر الاسلام على مورفولوجية المدينة فى شمال افريقيا

ان تعبير "المدينة الاسلامية" تعبير فضفاض وذلك لأن الطابع المحلى كان يميز كل جزء من أجزاء العالم الاسلامى، ويُرجع أحمد اسماعيل، هذا التباين المحلى إلى العديد من العوامل منها المناخ والتراث الحضارى ونظم التجارة بين مختلف اجزاء العالم الإسلامى الواسع، فتأثر القسم الغربى بالتراث اليونانى والرومانى، كما تأثر بوقوعه بين البحر المتوسط والصحراء، اما القسم الشرقى فيمكن أن تميز فيه تراث الحضارات الإيرانية والهندية (أحمد اسماعيل - ١٩٩٠ : ٧١) (١٠٧).

ويضم الشمال الافريقى العديد من المدن الاسلامية التى ورثت مدنا يونانية أو رومانية؛ مثل طنجة التى تعد وريثة طنجست الرومانية، وإطرابلس الاسلامية التى ورثت ماركا أويات الرومانية، وتونس التى خلفت قرطاج الرومانية وأصيلة (على المحيط الأطلنطى) التى ورثت زيليس التى كانت إحدى كبريات مدن موريتانيا الطنجية، (المكتب الوطنى المغربى للسياحة : ١٩٩٠ : ٢) (١٠٨)، وفى كل هذه الحالات وغيرها اكتسبت كل مدينة مع دخول الاسلام خصائص عمرانية واسلامية واضحة، حيث تكيفت سائر المدن المفتوحة (ذات النشأة والاصول السابقة للعصر الاسلامى) مع الاسلام وقيمة ومعاييره الحضارية والعمرانية.

أما المدن الإسلامية النشأة والتى سبق التعرف على العديد منها، مثل القيروان ومراكش وغيرها، فهى مدن إسلامية ذات تخطيط عمرانى إسلامى مميز منذ نشأتها ثم تعرضت للإضافات العمرانية والمعمارية من قبل كل دولة حاكمة أو فى فترات تتابع الدول الحاكمة والمتعاقبة على كل منها خلال الفترة الإسلامية.

ومما لا شك فيه أن الاسلام قد أثر فى مفردات مورفولوجية المدينة من خطة وشبكة شوارع، وطراز عمرانى، ومادة بناء وغير ذلك. فمدينة أطرابلس الإسلامية (على سبيل المثال) كانت عبارة عن رقعة شطرنجية (قد خططت وفق المخطط المعمارى الرومانى حيث يقطعها طريقان رئيسيان أحدهما يتجه من

الشمال إلى الجنوب والآخر من الشرق إلى الغرب، الأول يطلق عليه Cardo والثاني Decumanus وعند إلتقاء هذان الشارعان الرئيسيان يكون الميدان الرئيسي أو الفوروم Forum وحول الميدان أقيم المعبد Capital والأسواق والحمامات).

وأحيط بالمدينة في العصر الاسلامى سور مزدوج أو سور ستارة في القرن السابع الهجرى، ونمت أطرابلس الاسلامية داخل هذا السور الذى يمثل التقليد الاسلامى فى بناء الأسوار، حيث كانت تبني الأسوار المزدوجة (سور ستارة) ويفتح بالسور عدة أبواب (منها باب زناقة وباب هواره وباب البحر)، وحول المدينة حفر خندق فى القرن الثامن الهجرى، وقد تضافر السور مع الخندق الخارجى فى جعل المدينة كالجذيرة، وبداخل المدينة أقيمت القلعة والمساجد والحمامات والأسواق المختلفة (فاتن محمد البنا ١٩٧٧ : ٣٥) (١٠٩).

والاسوار سمة مورفولوجية هامة شهدتها المدن الإسلامية، حيث أن الحاجة إلى الحماية احتلت مكان الصدارة، وهى فى هذا تتفق مع المدن فى العصور الوسطى فالمدينة فى تلك الفترة هى المدينة ذات الاسوار.

ولذلك نرى المدن الاسلامية يحيط بها السور دائما، فقد احيطت القيروان بسور من اللبن والطين (فى بداية نشأتها)، وأحيط مدينة سفاقس سور من التراب واللبن ثم دعم بعد ذلك بالاحجار ودعم بستارة مبنية من الحجر المصقول وقطع من الحجارة غير المهذبة، كذلك بنى بالسور أبراج مستطيلة الشكل مستديرة الرؤوس، وسورت مدينة العباسية وكان يفتح بأسوارها خمسة أبواب منها باب الرحمة والحديد فى السور القبلى، وباب غليون والريع فى السور الشرقى، وباب السعادة فى السور الغربى، كذلك سورت مدينة سوسة بسور مبنى من الحجر المصقول، ودعم بأبراج ضخمة، كان أكثرها ارتفاعاً البرج المقام فى الزاوية الجنوبية الغربية من اسوار المدينة وقد كان مربع الشكل ويبلغ ارتفاعه ما يزيد عن ثلاثين متراً (السيد عبد العزيز سالم : ١٩٨٢ : ١١٢، ٣٧٠، ٣٦٨) (١١٠).

وداخل أسوار المدينة العربية الاسلامية إمتدت شبكة الشوارع الضيقة، وضيق الشوارع فى العصور الوسطى كانت سمة مشتركة بين المدينة العربية والأوربية وإن اختلفت الأسباب) (عبد العال الشامى - ١٩٧٨ : ١٤٢) (١١١)، فى نظام تراتبى هرمى، حيث كان للمدينة شارعها الاعظم ثم تأتى بعد ذلك السكة ثم الزقاق (عبد العال الشامى - ١٩٧٨ : ١٤٢) (١١٢)، ويمكن التعرف على هذه الشبكة التراتبية فى مدينة تونس الاسلامية، فيمتد المستوى الأول لشبكة الشوارع بها والذي يعتبر عصب نظام الشبكة حيث يربط بوابات المدينة بمركزها حيث المسجد الجامع والاسواق التى تحيطه، ثم يأتى المستوى الثانى لشبكة الطرق الذى يلاحظ فى شوارع الاحياء (المحلات) أما المستوى الثالث من الشبكة، فيضم مجموعة الشوارع التى تربط المناطق داخل الاحياء (فتحى محمد مصيلحي - ١٩٩٥ : ٧٩) (١١٣).

ويعد المسجد الجامع من أبرز المكونات العمرانية والمعمارية فى المدينة الإسلامية، فقد كان مركز للحياة الدينية والسياسية و الإجتماعية إلى جانب مهمته الأساسية فى أداء الصلاة، فقد كانت تعقد فيه الإجتماعات العامة الكبيرة، وتتنظر فيه القضايا، وتعطى فى رحابه الدروس، ومن فوق منبره كانت تقرأ النشرات الرسمية والخطابات التى تتضمن أخبار هامة كالإنتصارات الحربية وغير ذلك (عبد العال الشامى - ١٩٧٨ : ١٦٣) (١١٤)، ونظراً لأهمية المسجد الجامع فى المدينة العربية فقد نظر اليه على أنه أساس التنظيم العمرانى للمدينة ومن حوله بقية الأنشطة (السيد محمود عبد العزيز سالم - ١٩٥٧ : ٥٤) (١١٥)، وأنه بهذا يمثل موضعاً هو بمثابة القلب أو المركز الرئيسى للمدينة الاسلامية، تنتشر حوله الاحياء والخطط المختلفة بما حوته من دور ومساكن وأسواق وغيرها.

ومن اقدم وأكبر المساجد المغرب العربى الجامعة جامع عقبة بن نافع (القيروان) الذى أنشأ سنة ٥٠ هـ ووجد عدة مرات ويبلغ طوله ١٢٦ متراً وعرضه ٧٧ متراً، وجامع الزيتونية الذى اسس عام سنة ١١٤ هـ فى مدينة تونس من أشهر المساجد الجامعة، كذلك أنشئ المسجد الجامع بسوسة فى عام

٢٣٦ هـ حيث أقيم فى الطرف الشمالى الشرقى من المدينة قريبا من باب البحر، ومن المساجد الجامعة المسجد الجامع بسفاقس (السيد محمود عبد العزيز سالم - ١٩٨٢ : ٣٣٦، ٣٤٨، ٣٥٧، ٣٦١) (١١٦).

والمدينة الاسلامية فى شمال افريقيا كانت تضم، أكثر من مسجد جامع بها، كما كانت تضم العديد من المساجد التى كان يشيدها الأمراء والقواد والتجار وغيرهم من أفراد المجتمع، هذا بالإضافة إلى العديد من المباني والمنشآت الدينية الى لا يقتصر دورهما على احياء الشعائر الدينية بل تعدى ذلك إلى تقديم خدمات تعليمية وثقافية وإجتماعية ومن هذه المنشآت الخوانق والرباطات والزوايا.

وتعد الأسواق من أهم مرافق المدينة التى أثر فيها الاسلام، ففى ظل الاسلام عرفت المدن العربية الأسواق المنتظمة، وكان للحسبة دورها فى تنظيم الأسواق، وتميزت الأسواق بالمدن العربية بالتخصص حيث تتجاور بها الحرف والأنشطة المتجانسة، وتتباعد الصناعات والأنشطة المتنافرة التى يخشى من بعضها على البعض (أحمد اسماعيل - ١٩٩٠: ٦٩) (١١٧)، واتخذت مواضع الأسواق أو الحى التجارى بالمدن العربية الاسلامية بالقرب من المسجد الجامع فى قلب المدينة الا أن هناك بعض السلع خصصت لها أماكن خارج المدن، ففى مدينة طنجة وجد السوق "الداخل"، الذى يتميز بكونه الحى التجارى الهام بالمدينة فى وسط المدينة وقلبها بالقرب من المسجد الأعظم «المسجد الجامع الكبير» حيث تمركزت كل الوحدات التجارية حول هذا المسجد، وكانت مساحة السوق الداخل ذات أهمية تجارية كبيرة، أما مساحة "السوق البرانى" فقد كانت خارج المدينة حيث توجد ساحته أمام باب الفحص، ويتم فى هذا لسوق المبادلات التجارية بين أهل الريف وسكان المدينة (عزيزة بدر : ١٩٩٦ : ٩٤، ١٠٣) (١١٨).

وعرفت عواصم أخرى فى الشمال لأفريقي نظاماً فريداً للأسواق فنجد مدينة المهديّة قد أخذت إلى جوارها رياض زويلة، وجعله المهديّ مسكناً للرعية

بناها لهم وسكن هو وجنده المهديّة، وكانت الرعيّة تبيت بزويّة عند أهاليهم وفي الصباح يتجهون الى حوانيتهم ومعايشهم بالمهديّة (عبد العال الشامي : ١٩٧٨ : ١٥٤)(١١٩).

ويعد المنزل العربي من أهم مكونات المدن الاسلاميّة ولعل أهم ما يميز المنازل العربيّة الإسلاميّة على اختلاف انواعها وجود صحن أو فناء مكشوف يتوسط كتلة المبنى، وتلتف حوله بقية الوحدات المعماريّة الرئيسيّة منها والثانويّة، كي تستمد منه معظم حاجتها من الضوء والتهوية ويعد المسكن العربي المراعى للتقاليد الاسلاميّة والمتوافق معها من أهم المؤثرات الوافدة مع الاسلام إلى مدن الشمال الأفريقيّ.

تحليل جغرافي لخصائص مدن ما قبل الاستعمار (الحديث، في إقليم شمال افريقيا :-

من الدراسة السابقة نستطيع ان نخلص لبعض خصائص مدن شمال أفريقيا قبل أن تطالعها المؤثرات الاستعماريّة الحديثة، وهذه الخصائص تتضح فيما يلي :-

١ - تمتد جنور المدن في إقليم شمال أفريقيا إلى عمق التاريخ وقد تطورت على طول فترة زمنيّة تمتد من ٤٠٠٠ سنة ق.م وحتى بداية التواجد الاستعماري الحديث، اضطلعت فيها هذه المدن بوظائف متباينة من العاصمة القوميّة (كمدن مصر القديمة والتي شهدت منها أكثر من ٢٠ عاصمة)، وحتى المدن الصغيرة الاقليميّة.

٢ - توضح نماذج مدن تلك الفترة أنها كانت انعكاساً لبيئتها الطبيعيّة والحضاريّة، كذلك عكست المدن النواحي الحضاريّة من حيث كونها وطنيّة خالصة كمدن مصر الفرعونيّة (في معظم فترات التاريخ الفرعوني) أو تعرضت لمؤثرات خارجيّة كمدن السواحل الشماليّة لأفريقيا، والتي ظهرت فيها المؤثرات الفينيقيّة واليونانيّة والرومانيّة وغيرها من المؤثرات.

٣ - كانت التجارة سبباً واضحاً فى نشأة وتطور المدن، ففى نطاق المدن الداخلية أو مدن النطاق الأوسط فى "شمال أفريقيا" استفادت هذه المدن من التجارة البرية العابرة للصحراء (خاصة فى العصر الإسلامى) وفى المدن تراكمت عائداتها، كذلك إستفادت المدن الساحلية بتجارة البحر المتوسط، وشهدت العديد من المدن مثل تونس وطرابلس وطنجة وسوسة فترات من الأزدهار بفضل نشاطها التجارى وتوجهها البحرى.

٤ - اختلفت مدن إقليم شمال أفريقيا فى درجة تلقيها للمؤثرات الخارجية. فقد وجدنا أن المدن المصرية لم تتلقى المؤثرات الخارجية إلا بعد تعرضها للإستعمار فى فترات مختلفة ومتقطعة فى حين أن المدن فى الشمال الأفريقى تلقت المؤثرات الخارجية مع بداية نشأتها الأولى.

٥ - انعكست المؤثرات الخارجية على خطة المدن وطرزها المعمارية، ويتضح ذلك حالياً فى الخطة الشطرنجية الرومانية التى خطت فى معظم المدن التى وقعت تحت السيطرة الرومانية، فقد وجدت هذه الخطة فى النواة القديمة لمدينة الأسكندرية، ومدينة طرابلس، ومدينة طنجة وغيرها من المدن ومع التواجد الإسلامى أضيف الكثير إلى مفردات مورفولوجية المدن فى الشمال الأفريقى، مثل المساجد الجامعة والأسوار المزبوجة المحيطة للمدن، وخطة الشوارع التراتبية الهرمية والمسكن العربى المعبر عن روح التقاليد الإسلامية وغير ذلك.

٦ - اختلفت الاسس الاقتصادية لمدن إقليم شمال أفريقيا، فبينما كان النشاط التجارى واضحاً كأساس إقتصادى لمدن محور البحر المتوسط، كان الاساس الإقتصادى القائم على الزراعة أكثر وضوحاً لمدن محور نهر النيل، خاصة فى العصور القديمة.

٧ - ارتبطت المدن وخاصة مدن العواصم فى إقليم شمال إفريقيا بدولها التى تولت الحكم، أى أنها كانت تعبيراً ورمزاً على قوة الدولة، تقوى بقوتها

وتزول بزوالها، وهكذا كانت القيروان رمزاً لحكم الأغالبة، وفاس رمزاً لحكم الإدارة وأواريس رمزاً لحكم الهكسوس وهكذا.

٨ - رغم أن الكثير من المدن الإفريقية قبل مقدم المستعمر لم تكن تلبى الحد الأدنى من معايير ومتطلبات جغرافية المدن الحديثة أو مفهوم المدينة بالمعنى الحديث (Mologunje, 1974: 26) (١٢٠)، إلا أنها مع ذلك عكست الكثير من التضمينات الجغرافية التي أنتجت عمليات Processes معنية أسهمت فيها مؤثرات إفريقية داخلية وأخرى جاءت من خارج أفريقيا، وهذه المدن مارست الأنشطة الاقتصادية جميعاً، وتأثير هذه المدن في أقليمها تم من خلال عمليات الانتشار Diffusion.

- 1 - Stock R., Africa South of Shara A Geographical Interpretation, London, 1995, P . 193
- ٢ - جمال حمدان- افريقيا الجديدة دراسة فى الجغرافيا السياسية - مكتبة النهضة المصرية- القاهرة ١٩٦٦ ص ١٢٢ .
- 3 - Hance W.A., Population, Migration, and Urbanization in Africa, London, 1970, p. 216
- 4 - Hartshorn, T.A., Interpreting The city An Urban Geography, New York, 1992, P 47
- 5 - Murphy, R., Historical Comparative Urban Studies, in Putnam, R., etal, A Geography of Urban Places, Methuen, Toronto, 1970, PP 25-32
- 6 - Lamphear, J., and Falola. D.T., Aspects of Early Africa History, in Martin, P.M. nd Meara, P. Africa, Third Edition, Indiana University Press, Jamer Carray, London, 1995,pp. 72-96.
- 7 - Ibide, 81.
- 8 - Mehratu, A., Cities of Sub - Saharan Africa, in Brunn, S.D., et al., eds., Cities of The World regional urban development, Harper and row publishers, New York, 1983,244
- 9 - Abungo, G., and Matoro, H., Coast -inlerior Settlements social relation in the Kenya Coastal hinterland, in Shaw, T., et al., eds., The Archaeology of Africa, Food, Metals and Towns, Routledge, London and New York, 1993, 244.
- 10 - Chittick, H.N., and Rotberg, R.I., eds., East Africa and The Orient Cultural Syntheses in Precolonial Times, New York, Africana Publishing Company,
- 11 - Abungo, G., and Matoro, H., oP. cit, P. 699.
- 12 - Sinclaire, P.J., et al., Urban Trajectories on the Zimbabwean plateau, in Shaw, T., et al., The Archaeology of Africa, 1993, P. 705.

- ١٤ - احمد على اسماعيل -دراسات فى جغرافية المدن- دار الثقافة والنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة. القاهرة. ١٩٩٠-ص٤.
- 15 - Butzer, K.W., Early Hydraulic Civilization in Egypt, Chicago and London, 1976,pp. 11-34.
- ١٦ - فتحى محمد او عيانه -جغرافية العمران- دراسة تحليلية للقرية والمدينة -دار المعرفة المصرية الجامعية- الاسكندرية، ١٩٩٦-ص٧٨.
- ١٧ - محمد مدحت جابر - بعض جوانب العمران فى مصر القديمة - مكتبة نهضة الشرق - القاهرة - ١٩٨٤ - ص ص ٢٢ ، ٧٨ .
- 18 - Butzer, K. W., oP cit, PP. 74-75
- ١٩ - فتحى محمد مصيلحى -تطور العاصمة المصرية والقاهرة الكبرى (تجربة التعمير المصرية من ٤٠٠٠ ق.م إلى ٢٠٠٠م) -القاهرة- ١٩٨٨، ص٢٨.
- ٢٠ - محمد السيد غلاب -يسرى الجوهري- جغرافية الحضر دراسة فى تطور الحضر ومناهج البحث فيها- منشأة المعارف- الاسكندرية- ١٩٧٢-ص ص ٤٠٨-٤١٠.
- ٢١ - جيمس بيكى -الأثار المصرية فى وادى النيل- ترجمة لبيب حبشى وشفيق فريد -مجموعة الألف كتاب- دار الكرنك، القاهرة، ١٩٦٣-ص ص ٢٠١-٢٠٢.
- ٢٢ - فتحى محمد مصيلحى -مرجع سابق- ص ص ٥٧-٥٩.
- ٢٣ - محمد مدحت جابر -مرجع سابق- ص ص ١٢٨-١٢٩.
- ٢٤ - فتحى محمد او عيانه -مرجع سابق- ص ٨٤.
- ٢٥ - فتحى محمد مصيلحى -مرجع سابق- ص ٣١.
- ٢٦ - المرجع اعلاه - ص ٤٦.
- ٢٧ - احمد على اسماعيل -مرجع سابق-ص ٤٥.
- 28 - Marris , A.E.J., History of Urban Form Before The Industrial Revolutions, Third Edition, Longman Scientific and Technical, New York, 1994, P. 27.
- 29 - Fakhry, A, The Oases of Egypt "Siwa-Oasis" Volume 1., Cairo, 1973, PP. 125 - 129.
- 30 - De Blij, A.J., Human Geography Culture Society and Space, New York, 1996-P. 477.
- 31 - Jones, E., Towns and Cities, Oxford Univ. Press 1976, P. 19.
- ٣٢ - عبد الفتاح وهيبه -مصر والعالم القديم- منشأة المعارف، الاسكندرية-١٩٧٥ ص ص ٣٥-٤٠.

- ٣٣ - أحمد اسماعيل - مرجع سابق - ص ٤٠ .
- ٣٤ - المرجع اعلاه - ص ٤٤ .
- 35 - Marris, A. E.J., op. cit, pp. 26-27.
- ٣٦ - محمد مدحت جابر - مرجع سابق - ص ١٨٢ .
- ٣٧ - المرجع اعلاه - ص ١٨٢ .
- 38 - Pritchard, J. M., Africa, Longman, England, 1979, P. 45
- 39 - Sock, R, op. cit, 1995, p. 194
- 40 - Lamphear, J., 1995, P. 80.
- ٤١ - صلاح عبد الجابر عيسى - دولة اريتريا من منظور الجغرافيا السياسية المجلة الجغرافية العربية - العدد ٢٨ - القاهرة، ١٩٩٦ - ص ١٧١ .
- ٤٢ - جمال حمدان - شخصية مصر دراسة فى عبقرية المكان - الجزء الثانى - عالم الكتب - القاهرة - ١٩٨١ : ٦٤٩ .
- ٤٣ - المرجع اعلاه - ٢٤٩
- 44 - Butzer, op. cit, P. 95.
- ٤٥ - محمد مدحت جابر - مرجع سابق - ص ١١١
- ٤٦ - ابراهيم نصحي - تاريخ مصر فى عصر البطالمة، الجزء الثانى - مكتبة الانجلو المصرية - ١٩٧٦ - صفحات متعددة .
- ٤٧ - احمد على اسماعيل - مرجع سابق ص ٦٣ .
- ٤٨ - موريس لومبارد - الجغرافيا التاريخية للعالم الاسلامى خلال القرون الاربعه الاولى - ترجمة عبد الرحمن حميدة - دار الفكر - الرياض - ١٩٧٩ - ص ١٧٩ .
- ٤٩ - المرجع اعلاه - ص ١٨١ - ١٨٢ .
- ٥١ - محمد صبحى عبد الحكيم - مدينة الاسكندرية - مكتبة مصر - القاهرة - ١٩٥٨ ص ١١٦ - ١١٧ .
- ٥٢ - المرجع اعلاه - ص ٨٨ - ٨٩ .
- ٥٣ - محمد مدحت جابر - مرجع سابق - ص ١٣٣
- ٥٤ - محمد صبحى عبد الحكيم - مرجع سابق ص ٩٤ .
- ٥٥ - شارل اندرى چوليان - تاريخ شمال افريقيا - ترجمة محمد مزالى - نشر الشركة التونسية للفنون الرسم جويلية - ١٩٦٩ - ص ٧٦ .
- ٥٦ - الهيد الحسينى - المدينة دراسة فى علم الاجتماع الحضرى - دار المعارف - ١٩٨١ - ص ٢١٣ .
- ٥٧ - احمد على اسماعيل - مرجع سابق - ص ٥٤ .

- ٥٨ - شارل اندرى جوليان -مرجع سابق -ص ص ٨٥-٨٦.
- ٥٩ - عزيزة محمد على بدر -الجمهورية التونسية دراسة فى جغرافية المدن، ماجستير غير منشورة -قسم الجغرافيا- معهد البحوث والدراسات الافريقية -جامعة القاهرة-١٩٨٤- ص١٢.
- ٦٠ - شارل اندرى جوليان -مرجع سابق- ص٨٧.
- ٦١ - فاتن محمد محمد البنا -محافظة طرابلس دراسة فى جغرافية العمران -ماجستير غير منشورة -قسم الجغرافيا- معهد البحوث والدراسات الافريقية -جامعة القاهرة ١٩٧٧-ص٣٠.
- ٦٢ - محمد السيد غلاب -مرجع سابق-ص٢٥١.
- ٦٣ - نجم الدين غالب الكيب -مدينة طرابلس عبر التاريخ .القاهرة -١٩٧٠- ص١٣.
- ٦٤ - كولين ماكيفيدى - أطلس التاريخ الإفريقي - ترجمة مختار السويفى - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٨٧ - ص ٤٩.
- ٦٥ - محمود الصديق ابو حامد-مظاهر الحضارة الفينيقية فى طرابلس-فى ليبيا فى التاريخ-المؤتمر التاريخى ١٦-٢٢ مارس ١٩٦٨- من ص ١٢٧-١٢٧.
- ٦٦ - عزيزة محمد على بدر -طنجة بوابة إفريقيا دراسة فى جغرافية المدن- القاهرة، ١٩٩٦-١٩٩٧-ص٨٢.
- ٦٧ - المرجع اعلاه-٨٢
- ٦٨ - اندرى جوليان -مرجع سابق- ص ص ٢٠٥-٢١٢.
- ٦٩ - احمد خالد علام، محمد احمد عبد الله، مصطفى الدينارى -تاريخ تخطيط المدن -الطبعة الاولى -مكتبة الانجلو المصرية -١٩٩٣-ص١٠١.
- ٧٠ - اندرى جوليان -مرجع سابق -ص ص ٢١٤-٢١٨.
- 71 - Pritchard, J, M., op cit, P. 45.
- ٧٢ - اندرى جوليان -مرجع سابق -ص ٢٢٨.
- ٧٣ - سليمان عبد الستار خاطر -مدن شمال افريقيا دراسة تحليلية- مجلة البحوث والدراسات الافريقية -العدد التاسع- ١٩٧٨- ص ص ٥-٦.
- ٧٤ - احمد خالد علام وآخرون -مرجع سابق ص١٠٢.
- ٧٥ - عزيزة محمد بدر -الجمهورية التونسية دراسة فى جغرافية المدن -مرجع سابق- ص٢١.
- ٧٦ - احمد اسماعيل -مرجع سابق- ص ٦٦
- 77 - Hance, W.A., op. cit, P 210
- ٧٨ - مورييس لومبارد -مرجع سابق- ص ٧٦-٧٨.

- ٧ - المرجع اعلاة - ص ١٠٣ .
- ٨ - عبد العال عبد المنعم الشامى - جغرافية المدن عند العرب - عالم الفكر - المجلد التاسع - العدد الأول - ١٩٧٨ - ص ص ١٣٢ - ١٣٣ .
- ٨' - شوقى عطا الله الجمل وعبد الله عبد الرازق ابراهيم - تاريخ المسلمين فى افريقيا - ومشكلاتهم - دار الثقافة للنشر والتوزيع - القاهرة - ١٩٩٦ ص ٤٥ .
- 82 - Best and De Blij, African Survey , London 1977, P. 67.
- ٨١ - شوقى عطا الله الجمل - المغرب العربى لكبير من الفتح الاسلامى إلى الوقت الحاضر - المكتب المصرى لتوزيع المطبوعات - ١٩٩٧ - ص ٨ .
- 84 - Best and De Blij, op. cit , P. 67.
- ٨٤ - شوقى عطا الله الجمل - مرجع سابق - ص ٩ .
- ٨٦ - المرجع اعلاه - ص ١٣ .
- ٨٧ - عزيزة محمد على بدر - الجمهورية التونسية دراسة فى جغرافية المدن - مرجع سابق - ص ٣١ .
- ٨٨ - الرقيق القيروانى - تاريخ افريقية والمغرب - تقديم وتحقيق وتعليق - محمد زينهم محمد عزب - دار الفرجانى للنشر والتوزيع - القاهرة - ١٩٩٤ - ص ٣٦ .
- ٨٩ - المكتب الوطنى المغربى للسياحة - المملكة المغربية - المدن العتيقة - المغرب ١٩٩١ - ص ص ٦ - ٧ .
- ٩٠ - شوقى الجمل - مرجع سابق - ص ٢٤ .
- ٩١ - المكتب الوطنى المغربى للسياحة - مرجع سابق - ص ١٠ .
- ٩٢ - المرجع اعلاة - ص ١٠ .
- ٩٣ - شوقى الجمل - مرجع سابق - ص ص ٢٠ - ٢١ .
- ٩٤ - عزيزة على بدر - الجمهورية التونسية دراسة فى جغرافية المدن - مرجع سابق ص ٣٤ .
- ٩٥ - حسين مؤنس - تاريخ المسلمين فى البحر المتوسط الأوضاع السياسية والإقتصادية والإجتماعية - الدار المصرية اللبنانية - القاهرة - ١٩٩٢ - ص ص ٦٧ - ٦٨ .
- ٩٦ - عزيزة على بدر - الجمهورية التونسية دراسة فى جغرافية المدن - مرجع سابق - ص ٤١ .
- ٩٧ - المكتب الوطنى المغربى للسياحة - مرجع سابق - ص ٢ .
- ٩٨ - موريس لومبارد - مرجع سابق ص ١٨٢ .
- ٩٩ - فتحى محمد أبو عيانة - جغرافية تونس - دار المعرفة الجامعية الاسكندرية - ١٩٨٩ - ص ١٢٢ .
- ١٠٠ - عزيزة على بدر - الجمهورية التونسية دراسة فى جغرافية المدن - مرجع سابق - ص ٣٧ .

- ١٠١ - فتحى محمد أبو عيانة - جغرافية تونس - مرجع سابق - ص ١٢٣ .
- ١٠٢ - عبد العال عبد العظيم الشامى - مرجع سابق - ص ١٢٤ .
- ١٠٣ - موريس لومبارد - مرجع سابق - ص ١٠١ .
- ١٠٤ - فتحى محمد مصيلحى - تخطيط المدينة العربية بين الأطار النظرى والواقع والمستقبل - القاهرة - ١٩٩٥ - ص ٢٤٣ .
- ١٠٥ - الرقيق القيروانى - مرجع سابق - ص ٣٥ .
- ١٠٦ - جمال حمدان - جغرافية المدن - عالم الكتب - الطبعة الثانية - القاهرة - ١٩٨٢ - ص ٢٧٨ - ٢٧٩ .
- ١٠٧ - أحمد إسماعيل - مرجع سابق - ص ٧١ .
- ١٠٨ - المكتب الوطنى المغربى للسياحة - مرجع سابق - ص ٢ .
- ١٠٩ - فاتن محمد البنا - مرجع سابق - ص ٣٥ .
- ١١٠ - السيد عبد العزيز سالم - تاريخ المغرب فى العصر الاسلامى - مؤسسة شباب الجامعة - الاسكندرية - ١٩٨٢ - ص ١٢٢ ، ٣٧٠ ، ٣٦٨ .
- ١١١ - عبد العال عبد العظيم الشامى - مرجع سابق - ص ١٤٢ .
- ١١٢ - المرجع اعلاة - ص ١٤٢ .
- ١١٣ - فتحى محمد مصيلحى - مرجع سابق - ص ٧٩ .
- ١١٤ - عبد العال عبد المنعم الشامى - مرجع سابق - ص ١٦٣ .
- ١١٥ - السيد عبد العزيز سالم - التخطيط ومظاهر العمران فى العصور الوسطى - المجلة - العدد ٩ سبتمبر - ١٩٥٧ - ص ٥٤ .
- ١١٦ - السيد عبد العزيز سالم - مرجع سابق - ص ٣٣٦ - ٣٦١ .
- ١١٧ - أحمد إسماعيل - مرجع سابق - ص ٦٩ .
- ١١٨ - عزيزة محمد على بدر - طنجة بوابة إفريقيا دراسة فى جغرافية المدن - مرجع سابق - ص ٩٤ - ١٠٣ .
- ١١٩ - عبد العال عبد المنعم الشامى - مرجع سابق - ص ١٥٤ .
- 120 - Mobogunje, A.L., The Pre - Colonial development of Yoruba Town, in Dwyer, D. J., ed .,The City in The third world, Maemillan. London, 1974 P. 26.

التحضر والحضريه فى إفريقيا

Urbanization and Urbanism in Africa

دكتوراه

عزيزه محمد على بدر

مدرس الجغرافيه البشريه

معهد البحوث والدراسات الإفريقيه

جامعه القاهره

١٩٩٧

التحضر والحضرية في إفريقيا

Urbanization and Urbanism in Africa

تقديم

يفرق الباحثون بين التحضر (Urbanization) والحضرية (Urbanism) كما يختلفون في تعريف وتفسير كل من المفهومين وتشخيص أركان وأبعاد كل منهما، ويعرف التحضر لأغراض إحصائية وتحليلية بأنه مجموعة من السكان المقيمة في تجمعات بشرية تقع في تصنيف المدن^(١). وقد أشار إلدريدج -EI dridge إلى عنصرين يتضمنهما مفهوم التحضر الأول، تعدد محاور التمرکز. والثاني زيادة حجم الكثافة السكانية، الأمر الذي يؤدي إلى إرتفاع نسبة السكان في المدن^(٢). أما لمبارد Lampard^(٣) فقد ميّز ثلاثة تعريفات، أو تفسيرات لظاهرة التحضر، وهي التفسير السلوكي، والتفسير الاقتصادي والتفسير الديموغرافي، بينما حدد قسم السكان في هيئة الأمم المتحدة عملية التحضر بأنها تركّز السكان في مراكز حضرية ذات حجم سكاني معين وبالتالي عرفها على أنها نمو نسبة السكان الذين يعيشون في المناطق الحضرية، وهذا يعني أنه طالما هناك زيادة في نسبة سكان الحضر كان هناك إستمرارية في عملية التحضر، وعلى هذا يمكن القول بأن التحضر هو عملية انتركز السكان في المناطق الحضرية^(٤).

ويميز ديفيز Davis التحضر على أنه نسبة السكان الذين يستوطنون المراكز الحضرية عن نمو المدن^(٥) ويرى البعض أن التحضر هو عمليات إعادة توزيع السكان من الريف إلى المراكز الحضرية، كما إستخدم سابا شبر مصطلح التمدين أي التحول إلى سكنى المدن، كما عرّفه علماء الإجتماع بتعريفات عديدة، يضاف إلى ذلك أن تصنيفات التجمعات، السكانية الحضرية والريفية تخضع إلى عدة إعتبارات، منها الإدارية، والسياسية، والتاريخية والثقافية والديموغرافية، كما تتفاوت التصنيفات الحضرية بين دولة وأخرى^(٦) بل ومن تعداد لآخر في نفس الدولة.

ولفرض البحث تحدد ظاهرة التحضر بالتركيز السكاني في المراكز الحضرية حسب المتاح من بيانات في المصادر المختلفة والتي تم الإتفاق عليها، وتحديدًا في البيانات الواردة ضمن دراسات وإحصاءات الأمم المتحدة، ولذلك سينظر إلى التحضر على أنه تغير كمي، في ظل صعوبة تحديد الحضر وعدم الإتفاق على ذلك وخاصة في إفريقيا، وذلك رغم الصعوبات التي تكتف ذلك أيضا، وبالتالي يقصد بدرجة التحضر مستوى التحضر في تاريخ محدد ويقاس بنسبة السكان الحضر إلى مجموع السكان، أي ($\frac{\text{السكان الحضر}}{\text{مجموع السكان}} \times 100\%$) وتنطبق هذه القاعدة على درجة التريف إذ أنها تعنى مستوى التريف في تاريخ محدد، أما معدل التحضر فيقصد به التغير في درجة التحضر من فترة لأخرى.

بالنسبة للحضرية Urbanism فيختلف الباحثون في تعريفها أيضاً، فهي بالنسبة للبعض عملية تغير نوعي في نظرة الناس للحياه وأنماط سلوكهم، وفي مجموعة التنظيمات التي أوجدوها ومارسوها في حين أنها حضارة المدن وطريقة حياة سكانها للبعض الأخر، أي أسلوب حياه متميز، له قيمة الاجتماعية وركائزه الحياتية، وتختلف هذه القيم وتلك الركائز فهي ليست متناظرة على المستوى العالمي، إذ لكل حضارة قيمها وأصالتها وركائز حياتها وبالتالي لها أنماط حضرية وتحضرها (٧).

والسؤال الذي يطرح في هذا المجال عن مدى تلازم وتزامن كل من التحضر والحضرية. يؤكد الواقع أن هاتين الظاهرتين قد لا تتلازمان بنفس الدرجة في الزمن وفي المكان حيث تشير الأرقام المرتبطة بالنمو الحضري الى أن سكان الحضر قد تضاعف عددهم خلال العقود الماضية، بمعنى مرور السكان في العالم والدول النامية بخاصة، بمرحلة من التحضر السريع لم يسبق لها مثيل. وهي قفزة كمية هائلة في نمط التغير المكاني لتوزيع السكان، لم يواكبها أسلوب حياة حضرية فعلية في نوعية الحياة (Life Quality)، ومظاهرها المادية والسلوكية والاجتماعية لسكان الحضر أو المدن في الدول النامية وخاصة في القارة الإفريقية، والدليل على ذلك انتشار الفقر وتدنى

مستوى الدخل والمسكن والتغذية وتدهور البيئة الحضرية والريفية المتاخمة لها ونقص الإمدادات فى مياه الشرب، ونقص شبكات الصرف الصحى والطرق.. إلخ. بالإضافة إلى البطالة ومايصاحب المظاهر السابقة من إنتشار للأمراض والجريمة والإحباط لهؤلاء البشر الذين يمثلون الاضافة الكمية للمراكز الحضرية، تلك الاضافة التى لم تعش محتوى الحضرية وتفتقر لمعظم مقوماتها. فهم الريفيون الحضر الذين هاجروا من مجتمع زراعى أو رعى ذى دخل محدود إلى مجتمع حضرى ذى دخل محدود أيضا. ويعنى هذا بدوره نقل كثير من ظروف الفقر والجهل والمرض وانخفاض مستوى المعيشة، وبالتراكم تتفاقم هذه الظواهر فى المدن. ويطلق جيرالدبريز. (G. Breeze) على هذه الظاهرة التحضر الحدى، أو تحضر الكفاف Subsistence Urbanization^(٨) فلم تكن المدن مهيأة لاستقبال هذه الوفود النازحة إليها.

هذا فى الوقت الذى يطو لبعض العلماء والدراسين للدول المتقدمة أن يقسم هذه البلدان ذاتها إلى قسمين، قسم يسوده التحضر الصناعى والآخر هو الذى يسوده تحضر ما بعد الصناعة^(٩)، حيث مجتمع الرفاهية والطاقة النظيفة والتخطيط، والتعاون وإعتبار الأفراد منتجين ومستهلكين أكثر مما فى المجتمع الصناعى نتيجة لتزايد التحضر وتزايد رغبات الأفراد وطموحاتهم^(٩).

لقد سبقت الدول الغربية غيرها فى تحقيق معدلات عالية من التحضر الصناعى وما بعد الصناعى، ذلك رغم أن كثير من الدول المتخلفه والدول النامية كانت تشهد معدلات تحضر عالية فى الوقت الذى كان سكان أوربا من البدو الرحل، إلا أن عدم إستمرار هذه البلدان فى مسيره التطور من ناحية، وخضوعها لفترة طويلة من الإحتلال الاجنبى من ناحية أخرى- بالإضافة إلى المشكلات العديدة الأخرى- قد أدى إلى تدهور معدلات التحضر والحضرية فى العالم النامى إلا أن الدول النامية تشهد حاليا نمواً كمياً بسرعة فائقة بعد حصولها على الإستقلال أو بالأحرى بعد الحرب العالمية الثانية، إلا أنه أدى الى خلق أنماط حضرية ليست مألوفة، فأصبحنا نتحدث عن التحضر فى الدول

النامية (العالم الثالث) ومدينة العالم الثالث وطبيعة العلاقات الإجتماعية والاقتصادية المصاحبة للتحضر فى هذا العالم، فقد أضاف التحضر فى إفريقيا وجنوب شرق آسيا وأمريكا اللاتينية أبعاداً جديدة، بل مراحل جديدة لدراسة المدن. مع ذلك فلا يمكن الجزم بأن مدن هذه الدول النامية متجانسة متشابهة فى خصائصها الحضرية، ويمكن القول بتباين هذه الخصائص مع تشابه الظروف التى شكلتها وهو مايفرض الحاجة لإجراء دراسات مقارنة على نطاق واسع لطبيعة التحضر وأبعاده فى هذه الدول. وقد أجريت الكثير من الدراسات التى توصلت الى أهم خصائص التحضر فى الدول النامية فى إفريقيا واسيا وأمريكا اللاتينية^(١٠)، ومازالت هذه الدراسات مستمرة.

وتمثل القارة الإفريقية مجموعة من المتناقضات الحضرية، فهى القارة الريفية بين قارات العالم والأسرع من حيث معدلات النمو الحضرى، والأعرق من حيث تاريخ العمران الحضرى ونشأته فى نفس الوقت. كما يعانى سكان المدن العديد من أسوأ وأصعب المشكلات الإجتماعية والاقتصادية على مستوى المدن فى العالم النامى. بالإضافة الى تباين المدن الافريقية فيما بينها تبايناً شديداً على طول تاريخها الممتد وانتشارها المكانى الواسع.

وتهدف هذه الدراسة الى القاء الضوء على واقع التحضر والحضرية فى إفريقيا من خلال إستعراض سريع لمراحل التحضر، ثم التركيز على دراسة وتحليل أنماط توزيع السكان بين الريف والحضر، وتتبع اتجاهات نمو كل من هذين النمطين من أنماط العمران البشرى فى القارة، مع دراسة مايرتبط بذلك من مؤشرات وضوابط تنعكس على مستوى التحضر وتغيره وإيقاعه، وعلى توزيع سكان الحضر بين الرتب الحجمية للمدن، وذلك بتتبع هذه المتغيرات والمظاهر منذ سنة ١٩٢٠ وحتى سنة ١٩٥٠ كمرحلة من مراحل التحضر ذات سمات معينة فى إفريقيا، ثم خلال الفترة من سنة ١٩٥٠ حتى سنة ١٩٩٥ وربطها باتجاهات النمو الحضرى ومستوياته وتوزيعه حتى سنة ٢٠٢٥ - كلما أتاحت البيانات ذلك - لما فى ذلك من أهمية فى تفهم المشكلات، ممايساعد على

وضع السياسات المناسبة لها. فقد أثبتت الدراسات، وكذلك واقع المدن، أن هناك الكثير من هذه السياسات والخطط التي توضع لتنظيم البيئة الحضرية مضافاً إليها بعض التصورات لمستقبل إتجاهات النمو الحضرى سكانياً ومكانياً، إلا أن هذه الخطط الاساسية Masterplans نادراً ما تتحقق أو تنجح، ويكمن السبب ببساطة فى أن إسقاطات السكان لاتؤخذ فى الإعتبار ولاتلبي الخطط السكنية والعمرانية متطلبات السكان المبنية على سرعة نموهم، وطريقة إنتشارهم ومستوياتهم الإقتصادية والإجتماعية فى أغلب الاحوال، يقود ذلك إلى دراسة مشكلات البيئة الحضرية فى إفريقيا يتبعها محاولة لإلقاء الضوء على السياسات الحضرية المختلفة التى إتخذتها الحكومات الإفريقية لحل هذه المشكلات الحضرية. اى أنها دراسة مسحية لحاله التحضر والحضرية.

وفى ذلك تعتمد الباحثة على مايتوافر من بيانات حكومية أو دراسات علمية أو دراسات واحصاءات وتقارير لهيئات عالمية كالامم المتحدة ومنظماتها وإداراتها المتخصصة. وتتبع هذه الدراسة مناهج ومسالك عده لخدمة اغراض البحث، منها المنهج التاريخى التطورى، والمنهج الوصفى التحليلى والمنهج الإقليمى.

اولاً: مراحل التحضر والحضرية فى إفريقيا

أما عن مراحل التحضر والحضرية فى افريقيا فقد مرت القارة بمراحل عديدة نوجزها فيما يلى:

فقد عرفت إفريقيا أقدم مراكز العمران، والعمران الحضرى فى العالم فكانت ممفيس وطيبة والاسكندرية وقرطاج وطنجة مدناً وعواصم زاخرة عامرة منذ التاريخ الفرعونى مروراً بالفترة اليونانية فالفينيقية فالرومانية فالبيزنطية ثم خلال الفتح العربى حيث القاهرة (أقدم عواصم العالم) والقيروان وفاس ومراكش وكان الشمال الإفريقى الأقدم من حيث العمران الحضرى أما إفريقيا جنوب الصحراء فقد عرفت العمران التقليدى قبل الاستعمار، منذ ١٠٠٠ سنة

فيما سمي بالنطاق السوداني، ومعظم هذه المدن، نمت بين القرن العاشر والقرن التاسع عشر وكان هناك مدنا نمت وانتهت كما بقيت بعض المدن حتى القرن العشرين واكتسبت أهمية مثل إبادان وكانو وكوماسي، التي ترجع أصولها الى القرن السابع عشر الميلادي حيث كانت عاصمة الأشانتي وكان هناك ثلاثة من المدن الكبرى - في مملكة اليوريا- إبادان Ibadan وأويو Oyo وإيكوتا Abe-okuta يقدر سكان كل منها بحوالي ١٠٠,٠٠٠ ساكن بالإضافة الى حوالي عشرين مركزاً حضرياً قدر سكان كل منها بين ١٠,٠٠٠ و ٦٠,٠٠٠ ساكن وذلك في أواخر القرن التاسع عشر. مما يعني أن إفريقيا قد عرفت المدن باختلاف أحجامها وتنظيمها المكاني وتخطيطها ووظائفها قبل دخول الاستعمار،^(١١) كما كانت تمبكتو وكانو وجاو ومالي، حيث مثلت هذه المدن مراكز إدارية وعواصم سياسية للمالك، والامبراطوريات، ومواقع عقديه للتجاره عند تقاطع الطرق الى إمتدت إلى جميع الاتجاهات كما كان لها أهمية إقتصادية حيث يقع بعضها قرب موارد الثروات الخام^(١٢) وفي السودان كانت سنار عاصمة الفونج والدامر، وشندي وأم درمان حيث لعب القطاع الأوسط من وادي النيل دوراً مهماً في تاريخ التحضر في إفريقيا، أما في شرق إفريقيا فكانت مدن جوندار وبربرة وأديس أبابا في القرن الإفريقي، وفي ساحل الزنج كانت العواصم والمدن من صنع المؤثرات الخارجية خاصة العربية فكانت زنجبار ودار السلام وممبسه ومالندي وسفاله (ظفار) كذلك تناناريف، مدناً ناحجه حتى وصول البرتغال، ويذكر "جمال حمدان" في هذا الصدد "إن لدخول أوروبا الى إفريقيا أثر عكسي مدمر على هذه المدن التي ضعف معظمها، أما ضغط القوى الاقتصادية والمادية والسياسية التي صاحبت الاستعمار فكان على يديه وأدها وإندثارها، إذ خلق الاستعمار من العواصم والمدن الجديدة ماسحب من هذه المدن ووظائفها وورث دورها. فورثت دكاكر عواصم السودان الغربي الداخلية في إفريقيا الغربية الفرنسية، وورثت لاجوس إبيادان في نيجيريا، وفي الشرق أدال الاستعمار العاصمة من أم درمان الى الخرطوم، ومن بربره الى هرجيسه في الصومال البريطاني، والقلة هي التي أفلتت من هذا المصير^(١٣).

معنى ذلك أن الاستعمار عندها دخل إفريقيا وجد المدن بها فى مناطق عديدة، كما أن هناك مناطق لم يوجد بها مدن اذ لم يحتاج السكان رغم كثافتهم الى إنشاء مدن.

ومع دخول الاستعمار بدأت مرحلته جديدة فى إنشاء المدن فى إفريقية لتكون قواعد له وإمتد إنتشارها فى إفريقيا المدارية أو إفريقيا جنوب الصحراء. وهى فى معظمها مدن حديثة قد ترجع الى أواخر القرن التاسع عشر، وان كان هناك بعض المراكز الأقدم مثل لورانسو ماركيز التى ترجع نشأتها الى سنة ١٥٤٥ ولونداسنة ١٥٧٦، والكاب سنة ١٦٥٢. وعلى العكس من ذلك تقع المدن الأحدث فى الداخل حيث يرجع تاريخ إنشاء مدينة بريتوريا الى سنة ١٨٥٥، ومفكنج الى سنة ١٨٨٥، سالسبورى وكمبالالى سنة ١٨٩٠، وبولاوايو وعنتبه الى سنة ١٨٩٢، ثم نيروبي والخرطوم معاً فى سنة ١٨٩٩، وفورلامى سنة ١٩٠٠، ولفنجستون سنة ١٩٠٥. وقد تميزت المدن والعواصم خلال فترة الاستعمار بعدم الاستقرار الذى يؤكد هجرة العواصم وإنتقالها أكثر من مره، لذا تكثر العواصم (الحفرية) فى إفريقيا، وكان تغيرها إما لأسباب طبيعية أو سياسية، أو لتغير وسائل المواصلات حيث كان تحرك طرق التجارة وإستبدال الطرق المائية الداخلية بالسكك الحديدية عوامل حاسمة فى تغير موقع العاصمة، كما تميز توزيع مواقع المدن الاستعمارية بالتطرف وبكثير من مظاهر الشذوذ السياسى وخاصة العواصم التى تميزت الى جانب تغيرها بالتعدد والاستعاره والتطرف^(١٤)، وكانت مدن الاستعمار هذه صغيرة الحجم لكنها نواه للنمو الكبير، فكانت أبواب للتجارة الاستعمارية، وقد تضاعف حجمها وتميزت بالتنظيم والتخطيط الحضرى الأوربى حيث نجد سالسبورى هرارى (Salsbury - Harare) ونيروبي ووند هوك، كما نشأت سلسلة من المدن مرتبطة بالتعدين فى كمبرلى Kimberley وجوهانسبرج واليزابث فيل وندولا وبولاوايو، وقد جذبت هذه المدن كل من المستوطنين والأفارقة فكان نموها سريعاً.

ويتضح من العرض السابق ان كل مرحلة تاريخية تركت آثارها على الواقع الحضري فى إفريقيا، ويمكن تصنيف المدن فى إفريقيا الى مدن إفريقية أصيلة وطنية (Indigenous) مثل أديس أبابا وإبادن، ثم مدن ذات أصول استعمارية Colonial in origin واضحة مثل دار السلام وفريتون، ومدن أخرى مزدوجة أو خلاسية مثل كمبالا وكوماسى Kumasi فى غانا التى تظهر خصائصها الخلاسية Hybrid Character فى تاريخها حيث كانت عاصمة امبراطورية الأشانتى فى القرن السابع والتاسع عشر بحجم سكانى قدر بحوالى ٥٠.٠٠٠ ساكن ثم إنكمشت الى ٣٠٠٠ ساكن سنة ١٩٠١ و بعد الاحتلال البريطانى تكيفت فى منطقتها الادارية و إنتعشت مرة أخرى كمركز تجارى هو الأكبر فى الدولة. وهناك سبب وجيه لاختيار لاجوس أيضا مدينة خلاسية حيث نمت كمحله داخلية فى اليوربا وبسرعة نمت وتعاظمت كعاصمة إستعمارية مع تأثير وجاذبيه محلية خلال نموها، ويتقاسم كل من النواه اليورباويه والمدينة الإستعمارية قلب المدينة.

وتعتبر أكرام من نماذج المدن الخلاسية فى الفرنكفون والتى كانت مركزا بؤريا لشعب الموسيقى، ثم تكيفت مع الإستعمار الفرنسى كعاصمة للفلوتا العليا^(١٤)، وهناك العديد من الأمثلة على ذلك.

وقد تضخمت أحجام هذه المدن بعد الحصول على الاستقلال، وجذبت الإستثمارات وتميزت بالمركزية الشديدة وجذبت المهاجرين ووصل النمو الحضري إلى معدلات كبيرة قد تصل الى ١٠٪ سنويا، وترتفع عن ذلك كثيرا فى هوامش المدن، وإرتفع مستوى التحضر ودرجته بسرعة فى القارة الافريقية خاصة بعد الحرب العالمية الثانية وذلك ماسيتضح فى الدراسة التفصيلية لهذه الاتجاهات فيما بعد. وكان ذلك سببا فى العديد من المشكلات المرتبطة بمستوى الحضرية. كما تضخمت المدن الكبرى وسادت الهيمنة الحضرية وأصبح منحنى المدن مطابقا للشكل "L" Shaped (L) للعلاقة بين الرتبة والتوزيع (Rank distribution Curve) كما سيتضح فيما بعد^(١٥)، واصبحت هذه

المدن تضم نسبة كبيرة من سكان الحضر بالدولة قد تزيد على ٥٠٪ فى العديد منها. وفاقته جاذبية المدن طاقة إحتوائها للسكان وإمكاناتها لتحقيق مستوى لائق بحياه الانسان مما أدى الى إنتشار الفقر الحضرى بكافة عناصره وأشكاله وصار الإتجاه نحو تحضرالفقر فى إفريقيا. Urbanization of Pov- erty in Africa وذلك بسبب الزيادة السريعة فى المناطق الحضرية المتدهورة Urban Slums وفى الهوامش الحضرية حيث مستعمرات وضع اليد غير المحكومة Squatter Settlements حيث تقطن نسبة كبيرة من سكان المدن الإفريقية فى هذه الظروف المعيشية غير اللائقة، حيث المناطق غير القانونية وغير المخططة ودور الصفيح والأكوخ بنسب قدرت بحوالى ٨٥٪ فى أديس أبابا. و٧٠٪ فى لواندا و٦٠٪ فى دار السلام و٥٠٪ فى لوساكا و٤٥٪ فى تونس و٢٣٪ فى نيروبي وهكذا فى معظم المدن الإفريقية سنة ١٩٨٠، (١٦) والحالة تسير الى أسوء حيث يتزايد عدد ونسبة من هم دون خط الفقر فى إفريقيا سنوياً فصار الفقر إفريقيا كما سيتضح عند معالجة مشكلات الحضرية فى إفريقيا.

ثانياً: سكان إفريقيا بين الريف والحضر (من ١٩٢٠ الى ١٩٥٠)

يقصد بالحضر خلال هذه الفترة سكان المحلات العمرانية ذات الأحجام ٢٠.٠٠٠ ساكن فأكثر وذلك حسب تقديرات الامم المتحدة لها، ونظراً لأن الدول الإفريقية كانت تتميز خلال تلك الفترة بالمحلات العمرانية الحضرية الصغيرة الحجم فسوف ينظر أيضاً الى الحضر حسب تقدير الحكومات الإفريقية لحجمهم^(١٧)، وترتبط هذه الفترة بتواجد الاستعمار الأوربي فى القارة الذي ارتبط به أيضاً نمو العديد من المدن والموانئ ومدن المناجم والأسواق^(١٨)، والتي يرجع بعضها الى أواخر القرن التاسع عشر. (كما إتضح من العرض السابق).

١ - اتجاهات النمو السكانى ومستوى التحضر من ١٩٢٠ إلى ١٩٥٠:

إذا حاولنا تلمس الوضع بالنسبة لسكان القارة وتوزيعهم بين الأرياف، والمناطق الحضرية، فسنلاحظ من خلال إستقراء الجدول رقم (١) مايلى:

جدول (١)

أ - حجم سكان إفريقيا ونموهم من عام ١٩٢٠ الى ١٩٥٠ م
حضر ٢٠.٠٠٠ ساكن فاكثر وأرياف + حضر أقل من ٢٠.٠٠٠ ساكن (بالمليون)

السنة	حجم الزيادة الكلية				١٩٥٠	١٩٤٠	١٩٣٠	١٩٢٠	جملة
	حجم الزيادة	نسبة الزيادة الكلية	١٩٢٠ من ١٩٥٠ الى	١٩٣٠ من ١٩٤٠ الى					
١٩٢٠	٢٠٠٠٠	٢٠٠٠٠	٢٠٠٠٠	٢٠٠٠٠	٢٢١,٥	١٩١,٥	١٦٣,٨	١٤٢,٩	جملة سكان إفريقيا
١٩٣٠	١٥٤,١	١٧٧,٧	٢٠٠,٠	٢٠٠,٠	٢١,٥	١٣,٨	٩,٧	٦,٩	حضر
١٩٤٠	٦٣,٤	٢٢,٢	٢٣,٦	١٨,١	٢١,٥	١٣,٨	٩,٧	٦,٩	أرياف
١٩٥٠	٧٨,٨	٢٠,٢	٢٧,٧	٢٠,٩	٢١,٥	١٣,٨	٩,٧	٦,٩	
	١٤٣,٤	٢٠,٢	٢٧,٧	٢٠,٩	٢١,٥	١٣,٨	٩,٧	٦,٩	

U.N., (1969), OP cit. pp.24.

المصدر

النسب من حساب الباحث

ب - المعدل السنوي لنمو السكان والحضر والأرياف في إفريقيا والعالم
من عام ١٩٥٠ - ١٩٢٠ (%) (حضر ٢٠.٠٠٠ ساكن فاكثر)

١٩٥٠	١٩٤٠	١٩٣٠	١٩٢٠	العالم	١٩٥٠	١٩٤٠	١٩٣٠	١٩٢٠	إفريقيا
١,٧	١,٩	١,١	١,١	جملة	٢,١	١,٥	١,٦	١,٤	جملة السكان
٤,٦	٢,١	٢,٥	٢,٤	حضر	٥,٤	٤,٥	٣,٦	٣,٦	حضر
١,٢	٠,٦	٠,٧	٠,٨	أرياف	١,٧	١,٢	١,٤	١,٣	أرياف

Ibid , P27,

المصدر

ج - مستوى التحضر في إفريقيا والعالم من ١٩٥٠ - ١٩٢٠
الحضر ٢٠.٠٠٠ ساكن فاكثر

١٩٥٠	١٩٤٠	١٩٣٠	١٩٢٠	العالم	١٩٥٠	١٩٤٠	١٩٣٠	١٩٢٠	المناطق
٪٤٦	٪٤١	٪٣٨	٪٣٧	الاقيانوسية	٪١٠	٪٧	٪٦	٪٥	إفريقيا
٪٢٥	٪٢٠	٪١٧	٪١٤	امريكا اللاتينية	٪٢١	٪١٩	٪١٦	٪١٤	العالم
٪١٤	٪١٢	٪٩	٪٧	شرق آسيا	٪٤١	٪٤٠	٪٣٧	٪٣٥	أوروبا
٪١١	٪٨	٪٧	٪٦	جنوب آسيا	٪٥١	٪٤٦	٪٤٦	٪٤١	امريكا الشمالية

Ibid , P.31

المصدر

تابع جدول (١)
د - مستوى التحضر في إفريقيا والعالم وأمريكا اللاتينية
حسب تقدير الحكومات من عام ١٩٢٠ الى ١٩٥٠

١٩٥٠	١٩٤٠	١٩٣٠	١٩٢٠	
٪١٤.٧	٪١١	٪٩	٪٧	إفريقيا
٪٢٨	٪٢٥	٪٢٢	٪١٩	العالم
٪٤١	٪٣١	٪٢٨	٪٢٢	أمريكا اللاتينية

Ibid , P25,

المصدر

- بلغ حجم جملة سكان إفريقيا حوالي ١٤٢,٩ مليون ساكن سنة ١٩٢٠ يمثلون ٧.٧٪ من جملة سكان العالم (جملة مساحة إفريقيا ٢٢٪ من جملة مساحة العالم) وقدّر حجم سكان المراكز الحضرية بحوالي ٦,٩ مليون ساكن (للمراكز ذات حجم ٢٠.٠٠٠ ساكن فأكثر)، يمثلون ٢,٦٪ من جملة الحضر في العالم، بينما يمثلون أقل من ٥٪ من سكان إفريقيا، معنى ذلك أنه بنهاية الخمس الأول من القرن العشرين كانت درجة التحضر أو مستوى التحضر بقارة إفريقيا ٤.٨٣٪، أما سكان المناطق الريفية فكانوا أكثر من ٩٥٪ من جملة سكان القارة، معنى ذلك أن قاره إفريقيا كانت قاره ريفيه بحق لم يقاربه في ذلك سوى جنوب قاره آسيا حيث مستوى التحضر ٦٪، وشرق آسيا ٧٪، أما أمريكا اللاتينية فكانت نسبة سكان الحضر بها ١٤٪ من جملة السكان..

وكان مستوى التحضر بالدول المتقدمة حوالي ٣٥٪ في دول قارة أوروبا، و ٤١٪ في أمريكا الشمالية، و ٣٧٪ في الأقيانوسية وكان مستوى التحضر على مستوى العالم ١٤٪ ذلك عام ١٩٢٠.

شهدت السنوات والعقود التالية لعام ١٩٢٠ نمواً سكانياً حضرياً وريفيّاً يفوق في معدلاته نفس المعدلات على مستوى العالم، فقد تزايد حجم السكان من ١٤٢.٩ مليون ساكن عام ١٩٢٠، الى ٢٢١.٥ مليون ساكن عام ١٩٥٠ يمثلون

٨,٨٪ من سكان العالم بزيادة سكانية تقدر بحوالى ٧٨,٧ مليون ساكن
وينسبه زيادة كلية ٥٥,٢٪ تقريباً فى الفتره من ١٩٢٠ الى ١٩٥٠.

اما سكان الحضر فقد تزايد حجمهم من ٦,٩ مليون ساكن عام ١٩٢٠
الى ٢١,٥ مليون ساكن عام ١٩٥٠، وأصبحو يمثلون ٤٪ من سكان الحضر فى
العالم بزيادة كلية بلغت ١٤,٦ مليون ساكن، ونسبه زياده حوالى ٣١١,٦٪
خلال الفتره، وكان معدل نمو سكان الحضر فى العقود الثلاثة من أعلى معدلات
النمو الحضرى فى العالم، لا يقارن به سوى معدل نمو سكان الحضر فى
أمريكا اللاتينية.

بالنسبة لسكان الأرياف والمراكز الحضرية الأقل من ٢٠,٠٠٠ ساكن فقد
تزايد حجمهم بإيقاع أقل سرعه من سكان الحضر، إذ قدروا بحوالى ٢٠٠
مليون ساكن عام ١٩٥٠ (١٠,١٪ من سكان الأرياف فى العالم) بزيادة كلية
قدرها ٦٣,٤ مليون ساكن تقريبا خلال الفتره، مما يعنى نسبة زيادة كلية تقل
عن نسبه الزيادة الكلية لجملة السكان وبالتالي سكان الحضر إذ قدرت
بحوالى ٤٦,٤٪. ويعنى هذا مؤشراً لبداية نمو حضرى متسارع إذ تضاعف
سكان الحضر أكثر من ثلاثة مرات، بينما لم يتضاعف سكان الأرياف خلال
الفتره. ويشير ذلك إلى جاذبية المدن لتيارات الهجرة المبكرة واستقطابها
للانشطة والسكان فى القارة.

أما معدلات النمو السنوى لجملة السكان فكانت مرتفعة فى إفريقيا نظراً
لنمو حجم السكان المشار اليه. وكانت بمعدل ١,٤٪ سنوياً فى عام ١٩٢٠ و
١,٦٪ سنوياً. حتى عام ١٩٣٠، و ١,٥٪ حتى عام ١٩٤٠، تزايدت الى ٢,١٪
حتى عام ١٩٥٠، أما معدلات نمو سكان العالم فكانت ١,١٪ عام ١٩٢٠، و
١,١٪ سنوياً فى عام ١٩٣٠، تزايدت الى ١,٩٪ حتى ١٩٤٠ وأصبحت ١,٧٪
سنوياً حتى ١٩٥٠.

بالنسبة لمعدل النمو السنوي لسكان الحضر فى إفريقيا فقد فاق ذلك إذ كان ٣,٦٪ عام ١٩٢٠، ثم ٣,٦٪ سنوياً حتى عام ١٩٢٠، ارتفع الى ٤,٥٪ سنوياً حتى عام ١٩٤٠، وتسارع الى ٥,٤٪ سنوياً حتى عام ١٩٥٠، وهى معدلات تفوق مثيلاتها على مستوى العالم الذى حقق معدلات نمو حضرى منخفضه عن المعدلات فى إفريقيا وهى ٢,٤٪ عام ١٩٢٠، زادت الى ٢,٥٪ سنوياً حتى عام ١٩٢٠، ثم كانت ٢,١٪ سنوياً عام ١٩٤٠، تسارعت الى ٤,٦٪ سنوياً عام ١٩٥٠.

أما معدل النمو السنوي لسكان الأرياف فى إفريقيا فقد فاق هو الآخر مثيله على مستوى العالم. فكان فى إفريقيا ١,٢٪ سنوياً حتى عام ١٩٢٠، ثم ١,٤٪ سنوياً حتى عام ١٩٣٠، ثم ١,٢٪ سنوياً حتى عام ١٩٤٠، وصل الى ١,٧٪ سنوياً حتى ١٩٥٠ ورغم انه كان أقل من معدلات النمو السنوي للحضر فى إفريقيا فقد كان أعلى من معدلات النمو السكاني لسكان الأرياف فى العالم الذين كان معدل نموهم ٠,٨٪ عام ١٩٢٠، و ٠,٧٪ حتى عام ١٩٣٠، ثم ٠,٦٪ سنوياً حتى عام ١٩٤٠ و ١,٢٪ سنوياً حتى عام ١٩٥٠.

ارتفعت بذلك درجة التحضر فى إفريقيا الى ١٠٪ عام ١٩٥٠، أما نسبة سكان الأرياف والمراكز الحضرية الأقل من ٢٠,٠٠٠ ساكن فكانت ٩٠٪ من جملة السكان عام ١٩٥٠، حسب تقديرات الامم المتحدة.

وبمقارنه مستوى التحضر أو درجته فى إفريقيا بالقارات والمناطق الأخرى سنجد درجه التحضر فى أمريكا اللاتينية ٢٥٪ وفى شرق آسيا ١٤٪ وفى جنوب آسيا ١١٪ أما درجة التحضر على مستوى العالم فكانت ٢١٪، ترتفع فى أوروبا الى ٤١٪ وفى أمريكا الشمالية الى ٥١٪، وفى الأوقيا نوسيه إلى ٤٦٪، وذلك عام ١٩٥٠. مما يعنى أن قارة افريقيا كانت أكثر القارات ريفية فى عام ١٩٥٠، مع مؤشرات واضحة نحو التحضر السريع، والواقع أن تقدير الحكومات لسكان الحضر بها كان مختلفا بعض الشئ وذلك ما يوضحه الجدول رقم (١) أيضا فى القسم د ومنه يتضح ان حجم سكان قد تزيد من ١٠ مليون

عام ١٩٢٠، الى ٣٠ مليون ساكن ١٩٥٠، يمثلون ١٤,٧٪ من جملة السكان بزيادة قدرها ٩ مليون ساكن عن تقدير الأمم المتحدة أو (٤,٧٪).

تميزت إفريقيا خلال تلك الفترة أيضا بالتباين الواضح في مستويات التحضر بين ثلاث مناطق متمايضة حضريا وهي شمال إفريقيا، وإفريقيا المدارية وجنوب إفريقيا، وكانت نسبة سكان الحضر في المراكز الحضرية ذات الحجم ٢٠.٠٠٠ ساكن فاكثُر - مع ملاحظة إختلاف هذه النسب لو أخذنا في الاعتبار المراكز الحضرية الأقل من ذلك الحجم، كما يوضحها الجدول التالي :

جدول رقم (٢)

مستويات التحضر في إفريقيا للتجمعات ذات حجم ٢٠.٠٠٠ ساكن فاكثُر من سنة ١٩٢٠ الى سنة ١٩٥٠ (حسب الاقاليم الرئيسية)

السنة	١٩٢٠	١٩٣٠	١٩٤٠	١٩٥٠	الإقليم
	١٢٪	١٤٪	١٧٪	٢١٪	شمالى إفريقيا
	٢٪	٢٪	٣٪	٤٪	إفريقيا المدارية
	١٥٪	١٩٪	٢٢٪	٤٨٪	جنوب إفريقيا
	٥٪	٦٪	٧٪	١٠٪	قارة إفريقيا

Ibid Table. 56

المصدر :

من الملاحظ تدنى مستوى التحضر في إفريقيا المدارية وارتفاعها الملحوظ في جنوب إفريقيا حيث وصلت درجة التحضر الى ٤٨٪ عام ١٩٥٠، مقارنة ب ٤٪ في إفريقيا المدارية و ٢١٪ في الشمال الإفريقي في نفس السنة.

وتمثل دول الشمال الإفريقي أعرق دول القارة من حيث نشأة المدن وتطورها التاريخي يليها جنوب إفريقيا في الفترة الحديثة نسبياً. ذلك رغم عراقية العديد من مدن إفريقيا جنوب الصحراء والتي سبقت الإشارة إليها لكنها تأثرت بفترة الإستعمار الذى تسبب في تدهورها لحساب مراكز ومدن أخرى (١٩).

٢ - توزيع سكان الحضر حسب الرتب الحجمية للمدن من عام ١٩٢٠ - ١٩٥٠:

من استقراء الجدول رقم (٣) نلاحظ تميز سكان الحضر في إفريقيا بسكنى المدن صغيرة الحجم، فقد كان ٣١٪ من سكان الحضر يسكنون مراكز حضرية يقل حجمها عن ٢٠,٠٠٠ ساكن، بينما كان يسكن ٢٨٪ من جملة الحضر في مراكز يتراوح حجمها بين ٢٠,٠٠٠ ساكن إلى أقل من ١٠٠ الف ساكن، مما يعنى أن ٦٩٪ من جملة سكان الحضر كانوا يقطنون مدناً صغيرة ذات حجم أقل من ١٠٠ الف ساكن. بينما كان يسكن المدن ذات ١٠٠ الف ساكن وأكثر حتى حجم نصف مليون ساكن حوالى ٢٢٪ من جملة الحضر و ذلك عام ١٩٢٠ معنى ذلك أن ٩١٪ تقريباً من سكان الحضر في إفريقيا كانوا

جدول رقم (٣)

التوزيع النسبى لسكان الحضر فى قارة إفريقيا حسب الرتب الحجمية للمدن فى سنة ١٩٢٠، ١٩٤٠، ١٩٦٠

رتب الحجم	الاقليم القارة				
	أقل من ٢٠,٠٠٠ ساكن	من ٢٠,٠٠٠ الى ٩٩,٩٩٩ ساكن	من ١٠٠,٠٠٠ الى ٤٩٩,٩٩٩ ساكن	من ٥٠٠,٠٠٠ الى ٢,٥٠٠,٠٠٠ ساكن	أكثر من ٢,٥٠٠,٠٠٠ ساكن
إفريقيا					
١٩٢٠	٪٣١	٪٣٨	٪٢٢	٪٩	صفر
١٩٤٠	٪٣٠	٪٣٢	٪٢٣	٪١٥	صفر
١٩٦٠	٪١٩	٪٢٦	٪٢٦	٪٢٢	٪٧
العالم					
١٩٢٠	٪٢٥	٪٢٧	٪١٨	٪٢٠	٪١٠
١٩٤٠	٪٢٤	٪٢٥	٪١٩	٪١٩	٪١٢
١٩٦٠	٪٢٠	٪٢٣	٪١٩	٪٢١	٪١٧
أمريكا اللاتينية					
١٩٢٠	٪٢٥	٪٢٢	٪١٦	٪٢٧	صفر
١٩٤٠	٪٣٦	٪٢٠	٪١٤	٪٢١	٪٩
١٩٦٠	٪٣٣	٪٢٠	٪١٣	٪١٤	٪٢٠

يسكنون مدناً تقل في حجمها عن نصف مليون ساكن، في حين كان ٩٪ من الحضر يسكنون المدن الأكبر في الحجم من نصف مليون ساكن.

تغيرت صورة التوزيع عام ١٩٤٠ عنها في عام ١٩٢٠ فكان الإتجاه نحو سكنى المحلات الحضرية الأكبر حجماً والتي تفوق نصف مليون ساكن إذ سكنها حوالي ١٥٪ من سكان الحضر. مما يشير أيضاً إلى بدايه إنفجار حضري بالمدين الكبرى مع إحتفاظ إفريقيا بتركز سكان الحضر في المدن الصغيرة بوضوح.

في عام ١٩٥٠ كان يسكن المدن الأقل من نصف مليون حجماً حوالي ١١.٢٪ من جملة سكان الحضر، وبلغ عدد المدن ضمن هذه الفئة ٢٧ مدينة على مستوى القارة. حسب تقدير الحكومات (٢٠).

عند مقارنة ذلك التوزيع بنظيره في العالم نلاحظ أن ١٠٪ من سكان الحضر في العالم كانوا يسكنون مدناً يزيد حجمها عن ٢.٥ مليون ساكن ثم ١٤٪ عام ١٩٤٠. ولم يكن بإفريقيا ذلك الحجم إنذاك وسبقت أمريكا اللاتينية إفريقيا في التضخم الحضري بالمدين الكبرى إذ أصبح يسكن المدن ذات نصف مليون ساكن وأكثر بها حوالي ٩٪ من جملة سكان المدن. ذلك عام ١٩٤٠.

بينما كان يسكن حوالي ٥٢٪ من سكان الحضر في العالم مراكز حضرية تقل عن ١٠٠ الف ساكن عام ١٩٢٠، وأمريكا اللاتينية ٥٧٪ وذلك عام ١٩٢٠، مقارنة ب ٦٩٪ من سكان الحضر في إفريقيا في نفس السنة.

من ناحية أعداد المدن الكبيرة في إفريقيا فقد ظلت القارة مفتقرة إلى وجود المدن الكبرى فترة طويلة وكانت صورة التوزيع كما يلي من حيث عدد المدن ذات الحجم من $\frac{1}{4}$ مليون ساكن إلى أقل من $\frac{1}{4}$ مليون ساكن (٢١).

السنة	١٩٢٠	١٩٣٠	١٩٤٠	١٩٥٠
العدد	١	٢	٣	٦

مما يعنى أيضا مؤشراً لتزايد أحجام وأعداد المدن الكبيرة فى القارة وكان ذلك بتأثير الإستعمار وزيادة نشاط النقل البرى والصناعة والتجارة وتنظيم البيئة الحضرية فكان التراكم الحضرى للمدن وخاصة مدن الموانى (٢٢) ويؤكد ذلك ارتفاع نسبة سكان مدن الموانى من جملة سكان الحضر بإفريقيا كمايلى:

السنة	١٩٢٠	١٩٣٠	٩٤٠	١٩٥٠	١٩٦٠
نسبة سكان مدن الموانى إلى جملة الحضر -	٣٥%	٢٦%	٤٦%	٥٣%	

تميزت إفريقيا أيضا فى هذه الفترة - ومازالت - بالهيمنة الحضرية التى بدأت إرهاباتها بنمو المدن الكبرى أو مدن العواصم والموانى، ويشير الجدول رقم (٤) الى هذه الظاهرة المبكرة بالقارة. ومن استقراء الجدول يلاحظ أن أحجام المدن المختارة بين عام ١٩٣٠-١٩٤٠ و ١٩٥٠-١٩٥٨ قد جنحت إلى التضاعف وإن كانت قد بدأت بدايات حجمية متواضعة. فقد تضاعفت أبيدجان أكثر من ست مرات، من ١٠,٠٠٠ ساكن عام ١٩٣٠ الى ٦٩,٠٠٠ عام ١٩٥٨. وكونكرى التى تضاعفت أكثر من سبع مرات من ٧,٠٠٠ ساكن إلى ٣٩,٠٠٠ ساكن عام ١٩٣٠ وداكار أكثر من خمس مرات من ٥٤,٠٠٠ ساكن إلى ٢٠٠,٠٠٠ ساكن، وكذلك كنشاسا (٢٤).

وكما يذكر (هانس) أن الزيادة الطبيعية وحدها لا تفسر هذه الزيادة غير الطبيعية فى أحجام المدن لكن ترجع إلى الهجرة والهجرة الريفية - الحضرية خاصة (٢٥).

من الملاحظ على المدن المذكوره بالجدول أن أحجامها متواضعة ولم يكن بينها مدينة ذات ثقل سكانى سوى مدينة القاهرة التى تخطت بسكانها حاجز المليون فى ثلاثينيات هذا القرن. وفيما عدا ذلك كانت جوهانسبرج أكثر من نصف مليون ساكن عام ١٩٣٠. وبعد عام ١٩٥٠ لم يكن بالقارة سوى مدينة واحدة مليونيره هى مدينة القاهرة التى تخطت حجم نصف مليون ساكن وأصبح سكانها ٢.٦ مليون.

ويذكر (de Blij) أن الزيادة الطبيعية كانت مرتفعة في المدن وربما تفوق الزيادة الطبيعية في المناطق الريفية، ذلك بسبب إرتفاع معدلات المواليد والخصوبة مع السيطرة على معدلات الوفيات الخام، ومعدلات وفيات الأطفال الرضع باستمرار في نفس الوقت (٢٦) يضاف الى ذلك عامل الهجرة الريفية الحضرية مما يفسر سرعة إيقاع نمو المدن في إفريقيا والعالم الثالث بصفه عامة في هذه الفترة.

جدول رقم (٤)

تطور احجام بعض المدن الإفريقية الرئيسية المختاره في الفترة من ١٩٣٠ - ١٩٥٨

الحجم ١٩٥٠ ١٩٥٨	الحجم ١٩٣٠ ١٩٤٠	المدينة	الحجم ١٩٥٠ ١٩٥٨	الحجم ١٩٣٠ ١٩٤٠	المدينة
١٩١٠٠٠	٣٣٠٠٠	كنشاسا	٦٩٠٠٠	١٠٠٠٠	أبيدجان
٢٦٧٠٠٠	١٢٧٠٠٠	لاجوس	٤٠٠٠٠٠	٣٠٠٠٠٠	اديس ابابا
٥٨٠٠٠	-	لوساكا	٨٤٠٠٠	٢٤٠٠٠	برازاقيل
٢٧٠٠٠	١٠٠٠٠٠	مونروشيا	٢٦٠٣٠٠٠	١٣١٢٠٠٠	القاهرة
٢٢٢٠٠٠	٥٠٠٠٠	نيروبي	٦٨٢٠٠٠	٢٥٧٠٠٠	كزابلانكا
٢١٠٠٠	٨٠٠٠	نجامينا	٣٩٠٠٠	٧٠٠٠	كونكري
٢٣٣٠٠٠	٣٢٠٠٠	سالزيوري	٩٩٠٠٠	٣٤٠٠٠	دار السلام
١٣٠٠٠٠	-	طرابلس	٩١٩٠٠٠	٥١٩٠٠٠	جوهانسبرج

Best, A.C.G., and de Blij, H.J, (1977)

المصدر :

من الواضح أيضا أن هناك تبايناً كبيراً بين أحجام المدن وكذلك إيقاع نموها كما أن هناك تمايزاً في وظائف سكان هذه المدن والثروة ونوعيه الحياه والمسكن والخدمات الاجتماعية المتاحة، الا أن هناك تشابهاً مهماً في أنماط التحضر بين دولة وأخرى من الدول الإفريقية. أهمها هيمنة المدينة الاولى ونموها السريع واستقطابها لأكبر نسبة من سكان الحضر في هذه الفترة المبكرة نسبياً مثل أديس أبابا التي ضمت ٥٩٪ من الحضر وكونكري ٥٩٪ و طرابلس ٦٣٪ و كمبالا ٦٨٪ وغيرها يستثنى من ذلك لاجوس ١٤٪ وجوهانسبرج ١٤٪ و الجزائر ١٤٪ كنشاسا ٣٤٪ (٢٧) من جملة سكان الحضر بدولها في نهاية تلك الفترة.

ثالثاً: اتجاهات التحضر في إفريقيا من عام ١٩٥٠. ١٩٩٥ وتوقعاته حتى عام ٢٠٢٥.

تتميز تلك الفترة من الناحية الديموجرافية باتجاهين واضحين يمثلان أهم مفاتيح الشخصية الديموجرافية للقارة وهما إتجاه معدل النمو المرتفع لسكان القارة وسرعه النمو الحضري أيضاً^(٢٨). ولا يمكن تفهم عملية التحضر ومدى سرعتها وتأثيرها على حالة السكان وبيئة القارة إلا من خلال مقارنتها بجملة السكان ونمو السكان في المناطق الريفية.

١ - تطور حجم سكان الحضر والأرياف.

لقد تطور حجم سكان الحضر في إفريقيا من ٢٢.٨٢ مليون ساكن عام ١٩٥٠ إلى ٦٦.٥ مليون ساكن تقريباً عام ١٩٦٥، أى أنهم تضاعفوا خلال هذه الفترة واستمرت الزيادة في حجم سكان الحضر إذ تضاعفوا مرة أخرى فأصبح حجمهم ١٢٠ مليون ساكن عام ١٩٨٥، وفى عام ١٩٥٥ قدر سكان الحضر في إفريقيا بحوالى ٢٥٠.٣ مليون ساكن مما يعنى أن سكان الحضر في إفريقيا قد تضاعف حجمهم بما يقرب من ثمانى مرات خلال الفترة من ١٩٥٠ حتى ١٩٩٥ أى بنسبه ٧٨٠٪ تقريباً.

من إستقراء الجدول رقم (٥) والشكل رقم (١) يتضح مدى تطور حجم سكان الحضر كما يتضح أن تزايد حجم سكان الأرياف لم يكن بنفس السرعة فقد تزايد حجمهم من ١٩١.١ مليون ساكن عام ١٩٥٠ الى ٢٥٤ مليون ساكن عام ١٩٦٥ الى ٣٨٧ مليون ساكن عام ١٩٨٥، وتزايدوا إلى أن وصل حجمهم إلى ٤٧٧.٨ مليون ساكن ١٩٩٥ مما يعنى أن سكان الأرياف قد تضاعفوا بنسبه ٢٥٠٪ تقريباً بينما كانت جملة السكان قد تزايدت من ٢٢٤ مليون ساكن تقريباً إلى ٧٢٨ مليون ساكن تقريباً عام ١٩٩٥ أى بنسبه زيادة قدرها ٣١٤٪، مما يشير إلى زيادة حضرية كبيرة تفوق نسبه الزيادة لجملة السكان التى تفوق بنورها زيادة سكان الأرياف.

ومن المتوقع أن تستمر الزيادة السكانية لجملة السكان وسكان الحضر والأرياف حسب إسقاطات قسم الدراسات السكانية بالأمم المتحدة^(٢٩)، فمن المتوقع ان يصل حجم سكان الحضر الى ٢١٠,٢ مليون ساكن عام ٢٠٠٠ والى ٨٠٤.٢ مليون ساكن تقريباً بحلول عام ٢٠٢٥، بينما قدر لسكان إفريقيا ان يقترب حجمهم من مليار ونصف مليار ساكن عام ٢٠٢٥، اما سكان الأرياف فسيصل حجمهم حسب التوقعات الى ٦٩١,٥ مليون ساكن عام ٢٠٢٥.

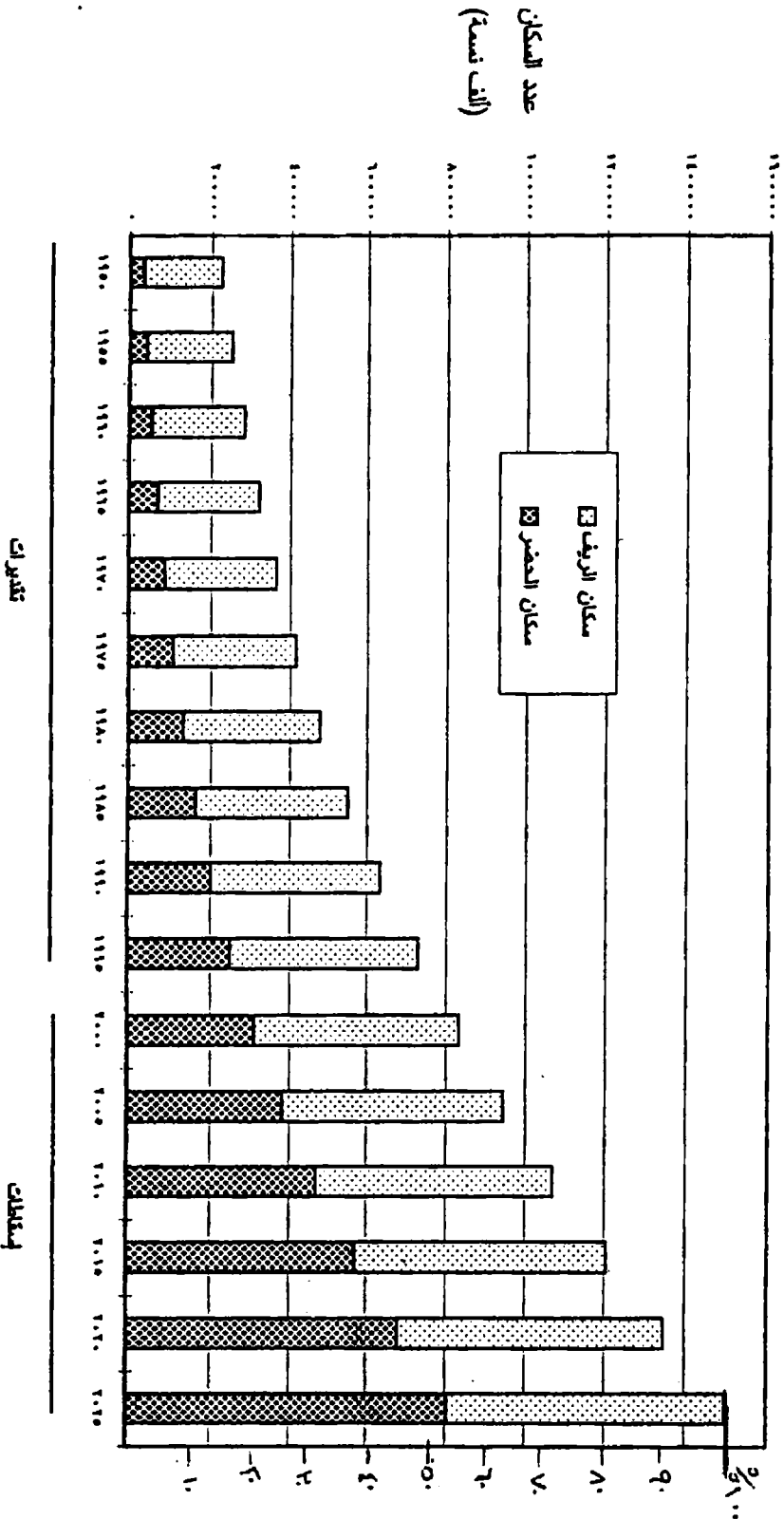
جدول رقم (٥)

تطور سكان إفريقيا وتغير مستويات الحضر والأرياف فى الفترة
من عام ١٩٥٠ - ٢٠٢٥

السنوات	جملة سكان الريفية (الف)	جملة سكان الحضر (الف)	جملة سكان المناطق الريفية (الف)	درجة التحضر (%)	نسبة سكان المناطق الريفية (%)
١٩٥٠	٢٢٣٩٦٧	٣٢٨٢٤	١٩١١٤٤	١٤,٧	٨٥,٣
١٩٥٥	٢٥٠٣٦٠	٤١١٨٤	٢٠٩١٧٦	١٦,٥	٨٣,٥
١٩٦٠	٢٨٢١٣٦	٥٢٠٣٠	٢٣٠١٠٦	١٨,٤	٨١,٦
١٩٦٥	٣٢٠٤٨٥	٦٦٤٦٢	٢٥٤٠٢٤	٢٠,٧	٧٩,٣
١٩٧٠	٣٦٤٢٠٦	٨٣٨٠٦	٢٨٠٣٩٩	٢٣	٧٧
١٩٧٥	٤١٣٩٨٨	١٠٤١٢٣	٣٠٩٨٦٥	٢٥,٢	٧٤,٨
١٩٨٠	٤٧٥٦٦٤	١٢٩٨٨١	٣٤٥٧٨٣	٢٧,٣	٧٢,٧
١٩٨٥	٥٤٨٨٠٠	١٦١٧٨٣	٣٨٧٠١٦	٢٩,٥	٧٠,٥
١٩٩٠	٦٣٢٦٦٩	٢٠١٠٣٧	٤٣١٦٣٢	٣١,٨	٦٨,٢
١٩٩٥	٧٢٨٠٧٤	٢٥٠٢٧٦	٤٧٧٧٩٨	٣٤,٤	٦٥,٦
٢٠٠٠	٨٣١٥٩٦	٣١٠١٥٨	٥٢١٤٣٨	٣٧,٣	٦٢,٧
٢٠٠٥	٩٤٥٠٤٤	٣٨٢٣٢٦	٥٦٢٧١٨	٤٠,٥	٥٩,٥
٢٠١٠	١٠٦٩٣٧٨	٤٦٧٢٩٦	٦٠١٠٨١	٤٣,٨	٥٦,٢
٢٠١٥	١٢٠٢٩١٩	٥٦٧٩٢٦	٦٣٥٩٩٣	٤٧,٢	٥٢,٨
٢٠٢٠	١٣٤٧٧٨٩	٦٨٠٦٩٩	٦٦٧٠٩٠	٥٠,٥	٤٩,٥
٢٠٢٥	١٤٩٥٧٧٢	٨٠٤٢٣٩	٦٩١٥٤٣	٥٣,٨	٤٦,٢

مصدر الأرقام: U.N., (1995), World Urbanization Prospects: Estimations and Projection of Urban and Rural Population of Urban Agglomerations, New York, tabl, A2 - A3 - A4

تطور سكان إفريقيا وتغير مستويات التحضر والأرياف في الفترة من ١٩٥٠ إلى ٢٠٢٥



U.N. (1995), World Urbanization Prospects: Estimations and Projection of Urban and Rural Population of Urban Agglomerations, New York, table, A2-A3-A4

مصدر الأرقام

شكل (١)

وتتميز صورة توزيع السكان فى إفريقيا بالتباين المكانى الواضح وخاصة بالنسبة لسكان الحضر عام ١٩٩٥، الذى يستأثر إقليم إفريقيا الغربية بحوالى ٣٠,٨٪ منهم ثم إفريقيا الشمالية ٢٩,٤٣٪ يليه إقليم إفريقيا الشرقية ١٩,٧٪ ثم إفريقيا الوسطى ١٠,٩٣ بينما يقطن إقليم إفريقيا الجنوبية حوالى ٩,١١٪ من جملة سكان الحضر بالقارة عام ١٩٩٥ (٣٠).

من اللافت للإنتباه بالنسبة لتوزيع سكان الحضر على مستوى الدول بالقارة عام ١٩٩٥ أن يتركز معظم سكان الحضر بالقارة التى تضم أكثر من ٥٠ دولة فى عدد محدود من الدول، إذ يتركز حوالى ٥٣٪ منهم فى ست دول فقط هى بالترتيب نيجيريا ١٧,٥٪ مصر ١١,٢٪ ثم جنوب إفريقيا ٨,٤٪ فالجزائر ٦,٣٪ ثم زائير ٥,١٪ فالمغرب ٤,٤٨٪ وهى الدول التى يضم كل منها أكثر من ١٠ مليون ساكن حضرى عام ١٩٩٥ (٣١).

ويوضح الشكل رقم (٢) مدى التباين فى توزيع أحجام السكان وسكان الأرياف والحضر بين دول القارة الإفريقية عام ١٩٩٥، وياستقرأء الشكل رقم (١)، والشكل رقم (٢) والجدول رقم (٥) يمكن تتبع مستويات التحضر بالقارة.

٢ - مستويات التحضر فى إفريقيا Levels of Urbanization

تتميز قارة إفريقيا بمستوى تحضر منخفض نسبياً إذا ما قورنت بمناطق العالم الأخرى وقد توصلنا من خلال دراسة مستويات التحضر فى الفترة من عام ١٩٢٠ إلى ١٩٥٠ إلى أن درجة التحضر وصلت عام ١٩٥٠ إلى ١٤,٧٪ حسب تقدير الحكومات وإلى ١٠٪ حسب تقدير الأمم المتحدة لسكان المراكز الحضرية الأكثر من ٢٠,٠٠٠ ساكن، والملاحظ أن مستوى التحضر فى إفريقيا قد أخذ فى الإرتفاع، إذ تضاعف فوصل إلى ٢٩,٥٪ عام ١٩٨٥، وأصبح ٣٤,٤٪ عام ١٩٩٥، وهو مستوى - وإن إرتفع كثيراً - يعد أخفض من نظيره على مستوى العالم ومناطقة الكبرى التى سجلت فى عام ١٩٩٥ المستويات التالية.

٤٥.٢٪ على مستوى العالم

٧٤.٩٪ فى الدول الأكثر تقدماً

٢٧.٦٪ فى الدول النامية

٢٢.٤٪ فى الدول الأقل نمواً والتي يقع معظمها فى إفريقيا (٣٢).

ومن إستقراء الإسقاطات الخاصة بمستوى التحضر نلاحظ أن مستوى التحضر فى إفريقيا سيواصل إرتفاعه، فيصل إلى ٥٤٪ من جملة سكان القارة عام ٢٠٢٥، (شكل رقم ١) وجدول رقم (٥).

بالنسبة لمستوى التريف فى القارة فقد إنخفضت نسبة سكان الأرياف من ٨٥.٢٪ عام ١٩٥٠ إلى ٦٥.٦٪ عام ١٩٩٥، ومن المتوقع إذا أن تنخفض إلى ٤٦.٢٪ عام ٢٠٢٥ فى ظل إرتفاع نسبة سكان الحضر.

١. التباين الجغرافى فى مستويات التحضر وتغيرها.

تضم إفريقيا اكبر حشد من الدول على مستوى العالم (٥٤ دولة)، تتوزع بين خمس أقاليم كبرى (حسب تقسيم الأمم المتحدة)، وتتباين أقدار هذه الدول مساحة وسكانا وبالتالي تتباين مستويات التحضر - التى ترتبط بالمستوى الاقتصادى والاجتماعى والثقافى والظروف السياسية والتاريخية والديموغرافية - بين أقاليم ودول القارة، والواقع أنها تتباين على مستوى الأقسام الإدارية داخل كل دولة، و لغرض البحث سيتم تحليل مستويات التحضر وتتبع إتجاهاته بين أقاليم ودول القارة بمايسهم فى وضع صورته مسحية عامه لدى التباين وإتجاهاته فى المكان والزمان.

١.٢ - مستويات التحضر وتغيرها على المستوى الإقليمى.

يتضح من إستقراء الجدول رقم (٦) تباين مستويات التحضر كثيراً على مستوى أقاليم القارة منذ عام ١٩٥٠، وحتى عام ١٩٩٥ مع إتجاه عام نحو ارتفاعها فى كل الأقاليم، ونحو تقاربها مع إسقاطات مابعد عام ١٩٩٥ حتى عام ٢٠٢٥.

فى عام ١٩٥٠ كان التفاوت بين مستوى تحضر منخفض قدر بحوالى ٥,٣٪ فى اقليم إفريقيا الشرقية إلى مستوى ٢, ٢٨٪ فى إفريقيا الجنوبية. وتتدرج مستويات التحضر فى باقى الأقاليم بين هذين المستويين. حيث إفريقيا الغربية ١٠,٣٪ ثم إفريقيا الوسطى ١٤,٢٪، وإفريقيا الشمالية ٢٤,٧٪.

حافظت الأقاليم الإفريقية على هذا الترتيب حتى عام ١٩٨٠ مع إتجاه مستويات التحضر إلى إارتفاع خاصة فى الأقاليم التى تميزت بإنخفاض مستوى التحضر قبل ٣٠ سنة، فكانت مستويات التحضر متفاوتة بين تحضر منخفض مستواه ١٤,٦٪ فى إقليم إفريقيا الشرقية أيضا (وهو مستوى التحضر فى قاره إفريقيا عام ١٩٥٠ تقريباً) الى أعلى مستوى من التحضر فى القارة فى إقليم إفريقيا الجنوبية ٤٤,٥٪، وتتدرج مستويات التحضر أيضاً فى باقى الأقاليم حيث إفريقيا الغربية التى تضاعف مستوى التحضر بها مرة ونصف فوصل الى ٢٥,٨٪ ثم بإفريقيا الوسطى التى تضاعفت مستوى التحضر بها أيضا إلى مستوى ٢٨,١٪ ثم بإفريقيا الشمالية التى إرتفع مستوى التحضر بها إلى ٤٠,٤٪ من جملة السكان عام ١٩٨٥.

واصلت مستويات التحضر إرتفاعها بأقاليم إفريقيا حتى عام ١٩٩٥، وخاصة تلك الأقاليم التى تميزت فى العقود السابقة بإنخفاض مستوى التحضر، الا أن الترتيب إختلف بتقدم إفريقيا الغربية على إفريقيا الوسطى، وارتفع الحد الأدنى لمستوى التحضر إلى ٢١,٧٪ فى إفريقيا الشرقية والأعلى إلى ٤٨,١٪ فى إفريقيا الجنوبية واحتلت إفريقيا الشمالية المركز الثانى بنسبه ٤٥,٩٪، ثم إفريقيا الغربية فى المركز الثالث بدرجة تحضر ٣٦,٦٪ يليها إفريقيا الوسطى فى المركز الرابع بمستوى تحضر ٣٣,٢٪ بإفريقيا الشرقية أخيراً بمستوى ٢١,٧٪ حيث أدنى مستويات التحضر فى القارة.

جدول رقم (٦)
التباين الاقليمي في مستويات التحضر وتغيرها من ١٩٥٠ - ٢٠٢٥ (%)

السنة	١٩٥٠	١٩٥٥	١٩٦٠	١٩٦٥	١٩٧٠	١٩٧٥	١٩٨٠	١٩٨٥	١٩٩٠	١٩٩٥	٢٠٠٠	٢٠٠٥	٢٠١٠	٢٠١٥	٢٠٢٠	٢٠٢٥
إفريقيا الشرقية	٥,٣	٦,٣	٧,٤	٨,٨	١٠,٤	١٢,٥	١٤,٦	١٦,٩	١٩,٢	٢١,٧	٢٤,٦	٢٧,٦	٣٠,٧	٣٤,١	٣٧,٦	٤١,٢
إفريقيا الوسطى	١٤,٢	١٥,٩	١٧,٩	١٩,١	٢٤,٨	٢٦,٦	٢٨,١	٢٩,٣	٣١,٠	٣٢,٢	٣٥,٩	٣٩,١	٤٢,٩	٤٦,٧	٥٠,٠	٥٤,٠
إفريقيا الشمالية	٢٤,٧	٢٧,٣	٢٠,٢	٢٣,٨	٣٦,٣	٣٨,٦	٤٠,٣	٤٢,٢	٤٣,٨	٤٥,٩	٤٨,٣	٥١,٠	٥٤,١	٥٧,٣	٦٠,٥	٦٣,٤
إفريقيا الجنوبية	٣٨,٢	٤٠,٠	٤١,٩	٤٢,٨	٤٣,٦	٤٤,١	٤٤,٥	٤٥,٠	٤٦,٢	٤٨,١	٤٨,٧	٥٠,٣	٥١,٨	٥٣,٧	٥٥,٧	٥٦,٦
إفريقيا الغربية	١٠,٣	١٢,٢	١٤,٥	١٦,٩	١٩,٦	٢٢,٦	٢٥,٨	٢٩,٢	٣٢,٨	٣٦,٦	٤٠,٦	٤٤,٥	٤٨,٥	٥٢,٣	٥٦,٨	٥٩,٢
قارة أفريقيا	١٤,٧	١٦,٥	١٨,٤	٢٠,٧	٢٣,٥	٢٥,٢	٢٧,٣	٢٩,٥	٣١,٨	٣٤,٤	٣٧,٣	٤٠,٥	٤٣,٨	٤٧,٢	٥٠,٠	٥٤,٠

U.N., (1995), op. cit, Table .A.2.

المصدر

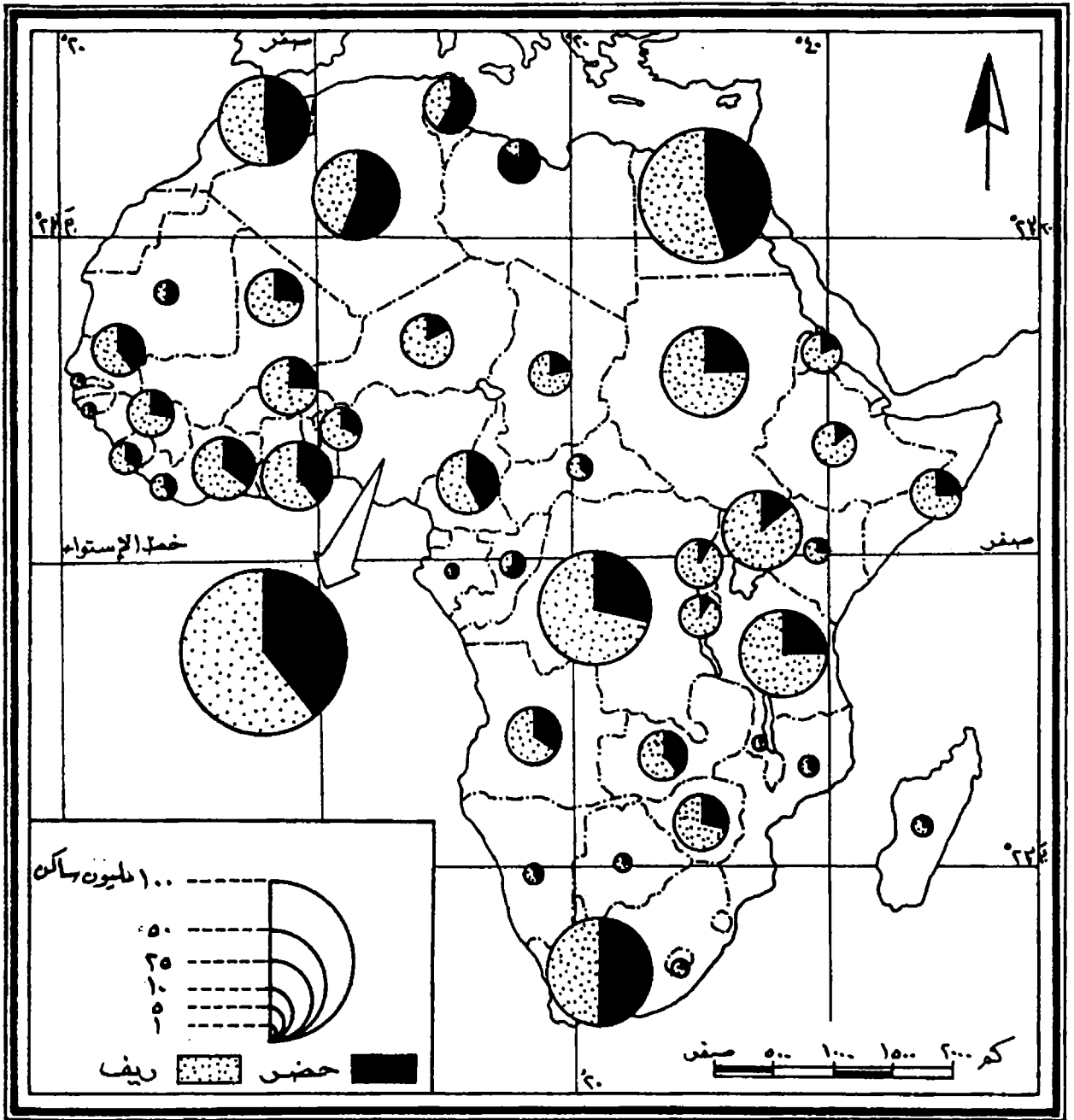
من المتوقع أن يستمر إرتفاع مستويات التحضر فى أقاليم القارة بسرعة كبيرة خاصة فى الأقاليم التى مثلت مستويات منخفضة عن مستوى التحضر بالقارة، وهى إفريقيا الشرقية وإفريقيا الوسطى. وكذلك إفريقيا الغربية التى كانت قد إرتفعت عن مستوى التحضر بالقارة عام ١٩٩٥، ذلك مع الحفاظ على نفس الترتيب. فمن المتوقع أن يرتفع الحد الأدنى لمستويات التحضر الى ٤١,٢٪ بأقليم إفريقيا الشرقية، يليه إفريقيا الوسطى ٥٤٪، ثم غرب إفريقيا ٥٩,٢٪، أما إقليم إفريقيا الشمالية فسيرتفع مستوى التحضر به الى ٦٣,٤٪، ويرتفع الى أعلى مستوياته بالقارة فى إقليم إفريقيا الجنوبية ليصبح ٦٦,٦٪ ومن المتوقع أن يتوافق مستوى التحضر فى إفريقيا الوسطى مع مستوى التحضر فى كل القارة (٥٤٪) بينما ينخفض مستوى التحضر فى إفريقيا الشرقية عن مستوى القارة بينما يرتفع عنه فى الأقاليم الثلاثة المتبقية.

ويعنى ماسبق أن الاتجاه نحو إرتفاع مستوى التحضر واضح رغم الارتفاع النسبى لسكان المناطق الريفية والذى سيظل مميزاً للقارة وخاصة فى شرقيها ووسطها وغربيها، ويصاحب هذا التسارع فى مستوى التحضر القاء العديد من المشكلات والأعباء على الحكومات والهيئات والسكان الجدد والقدامى. ويرتبط هذا الارتفاع فى مستوى التحضر بالعديد من الأسباب سنعرض لها بعد تتبع اتجاهات التحضر من حيث المستوى وسرعه النمو (ايقاع النمو).

٢.ب - تباين مستويات التحضر وتغيرها بين الدول الإفريقية

تباينت مستويات التحضر على مستوى الدول تبايناً شديداً عن مثيله على مستوى الأقاليم فى إفريقيا، وتتميز بعض الدول بسيادة النمط الريفى بين سكانها رغم ارتفاع مستوى التحضر بها من عام ١٩٥٠ الى ١٩٩٥. شكل (٢)

- فقد تفاوتت بين ١,٧٪ فى بورندى وأعلى مستوى فى الصحراء الغربية وكان ٦٧,٨٪ وذلك عام ١٩٥٠.



شكل (٢) سكان إفريقيا بين الأرياف والحضر سنة ١٩٩٥م

- فى عام ١٩٦٥ تفاوت المستوى بين ٢,٢٪ فى بورندى الى ٥٥,١٪ فى
چيبوتى.

- فى عام ١٩٨٠ ظل التفاوت كبيراً بين الحد الأدنى الذى حافظت عليه
بورندى وإن ارتفع مضاعفاً الى ٤,٣٪، وحافظت چيبوتى على الحد الأعلى وإن
ارتفع أيضا الى ٧٣,٧٪.

- فى ١٩٩٥ ارتفعت مستويات التحضر فى كافة الدول الإفريقية وارتفع
الحد الأدنى إلى ٦,١٪ لكن فى روندا التى تمثل أدنى مستويات الحضرية
بالقارة، وارتفع الحد الأعلى الى ٨٦٪ لكن فى ليبيا هذه المرة.

ويوضح الشكل رقم (٣ - أ، ب، ج، د) مستويات التحضر وتغيرها بين الدول
الإفريقية معبراً عن سنوات ١٩٥٠ و ١٩٦٥ و ١٩٨٠، و أخيراً الوضع
الراهن فى عام ١٩٩٥. ومن إستقراء الخرائط نستنتج الإتجاه الواضح نحو
ارتفاع مستوى التحضر باستمرار بين الدول الإفريقية كما يتضح تفاوتها
البينى فى هذا الصدد من خلال شكل رقم (٢)، ومن إستقراء الشكلين المعبرين
عن عام ١٩٩٥، (٣، ٢) نلاحظ مايلى.

- إرتفعت مستويات التحضر فى كل الدول العربية بإفريقيا الشمالية عن
٤٠٪ بإستثناء السودان وترتفع فى بعضها عن ٨٠٪ كما فى الجماهيرية الليبية،
وچيبوتى بينما تقع باقى الدول العربية بين مستوى ٤٠٪ و ٦٠٪ من جملة
السكان بمعنى أنه لا توجد فئة من ٦٠٪ إلى ٨٠٪ بين الدول العربية فى شمالى
إفريقيا.

- فى إفريقيا جنوب الصحراء تتفاوت المستويات ويمكن حصرها فى
المستويات التالية:

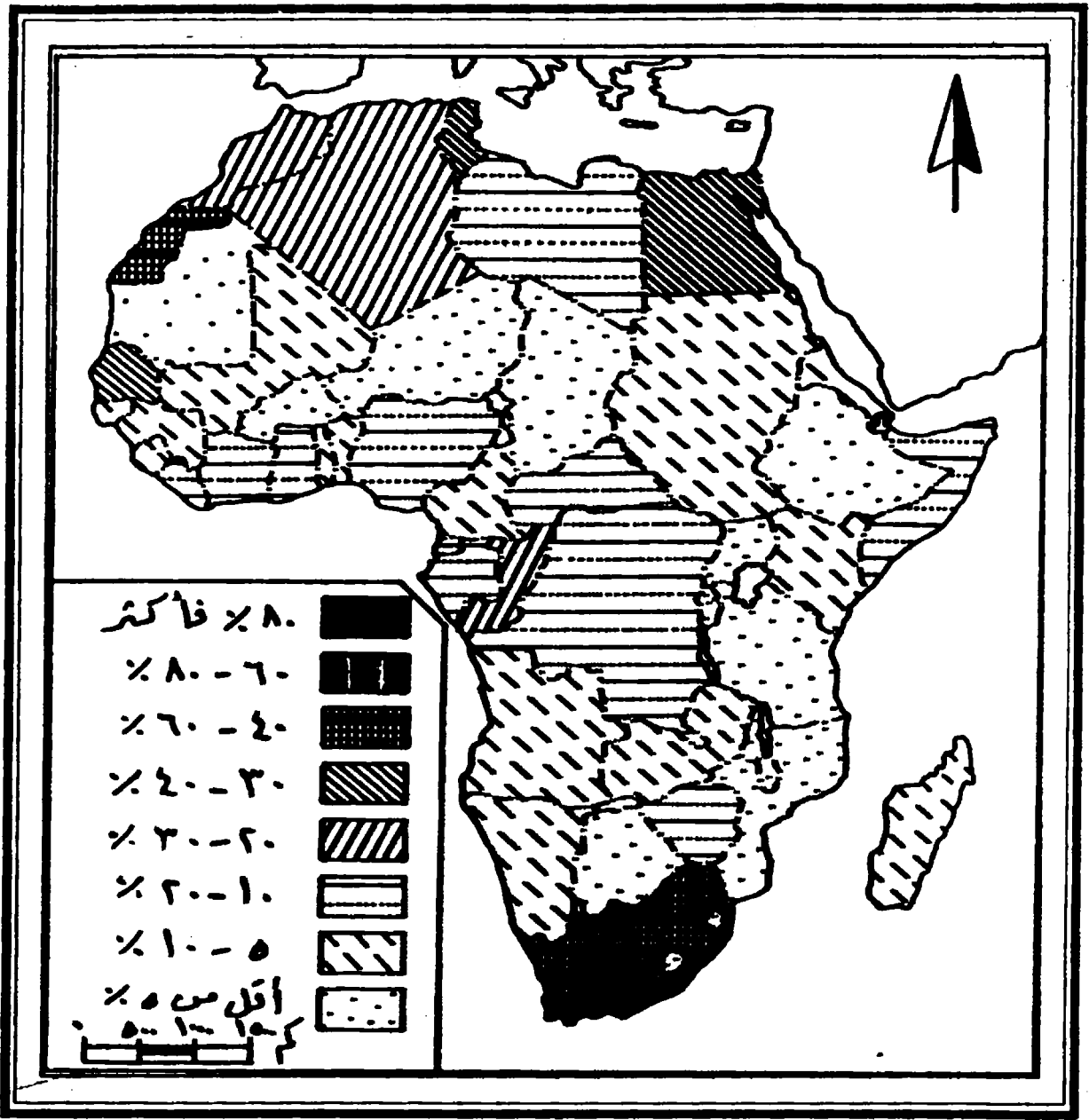
- مستوى يرتفع عن مستوى القارة ويحقق مستويات تحضر مرتفعه، وفى
دول الكمبيرون وكيب فيرد والسنغال وكوت دى فوار وزامبيا وجنوب إفريقيا

(والجزر) سيشل موريشيوس رينيون، ساوتومي وبرنسيب وكلها ترتفع بها مستويات التحضر عن ٤٠٪.

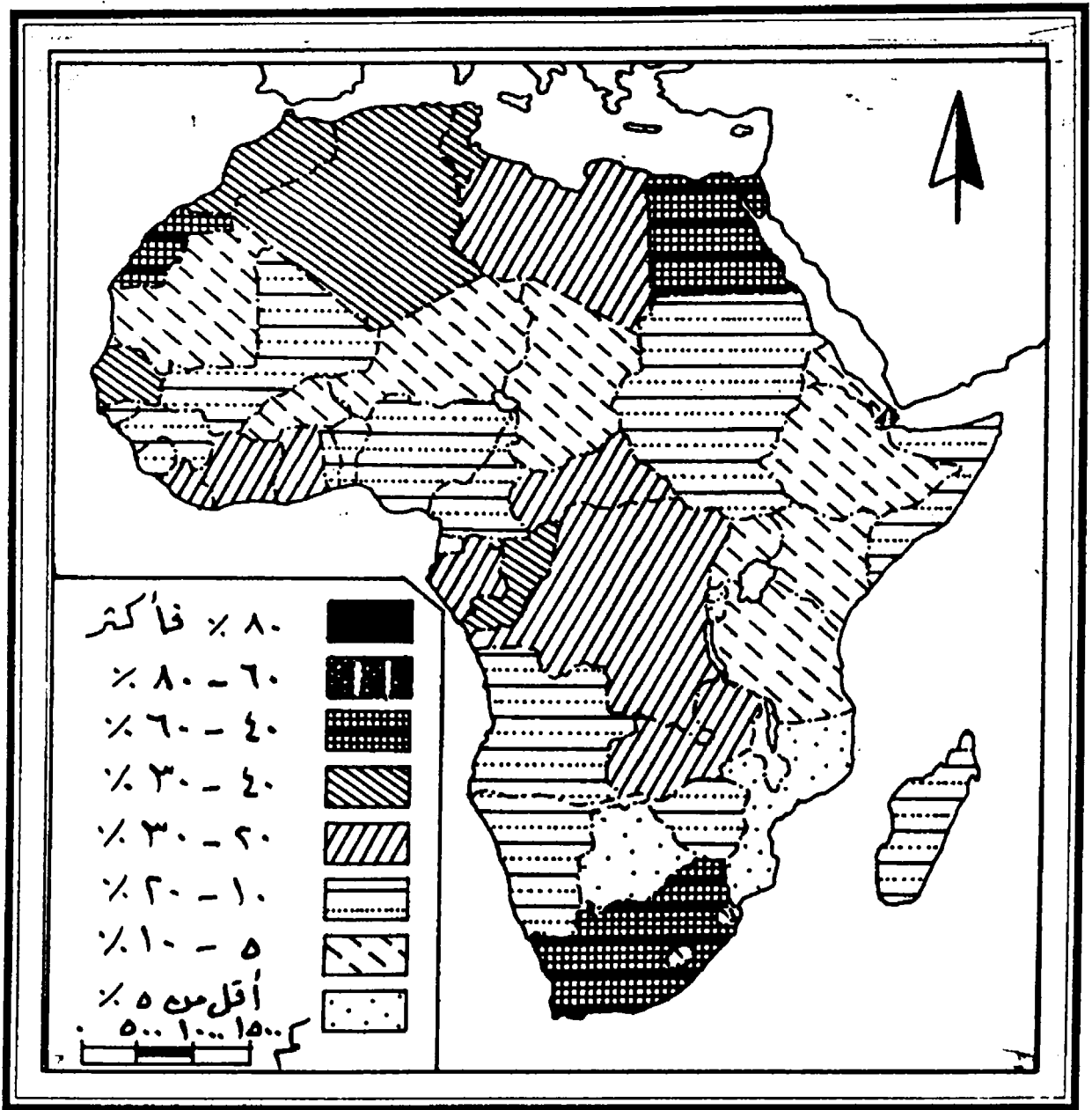
- دول ذات مستوى تحضر بين ٤٠ و ٢٠٪ وهي نيجيريا وبنين وغانا وسيراليون وتوجو وموزامبيق وسوازيلاند وناميبيا وانجولا، يليها مجموعة دول تنزانيا، كينيا، والصومال ومدغشقر وليوسوٲو وبتشوانا ثم زائير، وتشاد، ومالي وغينيا بيساو وغنيا، بالاضافة الى السودان وتضم هذه الفئة أكبر مجموعة من الدول الإفريقية.

- دول ذات مستوى تحضر منخفض أقل من ٢٠٪ وهي إرتريا، إثيوبيا، أوغندا، مالاوي، والنيجر، بينما يوجد أدنى مستوى (أقل من ١٠٪) فى بورندى وروندا^(٣٣) ومن بين ٢٠ دولة هى الاقل نمواً فى العالم يوجد ١٩ دولة إفريقية من بينها كل الدول ذات مستوى التحضر الأقل انخفاضا حسب تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٥^(٣٤).

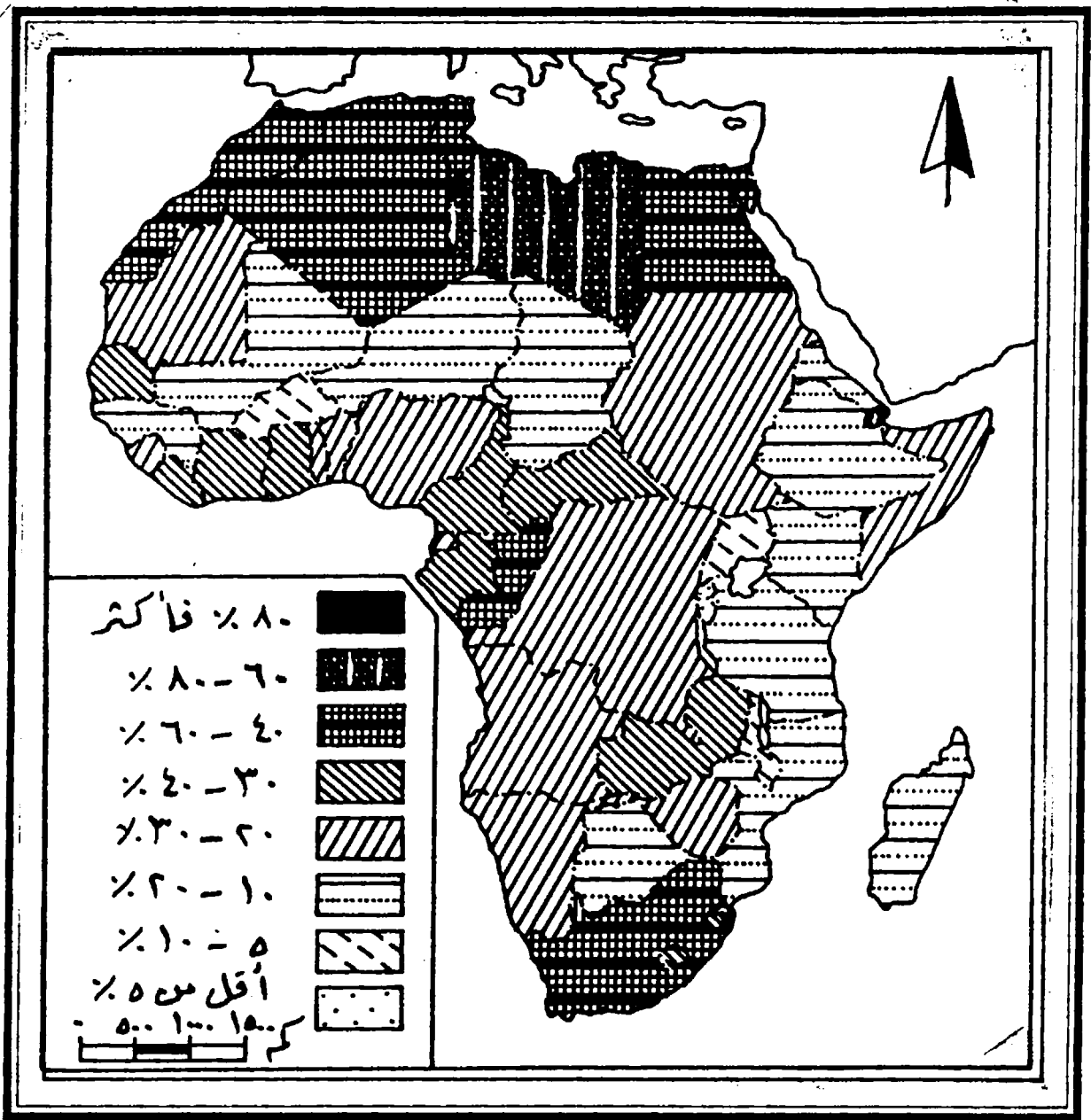
اما عن مستويات التحضر المتوقع إحرازها حتى عام ٢٠٢٥ حسب إسقاطات الأمم المتحدة المبنية على دراسات واسقاطات معدلات المواليد والوفيات والخصوبة والعمر المتوقع والهجرة وغيرها. فيوضحها الشكل رقم (٤)، ومن إستقراءه يتضح أن معظم الدول العربية إن لم يكن كلها تتجه نحو إرتفاع مستويات التحضر بها. وتمثل الدول التى تميزت بمستويات تحضر منخفضة أو منخفضة جدا أكثر الدول تغيراً فى إتجاه تحقيق مستويات تحضر أكثر إرتفاعاً، وسيرتفع الحد الأدنى إلى ١٥٪ فى رواندا والأعلى الى ٩٢.٧٪ فى الجماهيرية الليبية. ولن ينخفض عن مستوى ٣٠٪ سوى إثيوبيا وأوغندا وبورندى ثم رواندا. ومن المتوقع أن تؤثر الحروب الأهلية وحالات اللجوء السياسى واللجوء البيئى بالاضافة إلى المشكلات الاقتصادية والاجتماعية وخصائص السكان الديموغرافية فى رسم صورة المستقبل مضافا إليها السياسات التى تنتهجها الحكومات إزاء الارتفاع المتواصل فى درجة التحضر بالدول الإفريقية.



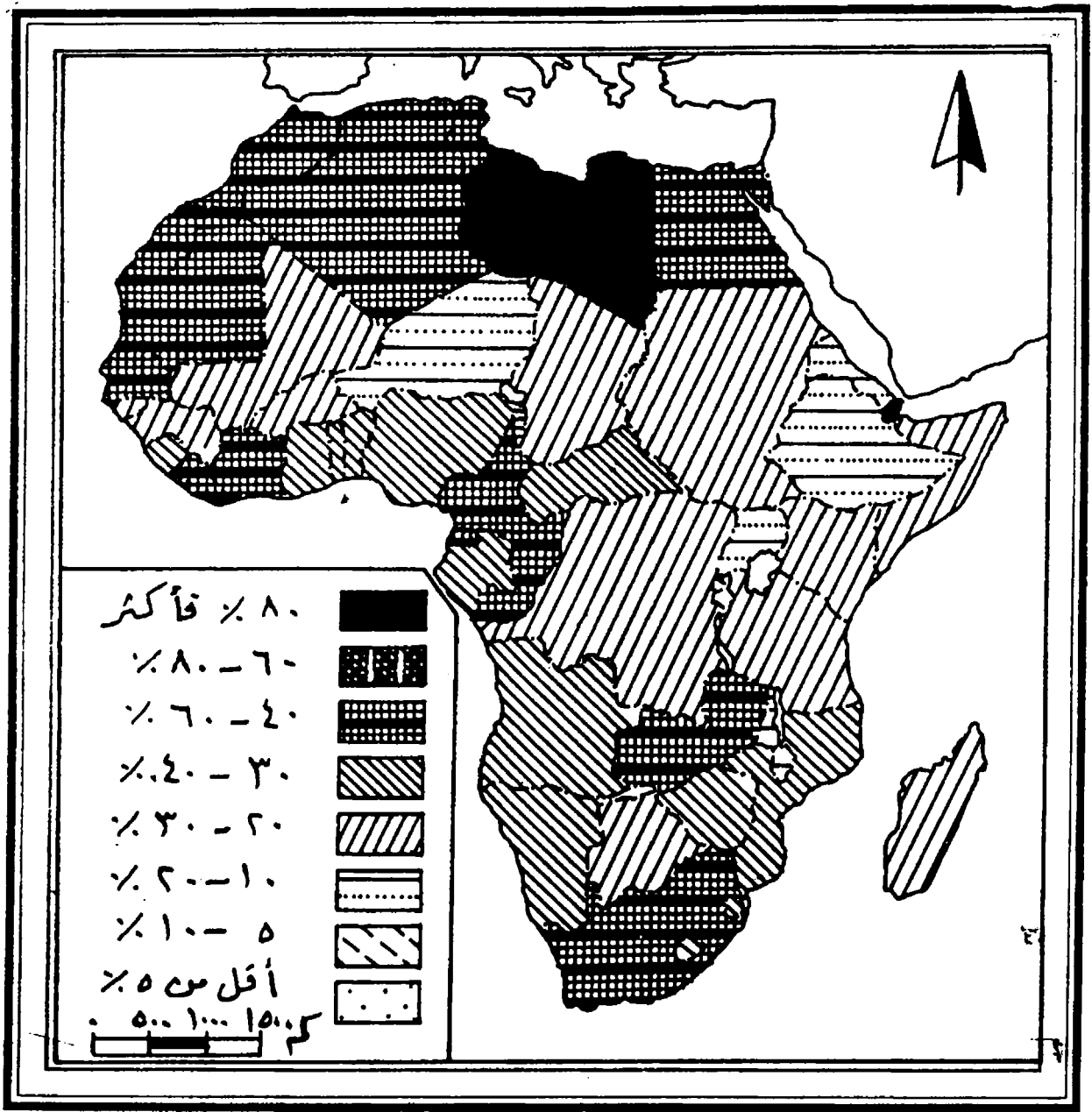
شكل (١-٢) مستويات التحضر في إفريقيا عام ١٩٥٠



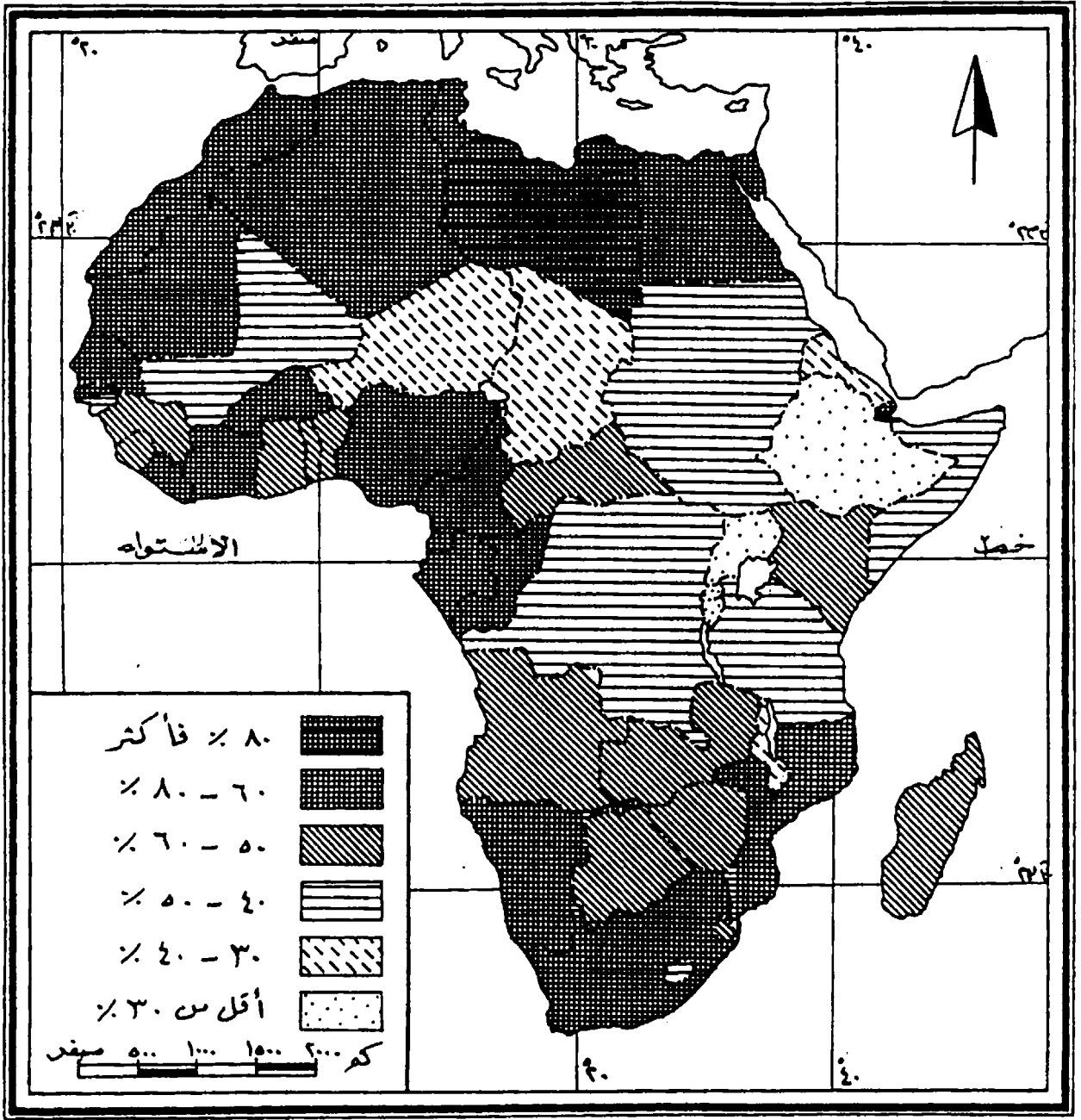
شكل (٢-ب) مستويات التحضر في إفريقيا عام ١٩٦٥



شكل (٢-ج) مستويات التحضر في إفريقيا عام ١٩٨٠



شكل (٢-ج) مستويات التحضر في إفريقيا عام ١٩٩٥



شكل (٤) مستويات التحضر المتوقعة في إفريقيا عام ٢٠٢٥
حسب إسقاطات الأمم المتحدة

٣ - إرتفاع معدلات النمو الحضري وتسارعها في إفريقيا.

يعكس الإتجاه الواضح نحو إرتفاع مستوى التحضر إتجاهاً مرتبطاً بإرتفاع معدلات النمو السنوى لسكان الحضر فى القارة، ومن الأهمية بمكان تتبج هذه المعدلات، والأهم من ذلك ملاحظة مدى تسارعها أو (ايقاعاتها Pace of Urbanization) وذلك حتى يمكن تحليل عملية التحضر ووضع السياسات المناسبة لمواجهة مشكلاتها، والتي كثيراً ماتفشل بسبب عدم أخذ عملية النمو وسرعتها واسقاطاتها ومكوناتها وأسبابها فى الاعتبار عند وضع هذه السياسات.

وتعد معدلات النمو الحضرى فى إفريقيا من أعلى المعدلات فى العالم ومن المتوقع أن تظل مرتفعة فى العقود التالية حسبما تشير الإسقاطات العديدة التى تتضمنها الدراسات والتقارير. وترتفع معدلات نمو سكان إفريقيا وسكان الحضر والأرياف على السواء عن مستوى العالم ومناطقه المختلفة المشابهة لإفريقيا فى ظروفها أى الدول النامية، وغير المشابهه أو الدول المتقدمة. وحسب معدلات النمو الحضرى ومستوى التحضر واسقاطاته يمكن تصنيف أنماط التحضر فى العالم إلى أربع مجموعات تندرج تحتها أقاليم ودول العالم وهى.

- أقاليم ذات مستوى تحضر مرتفع ومعدلات نمو بطيئة أقل من ٢٪ سنوياً.
- أقاليم ذات مستوى تحضر متوسط مرتفع ومعدلات نمو معتدله أكثر من ٢٪ سنوياً.
- أقاليم ذات مستوى تحضر متوسط ونمو سريع معدله ٣,٥٪ سنوياً.
- أقاليم ذات مستوى تحضر منخفض ونمو سريع معدله ٣,٥٪ فأكثر سنوياً.

تنتمى أوروبا وأمريكا الشمالية وأستراليا وروسيا إلى النمط الأول، بينما تصنف أمريكا اللاتينية والكاريبى ضمن النمط الثانى. أما الثالث فيمثل غرب

آسيا بينما تصنف إفريقيا بأقليمها الخمسة، عدا بعض الدول كما اتضح، ضمن النمط الرابع مضافا اليها جنوب شرق وشرق آسيا وجزر ميلانزيا وميكرونزيا ويمثل هذه المجموعة المنحنى الخاص بشرق إفريقيا^(٢٥).

توضح الاشكال رقم (٧,٦,٥) والجداول رقم (٩,٨,٧) اتجاهات معدلات النمو السنوى وسرعتها فى إفريقيا وأقاليمها مقارنة بمعدلات نمو سكان العالم ونمو سكان الحضر وكذلك سكان المناطق الريفية، وذلك عام ١٩٥٠ حتى ١٩٩٥، واسقاطات النمو السكانى والحضرى والريفى حتى عام ٢٠٢٥، ومن استقرائها يمكن استنتاج مايلى:

- ترتفع معدلات نمو سكان إفريقيا بصفة عامة على معدلات نمو سكان العالم خلال كل الفترة من ١٩٥٠ حتى ١٩٩٥، ومن المتوقع إستمرار إرتفاعها عن مستوى العالم حتى عام ٢٠٢٥ رغم اتجاهها الى الانخفاض البطئ من عام ١٩٩٥.

من الملاحظ اتساع الفجوة بين معدلات نمو سكان العالم ونمو سكان إفريقيا ومن المتوقع استمرار اتساعها. فقد كان المعدل السنوى لنمو سكان العالم من عام ١٩٥٠ الى عام ١٩٥٥ حوالى ١,٧٨٪ سنويا وكان معدل نمو سكان إفريقيا فى نفس الفترة ٢,٢٢٪، لا يقل بين أقاليم إفريقيا كلها عن ذلك سوى فى إقليم افريقيا الوسطى حيث كان ١,٨٠٪ سنويا. بينما يرتفع فى باقى الأقاليم عن معدل القارة.

- ظل إتجاه نمو سكان إفريقيا مرتفعا عن معدلات نمو سكان العالم ومتزايدا فى الوقت الذى حقق فيه نمو سكان العالم هبوطا منذ عام ١٩٦٥ ثم ثباتاً من عام ١٩٧٠ حتى عام ١٩٩٠ ثم واصل الهبوط فى عام ١٩٩٥، بينما حقق سكان إفريقيا نمواً متسارعا.. حتى أصبح معدل نمو سكان العالم ١,٥٧٪ سنويا بينما معدل نمو سكان إفريقيا ٢,٨١٪ سنويا.

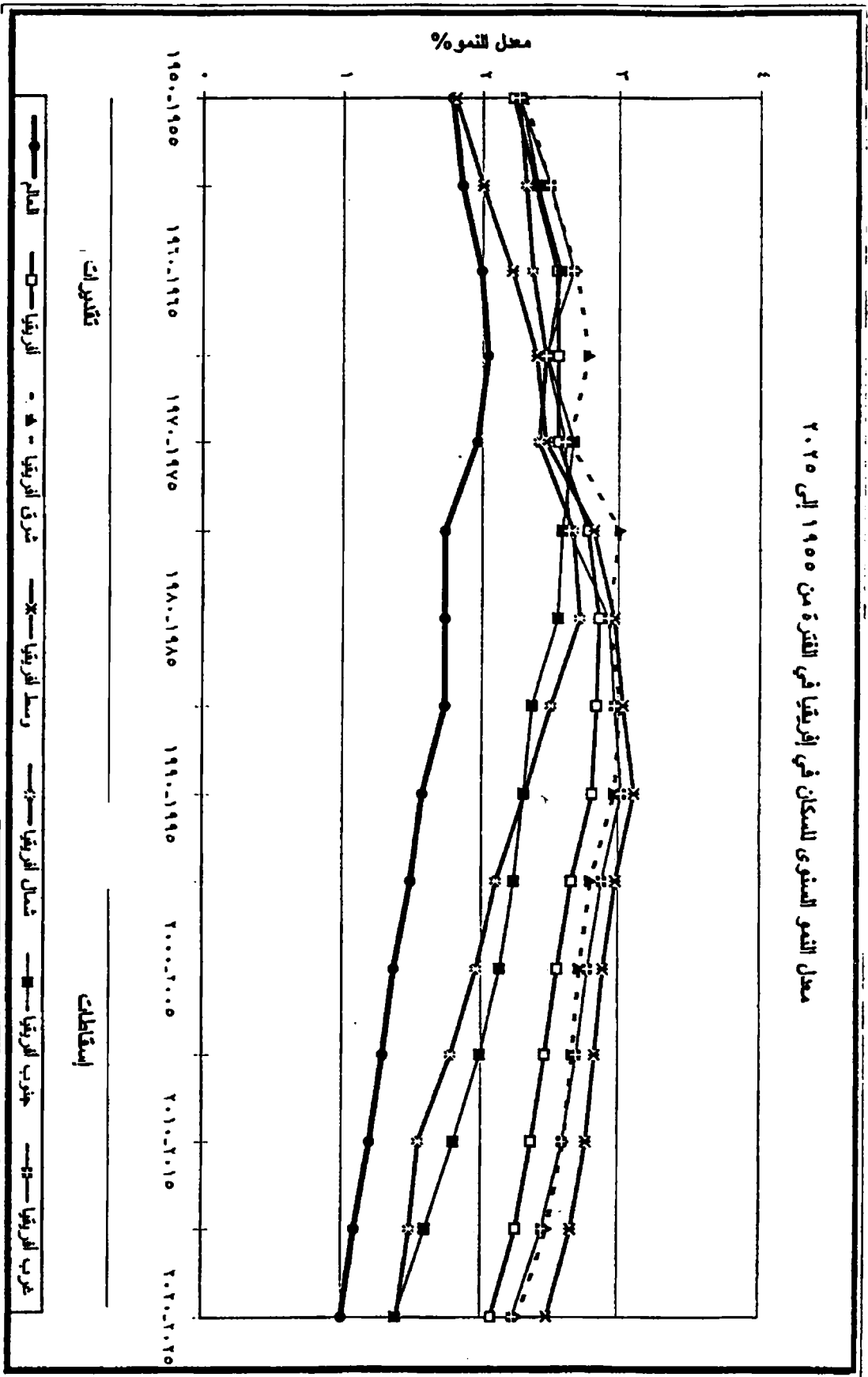
من المتوقع أن يواصل معدل نمو سكان العالم هبوطه ليصل إلى ١٪ سنوياً حتى عام ٢٠٢٠ و عام ٢٠٢٥.. بينما سيهبط أيضاً معدل النمو السنوي لسكان إفريقيا لكن سيكون أكثر من ضعف معدل نمو سكان العالم أي ٢,٨٪ سنوياً بين عامي ٢٠٢٠-٢٠٢٥.

وتتباين هذه المعدلات على مستوى الأقاليم والدول في قارة إفريقيا منذ بداية الفترة وحتى عام ١٩٩٥، فقد سجل معدل النمو السنوي تزايداً واضحاً في كل الأقاليم وإن كان الاتجاه العام نحو الإرتفاع فقد كان معدل النمو السنوي مرتفعاً في كل الاقاليم بين عامي ١٩٧٠-١٩٧٥ عن نفس المعدل بين ١٩٥٠-١٩٥٥ وبين عامي ١٩٩٠-١٩٩٥ كان مرتفعاً في شرق إفريقيا (٢,٩٧٪) ووسط افريقيا (٣,١١٪) سنوياً وغرب إفريقيا (٣,٠٢٪) سنوياً عن معدل القارة بينما إنخفض عنه في إقليمي افريقيا الشمالية وإفريقيا الجنوبية. (شكل رقم ٥ وجدول رقم ٧).

من المتوقع أن تظل معدلات أقاليم شرق ووسط وغرب القارة محققة لمعدلات نمو سكاني أعلى من معدل القارة، بينما من المقدر أن ينخفض في اقليمي شمالي وجنوبي القارة بمعدلات ١,٤٠٪ سنوياً و ١,٣٩٪ سنوياً على التوالي.

ويرجع هذا الإرتفاع في معدلات النمو إلى إرتفاع معدلات المواليد الخام والخصوبة والإنخفاض النسبي في معدلات الوفيات فقد سجل معدل المواليد الخام ٤٩,٢٪ في إفريقيا من عام ١٩٥٠ إلى عام ١٩٥٩، وأصبح ٤١,٩٪ في الألف بين عامي ١٩٩٠-١٩٩٥. ومن المتوقع أن يهبط إلى ٣٠,٧ في الألف بين عامي ٢٠١٥-٢٠٢٠، وقد كان مرتفعاً في كثير من دول وأقاليم القارة عن هذا المعدل، أما معدلات الخصوبة فهي مرتفعة أيضاً على مستوى القارة، إذ سجلت ٦,٦٤ بين عامي ١٩٥٠-١٩٥٥ وظلت مرتفعة إذ سجلت ٦,٨ بين عامي ١٩٨٥-١٩٩٠ أما معدلات الوفيات الخام فقد كانت مرتفعة في أول الفترة إذ سجلت بين عامي ١٩٥٠-١٩٥٥ معدل ٢٦,٨ في الألف وإنخفض هذا المعدل إلى ١٣,٧ في الألف ومن المتوقع أن يواصل معدل الوفيات إنخفاضه ليصل إلى ٨,١

معدل النمو السنوي للسكان في أفريقيا في الفترة من ١٩٥٥ إلى ٢٠٢٥



U.N. (1995) World Urbanization Prospects : The 1994 Revision, Estimates and Projection of Urban and Rural Population and Urban Agglomeration, New York, Table, A8

مصدر الأرقام

شكل (٥)

فى الالف بين عامى ٢٠١٥-٢٠٢٠، مما يؤدى إلى ارتفاع معدلات الزيادة الطبيعية بين السكان فى إفريقيا (٣٦) مضافاً الى ذلك عامل الهجرة.

أما معدلات نمو سكان الأرياف فقد سجلت معدلات نمو تعد الأعلى بين أقاليم ومناطق العالم باستثناء أقل الدول نمواً التى يقع معظمها فى قارة إفريقيا، وذلك فى بعض الفترات خلال الفترة من عام ١٩٥٠-١٩٩٥ ذلك على الرغم من أن معدلات نمو سكان المناطق الريفية يعد أقل من معدلات نمو جملة السكان على مستوى العالم، وعلى مستوى قاره إفريقيا بصفه عامه (شكل رقم ٦ وجدول رقم ٨) ويتضح من إستقراء الشكل والجدول الذبذبات الواضحة فى معدلات النمو السنوى وإن جنحت نحو الهبوط بصفة عامة. بالنسبة للعالم والقارة والأقاليم داخل القارة، إذ يرتبط معدل نمو سكان الأرياف بالظروف المناخية والاقتصادية والاجتماعية والمرضية المرتبطة بالقارة كما يتأثر بها نمو السكان وسكان الحضر، مثل الجفاف والكوارث الطبيعية وارتفاع معدلات الاصابة بمرض الإيدز وانتشار الأمراض المدارية فى مناطق عديده من القاره بالإضافة إلى هبوط أسعار المحاصيل النقدية والمواد الخام ونقص الغذاء والتصحر وتملح التربة والتلوث والحروب الأهلية... الخ (٣٧) إذ تؤدى الظروف السابقة إلى إرتفاع معدلات الهجرة النازحه كما تؤثر على معدلات الوفيات وخاصة وفيات الأطفال، كما يرتبط بها تغير التركيب العمرى والنوعى للسكان مما يؤثر - على المدى القريب أو البعيد - فى نمو السكان وكذلك تركيبهم وتوزيعهم بين مناطق النزوح ومناطق الاستقبال كما سيتضح عند دراسة مكونات النمو الحضرى وأسبابه.

وقد سجلت معدلات نمو سكان المناطق الريفية فى العالم ١,١٨٪ سنوياً بين ١٩٥٠-١٩٥٥، وكان معدل سكان هذه المناطق فى إفريقيا أعلى من ذلك إذ سجل ١,٨٠٪ سنوياً وسجل إقليم إفريقيا الشرقية أكثر معدلات نمو سكان المناطق الريفية إرتفاعاً حيث كان معدل نموه ٢,١٠٪ سنوياً يليه إقليم إفريقيا

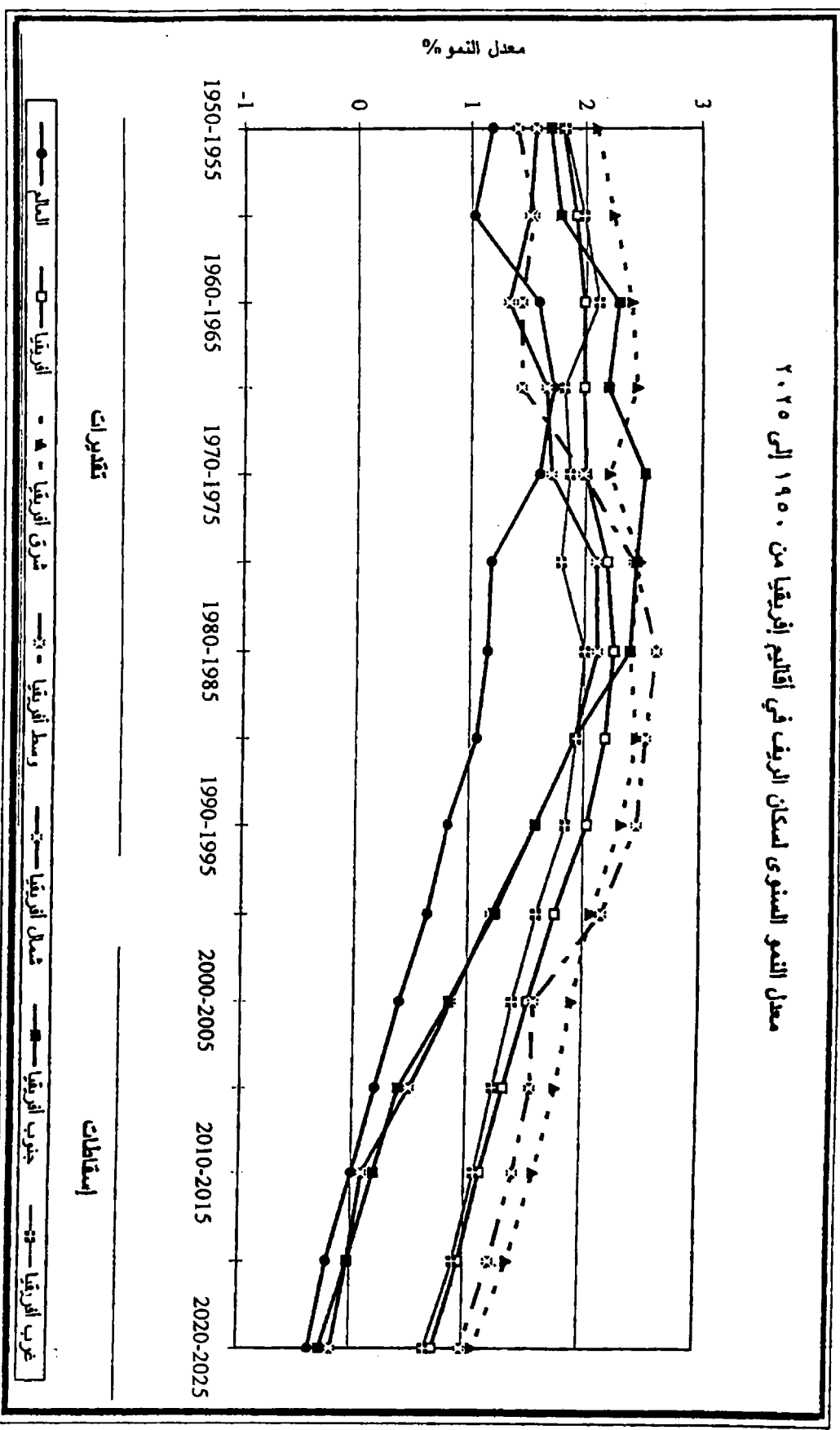
جدول رقم (٨)
معدل النمو السنوي وتغيره لسكان المناطق الريفية في أقاليم القارة الإفريقية مقارنة بمعدل النمو السنوي
في القارة والعالم من ١٩٥٠ - ١٩٩٥ وإسقاطات حتى عام ٢٠٢٥ (%)

السنة	الإقليم														
	العالم	إفريقيا	إفريقيا الشرقية	إفريقيا الوسطى	إفريقيا الشمالية	إفريقيا الجنوبية	إفريقيا الغربية	إفريقيا الغربية	إفريقيا الغربية	إفريقيا الغربية	إفريقيا الغربية	إفريقيا الغربية	إفريقيا الغربية	إفريقيا الغربية	إفريقيا الغربية
٢٠٢٠	٢٠١٥	٢٠١٠	٢٠٠٥	٢٠٠٠	١٩٩٥	١٩٩٠	١٩٨٥	١٩٨٠	١٩٧٥	١٩٧٠	١٩٦٥	١٩٦٠	١٩٥٥	١٩٥٠	
٢٠٢٥	٢٠٢٠	٢٠١٥	٢٠١٠	٢٠٠٥	٢٠٠٠	١٩٩٥	١٩٩٠	١٩٨٥	١٩٨٠	١٩٧٥	١٩٧٠	١٩٦٥	١٩٦٠	١٩٥٥	
سالب	سالب	سالب	سالب	سالب	سالب	سالب	سالب	سالب	سالب	سالب	سالب	سالب	سالب	سالب	سالب
٠,٣٧	٠,٣٢	٠,٠٠	٠,١٩	٠,٣٩	٠,٦٣	٠,٨١	١,٠٦	١,١٥	١,١٨	١,٥٩	١,٧١	١,٥٨	١,٠٢	١,١٨	
٠,٧٢	٠,٩٥	١,١٣	١,٣٢	١,٥٢	١,٧٥	٢,٠٣	٢,١٨	٢,٢٥	٢,١٩	٢,٠٠	١,٩٨	١,٩٨	١,٩١	١,٨٠	
١,٠٩	١,٣٨	١,٦٠	١,٧٨	١,٩١	٢,٠٧	٢,٣٣	٢,٤٥	٢,٣٩	٢,٤٧	٢,٢١	٢,٤٤	٢,٣٩	٢,٢٤	٢,١٠	
٠,٩٨	١,٢٢	١,٤٢	١,٥٦	١,٨٥	٢,١٦	٢,٤٦	٢,٥٣	٢,٦٢	٢,٤٢	١,٩٨	١,٤٣	١,٤٣	١,٥٤	١,٤٠	
سالب	سالب	سالب	سالب	سالب	سالب	سالب	سالب	سالب	سالب	سالب	سالب	سالب	سالب	سالب	
٠,١٧	٠,٠٣	٠,٠٩	٠,٤٩	٠,٨٦	١,٢٠	١,٥٨	١,٩٢	٢,١١	٢,١٠	١,٧٠	١,٦٥	١,٣٢	١,٥٠	١,٥٦	
سالب	سالب	سالب	سالب	سالب	سالب	سالب	سالب	سالب	سالب	سالب	سالب	سالب	سالب	سالب	
٠,٢٧	٠,٠٣	٠,١٩	٠,٣٩	٠,٨٣	١,٢٣	١,٥٨	١,٩٢	٢,٢٩	٢,٤٤	٢,٥١	٢,١٩	٢,٢٨	١,٧٧	١,٦٩	
٠,٦٥	٠,٩٠	١,٠٨	١,٢٣	١,٣٩	١,٥٩	١,٨٤	١,٩٣	٢,٠٠	١,٧٩	١,٨٦	١,٨١	٢,١١	١,٩٨	١,٨٢	

U.N., (1995), op . cit, Table .A.6. P. 110

المصدر

معدل النمو السنوي لسكان الريف في أقاليم إفريقيا من ١٩٥٠ إلى ٢٠٢٥



U.N. (1995) World Urbanization Prospects: The 1994 Revision, Estimates and Projection of Urban and Rural Population and Urban Agglomeration, New York, Table, A7

شكل (٦) مصدر الأرقام:

الغربية بمعدل ١,٨٢٪ سنويا ينخفض في الأقاليم الثلاثة الباقية عن معدل القارة، وقل المعدلات سجلها إقليم افريقيا الوسطى (١,٤٪ سنويا).

سجلت معدلات نمو سكان المناطق الريفية ارتفاعاً من عام ١٩٥٥ وحتى عام ١٩٨٥ فى إفريقيا بصفة عامة ليصبح ٢,٢٥٪ بينما كانت أكثر تذبذباً على مستوى العالم، وان كان الإتجاه العام يسير نحو التناقص الذى استمر واضحاً من عام ١٩٧٥ (١,٥٩٪ سنوياً) حتى ١٩٩٠-١٩٩٥ فأصبح ٠,٨١٪ سنويا ومن المتوقع أن يستمر التناقص حتى يصل إلى صفر٪ بين عامى ٢٠١٠-٢٠١٥ ثم يتناقص ليصبح ناقص -٣,٧٪ بين عامى ٢٠٢٠-٢٠٢٥ (حسب تقديرات الامم المتحدة). بينما أخذت هذه المعدلات فى الإنخفاض البطئ فى إفريقيا بين عامى ١٩٨٥-١٩٩٠ و ١٩٩٠-١٩٩٥، ليصبح ٢,٣٪ أى أكثر من ضعف معدل نمو سكان الأرياف فى العالم فى ذلك الوقت، ومن المتوقع أن يستمر الانخفاض البطئ حتى عام ٢٠٢٥ ليصبح ٠,٧٢٪ سنويا أى مايقارب ثلثه أضعاف نمو سكان الأرياف فى العالم فى ذلك الوقت.

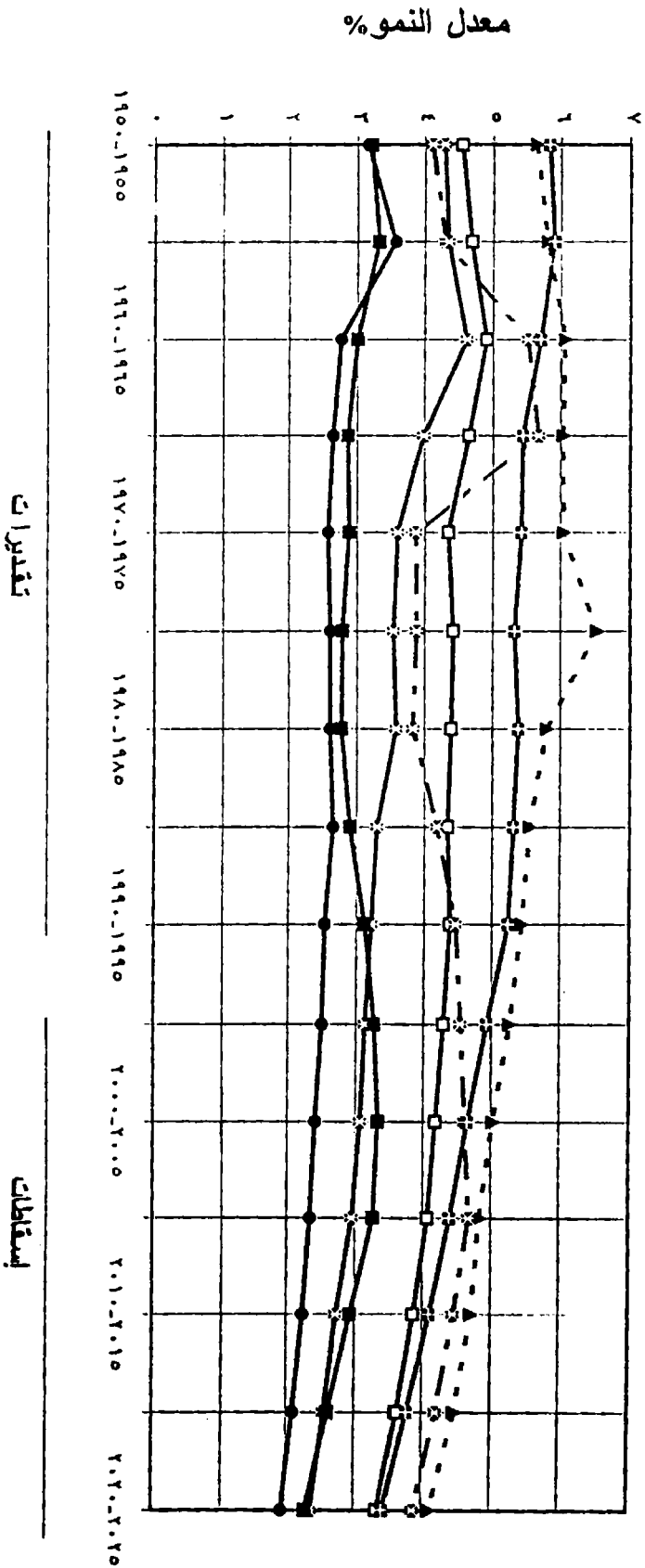
من المتوقع أن تصبح معدلات نمو سكان الأرياف فى إقليمى إفريقيا الغربية وإفريقيا الجنوبية أقل من معدلات نمو سكان الأرياف على مستوى القارة. وأن تحقق معدلا متناقصا من عام ٢٠١٥ وحتى ٢٠٢٥. أما الأقاليم الثلاث الباقية فمن المتوقع أن تحقق معدلات نمو مقاربه لنمو سكان القارة فى المناطق الريفية وان إنخفض عنها فى إقليم إفريقيا الوسطى. (شكل ٦ وجدول ٨) وتتفاوت هذه المعدلات على مستوى الدول فى القارة حيث يسجل بعضها نمواً سالباً فى فترات متباينه نتيجة للظروف السابق الإشارة إليها. مثل جزر رينيون، وسيشل، وغينا الاستوائية والجمهورية الليبية وكيب فيرد وسانت هيلانه. ومن المتوقع فى العقود المقبلة أن يسجل سكان الأرياف نمواً متناقصا فى دول إقليم شمال إفريقيا عدا السودان وفى جنوب إفريقيا وسوزيلاند. (٢٨).

أما معدلات النمو السنوى لسكان الحضر فى إفريقيا فقد فاقت معدلات نموهم كل المعدلات السابقة والخاصة بجملة السكان وسكان الأرياف على

مستوى العالم ومناطقة والقارة الإفريقية، وهذا ما يوضحه الشكل رقم ٧ والجدول رقم ٩، ومنه نلاحظ انه منذ عام ١٩٥٠، إستمرت معدلات نمو سكان الحضر فى إفريقيا مرتفعه عن معدل نموهم فى العالم فكانت ٣,١٦٪ سنوياً للعالم و ٤,٥٤٪ فى إفريقيا ثم انخفضت على مستوى العالم تدريجياً مع بعض اللبذبات وإن إتجهت نحو الانخفاض الواضح لتصبح ٢,٢٣٪ سنوياً بين عامى ١٩٩٠-١٩٩٥، بينما واصلت إرتفاعها فى إفريقيا حتى أصبحت ٤,٩٪ سنوياً بين عامى ١٩٦٠-١٩٦٥ ثم أخذت فى الانخفاض البطئ حتى أصبحت ٤,٣٨٪ سنوياً بين عامى ١٩٩٠ و ١٩٩٥ مما يعنى أن معدلات إفريقيا تقترب من ضعف معدلات العالم، ومن المتوقع أن تظل معدلات النمو الحضرى لقارة إفريقيا أكثر من ٤٪ حتى عام ٢٠١٠، وبعدها تتوقع الإسقاطات انخفاضها إلى ٣,٣٤٪ سنوياً بين عامى ٢٠٢٠-٢٠٢٥، وتعكس معدلات النمو الحضرى على مستوى اقاليم القارة الإفريقية تبايناً واضحاً. إذ يمثل إقليم إفريقيا الشرقية أعلى معدلات النمو الحضرى على مستوى القارة إذ سجل أكثر من ٦٪ وحتى ٦,٥٢٪ سنوياً حتى عام ١٩٨٠ وأكثر من ٥,٥٪ حتى عام ١٩٩٠ وبين ٥,٥٪ و ٥٪ حتى عام ١٩٩٥ ومن المتوقع أن يحقق إنخفاضا طفيفاً لكن سيظل أكثر من ٤٪ سنوياً حتى عام ٢٠٢٥ وهو معدل من أعلى معدلات النمو الحضرى بين مناطق وأقاليم العالم مع ملاحظة إنخفاض مستوى التحضر فى هذا الأقليم بالذات، يلى إقليم إفريقيا الشرقية إقليم إفريقيا الغربية حيث ظل معدل نمو سكان الحضر فى إرتفاع من عام ١٩٥٠- حتى ١٩٦٠، فكان يقترب من ٦٪ سنوياً ثم بدأ فى الانخفاض الطفيف وإن ظل أكثر من ٥٪ حتى عام ١٩٩٥، ومن المتوقع أن يواصل إقليم إفريقيا الغربية انخفاضه، لكن يظل معدل النمو أكثر من ٤٪ حتى ٢٠١٥ ثم ينخفض إلى ٣,٤٢٪ عام ٢٠٢٥.

أما إقليم إفريقيا الوسطى فيسجل معدلات متذبذبه أكثر من أى اقليم آخر فى القاره وأن كانت ستظهر إتجاهاً نحو الإرتفاع منذ عام ١٩٩٠ وحتى عام

معدل النمو السنوي لسكان الحضر في أقاليم إفريقيا في الفترة من ١٩٥٥ إلى ٢٠٢٥



U.N. (1995) World Urbanization Prospects: The 1994 Revision, Estimates and Projection of Urban and Rural Population and Urban Agglomeration, New York, Table, A6

مصدر الأرقام
شكل (٧)

٢٠٢٥ ليصبح معدل نمو سكان الحضر فى هذا الإقليم أعلى المعدلات على مستوى القارة ٥.٨٧٪ سنوياً بين عامى ٢٠٢٠ و ٢٠٢٥.

تسجل الأقاليم الثلاث السابقة معدلات نمو أعلى من معدل نمو سكان الحضر على مستوى القارة وخاصة مع إسقاطات النمو عام ٢٠٢٥ بالنسبة لوسط إفريقيا.

أما إقليمى إفريقيا الشمالية وإفريقيا الجنوبية فتشمل معدلات النمو الحضرى بهما معدلات مرتفعه نسبيا لكن أقل من معدلات النمو الحضرى على مستوى القارة، ويمثل إقليم إفريقيا الجنوبية أقل أقاليم القارة من حيث معدل نمو سكان الحضر وإن كان متذبذباً، لكنه يُظهر إنخفاضاً حتى عام ١٩٩٠. ومن المتوقع أن يرتفع هذا المعدل حتى عام ٢٠١٥ ثم ينخفض حتى ٢٠٢٥ ليصبح ٢,٢٨٪ سنوياً وهو أقل المعدلات المتوقعة للنمو الحضرى فى القارة. بينما كان المعدل ٣,٢١٪ عام ١٩٥٠ أما شمالي إفريقيا، فقد كان معدل النمو الحضرى به مرتفعاً من عام ١٩٥٠-١٩٥٥ فكان ٤,٢٨٪ سنوياً إستمر فى الإرتفاع حتى عام ١٩٦٥ ليصبح ٤,٦١٪. ثم أخذ فى الانخفاض التدريجى ليصبح ٣,٢٢٪ سنوياً بين عامى ١٩٩٠-١٩٩٥، ومن المتوقع أن يواصل إنخفاضة ليصل إلى ٢,٣٦٪ سنوياً بين عامى ٢٠٢٠ و ٢٠٢٥ (شكل ٧ و جدول رقم ٩).

من الواضح أن الاقاليم ذات معدلات النمو الحضرى السريع هى فى نفس الوقت الاقاليم ذات مستوى الحضرية الأكثر إنخفاضا على مستوى القارة وهى الاقاليم الأكثر ريفية خاصة أقاليم إفريقيا الشرقية والوسطى والغربية، بينما أكثر الأقاليم ارتفاعا فى مستوى الحضرية، إقليمى إفريقيا الجنوبية ثم إفريقيا الشمالية وهما الأقل فى معدلات النمو الحضرى على مستوى القارة.

تتباين معدلات النمو الحضرى تبايناً شديداً بين الدول داخل أقاليم القارة

جدول رقم (٩)
معدل النمو السنوي لسكان اللغزير في أقاليم القارة الإفريقية مقارنا بمعدل النمو السنوي في القارة والعالم من عام ١٩٥٠ - ١٩٩٥ ولسقاطات حتى عام ٢٠٢٥ (%)

السنة الأقاليم	١٩٥٥		١٩٦٥		١٩٧٥		١٩٨٥		١٩٩٥		٢٠٠٥		٢٠١٥		٢٠٢٥	
	١٩٥٥	١٩٦٥	١٩٧٥	١٩٨٥	١٩٩٥	٢٠٠٥	٢٠١٥	٢٠٢٥	١٩٥٥	١٩٦٥	١٩٧٥	١٩٨٥	١٩٩٥	٢٠٠٥	٢٠١٥	٢٠٢٥
العالم	٣,١٦	٣,٥٩	٣,٧٦	٣,٧٤	٣,٥٧	٣,٦٠	٣,٦٠	٣,٦٠	٣,٤٩	٣,٤٠	٣,٣٣	٣,٣٣	٣,٣٣	٣,٣٣	٣,٣٣	٣,٣٣
قارة إفريقيا	٤,٥٤	٤,٦٨	٤,٣٤	٤,٦٤	٤,٣٤	٤,٤٢	٤,٣٩	٤,٣٩	٤,٣٨	٤,١٨	٤,٠٦	٤,٠٦	٤,٠٦	٤,٠٦	٤,٠٦	٤,٠٦
إقليم إفريقيا الشرقية	٥,٦٤	٥,٨٠	٥,٦٠	٥,٣٠	٥,٤٠	٥,٥٢	٥,٥٢	٥,٥٢	٥,٤٤	٥,٢٦	٥,٢٦	٥,٢٦	٥,٢٦	٥,٢٦	٥,٢٦	٥,٢٦
إقليم إفريقيا الوسطى	٤,١١	٤,٢٩	٤,٨٧	٤,٦٧	٤,٨٧	٤,٨٨	٤,٨٧	٤,٨٧	٤,٥٤	٤,٦١	٤,٦١	٤,٦١	٤,٦١	٤,٦١	٤,٦١	٤,٦١
إقليم إفريقيا الشمالية	٤,٢٨	٤,٣٤	٤,٦١	٤,٩٨	٤,٦٠	٤,٥٤	٤,٥٤	٤,٥٤	٤,٥٤	٤,٥٤	٤,٥٤	٤,٥٤	٤,٥٤	٤,٥٤	٤,٥٤	٤,٥٤
إقليم إفريقيا الجنوبية	٣,٢١	٣,٣٢	٣,٨٨	٣,٨٨	٣,٨٨	٣,٨٨	٣,٨٨	٣,٨٨	٣,٨٨	٣,٨٨	٣,٨٨	٣,٨٨	٣,٨٨	٣,٨٨	٣,٨٨	٣,٨٨
إقليم إفريقيا الغربية	٥,٨٣	٥,٧٠	٥,٤٤	٥,٤٤	٥,٤٤	٥,٤٤	٥,٤٤	٥,٤٤	٥,٤٤	٥,٤٤	٥,٤٤	٥,٤٤	٥,٤٤	٥,٤٤	٥,٤٤	٥,٤٤

المصدر :

U.N., (1995), op . cit., Table .A.7, P. 11.

الافريقية - بل داخل الاقسام الادارية فى الدوله الواحدة كما تتباين ايضا معدلات نمو السكان وسكان الأرياف.

ويوضح الشكل رقم ٨ وكذلك الشكل رقم ٩، مدى التباين، فى معدلات النمو الحضرى على مستوى الدول فى القارة. خلال السنوات الأخيرة من عام ١٩٩٠-١٩٩٥.

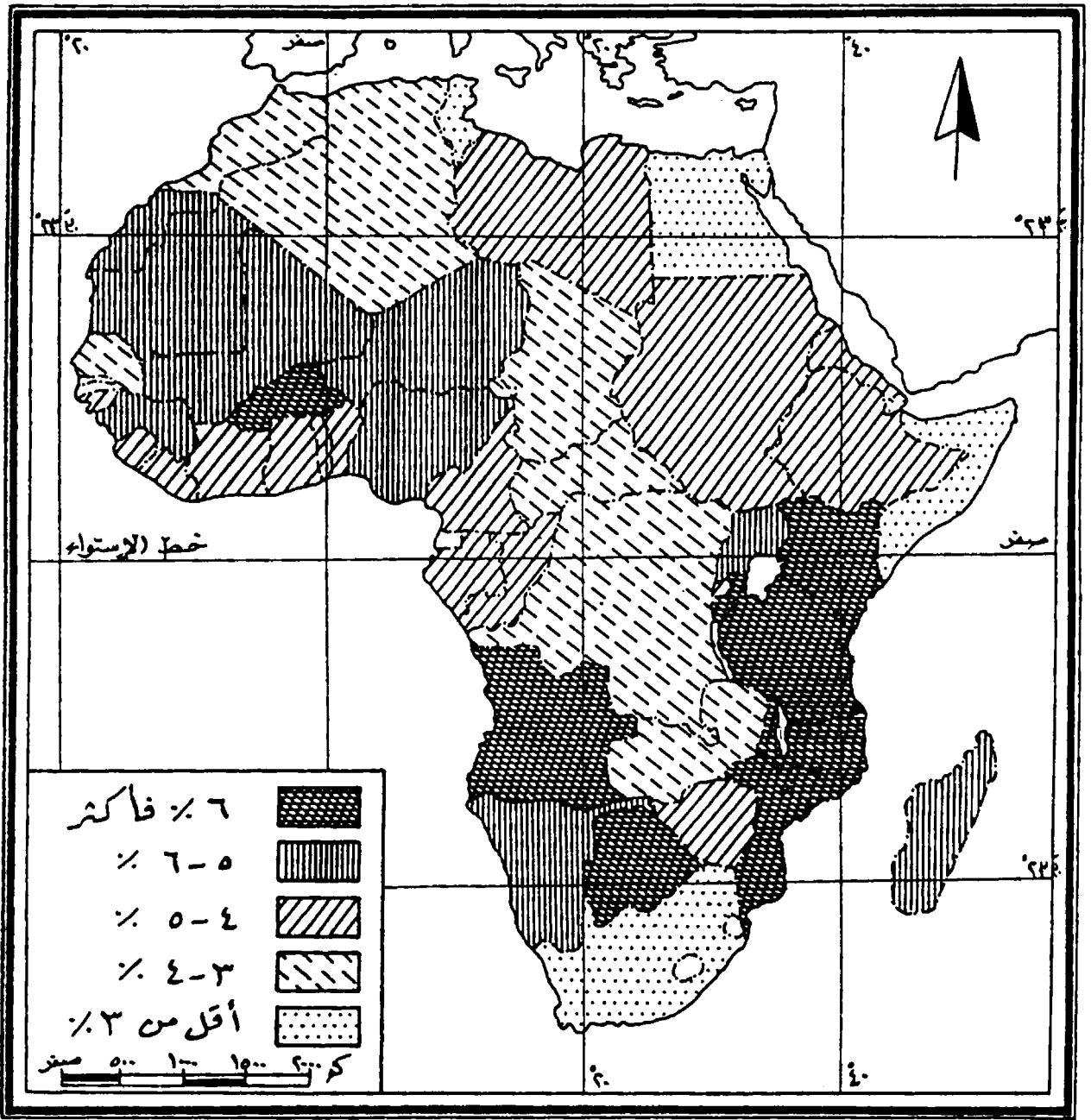
ومن استقراء الأشكال يتضح أن مدى التفاوت كبير بين دول القارة إذ يربو على ١١٪ سنويا فى بوركينا فاسو وينخفض إلى ١,١٦٪ سنويا فى موريشيوس. ويمكن التمييز بين أنماط النمو الحضرى وإتجاهاته فيما يلى :

- دول ذات نمو حضرى سريع جداً يفوق معدله السنوى ٦٪ سنوياً وعلى رأس هذه الفئة بوركينا فاسو ١١,٢٠٪ وموزمبيق، وبورندى وكينيا، ومالاوى، وجمهورية تنزانيا، وانجولا، وبتسوانا، وليوسوثو، وسوازيلاند، وكيب فريد.

- دول ذات نمو حضرى سريع بين ٦٪ و ٤٪ سنويا وهى دول جزر القمر، وإرتريا، وإثيوبيا، ومدغشقر، ورواندا، وأوغندا، وزيمبابوى، والكميرون، والكنغو، وغينيا الإستوائية، والجابون، وساوتومى وفرنسيب، وليبيا، والسودان، والصحراء الغربية، وناميبيا، وبنين، وساحل العاج، وغانا، وغينيا، وغينيا بيساو، وليبيريا، ومالى، وموريتانيا، والنيجر، ونيجيريا، وسيراليون ثم توجو. أى أكثر من ٦٠٪ من دول القارة الإفريقية.

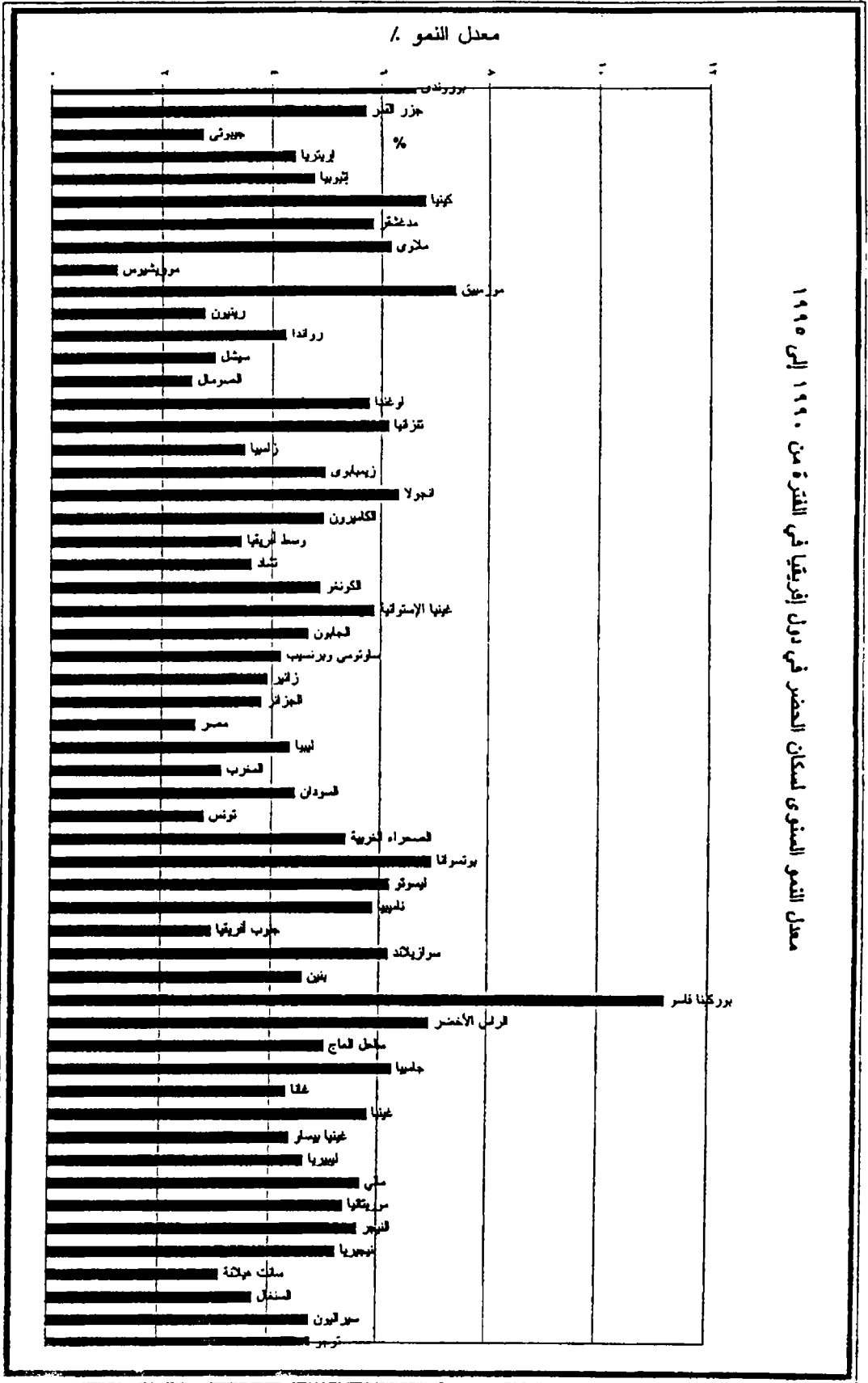
- دول ذات نمو حضرى متوسط مرتفع من ٤ إلى ٢٪ وإلى ٢٪ وهى دول الجزائر، والمغرب، وتشاد، وجمهورية وسط إفريقيا، وزائير، وزامبيا، والسنگال، وسيشل، والصومال، ومصر، وجنوب إفريقيا، وتونس، وسانت هيلانه، وتمثل مصر والصومال أقل المعدلات فى هذا النمط.

- دول ذات نمو حضرى بطى أقل من ٢٪ سنويا لا يوجد فى قارة إفريقيا فى هذه الفئة سوى جزر موريشيوس.



شكل (٨) المعدل السنوي لنمو سكان القارة في إفريقيا
من سنة ١٩٩٠ حتى ١٩٩٥ م

معدل النمو السكاني لسكان الحضر في دول أفريقيا من ١٩٩٠ إلى ١٩٩٥



U.N. (1995) World Urbanization Prospects: The 1994 Revision, Estimates and Projection of Urban and Rural Population and Urban Agglomeration, New York, Table, A6

مصدر الأرقام
شكل (٩)

رابعاً: الرتب الحجمية للمدن الإفريقية .

يمكن دراسة التركيب الحضري من منظور توزيع سكان الحضر حسب مستويات حجمية مختلفة، لما فى ذلك من أهمية للدلالة على مدى الانتشار الحضري أو تركزه فى عدد كبير من المدن بأحجام متباينه متراتبه، أو فى عدد محدود من المدن متضخمة متراكزه من حيث الرتبة والحجم بدون تراتب منتظم، مما يعنى إختلال نظام توزيع المدن وبالتالي إختلال العلاقات المدنية الريفية التى من المفترض أن تكون علاقة تبادلية، مما يقود لدراسة وقياس مدى سيطره أو الهيمنة الحضرية وإتجاهاتها فى المكان.

لذا لزم التنويه فى عجاله عن ذلك الترتيب الحجمى للمدن فى إفريقيا، مع ضروره الأخذ فى الاعتبار ان الأرقام المتوافرة لدينا هى الأرقام الواردة فيما تنشره الامم المتحدة من خلال أقسامها ومنظماتها، والدراسات أو التعدادات المتوافرة أى أنها مصادر متباينه فى تحديدها للمناطق الحضرية، وبالتالي يمكن لهذه البيانات وما يترتب عليها أن تحمل قدراً من عدم الدقه، فقد أثبتت الدراسات التفصيلية للمدن وخاصة فى العالم الثالث، أن النمو الحضري يمثل سرطاناً مستشرياً فى الهوامش الحضرية من نواه كتلتها باتجاه المتصل الريفى الحضري، وفى كثير من الأحيان يخرج هذا التمدد الحضري عن الحدود الإدارية أو البلدية (كربون المدينة)، والذى تظل التعدادات والتقديرات معتمده فى بياناتها على حجم السكان داخل الحدود الادارية للمدينة حتى يتم تعديلها بعد سنوات وسنوات، أى حينما تلتفت الحكومات لتجد مئات الهكتارات من الأراضى حول المدن قد شغلت بمستعمرات وضع اليد غير المحكومة Squatter، والتي يعتمد سكانها على المدينة ويحسبون ضمن الحضر أو على الحضر عدداً فى الدراسات العلمية التى تنظر إلى المدينة جغرافياً لا إدارياً فقط^(٤٠) يضاف الى ذلك أن بعض المدن قد تضخمت بالفعل كنتيجة للتحام عده مدن أو مراكز حضرية أو غير حضرية، وأصبحت ذات حجم يضم عده ملايين من البشر ومع ذلك لاتظهر بحجمها الحقيقى فى تقديرات الامم المتحدة، وربما ترد على أنها

أكثر من مدينة مما يخل بمصداقية الرتبة والحجم على مستوى العالم أو القاره أو الدولة... ولعل فى مدينه القاهره خير مثال على ذلك، حيث لاتظهر بحجمها الحقيقى، أى القاهره الكبرى، بل تذكر مدينه القاهره ومدينه الجيزه أو إمبابه، ثم شبرا الخيمه، وبالتالي لاتأخذ ترتيبها الحقيقى ضمن جدول المدن الكبرى فى العالم. وبالتالي فالصوره التاليه تقريبيه إلى حد ما، كما أنها سريعه التغيير كمحصلة لعوامل النمو واليات، خاصه أن معدل نمو الهوامش قد يفوق ٢٠٪ سنويا (٤١). وقد قُسمت المدن حسب فئاتها الحجميه إلى خمس رتب:

- مدن أكثر من ١٠ مليون ساكن وهى المدن العملاقه Mega Cities
- مدن من ٥ مليون إلى ١٠ مليون ساكن.
- مدن من ١ مليون إلى ٥ مليون ساكن.
- مدن من نصف مليون إلى ١ مليون ساكن.
- مدن أقل من نصف مليون ساكن.

ذلك ضمن أحدث تصنيف صادر عن قسم الدراسات السكانيه وتحليل المعلومات وسياسات السكان بالأمم المتحدّه (٤٢) سنة ١٩٩٥.

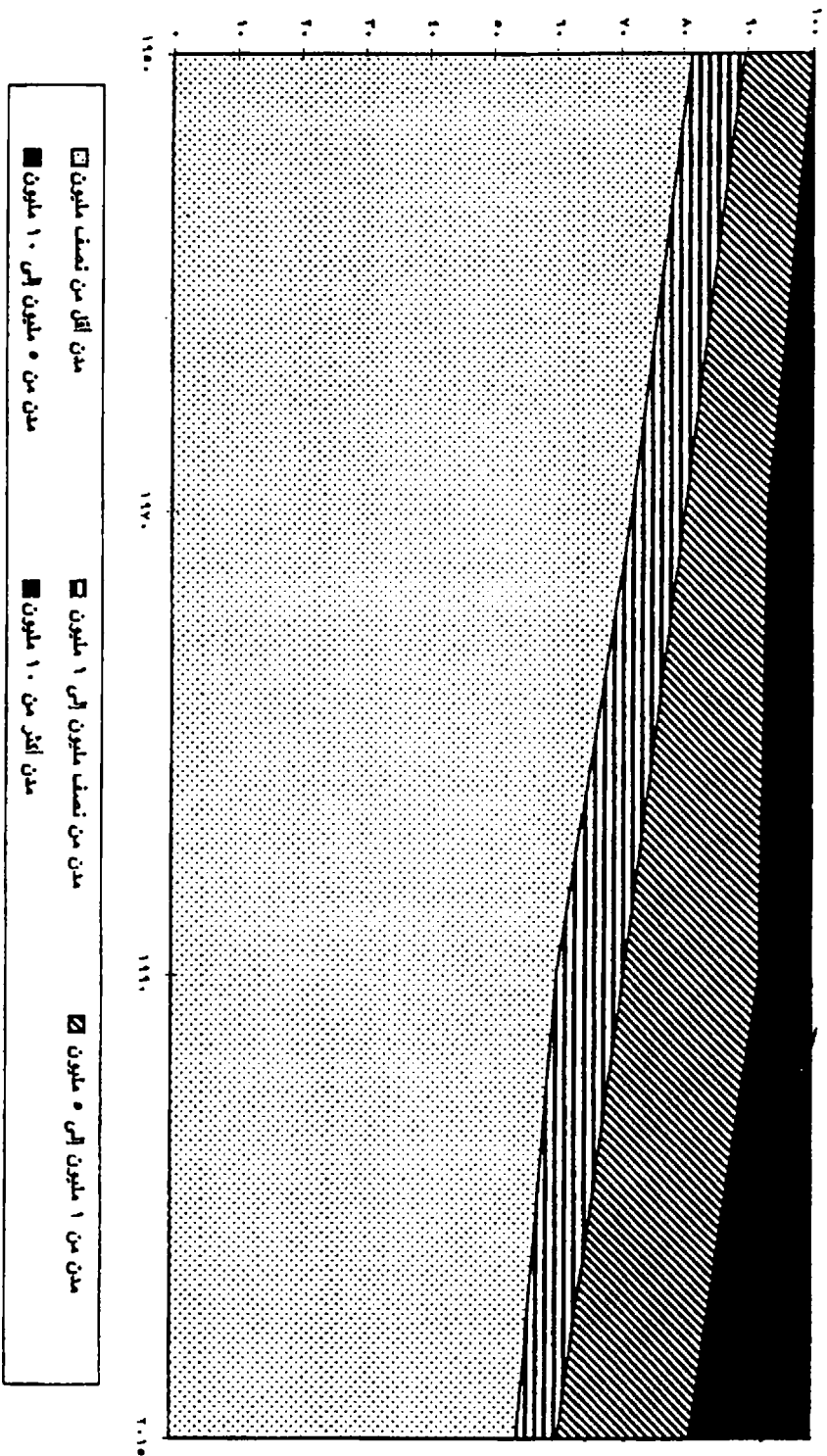
يوضح الجدول رقم (١٠) والشكل رقم (١٠) توزيع سكان الحضر فى إفريقيا وفق هذا التصنيف خلال سنوات ١٩٥٠-١٩٧٠، ١٩٩٠ ثم توقعات ذلك التوزيع عام ٢٠١٥. ومن إستقراء الجدول والشكل نستنتج الملاحظات التاليه.

١- المدن ذات حجم ١٠ مليون ساكن فأكثر Mega Cities

لم يكن لهذا الحجم وجود بإفريقيا حتى ١٩٩٠ (وفق التقديرات المشار إليها)، ثم ظهرت مدينتين بهذا الحجم عام ١٩٩٤، وهو الحجم الذى يطلق عليه المدن العملاقه أو Mega Cities وهاتين المدينتين هما لاجوس (نيجيريا) والقاهره (مصر) ومن المتوقع أن تنضم كنشاشا (زائير) لتلحق بهذه الفئة بعد عام ٢٠٠٠م.

توزيع سكان الحضر في إفريقيا حسب الرتب الحجمية للمدن في الفترة من ١٩٥٠ إلى ٢٠١٥

٢



مدن أقل من نصف مليون
 مدن من ٠.٥ مليون إلى ١٠ مليون
 مدن من نصف مليون إلى ١ مليون
 مدن أكثر من ١٠ مليون
 مدن من ١ مليون إلى ٠.٥ مليون
 مدن من ١٠ مليون إلى ١ مليون

U.N. (1995), World Urbanization Prospects: Estimations and Projection of Urban and Rural Population of Urban Agglomerations, New York, table, 5

مصدر الأرقام

شكل (٦٠)

جدول رقم (١٠)
توزيع سكان الحضر في إفريقيا حسب الرتب الحجمية للمدن
في الفترة من عام ١٩٥٠ - ٢٠١٥

٢٠١٥			١٩٩٠			١٩٧٠			١٩٥٠			أحجام المدن
عدد المدن	(%) من السكان	عدد السكان (مليون)	عدد المدن	(%) من السكان	عدد السكان (مليون)	عدد المدن	(%) من السكان	عدد السكان (مليون)	عدد المدن	(%) من السكان	عدد السكان (مليون)	
-	٥٤	٣.٦	-	٦٠,١	١٢١	-	٧١,١	٦٠	-	٨١,٣	٢٧	أقل من ٠,٥ مليون
٥٣	٦,٥	٢٧	٢٠	١٠,٥	٢١	١١	٨,٦	٧	٤	٨,٢	٣	من ٠,٥ إلى ١ مليون
٥٥	٢٠,٨	١١٨	٢٣	٢١,٣	٤٣	٧	١٢,٨	١١	٢	١٠,٥	٣	من ١ مليون إلى ٥ مليون
١١	١١,٩	٦٨	٢	٨,١	١٦	١	٦,٤	٥	.	.	.	من ٥ مليون إلى ١٠ مليون
٢	٦,٩	٢٩	مدن ١٠ مليون فأكثر

U.N., (1995), World Urbanization Prospects: Estimations and Projection of Urban and Rural Population of Urban Agglomerations, New York, tabl, 5 مصدر الأرقام:

ويعد الإتجاه إلى تضخم المدن أحد سمات التحضر في الدول النامية والتي كانت تضم ٥ مدن من هذا الحجم عام ١٩٧٠ من جملة ١١ مدينة على مستوى العالم، أصبحت تضم ١٦ مدينة من جملة ٢٢ مدينة عام ١٩٩٤، ومن المتوقع تضخم ١٩ مدينة في الدول النامية من جملة ٢٥ مدينة على المستوى العالمي بنهاية القرن العشرين لتصبح ٢٧ مدينة من جملة ٣٢ مدينة في العالم في عام ٢٠١٥، يتحكم في ذلك ويدفع إليه إرتفاع معدلات النمو الحضري وتسارع إيقاع هذا النمو بإستمرار. والواقع أنها ظاهرة أصبحت تميز المدن الكبرى والصغرى

فى الدول النامية. ذلك فى الوقت الذى تتميز فيه الدول المتقدمة بإتجاه معاكس لذلك، إذ تحقق معظم المدن الضخمة او العملاقة معدلات من النمو السالب أو المتباطئ خلال العقود الأخيرة مثل مدينة نيويورك من عام ١٩٧٠ الى ١٩٩٠. وهو ما يسمى بظاهرة عكس التحضر The Phenomenon of Counter Urbanization والتي ظهرت لأول مره على يد بيري Barry عام ١٩٧٦ فى الولايات المتحدة، ثم ظهرت تيارات مشابهه فى الدول الغربية ثم فى اليابان، مما يعنى تناقص حجم المدن الكبرى وسكان الحضر فى الحجم والكثافة، ومازالت هذه الظاهره مستمره ممثله فى التحركات السكنيه والهجرة العكسية من المدن الكبرى أو مراكزها صوب المدن الأصغر أو الضواحي البعيدة، وقد لوحظت مؤخراً فى إسبانيا منذ النصف الاول من عام ١٩٩٠، ويتوالى انخفاض معدلات نمو المدن الكبرى حالياً فى أمريكا اللاتينية والكاريبى بينما تسجل مدن إفريقيا معدلات نمو كبيرة تصل إلى ٢,٤١٪ سنوياً فى القاهرة بين عامى ١٩٧٠ و ١٩٩٠ والمتوقع ان يتناقص إلى ٢,٠٨٪ بين عامى ١٩٩٠ و ٢٠٠٠ والى ٢٪ سنوياً بين عامى ٢٠٠٠ و ٢٠١٥، اما كينشاسا فكان معدل النمو السنوى لسكانها أعلى من ذلك إذ سجلت ٤,٦٢٪ سنوياً بين عامى ١٩٧٠-١٩٩٠ ومن المتوقع ان يصبح معدل النمو السنوى ٣,٩٣٪ حتى عام ٢٠٠٠، لكن سيتزايد إلى ٤,٣٦٪ سنوياً بين عامى ٢٠٠٠ و ٢٠١٥، فى حين كان معدل النمو السنوى لمدينة لاجوس فى نيجيريا ٦,٧٠٪ سنوياً، أصبح ٥,٥٢٪ سنوياً ومن المتوقع ان ينخفض إلى ٣,٣٨٪ سنوياً خلال الفترات الزمنية المذكورة (٤٣).

من المتوقع لهذه الفئة الحجمية من المدن أن تضم ٣٩ مليون ساكن نسبتهم ٦,٩٪ من جملة سكان الحضر فى إفريقيا عام ٢٠١٥ (٤٤).

٢ - مدن ذات فئه حجم من ٥ مليون الى ١٠ مليون ساكن .

ارتفع عدد المدن فى هذه الرتبة فى إفريقيا من لاشئ عام ١٩٥٠ إلى مدينة واحدة عام ١٩٧٠ (القاهرة)، ثم الى مدينتين عام ١٩٩٠ (القاهرة ولagos)

ومن المتوقع أن يرتفع عدد مدن هذه الرتبة إلى ١١ مدينة عام ٢٠١٥، كما تزايد حجم سكان هذه الرتبة ونسبتهم من جملة الحضر في القاره. إذ كانت نسبتهم صفر عام ١٩٥٠ إرتفعت الى ٦,٤٪ عام ١٩٧٠ وإلى ٨,١٪ عام ١٩٩٠ ومن المتوقع أن تصبح نسبتهم ١١,٩٪ من جملة سكان الحضر عام ٢٠١٥. أما حجم سكان هذه الفئة فقد تزايد أيضا من لاشئ عام ١٩٥٠ الى ٥ مليون ساكن عام ١٩٧٠ إلى ١٦ مليون ساكن عام ١٩٩٠ ومن المتوقع أن يتضاعف حجم سكان هذه الفئة عدة مرات ليصبح ٦٨ مليون ساكن عام ٢٠١٥.

ذلك في الوقت الذي يتزايد فيه السكان نحو هذه الرتبة بإيقاع أكثر بطنًا في الدول المتقدمة حيث إرتفع عدد المدن فيها من ٥ مدن إلى ٦ مدن وتزايد حجم السكان من ٢٢ مليون ساكن إلى ٤٤ مليون ساكن فقط في الفترة من عام ١٩٥٠ إلى ١٩٩٠. ومن المتوقع ان يصل حجم سكان هذه الفئة في هذه الدول المتقدمة الى ٥٦ مليون ساكن فقط. بينما تحقق الدول النامية تزايداً ملحوظاً في الاتجاه نحو هذه الفئة من الحجم، فقد ارتفع عددها من مدينتين إلى ١٥ مدينة، وارتفع حجم السكان من ١٠ مليون إلى ١١٠ مليون وذلك بين عامي ١٩٥٠ و ١٩٩٠ ومن المتوقع أن يستمر الاتجاه نحو هذه الفئة الحجمية ليصبح سكانها ٢٢٦ مليون ساكن عام ٢٠١٥، وذلك في الدول النامية. مما يعنى اتجاه واضح نحو سكنى المدن المتعدده الملايين أو المدن الكبرى التي ستتضخم باستمرار ذلك الاتجاه.

٣ - مدن ذات فئة حجم مليون الى ٥ مليون ساكن .

ضمت هذه الرتبة الحجمية من المدن في إفريقيا مدينتين فقط عام ١٩٥٠ قفز عددها إلى ٧ مدن عام ١٩٧٠ وقفز مره أخرى إلى ٢٣ مدينة عام ١٩٩٠ ومن المتوقع ان يتضاعف أكثر من مره ليصبح عددها ٥٥ مدينة بحلول عام ٢٠١٥، وتزايد كذلك حجم سكان هذه الرتبة من ٣ مليون ساكن عام ١٩٥٠ إلى ١١ مليون ساكن عام ١٩٧٠، إلى ٤٣ مليون ساكن عام ١٩٩٠ ومن المتوقع ان

تأوى هذه الرتبة ١١٨ مليون ساكن عام ٢٠١٥، مما يعنى إرتفاع نسبتهم من جملة سكان الحضر باستمرار من عام ١٩٥٠ إلى ١٩٩٠ حيث كانت نسبة سكان هذه الفئة ١٠,٥٪ أصبحت ١٢,٨٪ عام ١٩٧٠ إرتفعت إلى ٢١,٣٪ عام ١٩٩٠ ومن المتوقع أن تتناقص نسبة سكان هذه الرتبة إلى ٢٠,٨٪ من جملة سكان الحضر عام ٢٠١٥ رغم الزيادة المطلقة فى عدد المدن والسكان بها، وذلك لحساب الفئات الأخرى الآخذة فى النمو.

٤ - مدن فئة حجم نصف مليون الى مليون ساكن .

تزايد عدد المدن فى هذه الرتبة من ٤ مدن عام ١٩٥٠ إلى ١١ مدينة عام ١٩٧٠ ثم قفز إلى ٢٠ مدينة عام ١٩٩٠، ومن المتوقع أن يرتفع عددها باطراد ليصبح ٥٢ مدينة عام ٢٠١٥، أما حجم السكان بها فقد ارتفع من ٢ مليون ساكن عام ١٩٥٠ إلى ٧ مليون ساكن عام ١٩٧٠، إلى ٢١ مليون ساكن عام ١٩٩٠، ومن المتوقع أن يصل إلى ٢٧ مليون ساكن عام ٢٠١٥، بنسبه ارتفعت من ٨,٢٪ عام ١٩٥٠ إلى ٨,٦٪ عام ١٩٧٠، إلى ١٠,٥٪ عام ١٩٩٠، لكن من المتوقع ان تتناقص نسبة هذه الفئة إلى جملة سكان الحضر لتصبح ٦,٥٪ فقط بحلول عام ٢٠١٥، وذلك مثلما توقعت الاسقاطات للفئة من مليون إلى ٥ مليون ساكن.

٥ - مدن اقل من نصف مليون ساكن .

بالنسبة لمراكز العمران الحضرى الأقل من نصف مليون ساكن فالإتجاه أيضا نحو تناقص نسبة سكانها إلى جملة سكان الحضر، بينما عددها وحجم سكانها المطلق فى زيادة مستمره فقد كانت نسبة سكان هذه الرتبة ٨١,٣٪ عام ١٩٥٠ أخذت فى الهبوط إلى ٧١,٧٪ سنة ١٩٧٠ ثم هبطت إلى ٦٠,١٪ عام ١٩٩٠ ومن المتوقع أن يمثل سكان هذه الرتبة ٥٤٪ من جملة سكان الحضر فى إفريقيا عام ٢٠١٥ رغم تزايد الحجم المطلق لسكان هذه الفئة من حوالى ٢٦,٦ مليون ساكن عام ١٩٩٥٠ إلى ٢٠٦,٧ مليون ساكن حسب توقعات عام ٢٠١٥.

وقد تزايد عدد المدن فى هذه الفئة من ٢٧ مدينة عام ١٩٥٠ الى ٦٠ مدينة عام ١٩٧٠ الى ١٢١ مدينة عام ١٩٩٠ ومن المتوقع لعددها أن يتزايد بشدة ليصبح ٢٠٦ مدينة عام ٢٠١٥.

الخلاصة أن أنماط التحضر فى قارة إفريقيا تتميز بالنمو السريع كما تتميز بالمدن ذات فئات الحجم الصغيرة حيث سكن المدن دون المليون ٧١٪ من جملة السكان الحضر عام ١٩٩٠، ذلك مع وضوح الإتجاه إلى سكنى وتضخم المدن الكبرى خاصة المدن ذات الخمسة مليون فأكثر وهى الفئات الحجمية التى أصبحت تحقق تزايدا فى نسبه السكان بها إلى جملة الحضر حتى عام ٢٠١٥، بينما سجلت الفئات الأقل من ٥ مليون ساكن هبوطا فى نسبة سكانها إلى جملة سكان الحضر بالرغم من التزايد فى عدد المدن والحجم المطلق لسكانها، وتضم المدن المليونية ومتعددة الملايين مايقرب من ثلث سكان القارة عام ١٩٩٠ (شكل ١٠ وجدول ١٠).

خامساً: الاتظمة الحضرية والهيمنة الحضرية فى الدول الإفريقية.

يتميز النظام الحضرى Urban System فى معظم الدول الإفريقية بخصائص متشابهة إلى حد كبير، كما تتوافق هذه الخصائص مع سائر الأنظمة الحضرية فى الدول النامية والأقل نمواً. وتتمثل هذه الخصائص فى سيادة ظاهرة الهيمنة الحضرية Urban Primacy وقد أكدت الدراسات العديدة الى قام بها الدارسون للنظم الحضرية^(٤٦)، فى الدول العربية، وفى دول إفريقيا المدارية أو (جنوب الصحراء)، وكذلك دول أمريكا اللاتينية والكثير من دول جنوب وشرق آسيا وحتى بعض دول أوروبا، أن ظاهرة سيطرة أو هيمنة مدينة أو مدينتين على باقى النظام الحضرى، تكاد تكون القاسم المشترك الأعظم فى هذه الأنظمة، عن الاتجاه نحو التوازن الحضرى Urban Balance الذى يتحقق من خلال قاعدة (زييف Zipf) "Rank-Size Rule". إذ يتسم التنظيم الحضرى فى الدول الإفريقية والنامية بالإتجاه نحو نمط من التوزيع

الحجمى نو قاعدة عريضة من المدن الصغيرة وعدد قليل من المدن الكبيرة وعادة ما تتسع الفجوة بين رتب هرم الأحجام. وبالتالي يأخذ منحنى المدن فى معظم دول القارة الشكل (L) وهو المعبر عن العلاقة بين التوزيع والرتبة والحجم (Rank distribution Curve) وتتضح هذه الهيمنة الحضرية ليس من خلال مقياس حجم السكان الكبير للمدن فقط - التى عادة ماتكون العواصم او الموانئ الكبرى - بل من خلال إستخدام أى مقياس أو مقاييس أخرى إقتصادية أو اجتماعية أو سياسية لقياسها.

يشير واقع الأمر إلى أهمية دور الفترة الإستعمارية قبل الاستقلال، وإلى الاستعمار الجديد بعد الاستقلال فى التأثير العميق على نمط توزيع المدن (من حيث الحجم والتباعد) فى إفريقيا. كما كان لظروف القارة الداخلية الطبيعية والبشرية - ومازال - أثارها المهمة. يضاف إلى ذلك نمط توزيع سكان الأرياف والموارد الأساسية، والتفضيل الثقافى لسكنى المحلات العمرانية النووية أو المبعثرة.. وهناك عوامل أخرى ذات تأثير فى نمط توزيع المدن وتنظيمها مثل المواقع المناسبة للموانئ، وأنماط انتاج المحاصيل النقدية، التى تصبح ذات أهمية كبرى من خلال التفاعل والاحتكاك بين القوى الداخلية والخارجية. كما كان لسياسات التنمية الجزئية فى إفريقيا - بعد الاستقلال - مساهماتها فى ظهور التباين الواسع فى مستويات التنمية بين المدن مثلما كان للاستعمار دوره فى التركيب الحضرى المتميز بالمستوى المرتفع من الهيمنة الحضرية The high levels of urban primacy داخل معظم الدول الإفريقية وإستمراره حيث يتركز معظم النمو الحضرى فى دول إفريقيا فى مدينة واحدة قومية. ويعكس توزيع المراكز الحضرية فى إفريقيا رغبات الإستعمار إلى حد بعيد أكثر مما يعكس الحاجات المحلية من حيث الموقع والحجم والتوزيع، والأمثلة على ذلك كثيرة منها داكارا وبرازفيل ومدن شرق إفريقيا... الخ. فقد كانت الهيمنة الفعلية لباريس ولندن وبروكسل ولشبونة فأصبحت المدن الإفريقية لاترتبط بظهيرها الزراعى او الريفى - بصفه عامه - بروابط قوية (٤٧). منها أيضا مدن شمالى إفريقيا ذات التوجيه الساحلى ويظهر أثر العوامل السابقة وغيرها على

الانظمه الحضرية فى عدم وجود حدود فاصلة يمكن الإعتماد عليها للفصل بين المراكز الحضرية الصغيرة والمناطق الريفية المركزية Rural Central Places فى معظم الدول.

كما أدت المركزية الشديدة فى المدن الكبرى بالدول إلى سرعة نموها عن غيرها من المدن الصغيرة مما زاد من حدة التباين فى توزيع المدن داخل الدول بعد الإستقلال، والمرتبب أيضا بنمط توزيع الانشطة والثروة والصناعة والخدمات الخ، فتمددت المدن الرئيسية فى الدول والمقاطعات ونشأت المجاورات والمدن التوابع والإمتدادات العمرانية للمدن الكبرى داخل النظام الحضرى القومى فأدى ذلك إلى حالة حرجة من استمرار تعقد المناطق الحضرية التى زادت نوويتها فأصبحت تعرف بالمجمعات الحضرية Conurbation، والتى تناول إمتدادها كثير من الدراسات فى إفريقيا المدارية وغيرها، وهى لاتقارن بالمجمعات الحضرية فى الغرب الأوسط البريطانى أو الرور فى المانيا، أو فى ويتواترسراند Witwatersrand فى جنوب إفريقيا. إلا أنها واقع حضرى له مشاكله العديدة فى التنظيم الحضرى بإفريقيا. وأقرب الأمثلة على ذلك إقليم نطاق النحاس فى زامبيا Copper belt of Zambia حيث أعظم تجمع لأكبر مدن الدولة تقع فى جزء صغير من جملة مساحة الدولة. حيث مدن ندولا Ndola ولوانشيا Lunshya و كيتوى Kitwe وميوفيلارى Mufuliry و Ralulushi و Chambishi و شنجولا Chingola و Chililabombwe، ومع ذلك كان تباعد هذه المدن عن بعضها يتراوح بين ١٠ الى ٣٠ كم حيث تفصل بينها مساحات كثيفة من السفانا البستانية (٤٨)، فى أواخر الستينات. والمثال الآخر من نيچيريا حيث تجمعات المدن المرتبطة كل منها معاً، بينما تفصل بينها مساحات واسعة وتمثل أنظمة حضرية ثانوية داخل النظام الحضرى القومى. حيث كانوا Kano وزاريا Zaria وكادونا Kaduna تمثل مجموعة، بينما بنين Benin وسابل Sapele ووارى Warri من مجموعة أخرى، لكن تفصلها مسافات كبيرة من الأراضى الزراعية، أما أكبر المجموعات فى كثافة المدن فهى

التي تضم بورت هاركوت Port Harcourt وأبا Aba وأويرى Owerri وأوماهيا Umuhia حيث تنمو باتجاه بعضها أسرع مما تنمو مجموعة مدن اليوريا في الجنوب الغربي، وتفصل بينها مساحات واسعة مأهولة بكثافة سكانية ريفية^(٤٩) ونظراً لنمو هذه المدن السريع وإمتدادها المكاني السريع أيضاً من الطبيعي أن تتصل بالمدن الصغيرة التي كانت منفصلة من قبل. مثلما حدث مع دكار الكبرى، والقاهرة الكبرى أو حيث إتصلت بعض المناطق التي خطط لها أن تصبح مدن توابع للصناعة مثلما إتصلت تيمما Tema مع أكرا الكبرى وإكيجيا Ikeja مع لاجوس الكبرى وثيكا Thika إلى حد ما مع نيروبي، وشبرا الخيمة وحلوان مع القاهرة الكبرى، ويرى البعض في الخرطوم الكبرى نفس الظاهرة والحالات كثيرة^(٥٠) وينظر إلى هذه الظاهرة على أنها أحد أشكال نحو المدن الممتدة للمدن الغربية وليست سائدة في المدن الإفريقية، وإن كان توقيع المناطق الصناعية والمشروعات الكبرى بصفة عامة ذو أثر بعيد في جذب الأيدي العاملة المحلية والمهاجرة، مما يؤدي في النهاية إلى تضخم الحجم وإتساع المكان بتداعى الوظائف وجاذبية فرص العمل وثبات الأجور مما يؤدي إلى تفاقم مشكلات المدن في إفريقيا والدول النامية عامة،

وبصفة عامة يمكن القول بأن النمو الحضري والنظام الحضري في الدول الإفريقية يعتمد على الدور الإدارى والتجارى للمراكز الحضرية أكثر من إعتماده على التصنيع^(٥١) لذلك فإن النمو الكبير فى أحجام هذه المدن ليس إلا إضافة كمية لعملية التحضر ومستواه دون محتواه، أدت إليها سياسة المركزية الى إتبعتها حكومات الدول النامية لفترة طويلة، مما أخل بالتوازن الحضري فاستقطبت المدن الرئيسية الخدمات والاستثمارات والتيارات المتدفقة من البشر والبضائع، وربما كانت عوامل الطرد فى المناطق الريفية أقوى.

ويمكن قياس مدى سيطرة المدن الكبرى فى إفريقيا من خلال عدة مقاييس ترتبط بمقياس الحجم السكانى والنمو، من حيث نسبة سكان المدن الكبرى إلى كل من جملة الحضر وجملة السكان عام ١٩٩٥ مقارنة بمثلتها عام ١٩٧٥،

وتوقعاتها عام ٢٠١٥. ومعدل النمو السنوى لسكان المدن بين عامى ١٩٧٥-١٩٨٥ مقارنا بمثيله بين عامى ١٩٨٥-١٩٩٥، ثم حجم سكان المدينة عام ١٩٩٥ وتوقعاته عام ٢٠١٥، وذلك بهدف رصد إتجاهات السيطرة خلال الفترة المذكورة وتوقعاتها المستقبلية وأهميتها بالنسبة للتخطيط المستقبلى ووضع السياسات الحضرية. ويوضح الجدول رقم (١١) المؤشرات المذكورة بالنسبة لعدد كبير من المدن الإفريقية خاصة المدن التى يزيد حجم سكانها على ٧٥٠,٠٠٠ ساكن عام ١٩٩٠ ويوضحها شكل رقم (١١).

- بالنسبة لمعدلات نمو المدن الكبرى يلاحظ إرتفاع معدلات نمو هذه المدن إذ ترتفع عن ٦٪ سنوياً فى عدد من المدن هى دوالا، ونيروبي، ومابوتو ١٤.٧٪ ومقديشو ولوساكا بين عامى ١٩٨٥-١٩٩٥، ومعظمها لم ينخفض كثيراً عن الفترة السابقة من ١٩٧٥-١٩٨٥ وإن تزايد فى نيروبي،

- مدن يتراوح معدل نموها السنوى من ٦٪ إلى ٤٪ من هذه المدن لواندا، والجزائر، وبرازفيل، وأبيدجان، وشبرا الخيمة (وهى ضمن القاهرة الكبرى) ثم كونكرى، وطرابلس، والرباط، ولاجوس، وداكار، والخرطوم، وكمبالا، ودار السلام ثم كنشاسا، وذلك فى الفترة بين عامى ١٩٨٥-١٩٩٥ أيضاً.

- مدن يتراوح معدل نموها بين ٤٪ و ٢٪ سنوياً. وهذه المدن هى: الأسكندرية والقاهرة وأكرا وبنغازى والدار البيضاء، ثم إبادان وكيب تاون، وتونس العاصمة وهرارى.

- لا يقل عن ٢٪ كمعدل سنوى للنمو الا بعض مدن جنوب إفريقيا حيث جوهانسبرج ٠,٨٥٪ وديريان ١,٢٪ حيث تتميز جنوب إفريقيا بخصائص حضرية ومعدلات تنمية مختلفة عن باقى القارة الإفريقية، وإن كانت معدلات النمو الحضرى ترتفع عن ذلك فى مدن أخرى مثل كيب تون كما سبق وأوضحنا.

جدول رقم (١١)

بعض المؤشرات الخاصة بالمدن الكبرى في إفريقيا (المدن ذات حجم ٧٥٠ ألف ساكن وأكثر سنة ١٩٩٠)

الدولة	المدينة (مدن أكثر من ٧٥٠٠٠٠ ساكن) سنة ١٩٩٠	معدل النمو السنوي % في الفترة		نسبة سكان المدينة من جملة الحضر في الدولة		حجم المدينة بالآلاف		النسبة من جملة السكان ١٩٧٥-١٩٩٥		توقعات عام ٢٠١٥	
		من ١٩٧٥ إلى ١٩٩٥ %	من ١٩٨٥ إلى ١٩٩٥ %	١٩٩٥ %	١٩٨٥ %	عام ١٩٩٥	توقعات عام ٢٠١٥	١٩٧٥ %	١٩٩٥ %	من جملة الحضر %	من جملة السكان %
الجزائر	الجزائر	٤,٧	٤,١٥	٢٣,٧٥	٢٥,١٩	٢٠٣٤	٥٣٨٤	١٠,١٦	١٣,٢٥	١٥,٦٥	٢٢,٦٤
أنغولا	لوندا	٥,٨	٦,١٧	٦١,٨٦	٦١,٥٦	٢٢٠٧	٥٥٤٨	١٠,٠٨	١٩,٩٤	٢٧,٢١	٥٦,٥٥
الكامرون	دوالا	٦,٥٤	٦,٨٢	٢٢,٢٦	١٨,٧٩	١٣٢٢	٣٠٢٦	٥,٠٥	٩,٩٩	١٣,١٦	٢١,٦٧
د	ياوندى	٦,٧٥	٧,٥	١٨,٧٩	١٣,٦٥	١١٢١	٢٦٥١	٣,٦٧	٨,٤٧	١١,٥٣	١٨,٩٩
الكنغو	برازافيل	٥,٥٥	٥,٨	٦٦,٢٦	٦٧,٠٩	١٠٠٩	٢٠٨١	٢٣,٣٨	٣٨,٩٦	٤٧,٣٥	٦٥,٦٦
كوت ديفوار	أبيدجان	٥,٣٦	٥,٤٣	٤٥,٤	٤٤,٢٩	٢٧٩٧	٦٦١١	١٤,٢١	١٩,٦٣	٢٤,٣٩	٤٢
مصر	الاسكندرية	٢,٣٢	٢,٣٥	١٢,٧٠	١٣,٢٨	٢٨٣٥	٥٥٤٦	٥,٣٧	٥,٦٨	٦,٤٠	١١
د	القاهرة	٢,٢٧	٢,٣٥	٣٤,٢٨	٣٦,٢	٧٦٩١	١٤٤٩٤	١٥,٦٥	١٥,٣٤	١٦,٧٢	٣٠
د	شبرا الخيمة	٥,٦٤	٦,٢٦	٤,١٢	٢,٩	٦٦١	٢١٢٠	٠,٩١	١,٨٥	٢,٤٥	٤
أنجوييا	اديس ابابا	٣,٩٥	٤,٧	٢٩,٩٦	٣٠,٣٥	١٤٨٨	٥٨٥٠	٢,٥٤	٤,١	٥,٩٧	٢٦
غانا	اكرا	٣,٥٤	٣,٣٠	٢٦,٦٤	٢٨,٨١	١١٨٤	٣٧٢٦	٨,٦٦	٩,٦٧	١٢,٣٢	٢٤
غينيا	كونكري	٥,٥٦	٧,٩٥	٧٦,١٠	٥٥,١٥	٨٢٥	٣٨٧٣	٨,٩٩	٢٢,٥٠	٣٢,٨٢	٧١
كينيا	نيروبي	٦,١١	٥,١٢	٢٦,٥٩	٢٨,١٣	٢٠٧٩	٥٣٦١	٤,٩٢	٧,٣٦	١٠,٧٥	٢٤,٦١
ليبيا	بنغازي	٣,٧٠	٨,١	٢٢,٧٩	٢٢,٠٧	١٠٥٩	١٩٨٠	١٣,٤٥	١٩,٥٩	١٩,٧٠	٢١
د	طرابلس	٥,٢٥	١٠,٥٤	٧٠,٤٠	٤٥,٢٩	٣٢٧٢	٦٠٤٤	٢٧,٦٠	٦٠,٥٢	٦٠,١٤	٦٥,٧٩
المغرب	الدار البيضاء	٣,١١	٣,١١	٢٥,١٦	٢٧,٠٨	٣٢٨٩	٥١١٤	١٠,٢٠	١٢,١٧	١٤,٠٧	٢٣٤٥
د	الرباط	٤,٥٢	٤,٥٢	١٢,٠٧	٩,٧٩	١٥٧٨	٢٧٧٣	٣,٦٩	٥,٨٤	٧,٦٣	١٤,٧٢
موزمبيق	ماپوتو	٧,١٤	٧,١٨	٤٠,٦٤	٥٨,٧٧	٢٢٢٧	٥٧٦٠	٥,٠٧	١٣,٩٢	٢٠,٦٥	٣٨,١١
نيجيريا	ابادان	٢,٨٠	٢,٨٠	٣,٣٨	٥,٧٧	١٤٨٤	٢٩٨٢	١,٣٥	١,٣٣	١,٥٦	٢
د	لاجوس	٥,٦٨	٥,٦٨	٢٣,٤٤	٢٢,٤٩	١٠٢٨٧	٢٤٤٣٧	٥,٢٦	٩,٢١	١٢,٨٠	٢٣
السنغال	داكار	٤,٦٢	٤,٩٥	٥٦,٥٦	٤٦,٧٧	١٩٨٦	٤٠٨٠	١٥,٩٨	٢٣,٩٠	٢٩,٦٥	٥٣,٥٥
الصومال	مقديشو	٦,٠١٥	٧,٤	٤١,٢٤	٢٣,٢٩	٩٨٢	٢٤٦٣	٤,٩٥	١٠,٦٢	١٤,٨٢	٣٩,١٣
جنوب أفريقيا	كيب تون	٣,٢٣	٣,٦٨	١٢,٧٦	١٠,٨٧	٢٦٧١	٤٥٠٨	٥,٢٢	٦,٤٤	٧,٣٣	١١,٦٨
د	جوهانسبرج	٠,٨٥	٠,٧٤	٨,٧٧	١٢,١٦	١٨٤٩	٣٠٥٩	٥,٨٣	٤,٤٦	٤,٩٧	٥,٠٢
د	ديربان	١,٢	٠,٩٧	٥,٤٥	٧,٢٦	١١٤٩	١٩٣٩	٣,٤٨	٦,٤٤	٣,١٥	٥,٣١
السودان	الخرطوم	٤,٥٥	٥,٤٨	٣٥,١٣	٢٩,٤٤	٩٤٢٩	٥٧٨٢	٥,٥٤	٨,٦٥	١٢,٣٣	٣٢,١٣
تونس	تونس	٢,١٤	٣,١٨	٤٠	٣١,٠٣	٢٠٣٧	٣٠٩٢	١٥,٤٧	٢٢,٩٠	٢٥,٩٥	٣٧,٨٢
أوغندا	كمبالا	٤,٦٩	٤,١	٣٥,٧٢	٤٢,٧٩	٩٥٤	٢٦١٠	٣,٥٧	٤,٤٨	٧,٠٤	٣٢,٤٣
تنزانيا	دار السلام	٤,٥٨	٥,٤١	٢٣,٩٨	٣٩,٨١	١٧٣٤	٣٩٦٥	٤,٠١	٥,٨٤	٧,٩٣	١٩,٦٦
زائير	كنشاسا	٤,١٥	٤,٧٢	٣٣,١	٢٥,٢٩	٤١٢٤	٩٨٥٥	٧,٤٦	٩,٦٠	١٢,٣٦	٢٧,٤٧
زامبيا	لوساكا	٦,٨	٦,٣٠	٣٢,٦١	٢٢,٨١	١٣٢٧	٣٠٣١	٧,٩٤	١٤,٠٤	١٩,٧٢	٣٧,٢٨
زيمبابوي	هرارى	٣,٨	٣,٢	٢٨,٨٦	٤٤,٠١	١٠٤٤	٢١٨٦	٨,٦٣	٩,٢٨	١٣,٠٥	٢٧,٢٢

Table A12, Table A15, Table A14 Table A16, PP.151 - 158

المصدر : مجمع من عدة جداول :-

PP143 - 150 PP159 - 166

U. N. : (1995) , World urbanization Prospects.

- بالنسبة لنصيب المدن الكبرى من جملة سكان الحضر وجملة السكان فمن الملاحظ أيضا إرتفاع نسبتها في كثير من الدول رغم التفاوت الواضح بينها، كما يتضح تغيرها عند مقارنه هذه النسب بين عامى ١٩٧٥ و١٩٩٥. ومن تحليل الجدول (رقم ١١) أيضا يتضح مايلى:

- يظهر إرتفاع نسبة سكان المدن الكبرى (الأولى عادة أو الأولى والثانية فى بعض الأحيان) إلى سكان الحضر فى الدولة عن ٤٠٪ من جملتهم فى ٢٨.٢٪ من جملة المدن المذكوره بالجدول (٢٢ مدينة عام ١٩٩٥).

- بلغت نسبة المدن التى تتراوح نسبة ساكنيها بين ٤٠٪ و ٢٠٪ من جملة الحضر حوالى ٤٣.٧٪ عام ١٩٩٥.

- ترتفع نسبة سكان بعض هذه المدن (٧ مدن) عن ١٩٪ من جملة سكان الدول التى تقع بها وترتفع عن ٦٠٪ من جملة سكان الدولة فى حالة طرابلس (مثلا) عام ١٩٩٥.

- يتضح من مقارنة نسب عام ١٩٧٥ بنسب عام ١٩٩٥ وبتوقعات عام ٢٠١٥ الإتجاه نحو استمرار الهيمنة فى حالات عديدة من الدول الإفريقية، كما يظهر من الأرقام الواردة بالجدول وغيرها إتجاه المدن الإفريقية نحو المركزية وخاصة مدن العواصم فيما عدا حالات الدار البيضاء وجوهانسبرج ولاجوس بعد تغيير العاصمة.

- تُظهر كل من لواندا وكونكرى وطرابلس وبرازاويل حالات صارخه للتركز والهيمنة إذ ترتفع نسبة سكان هذه المدن عن ٧٠٪ و ٦٠٪ من جملة سكان الحضر، كما يظهر إرتباط معدل النمو الكبير أو السريع مع إرتفاع نصيب كل منها من جملة سكان الحضر وجملة سكان الدول الواقعة بها فى حالات عديدة.

- يتضح من تحليل أرقام الجدول أيضا إتجاه الهيمنة فى الفترة بين ١٩٧٥-١٩٩٥ فالملحظ أن نسبة سكان المدن الكبرى قد إرتفعت فى ٤٧٪ من جملة المدن المذكوره إلى سكان الحضر بدولها بينما ثبتت النسبة فى ١٥,٥٪ من جملة المدن، فى حين تناقصت تناقصاً طفيفاً جداً فى حوالى ٣٧,٥٪ من جملة الحالات المذكوره، مما يعنى أنه فى حوالى ٨٤,٥٪ من جملة المدن المذكوره بالجدول لم تنخفض نسبة سكان هذه المدن إلى جملة سكان الحضر بدولها بين عام ١٩٧٥-١٩٩٥ بل إرتفعت فيما يقرب من نصف جملة الحالات، وترتفع إلى جملة السكان حينما ترتفع درجة التحضر، وتشير الإتجاهات أيضا الى إستمرار هذه الظاهرة لفترة مقبله حتى عام ٢٠١٥ حيث يظهر من تحليل الاسقاطات الخاصة بذلك أن المستوى الحالى من نسبه المدن الكبرى إلى جملة الحضر لن يطرأ عليه إلا إنخفاض طفيف لايتجاوز ٤٪ فى أكثر الحالات إنخفاضا.

بينما من المتوقع لمدينة لوساكا خاصة أن ترتفع نسبتها وهيمنتها الحضرية من ٣٢,٦١٪ عام ١٩٩٥ الى ٣٧,٢٨٪ عام ٢٠١٥، وهى ظاهرة إتضح فى زامبيا حيث أخذت لوساكا مكانه مرموقه فى الدولة بعد الاستقلال وحققت معدلات نمو سكانى تفوق ماكانت تحققه مدن حزام النحاس التى حققت نسبه زيادة بلغت حوالى ١٤٠٪ خلال الفترة الممتدة من عام ١٩٦٠ الى ١٩٨٠ (٥٢) بينما كانت نسبة الزيادة فى جملة الحضر حوالى ٢٢٠٪ من نفس الفترة، فى الوقت الذى كانت نسبة الزيادة الكلية فى لوساكا ٣٣٦٪ إذ زادت من ١٨٣ الف ساكن عام ١٩٦٠ الى ٦١٥ الف ساكن عام ١٩٨٠، ثم الى مليون و٤٤ الف ساكن عام ١٩٩٥، ومن المتوقع أن يتضاعف حجم السكان عام ٢٠١٥ ليصبح ٢.٢ مليون ساكن تقريبا (٥٢) ويعبر ذلك عن التناقض الواضح بين التحضر والتنظيم الحضرى قبل الإستقلال وبعده فى زامبيا كما فى غيرها من دول القارة.

تعد نيجيريا من النماذج الإفريقية من حيث تعقد النظام الحضري وتناقض المدن وإنقلاب تراتبها وتغير معدلات النمو بها، إذ تشير الدراسات والإحصاءات إلى أن Ibadan إبادان كانت ذات حجم ٤٢٧ ألف ساكن عام ١٩٥٠، وكانت تمثل المدينة الأولى في الدولة بل في إفريقيا المدارية، تليها لاجوس بحجم ٢٨٨ ألف ساكن أى أكثر قليلا من نصف حجم إبادان إلا أن معدل نمو لاجوس المرتفع وصل بها إلى ضعف حجم إبادان عام ١٩٦٥ واستمر معدل نمو لاجوس متسارعا (كما اتضح سابقا) فى الوقت الذى يتباطى فيه نمو إبادان التى أصبحت توازى مايقرب من سبع حجم لاجوس عام ١٩٩٥، أى أنها فاقت قانون المدينة الأولى لمارك جفرسون بكثير - وتمثل لاجوس ٢٣.٥٪ من جملة سكان الحضر بنيجيريا بينما تمثل إبادان المدينة الثانية ٣.٤٪ منهم عام ١٩٩٥ (٥٤)، وقد كان للازدهار الناتج عن البترول مضافا اليه عوامل أخرى كالأضطرابات السياسية والحروب وإعادة التقسيم الإدارى... فى نيجيريا أثارها فى تغير معدلات نمو المدن من إرتفاع إلى هبوط كما فى حالة إبادان، ومن إنخفاض لارتفاع كما فى حالات أخرى مثل كاونوا، وزاريا، والسوير Elsewhere وكذلك ميناء بورت هاركورت (بسبب البترول) كما أدت الحرب الأهلية فى السودان إلى نمو مدن مثل أبا Aba و إنيوجو Enugu بسبب وفود نسبه كبيرة من اللاجئين إلى هذه المدن (٥٥) كما أدت موجات الجفاف فى إقليم الساحل إلى نفس النتائج فى فترات مختلفة خلال العقود الماضية.

ومن المتوقع لمدينة لاجوس - المدينة القافزة بسرعة صاروخية والتي لم تكن ضمن أكبر ٣٠ مدينة فى العالم حتى قبل ١٩٩٠ حيث إحتلت المركز الثانى والعشرين بحجم ٧,٧ مليون ساكن -، أن تحتل المركز التاسع بحجم ١٣,٥ مليون ساكن عام ٢٠٠٠، لتقفز الى المركز الرابع بحجم ٢٠,١ مليون ساكن عام ٢٠١٠، ومن المتوقع أن تواصل قفزها لتتبوأ المركز الثالث بين مدن العالم العملاقة بحجم ٢٤.٤ مليون ساكن وفق تقديرات قسم الدراسات السكانية بالأمم المتحدة (٥٦) لسنة ٢٠١٥.

أما مدينة القاهرة التي كانت أكبر مدن القارة قاطبة حتى ١٩٩٠ وكان ترتيبها ١٨ بين أكبر ٣٠ مدينة في العالم، من المتوقع لها (حسب تقديرات الامم المتحدة) أن تصبح في المركز السادس عشر على مستوى العالم عام ٢٠١٥ بحجم ١٤,٧ مليون ساكن والثانية على مستوى قارة إفريقيا بعد لاجوس. وأن كان ذلك الحجم لايعبر عن حجم القاهرة الفعلى إذ من المقدر لإقليم القاهرة الكبرى أن يصل إلى حوالى ١٦,٩٢ مليون ساكن عام ٢٠٠٠م وذلك وفق توقعات الهيئة العامة للتخطيط العمرانى، ومعهد التخطيط والتحضر لإقليم باريس فى مخطط التنمية بعيد المدى لإقليم القاهرة الكبرى^(٥٧)، مما يعكس مشكلة المفاهيم فى تحديد المناطق الحضرية، لأنها فى هذه الحالة تعتبر أكبر من الحجم المقدر لمدينة لاجوس وهو ١٣,٥ مليون ساكن عام ٢٠٠٠ وترتيبها سيكون الخامس، معنى ذلك أن تصبح القاهرة الكبرى عام ٢٠٠٠ فى المركز الخامس بين مدن العالم العملاقة بعد طوكيو، وبومباى وساوباولو وشنغهاى^(٥٨) ويتغير ذلك الترتيب وفق إعتبار المنطقة الحضرية المعتمد عليه فى التقدير.

أما المدينة الثانية فى مصر وهى الإسكندرية فتدور حول ثلث حجم القاهرة ٣٦٪ (أى تتوافق مصر مع قانون المدينة الأولى^(٥٩) Low of Primate City حيث تقل نسب المدن الأخرى إلى المدينة الأولى عن ذلك كثير، ويتكرر هذا الترتيب فى العديد من الدول الإفريقية حيث كانت نسبة المدينة الثانية فى تونس وهى صفاقس تمثل ٢٩٪ من حجم المدينة الأولى وهى تونس العاصمة بينما كانت سوسة المدينة الثالثة تمثل ١٩,٩٪ من حجمها وذلك عام ١٩٧٥، كما كانت كل المدن التونسية تقل فى أحجامها الفعلية عن الحجم الانسب لكل منها فيما عدا حجم مدينة تونس العاصمة التى إرتفع حجمها الفعلى كثيرا عن الحجم الأنسب لها فى سنوات ١٩٦٥-١٩٦٦-١٩٧٥، وذلك عند تطبيق طريقة بروننج وجبس Browning and Gibbs لدراسة العلاقة بين المرتبة والحجم وحساب الحجم الأمثل^(٦٠)، والملفت للإنتباه هنا أن نسبة سكان مدينة تونس الى جملة سكان الحضر قد إرتفع من ٣١٪ عام ١٩٧٥ الى ٤٠٪ عام ١٩٩٥.

من المتوقع لمدينة كنيشاسا فى زائير أيضا أن تقترب من ١٠ مليون ساكن عام ٢٠١٥ بترتيب ٢٩ بين مدن العالم العملاقة، رغم أن حجمها بالاضافة الى المدن الستة التالية لها فى الحجم كان حوالى ١,٧ مليون ساكن ١٩٧٥ مما يؤكد هيمنتها الحالية والمستقبلية، وتتكرر نفس الحقائق فى غرب إفريقيا حيث كانت نسبة المدينة الثانية الى باماكو فى مالى أقل من ٢٠٪ (٦١). كما تتعرض باماكو وسائر العواصم فى دول إقليم غرب إفريقيا الى نمو كبير، وكذلك (عواصم الأقاليم) وذلك مع موجات الجفاف حيث تشتد تيارات الهجرة.

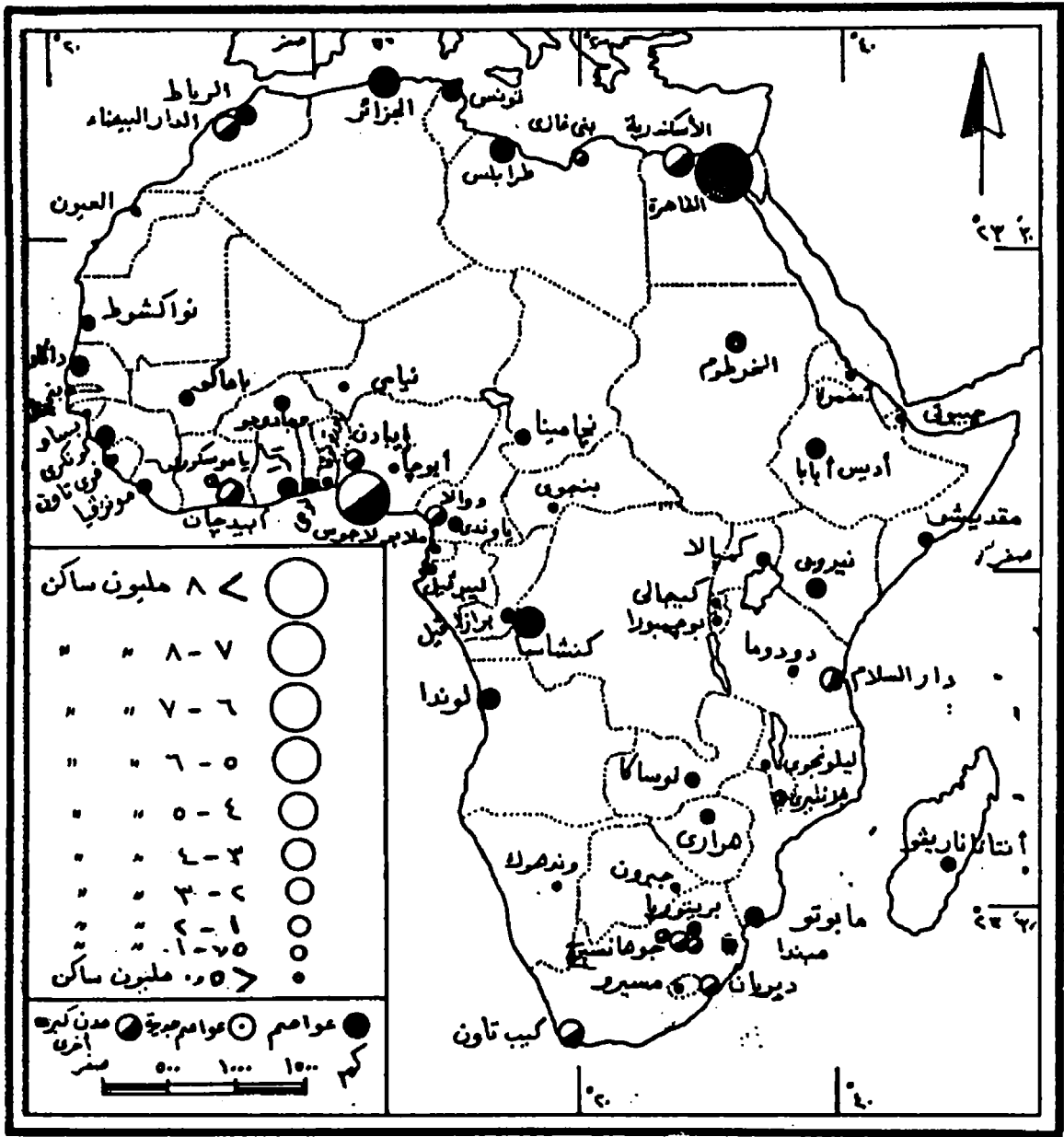
وتمثل تنزانيا فى شرق إفريقيا النظام الحضرى الذى تسوده مدينة واحدة بالفعل، فقد كانت دار السلام عام ١٩٧٨ تساوى المدن العشر التالية لها فى الحجم وكان حجم المدينة التالية وهى زنجبار يساوى أقل من سُبْع حجمها ومن المتوقع لدار السلام أن تصل الى مايقارب ٤ مليون ساكن عام ٢٠١٥.

فى أنجولا كان حجم المدينة الأولى ٤٧٥ الف ساكن عام ١٩٧٠، بينما حجم ثانى مدينة كان ٦٢ الف ساكن فقط أى ١٣٪ من حجم لمدينة الأولى لواندا والتي من المتوقع لحجمها أن يصبح ٥,٥٥ مليون ساكن عام ٢٠١٥.

وهكذا أكدت معظم الدراسات التفصيلية للأنظمة الحضرية لمعظم الدول الإفريقية عدم التوازن الحضرى بها وهيمنه مدينة واحدة أو اثنتين، كما أشارت التوقعات الى استمرار هذه الحالة الى فترة قادمة ويوضح الشكل رقم (١١) أحجام العواصم والمدن الكبرى الإفريقية سنة ١٩٩٠.

سادساً: مكونات النمو الحضرى وآلياته فى إفريقيا .

تقود الدراسة السابقة الى طرح سؤال مهم عن مكونات هذا النمو الكبير للمدن وخاصة العواصم والمدن الكبيرة وعواصم الأقاليم بالقارة، وماهى آليات أو (ميكانزمات) هذا النمو الذى يعكس التفاعل المكاني الاجتماعى (Spatial-Social Interaction) بين سائر عناصر منظومة السكان والمكان والتباين بينهما. والمؤثرات المرتبطة بكل منهما وتؤثر على الأخر فى آن معاً.



شكل (١١) أحجام العواصم والمدن الكبرى (٧٥٠ ألف ساكن فأكثر) في إفريقيا سنة ١٩٩٠.

لقد أصبح من المتعارف عليه أن عملية التحضر (Process of Urbanization) تعنى إستمرارية الزيادة فى سكان الحضريوهى عملية تختلف عن تحديد درجة أو مستوى التحضر. ومن الأهمية بمكان تحديد مصادر ومكونات هذا النمو فى سكان الحضر، لما فى ذلك من ضرورة كأول خطوة نحو فهم العمليات الديموجرافية والإجتماعية والاقتصادية والإدارية والسياسية والثقافية كمقدمة أساسية تُبنى على نتائجها سياسات التخطيط والتنمية بأنواعها الديموجرافية والاقتصادية ثم الإجتماعية (كما ظهر مفهوم التنمية أول مظهر)، ثم التنمية المتواصلة فالتنمية البشرية، فالبشرية المتواصل التي باتت تشمل كل أنواع التنمية حيث البشر هم عناصر التنمية وهدفها فى أن معاً. وإن أى سياسة تنموية يخطط لها، أو أى قرار سياسى يتخذ لابد وأن يُراعى فيه البعد البشرى والإجتماعى فى الأجيال الحالية والأجيال القادمة ضماناً لتحقيق نوعية أفضل للحياة وحفاظاً على الموارد والبيئة وإستثمارها وتنميتها، ومن هنا تأتى أهمية تحديد مكونات أو عناصر النمو السكانى عامة، والنمو الحضري بصفة خاصة، وبدقة حتى تأتى السياسات والمخططات بطول للمشكلات القائمة، ويخطط مستقبلية تضمن عدم تكرار المشكلات أو حدوث غيرها وتضمن أيضاً أفضل إدارة للمدن وموارد البيئة.

أفادت الدراسات الحضرية العديدة بإمكان تحديد مكونات النمو الحضري من خلال حركة السكان الطبيعية وغير الطبيعية، أى معدلات الزيادة الطبيعية Natural increase من خلال الفرق بين المواليد والوفيات مع الأخذ فى الاعتبار خصائص التركيب الديموجرافى للسكان، ثم الزيادة غير الطبيعية والتي يقصد بها تغيير مكان الإقامة أى الهجرة Migration سواء كانت هجرة داخلية Internal فى الدولة أى بين مناطقها Inter - Regions أو هجرة خارجية دولية. External or International Migration. وقد اكدت الدراسات أن الهجرة الداخلية تأخذ أربعة أنماط حسب مناطق الإرسال ومناطق الإستقبال وهى :

Rural - Rural - Migration	هجرة ريفية - ريفية
Rural - Urban - Migration	هجرة ريفية - حضرية
Urban - Urban - Migration	هجرة حضرية - حضرية
Urban - Rural - Migration	هجرة حضرية ريفية

وتؤثر الأنماط الثلاث الأخيرة في النمو الحضري، وتشير الدراسات التفصيلية للمدن في إفريقيا والدول النامية إلى أن أنماط الهجرة الريفية-الحضرية والحضرية-الحضرية أكثر تأثيراً في النمو الحضري بينما يتأثر نمو الأرياف بالأنماط الأخرى إلى جانب الهجرة الريفية الحضرية.

هناك مكونات أخرى تساهم في نمو سكان الحضر والتوسع الحضري المكاني والسكاني رغم عدم الاهتمام بها كثيراً، وذلك لصعوبة قياسها-إلا بالدراسة التفصيلية لكل حالة- ومن أهم هذه المكونات، عملية ابتلاع أو إمتصاص Engulfing or Absorption، المجتمعات والمناطق الريفية من قبل المدن أثناء توسعها وتمدها على حساب المناطق المحيطة بها فتدخل سكانها في المناطق الحضرية جغرافياً وفعلياً قبل أن يتضمنها التعداد رسمياً بتغيير الحدود البلدية أو الإدارية للمدينة، وعلى مر السنوات تنمو المدن في كثير من الأحيان قبل توسيع المدينة إدارياً وتتخطى بذلك حدودها لتضم هذه الهوامش التي يزداد نموها السكاني أيضاً بإستقبالها للمهاجرين فتتمو بها مستوطنات وضع اليد غير الحكومية والعشوائية، فتصبح من أهم مناطق المضاربة العقارية والتلوث البيئي والتدهور البيئي والاجتماعي ونقص الأمن والراحة والخدمات.

معنى ذلك أن هذا التوسع يمثل مكوناً واقعياً من مكونات نمو المدن لكنه غير رسمي (Informal)، ويعترف به بعد سنوات حينما يُضم إدارياً للمدينة.

من ناحية أخرى هناك عملية إعادة تصنيف المراكز العمرانية -Re Clas- sification أي تحويل القرى إلى مدن صغيرة Transformation of Village into Small Towns ويقل البعض من أهمية هذه المكونات الإدارية رغم

إن الدراسات التفصيلية قد أثبتت أهميتها في حالات كثيرة بأشكال متعددة أيضا ، منها على سبيل المثال حالة مدينة كمبالا في أوغندا، فقد ورد حجمها في تعداد عام ١٩٥٩ بأنه ٤٧٠٠٠ ساكن وهم سكان المدينة داخل الحدود الإدارية، إلا أن حجم المنطقة الحضرية الفعلية كان أكثر من ١٠٠٠٠٠٠ ساكن ولم يذكر هذا الفرق في التعداد ضمن المدينة وقتها، وفي تعداد ١٩٦٩ ضمت هذا المناطق الخارجة عن الحدود إلى المدينة بحدود جديدة لتصبح كمبالا أليا ذات حجم ٣٢٢٠٠٠ ساكن^(٦٢)، مما يعنى إحصائياً أن الحجم قد تضاعف سبع مرات تقريباً.. فهل هذا هو واقع النمو؟! وتكرر نفس الوضع مع معظم المدن الكبرى في الدول أو الأقاليم داخل الدول فقد ابتلعت داكار منطقة Yoff أثناء توسعها وابتلعت نيروبي مقاطعة Kiambu^(٦٢) الريفية إبان تمددها، وحدث نفس الشيء في القاهرة التي ابتلعت المناطق الريفية في القليوبية والجيزة، وكذلك الاسكندرية، كما رصدت الباحثة عملية ابتلاع المدينة للدواوير والمناطق الريفية المحيطة بمدينة طنجة في جماعات العوامة وإجزنايه وبحراويين الريفية منذ أواخر الستينات وحتى عام ١٩٩٢، من خلال تحليل الصور الجوية المتتابعة ودراسة خصائص السكان والمسكن والتحولات الديموجرافية والاقتصادية والاجتماعية التي حدثت في سكان هذه الجماعات، والذين كانوا يعملون في قطاعات الأنشطة الاقتصادية المختلفة بالمدينة ويرتبطون بها ولم تُضم هذه المناطق إدارياً إلى المدينة إلا في تعداد أواخر عام ١٩٩٤، ذلك مع الأخذ في الاعتبار أن هذه المناطق هي بالإضافة إلى زيادة سكانها تستقبل المهاجرين من مناطق الإرسال الأخرى، بل ومن داخل المدينة، كما أنها سجلت أثناء الدراسة معدلات نمو سريعة جداً وصلت في بعض المناطق إلى أكثر من ٥٠٪ سنوياً، مع الأخذ في الاعتبار أيضاً أن مدينة طنجة عاصمة إقليمية ترتبها السادس أو السابع بين المدن^(٦٢)، والأمثلة كثيرة على أهمية هذه العملية كمكون للنمو الحضري. ففي الجمهورية التونسية تطور عدد المدن (البلديات) من ٨٠ بلدية سنة ١٩٥٦ إلى ١٥٥ بلدية أو مدينة سنة ١٩٧٥ أي أن

عدد المدن تضاعف بقانون البلديات الذى تحولت بعض القرى بموجبه الى مدن، نفس الشئ حدث فى مصر إذ كان عدد المدن (فى تعداد سنة ١٩٤٧) ٩٨ مدينة، أصبح عددها ١١٧ مدينة سنة ١٩٦٠ ثم ١٣٦ مدينة سنة ١٩٦٦ ثم ١٥٧ مدينة سنة ١٩٧٦ وأخيراً ١٥٧ مدينة سنة ١٩٨٦ وهكذا.

يضاف إلى ماسبق عملية أخرى ترتبط ببعد النتائج الإحصائية عن الواقع والتي قد تحمل قدراً من التضليل، خاصة عند وضع حد أدنى لإحجام المدن، فعند تحديد المحلات الحضرية بحد أدنى ٢٠.٠٠٠ ساكن على سبيل المثال ماذا عن المحلات التى تقل بقدر ضئيل عن ذلك وحجمها ١٩٩٠٠ ساكن -مثلا- عند إجراء تعداد ما، بالقطع ستتمو المحلة خلال الفترة التعدادية خاصة إذا كانت متميزة بمميزات محفزة للنمو، وربما يصل حجمها الى ٢٥٠٠٠ ساكن أو أكثر عند بدء التعداد التالى وفى هذه الحالة ستصنف ضمن المحلات الحضرية. ماذا عنها إذاً فى الفترة بين التعداديين؟!.

قد يؤدى تنفيذ مشروعات إعادة التوطين الريفى Rural Resettlement بغرض حل مشكلات المدن أو المناطق الريفية لإحداث التنمية الريفية الى زيادة النمو الحضرى فى بعض الأحيان، عندما تتحول بعض القرى الكبيرة المتميزة بمركزية وظيفية وموقعية نوعاً ما بين أقرانها فى التجمع الجديد، إلى مدينة صغيرة تملك محفزات للنمو، وذلك ماحدث بالفعل عند تنفيذ برنامج Ujamaa Vijizini فى تنزانيا لإعادة التوطين والتنمية الريفية حيث إختيرت أفضل الأماكن لتوقيع قرى نووية كبيرة Nucleated Village فكان هذا كافياً لأن تصبح مناطق مركزية Central Place وظيفية فتحوّلت الى مدن صغيرة (٦٤)، ذلك باعتبار التصنيف الوظيفى.

يضاف الى مكونات النمو الحضرى السابقة بعض الآليات التى تدفع بهذا النمو وتحفز مكوناته، منها إعادة التقسيم الإدارى فى الدولة بزيادة عدد المحافظات أو المقاطعات أو الولايات التى تبرز بها بعض المحلات وترُفع إدارياً

إلى مرتبة أعلى بأن تصبح عاصمة إقليمية، ويؤدي إعادة تصنيفها من مركز تابع إلى عاصمة إلى تغيرات عديدة في مكونات النمو الذي كان ضمن المعدلات الطبيعية بسبب النزوح الحضري-الحضري والأمثلة على ذلك كثيرة أيضا منها على سبيل المثال حالة نيجيريا التي أدى إعادة التقسيم الإداري به عام ١٩٦٧ إلى إضافة ١٢ ولاية جديدة، أعيد تقسيمها أيضا عام ١٩٧٦، مما أدى إلى توقيع عواصم جديدة لهذه الولايات برفع مدن كالابار Calabar وجوس Jos وماديجيورى Maiduguri وسكوتو Sokoto وبعدها أبوكيوتا Abeokuta وأكيور Akure وبوتشى Bauchi وماكيوردى Makurdi ومينا Minna وأويرى Owerri؛ وقد كانت هذه المدن قبل رفعها Before Gaining إلى وضعها الجديد من بين أقل وأبطئ المراكز الحضرية نمواً في إفريقيا فأصبحت بعد ذلك من أسرع المدن نمواً في نيجيريا والمدن الإفريقية^(٦٥)، وتغير نصيب الهجرة الوافدة إليها في مكونات نموها، بعد أن كانت مصدراً للنزوح الحضري.

يعنى ماسبق أن مكونات النمو الحضري متعددة، كما أنها متغيرة وفقاً للظروف والمتغيرات السابق ذكرها وغيرها، وتواجه دراسة هذه المكونات المختلفة بنقص فادح في البيانات مع عدم دقتها لعدم دقة التسجيلات الحيوية، وعدم دقة بيانات التعدادات أو إغفالها لجوانب ترتبط بهذه العناصر، يضاف إلى ذلك عملية التضارب في البيانات التي يواجهها الباحث إذا عثر على بيانات بسبب اختلاف الأساليب والمفاهيم المرتبطة بذلك بين الدول الإفريقية وبعضها، وبين التعدادات وبعضها، وبين تقديرات الأمم المتحدة وغيرها، ولتجنب الصعوبات المشار إليها اتجهت الأبحاث نحو تفريع مكونات النمو الحضري إلى مكونين أساسين أولهما: الزيادة الطبيعية، والثاني الهجرة بأنواعها وانماطها مضافاً إليها معظم المكونات الأخرى المذكورة سابقاً، أو غير المذكورة مثل الإبتلاع والضم الإداري وإعادة التصنيف والرفع الإداري إلى آخر هذه المكونات والآليات، بمعنى آخر يُحسب مقدار الزيادة الطبيعية من النمو ثم يُنسب المقدار الباقي إلى الهجرة والمكونات الأخرى التي ترتبط في الغالب الأعم بإعادة التصنيف بأشكال عديدة.

ولحساب معدل صافى الهجرة مضافاً اليه المكونات الأخرى يُطرح معدل نمو جملة السكان من معدل نمو سكان الحضر. أو يطرح معدل الزيادة الطبيعية من معدل النمو الحضري فتصبح النسبة الباقية معبرة عن معدل صافى الهجرة و المكونات الأخرى^(٦٦)، وبالتالي تعتبر هذه الأساليب وغيرها تقريبية الى حد بعيد..

١ - الزيادة الطبيعية واثرها فى نمو سكان الحضر.

وتشير الدراسات إلى أن نمو سكان الحضر يمكن أن يتحقق من خلال معدلات مرتفعة للزيادة الطبيعية، لكن فى حالة تساوى معدلات الزيادة الطبيعية المرتفعة بين كل من سكان الحضر وسكان المناطق الريفية لن تحدث عملية تحضر (أى زيادة فى نسبة سكان الحضر عن سكان الأرياف)، بدون عملية إنتقال السكان الى المراكز الحضرية، ويتناقص سكان الحضر فى حالة غياب أو انعدام الهجرة الى المراكز الحضرية، خاصة مع إستمرار انخفاض معدلات الزيادة الطبيعية.

ويتفاوت نصيب كل من الزيادة الطبيعية والهجرة فى مكونات النمو الحضري بين الدول النامية والأقل نمواً، والدول المتقدمة والأكثر تقدماً، كما يظهر التفاوت فى معدلات الزيادة الطبيعية بين سكان كل من الحضر والأرياف فى الدول المتقدمة، عنه بين كل من سكان الحضر والأرياف فى الدول النامية التى أثبتت دراسات عديدة إرتفاعها بين سكان الحضر والأرياف على السواء فى هذه الدول، لذلك تُرجع دراسات عديدة أيضاً معظم النمو الحضري فى الدول النامية وبالأخص فى أقل الدول نمواً إلى الزيادة الطبيعية لسكان الحضر إذ يرجع اليها حوالى ٦٠,٧٪ من جملة الزيادة فى سكان الحضر. مقارنةً بحوالى ٣٩,٢٪ لمكون الهجرة من جملة النمو الحضري. بينما يحدث عكس ذلك فى الدول المتقدمة إذ يرجع نمو الحضر إلى الهجرة وإعادة التصنيف والضم الإدارى بنسبة ٦٦.٦٪ بينما يرجع إلى الزيادة الطبيعية ٣٣,٣٪ فقط من جملة

نمو سكان الحضر، بينما يرتفع نصيب الزيادة الطبيعية فى المناطق التى تستقبل هجرات خارجية مثل فرنسا والسويد ولوكسمبرج وأستراليا.. الخ. حيث ترتفع معدلات الزيادة الطبيعية بين المهاجرين وتصبح العلاقة ذات درجات عالية من التعقيد، كما أن هناك تفاوتاً كبيراً بين الدول والأقاليم داخل المجموعات الكبرى على مستوى العالم فى تقدير نصيب كل من الزيادة الطبيعية والهجرة من النمو الحضرى، ويرجع هذا التفاوت الكبير إلى التفاوت فى معدلات الزيادة الطبيعية الحضرية فى الدول النامية بصفة خاصة، وقد أصبح من المؤكد إذاً أن أسباب النمو الحضرى السريع تكمن فى مجموعة كبيرة من الأسباب المعقدة والمتداخلة ينال مكوّن الزيادة الطبيعية المرتفعة نسبة كبيرة منها بلغت ٦٣,١٪ فى إفريقيا و٦٣,٧٪ فى أمريكا اللاتينية (الجنوبية) ، وتفاوتت بين ٢٥ الى ٧٧,٩٪ فى أمريكا الوسطى، و٥٣,٢٪ فى آسيا وتفاوتت أيضاً بين ٣٦٪ و٦٠٪ بها، بينما كانت فى الأوقيانوسية ٦٥,٢٪ (بسبب إرتفاع معدلات الزيادة الطبيعية بين المهاجرين) وكذلك أمريكا الشمالية ٦٦,٣٪ لنفس السبب، بينما تفاوت نصيب الزيادة الطبيعية بين ٦٪ فى النمسا و٦٣,٦٪ فى النرويج، وذلك وفقاً لتقديرات الأمم المتحدة فى الفترة من الخمسينات إلى السبعينيات^(٦٧) من القرن العشرين ويوضح الجدول رقم (١٢). هذه الحقائق كما يبين مدى تباينها بين الدول المختلفة.

من الواضح إرتفاع مساهمة الزيادة الطبيعية فى النمو الحضرى لسكان إفريقيا. ويرجع ذلك إلى إرتفاع معدلات الزيادة الطبيعية فى إفريقيا فى المناطق الريفية والحضرية على السواء لعدة أسباب متداخلة منها إرتفاع معدلات المواليد (أكثر من ٤٠ فى الالف) والخصوبة (أكثر من ٦) وإنخفاض معدلات الوفيات نسبياً (حوالى ١٠ فى الالف) ولسوء الحظ ليس هناك تسجيل كاف (للبيانات الحيوية) فى معظم الدول الإفريقية خاصة فى إفريقيا جنوب الصحراء، والموجود ليس أكثر من بعض المسوحات الخاصة التى قد تؤدى

جدول رقم (١٢)

مصادر نمو سكان الحضر فى إفريقيا مقارنه بقارات العالم
(وبعض الدول المختاره من عام ١٩٥٠ - ١٩٧٥ حسب التعدادات)

مصادر نمو سكان الحضر		القارات والدول	مصادر نمو سكان الحضر		القارات والدول
الهجرة الداخلية واعادة التصنيف %	الزيادة الطبيعية %		الهجرة الداخلية واعادة التصنيف %	الزيادة الطبيعية %	
٤٦,٦	٥٣,٤	آسيا	٣٦,٩	٦٣,١	إفريقيا
٥٥,٤	٤٤,٦	بنجلاديش	٤٢,٤	٥٧,٦	غانا ٦٠ - ١٩٧٠
٣٠,١	٦٩,٩	الهند	٣٧	٦٣	المغرب ٦٠ - ١٩٧٠
٦٤,٤	٣٥,٦	اليابان	٤٢,٦	٥٧,٤	جنوب إفريقيا ٥٠ - ١٩٥٠
٦٠,٥	٣٩,٥	ج كوريا	٢٥,٤	٧٤,٦	جنوب إفريقيا ٦٠ - ١٩٧٠
٦٦,٦	٢٣,٤	أوربا	٣٥,٩	٦٤,١	أمريكا الشمالية والوسطى
٩٤,٠	٦,٠	النمسا	٣٥,٩	٦٤,١	كندا ٦١ - ١٩٧١
٧٧,١	٢٢,٩	بلغاريا	٤٨,٢	٥١,٨	الدومنيكان ٦١ - ١٩٧١
٨٤,٩	١٥,١	فنلندة	٢٢,١	٧٧,٩	السلفادور ٦١ - ١٩٧١
٥٥,٩	٤٤,١	فرنسا	٣١,٧	٦٨,٣	المكسيك
٤٨,١	٥١,٩	ايرلندا	٦٤,٢	٣٥,٨	بورتوريكو
٣٦,٤	٦٣,٦	النرويج	٢٩,٢	٧٠,٨	الولايات المتحدة
٤٩,٥	٥٠,٥	السويد	٣٦,٣	٦٣,٧	أمريكا الجنوبية
٣٤,٨	٦٥,٢	الأوقيانوسية	٥٠,٨	٤٩,٢	الأرجنتين
٢٠,٣	٧٩,٧	استراليا	٤٩,٦	٥٠,٤	البرازيل
٤٩,٤	٥٠,٦	نيوزيلندا	٢٩,٦	٧٠,٤	أكوادور
٣٩,٦	٦٠,٤	الدول النامية	٧,٣	٩٢,٧	أرجواي
٣٩,٣	٦٠,٧	أقل الدول نموا	٤١,٦	٨٥,٤	بيرو
٥٧,٤	٤٢,٦	الدول المتقدمة	٣٦,٧	٦٣,٣	فنزويلا ٥٠ - ١٩٦٠
٥٩,٨	٤٠,٢	الأقل تقدما	٢٧,٨	٧٢,٢	فنزويلا ٦٠ - ١٩٧٠

المصدر : الهجرة واعادة التصنيف مستخرجه من :

United Nation, (1980), OP. Cit . ,PP.23 - 24

الزيادة الطبيعية من حساب الباحث

إلى نتائج سطحية وجزئية، حيث هناك من العوامل ما يؤدي إلى بيانات متضاربة بين الريف والحضر.

وقد أشارت دراسات عديدة إلى إحتتمالات إنخفاض معدلات الزيادة الطبيعية فى الحضر، وتُرجع السبب فى ذلك إلى ارتباط الخصوبة المنخفضة بالتحضر. وهو تبين واضح للنموذج الغربى، لكن الواقع فى إفريقيا يؤكد أن إنخفاض الخصوبة لا يميز سوى النخبة قليلة العدد Small Part of The elite من جملة سكان الحضر أو المدينة، وهم الحضر الأكثر عراقة حيث نسبة التعليم مرتفعة والحصول على الخدمات الصحية ميسور، أما غالبية السكان فى المدن الإفريقية والمدن فى الدول النامية عموماً فهم من محدثى التحضر حيث مازال السلوك الإنجابى متأثراً بالقيم الريفية والقبلية، ونظراً لإنخفاض الوفيات بمجرد تحسن الأحوال الصحية وخاصة وفيات الأطفال لذلك قد ترتفع الزيادة الطبيعية فى بعض المدن إرتفاعاً طفيفاً عن المناطق الريفية المجاورة رغم انخفاض المواليد قليلاً عنها فى الأرياف أيضاً.

تفيد المؤشرات الديموجرافية لدول إفريقيا إلى ارتفاع معدل الخصوبة عن ٦ أطفال فى معظم الدول ومن المأمول أن تنخفض هذه المعدلات مع إنتشار التعليم، وقد وجد مورجان عام ١٩٧٥ (Morgan) أن معدل الخصوبة يرتفع فى أبيدجان عن الأرياف المجاورة^(٦٨). ومثلة طومبسون فى عام ١٩٧٨ (Thomp-son)^(٦٩). حيث وجد أن معدل الخصوبة لدى الحضر يرتفع عنه فى الأرياف بأوغندا، وقد وجد أن أخفض معدل للخصوبة بالمناطق الحضرية بإفريقيا جنوب الصحراء (المدارية) قد سُجل فى إثيوبيا، كما لوحظ أيضاً إنخفاض معدل المواليد الخام فى حضر إثيوبيا عن الأرياف المجاورة. أما (Caldwel, 1975) كالويل^(٧٠)، فقد لاحظ العديد من الإختلافات بين نولة وأخرى، منها غانا حيث ينخفض معدل الخصوبة فى الحضر عنه فى الأرياف، بينما كان معدلها أكثر ارتفاعاً فى الحضر عن الأرياف فى زائير والجابون، وقد ترتفع الخصوبة فى الحضر فى بعض المجتمعات البدائية لإرتباطها بالعادات التى تحبذ الحمل

أثناء فترة إرضاع الطفل السابق، بينما بعض المجتمعات تفضل إنائها الحمل كل ٢ أو ٤ سنوات في الحضر مع توافر الرعاية الصحية التي تقلل من احتمالات الإجهاض أو وفيات الأطفال، كما تتأثر الخصوبة بالزواج المبكر أو تأخر سن الزواج خاصة في الحضر حيث تتم نسبة من الإناث المرحلة الثانوية من التعليم والمرحلة الجامعية منه، لكنها ترتفع أيضاً كلما ارتفع معدل وفيات الأطفال فترغب المرأة (أو الأسرة) في إنجاب ١٠ أطفال ربما يعيش ٥ أطفال. كما تتأثر بسياسات التخطيط العائلي وانتشار وسائل منع الحمل، أما ارتفاع معدلات الطلاق فقد كان سبباً مهماً يفسر انخفاض معدلات الخصوبة والمواليد في آديس أبابا بإثيوبيا^(٧١) على سببيل المثال. ويوضح جدول رقم (١٣) ارتفاع معدلات الخصوبة والمواليد والوفيات والزيادة الطبيعية في أقاليم إفريقيا وبعض دولها.

والواقع أن دور الزيادة الطبيعية في النمو الحضري في الدول النامية يستمد أهميته من عامل الإستمرارية الذي يميزه ليس فقط بين سكان الحضر القدامى أو القاطنين بالمدن لفترة طويلة، بل إن دوره أكثر أهمية بين المهاجرين وخاصة الأحدث من بينهم في الوصول إلى المدينة، كما إن آثار الهجرة الواضحة على هرم السكان في ارتفاع نسبة الفئات العمرية الشابة قد ترفع من معدلات الزيادة الطبيعية. إلا أن الدراسات ركزت على الهجرة ودورها فظهرت مبالغاً في أهميتها Exaggerated بينما ظهر دور الزيادة الطبيعية أقل من واقعة Understated لذلك لم تجذب الزيادة الطبيعية الإنتباه بالقدر الكافي كما فعلت الهجرة في جذب الإنتباه، وتشير كل المؤشرات إلى أن معظم المدن بالدول الإفريقية متورطة في عمليات النمو السريع التي تنعكس على معدلات النمو السكاني السريع على المستوى القومي، والتي تمثل الزيادة الطبيعية قسط وافر منها. كما يوضح الجدول رقم (١٣) حيث تتراوح في معظم الدول بين ٢٪ و ٣٪ وقد ترتفع عن ٣٪ سنوياً.

جدول رقم (١٣)

معدلات الزيادة الطبيعية والمواليد والوفيات والخصوبة

فى إفريقيا وبعض نولها المختاره فى الفتره من عام ١٩٨٠ - ١٩٩٥

الزيادة الطبيعية %		معدل الوفيات الخام فى الآف		معدل المواليد الخام فى الآف		معدل الخصوبه		
١٩٩٠ ١٩٩٥	١٩٨٠ ١٩٩٠	١٩٩٠ ١٩٩٥	١٩٨٠ ١٩٩٠	١٩٩٠ ١٩٩٥	١٩٨٠ ١٩٩٥	١٩٩٠ ١٩٩٥	١٩٨٠ ١٩٩٥	
٢,٧٦	٢,٩٢	١٣,٢	١٥,٦	٤٠,٩	٤٤,٨	٥,٧	٦,٣	★إفريقيا
٢,٢١	٢,٦٢	٨,٢	١١,١	٣٠,٣	٣٧,٣	٤	٥,٢	إفريقيا الشمالية
٢,٢٣	٢,٨٢	٦,١	٩,١	٢٨,٤	٣٧,٣	٣,٧	٥,٧	الجزائر
٢,٠٤	٢,٥٧	٧,٧	١١,٢	٢٨,١	٣٦,٩	٣	٤,٨	مصر
٣,٣٥	٣,٤٧	٧,٦	١٠,١	٤١,١	٤٤,٨	٦,٢	٧	ليبيا
١,٩٩	٢,٣	٧,٧	١٠,٤	٢٧,٦	٣٣,٤	٣,٥	٤,٨	المغرب
٢,٩٦	٢,٩٤	١٥,٤	١٨	٤٥,	٤٧,٤	٦,٤	٦,٦	إفريقيا الغربية
٣,٠٢	٢,٩٢	١٧,٢	٢٠	٤٧,٥	٤٩,٢	٦,٩	٧,١	بنين
٢,٧٦	٢,٧٩	١٨,١	١٩,٢	٤٥,٧	٤٧,١	٦,٣	٦,٥	بوركينافاسو
٣,٣٨	٣,٤٨	١٥,٢	١٥,٣	٤٩	٥٠,١	٧,٢	٧,٤	كوت ديفوار
٢,٩٩	٢,٨٣	١٩,٥	٢٢,٩	٤٩,٤	٥١,٢	٦,٨	٧	غينيا
٣,٢٧	٣,١	١٣,٥	١٦,٣	٤٦,٢	٤٧,٣	٦,٩	٧,١	مالي
٢,٥٣	٢,٤٥	١٣,٩	١٧,٢	٣٩,٢	٤١,٧	٥,٣	٥,٩	موريتانيا
٢,٩٣	٢,٨٨	١٤,٨	١٧,٦	٤٤,١	٤٦,٤	٦,٣	٦,٥	نيجريا
٢,٩٥	٢,٩٩	١٤,٨	١٦,٣	٤٤,٣	٤٦,٢	٦,٥	٦,٧	إفريقيا الوسطى
٢,٩٢	٢,٩١	١٥,٢	١٧,٥	٤٤,٤	٤٦,٤	٥,٧	٥,٩	تشاد
٢,٨٨	٢,٨٨	١٥	١٥,٣	٤٣,٨	٤٤,١	٦,١	٦,٣	الكنغو
٢,٢٨	١,٧٨	١٥	١٧,٤	٣٧,٨	٣٥,٢	٥,٥	٤,٨	الجابون
٣,٢١	٣,٢٤	١٤,٣	١٥,٦	٤٦,٤	٤٨	٦,٥	٦,٧	زائير
٢,٨٦	٣,٠٥	١٤,٣	١٧,٤	٤٢,٩	٤٧,٩	٥,٩	٦,٨	إفريقيا الشرقية
٣,٢١	٣,٤٩	١١,٧	١٢,٥	٤٣,٨	٤٧,٤	٦,١	٧,٢	كينيا
٢,٩٤	٣,١٩	١٩,٨	٢٠,٩	٤٩,٢	٥٢,٨	٧	٧,٥	مالاوى
١,٣٦	١,٤٦	٦,٦	٦,٣	٢٠,٢	٢٠,٩	٢,٣	٢,٣	موريشوس
٢,٦	٢,٦١	١٨,١	١٩,٦	٤٤,١	٤٥,٧	٦,٣	٦,٥	موزمبيق
٢,٢١	٢,٣٨	٨,٤	١٠,٤	٣٠,٥	٣٤,٢	٤	٤,٦	ج جنوب افريقيا

المصدر : مستخرج من :

E C A.(1995), African socio - economic indicators,
U N .P.P. 6 - 8

٢ - الهجرة واثرها فى نمو سكان الحضر.

تسهم الهجرة بنصيب وافر أيضاً فى نمو سكان الحضر فى إفريقيا، وتشير الدراسات العديدة التى تناولت قضية سرعة نمو سكان الحضر فى إفريقيا سواء فى دولها العربية أو دولها المدارية على أساس إقليمى أو من خلال الدول، كذلك دراسات المدن التفصيلية، إلى أهمية دور الهجرة فى هذا النمو السريع، وقد أوضح هانس عام ١٩٧٠ (Hance) أن الهجرة الداخلية وخاصة الريفية الحضرية منها تعد إلى جانب الزيادة الطبيعية أهم أسباب النمو السريع للمدن فى إفريقيا، مما أضعف العلاقة بين معدلات النمو الحضرى والنمو الإقتصادى، كما لم ترتبط زيادة معدلات التحضر فى إفريقيا بتنمية ريفية فاتسعت الفجوة بين المناطق الحضرية والمناطق الريفية، مما يدفع إلى النزوح الريفى والنمو الحضرى، مما يعنى أن علاقة المدينة الإفريقية بظهيرها الريفى علاقة قوامها السيطرة الاقتصادية والبشرية والثقافية خاصة المدينة الاولى والمدن الكبرى (٧٢).

وقد عرفت إفريقيا الهجرة الداخلية بأنماطها الأربعة السابق الإشارة إليها، كما عرفت الهجرة الخارجية وسائر أنواع الهجرة، وتواجه دراسة الهجرة فى إفريقيا بضعف البيانات وندرتها نظراً لتخلف معظم دول القارة تعدادياً وأقصى ماتتضمنه التعدادات سؤال عن محل الإقامة وسؤال عن محل الميلاد ومدته الإقامة وغيرها من الأسئلة التى تمكن من تحديد تيارات واتجاهات الهجرة عن ذلك الطريق غير المباشر، بينما تفتقر التعدادات حتى فى الدول الرائدة فى إجراء التعدادات كمصر وتونس والمغرب إلى حد ما... الخ، إلى أسئلة عن مدى الهجرة وطبيعتها وأسبابها وأثارها وخصائص المهاجرين عند الهجرة وعقبها ونوعية الأعمال التى مارسها المهاجرون منذ نزوحهم والدخول التى حصلوا عليها وأوجه إنفاقها، وتفاصيل أخرى عديدة تتطلبها الدراسات التطبيقية بهدف وضع مخططات التنمية والسياسات المختلفة، لذلك تعتمد معظم الدراسات على دراسة حالات معينة، أو بعض المسوحات الخاصة، لذلك كان معظم التركيز على الهجرة

الوافدة والهجرة النازحة وحساب صافى الهجرة. وقد دارت مناقشات كثيرة حول أسباب التدفقات البشرية صوب المدن، وكذلك حول فائدها بالنسبة للمجتمعات، واختلفت النظرة إلى الهجرة الداخلية إلى المدن من الاستحسان إلى الاستهجان قبل الستينات وبعدها، وما زالت الآراء مختلفة حولها، إلا أن الواقع الاقتصادي والاجتماعي للدول الفقيرة جعل من الهجرة الداخلية سبباً رئيسياً للعديد من المشكلات التي تعاني منها المدن وسكانها (٧٣).

وتباين مشاركة الهجرة الداخلية وإعادة التصنيف من إقليم إلى آخر، ومن دولة إلى أخرى ومن مدينة إلى أخرى، ويوضح الجدول التالي نصيب الهجرة من النمو الحضري في أقاليم إفريقيا وذلك خلال الفترة من ١٩٥٠ إلى ١٩٧٥. مقارنةً بنسبة الزيادة الطبيعية من هذا النمو.

جدول رقم (١٤)

مكونات النمو الحضري في أقاليم إفريقيا في الفترة من عام ١٩٥٠ إلى ١٩٧٥.

١٩٧٥ . ١٩٧٠		١٩٦٠ . ١٩٥٠		الإقليم
نسبة الهجرة الداخلية وإعادة التصنيف %	نسبة الزيادة الطبيعية %	نسبة الهجرة الداخلية وإعادة التصنيف %	نسبة الزيادة الطبيعية %	
٥١,٧	٤٨,٣	٦١,٥	٢٨,٥	إفريقيا الشرقية
٦١,١	٣٨,٩	٧٨,٧	٢١,٣	إفريقيا الوسطى
٥٨	٤٢	٤٥,٥	٥٤,٥	إفريقيا الشمالية
٢٨,٣	٧١,٧	٢٦,٥	٦٣,٥	إفريقيا الجنوبية
٤٨,٧	٥١,٣	٥٧,٨	٤٢,٥	إفريقيا الغربية

المصدر : مستخرج من :

World Bank Staff Paper, N . 342, (1979), Policies for efficient
Equitalbe Growth of Cities in D eveloping Countries, July , P.72

وذلك باعتبار تساوى الزيادة الطبيعية فى كل من الريف والحضر.

يتضح من تحليل الجدول تبين مساهمة الهجرة وإعادة التصنيف في النمو الحضري بين ٧٨,٧٪ لإقليم إفريقيا الوسطى و ٣٦,٥٪ لإقليم إفريقيا الجنوبية، أى أن التباين كان بنسبة ٤٢,٢٪ ذلك بين ١٩٥٠ و ١٩٦٠ بينما كان التباين بين ٦١,١٪ لإفريقيا الوسطى أيضا و ٢٨,٣٪ فى إفريقيا الجنوبية وكان الاتجاه العام نحو تناقص نصيب الهجرة من النمو الحضري فى كل الأقاليم فيما عدا إقليم إفريقيا الشمالية، وبصفة عامة ترتفع مساهمة الهجرة خلال السنوات المذكورة عن ٥٠٪ فى إفريقيا الشرقية والوسطى والشمالية، بينما تنخفض عن ٥٠٪ فى إفريقيا الجنوبية وإفريقيا الغربية، مما يرفع من مساهمة الزيادة الطبيعية فى نمو سكان الحضر خاصة فى إقليم إفريقيا الجنوبية إلى ٧١,٧٪ بين عام ١٩٧٠-١٩٧٥.

ويوضح الجدول رقم (١٥) مكونات نمو سكان الحضر وفق مساهمة كل من الهجرة والزيادة الطبيعية من ذلك النمو فى الفترة الممتدة من عام ١٩٨٥ إلى ١٩٩٥، ومن تحليل الجدول يتضح إستمرار الإتجاه نحو تزايد مساهمة الهجرة فى النمو الحضري فى كل أقاليم القارة خلال العشر سنوات من عام ١٩٨٥ إلى ١٩٩٥، ذلك رغم تفوق نصيب الزيادة الطبيعية من النمو الحضري على نصيب الهجرة منه، وإن كان قد تناقص من ٦٦,١٪ الى ٦٤,٤٪ على مستوى القارة وبالتالي كان نصيب الهجرة متزايدا من ٣٢,٩٪ فى النصف الأول من الفترة إلى ٣٥,٦٪ فى آخر الفترة، كما يُميز هذه الفترة تفوق مساهمة الهجرة على النمو الطبيعي لسكان الحضر بإقليم إفريقيا الغربية خلال السنوات السابقة من ١٩٩٠ إلى ١٩٩٥، وذلك لأول مرة، ربما كان للجفاف بإقليم الساحل دور مهم فى إشتداد تيارات النزوح إلى المدن.

أما إقليم إفريقيا الجنوبية فمزال حول معدله حيث تتفوق الزيادة الطبيعية على مساهمة الهجرة، ذلك بسبب القوانين الصارمة التى تطبقها جنوب إفريقيا ضمن سياسة إقرار السكان وإغلاق بعض المدن أمام الهجرة.

بينما إنعكست الصورة فى إقليم شمالى إفريقيا وعادت ،مساهمة الزيادة الطبيعية إلى ارتفاعها حيث تساهم بنحو ٧٦,٦٪ بين عامى ١٩٨٥-١٩٩٠، وإن انخفضت قليلاً إلى ٧٠,٥٪ بين عامى ١٩٩٠-١٩٩٥. والتالى إنخفض نصيب الهجرة من ٥٨٪ بين عامى ١٩٧٠-١٩٧٥ إلى ٢٣,٤٪ بين عامى ١٩٨٥-١٩٩٠، ثم أرتفع مرة أخرى الى ٢٩,٥٪ بين عامى ١٩٩٠-١٩٩٥،

بينما إرتفع أيضا نصيب الزيادة الطبيعية وإنخفض نصيب الهجرة وإعادة التصنيف فى إقليم إفريقيا الوسطى من ٣٨,٩ خلال الفترة السابقة إلى ٧٢,٥٪ فى الفترة من عام ٨٥-١٩٩٠، وإن انخفضت قليلاً الى ٦٩,٣٪ فى الفترة من عام ١٩٩٠ إلى ١٩٩٥. وبالتالي إنخفضت مساهمة الهجرة من ٦١,١٪ إلى ٢٧,٥٪، ثم ارتفعت إلى ٢٠,٧٪ فى آخر الفترة، أما إقليم إفريقيا الشرقية فكان الإقليم الثانى الذى تزايد فيه نصيب الهجرة من النمو الحضرى بنسبة كبيرة من ٣٣,٤٪ عام ١٩٨٥-١٩٩٠ إلى ٤٤,٥٪ بين عامى ١٩٩٠-١٩٩٥، الى جانب إقليم إفريقيا الغربية ٦١,٥٪ وإن كانت هذه المساهمة أقل من مثيلتها خلال الفترة من ١٩٧٠ إلى ١٩٧٥ فى شرقى إفريقيا.

ويعكس ذلك ظروف الجفاف بإقليم شرق وغرب وشمال إفريقيا إلى حد ما.. كما يعكس آثار الحروب الأهلية والنزاعات وتزايد أعداد اللاجئين، كما تعتبر هذه التقديرات وغيرها تقريبية لتعقد آليات النمو الحضرى وضوابطه وتغيرها إنعكاسا للظروف المحيطة والمؤثرة. ومن هنا تبرز الذبذبة الواضحة وتأرجح مساهمة كل من الزيادة الطبيعية والهجرة فى ذلك النمو، مع ملاحظة أن الهجرة تضم مكونات نمو أخرى سبقت الاشارة اليها. أهمها إعادة التصنيف والضم الإدارى . وبصفة عامة مازالت النسبة العامة لمساهمة الهجرة وإعادة التصنيف - وبالتالي نسبة مساهمة الزيادة الطبيعية - حول معدلاتها خلال الفترة من ١٩٥٠-١٩٧٥، وبالتالي تنور حول ١ إلى ٢ من مكونات النمو على مستوى القارة من ١٩٥٠ حتى ١٩٩٥. وتتباين بين الأقاليم والدول، ويبرز غرب إفريقيا كإقليم متأثراً بالهجرة فى أواخر هذه الفترة ٦١,٥٪، يليه شرق إفريقيا

جدول رقم (١٥)

مكونات نمو سكان الحضر فى قارة إفريقيا والاقليم من سنة ١٩٨٥ إلى ١٩٩٥ (%).

معدل الزيادة الطبيعية لجملة السكان %		معدل النمو السنوى لسكان الحضر %		تقدير معدل الهجرة السنوى ٢ - ١ = معدل الهجرة %		مساهمة الزيادة الطبيعية فى النمو الحضرى %		مساهمة الهجرة وإعادة التصنيف فى النمو الحضرى %	
١٩٨٠	١٩٩٠	١٩٨٠	١٩٩٠	١٩٨٠	١٩٩٠	١٩٨٠	١٩٩٠	١٩٨٠	١٩٩٠
٢,٨٧	٢,٨٢	٤,٣٤	٤,٣٨	١,٤٧	١,٥٦	٦٦,١	٦٤,٤	٢٣,٩	٣٥,٦
٢,٠٧	٢,٠٢	٥,٥٥	٥,٤٤	١,٨٥	٢,٢٤	٦٦,٦	٥٥,٥	٣٣,٤	٤٤,٥
٣,٠٣	٣,٠٩	٤,١٨	٤,٤٦	,٨٨	,٥٦	٧٢,٥	٦٩,٣	٢٧,٥	٣٠,٧
٢,٥٢	٢,٢٧	٣,٣٠	٣,٢٢	,٧٧	,٩٥	٧٦,٦	٧٠,٥	٢٣,٤	٢٩,٥
٢,٣٨	٢,٣	٢,٩٠	٣,١٢	,٥٢	,٨٢	٨٢	٧٣,٧	١٨	٢٦,٣
٢,٩٨	٢,٠٢	٥,١٢	٥,٢٤	٢,٣٢	٣,٢٢	٥٦	٣٨,٥	٤٤	٦١,٥

المصدر : تم حساب الزيادة الطبيعية اعتماداً على معدلات المواليد والوفيات من :
- U.N., (1990), World population, population Prospects, P. 302, P346 Tables A - 14 , A - 15, A - 22 , A - 23
- معدلات النمو الحضرى مستخرجة من :
- U.N.,(1995), World Urbanization Prospects, OP, Cit, P, ` 114 ` Table A.7
- تقدير معدل صافى الهجرة من حساب الباحثة باعتبار تساوى معدلات الزيادة الطبيعية بين الريف والحضر عمود ٢ - عمود ١
- التوزيع النسبى لمكونات نمو سكان الحضر بين الزيادة الطبيعية والهجرة وإعادة التصنيف من حساب الباحثة.

٤٤,٥% ثم وسط إفريقيا ٣٠,٧% ثم شمالى إفريقيا ٢٩,٥% فجنوبى إفريقيا ٢٦,٥% خلال السنوات الخمس الأخيرة من ١٩٩٠ إلى ١٩٩٥.

وقد توصل حمادى بتبوت عام ١٩٩٣ إلى مدى التفاوت بين نسبة كل من الزيادة الطبيعية والهجرة الخارجية والنزوح الريفى مضافا إليه إعادة التصنيف وخلافه كمكونات للنمو الحضرى فى الدول العربية خلال الفترة من ١٩٥٠ إلى ١٩٩٠، وقد استُخلص الجدول رقم (١٦) من دراسته (٧٤).

جدول رقم (١٦)
التوزيع النسبي لمكونات النمو الحضري في الدول العربية الإفريقية
في الفترة من سنة ١٩٥٠ الى سنة ١٩٩٠ (%)

١٩٩٠ . ١٩٨٥			١٩٦٥ . ١٩٧٥			١٩٥٥ . ١٩٥٠			الدولة
الهجرة الداخلية وامعادة التثبيد %	الهجرة الخارجية %	الزيادة الطبيعية %	الهجرة الداخلية وامعادة التثبيد %	الهجرة الخارجية %	الزيادة الطبيعية %	الهجرة الداخلية وامعادة التثبيد %	الهجرة الخارجية %	الزيادة الطبيعية %	
٣٣	٦	٦١	٢٥	صفر	٧٥	٤٤	صفر	٥٦%	مصر
٣٠	صفر	٧٠	١٨	صفر	٨٢	٥٢	صفر	٤٨	الجزائر
٣٣	٦	٦١	٤٣	٣٣	٢٤	٣٧	صفر	٦٣	ليبيا
٥٩	صفر	٤١	٨١	صفر	١٩	٨٦	صفر	١٤	موريتانيا
٣١	١٦	٥٣	٣٤	صفر	٦٦	٣٤	صفر	٦٦	المغرب
١٦	٤٤	٤٠	٤٠	١٩	٤١	٣٩	٣١	٣٠	الصومال
٣٣	صفر	٦٧	٦٩	صفر	٣١	٧٥	صفر	٢٥	السودان
١١	١٥	٧٤	٣٦	صفر	٦٤	١٧	صفر	٨٣	تونس

المصدر : عن حمادى بتيوت ، (١٩٩٣) ، مرجع سابق ص ٥٢ ، ٥٥ ، ٥٦

يتضح من تحليل الجدول أهمية مساهمة الهجرة في النمو السكاني الحضري في دول شمال إفريقيا العربية، حيث يمثل أكثر من ثلث جملة النمو في عدد كبير من هذه الدول، وإن تميز بالتذبذب من فترة إلى أخرى لكن يلاحظ بصفه عامة إرتفاع نصيب الهجرة الداخلية في نمو سكان الحضر بموريتانيا إلى ٥٩٪ بين ١٩٨٥-١٩٩٠، وإن كان قد إنخفض من ٨٦٪ بين ١٩٥٠-١٩٥٥ إلى ٨١٪ بين ١٩٦٥-١٩٧٠، وفي المقابل إرتفع نصيب الزيادة الطبيعية من ١٤٪ إلى ١٩٪ إلى ٤١٪ خلال الفترات المذكورة، ويرجع ذلك إلى الإستقرار النسبي وتحسن الأحوال الصحية في المدن نسبياً بالإضافة الى موجات الجفاف والقحط في المناطق الريفية والصحراوية حيث ترتفع نسبة البداوة في موريتانيا. كذلك

إنخفض نصيب الهجرة الداخلية فى نمو سكان الحضر بالسودان من ٧٥٪ سنة ١٩٥٠، ١٩٥٥، إلى ٦٩٪ فى عام ١٩٦٥ - ١٩٧٥، ثم إلى ٣٣٪ بين ١٩٨٥-١٩٩٠، كما إنخفض فى مصر من ٤٤٪ إلى ٢٥٪ إلى ٣٣٪، وكذلك الجزائر من ٥٢٪ إلى ١٨٪، ثم إرتفع إلى ٣٠٪ ويظهر أيضا إرتفاع نصيب الهجرة الخارجية فى نمو السكان فى الصومال خلال كل الفترات المذكورة متغيراً من ٣١٪ إلى ١٩٪، ثم مرتفعاً إلى ٤٤٪، أى أكثر من نصيب الهجرة الداخلية وهو ١٦٪ ونصيب الزيادة الطبيعية أى ٤٠٪ بين ١٩٨٥-١٩٩٠، ربما يرجع ذلك إلى اللجوء والإضطرابات السياسية فى القرن الإفريقى خلال هذه الفترة بالاضافة الى الجفاف، كما يظهر نصيب الهجرة الخارجية واضحاً فى ليبيا من ١٩٦٥، حيث وصل إلى ٣٣٪ بين ٦٥-١٩٧٠، ثم إنخفض إلى ٦٪ بين ١٩٨٥-١٩٩٠، فى حين ظهر نصيب الهجرة الخارجية فى كل من تونس ١٥٪، والمغرب ١٦٪ ومصر ٦٪ فى نفس الفترة ٨٥-١٩٩٠، والإتجاه العام الذى يتضح من تحليل ذلك الجدول هو تزايد نصيب الزيادة الطبيعية من مكونات النمو الحضرى فى معظم الدول خلال كل الفترات، بينما ظهر إرتفاع نصيب الهجرة فى أول الفترة عن آخرها فى معظم الدول مع ظهور نصيب الهجرة الخارجية فى آخرها أيضا فى دول عديدة وفى الصومال وليبيا من قبل.

وتعد البداوة أحد الأسباب فى عدم تحديد حجم الهجرات الداخلية بدقة فى العديد من الدول حيث ترتفع نسبتهم، وقد أثبتت الدراسات أن الهجرة الداخلية تشمل نسبة كبيرة من سكان العديد من الدول الإفريقية تصل إلى أكثر من ٢٠٪ فى كوت ديفوار، وليبيريا وزامبيا وتتراوح بين ١٥ و ٢٠٪ فى غانا وسيراليون وأوغندا وبين ١٠ و ١٥٪ فى كل من تونس، توجو وكينيا وجامبيا وملوى والسنغال، وذلك فى الفترة من عام ١٩٦٠ إلى ١٩٨٠ (٧٥).

وكما إتضح التباين فى مساهمة كل من الهجرة وإعادة التصنيف والزيادة الطبيعية فى النمو لحضرى بين الدول العربية، يظهر هذا التباين أيضاً على

مستوى الدول فى إفريقيا غير العربية، ويمكن ملاحظة ذلك من إستقراء الجدول رقم (١٧)، من خلال بعض النسب المرتبطة بعدد من الدول الإفريقية^(٧٦).

جدول رقم (١٧)

التوزيع النسبى لمكونات النمو الحضرى فى بعض دول إفريقيا
(خلال تعدادات مختلفة فى الفتره من ١٩٦٠ - ١٩٨٠) %

الدولة	نسبه مساهمة الزيادة الطبيعية فى النمو الحضرى السنوى %	نسبة مساهمة الهجرة وإعادة التصنيف فى النمو الحضرى السنوى %	الدولة	نسبه مساهمة الزيادة الطبيعية فى النمو الحضرى السنوى %	نسبة مساهمة الهجرة وإعادة التصنيف فى النمو الحضرى السنوى %
كينيا	٥٢,٦	٤٥	بوركينافاسو	٤٧,٤	٥٥
تنزانيا	٢٨,١	٤١	كوت ديفوار	٦١,٩	٥٩
زيمبابوى	٤٠	٣٥	جامبيا	٦٠	٦٥
بتشوانا	٤٦,٣	٤٠	ليبيريا	٥٣,٧	٦٠
غانا	٥٨,٥	٦٠	السنغال	٤١,٥	٤٠
توجو	٥٩,٧	٥٦	سيراليون	٤٠,٣	٤٤
جنوب افريقيا	٧٤,٤			٢٥,٦	

المصدر : نسبة الهجرة وإعادة التصنيف من :

- E CA , (1994), Pattern , Causes and consequences for
development Planning of Female Migration in Selected ECA
Member States, Dec. 1994, ECA / POP./ TP 194 / 3 (6) . P. 70.

من إستقراء الجدول يتضح إرتفاع مساهمة الهجرة فى النمو الحضرى فى كل من تنزانيا إلى ٦١.٩٪ وجامبيا ٦٥٪ وليبيريا ٦٠٪ وزيمبابوى ٦٠٪، وفى كوت ديفوار ٥٩٪ وفى بوركينافاسو إلى ٦٠٪ وفى بتشوانا إلى ٥٣.٧٪، وبذلك ترتفع عن مساهمة الزيادة الطبيعية فى ذلك النمو، والتي تصبح غالبية فى كينيا ٥٢,٦٪ وغانا ٥٨,٥٪ وتوجو ٥٩,٧٪ والسنغال ٦٠٪ وسيراليون ٥٦٪ ويتضح من تحليل هذه الأرقام التقارب النسبى فى مساهمة تلك المكونات مع وضوح مساهمة الزيادة الطبيعية، مع عدم الإستهانة بنسبة مساهمة عامل الهجرة والتي

ترتبط فى إفريقيا بالتفاوت الإقتصادى وجذب مناطق الصناعة والتعدين وخاصة تعدين الماس والذهب فى جنوب إفريقيا، وتعدين النحاس فى زامبيا وزائير الخ. والمزارع الواسعة فى شرق إفريقيا ونشاط التجارة والخدمات فى العواصم والموانى، وتساهم الهجرة بنصيب وافر فى الدول والمدن التى تتميز بإرتفاع معدلات النمو السنوى لسكان الحضر عن معدل النمو العام.

لذلك تتميز المدن الكبرى سريعة النمو بإرتفاع نسبة المهاجرين وانخفاض نسبة المولودين بها خاصة فى الفئات العمرية الوسطى التى تمثل القوة العاملة المهاجرة نسبة كبيرة منها، كذلك بين الذكور بهذه الفئات العمرية مما يؤثر على هرم السكان العمرى النوعى لسكان المدن المتأثرة بالهجرة عنه فى المدن غير الجاذبة للهجرة، وكذلك عن هرم السكان العمرى النوعى فى المناطق الطاردة وخاصة المناطق الريفية كمحصلة لتأثر التركيب العمرى والنوعى للسكان بالهجرات بأنواعها. ويوضح الجدول رقم (١٨) مدى إنخفاض نسبة المولودين فى بعض المدن الكبرى إلى جملة سكانها الذين ترتفع نسبة المهاجرين بينهم بدرجة ملحوظة، ومن الملاحظ أن معظم المولودين بالمدن الكبرى من الفئات العمرية الصغيرة، كما أوضحت الدراسات المسحية والتفصيلية لبعض المدن الإفريقية، فقد وجد فى لوساكا أن معظم المولودين بها من الأطفال، وكذلك معظم المولودين بالمدن الكبرى فى زامبيا وكينيا وتنزانيا وأوغندا خلال السنوات منذ ١٩٦٠ إلى ١٩٨٠ (٧٧). كما يتضح إرتفاعها فى بعض المدن الأخرى.

تركز الدراسات بإستمرار على أهمية دور الهجرة الريفية الحضرية فى إفريقيا، إلا أن الدراسات التفصيلية قد أكدت أن أنماط الهجرة الداخلية الأخرى ذات أهمية واضحة فى حالات عديدة حيث وجد (Zachariah and Comde : 1981) فى غانا أن نسبة واضحة من المهاجرين إلى المدن الكبرى قد نزحوا من مدن أخرى صغيرة، كما اتضح "لبيل" سنة ١٩٧٢ Peil من خلال مسح عمال الصناعة أن ١٩٪ فقط ولدوا بالمدينة بينما ٧٪ نزحوا من مدن كبرى

جدول ١٨

التوزيع النسبي لسكان المدن الإفريقية حسب محل الميلاد
نسبة المولدين بالمدينة إلى نسبة المهاجرين إليها (٧٨)

البلد	نسبة المولدين بالمدينة من جملة السكان	نسبة المهاجرين من جملة سكان المدينة %	البلد	نسبة المولدين بالمدينة من جملة السكان	نسبة المهاجرين من جملة سكان المدينة %
(١) نيروبي - كينيا	٢٦	٧٤	بلا تيرى - مالاوى	٢٧	٧٣
مومباسا - كينيا	٣٩	٦١	العاصمة ليلونجاوي	٢٥	٧٥
دار السلام (تنزانيا)	٣٢	٦٨	اكرا - غانا	٥٠	٥٠
مدينتي تنزانيا الأخرى	٢٦ - ٢٨	٦٤ - ٧٢	كوباسي - غانا	٥٣	٤٧
كمبالا - أوغندا	٣٠	٧٠	سلكوندي - تانزانيا	٢٧	٧٣
لوساكا - زامبيا	٢٦	٧٤	ايبيجان - كوت ديفوار	٢٤	٧٦
مدينتي نزامبوس	٢٥	٧٥			
لاجوس	٥٠	٥٠	باماكو - مالي	٦٤,١	٣٥,٩
(٢) القاهرة	٧١,٩	٢٨,١	تونس (٣)	٦٩,٦	٣٠,٤
الجيزة	٧٢,٣	٢٧,٧	تونس	٦٦,٢	٣٣,٨
الاسكندرية	٨١,٧	١٨,٣	طنجة	٥٨	٤٢
الخرطوم	٥٦,٥	٤٣,٥	طنجة	٦٠,٧	٣٩,٣
			الدار البيضاء	٥٥	٤٥

المصادر : النسب مستخرجة من مصادر عدة هي :

(١) - نسب المولدين بالمدينة الإفريقية جنوب الصحراء من.
Connor, A.O. ; (1983) , op.cit , pp. 60 - 62.

نسب باماكو من
- Thiam , B., (1994) , Environmental impact on Migration and on the spatial Redistribution of the Population in Mali ; in Population Environment Development, U. N, PP. 175 - 185.

(٢) - نسب المولدين بالقاهرة والجيزة والخرطوم والاسكندرية من.

- فتحي محمد ابو عناية (١٩٨٧)، مرجع سابق ص ٧.

- نسب مدينة تونس من

(٣) - عزيزة محمد على بدر (١٩٨٤)، الجمهورية التونسية ، مرجع سابق ص ٢٢٥.

- نسب مدينة طنجة من.

- عزيزة محمد على بدر (١٩٩٧)، مدينة طنجة، مرجع سابق ص ٢٠٨.

- نسب الدار البيضاء من

Direction de la statistique (CERED), (1992), Population et Emploi , Rabat , P 117.

- نسب المهاجرين من حساب الباحثة.

أخرى، و ٢٨٪ ترحل من مدن صفري، و ٤٦٪ ينتمون إلى مناطق ريفية، أي ٣٥٪ نتيجة هجرات حضرية - حضرية، و ٤٦٪ هجرات ريفية - حضرية. كما أكد "كالدويل" من خلال مسح سنة ١٩٦٩ أن الهجرة الريفية ذات تأثير كبير مع وجود الأنماط الأخرى، كما تميزت نيجريا أيضا بخروج على النمط العام للهجرة تجاه المدن. ويعكس الإختلاف الحاد في التركيب الديموجرافي لسكان المدن. التناقض الحاد في أنماط الهجرة السابقة والتالية، سواء في لاجوس أو في المدن التي جذبت الهجرات مثل كادونا وجوس حيث ٣٠٪ فقط من سكان هذه المدن قد ولدوا بها، و ٧٪ فقط من البالغين في كادونا ولدوا بها أيضا، ومعظم البالغين وفدوا إلى المدينة منذ سنة ١٩٦٠، كما أشارت المسوحات إلى أن الهجرة بين المدن واضحة. كما إنعكس إتجاه بعض تيارات الهجرة مع التغيير الإداري، وقد جذبت بعض المدن القديمة تيارات من الهجرة في الفترة الأخيرة. كما حدث نمو كبير كمحصلة لتيارات الهجرة في المدن الشرقية، كما عرفت نيجيريا الهجرات العائدة أيضا^(٧٩) وللعوامل الاقتصادية دور في ذلك.

وقد كان من أهم نتائج دراسة تيارات الهجرة التي قامت بها الباحثة في الجمهورية التونسية أن ٦٩٪ من حجم الهجرة كان هجرة حضرية أي نزوح حضري، بينما ٣١٪ من حجم الهجرة كان نزوحاً ريفياً، وكان ٥٠٪ من المهاجرين يمثلون هجرات حضرية - حضرية، و ١٨٪ هجرات ريفية - حضرية، وفي المقابل كان حوالي ١٦,٣٪ هجرة حضرية - ريفية، بينما ١٤,٧٪ ريفية - ريفية، وذلك في تعداد عام ١٩٧٥. والواقع أن معظم الهجرات الحضرية نازحة من مدن داخلية وجنوبية صغيرة صوب العاصمة التي استقطبت ٦٠٪ من جملة المهاجرين في الدولة يمثلون ثلث سكانها^(٨٠).

كما إتضح أيضاً من الدراسة التفصيلية لمدينة طنجة أن حوالي ٢٥٪ من المهاجرين إلى المدينة في عام ١٩٨١ ينتمون إلى أصل حضري يمثلون حوالي ١٠٪ من سكان المدينة، ترجع نسبة كبيرة منهم إلى موظفي الإدارات المختلفة

كما جذبت الصناعة نسبة كبيرة منهم إلى جانب نشاط الميناء والسياحة (٨١)، وهى نموذج لعاصمة إقليمية وميناء مهم، كما أثبتت الدراسة مساهمة كل من الزيادة الطبيعية والهجرة فى نمو المدينة بـ ٥٠٪ لكل منهما.

بينما أثبتت دراسة حديثة أن الهجرة الريفية - الحضرية تمثل أهم أنماط الهجرة فى تنزانيا، ويمثل المهاجرون نصف سكان دار السلام عام ١٩٨٨، كما إرتفع معدل الهجرة من الريف إلى الحضر من ٩,٨٪ عام ١٩٦٧ إلى ١٦,٤٪ ١٩٨١، وقد أرجعت الدراسة التحضر السريع فى تنزانيا إلى الهجرة الداخلية والريفية - الحضرية خاصة (٨٢).

ويظهر أثر الهجرة الخارجية كمكون للمدن حينما يرتفع حجم ونسبة الأجانب بالدولة حيث يسكن هؤلاء المدن عادة. كما فى كوت ديفوار التى كان الأجانب يمثلون ٢١,٣٪ من جملة سكانها، وجامبيا ١٠,٦٪ سنة ١٩٩٠ (٨٣)، وكما كانت ومازالت مدن التعدين فى جنوب إفريقيا، وقد ميز المدن فى عصر الإستعمار جذبها للأجانب والمستوطنين بنسبة كبيرة مما أثر فى نموها فى تلك الفترة، كما تظهر هجرة العمالة واضحة.

والخلاصة أن الهجرة الداخلية جزء مكون للنمو فى معظم المدن الكبرى لكن الإختلاف فى سرعتها وتباينها مكانياً، ومازال معدل صافى الهجرة السنوية متزايداً فى بعض المدن، وتؤدى التباينات الثقافية والاقتصادية والادارية وعدم الدقة فى البيانات إلى ظهور نتائج مبالغ فيها عن صافى الهجرة الريفية - الحضرية. ومن الملاحظ أيضاً الإتجاه نحو تزايد تيارات الهجرة الحضرية - الحضرية فى إفريقيا نسبياً. وتكمن الدوافع الاقتصادية والاجتماعية وراء إتخاذ قرار الهجرة، كما كان للجفاف دور كبير فى تحركات النازحين فقد أكدت دراسة لأسباب الهجرة فى مالى أن ٥١,٥٪ من حالات الهجرة كانت بسبب الجفاف و٤٥,٧٪ كانت لأهداف العمل أو الدراسة، و٢,٨٪ لأغراض عائلية أو أخرى. ويرتبط النزوح عامه بفئات العمر من ١٥ إلى ٢٤

سنه وكذلك كبار السن من ٦٠ سنة إلى ٧٩ سنة أو أكثر بصفة عامة، بينما إرتبطت الهجرة بسبب الجفاف بصغار السن حتى ٣٥ سنة، أما الهجرة للعمل فقد إرتبطت بها فئات العمر من ٣٥ إلى ٦٠، وأما الفئات الأكثر من ٦٠ سنة فقد إرتبطت بالجفاف أيضاً (٨٤).

سابعاً: مشكلات الحضرية فى إفريقيا.

للمدن خصائص مميزة من التركيب الاقتصادى ومستوى البنية الأساسية والخدمات الاجتماعية التى تقدم لسكانها، كما تتمتع المدن كذلك بدرجات من التدخل فى عمليات التخطيط التى غالباً ماتعكس خلفيتها التاريخية، إلا أن النمو السريع للمدن الإفريقية-الذى مازال مستمراً- والناتج عن ارتفاع كل من معدلات الهجرة إلى المدن، والزيادة الطبيعية للسكان وسكان المدن والمتصافر مع فقر الدول الإفريقية وظروفها الاقتصادية والطبيعية، أدى إلى تدهور نوعية الحياة الحضرية وفسادها، وعجزت المدن عن تحقيق رغبات سكانها بتوفير مستوى لائق من المعيشة لكل السكان، فأصبحت المدن الإفريقية والكبرى منها خاصة، مواجهة بتحديات ومشكلات كبيرة بات بعضها مزمناً. وعلى الرغم من ذلك مازالت معدلات النمو مرتفعة ومازال توسع المدن وتدهورها -فى آن معاً- مستمراً.

ولقد كان من المعتقد أن فساد وتدهور نوعية الحياة فى المدن الكبرى سيؤدى إلى انخفاض معدلات الهجرة الريفية الحضرية وغيرها إلى المدن، كما كان من المعتقد أيضاً أن سرعة التحضر ستحفز الطلب على البضائع من اقتصاديات المناطق الريفية، وبالتالي تنتعش هذه الاقتصاديات فترتفع الأجور وتحسن بالتالى أحوال المعيشة فى المناطق الريفية، ويكون الإتجاه نحو التوازن بين الحضر والأرياف مما يشجع على الإنتقال نحو النمط الغربى -Western Style اقتصادياً وينمو بالتالى اقتصاد صناعى حضرى إفريقياى African Urban-industrial economy لكن ماحدث خلال عقود مابعد الستينيات كان عكس هذه التصورات. فلم يحدث أى توازن بين الريف والحضر، وأدت ظروف

الأرياف إلى تفاقم الهجرات والنزوح لأسباب عديدة سبقت الإشارة إليها يرتبط بعضها بضوابط بشرية، والبعض الآخر بكوارج بيئية طبيعية. ولم تتطور المدن صوب النمط الغربى ولم يقم بها اقتصاد صناعى حضرى قوى، حيث لم يرتبط التحضر بالصناعة فى إفريقيا على عكس الدول الغربية المتقدمة. وبالتالي تميزت المدن الإفريقية بسيادة الأنشطة غير الرسمية Informal Activities أو ما يطلق عليها القطاع الثالث البدائى Primitive الذى يتكون من التجارة وبعض لأعمال والخدمات اليومية الصغيرة والتي تتميز بقوة العمل الصغيرة وتصنف ضمن العمالة لحسابها عادة أى عامل واحد أو أكثر، كما تتميز بإنتشارها الواسع بحيث أصبحت واحدة من أكثر الملامح وضوحاً فى المناطق الحضرية، رغم صعوبة التحديد ونقص البيانات، وبالتالي يلجأ إليها السكان لدراء الفقر رغم تضاعف الدخل من هذه الأنشطة وإنخفاض القيمة الاقتصادية المضافة، بالإضافة إلى أن إنتاجية العامل ضئيلة ورأس المال المستخدم عادة ما يكون ضئيلاً أيضاً كما لا يوفر أمن وظيفى كاف، وقد قدر أن حوالى ٥٠ إلى ٧٠٪ من سكان المناطق الفقيرة بمدن العالم النامى يعملون فى هذا القطاع مما يعكس عدم التوازن فى توزيع العاملين بين قطاعات الأنشطة الاقتصادية الحضرية، كما يعكس العلاقة بين حجم القوة العاملة وزيادة الطلب على العمل من ناحية، وندره فرص العمل المتاحة بشكل عام من ناحية أخرى وقد يفوق حجم العمالة بهذا القطاع من الأنشطة حجم العمالة بكافة الأنشطة وقطاعات الإنتاج الأخرى عدا الزراعة، وقد قدرت نسبة العاملين بهذه الأنشطة بحوالى ٣٠٪ من العاملين بالحضر فى إفريقيا عام ١٩٧٠، وتتباين النسب من دولة إلى أخرى ومن مدينة الى أخرى، ومن منطقة إلى أخرى داخل المدينة الواحدة.. كما تتباين بين فترة وأخرى اذ قدرت نسبة العاملين بهذه الأنشطة بحوالى ٤١٪ من قوة العمل الحضرية فى جمهورية تنزانيا عام ١٩٧١، وبحوالى ٢٢,٧٪ من قوة العمل بمدينة نيروبي عام ١٩٧٠.

وقد تطورت العمالة بهذا القطاع غير الرسمى Informal Sector لتشمل

٢ من كل ٥ عمال أو أكثر من ٥٠٪ من قوة العمل الحضرية بالقارة عام ١٩٩٠

وقدر العاملين به بحوالى ٥٣٪ في غانا و ٥٩٪ في نيجيريا و ٥١٪ فى تنزانيا وذلك من قوة العمل الحضرية بهذه الدول عام ١٩٩٢، مما يؤكد تزايدهم ويؤكد ايضا عجز القطاع الرسمى على إستيعاب العاطلين^(٨٥).

ومن هنا تبرز أهم خصائص اقتصاديات المدن فى العلم النامى حيث التناقض Contradiction الواضح بين الفقر والوفرة Poverty and Plenty ويدعم من هذا التناقض حالة المهاجرين الذين يتميز معظمهم بإنخفاض مستوى المهارة والتعليم فتظهر الازدواجية الاقتصادية التى تتمثل فى اقتصاديات البزّار Bazar Economy حيث الأنماط الاقتصادية غير الرسمية Informal إلى جانب الأنشطة الرسمية Formal وقد توصلت الباحثة من دراستها لمدينة طنجة، على سبيل المثال-إلى ارتباط الأنشطة غير الرسمية أو الأنشطة الصغيرة بأنماط المسكن غير الرسمية أيضاً فقد كانت نسبة العمالة المستقلة حوالى ٢٠،٢٪ على مستوى مجمعة طنجة الحضرية، وترتفع إلى ٤٥،٢٪ من العمالة القاطنة بأنماط المسكن غير القانونى (العشوائى) المبنى، وإلى ٤١،٦٪ بأنماط المسكن الإقتصادى غير المخطط وإلى ٣٦٪ بين السكان العاملين القاطنين بأنماط المسكن العشوائى المؤقت (دور الصفيح) بينما تنخفض الى ١٨،٥٪ بين العاملين القاطنين بنمط القيلات (السكن الفردى) و ١٣٪ بين سكان العمارات عام ١٩٨١^(٨٦). كما ترتفع النسب عن ذلك فى المدن الرئيسية الكبرى، والعواصم حيث التناقض يكون أكثر وضوحا، ذلك رغم تحيز الحكومات وتركيزها للمشروعات التنموية الكبرى فى هذه المدن، مما ينبه إلى مشكلة أخرى وهى جاذبية هذه المشروعات للهجرات وبالتالي تتفاقم المشكلات الحضرية خاصة مع توقيع المشروعات الكبرى بالهوامش مما يزيد من تمدد المدن على حساب البيئة المحيطة، مما يؤدي الى تدهورها من جهة وتفاقم مظاهر تدهور نوعية الحياة الحضرية وتعميق فكرة الإزدواجية الحضرية، والعزل السكنى بالمدن الإفريقية والكبرى خاصة، وهى إحدى خصائص هذه المدن والتي إرتبطت بالاستعمار وإستمرت بعد الإستقلال مما أدى إلى تراكم الفقر.

١. إرتباط النمو الحضري السريع بالفقر الحضري Urban Poverty .

يعتبر سكان إفريقيا فقراء باى مقياس من المقاييس ويعد الفقر أحد اسباب النمو السريع للمدن كما يعد أيضا أحد أهم نتائج هذا النمو، ولقد أصبح يقينا إرتباط النمو السكاني والحضري السريع بإنتشار الفقر فى القارة فقد اكدت الدراسات العديدة للبنك الدولى وغيره من الجهات المختصة -تزايد الفقر فى إفريقيا بسرعة تفوق معدل تزايدها فى أى من مناطق العالم الأخرى، كما تشير هذه التقارير إلى تناقص الفقر والفقراء نسبة وعدداً فى مناطق عديدة من العالم فيما عدا إفريقيا جنوب الصحراء ودول شمال إفريقيا والشرق الأوسط وأمريكا اللاتينية، إلا أن معدل تزايدها فى إفريقيا جنوب الصحراء يسبق كل المناطق الأخرى وهذا ما يوضحه الجدول رقم (١٩) (٨٧)، حيث يمثل السكان دون خط الفقر ١٨٤ مليون ساكن بنسبة ٤٧,٦٪ من جملة سكان إفريقيا جنوب الصحراء سنة ١٩٨٥ وصل عددهم إلى ٢١٦ مليون ساكن بنسبة ٤٧,٨٪ سنة ١٩٩٠ ومن المتوقع تزايدهم الى ٣٠٤ مليون ساكن بنسبه ٤٩,٧٪ من جملة السكان سنة ٢٠٠٠، ويتكرر نفس الوضع بالنسبة لدول شمالى القارة الإفريقية حيث تزايد عدد السكان دون خط الفقر.

جدول ١٩
الفقر فى إفريقيا والدول النامية سنوات (١٩٨٥ - ١٩٩٠ - ٢٠٠٠) (٨٧).

عدد الفقراء دون خط الفقر بالمليون			نسبة السكان دون خط الفقر سنة %			
٢٠٠٠	١٩٩٠	١٩٨٥	٢٠٠٠	١٩٩٠	١٩٨٥	
١١٠,٧	١١٢,٣	١٠٥,١	٢٤,١	٢٩,٧	٣٠,٥	كل الدول النامية
٥١١	٥٦٢	٥٣٢	٣٦,٩	٤٩	٥١,٨	جنوب آسيا
٧٣	١٩٦	١٨٢	٤,٢	١١,٣	١٣,٢	شرق آسيا
٣٠,٤	٢١٦	١٨٤	٤٩,٧	٤٧,٨	٤٧,٦	إفريقيا جنوب الصحراء
٨٩	٧٣	٦٠	٣٠,٦	٢٣,١	٣٠,٦	الشرق الأوسط وشمال إفريقيا
٤	٥	٥	٥,٨	٧,١	٧,١	شرق أوروبا
١٢٦	١٠,٨	٨٧	٢٤,٩	٢٥,٥	٢٢,٤	أمريكا اللاتينية والكاريبي

ECA, (1995), Economic and Social Survey of Africa, 1994-1995, u.n, Addis Ababa, p. 61.

المصدر

من ٦٠ مليون ساكن عام ١٩٨٥ إلى ٧٣ مليون عام ١٩٩٠ ومن المتوقع تزايدهم إلى ٨٩ مليون ساكن عام ٢٠٠٠، يمثلون ٣٠,٦ و ٣٣,١٪ و ٣٠,٦٪ من جملة السكان على التوالي. بينما يتناقص عدد أكثر الفقراء فقراً في أقاليم جنوبى وشرقى آسيا، وشرقى أوروبا ويرتفع فقط في أمريكا اللاتينية من ٨٧ مليون إلى ١٠٨ مليون إلى ١٢٦ مليون بنسبة ٢٢,٤٪ ثم ٢٥,٥٪ ثم ٢٤,٩٪ على التوالي بين السنوات ١٩٨٥-١٩٩٠-٢٠٠٠. مما يؤكد ما ذكرناه من أن الفقر إفريقيا يرفع من درجته الجفاف والكوارث والحروب وتدنى أسعار المحاصيل وإنخفاض الأجور وتدهور البيئة وعوامل أخرى كثيرة في الأرياف والحضر على السواء. وتضم إفريقيا أكثر من ربع حالات الفقر المطلق في العالم ١٩٩٥ وتشير المصادر إلى تزايدة بمقدار الثلثين بين عامى ١٩٧٠ - ١٩٩٥ ومن المتوقع أن تضم إفريقيا أكثر من ثلث فقراء العالم عام ٢٠٠٠.

وينتشر الفقر بين معظم دول القارة وتمثل دول إقليم الساحل ودول القرن الإفريقى وزائير أفقر الدول الإفريقية لكن موزمبيق هى الأفقر بينهم، أما جنوب إفريقيا فرغم غناها الواضح بالثروة المعدنية الا أن تميزها بسوء توزيع الدخل وعدم التساوى فى توزيع الثروة إبان الفترة العنصرية أدى إلى تزايد حجم الفقر بين السود خاصة، بينما ينخفض حجم الفقر فى الدول البترولية مثل ليبيا والجاون والجزائر، حيث حجم السكان أيضا متوسط، أما نيجيريا فترتفع بها نسبة الذين يعيشون فى فقر مطلق بسبب ضخامة حجم السكان وسرعة نموهم بالإضافة إلى إنخفاض أسعار البترول، بينما تتميز الجزر الإفريقية مثل سيشل وموريشيوس بمستوى دخل مرتفع نسبياً بسبب أنشطة السياحة وإنتاج السكر. ويزداد الفقر مع الحروب حيث يرتفع عدد اللاجئين^(٨٨) ومع تضايف الكوارث الطبيعية والمجاعات والحروب ونقص الموارد وضخامة حجم السكان وسرعة تزايدهم ينخفض الدخل ويعم الفقر، وقد يكون لسياسة الحكومات دور فى إنتشار الفقر، ويوضح الجدول رقم (٢٠)^(٨٩)، بعض المؤشرات المرتبطة بالفقر والفقر الحضرى فى دول إفريقيا، يتضح منه إرتفاع نسبه الذين يعانون من الفقر المطلق من دول القارة تصل إلى ٧٠٪ فى زائير، وإلى ٢٤٪ فى مصر.

جول رقم (٢٠)

بعض المؤشرات الدالة على الفقر والفقير الحضري في بعض الدول الإفريقية من

عام ١٩٨٠ إلى ١٩٩٤ (٨٩).

دليل التنمية البشرية سنة ١٩٩٤	المعدل السنوي لنمو نسب الفرد من الناتج القومي الإجمالي من سنة ١٩٨٠ إلى ١٩٩٤	نسبة اللذين يعيشون في فقر ١٩٩٣ - ١٩٨٠		نسبة اللذين لا يحصلون على		الدولة
		مطلق من سنة ١٩٨٠	جملة %	مياه صحية	مياه موفى	
تسمية بشرية متوسطة	٦,١+	٤٧	٦٤	صفر	صفر	بوتسوانا
١١	٢,٨+	٣٤	٣٤	٥	صفر	مصر
١١	١,٠-	-	-	٢	٨	تايبيا
تسمية بشرية منخفضة	٢٦-	٤٣	٥٠	٤٥	٣٥	مدغشقر
١١	٣, -	-	٨٠	٢٥	صفر	زايبيا
١١	,٤-	٤٠	٥١	٦٠	١٩	نيجريا
١١	١,٨-	٧٠	٩٠	٥٤	٣٤	زائير
١١	-	-	٨٥	١١	٤٥	السودان
١١	٤,٦-	-	-	٤١	٣٠	كوت ديفوار
١١	,٨-	-	٦٠	٣٦	٣٣	تنزانيا
١١	,٨-	-	٨٠	٦٦	٣٣	موريتانيا
١١	-	٦٠	٧٠	٥٦	٥٠	الموغال

المصادر : جميع من عدة مصادر :

- برنامج الأمم المتحدة الإنمائي (١٩٩٥). تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٤. الترجمة العربية مركز دراسات الوحدة العربية بيروت. ص ١٦٠ - ١٦١.
- البنك الدولي : (١٩٩٦) تقرير عن التنمية في العالم ١٩٩٦. الترجمة العربية، مركز الأهرام للترجمة والنشر، مؤسسة الأهرام، القاهرة ص ٢٣٨ - ٢٣٩.

ومن الملاحظ أيضا انخفاض المعدل السنوى لنمو نصيب لفرد من الناتج القومى الإجمالى فى معظم الدول المذكورة والتي يرتبط بها إرتفاع معدلات البطالة الى حد كبير قد يصل إلى ٣٠٪ مع نهاية القرن والتي تعد إحدى أهم مشكلات النمو السكانى السريع والنمو الحضرى الأسرع.

أما الفقر الحضرى Urban Poverty^(٩٠) فى إفريقيا فقد إتسع مدى إنتشاره ليشمل ربع سكان الحضر فى القارة، فى مقابل ٦٠٪ بين سكان الأرياف، ويشير الواقع إلى أن هذه النسب تقريبيه ولا تعبر عن الواقع حيث ينتشر الفقر فى الهوامش الحضرية وشبه الحضرية المحيطة بالمدن - والتي سبقت الإشارة إلى عدم تضمينها رسميا للمدن عند تقدير حجمها حتى تنضم إدارياً بتوسع حدود المدينة أو تحويل القرى إلى بلديات حضرية - ويعد فقر الحضر أخطر أنواع الفقر وأشدّها قسوه رغم الانخفاض الواضح فى نسبه فقراء الحضر مقارنة بنسبه فقراء الأرياف ويرجع ذلك إلى ارتباط الفقر الحضرى بمظاهر ومشكلات عديدة ومتداخلة لعل أهمها التشرّد وعدم توافر المأوى بينما يتوافر المأوى لفقراء الأرياف، كما يرتبط فقر الحضر بنقص المأكل والملبس والعمل وإنتشار الامراض وتفشى الجرائم.. الخ و الأهم من ذلك يتميز الفقر الحضرى بسرعة إنتشاره مواكبا لسرعة النمو الحضرى كما أن فقر الأرياف يؤدى الى دفع الفقراء للنزوح صوب المدن التى تعد الملاذ والأمل بالنسبة لهم فى الحصول على عمل بأجر مناسب مع توافر مغريات المدينة الأخرى، والنتيجة هجرة فقراء الأرياف إلى المدن فأصبحوا فيها أفقر.

ومع إرتفاع معدلات صافى الهجرة والخصوبة والزيادة الطبيعية بالمدن يتحضر الفقر Urbanization of Poverty الذى بات مستلقيا على أرض المدن ممثلا فى نقص حاد فى المأوى وبيروز مشكلة الاسكان كأهم مفاتيح مشكلات المدن وفى أزمات المرور والمواصلات وانقطاع الكهرباء وعدم وجودها أصلا فى الهوامش والمناطق العشوائية وكذلك خدمات إمدادات مياه الشرب المأمونه، والصرف الصحى وجمع النفايات والتخلص منها بطرق مأمونه، مع نقص حاد

فى سائر الخدمات المرتبطة بالبنية الأساسية والاجتماعية، كالخدمات التعليمية والصحية بالإضافة إلى التفاوت الاجتماعى الكبير بين المناطق المخططة المرتبطة بوسط المدينة وضواحي الأثرياء من السكان، ومناطق سكنى لطبقات الفقيرة من الوطنيين فى المدن العتيقة أو التقليدية الوطنية Indogenous أو فى المناطق المتدهورة القذرة داخل المدن Urban Slums أو فى الهوامش شبه الحضرية حيث تنتشر مستعمرات وضع اليد غير المحكومة Squatter Settlements وسائر أشكال وأنماط الإسكان المتدنى Substandard Housing رسمية أو غير رسمية مبنية، أو مؤقتة، ومن هنا كانت الإزدواجية السكنية والاجتماعية شديدة الوضوح بالمدن الإفريقية حيث يمكن التمييز بين الطبقات الاجتماعية بالمدينة وهوامشها، كما يتضح العزل السكنى مرتبطاً بذلك التمييز. ومن هنا تبرز مشكلة الإسكان وافتقار نسبة كبيرة من المساكن والسكان لعناصر الخدمات الأساسية الواجب إمداد المساكن بها.

٢ - مشكلات الإسكان وتدهور نوعية الحياة الحضرية :

لقد جذبت نوعية الحياه فى المدينة المهاجرين اليها، لكن ماذا عنها بعد إزدياد نموهم وتسارعه وإحتلالهم لمناطق شاسعه منها وحولها؟ إن الإجابة على هذا السؤال تعبر عما تعانيه المدن الإفريقية خاصة والدول النامية عامة من مشكلات، ومن الواضح ان تستمر هذه المشكلات لعقود قادمة بسبب استمرار عوامل الطرد فى الأرياف والمدن الصغيرة واشتدادها من أن لأخر، وكذلك بسبب خصائص التركيب العمرى لسكان المدن، حيث يورث الفقر ويزداد إنتشاراً نظراً لتزايد معدلات نمو سكان المناطق المتدنية والهامشية بمعدلات أسرع من نمو السكان فى مناطق الإسكان الراقى لأصحاب الدخل المرتفعة، حيث تتفاعل جغرافية الطبقة الاجتماعية بشده مع جغرافية الإسكان.

ويصعب الحصول على بيانات دقيقة تعبر عن تلك المشكلات إلا أنها ظاهرة واضحة، وتشير بعض التقديرات إلى ارتفاع نسبة من لأموى لهم فى الدول النامية وإفريقيا لتشمل ثلث السكان أو أكثر وقد سبقت الإشارة إلى ارتفاع

نسبة سكان المناطق السكنية الهامشية والمتدنية فى بعض المدن والدول الإفريقية الى أكثر من ٥٠٪ حيث الاكواخ ودور الصفيح والمساكن المؤقتة والعشوائية غير القانونية، كما تشير التقديرات إلى ارتفاع نسبة المساكن المستأجرة على حساب المساكن المملوكة لقاطنيها، فقد إرتفعت بين سكان الحضر فى زامبيا على سبيل المثال، من ١٪ عام ١٩٦٠ إلى ٦٥٪ عام ١٩٨٠، وفى مالوى من ٦٠٪ عام ١٩٧٠ إلى ٧٥٪ عام ١٩٨٠، كما قدر أن ١٧٪ من جملة المباني فى العالم قد شيدت كمأوى من غرفة واحدة شيدت ثلاثة أرباعها فى الدول النامية، ترتفع النسبة فى افريقيا الى ٤٢٪ فى الأرياف و ٣٥٪ فى الحضر وذلك فى العقد الاخير من القرن العشرين، بدرجة تزامم يصل متوسطها إلى ٢,٣ ساكن/غرفة وقد ترتفع عن ذلك كثيراً إلى ١٠ ساكن/غرفة نظراً لارتفاع حجم الأسر المعيشية فى هذه المناطق، ومن أسوء حالات السكن أن تتناوب أكثر من اسرة على الغرفة الواحدة وهذه الحالة مألوفة فى المناطق الفقيرة بمدن إفريقيا والدول النامية^(٩١). وترتفع نسبة الأسر القاطنة بمسكن حضرى من غرفة واحدة الى ٣٦٪ فى أثيوبيا بينما قدرت بحوالى ٢٧٪ فى مدينة أديس أبابا و ٥٣,٦٪ فى مدينة أسمره، وبحوالى ٢٢٪ فى مالوى بينما النسبة فى مدينة بلانتيرى حوالى ٢٠٪ تصل إلى ٤٠٪ للقاطنين بمسكن مكون من غرفتين، أما النسبة فى مدينة ليلونجوى Lilongwe العاصمة الجديدة لمالوى فتصل إلى ٢٢,٥٪، و ٧٥٪ فى كوماس بغانا بينما قدرت بحوالى ٢١٪ لسكان الحضر فى المغرب و ٧,٧٪ فى تونس بينما ارتفعت فى المسكن المكون من حجرتين إلى ٣٨,٨٪ و ٣٣٪ و ٢٠٪ من جملة سكان مدينة ليلونجوى والحضر فى المغرب وتونس على التوالي^(٩٢).

أما فى مصر فقد نكر التعداد أن ١٠,٨٪ من جملة سكان مصر يسكنون بمسكن مكون من غرفة واحدة (مشترك) بينما قدر سكان المناطق غير الرسمية (العشوائية) بحوالى ٣٧٪ من جملة سكان الحضر فى مصر يصل عددهم إلى ١١,٥ مليون ساكن تفاوتت نسبتهم بين المحافظات على مستوى الحضر بين

٣٦٪ للقاهرة و٥٩,٩٪ فى الجيزة و٣٥,٤٪ فى الإسكندرية، و٤٥,٩٪ فى القليوبية و٤٦,٤٪ فى السويس، و٤٣,٧٪ فى بورسعيد^(٩٣). ولا ترتبط درجة التزاحم المرتفعة بالمساكن غير الرسمية فقط بل تُميز المساكن التى بينها القطاع العام فى النول الإفريقية للفقراء ومتوسطى الدخل فى بعض الأحيان.

ويرتبط الانفجار الحضرى بالحاجة المستمرة إلى توفير المسكن، وتؤكد الزيادة المستمرة فى أنماط المساكن غير الرسمية فشل معظم الحكومات فى توفير المسكن لسكان المدن، وتشير إلى ذلك دراسات عديدة، من أمثلتها دراسة عن الحضر فى تنزانيا ومدينة دار السلام (عام ١٩٨٤) أكدت تزايد مساكن مستعمرات وضع اليد غير المحكومة Squatters من ٥٠٠٠ مسكن عام ١٩٦٠ إلى ١٤٧٢٠ مسكن عام ١٩٦٩ تزايدت إلى ٤٣٥٠١ مسكن عام ١٩٧٩، أي تضاعفت حوالى ثلاثة أضعاف وهو ما يحدث فى القطاع الرسمى الذى لا يحقق تزايداً بهذة النسبة وقد قدر أن هذه المساكن استهلكت ٢٣٤٩ هكتار بمتوسط كثافة ٢٠٤ ساكن/هكتار وقد سكانها بحوالى ٤٧٨,٤٨٩ ساكن بينما قدر سكان المناطق المخططة بحوالى ٣١٦٠٠٠ ساكن فقط. وقد أصبح العجز فى توفير المسكن الحضرى فى تنزانيا مستمراً خلال خطط التنمية فكانت الحاجة إلى ٢٧٠٠٠ مسكن خلال خطة ٦٤-١٩٦٨ تراكمت وأصبحت الحاجة إلى ٢٥٠٠٠٠ مسكن (ربع مليون مسكن) خلال الخطة الثانية والثالثة من ١٩٦٩ إلى ١٩٨٨ ومن المتوقع أن يتجاوز النقص فى المساكن ٢,٢٠٠,٠٠٠ مسكن (٢ مليون و ٢٠٠ الف مسكن) عام ٢٠٠٠، وترتفع الكثافة إلى أكثر من ٣ ساكن/غرفة وتصل الى ١٥-١٠ ساكن/غرفة. ويرتفع حجم الأسر المعيشية إلى ١٥ شخص فى نسبة كبيرة من الأسر، أما عن نوعية الحياة الحضرية فى تنزانيا فقد أكدت الدراسة تدهورها إلى حد كبير لعل أبرز مظاهرها النقص الحاد فى مياة الشرب، إذ قدر أن ٥٢,٢٪ من الاسر يحصلون على المياة المأمونة من مصدر خارج نطاق السكن و٢٧٪ فقط يحصلون على إمدادات مياة الشرب من المسكن. بينما تعتمد نسبة كبيرة على صنابير مياة عمومية بعيدة

(١١,٥٪) وقريبة (٥,٧)، تتعرض للتلوث كثيرا مع معاناته جلب المياه منها (من خلال طوابير الانتظار الطويلة)، كما يقع هذا العمل على عاتق المرأة في معظم الأحياء الفقيرة بالمدن في إفريقيا وغيرها، كما توصلت الدراسة إلى أن ٨,٨٪ من الأسر تتصل بشبكة الصرف الصحي مباشرة وذلك من جملة الأسر في المناطق الحضرية في تنزانيا، كما أكدت الدراسة أن ٧٣,٢٪ من جملة الأسر الحضرية لا تحصل على الكهرباء مما يعكس نسبة الأسر في السكن العشوائي Squatters بالحضر في تنزانيا، حيث تبني المساكن بدون ترخيص بالبناء أو التخطيط المحلي، لذلك تعاني من نقص حاد في الامكانيات الأساسية والخدمات كإمداد المياه والكهرباء والصرف الصحي وجمع النفايات والخدمات الصحية والتعليمية^(٩٤) وقد قدرت نسبة ما يجمع من نفايات مدينة دار السلام بحوالي ٢١,٨٪ من جملة النفايات المنتجة بالمدينة، تصل النسبة إلى ١٧,٦٥٪ في دودوما Dodoma العاصمة الجديدة وإلى ٢٧,٥٪ بمدينة جوش، وإلى ٢٤,٢٧٪ من جملة النفايات المنتجة بالمناطق الحضرية في تنزانيا^(٩٥) مما يشير إلى الحالة الصحية والبيئية في هذه المناطق.

كما توصلت الباحثة أثناء دراستها لمدينة تونس إلى حقائق مشابهة إذ قدر سكان الأحياء الكوخية في تونس بحوالي ٥٠٥٠٠ ساكن عام ١٩٤٦. إرتفع عددهم إلى ١٠٥٠٠٠ ساكن عام ١٩٥٦ بنسبة زيادة قدرها ١٠٧,٩٪ يمثلون ٢٠٪ من سكان العاصمة تزايد عددهم وأصبحوا يمثلون ٢٥٪ عام ١٩٦٩، وقد تم حصر حوالي ٢٧٥٠٠٠ ساكن بهذه الكواخ عام ١٩٧٥، يمثلون ٢٥٪ من جملة سكان المدينة، بدرجة تزام شديدة الارتفاع تصل إلى ١٠,٣ ساكن/غرفة. ذلك في أحياء الملاسین والسيدة المنوبية يضاف إلى ذلك أعداد كبيرة من سكان المناطق المتدهورة بالمدينة العتيقة والمناطق القديمة التي هجرتها العائلات الحضرية العريقة إلى الضواحي.

وتتكرر الصورة السابقة بدرجات متفاوتة في معظم المناطق الحضرية في إفريقيا، وبوضوح الجدول السابق رقم (٢٠) نسبة سكان الحضر الذين

لا يحصلون على خدمات صحية ومياه شرب مأمونة ولا يتصلون بشبكات الصرف الصحي. منه يتضح ارتفاع تلك النسب بين الحضر في الدول المختارة إذ تصل في مدغشقر إلى ٣٥٪ و ٤٥٪ و ٨٨٪ في الخدمات المذكورة، كذلك الحال في زائير وكوت ديفوار وموريتانيا والصومال، وتشير مصادر أخرى إلى ارتفاع نسبة من لا يتصلون بإمدادات مياه الشرب من الحضر إلى ٥٠٪ في إثيوبيا وإلى ٤٧٪ في آديس أبابا وإلى ٥٢٪ في أسمره وإلى ربع سكان الحضر في مالوي بينما تصل إلى ٢٧٪ في عاصمتها الجديدة ليلونجوى، وترتفع النسبة في باماكو (مالي) إلى ٦٧,٥٪، وترتفع كذلك نسبة من لا يحصلون على كهرباء إلى ٨١٪ في بلانتيرى (مالوي) وإلى ٧٢,٦٪ في ليلونجوى وإلى ثلث جملة الحضر في إثيوبيا ذلك من عام ١٩٨٤ إلى ١٩٨٨، حسب إحصاء المستوطنات البشرية عام ١٩٩٥ (٩٦).

ويشير الواقع إلى ارتفاع تلك النسب على مستوى القارة الإفريقية كلها ذلك رغم عدم دقة الأرقام وعدم وفرتها لصعوبة تحديد تلك المناطق المحرومة فعليا. وقد قدر تقرير التنمية البشرية عام ١٩٩٥ (الذى يصدره برنامج الأمم المتحدة الانمائى)، أن حوالى ٢٠٠ مليون ساكن في إفريقيا جنوب الصحراء لا يحصلون على خدمات صحية وحوالى ٢٧٠ مليون ساكن لا يحصلون على مياه مأمونه، بينما لا يحصل حوالى ٢٩٠ مليون ساكن على خدمات الصرف الصحي، أما في الحضر فقد قدر التقرير أيضا أن ٢٢٪ على الأقل لا يحصلون على خدمات صحية وحوالى ٢٧٪ يحصلون على مياه مأمونه أما نسبة من لا يحصلون على خدمات الصرف الصحي في الحضر فقد قدرت بحوالى ٤١٪، كما قدرت نسبة من يعيشون في فقر مدقع بالقارة بحوالى ٥٤٪، كما تشير الأرقام أيضا إلى ارتفاع الكثافة في المدن إلى درجة كبيرة مما يؤدي إلى أزمات كثيرة في إمدادات هذه الخدمات وسهولة الحصول عليها. حيث تصل الكثافة في ابيدجان إلى ٣٠٢٠ ساكن/كم^٢ وإلى ٩٩٣١ ساكن/كم^٢ في داكار وتصل إلى ٩٣٩٠م ساكن/كم^٢ في القاهرة ونجدها في الدار البيضاء ١٢١٢٠ ساكن/كم^٢ وتتباين بطبيعة الحال بين المناطق المتدهورة والمناطق الفقيرة

ومناطق سكن الطبقات ميسوره الحال والثرية، كما تتباين حسب أنماط المسكن، جماعى أو فردى فى مناطق مخططة أو عشوائية.

يعنى ماسبق أن هناك مشكلة إسكان حادة يرتبط بها مشكلات توفير الخدمات ومرافق البنية الاساسية.

٣ - مشكلات إمداد مرافق البنية الاساسية والتخطيط.

ترتبط مشكلات إمداد مرافق البنية الاساسية بالتخطيط وتوفير الاراضى المناسبة للتقسيم والتعمير مما يشكل أهم التحديات التى تواجه المخططين وصناع القرار فى عالم المدن. ويشير الواقع فى المدن بالعالم النامى إلى أن الدول فقدت السيطرة الفعلية على الأراضى الشاسعة التى يلتهمها النمو العشوائى للمدن، ورغم وجود خطط للتطوير والتعمير فى أحيان كثيرة، الا انها لاتنفذ ولاتنتج فى أحيان كثيرة أخرى ان نفذت، وقد أشرنا سابقاً إلى عدم انسجام الخطط الموضوعه مع اسقاطات النمو السكانى واتجاهاته، التى عاده ما لا تؤخذ فى الاعتبار عند وضع التصورات المستقبلية للتنمية والتعمير.

لذلك تواجه المدن مشكلات عديدة يرتبط بعضها بالتخطيط لنمو جديد، وبعضها الآخر بإعادة تخطيط مناطق مأهوله بدون تخطيط.. ويرتبط بذلك مد شبكات البنية الأساسية التى لا يتمتع بها سوى قلب المدينة الاوربى عادة وبعض الضواحي المخططة. لذلك تعتبر مشكلات مد شبكات المياه والصرف الصحى والكهرباء من أعقد المشكلات التى تواجه المدن فى ظل النمو العمرانى غير المحكوم، وتدهور الشبكات الموجودة وحاجتها المستمرة إلى الصيانة وما يرتبط بذلك من توفير التمويل.

وتكمن صعوبة مد شبكات البنية الأساسية للمناطق المعمورة بدون تخطيط فى الطبيعة الطبوجرافية والجغرافية للمناطق التى يختارها الفقراء والنازحون لسكناها، والتى تتميز عادة بالصعوبة طبوغرافيا والعزلة جغرافيا مع التناثر أيضا والتى تبنى بدون ترخيص، كما تتميز بإزدحامها وتلاصق مبانيها وضيق

أزقتها ودروبها، يضاف إلى ذلك طبيعة البناء ومواد البناء المستخدمة والتي عادة ما تكون من مواد البيئة أو المخلفات. ويظهر ذلك في معظم مدن العالم النامى تقريباً مما يجعلها مناطق سيئة من ناحية الصرف وضرورة رفع المياه بسبب طبوغرافيتها كما تصبح أكثر تعرضاً للكوارث الطبيعية والبشرية وتؤثر فيها ظروف المناخ بشدة خاصة الأمطار. كما أن النمو السريع لهذه المناطق يتسابق مع كل عمليات إعادة التخطيط التي تعاني المحليات والحكومات من تدبير نفقاتها. والأمثلة واضحة وعديدة في القاهرة ولagos والدار البيضاء ودار السلام وكنشاسا وكل المدن الكبرى. كما ظهرت عند دراسة مدينة طنجة على سبيل المثال وغيرها من المدن التي درُست كحالات تفصيلية.

ويعد حجم الفاقد الكبير من المياه المنتجة للشرب من المشكلات المهمة في المدن، ويظهر الفرق بين الكمية المنتجة والكمية المشتراه من طرف المستهلكين كبيراً يصل إلى ٣٠٪ وقد يصل إلى ٥٠٪. وقد أثبتت دراسة مدينة طنجة التفصيلية مدى المشكلة، حيث الحاجة شديدة إلى المياه ومع ذلك قُدر الفاقد بحوالى ٤٧٪ تقريباً من كمية المياه المنتجة والتي يتم ضخها للمدينة عام ١٩٩١. ويؤدى إلى ذلك عوامل عدة تكمن في عناصر شبكات التوزيع التي لايتحمل بعضها الضغط المرتفع للماء المضخ، بالإضافة إلى تاكل الأنابيب وأعطال صنابير المياه العمومية التي تقوم الحكومات بتوزيعها في المناطق المحرومة والتي أكدت دراسات عديدة انها مسئولة عن اهدار حوالى ٣٠٪ من كميات المياه المنتجة. يضاف إلى ذلك استهلاك غير المشتركين، ويضاعف من هذه المشكلة أن تصميم الشبكات في المدن الافريقية وغيرها وضع على أساس خدمة أحجام سكانية أقل بكثير مما وصلت اليه أحجام المدن الآن كما أن بعضها يرجع إلى عقود عديدة خلت منذ الفترة الاستعمارية وربما قبلها لتوفير المياه للمستعمرين في قلب المدينة.

ومع ذلك حققت بعض الدول نجاحاً ملموساً في مجال امداد المياه المأمونه. لكن مرة أخرى بتسبب النمو العمرانى السريع وغير المخطط فى استمرار المشكلة.

أما صرف المياه المستعملة والزائدة النفايات السائلة فهو غير كاف الآن كما كان عند انشاء شبكات الصرف مع تخطيط قلب المدن مما يؤثر على نوعية الحياة الحضرية بها وتظهر المشكلة فى المناطق المنخفضة المأهولة بدون تخطيط والتي تتميز بالنمو السريع أيضاً، مما يزيد من حجم المخاطر التي يتعرض لها البشر فى هذه المناطق البائسة. حيث تتخذ المياه الزائدة والنفايات السائلة طريقها من المناطق الأكثر ارتفاعاً (المأهولة عشوائياً أيضاً) إلى المناطق الأكثر انخفاضاً عبر الأودية والمسيلات المنحدرة فتنتشر الأمراض ويزداد تدهور البيئة وتلوثها ومن أمثلة ذلك وباء الكوليرا الذى داهم مدينة دار السلام عام ١٩٧٨.

يضاف إلى ذلك صعوبة التخلص من النفايات الصلبة وتراكمها المستمر فى المناطق المتدهورة والمناطق العشوائية غير الرسمية وينتج ذلك من عدم وجود سياسة لإدارة النفايات من حيث جمعها وتصنيفها ونقلها وإعادة تدويرها Re-cycling، كما تعاني من تدهور عملية جمعها أساساً حيث تستخدم الوسائل البدائية فى العديد من مدن إفريقيا.. وقد لاتجمع أساساً من المناطق الهامشية التي تفتقد إلى الطرق وتنتشر فى مناطق منعزلة عن طرق المواصلات. وقد قُدرت نسبة ما يجمع من نفايات بحوالى ٢٠٪ فقط من جملة النفايات المنتجة، كما لاحظنا فى نموذج دار السلام، كما لاحظت الباحثة من دراسة طنجة وكما ورد فى دراسات عديدة. وتختلف مشكلة النفايات من مدينة إلى أخرى مع زيادة إنتاجها كلما ارتفع مستوى التنمية.

٤ - مشكلات النقل الحضرى .

وهى من المشكلات العميقة المزمنة فى المدن الكبرى بإفريقيا وغيرها من مدن العالم النامى، حيث تُواجه بتزايد أعداد السيارات وتباعد المسافات

وارتفاع الكثافة السكانية وحاجة السكان إلى الانتقال للعمل والتسوق والحصول على سائر الخدمات.. وترجع المشكلة إلى ارتفاع تكلفة المشروعات كانشاء مترو وشق طرق جديدة واصلاح وصيانه الطرق القديمة وتوفير حافلات عامة مناسبة مما يؤدي إلى نقصها وفقرها فى الصيانة، ومن هنا عرفت المدن أشكال عديدة من التحايل حيث ظهر "المينى باص والميكروباص" والسيارات الأجرة الجماعية وذلك لسد الفجوة الموجودة بسبب نقص الحافلات ذات الحجم القياسى، كما تزداد أعداد وسائل النقل الخفيفة كالدرجات وغيرها، ويشتد الازدحام ويضاعف تخطيط المدن فى إفريقيا والدول النامية من حجم المشكلة وصعوبات النقل والمرور، فالأحياء التجارية ليست محدهه كما هو الحال فى مدن البلاد المتقدمة، إذ تتركز مراكز الأنشطة الرئيسية فى شوارع ضيقة تعمل على تكثيف الزحام، بالإضافة إلى كثافة الأحياء الداخلية وكثرة تعرجات الطرق وعدم العناية بها برصفها وصيانتها بالإضافة إلى عدم إنتظام إتساعها مما يقلل من كفاءتها. كما يؤدي إنشاء أحياء القصدير بالقرب من مصاب الأنهار أو على مجموعة من الجزر إلى إعاقة عمليات تحسين النقل الحضرى بسبب اتساع مساحات المياه والتربة الرخوة. وقد إبتئيت الكثير من المدن بصعوبة الإتصال بين الميناء ومركز المدينة التجارى والصناعى وبين بقية المدن، ويشتد الازدحام فى ساعات الذروه وقد يمتد إلى أكثر من ١٢ ساعة يومياً كما يحدث فى أبيدجان ولagos والقاهرة وفى الكثير من المدن الكبرى والمتوسطة على السواء:

٥ - مشكلات تدهور البيئة وتلوثها :-

وهى من أهم المشكلات البارزة فى عالم اليوم فى الحضر والأرياف علي السواء. اذ يؤدي تركز سكان الحضر فى المدن الكبرى بإفريقيا مع النمو السكانى السريع إلى زيادة الضغط على البيئة الريفية المتاخمة لحدود المدن وكتلتها المبنية، فيحدث تدهور عام لها كما ترتفع معدلات التصحر بسبب قطع الأشجار وإزاله الغابات والنبات الطبيعى، ويسبب موجات الجفاف فتفقد الطبقة السطحية للتربة topsoil كما تختل النظم البيئة Ecosystems وقد أكد مؤتمر

الأمم المتحدة للسكان بالقاهرة في سبتمبر عام ١٩٩٤ ومن قبله مؤتمر الأمم المتحدة للبيئة في ريودي جانيرو بالبرازيل عام ١٩٩٢، على العلاقة بين سرعة نمو السكان وسكان الحضر وتدهور البيئة وإنجراف التربة وإفكارها. حيث اهتم مؤتمر البيئة بالتوزيع المكاني للسكان وأثره على تدمير النظم البيئية، حيث ينعدم التوازن بين الموارد ومعدلات نمو السكان مما ينعكس على نقص المياه وشحها والإسراع بإنجراف التربة وفقدانها لخصوبتها وانعدام الأمن الغذائي، ويعانى ٣٣٪ من سكان إفريقيا و ٣٠٪ من الأطفال من نقص حاد فى الغذاء، وتنتشر أمراض سوء التغذية ومنها امراض الدرن وكوشوركر Kwashiorkor الذى يرتبط بنقص البروتين والطاقة المستمدة من الغذاء ويصاب به الاطفال خاصة، حيث تظهر أعراض الإستسقاء العام وإعتلال الجلد وهشاشة الشعر والكبد الدهنى ويرتبط هذا المرض بإفريقيا^(٩٧) وترتفع نسبة الإصابة به بين فقراء الحضر والأرياف وبين اللاجئين وأثناء المجاعات وموجات الجفاف والقحط، حيث قاد الجفاف حوالى ١٨ مليون ساكن إلى المجاعة فى جنوب إفريقيا عام ١٩٩٠، كما أدت الحروب الأهلية وعدم الاستقرار السياسى إلى تدهور البيئة مع نقص حاد فى الغذاء لما يزيد على ١٥ مليون ساكن عام ١٩٩٢. ومازالت أثيوبيا فى مرحلة الخطر من المجاعة، وفى الصومال تضافرت الحروب الأهلية مع الجفاف فى أن أصبح نصف السكان فى خطر المجاعات، وأدى نقص المطر فى كينيا إلى تأثر ٩٦١٠٠٠ ساكن بالجفاف ١٩٩٢، فكان حوالى ٦٧٩٠٠٠ من النساء فى حاجة إلى مساعدات عاجلة حقيقية، وقد ساهم تدهور الدخل من إنتاج الطعام فى السنوات الأخيرة فى تردى الأحوال حيث تنخفض القدرة اليومية من السعرات الحرارية المطلوبة يوميا وبالتالي لا بد من استيراد الغذاء، وبدون ذلك تكون القدرة المتوافرة ٩٢٪ من الحاجة الضرورية، يتبع ذلك إرتفاع عدد الأفارقة غير القادرين على الحصول على السعرات الحرارية اليومية الضرورية من ٩٩ مليون ساكن ١٩٨٠ إلى ١٦٨ مليون ساكن حاليا، مما يولد ضغطا على المدن وهوامشها ويزداد فقر البيئة وتدهورها وتزداد الامراض المرتبطة بذلك،

ويزداد نقص الخدمات والمرافق بهذه الهوامش المتمددة دوماً يوماً بعد يوم معنى ذلك أن هناك حلقة مغلقة لا بد من كسرها وإحداث تنمية مستدامة وشاملة لعلاج هذه المشكلات المستعصية^(٩٨).

ويعتبر تلوث كل من الهواء والماء من أعقد مشكلات البيئة الحضرية داخل المدن وخارجها على حد سواء، ذلك لندره محطات معالجة المياه والنفايات السائلة، كما تتعدد مصادر تلوث الهواء بسبب المركبات والمصانع والغبار، ونقص شبكات الصرف الصحي كما تتلوث المياه بسبب النفايات والتخلص من نفايات الصناعة غير المعالجة في مجارى المياه، وكذلك عن طريق تسرب السوائل الناتجة عن الصناعة والمستشفيات إلى المياه السطحية أو الجوفية، وعادة ماتكون غير معالجة، كما تحدث الكوارث من إنتشار المواد السامة الخطيرة التى تتدفق إلى المياه أثناء الامطار الشديدة والسيول بسبب الفقر فى إدارة النفايات الصلبة والسائلة وجمعها، ويضاف إلى ذلك مصادر عديدة للتلوث البيئى الحضرى فى المنازل والشوارع والمصانع.. الخ، لذلك تحتاج البيئة الحضرية إلى إعادة النظر فى القوانين المرتبطة بالبيئة وتلوثها والتي عادة ما يخالفها اصحاب المصادر الملوثة، كما أنها غير كافية والاستجابة لها بطيئة لارتفاع تكلفة التجهيزات الخاصة بمنع إنتشار الملوثات^(٩٩) وتعد مدينة القاهرة الكبرى خير مثال على ذلك اذ ترتفع بهوائها نسبة الرصاص عند الحد المسموح به دولياً وخاصة فى قلب مدينة القاهرة والجيزة والمناطق الصناعية.

يضاف إلى ماسبق مشكلات عديدة منها إرتباط البيئة الحضرية الفقيرة والمزدحمة بأمراض عديدة منها الإيدز على سبيل المثال والذي أكدت الدراسات انه مرض حضرى وخاصة فى إفريقيا نظرا لارتفاع معدلات النمو الحضرى السريعة مع إنتشار عوامل ضعف الضبط الاجتماعى Social Control من قبل الأسرة وارتفاع نسبة النوع وتأخر سن الزواج والتسامح فى العلاقات الجنسية، واشتداد تيارات الهجرة النازحه إلى المدن مع انتشار المناطق المتدهورة والمتدنية داخل المدن وحولها، حيث تتعاظم مظاهر سلوكيه سلبيه مثل

التشرد وانتشار الجريمة والمخدرات وكلها مظاهر سلوكيه ينتشر الإيدز بين أصحابها؛ كما تنتشر العديد من الأمراض الجنسية أو الامراض المعدية، وقد اكدت دراسة قامت بها "فاتن البنا" عن الإيدز في إفريقيا. أن الطرق الرابطة بين المدن الرئيسية في إفريقيا وكذلك بين هذه المدن والمناطق المحيطة تمثل مسارات لانتقال المرض من خلال انتقال المصابين، (١٠٠)

من المشكلات الأخرى عدم التساوى بين الإناث والذكور، واختلال النسبة النوعية. وارتفاع نسبة صغار السن خاصة الفئة الوسطى بين المهاجرين خاصة، وارتفاع معدلات البطالة والإعالة بين السكان والمهاجرين.

وقد أشارت بعض الدراسات الحديثة إلى أن هناك مؤشرات نمو هجرات عكسيه من المدن الكبرى الإفريقية إلى مناطق أخرى ريفية أو حضرية الا أنها ذات قيمة ضئيلة بالنسبة للهجرات الوافدة ومعدلات نمو المدن الإفريقية،

وقد تلعب الهجرة الخارجية دوراً مهماً في إبطاء معدلات النمو السكاني في المدن، فقد توصلت الباحثة إلى أن الهجرة الخارجية قد ساهمت في خفض معدل نمو تونس العاصمة من ٥,٥٪ سنوياً بين عام ١٩٦٦-١٩٧١ إلى ٣,٢٪ عام ١٩٧٥ حيث تمتص خمس الزيادة الطبيعية في تونس تقريباً (١٠١). غير أن للهجرة الخارجية مشكلاتها الحضرية أيضاً حيث تتميز بالانتقائية من حيث النوع والسن ودرجة التعليم والتدريب والكفاءة.

الخلاصة أن المدن الإفريقية تعاني من أزمات حادة بسبب نموها السريع الذي يتقاسمه معدل زيادة طبيعية مرتفع ومثله معدل صافي هجرة مرتفع أيضاً مع الفقر وعدم القدرة على التمويل والاستثمار المناسب في تحسين نوعية الحياة بالمدن، أو إقامة مشروعات تستوعب العمالة المتزايدة باستمرار ويضاعف من هذه الأزمات استمرار معدلات الزيادة السكانية بالمدن علي ارتفاعها وتوقع استمرار ذلك النمو لفترات مقبلة، فما هي اذاً السياسات والاستراتيجيات التي اتخذتها الحكومات الإفريقية لمواجهة هذه المشكلات والحد منها؟ وما هو تقييم

هذه الحكومات لحجم المشكلات أصلاً؟ تقود هذه التساؤلات وغيرها إلى محاولة التعرف على سياسات الدول نحو إعادة توزيع السكان وتحقيق التنمية الحضرية وحل المشكلات.

ثامناً: استراتيجيات وسياسات التنمية الحضرية وإعادة توزيع السكان.

تباينت تصورات الحكومات المختلفة بدول القارة الإفريقية إزاء الأنماط الحالية لتوزيع السكان بها، كما تباينت السياسات التي إتخذتها الحكومات إزاء حل المشكلات الناجمة عن توزيع السكان غير المتوازن بين الأرياف والحضر، والمناطق الفقيرة والغنية، وإزاء مشكلات الهيمنة الحضرية وتدهور نوعية الحياة الناتج عن سرعة النمو الحضرى، واستمرار تيارات الهجرة إلى المدن والزيادة الطبيعية.

أما تصورات الحكومات إزاء انماط توزيع السكان بها، فقد أكدت دراسات قسم الشؤون الاجتماعية والاقتصادية الدولية التابع للأمم المتحدة عام ١٩٩٢ (١٠٢) أن ٧١,٢٪ من الدول الإفريقية تعتبر أن أنماط توزيع السكان بها تحتاج إلى تغيير كبير Major Change تمثل ٨٠٪ من سكان القارة بينما إعتبرت ١٥,٤٪ من الدول أن أنماط توزيع السكان بها تحتاج إلى تغيير بسيط أو جزئى Minor Change أما النسبة الباقية وهى ١٣,٤٪ فتعتبر أن أنماط توزيع السكان بها مُرضية تماماً. ويوضح الجدول رقم (٢١) توزيع الدول الإفريقية حسب تصورات الحكومات إزاء انماط توزيع سكانها، ومن استقراء الجدول يتضح أن دول شمال إفريقيا العربية ترى كلها أن بها مشكلة توزيع سكاني تحتاج إلى إعادة توزيع على مستوى كبير من مصر إلى المغرب بالإضافة إلى السودان، ونفس الوضع بالنسبة لدول غربى إفريقيا، فيما عدا دولتى غينيا بيساو وغينيا حيث ترى حكوماتيهما أن أنماط توزيع سكانهما تحتاج إلى تغيير بسيط وفى إقليم جنوبى إفريقيا ترى كل من ناميبيا وسوازيلاند أن الحالة مرضية، بينما ترى حكومة ليوسوٲو أن أنماط التوزيع

جدول رقم (٢١)
تصورات الحكومات وسياساتها تجاه أنماط التوزيع
المكاني للسكان بدول القارة الإفريقية سنة ١٩٩٠ (١٠٢)

الإقليم	دول راضيه عن نمط التوزيع	دول تحتاج إلى إجراء تغيير بسيط	دول تحتاج إلى إجراء تغيير كبير	جملة عدد الدول
إفريقيا الشرقية	جزر القمر موريتانيا مالاوي جمهورية تنزانيا	جيبوتي كينيا أوغندا	بورندي - أثيوبيا مدغشقر موزمبيق روندا - سشل الصومال - زامبيا زيمبابوي	١٦ دولة
إفريقيا الوسطى	أنجولا	تشاد ج وسط إفريقيا	الكميرون - الكنفو غينيا الاستوائية جابون ساوتومي وبرنسيني زائير	٩ دول
إفريقيا الشمالية	—	—	الجزائر - مصر ليبيا - المغرب السودان - تونس	٦ دول
إفريقيا الجنوبية	نامبيا سوازيلاند	لوسوثو	بتشوانا ج. جنوب إفريقيا	٥ دول
إفريقيا الغربية	—	غينيا بساو غينيا	بنين بوركينافاسو كيب فيرد كوت دي فوار جامبيا - ليبيريا مالي - موريتانيا النيجر - نيجريا السنغال - سيراليون توجو	١٦ دولة
الجملة	٧	٨	٣٧	٥٢ دولة

المصدر : - United Nations, (1992); Population Studies No. 126, World Population Monitoring (1991) New York. pp. 164 - 165.

تحتاج لتغيير جزئي، فى حين تحتاج بتشوانا و جنوب إفريقيا إلى إجراء تغيير كبير، أما فى إقليم إفريقيا الوسطى، ترى أنجولا أن الحالة مرضية، بينما تحتاج تشاد ووسط إفريقيا إلى إجراء تغيير جزئي، فى حين ترى الدول الباقية (٦ دول) أنها بحاجة إلى إجراء تغيير كبير، أما إقليم شرقى إفريقيا فتتوزع دولة بين الحالات كلها حيث ترى ٤ دول أن الحالة مرضية بينما ترى ٣ دول أن الحالة تحتاج إلى تغيير جزئي وترى تسع دول أن أنماط توزيع السكان بها يحتاج الى تغيير كبير.

أما الإستراتيجيات التى إتبعتها الدول الإفريقية للتخفيف من المشكلات الحضرية، والحد من الهجرة إلى المدن، فقد نُفذت من خلال سياسات ترتبط بالمهاجرين ذاتهم، ويموطنهم ويمناطق الجذب والإستقبال، وذلك من خلال مجموعتين من السياسات العريضة أو الإستراتيجيات، مجموعة ذات توجه حضرى، وأخرى ذات توجه ريفى، بالاضافة إلى العمل على الحد من معدلات الخصوبة المرتفعة والزيادة الطبيعية المرتفعة، أى سياسات ديموجرافية.

وقد إتبعته هذه استراتيجيات ذات توجه حضرى وهى: التحكم المباشر بوضع برامج اغلاق المدن لمنع الهجرة الوافدة اليها (ج . جنوب افريقيا)، الإعادة الجبرية للنازحين إلى المناطق الريفية (موزامبيق)، ثم تشتيت المدن وتباعدها (نيجيريا) تنفيذ سياسة اللامركزية عن طريق تعزيز نمو المدن متوسطة الحجم والتنمية الاقليمية (كما فى زامبيا والجزائر) وإقامة عواصم جديدة (مثل حالة نيجيريا وتنزانيا)، يضاف إلى ذلك بعض البرامج لتحسين احوال المدن بهدف توسيع القاعدة الاقتصادية والاجتماعية بها لتتناسب مع تدفق المهاجرين، كذلك نُفذت بعض السياسات لتوفير فرص العمل وتحسين البنية الأساسية، بالاضافة إلى محاولات لتنفيذ بعض البرامج الإنتقائية لامتناس المهاجرين من الشباب المتعطلين بإقامة معسكرات خاصة للشباب خاصة فى البلدان التى لديها بطالة عالية فى المدن بين الشباب كالصومال وزامبيا، كذلك وضع خطط لاقامة مستوطنات زراعية كما فى غانا ونيجيريا.

وأجرى العديد من الدول الإفريقية تجارب عن طريق برامج تهدف إلى تنمية دخل المزارعين وتحسين فرص العمل فى المناطق الريفية مع القاء القبض على المهاجرين النازحين عند المنبع، إلا أن النتائج المطلوبة من الجهود التى بذلت لمنع المهاجرين أو إعادة توجيههم بخلق مراكز للنمو الإقليمي وبتغيير موقع العاصمة، أو عن طريق تنمية مدن صغيرة لم تتحقق، بينما نجحت البلدان التى نفذت برامج تنمية ريفية عن طريق إقامة مزارع كبيرة فى المناطق الريفية مثل تنزانيا وغانا وكوت ديفوار، وكذلك الدول التى جمعت بين سياسة تمويل البنية الأساسية الاجتماعية وتوفير فرص العمل الريفية، فى الإبقاء على نسبة كبيرة من المهاجرين المحتمل نزوحهم من المناطق الريفية بها^(١٠٢).

وتثير مسألة تقرير من الذى يهاجر وإلى أين يهاجر مشاكل أساسية ترتبط بحقوق الانسان، وينطبق ذلك بشكل خاص على تجميع البشر فى قرى مزدحمة، أو التهجير الاجبارى إلى مناطق تحددها الحكومات، حيث لاتؤخذ الاحتياجات المحددة للمهجرين فى الاعتبار بشكل مناسب.

ويمكن إجمال السياسات والإستراتيجيات التى تبنتها الحكومات فيما يلى^(١٠٤).

- ١ - إبطاء نمو المدينة المهيمنة والميتروبوليتانية. Slowing of primate-city.
- ٢ - تنمية المدن والمراكز الصغيرة والمتوسطة. Promotion of Small towns or intermediate cities.
- ٣ - تغيير موقع العاصمة. Relocation of national capital.
- ٤ - تحويل تيارات الهجرة بإيجاد أقطاب جذب جديدة. Counter - magnets
- ٥ - تنمية مراكز استراتيجية. Growth centre strategies
- ٦ - سياسة إنشاء مدن جديدة . New Towns
- ٧ - سياسة تنمية إقليمية للأقاليم المتخلفة. Lagging Region
- ٨ - إستراتيجية تنمية الأقاليم الهامشية . Border Region

- ٩ - تخطيط أراضي للتعمير. Land colonization Scheme
 ١٠ - إستراتيجيات تنمية ريفية. Rural development strategies

وتشير الدراسات إلى تبنى معظم الحكومات لأكثر من سياسة من السياسات السابقة لتحقيق التوازن الإقليمي، وتخفيف مشكلات المدن وتنميتها بالاضافة إلى الحد من تيارات الهجرة إلى المدن، وتظهر استراتيجيات التنمية الريفية من أكثر الاستراتيجيات التي تبنتها كل الدول الإفريقية فيما عدا جيبوتي أى ٥١ دولة، يليها سياسة إبطاء نمو المدن المهيمنة والمتروبوليتانية وتبنتها ٢١ دولة، يليها سياسة تنمية المراكز والمدن الصغيرة والمتوسطة حيث تبنتها ٢٨ دولة، أما السياسة الخامسة فى الأهمية فهى سياسة تخطيط أراضي للتعمير Land Colonization ١٩ دولة، ثم استراتيجيات تنمية مراكز إستراتيجية Growth Center Strategies ١٦ دولة، بينما تبنت ٧ دول سياسة إنشاء مدن جديدة New Towns منها مصر وتنزانيا وزيمبابوى والجزائر وليبيا وجنوب إفريقيا، وأوغندا كما تبنت ٧ دول أخرى سياسة عكس الجاذبية Counter Magnetes أو تحويل اتجاهات المهاجرين لأقطاب جذب جديدة منها بورندى ومدغشقر ومصر وكيب فيرد وغنيا بيساو والسنغال وموريتانيا، فى حين تبنت ٨ دول أخرى استراتيجيات تنمية أقاليم هامشية Border Regions منها مصر وإثيوبيا وتونس وجنوب إفريقيا وغنيا بيساو وموريتانيا والسنغال وسيراليون.

أما سياسة نقل العواصم القومية إلى مواقع جديدة فقد تبنتها ٧ دول هى مالوى التى نقلتها من بلانتيرى إلى ليلونجوى Lilongwe ثم تنزانيا التى نقلتها من دار السلام إلى بودوما Dodoma ثم الكاميرون وليوسوثو وغنيا بيساو وكوت ديفوار التى نقلتها من أبيدجان إلى Yamoussoukro ثم نيجيريا التى نقلتها من لاجوس إلى أبوجا Abuja.

من أهم الملاحظات أن مصر قد تبنت كل السياسات والاستراتيجيات ماعدا نقل العاصمة. أما غنيا بيساو فقد تبنت كل الاستراتيجيات بما فيها نقل العاصمة الوطنية، كما تبنت موريتانيا كل الاستراتيجيات أيضا ماعدا نقل العاصمة وانشاء مدن جديدة، وكذلك السنغال. فيما عدا ذلك يتراوح المعدل بين ٤ أو ٥ من السياسات التي تبنتها الحكومات، وأقل الدول فى ذلك ليبريا التي تبنت سياسة تنمية ريفية فقط.

من الواضح أن معظم الدول تنظر إلى المشكلة من منظور العلاقة بين الهجرة الداخلية ونمو المدن، ويمكن التعرف على بعض الاتجاهات التي تبنتها الحكومات من خلال السياسات والاستراتيجيات المذكورة حسب الأقاليم الإفريقية.

١- فى إقليم إفريقيا الشرقية (١٠٥).

اعتمدت معظم الدول سياسات خاصة بإعادة توزيع السكان Redistribution the Population بالإضافة إلى أحداث تنمية ريفية بإنشاء المستشفيات والمدارس والمراكز الصحية وامداد المناطق الريفية بالمواصلات كما فى حالة بورندى التي عملت أيضا على نقل حديثى الزواج من المناطق المكتظة إلى المناطق المخلة سكانياً.

أما إثيوبيا فاتخذت سياسة إعادة توزيع السكان من خلال إعادة التوطن Resettlement من المناطق المكتظة إلى المناطق الأقل كثافة من خلال تنمية الأرياف والمراكز الحضرية الأخرى غير أديس ابابا، وقد بدأ برنامج إعادة التوطن من عام ١٩٨٤ بهدف نقل ١,٥ مليون ساكن من الشمال الجاف إلى الاقاليم الأقل جفافاً فى الجنوب الغربى، كما تبنت الحكومة برنامج قروى للتنمية الريفية يهدف إلى إعادة توطن ٢ مليون فلاح من المزارع المنتشرة بالتلال فى هرد والمقاطعات المجاورة إلى القرى المركزية المتوسطة Centralized حيث يحصلون على خدمات عديدة من المياه المأمونه الى الرعاية الصحية مع تنمية الصناعات الصغيرة فى الأرياف فى إثيوبيا وإرتريا.

وركزت سياسة مدغشقر على الحد من الهجرة إلى المنطقة الميتروبوليتانية الكبرى فى Antanaina rvo بالعمل على توجيه الهجرة إلى المناطق الريفية، وتنشيط إعادة التوطين الإرادى فى المناطق قليلة السكان، كما تُشجع الحكومة بشدة استراتيجيات التنمية الإقليمية الريفية مثل برنامج فكونولونا Fakonolona (للمجتمعات القروية) الذى يهدف إلى تقويض المركزية الإجتماعية-الاقتصادية التقليدية فى مدغشقر بتحريك السكان إلى الأقاليم الريفية والمجتمعات القروية الجديدة.

فى مالوى تبنت الحكومة سياسة تكامل التنمية الريفية مع انشاء مراكز ريفية وتنميتها بهدف الحد من الهجرة إلى المراكز الحضرية، برفع مستوى المعيشة فى الأرياف فى اطار خطة لإحداث توازن اقليمى تنموى، كما نقلت الدولة موقع العاصمة من بلانتير Blantyre فى الإقليم الجنوبى إلى ليلونجوى Lilongwe فى الإقليم الأوسط.

أما سياسة موزمبيق فأتجهت مباشرة إلى تنمية مناطق بعيدة عن مابوتو MaPuto العاصمة وقامت بتركيز صناعات ثقيلة فى بيرا Beira المدينة الثانية والميناء الثانى أيضا، كما عملت على إنشاء مراكز إقليمية لمد الخدمات الصحية والتعليمية، والإدارية للمناطق المختلفة فى إطار الجهود المبذولة لتنمية نظام حضرى قومى أكثر توازناً.

إتجهت كينيا إلى سياسة اللامركزية والنزول بالتخطيط لمستوى المقاطعة وعملت على تنمية المدن الصغيرة والمتوسطة وتنمية مراكز استراتيجية وتنمية الأقاليم المختلفة مع التنمية الريفية.

أما رواندا فتدخلت بالتحكم فى الحد من توسع المقاطعات الحضرية من خلال تبنى برنامج إعادة توطين السكان فى الأرياف بتوفير بنية إدارية على مستوى القرى، علاوة على ذلك إتخذت الحكومة اجراءات مشدده تجاه حق الإقامة فى المدن الذى لايعطى الا للمولودين أو العاملين بها فقط.

بينما ركزت قترافيا على إنشاء القرى النووية المركزية بتوفير الامكانيات لها مع تطوير الخدمات الإجتماعية وتنمية التعاونيات مع نقل العاصمة إلى دودوما لإبطاء هيمنة دار السلام. وتنمية الأرياف والأقاليم المتخلفة.

لم تر أونغندا ان لديها مشكلة سكانية كبيرة تحتاج لحل وكانت نظرتها من خلال حجم سكاني ليس بكبير ومساحات مازالت قادرة على إستيعاب الزيادة السكانية^(١٠٦) وان الضغط يوجد في مقاطعات قليلة، الا إن الإضطرابات الأهلية في السنوات الاخيرة أدت إلى إحداث حالة من عدم التوازن السكاني، فعملت الدولة مؤخرا على إعادة توطين السكان في مقاطعات المنشأ، بهدف كبح جماح الهجرة الداخلية وذلك عن طريق توفير فرص وظيفية في المقاطعات الطارده للسكان، ومساندة المستقطنين في الأقاليم الجديدة.

بينما واجهت زامبيا مشكلتها الكبرى الممتدة في النزوح صوب لوساكا ومدن حزام النحاس، بأن تبنت برامج تنمية ريفية تعمل على إقرار السكان في القطاع الريفي العريض في زامبيا بتنشيط الاقتصاد الزراعي والاقتصاديات والانشطة المرتبطة به، وتوفير فرص عمل دائمة، مع تبني سياسة تجميع القرى وربط المستوطنات البشرية المعزولة في مجموعات أكثر تنشيطا. كما عملت على تنمية التعاونيات الزراعية في المناطق الريفية واتخذت اجراءات للتحكم في مواقع الصناعة، بهدف تنفيذ سياسة اللامركزية في توزيع الخدمات المختلفة، وإعادة توجيه الإستثمارات من المراكز الحضرية الكبرى إلى المدن الصغيرة والمناطق الريفية المحرومة.

بينما سعت زيمبابوى إلى تحقيق توازن مناسب بين السكان والموارد، مع تنمية معسكرات للتنمية الريفية، وعملت على إعادة توطين سكان الأرياف وتشبيد القرى على نطاق واسع فتناقضت تيارات الهجرة إلى المناطق الحضرية.

ب- فى إقليم إفريقيا الوسطى (١٠٧) .

بدأت انجولا بإقامة شبكة من محطات التنمية الزراعية فى منتصف عام ١٩٨٠ بهدف امداد المزارعين بما يحتاجون اليه من مساندة وإئتمان ونظم تكنولوجية، الا أن تزايد المشكلات الأمنية فى المناطق الريفية المجاورة للمدن حد من نجاح برامج التنمية الريفية كما أدى الى تباطؤ تيارات الهجرة الريفية - الحضرية.

فى الكنفو كان الحد من النزوح الريفى واحدا من أهم أولويات الحكومة فعملت على تحسين البنية الأساسية فى الأرياف وشيدت أقطاب جذب جديدة قوامها ١٥٧ قرية مركزية.

إتخذت زائير عده استراتيجيات من خلال سياسة تنمية الزراعة فى أقاليم مختارة بواسطة ادارة التخطيط الزراعى مع العمل على تنمية الإسكان. إلا أن الاضطرابات فى منطقة البحيرات العظمى والتي امتدت الى داخل اراضى زائير قرب المدن الرئيسية على الحدود بالاضافة الى الاضطرابات الداخلية تعوق جهود التنمية فى زائير وغيرها من الدول الأفريقية

ج- فى إقليم إفريقيا الشمالية (١٠٨) .

تبنت الجزائر سياسة اللامركزية فى الأنشطة والخدمات الاقتصادية والاجتماعية بتنمية المدن الصغيرة والمتوسطة، واعادة تجميع القرى فى ١٠٠٠ تعاونية وذلك بهدف ضبط انماط توزيع السكان والحد من الهجرة إلى المدن الكبرى، لذلك شجعت سياسة تحقيق التوازن الإقليمى بتنمية الأقاليم المتخلفة Lagging regions مثل الأقاليم الشرقية والجنوبية من البلاد.

أما ليبيا فقد خطت حكومتها لتنمية منطقة الساحل الأوسط بين مسرطا وبنغازى بالإهتمام بتنمية الصناعة فى المدن الصغيرة ووضعت لذلك امكانات لا محدودة، ومع ذلك مازال نمو كل من بنغازى وطرابلس سريعا مستقطباً للمجال الحضرى ومخلاً بنظامه.

ركزت حكومة تونس أولوياتها على الحد من تيارات النزوح السكانى إلى المناطق الحضرية وخاصة العاصمة وذلك من خلال عدة سياسات أهمها اللامركزية فى الخدمات العامة والاستثمار وتحسين القطاع الزراعى لرفع مستوى المعيشة فى الأرياف، ومن بين المخططات الموضوعية تشجيع إقرار المزارعين فى الصحراء الجنوبية بتنمية وإستصلاح أراضى جديدة من عام ١٩٨٦، كما وضعت خطة لإنشاء مدينة جديدة بالقرب من العاصمة تستوعب ٢٥٠.٠٠٠ ساكن عام ٢٠٠٠. والعمل على الحد من البطالة وإنشاء مجتمعات ريفية نموذجية وذلك خلال مخططات التنمية المتتالية منذ عام ١٩٧٣ (١٠٩).

كما ركزت المغرب أيضا على سياسة اللامركزية الحضرية بتنمية المدن المتوسطة وعواصم الأقاليم والولايات وتنفيذ سياسات للتنمية الريفية لابطاء نمو المدن المهيمنة.

أما مصر فقد سبقت الإشارة إلى تبنيتها لمعظم السياسات ماعدا نقل العاصمة الا ان اهم السياسات وضوحاً فى مصر سياسة إنشاء مراكز حضرية جديدة New Urban Centres حول المدن الكبرى مثل القاهرة والاسكندرية وبنى سويف الجديدة وغيرها.. مع تنفيذ برنامج شروق للتنمية الريفية، ومن المستهدف أن تجذب هذه المراكز الجديدة الهجرات من الأرياف والمناطق الصحراوية لتستوعب ١٠٪ من جملة السكان عام ٢٠٠٠ الا أن ذلك لم يحدث بالطبع. أما برامج التنمية الريفية فتهدف إلى اقرار سكان الأرياف ورفع مستوى معيشتهم للحد من هجرتهم بالإضافة إلى سياسة تطوير حواف المدن بإنشاء تجمعات جديدة بالقاهرة والمدن الكبرى.

د. في إقليم إفريقيا الجنوبية :

شجعت ليوسوثو تنمية الأقاليم الفقيرة اقتصاديا مثل النطاق الجبلى ومناطق الأراضى المنخفضة الجافة فى الإقليم الجنوبى من خلال تنفيذ برامج لتشييد الطرق الريفية، وبرامج تحسين البنية الأساسية والاجتماعية الأخرى مثل امدادات المياه المأمونه والصرف الصحى والخدمات التعليمية والصحية ومسانده المشروعات الصناعية الصغيرة وتوفير الوظائف.

أما فى جنوب إفريقيا فقد حلت سياسة التحضر المنظم عام ١٩٨٦ The abolition of Orderly Urbanization محل سياسة حظر التدفق influx، فى حين ارتبطت الإقامة بامكانية السكن أكثر من إرتباطها بالوظيفة ومع ذلك تعاني جنوب إفريقيا من أزمات إسكان حاده مع نسبة بطاله مرتفعة مما حد من تحرك السكان السود فى جنوب إفريقيا.

بينما بحثت سوازيلاند من خلال برامج تنمية المناطق الريفية عن أساليب لتنمية التجارة بتوجيهها صوب الزراعة بهدف تضيق الفجوة بين مستويات المعيشة فى الأرياف والحضر.

هـ. فى إقليم إفريقيا الغربية.

إهتمت حكومة بوركينا فاسو بالهجرة بين المناطق الريفية حيث يرجع إنخفاض كثافة السكان فى المناطق الخصبة من حوض نهر الفولتا بالجنوب الغربى إلى مشكلات صحية داخلية مرتبطة بانتشار مرض العمى النهرى River blindness الذى يعد واحدا من أكبر العقبات أمام التنمية فى البلاد وكذلك فى غانا التى تبنت سياسة إعادة التوطين خاصة مع المشروعات الكبرى مثل سد اكسمبو والتى أدت إلى مشكلات عديدة أيضاً بالإضافة إلى المشكلات المرتبطة بمر فى العمى النهرى وغيرها .

أما كوت ديفوار فقد وجهت سياساتها الكبرى نحو التحكم فى تيارات الهجرة الشمالية-الجنوبية، والهجرة إلى المدن الكبيرة، بالعمل على تنمية مناطق الإسكان المتناثرة فى نطاق السفانا، وتشتمل الخطط على تنفيذ سياسة اللامركزية وإنشاء ميناء جديد، ولبطاء نمو المناطق الميتروبوليتانية أنشأت الحكومة شبكة من المدن المتوسطة الحجم وركزت على تحديث الزراعة وتجديد البنية الأساسية.

بينما ركزت حكومة ناميبيا على الحد من الهجرة السريعة إلى منطقة العاصمة Banjul بتنمية مدينتين صغيرتين هما Basse و Farafenni وذلك لتحقيق إستراتيجية تهدف إلى تخطيط قومى واسع، لتحسين الوضع العام لشبكات البنية الأساسية وامكاناتها ورفع مستوى المعيشة فى الأرياف.

وفى غينيا وضعت الحكومة خطة لفتح طريق فعال للتنظيم الحضرى فى كونكرى والمدن الصغيرة تهدف إلى تحسين البنية الأساسية وتنمية موارد المراكز الحضرية.

أما حجر الزاوية فى سياسة نيجيريا فكان التخطيط لإقامة عاصمة قومية جديدة فى الداخل وهى أبوجا Abuja تقع فى المركز الجغرافى للدولة بغرض تخفيف الضغط السكانى على المناطق الساحلية وخاصة منطقة لاجوس، وقدر لأبوجا عند تخطيطها فى عام ١٩٨٧، أن تستوعب ٢٥٠,٠٠٠ ساكن يصل حجمهم عام ٢٠٠٠ الى ١,٥ مليون ساكن، الا ان الواقع يشير إلى ان حجمها فى منتصف الثمانينيات كان ١٥ الف ساكن فقط، وقدر فى عام ١٩٩٠ بحوالى ٢٧٦ الف ساكن (١١٠) مما يعنى إتجاه نحو نمو سريع فى السنوات الاخيرة.

وتعانى السنغال من تمركز المدن فى القسم الغربى من البلاد حيث العاصمة داكار لذلك وضعت الدولة خطة قومية لإعادة تركيب الأراضى تهدف إلى إعاده توزيع الأنشطة بهدف تحقيق التوازن الإقليمى والحضرى.

عملت حكومة سيراليون على إعادة توزيع السكان بتنمية مراكز حضرية واستراتيجية وزيادة التنمية الصناعية وإعتبرت التنمية الإقليمية حجر الزاوية Corner Stone فى سياسة التنمية الشاملة التى تهدف أيضا إلى تنمية إقليمية ريفية لاقرار سكان الأرياف والحد من الهجرة.

امسا كيب فيرد فقد إتجهت سياساتها أيضا إلى الحد من النزوح الريفي إلى الحضر باتباع سياسة تنمية البنية الاجتماعية بإنشاء وظائف فى الأرياف وإعادة توزيع الأراضى.

يحتاج تنفيذ السياسات السابقة إلى موارد مالية ضخمة وإلى دراسات متعمقة وخطط واضحة تتضافر الحكومات والمؤسسات والشعوب لتحقيقها، كما أن تخفيض معدلات النمو السكاني الطبيعي فى الدول الإفريقية بالعمل على خفض معدلات المواليد والخصوبة، كذلك معدلات الوفيات والمرض لابد وأن يقع فى مقدمة الأولويات القومية والدولية. وفى هذا الصدد نلاحظ أن معدل شيوع منع الحمل بأى وسيلة يصل إلى ١٥٪ فقط فى إفريقيا جنوب الصحراء بين عام ١٩٨٦ و ١٩٩٣، بينما يصل إلى ٤٢٪ فى المغرب و ٥٠٪ فى تونس و ٤٧٪ فى الجزائر و ٤٦٪ فى مصر وهى الدول التى حققت درجات متوسطة من التنمية البشرية فى السنوات المذكورة.

من الواضح إذا ضرورة تضافر سياسات التنمية الإقتصادية والاجتماعية والديموجرافية لتحقيق تنمية شاملة متواصلة تقلل من الفقر وتحد من نمو المدن وترفع إنتاجية الأرياف وتقلل من حجم البطالة وترفع من نوعية الإنسان ونوعية الحياة فى الأرياف والحضر، والسؤال الذى يطرح نفسه يدور حوال مدى نجاح السياسات التى تبنتها الدول الأفريقية؟ ويشير الواقع إلى عدم نجاح الخطط والسياسات الموضوعة بشكل ملحوظ بدليل إنتشار الفقر وإنخفاض الدخل وتزايد نمو المدن وإرتفاع معدلات البطالة وخاصة فى الدول التى لم تتضافر فيها التنمية الحضرية مع التنمية الريفية الإقتصادية والإجتماعية، وإن النجاح

الذى تحقق كان جزئياً وفى عدد محدود من الدول التى أستطاعت أن تجتاز بعض العقبات مثل تونس والمغرب والجزائر وناميبيا وبتسوانا والجاون وموريشيوس وجنوب إفريقيا، وهى الدول ذات الاقتصاديات متوسطة الدخل. بينما تصنف باقى دول القارة ضمن الدول ذات الاقتصاديات المنخفضة الدخل وذلك وفق تقرير التنمية فى العالم الذى أصدره البنك الدولى عام ١٩٩٦. كما أكدت التقارير أيضا أن جميع مقاييس الفقر قد ساءت فى إفريقيا والشرق الأوسط وشمال إفريقيا، كما توقعت أن منطقة إفريقيا جنوب الصحراء هى المنطقة الوحيدة التى من المتوقع أن يتدهور الوضع فيها (بالنسبة للدخل) حتى نهاية القرن العشرين حيث زادت أعداد الفقراء بمعدلات تساوى أو تفوق معدلات زيادة السكان.

كما أشارت تقارير التنمية البشرية إلى تدنى مكانه الدول الإفريقية حسب مستويات التنمية البشرية عام ١٩٩٥، إذ من بين ٦٣ دولة ذات معدلات تنمية بشرية مرتفعة توجد دولة افريقية واحدة وهى سيشل ذات ترتيب ٦٢ بين الدول، ومن جملة ٦٤ دولة ذات معدلات تنمية متوسطة يوجد ١٤ دولة إفريقية هى الجماهيرية الليبية، وبتسوانا ثم تونس فالجزائر فالمغرب ثم جنوب إفريقيا ومصر وناميبيا والجاون وزيمبابوى والكنغو وكيب قيرد وسوازيلاند والكميرون. ومن جملة ٤٦ دولة ذات معدلات تنمية منخفضة توجد ٣٧ دولة إفريقية تحتل المراكز الاخيرة من هذه الدول.

الخلاصة أن القارة الإفريقية تمر بمرحلة إنفجار حضرى على نطاق واسع، تضافرت عوامل عديدة على تزايدده مما أسفر عن مشكلات عديدة تعاني منها المدن الإفريقية، ترتبط بالأنظمة الحضرية وسيادة الهيمنة وتدهور نوعية الحياة الحضرية والبيئية، يضاف إلى ذلك عدم تحقيق السياسات العديدة التى إتبعتها الدول لأهدافها المخطط لها.

ومن هنا يجب الإستثمار فى المجالات التى تلعب دوراً مهماً فى إزالة الفقر كالتعليم والصحة والصرف والإمداد بالمياه النقية والإسكان وتحقيق المساواة وإنصاف المرأة وتمكينها بالإضافة إلى تحقيق التنمية الريفية على أسس تخطيطية سليمة تراعى خصائص البيئة والسكان. وتنمية وتحقيق تكاملهما للحد من الهجرات إلى المدن وإقرار سكان الأرياف والبادى. مع أخذ إتجاهات النمو السكانى والحضرى وإسقاطات ذلك فى الحسابان للتنمية فى المستقبل.

المصادر (الهوامش)

- ١ - إسحق يعقوب القطب، (١٩٧٨)، إتجاهات التحضر فى الوطن العربى، ضمن كتاب التحضر فى الوطن العربى، الجزء الأول. معهد البحوث والدراسات الغربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة، ص ١-٩٢.
- 2 - Eldridge, H.T., (1956), The Process of Urbanization in Spengler, J.J. and Duncan, O.D. (Edits), Demographic analysis (Glenco III), Free Press, P. 338.
- 3 - Lampard, E.E.; (1965), Historical aspects of Urbanization, Chapter 14 in Hauser, P.M. and Schnore, L.F. (Edits), The Study of Urbanization (John Wiley & Sons), P.P. 519-20.
- 4 - United Nations; (1958), Multilingual demographic dictionary, English Section, Population Studies No. 29, P. 18.
- 5 - Davis, K. ; (1969), The Urbanization of the human population, in "The city in newly developing countries.", Breeze, G. (ed.), Prentice-Hall, N.J., P.7.
- ٦ - إسحق يعقوب القطب، (١٩٧٨)، مرجع سابق ص ١-٩٢.
- ٧ - حسن الخياط، (١٩٧٨)، الحضرية والتحضر فى إفريقيا، ضمن كتاب التحضر فى الوطن العربى، الجزء الأول، معهد البحوث والدراسات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة ص. ٩٣-٢١٢.
- ٨ - جيرالد بريز، (١٩٧٢)، مجتمع المدينة فى البلاد النامية، ترجمة محمود الجوهري، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ص ٢٣.
- 9 - Albert, C.N. & Hans, N., (1979), Urban life, the Socio-economic of cities and urban society, John Wiley & Sons, New-york, PP. 5-11.

- ١٠ - فنسنت فرانسيس كوستيلو، (١٩٨٨)، التحضر فى الشرق الأوسط، ترجمة غريب محمد سيد أحمد وعبد الهادى محمد والى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ص ٢١.
- 11 - Stock, R.; (1995), Africa South of the Sahara, A geographical interpretation, The Guilford press, London, PP. 193-209.
- 12 - Griffiths, i.li., (1994), The Atlas of African Affaires , Routledge, London, PP. 169-170.
- ١٢ - جمال حمدان، (١٩٦٦)، إفريقيا الجديدة، دراسة فى الجغرافية السياسية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص ص ١٣٦-١٣٨.
- ١٤ - المرجع السابق، ص ص ١٤١-١٤٢.
- 15 - Griffiths, L.Li., (1994), op.cit., PP. 169-170.
- 16 - United Nations (Habitat); (1992), Lend for housing, Habitat, Nairobi, P. 3.
- 17 - United Nations; (1969), Growth of the World's Urban and rural population, 1920-2000, Population studies, No. 44, Department of economic and Social affairs, New york, PP. 24-31.
- ١٨ - فتحى محمد أبو عيانة، (١٩٨٣)، جغرافية إفريقية، دراسة إقليمية مع التطبيق على دول جنوب الصحراء، دار النهضة العربية، بيروت، ص ١٧٤.
- ١٩ - جمال حمدان؛ (١٩٦٦)، مرجع سابق، ص ص ١٣٦-١٣٨.
- 20 - United Nations; (1995), World Urbanization prospects; the 1994 estimates on projections of urban and rural populations and urban agglomerations, department for economic and social information and policy analysis, New york, table 5.

- 21 - United Nations; (1969), Op.cit., P. 37.
- 22 - Connor, A.O.; (1983), The African city, Hutchinson University Library for Africa, London, P. 32.
- 23 - United Nations; (1969), op. cit., P. 44.
- 24 - Best, A.C.G. and de Blij, H.J.; (1977), African Survey, John Wiley & Sons, New York, Santa Barbara, London, Sydney, Toronto, PP. 131-136.
- 25 - Ibid., P. 131-136.
- 26 - Ibid., P. 131-136.
- 27 - Ibid., P. 131-136.
- 28 - White, R.R.; (1989) The influence of environmental and economic factors on the urban crisis, in African cities in crisis (ed.), Richard Stren and Rodney White, Westview Press, London, PP. 1-19.
- 29 - United Nations; (1995), World urbanization prospects, op. cit., Table A2, A3.
- ٢٠ - النسب محسوبة عن الأرقام المطلقة في Ibid, A2, A3
- ٢١ - النسب محسوبة عن الأرقام المطلقة في Ibid, Table A3
- 32 - Ibid, Table A4.
- ٢٢ - النسب والأشكال محسوبة ومرسومة بناء على أرقام في Ibid, Table A2, A3.
- ٢٤ - برنامج الأمم المتحدة الإنمائي؛ (١٩٩٥)، تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٥، الطبعة العربية، دار العالم العربي للطباعة، القاهرة، ص ١٥٧.
- 35 - United Nations; (1990), World population monitoring 1989, Special report: The population Situation in the least developed countries, Department of international

economic and social affairs, Population studies, No. 113,
New york, P. 179.

36 - United Nations; (1990), World population prospects 1989,
Tables A15, A18, A22 & A23.

37 - Stock, R.; (1995), Op.cit., PP. 119-132.

38 - United Nations; (1995), op.cit., Table A7, P. 114.

٣٩ - عزيزة محمد على بدر، (١٩٩٧)، طنجة بوابة إفريقيا، دراسة في جغرافية المدن،
القاهرة، ص ٢٠٠.

٤٠ - وقد واجعت الباحثة هذه المشكلة عند دراستها لمدينة طنجة التي نمت خارج حدودها
الإدارية، وقد عدلت الدولة الحدود الإدارية في آخر تعداد ١٩٩٤، إلا أن هذا النمو ظل
لا يذكر منذ خرجت المدينة عند الحدود بعد ١٩٧١ وحتى ١٩٩٤.

٤١ - كما وجدت الباحثة أن معدل النمو السنوي كان ٢٠٪ إلى ٢٥٪ في هوامش مدينة
طنجة خارج الحدود الإدارية.

42 - United Nations, (1995), op.cit., PP. 3-19.

43 - Ibid. , PP. 3-19

44 - Ibid. , PP. 3-19

45 - Ibid. , PP. 3-19

٤٦ - منها على سبيل المثال فتحى محمد أبو عيانة، (١٩٨٤)، السكان والعمران الحضري،
بحوث تطبيقية في بعض الأقطار العربية، (البحث رقم ٥ المدن الكبرى المهيمنة في
الوطن العربي، دار النهضة العربية، بيروت، ص ٢٩١.

* معهد البحوث والدراسات العربية، (١٩٨٠)، التحضر في الوطن العربي (الجزء الثاني)،
القاهرة.

* عزيزة محمد على بدر، (١٩٨٤)، الجمهورية التونسية، دراسة في جغرافية المدن، رسالة
ماجستير (غير منشورة)، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة.

- * Hance, W.A., (1970), Population migration and urbanization in Africa, New york, Columbia University press.
- * Clarke, J.I.; (1972), Urban primacy in tropical Africa : in La Croissance Urbaine en Afrique Noire et a Madagascar, Paris, CNRS.
- 47 - Connor, A.O.; (1983), op.cit., PP. 44-47. & PP. 239-242.
- 48 - Kay, G; (1967), "The towns of Zambia", in Steel, R.W. and Camton, R. (EDS.) Liverpool, Essays in Geography, Longman, London.
- 49 - Ajaegbu, H.I.; (1976), Urban and rural development in Nigeria, Heinemann, London,
- 50 - Connor, A.O.; (1983), The African city, op.cit., p. 255.
- 51 - Ibid. , P. 255.
- 52 - Ibid. , P. 50.
- 53 - United Nations; (1995), op.cit., table A12, P. 139.
- 54 - Ibid.; Table A12, P. 136.
- 55 - Connor, A.O., (1983), op.cit., pp. 50-51.
- ٥٦ - مصدر الأرقام، United Nations, (1995), op.cit., Table A12, P. 136.
- ٥٧ - وزارة التعمير والمجتمعات العمرانية والإسكان والمرافق، (١٩٩١)، مخطط التنمية بعيد المدى لإقليم القاهرة الكبرى، إقليم القاهرة الكبرى المخطط الهيكلي، الهيئة العامة للتخطيط العمراني، معهد التخطيط والتحضر لإقليم باريس، القاهرة، جدول رقم ٢.
- 58 - United Nations; (1995), op.cit., Table A11, P. 13.
- ٥٩ - فتحي محمد أبو عيانة، (١٩٨٤)، مرجع سابق، ص ص ٢٩٤-٢٩٥.
- ٦٠ - عزيزة محمد على بدر، (١٩٨٤)، مرجع سابق، ص ص ٢٤٩-٢٥٤.

- 61 - Connor, A.O.; (1983), op. cit., P. 252.
- 62 - Ibid., P.51.
- ٦٣ - عزيزة محمد على بدر، (١٩٩٧)، مرجع سابق، ص ص ١٨١-٢٠١.
- 64 - Connor, A.O.; (1983), op. cit., P. 53.
- 65 - Ibid., P. 50.
- 66 - United Nations; (1980), Patterns of urban and rural population growth, population studies No. 68, Dept. of international economic and social affairs, New york, pp. 20-37.
- 67 - Ibid.,;pp. 2-37.
- 68 - Morgan, R.W., (1975), Fertility levels and fertility change, In Caldwell, J.C. (ed.), population growth and socio-economic change in West Africa, New york, Columbia press.
- 69 - Thompson, J.W., (1978), Fertility aspirations and modernization in urban Uganda, Urban Anthropology, 7, pp. 70-155.
- 70 - Caldmell, J.C. (ed.); (1975), population growth and socio-economic change in West Africa, New york Columbia university press, p.11.
- 71 - Connor, A.O.; (1983), op.cit., p. 55.
- 72 - Hance, W.A.; (1970), op.cit.; pp. 293-294.
- ٧٣ - لمزيد من التفاصيل إنظر:
- * حمادى بتبوت، (١٩٩٣)، توزيع السكان والهجرة الداخلية فى العالم العربى، المؤتمر العربى للسكان، اللجنة الاقتصادية الإجتماعية لغربى آسيا، صندوق الأمم المتحدة للسكان، جامعة الدول العربية، ص ص ٢-١٠.

* فتحى محمد أبو عيانة، (١٩٨٧)، إتجاهات الهجرة الداخلية فى العالم العربى، المؤتمر العربى، حول السياسيات السكانية، جمعية الديموجرافيين العرب فى تونس مارس ١٩٨٧، جامعة الدول العربية، الأمانة العامة وحدة البحوث والدراسات السكانية.

* Hance, W.A.; (1970), op.cit.

* Caldwell, J.C.; (1969), African rural urban migration: the movement to Ghana's Towns, C. Hurst.

* Clark, J.I. and Rosinski, L.A. (eds.);(1982), redistribution of population in Africa, Heinemann, London.

٧٤ - حمادى بتبوت؛ (١٩٩٣)، مرجع سابق، ص ٥٢، ٥٥، ٥٦.

75 - Economic Commission for Africa (ECA); (1992), demographic handbook for Africa, population division, p. 72.

76 - Economic Commission for Africa (ECA); (1994), Patterns, causes and consequences for development planning of female migration in selected ECA member states, p. 70.

77 - Connor, A.O.; (1983), op.cit., pp. 60-62.

78 - Ibid., pp. 60-62.

* Thiam, B.; (1994), Environmental impact on migration and on the spatial redistribution of the population in Mali; in population environment development, U.N., pp. 175-185.

* نسب المولودين بالقاهرة والجيزة والخرطوم والاسكندرية من: فتحى محمد أبو عيانة، (١٩٨٧)، مرجع سابق، ص ٧.

* نسب مدينة تونس من:

عزيزة محمد على بدر، (١٩٨٤)، الجمهورية التونسية، مرجع سابق، ص ٢٥٥.

* نسب مدينة طنجة من:

عزيزة محمد علي بدر، (١٩٩٧)، مدينة طنجة، مرجع سابق، ص ٢٠٨.

* نسب الدار البيضاء من:

* Direction de la statistique (CERED); (1992), population et emploi, Rabat, p. 117.

79 - Connor, A.O.; (1983), opcit., pp. 60-63.

٨٠ - عزيزة محمد علي بدر، (١٩٨٤)، مرجع سابق، ص ص ٢٦٠-٢٦٢.

٨١ - عزيزة محمد علي بدر، (١٩٩٧)، مرجع سابق، ص ٢٠٨.

82 - Mengele, H.J.; (1994), Interrelations between population, environment and socio-economic development in Tanzania, Cairo Demographic Centre, pp. 216-239, (Population & Development Research Monograph series 1.)

83 - Abdel Hameed, W.; (1994), Size and growth of Urban population in Western Africa, African studies, No. 40, Institute of African research and studies, Cairo University, p. 24.

84 - Thiam, B.; (1994), opcit., pp. 175-185.

85 - Habitat; (1990), Finance for shelter and services: as a component of the Global strategy for shelter to the year 2000, Nairobi, p.2.

- ECA; (1995), op, cit., p. 62.

٨٦ - عزيزة محمد علي بدر ؛ (١٩٩٧)، مرجع سابق، ص ص ٢٨٥-٢٩٠.

87 - ECA; (1995), Economic and Social Survey of Africa, 1994-1995, U.N., Addis-Ababa, p.61.

88 - Griffith, L.Li, (1994), op. cit., pp. 120-121.

- ٨٩ - برنامج الأمم المتحدة الإنمائي؛ (١٩٩٢)، تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٤، الترجمة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص ص ١٦٤-١٦٥ .
- برنامج الأمم المتحدة الإنمائي؛ (١٩٩٥)، تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٥، الترجمة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص ص ١٦٠-١٦١ .
- البنك الدولي؛ (١٩٩٦)، تقرير عن التنمية فى العالم ١٩٩٦، الترجمة العربية، مركز الأهرام للترجمة والنشر، مؤسسة الأهرام، القاهرة، ص ص ٢٢٨-٢٢٩ .
- ٩٠ - تقدمت الباحثة ببحث عن الفقر الحضرى ومشكلة الإسكان فى إفريقيا (١٩٩٦)، ضمن أعمال ندوة نور الأمم المتحدة فى إفريقيا بمعهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة.

91 - Habitat; (1990) , op. cit., p. 2.

92 - Habitat; (1995), Compendium of human settlements statistics 1995,, U.N., New York,pp.350-351.

٩٣ - الجهاز المركزى للتعبئة والإحصاء؛ (١٩٨٩)، النتائج الأولية لتعداد ١٩٨٦، القاهرة.

94 - Mengale, H.J., (1994), op. cit., pp. 216-239.

95 - Kulaba, S., (1989), Local government and the management of urban services in Tanzania, in African cities in crisis, by Stern, R.E. & White, R.R., Westview press, London, pp. 203-245.

- Habitat; (1995), op. cit., pp. 381-398.

٩٧ - ممدوح زكى وآخرون، (١٩٨٩)، المعجم الموضوعى للمصطلحات الطبية ومصادرها اللاتينية واليونانية وشرحها بالعربية والإنجليزية، دار —، الرياض، ص ١٨٣ .

98 - ECA, (1995), op. cit., pp. 56-62.

99 - United Nations, (1995), the challenge of urbanization, the world's large cities, department for economic and social in-

- formation and policy, analysis population devison, New York, pp. 1-3.
- ١٠٠ - فاتن محمد البنا، (١٩٩٢)، الأبعاد الجغرافية لمرض الإيدز فى قارة إفريقيا، مجلة بحوث كلية الآداب جامعة المنوفية، العدد حادى عشر، ديسمبر، ص ص ١١٧-١٥٩.
- ١٠١ - عزيزة محمد على بدر، (١٩٨٤)، مرجع سابق، ص ٢٦٧.
- 102 - United Nations, (1992), population studies, No. 126, World population manitoring 1991, New york, pp. 164-165.
- ١٠٢ - اديراننى أديبوجو، (١٩٩٢)، إفريقيا المهاجرة، مجلة رسالة اليونسكو، يناير ١٩٩٢، اليونسكو، ص ص ٢٢-٢٥.
- 104 - United Nations, (1990), population studies, No. 113, World population monitoring 1989, New york, pp. 197-178.
- 105 - United Nations, (1992), population studies, No. 126, op. cit., pp. 159-160.
- 106 - United Nations, (1990), population studies, no. 113, op. cit., p. 190.
- 107 - United Nations, (1992), no. 126, op. cit., p. 159.
- 108 - Ibid. , p. 160.
- ١٠٩ - عزيزة محمد على بدر، (١٩٨٤)، مرجع سابق، ص ٢٦٠.
- 110 - United Nation, (1995), World Urbanization prospects, the 1994 revision, op. cit., p. 141.

الجغرافيا الطبية للقارة الأفريقية

إعداد

أ.د. محمد مدحت جابر عبد الجليل

استاذ ورئيس قسم الجغرافيا بجامعة

المنيا والإمارات العربية المتحدة

القاهرة

١٩٩٧

الجغرافية الطبية للقارة الافريقية

أهمية دراسة الجغرافية الطبية لافريقيا:

الاهتمام بالجغرافيا الطبية حديث التناول نسبيا من قبل الجغرافيين وذلك لحدائثة الموضوع عموما وغالبا ما تهتم الجغرافيا الطبية بموضوعين رئيسيين، الاول بيئة المرض Disease Ecology والثانى الرعاية الطبية medical care وفى مثل دراستنا المحدودة الحيز هذه، لاينتظر التعميق فى كل مشكلات أفريقيا، أو أن نلم بكل جوانب الموضوع، كما أنه لا ينتظر أن تحل الجغرافيا الطبية مشكلات أفريقيا المزمه،

وتهدف الدارسة عموما إلى رسم صورة عامة شاملة لمشكلات القارة الصحية تفيد العاملين بالحقل الصحى الذين عادة ما يكون نهجهم العلمى جزئيا يقوم على التخصص الشديد على عكس النهج الجغرافى الشامل الذى يركز عل نظرة كلية للأمور. كذلك تهدف الدراسة الى الإشارة لبرامج الرعاية الصحية الحالية وإلى ما يجب أن يوجد فى أية استراتيجىة للرعاية الصحية فى منطقة مثل القارة الافريقية.

ويجب أن يوجه البحث فى الجغرافيا الطبية لحل المشكلات وتبنى الاستراتيجيات على أنها جزء من الجغرافيا التطبيقية، وينتظر من خلال إستخدام مفاهيم وأساليب الجغرافيا أن تبحث الموضوعات ذات العلاقة بالصحة بصورة أفضل. (Meade, et al , 1988:3)^(١).

بيئة المرض فى أفريقيا. Disease Ecology : -

يشبه البعض نمط المرض الحالى فى أفريقيا بما كان سائدا فى أوربا فى العصور الوسطى، كذلك يوصف النمط بالتعقيد، لأن الافريقى يعانى فى أن واحد من عدة أمراض (Mc Glashan, 1975 : 220) والمقصود بيئة المرض فى هذا السياق، البيئة الطبيعية وأيضا البشرية الاجتماعية الحضارية.

١ - البيئة الطبيعية والمرض فى أفريقيا:

من بين عناصر البيئة الطبيعية يبرز المناخ لدوره الواضح فى نوعية المرض بالقارة ويتضح ذلك من أن ثلثى القارة تتصف بالجفاف، لذا كان الحصول على الماء له أولويته، وغالبا ما يكن هذا الماء ملوثا، ولوحظ الاتفاق بين قمة الاصابه بمرض معين وقمة المطر، كما فى حالة البلهارسيا والملاريا.

والماء والمرض متلازمان فى أفريقيا، وأحد الامراض الخطيره دليل ذلك وهو عمى النهر وخاصة فى غرب أفريقيا River Blindness. ويمكن رسم صورة عامة عن ارتباط المرض بالمناطق المناخية فى مناطق الغابات المطيرة ذات الرطوبة العالية والفرق الحرارى الضئيل، وحيث اعتماد السكان على الجذريات والغذاء قليل البروتين، يتعرض السكان لنواقل المرض التى يناسبها الحرارة العالية والرطوبة الزائدة، مثل النودة الخطافية والملاريا، (Parry, 1984: 2-9)^(٣) أما مناطق السافانا، وهى على العكس من المناطق السابقة، يتصف المطر بالفصلية، ويقل تعرض السكان لنواقل المرض سابقة الذكر، الا إذا وجدت مناطق صغرى أو محلية Local - Micro - Climates، وعادة ما ينشأ ذلك بفعل الإنسان، خاصة مثل مشروعات الري وإقامة السدود، وما يتبع ذلك من تفشى البلهارسيا والملاريا. وفى السافانا، تتفق الاصابة بالملاريا وقمة المرض،

كذلك نجد أن البودة الخطافية أقل شيوعاً لأن التربة تجف بسرعة فلا تسمح للبرقات بالبقاء، ويعمل سكان السافانا بالرعى فيتوفر الغذاء البروتينى - عكس الغابات المطيرة - ولذا تقل نسبياً - أمراض سوء التغذية، إلا إذا فشل موسم الحصاد لقلة المطر، ويصحب ذلك إصابة بعض السكان ممن هم على حافة حالة سوء التغذية ونقص البروتين *On the margin of protein malnutrition* وفى المناطق الصحراوية، فالماء قليل، ويوجد الذرة والقمح بقلّة، ويحصل على الماء من خلال حفر فى الأرض وغالباً ما يكون ملوثاً، كذلك تشيع هذه الأمراض المنقولة للإنسان عن الحيوان.

أما فى المناطق المرتفعة، التى يتغير مناخها بالارتفاع، مثل الحال فى إثيوبيا والجمال القائمة على طول الأخدود الإفريقى فى كينيا، وجبل روينزورى ومعظم رواندا وأجزاء من زيمبابوى وبوتسوانا ومنطقة الراند فى أفريقيا الجنوبية، هنا يختلف نمط المرض عما سبق ذكره، وتقل أمراض سوء التغذية إلا إذا فشل موسم المطر فتنتشر المجاعة كما حدث كثيراً فى إثيوبيا. وفى هذه المرتفعات، يؤدى تحرك السكان رأسياً الى تفشى المرض. ومثال ذلك، نقل الملاريا من مناطق أقل ارتفاعاً الى المرتفعات، إذ أن المرض قليل الوجود فى المرتفعات، ولكن تحركات السكان تنقلهم من السفوح المنخفضة إلى المرتفعات. ومثال آخر على علاقة المرض بالمناخ تتمثل فى الأمراض البكتيرية خاصة لدى الأطفال حين تكون الرطوبة عالية والتبخر قليل فينتشر مرض التقيح الجلدى *Pyoderma* وتتفق أعلى أصابه به وبغيرة من الأمراض الفطرية مع موسم المطر، كذلك تظهر الأمراض الخاصة بالإجهاد الحرارى فى المناطق المدارية وينعكس اسم المنطقة المناخية على المرض فيسمى انحباس العرق المدارى *Tropical anhidrosis*. ورغم أن المناخ الحار، وزيادة نسبة المادة الملونة للجلد قد أعطى الزنوج حماية طبيعية ضد سرطان الجلد، إلا أن المرض يظهر

كمشكلة حادة فى مناطق افريقية مثل أوغندا ومالوي، وذلك بسبب عدم علاج الاصابات والجروح أو القرح التى يتعرض لها السكان بسبب طبيعة حرفهم وسيرهم فى مناطق وعرة وجافة (Hutt, 1991: 229)^(٤) ويؤكد ذلك تركيز سرطان الجلد لدى سكان بتسوانا وبعض قبائل صحراء كلهارى فى الأرجل أكثر من غيرها من أجزاء الجسم.

ومن أهم مظاهر الارتباط بين المناخ والمرض هو حالة مرض ليمفوما بوركت Burkitt's Lymphoma إذ ينتشر المرض فى أفريقيا المدارية فى شكل حزام أو نطاق له حدوده المناخية، حيث لا تقل درجة الحرارة عن ١٦م، وكمية المطر عن ١٠٠٠ ملم سنويا، لذا فالمرض غير معروف فى المناطق الجبلية من أفريقيا (Williams, et al, 1974 : 19 - 22) كذلك نجد أن حصوات الكلى هى من أمراض المناطق الجافة، كما هو ملاحظ بخاصة لدى الاطفال فى منطقة الساحل الافريقية. وانخفاض الحرارة كذلك يؤدي لامراض معينة فى الليالى الباردة فى منطقة السافانا وإقليم الساحل ، وأيضا فى المناطق المرتفعة مثل اثيوبيا وكينيا ورواندا وبوروندى وبتسوانا حيث ينتشر مرض تفريط الحرارة Hypothemia (Kambal, et al, 1979: 75 - 9)^(٦) . وليس المناخ البارد وحده مسئولاً عن بعض الأمراض، إنما لابد أن يصاحب ذلك أمراض سوء التغذية والنحافة كما يقرر ديكويار وزملاؤه. (Docquier, et al., 1981: 123)^(٧).

ويظهر تأثير المناخ من خلال تأثيره فى نواقل المرض، فطفيل الملاريا من نوع P. Vivax يتطلب ٧ أيام ليصبح معديا عند درجة حرارة ٢٠م، بينما يتطلب ١٦ يوما عند درجة حرارة ٢٠م، أما النوع المسمى P. malariae فيتطلب ٩ أيام ليصبح معديا عند درجة حرارة ٢٠م، ١١ يوما عند ٢٤م و ٢٠ يوما عند درجة

حرارة ٢٠م، وهو ما يفيد فى رسم خريطة توزيع الملاريا على أسس مناخية (parry, 1984, 13 -15)^(٨) . كذلك نجد أن الذبابة التى تصيب بمرض عمى النهر الشائع فى الغابات المدارية المطيرة، وتعتمد على رطوبتها، لذا تنتشر بين خطى عرض ١٠- ١٢ شمالا ولاحظ بارى أن المناطق المدارية تكون أعلى من خارجها بحوالى ٣ درجات مما يساعد فى نقل الامراض مثل الملاريا (parry, 1984: 13 - 15)^(٩) .

وتؤثر عناصر المناخ فى الفيروسات والبكتريا ، ومن ذلك أن أوبئة الحمى الصفراء أكثر احتمالا للحدوث إذا ما ارتفعت درجة الحرارة، وفى حالة مرض يسمى yaws أى الداء المصعق أو العليقى ورغم ابطال البنسلين لخطورته، فأنه ينتشر بسرعة فى المناطق التى لا تقل بها كمية الامطار عن ١٢٥٠ ملم سنويا (٥٠ بوصة) ومتوسط درجة الحرارة لا يقل عن ٢٤م، ودرجة الحرارة لا تحدد فقط التوزيع الجغرافى للمرض، أنما أيضا الحدود الفصلية Seasonal Limits والتأثيرات المناخية قد لا تكون مباشرة على المرض، فالتغيرات الفصلية المناخية تؤثر فى الإمداد بالغذاء وهذه بدورها تؤثر فى المرض. وعادة ما يكن الغذاء شحيحا ونادرا فى افريقيا قبل الحصاد سواء فى كمية أو نوعيته، ويظهر ذلك فى نقص حمض الفوليك Folic Acid المشتق من الخضروات الطازجة ، ويؤثر ذلك فى صحة الأمهات ونقص وزن المواليد (Nurse, 1975 :1-11)^(١٠) كما يظهر مرض سوء التغذية والملاريا أثناء العمل فى الفصل المطير لدى النساء الحوامل الذين يقومون بأعمال شاقة فى المزارع.

ويمكن القول أن المزارعين فى السافانا الافريقية يتعرضون للأمراض بصورة موسمية، تتفق والمناخ السائد، فيصاب فى يناير وفبراير بمرض رئوى يسمى Pneumococci، وفى مارس وأبريل يصاب بمرض المكورات السحائية

Meningococci، أما فى مايو يونيو فيصاب بدودة غينيا Guinea worm ، وفى يوليو وأغسطس يصاب بالملاريا، وكذا فى شهور الصيف حتى شهر أكتوبر، علما بأن موسم المطر يختلف بحسب موقع كل مكان. ويصاحب أكثر الفترات حرارة فى أفريقيا أمراض خاصة تصيب القلب مثل هبوط أو فشل القلب، وأرتفاع ضغط الدم فى الأمهات الحوامل كثيرى الأطفال. وتزيد اضطرابات التغذية فى الفصل الرطب لنقص حمض الفوليك وندرة الخضروات الطازجة، ونقص التغذية بسبب نقص الحبوب.

وفى الفصل الجاف تنقل الكائنات الدقيقة والبكتيرية أمراض مثل مرض الجمرة أو الذيال anthrax وهو مرض خطير يصيب الغنم والماشية وينتقل للإنسان . ولعل مرض البلهارسيا يوضع بصورة دقيقة العلاقة بين المناخ والمرض ، ففى شرق أفريقيا، وفى الفصل شديد الحرارة للمناخ السوداني، يمنع أنتشار وتكاثر القواقع المسماة Biomphalaria Spp، وبنفس الطريقة فالحرارة المرتفعة فى السهل الساحلى تحد من توزيع قواقع S. Mansoni ووجد أن درجة الحرارة المثالية (المثلى) لنمو القواقع هى ٢٥م، لذلك نجد أنه فى مصر وغيرها فان فصل الشتاء البارد لا نجد الا القليل من القواقع تقوم بنقل العدوى (Parry 1984: 18) وفى حالة الأمراض التى تنتقل عن طريق الهواء مثل مرض التهاب السحايا Meningococcal meningitis وهو من أمراض الساقانا ويوجد بشكل وبائى أحيانا ومتوطن أحيانا أخرى، ويظهر المرض غالبا عند نهاية الفصل الجاف، ومع هطول المطر تبدأ أعداد الحالات فى التناقص كذلك نجد أن مرض الحصبة Measles مرض الأطفال الخطير يكون وبائيا فى الفصل الجاف وخاصة خلال الشهور الأبرد.

وتزيد أصابات الكوليرا خلال الفصل المطير، وفى أنحاء أخرى تزيد الإصابة

عند نهاية الفصل الجاف وذلك لان البقايا الضئيلة من المياه المتبقية تكون مصدرا للمياه الملوثة. وفي كثير من أجزاء أفريقيا ترتبط قمة الاصابة بالمرض مع فصل معين ، وفي حالة مرض الحمى الراجعة تكون قمة الاصابة خلال الفصل المطير وخاصة يوليو وأغسطس في اثيوبيا، ويرجع أن تزامن السكان خلال الفصل يساعد على ذلك ووجد أن حالات السفلس أو الزهري المتوطن En-demic Syphiles والقرح المدارية تزيد لدى جماعات peuls في السنغال والطوارق في النيجر خلال الفصل المطير وتقل جدا في الفصل البارد، كذلك تزيد القرح المدارية بين الفلاحين من الهوسا في شمال نيجيريا خلال الفصل المطير وخاصة في المنطقة الحدودية الفاصلة بين نيجيريا والنيجر. ودور المناخ ليس مطلق إذ لابد من وجود الانسان لينتقل المرض اليه، وعلى ذلك فرغم اتفاق مكانين في المناخ السائد، الا أن الدور الحاسم لنقل المرض هو الانسان، فمرض النوم وجد أنه يسود بدرجة تزيد عشرة مرات بين القبائل التي تحركت من هضبة جوس الى مناطق السافانا المجاورة عن السكان القاطنين لنفس المنطقة ، وذلك لتردد المهاجرين على برك المياه والماء القليل الموجود بالنهر أكثر من السكان المستقرين مما عرض المهاجرين للدغات أكثر من الذباب المسبب للمرض، كذلك تؤثر حرفة السكان في تعرضهم للمرض أكثر من تأثير المناخ، ومثال ذلك جامعو العسل، وأيضا الصيادون الذين يتعرضون للدغ الذباب والحشرات في الادغال والشجيرات خلال الفصل الجاف حين تحتمى هذه الحشرات بهذه النباتات (parry, 1984: 18 - 20)^(١٢).

ويلعب المناخ دورا غير مباشر في نقل المرض، فحين يقل العمل الزراعي في الفصل الجاف في السافانا، يسافر السكان بصورة أكثر فينقلون المرض المعدي حيث يحلون على طول طرق النقل والمواصلات وإلى مناطق تكون الأمراض التي ينقلونها أقل شيوعا، كذلك تكثر حوادث السيارات في غرب افريقية في مارس

وأبريل شديدي الحرارة لاصابة السائقين بالاجهاد. ويتلازم عنصر مناخى أحيانا مع عنصر تضاريسى فى نقل المرض كما فى ليمفوما بوركت سابقة الذكر والشائعة لدى أطفال افريقيا المدارية فالمرض أكثر شيوعا فى المناطق المنخفضة المنسوب ويقل فى المرتفعات قليلة الحرارة، والمرض فى غاية الخطورة فهو يمثل نسبة ٣٥٪ من كل الأورام التى تصيب أطفال أو غنده (Hutt, 1991, 230 - 1). (١٣)

وعلاقة المناخ واضحة فى حالة الأمراض الناجمة عن سوء التغذية، فعلى سبيل المثال نجد أن ارتفاع أسعار الغذاء فى نهاية الفصل الجاف لندرة الغذاء يؤدى لاصابة السكان بمرض «كواشيوركور» وهو نوع من البلاجرا من أمراض سوء التغذية kwashiorkor، وتكون جماعات السامبورو Samburu فى شمال كينيا على حافة المجاعة لمدة ٤ شهور لإعتمادهم على لبن الماشية والتى تعاني نقصا فى الغذاء فى الفصل الجاف مما يقلل من إدراها للألبان.

ويؤدى الجفاف Drought ونقص الماء الى أن يستهلك السكان البذور التى أعدها للزراعة لموسم الزراعة الجديد، لذا يصبح أقل نتاجا، كما أن تعاقب مواسم الجفاف يؤدى إلى هجرة السكان إلى أماكن جديدة عليهم ليست لديهم مناعة لأمراضها مما يسهل إصابتهم بها، كما أنهم يحتشدون فى معسكرات مزدحمة تسهل نقل المرض. وحدث الأوبئة والأمراض عقب فشل مواسم الحصاد شائع فى أفريقيا، مثال ذلك تفشى الحمى الصفراء فى إثيوبيا بعد فشل الموسم الزراعى سنة ١٩٦٤ وحتى فى حالة المساعدات الغذائية، فإن المتضررين يتلقون أحيانا أغذية لم يألّفوها، مثال ذلك تقديم ثريد القمح للمتضررين بالجفاف من الصوماليين وهو ليس مألّوفا لديهم، أو أن الغذاء تنقصه العناصر الغذائية السليمة مثل تقديم ألبان الأطفال فى منطقة الساحل

وبه نقص فى فيتامين A مما نتج عنه مرض فى العين هو جفاف الملتحمة xerophthalmia ويعنى ذلك نشوء مرض ثانوى Secondary disease عن المرض الاصلى. كذلك يوتر الجفاف فى اصابة المحاصيل المخزونة بالفطريات والملوثات، مثال ذلك تلوث الشوفان البرى مما نجم عنه مرض الارجونية Ergotism وهو ناتج عن التسمم من جراء الفطريات فى أثيوبيا (3 - 82 : parry, 1984) (١٤).

ويكون للجغرافى بورة الهام فى التخطيط لبرامج مكافحة الامراض وخاصة ذات الطابع المناخى أو البيئى عموما لنظرته الكلية الشمولية للامور من جغرافية وحضارية وبيئية، ويمكن له التنبؤ بالأوضاع السيئة فى مناطق جغرافية بعينها، والتنبية بأحوال الطرق وضرورة تحسينها ليمنح نقل المحاصيل والمساعدات، وكذلك تحديد الفئات السكانية الأكثر عرضة للمرض من بين الشرائح السكانية Population at risk ورسم الخرائط الموضحة للأحوال المرضية وما يتصل بها وخاصة خرائط الانتشار Diffusion التى توضح درجة انتشار المرض ومساراته مما يمكن من محاصرته. كذلك يمكن للجغرافى التنبية الى خصائص جماعات بعينها فى التغذية وعاداتهم مما يمنع المفارقات التى تحدث فى حالة المجاعات ونقص الغذاء من تقديم غذاء غير مناسب، وقد يكون أكثر تكلفة مما تعود عليه السكان.

(٢) البيئة الاجتماعية والحضارية وعلاقتها بالمرض فى افريقيا:

لا تلعب العناصر الطبيعية دورا منفردا فى الاصابة بالمرض كما سبق الذكر، وإنما لابد من وجود الانسان فى هذا السياق، واختلاف السلوك يؤدي إلى اختلاف درجة التعرض للمرض. فإذا بدأنا بالجوانب الديموجرافية: فإننا نجد أن معدلات نمو السكان فى أفريقيا هي من أعلاها فى العالم ووصلت الى

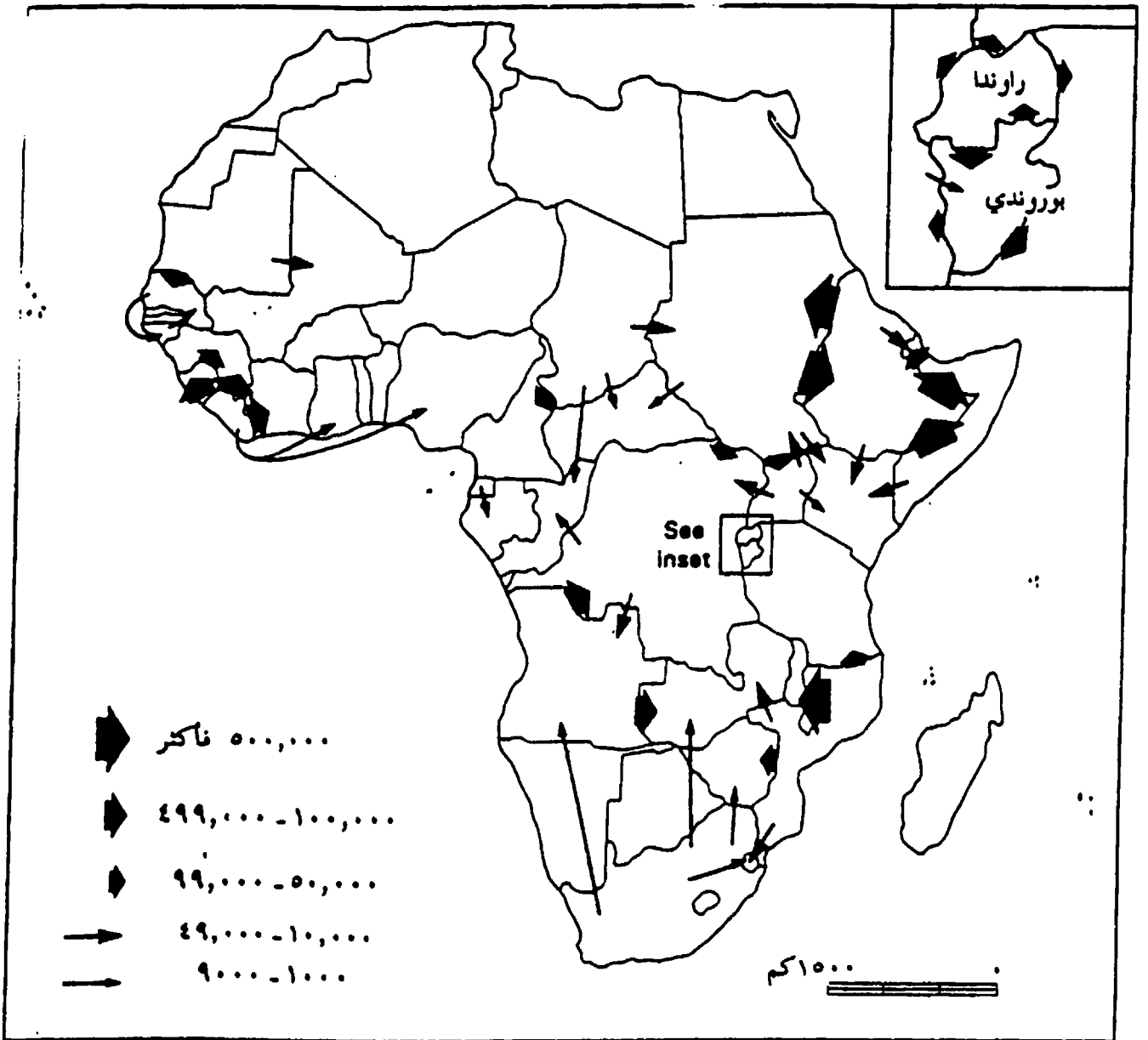
٣٪ سنويا كمتوسط للفترة بين ١٩٨٥ - ١٩٩٠ . (Stock, 1995 : 119) (١٥) وتصل حاليا الى ١,٣٪ سنويا وهو ما يعنى تضاعف عدد السكان بعد ٢٣ سنة فقط. وقد وصل عدد سكان القارة فى بداية سنة ١٩٩٧ إلى حوالى ٧٥٠ مليون نسمة. وواكب النمو السكانى تزايد الأزمات الاقتصادية وموجات الجفاف وعدم الاستقرار السياسى، ورغم النمو فى معدل نصيب الفرد من الناتج المحلى والإجمالى فى بعض البلدان الإفريقية، إلا أن الزيادة السكانية أبتلعت هذه الزيادة، وأنعكس ذلك على سوء التغذية والاصابة بالأمراض، وقلة المخصصات لاستكمال برامج التطعيم والرعاية الصحية، وفى أفريقية بلدان أصبحت أقل فى معدلات الدخل الفعلى فى الوقت الحالى مما كانت عليه حين حصلت على استقلالها (Whaley & Hashim, 1995: 133-5) (١٦) أما عن الخصوبة Fer-tility فإنها عالية عموما وأحد أسباب الأمراض الشائعة فى أفريقية للام أو للابناء. ويصل معدل الخصوبة الكلية إلى أكثر من ٦ أطفال. ومع الفقر المنتشر فى أرجاء افريقيا فإن أمراض سوء التغذية شائعة، ورغم ارتفاع معدلات الخصوبة، إلا أن نسبة العقم كبيرة فى أفريقيا، وبينما نجد هذه النسبة فى حدود ٢-٣٪ فى أوروبا نجدها قد تصل الى ستة أو سبعة أضعاف ذلك فى أفريقيا جنوب الصحراء ، ويعمل البعض ذلك بانتشار الأمراض الانثوية وإهمال علاجها وتفاقمها مما يؤدي الى العقم من ناحية وانتشار أورام سرطانية بعد تحولها لأمراض مزمنة من ناحية أخرى .

وأما عن الوفيات Mortality فقد تحسن وضعها أكثر من المواليد، وربما يكون معدل وفيات الأطفال الرضع أكثر دلالة فى ذلك السياق، والذي لا يزال مرتفعا فى معظم دول أفريقية. وعلى سبيل المثال فبينما وصل ذلك المعدل الى ٤ فى الألف فى السويد سنة ١٩٩٤، ٨ فى الولايات المتحدة، ٥ فى سنغافورة وهونج كونج يصل الى ٩٢ فى الألف فى أفريقيا جنوب الصحراء مع تباين

واسع بين دولها، فيصل الى ١٤٦ فى الألف فى موزمبيق، ١٦٢ فى سيراليون ، ١٢٨ فى غينيا بيساو، ١٢٨ فى جامبيا وينخفض الى ٥٢ فى الالف فى مصر وجنوب أفريقيا، ٨١ فى نيجيريا، ٧٤ فى غانا ويصل أدناه فى بوتسوانا ٢٤ فى الألف وفى تونس ٤٥ فى الألف^(١٧) (البنك الدولى - تقرير عن التنمية فى العالم - ١٩٩٦ : ٢٤٨ - ٩٠) وهناك إرتباط فى أفريقيا بين الفقر وارتفاع المعدل المذكور ومعدل وفيات الأطفال أقل من ٥ سنوات فى دول أفريقيا جنوب الصحراء يزيد عن ٢٥٠ لكل ١٠٠٠ مولود فى دول مثل النيجر وسراليون وأنجولا وموزمبيق وذلك بسبب الأمراض الخطيرة التى تهدد حياة الأطفال، وأنعكس ذلك على أمد الحياه الذى هو أقصره فى العالم ويصل إلى أقل من ٥٠ سنة فى ٢١ دولة وإلى أقل من ٦٠ سنة فى ٤٠ دولة، ورغم أن أمد الحياه يزيد على ٦٠ سنة فى دول الشمال الإفريقى العربى، الا أنه أكثر من ٦٠ سنة فى ٤ دول فقط بإفريقيا جنوب الصحراء هى بوتسوانا وجنوب أفريقيا، وزيمبابوى وكيب فرد (Stock, 1995 : 125 - 127)^(١٨) وأهم الأمراض القاتلة للأطفال هى الملاريا وهى تقتل وحدها ٥٠٠,٠٠٠ طفل إفريقى سنويا إضافة إلى البالغين. أما البلهارسيا فتصيب ٢٠٠ مليون إفريقى علي الاقل، وأدت مشروعات الرى لاصابة ٧٥٪ من السكان القاطنين فى منطقة هذه المشروعات. أما الكوليرا فسائدة لتلوث المياه، وتردى الأوضاع المعيشية والصحية. والاسهال أيضا قاتل رئيسى ولاسيما بين الأطفال، إضافة لمرض الحصبة التى تحصد الآلاف وخاصة فى بعض السنوات مما يزيد من أعداد الوفيات فى هذه السنوات رغم توافر الطعم الخاص بهذا المرض وبثمن رخيص، ومع ذلك لم ينجح تحصين أفريقيا ككل مما يسهل نقل المرض، لذلك كان سكان الريف هم أكثر الضحايا نظرا لعدم العدالة واللامساواة Inequality فى الخدمات الصحية بين الريف والحضر .

ومن أسباب الوفاة فى أفريقيا التدخين، والذى تضاعف حوالى ٥ مرات خلال عشرين سنة (على خلاف الوضع فى العالم المتقدم) وانعكس ذلك فى التغيير فى نمط المرض التقليدى بظهور آثار التدخين فى صورة تزايد امراض الرئة والسرطان بأنواعه (Stock, 1995 : 129) وأخيرا فان ظهور مرض الإيدز وفيرس نقص المناعة المكتسبة H.I.V. قد أثر فى جغرافية إفريقيا الطبية حين ظهور المرض بها منذ عقد ونصف من الزمان. وأفريقيا الآن صاحبة أكبر نسبة فى الإصابة سواء بالفيرس أو بالمرض اذا أن الأخير لا يمثل سوى قمة جبل الجليد Ice berg إذ أن الفيرس يظل كامنا لعدة سنوات طويله قبل أن يتحول إلى مرض الإيدز. وللإيدز عواقب ديموجرافية وخيمة، وفى ذلك السياق يشير Chin أنه فى دولة واحدة هى وسط أفريقيا وطبقا لدراسات مسحية، ونماذج تنبؤية، فان الخسارة السكانية فى الحضر ستصبح فى نهاية سنة ١٩٩٧ ٣١,٥٪ وفى الريف ٢,٤٪ وفى الدولة ككل ٦,٤٪ (Chin, 1991: 210 - 11)^(١٩) وبحسب تقدير WHO فمع حلول سنة ٢٠٠٠ سيكون فى أفريقيا ٢٠ مليون مصاب بالفيرس H.I.V. وعشرة مليون يتيم وهو وضع سيلقى نجاحات برامج التنمية إن وجدت - ويقلب وضع نمو السكان، ومما سيؤدى الى تقلص وعجز القوى العاملة الافريقية بنسبة ٢٠٪ فى العقد التسعينى، ومما يزيد الطينة بله أن مريض الإيدز فى الدول المتقدمة يتكلف رعاية صحية تصل لاكثر من ٨٥ ألف دولار للفرد، وهو يعد فوق طاقة أغنى الدول فى القارة الافريقية (Whaley & Hashim, 1995: 142) ^(٢٠).

وأما عن هجرة السكان وتحركاتهم فلها دورها الهام فى نقل المرض، وليس هنا مجال تعداد أنواع الهجرات فى أفريقيا، الا أن السنوات الأخيرة شهدت هجرات مفاجئة لاسباب اقتصادية وطبيعية وبيئية وسياسية وعرقية.. الخ. والوضع الحالى فى زائير ورواندا وبورندى دليل على ذلك، ويصاحب هذه



شكل (١)

حركة اللاجئين الرئيسية في سنة ١٩٩٠ / ١٩٩١ في أفريقيا جنوب الصحراء .

الهجرات مجاعات ونقص فى التغذية وأمراض لاحصر لها . ومنذ شهور قليلة قتل فى خضم هذه الهجرات الاجبارية حوالى نصف مليون شخص فى الصراع بين الهوتو والتوتسى وأصبح الارتباط اليوم بين الهجرة والمرضى أكثر وضوحا . وفى أفريقيا اليوم أكبر تركيز للآجئين فى العالم، وأشارت الامم المتحدة إلى وجود حوالى خمسة ملايين لاجئ فى أفريقيا جنوب الصحراء (٨, ٤) مليون لاجئ سنة ١٩٩١ ويوضح ذلك الشكل (١) علما بأن الرقم الحقيقى أكبر من ذلك، والسبب ضعف التسجيل لكل الاحصاءات فى أفريقيا تقريبا، وتأثير اللجوء فى المرض واضح اذا علمنا أن ثلاثة أرباع اللاجئين هم من الاطفال والاناث. ويمثل اللجوء عبئا صحيا على الدول المضيفة لهم، وهى أصلا تعاني من نقص فى التسهيلات الصحية، وكمثال، فإن السودان أستقبل فى الستينات لاجئين من الدول المجاورة مثل زائير وتشاد وأوغندا وأثيوبيا، بلغوا ١٠٠,٠٠٠ لاجئ فى منتصف الستينيات، ثم زابوا الى ٤٠٠,٠٠٠ لاجئ فى بداية الثمانينيات، ثم الى ١,٢٠٠,٠٠٠ لاجئ سنة ١٩٨٦ قبل أن ينخفضوا الى ٧٥٠,٠٠٠ لاجئ سنة ١٩٩٠ (Stock, 1995: 142-3) (٢١). أما عن الهجرة الريفية - الحضرية فلها دورها الكبير فى نقل المرض، إذ يحل معظم القادمين فى أطراف المدن وأحيائها الفقيرة ويعملون على تريف هذه المدن Ruralization of cities وكمثال فان سكانها يقدر أنهم تضاعفوا أو سنيضاعفوا ست مرات بين سنة ١٩٨٠ - سنة ٢٠٠٠ ويعزى ذلك أساس لهذه الهجرة. وتؤثر عمليات إعادة التوطين وتهجير السكان فى حالة التهديد بالمرض فى تعرض السكان لأمراض غريبه عليهم، كما فى حالة المهددين بمرض عمى النهر فى نول غرب أفريقية، والهجرات الموسمية التقليدية مثل هجرات الرعاة، والمزارعين خلال قلة العمل الزراعى كذلك الهجرات بسبب إنشاء مشروعات مائية مثل هجرة النوبيين المصريين والسودانيين إلى بيئات غريبة عليهم وبعض أهالى النوبة السودانيين الذين هاجرو للمديرية الأستوائية بسبب إنشاء السد العالى من مناخ شبة

صحراوى الى مناخ حار ورطب، ومن مناطق تتغذى على الحبوب والبقول إلى مناطق تتغذى على الجذريات والدرنيات، ومن مناطق زراعة الأرز الى مناطق محاصيل البستنة التى يطلبها السوق ، ومن منطقة تعد الاصابة بالملاريا بها ضئيلة، إلى منطقة يتوطن فيها المرض ومن منطقة يزيد بها معدل الاصابة بالبلهارسيا إلى منطقة نادرة الاصابة بالمرض، ومن منطقة لا تعرف مرض عمى النهر، إلى منطقة يشيع بها المرض، كل ذلك يعطى صورة واضحة عن عبء المرض الذى من الممكن أن يحيق بالمهاجر، يضاف لذلك سرعة سريان المرض بسبب نقص المناعة الطبيعية للأمراض التى تجابهه وتعرضه للمرض بسبب أغذية لم يتعود عليها، وقد تكون أقل فى عناصرها الغذائية، أو لأنه يعزف عن تناولها (8 - 25: Parry, 1984) (٢٢). وفيما يلي بعض الأمثلة لعلاقة الهجرة بالمرض فى أفريقيا وخاصة جنوب الصحراء.

أ - هجرة البدو للمدن بعد فقد قطعانهم بسبب الجفاف مما يعرضهم للضايح والمرض كما حدث للطوارق والبدو الرحل حين حلوا بمدينة زاريا شمال نيجيريا سنة ١٩٧٣ فأصابتهم أمراض عديدة وظهرت الحصبة ومرض الشهقة أو السعال الديكى Pertussis بين أطفالهم.

ب - تنتقل الأمراض المعدية عن طريق التجارة الدولية والمحلية - ومثال ذلك انتشار الحمى الراجعة فى السودان الغربى بعد الحرب العالمية الثانية. والطاعون فى غانا سنة ١٩٠٨، سنة ١٩٢٤ بواسطة تجار تحركوا من قرية لأخرى على طول الساحل، وفى شرق أفريقيا، فإن طرق القوافل كانت مسنولة عن نقل الكوليرا من سواحل البحر الأحمر إلى داخل القارة وجنوبا إلى الساحل الصومالى، كذلك كان للسفن والتجارة البحرية دورها فى نقل المرض بين الهند وجزر الهند الشرقية والجزيرة العربية وشرق

أفريقيا. (Stock, 1976: 15 - 22) (٢٢) وفي مناسبة أخرى دخلت الحمى الراجعة لأفريقيا بواسطة سفينة عربية وصلت إلى كينيا سنة ١٩٤٥ بواسطة أحد الركاب الذي أرتحل للداخل فانتشر المرض بين السكان غير المحصنين طبيعياً.

ج - تؤدي الهجرة إلى نقل نمط المرض لبلد المهاجر إلى مكان الوفود، والذي يكون المرض به غريباً على سكانه وهناك العديد من الأمثلة على ذلك كهجرة الأفارقة والآسيويين إلى الولايات المتحدة وأوروبا، وكذلك هجرة العمالة في منطقة الخليج (Gaber, 1987: 37 - 49) (٢٤) ومن أمثلة ذلك في أفريقيا نمط السرطان في منطقة الراند بين عمال التعدين، إذا كان القادمون من موزمبيق مصابون بسرطان الكبد، بصورة أكبر من القادمين من ترانسكاي وسوازيلاند.

د - ليست الهجرة شراً كلها فقد تتحسن الحالة المرضية، فالأمراض الجلدية تتحسن بانتقال السكان من مناطق ساحلية رطبة إلى مناطق داخلية أكثر جفافاً.

هـ - أخطر الأمراض التي تهدد أفريقيا حالياً وهو الإيدز، وجد أنه ينتشر على طول خطوط المواصلات، ويفترض الباحثون أنه وصل لشرق أفريقيا من مصدر رئيسي للعدوى على شواطئ بحيرة فكتوريا وبواسطة الطريق الشرياني الذي يربط بحيرة فكتوريا بالساحل على المحيط الهندي والمسمى The Trans-African Highway - . وفي دراسة وجد أن ٣٣٪ من سائقي الشاحنات على هذا الطريق كانوا يحملون الفيروس المسبب للمرض. وأن معظمهم مريض بالإيدز بالفعل سنة ١٩٨٧، وأدت طرق النقل لزيادة الإصابة في أوغنده فقد زادت عدد الحالات المبلغ عنها عن الإيدز من ١٧ حالة سنة ١٩٨٢ إلى ٧٥٠٠ حالة سنة ١٩٩٠، الآن تعد أوغندا من أشد دول العالم إصابة

(70: Shannon, et al, 1991) (٢٥) وتتوقع الأمم المتحدة في دراسة لها سنة ١٩٩٤ أن الخسارة السكانية في أوغنده سنة ١٩٩٠ بسبب الإيدز بلغت نسبتها ١,١٪، سنة ١٩٩٥ ٣,٤٪ وسوف تبلغ الخسارة السكانية سنة ٢٠٠٠ ٦,٢٪ من حجم السكان أى ١,٥ مليون نسمة وتزيد لتصل إلى ٨,٤٪ أى ٢,٥ مليون نسمة سنة ٢٠٠٥ (U.N., 1994: 42).

أما عن دور العادات والتقاليد في الجغرافيا الطبية لأفريقيا. وهي جزء من خصائص القارة الاجتماعية الاقتصادية Socio Economic فهو دور يكاد لا يوازيه دور آخر في العالم.

والأمثلة التالية توضح ذلك مما يدخل في الغذاء والعادات الغذائية وطرق المعيشة والطب الشعبي وتربية الاطفال والاختلاط بالحيوان وطبيعة السكن.

١ - تعد الكسافا غذاء رئيسيا في كثير من أنحاء أفريقية وثبت وجود مادة السيانييد السامة في قشر الكسافا ويؤدي هذا الى إصابة السكان بمرض الإعتلال العصبى Neuropathy وثبت أن المرض لا يظهر لدى الشعوب التي لا تتناول الكسافا وقشرها كغذاء.

٢ - تتناول بعض الجماعات الافريقية اللحم النيء أو غير المطهو جيدا مما ينشر أمراض الحساسية والتهاب الحنجرة Laryngitis كما هو الحال عند جماعات أبو زيلج وأبو ديلج في شمال السودان حيث يتناولون المارام Maram (الكبد النيء والرنة النيئة والاحشاء الخاصة بالماعز). والتي تكون مصابة بشدة بالطفيليات، وكذلك يشيع مرض التحوصل Hydatid بين جماعات التوركانا في شمال كينيا، لإصابة قطعانهم بالمرض. وهناك غذاء شهير يتم فطام الأطفال عليه في أفريقيا، يكون عادة ملوثا بالبكتريا ويؤدي لاندلاع أوبئة أحيانا، كما حدث بين بدو كينيا حين ظهر وباء من جراء ذلك.

٢ - تشيع الوصفات المحلية بين القبائل فى أفريقية عموما ومن ذلك وضع الطين على المصابين بمرض الجدري الكاذب أو المائى Chichenpox فى النطاق السوادنى مما يؤدى لمرض التيتانوس الوليد (2-30: Parry 1984) (٢٦)

٤ - تسود عادة أكل الطين Geophagy والتي درسها عديد من الجغرافيين فى أنحاء أفريقيا، وبعض جهات العالم، ويرجع معظمهم أصلها إلى تقليد أفريقى معروف ، وتوجد حتى فى الولايات المتحدة كما يذكر الجغرافى جون «هنتر»، أما «ابراها مزوبار سونز» فيربطانها بالفقر فى أفريقية، ويرى من درس هذه العادة أنها دليل على عدم التوازن فى الأملاح لدى ممارسيها Min-eral Inbalance ونقص بعض المعادن والذي تعوضه هذه العادة من خلال الطين المستهلك وخاصة من الحديد (63-72: Abrahams & Parsona, 1996). (٢٧) ويرى الباحثان أن التقليد شائع بين السكان فى مناطق الازدحام وله علاقة بالحمل والممارسات الدينية، والطب الشعبى، وبمدى توفير الطين فى مناطق معينة مثل جوانب الأنهار، ونقل ممارسة هذه العادة فى الصحارى والجزر المنعزلة مثل مدغشقر، وكان الجغرافى جون هنتر من أوائل من وجهوا النظر لذلك التقليد ودرسه فى إطار جغرافى ((Hunter, 1973: 173-95) (٢٨)

٥ - تعاطى المشروبات الكحولية محلية الصنع والمشتقة من حبوب تقليدية كالذرة والدخن، فى أوانى معدنية حديدية وخاصة فى جنوب أفريقيا يعد مسئولا عن مرض دموى يسمى Haemosiderosis فى شمال شرقى زيمبابوي، ومالوى والمناطق المجاورة من زامبيا، حيث تصنع المشروبات الروحية المحلية من السكر الذرة وتسمى Kachasa، ويكافأ العمال فى بعض مزارع العنب الإفريقية بإعطائهم كميات اضافية من النبيذ المحلى المسبب للمرض.

٦ - تسود أفريقيا ممارسات خاطئة خاصة برضاة وطفام الأطفال، وعادة

ما يكون الغذاء ملوثا وحاولت بعض الدول الأفريقية تصحيح ذلك وتعميم التغذية الطبيعية بين الأمهات والعاملين الصحيين، ومن ذلك ما ذكرته جانيت برادلى وزملاؤها فى دراسة عن ذلك فى مستشفيات كينيا، وبعض ممارسات الطب الشعبى قد تكون قاتلة أو تصيب بعاهات يصعب علاجها، من ذلك ما قرره اشاباى وهو مستشارهندي فى طب الأطفال اذ ذكر أنه أثناء عمله فى تنزانيا وجد بعض العادات الشعبىة المدمرة مثل استئصال اللهاة فى الحلق لعلاج الالتهابات والبرد (اشاباى - ١٩٨٥ : ١٥١) (٢٩). وأجرى البشرى وزملاؤه دراسة عن تغذية الأمهات للأطفال فى ريف وحضر السودان ، فوجدوا أن الأمهات يعتبرن لبن الأم هو الأهم كغذاء لكنهن لا يواصلن ذلك لفترة طويلة فإن ٩٢٪ منهن تقمن بالتغذية الطبيعية لفترة ستة أشهر فقط، ٦٥٪ يكملن السنة واستعاض البعض عن لبن الأم بغذاء يسمى «الجريولى» مصنوع من الأرز أو الثرغوم وهى أغذية أقل قيمة من لبن الام (El. Bushra, et al, 1994: 309 -12) (٣٠)

٧ - تسود عادة غربية وغير صحية بين قبائل التوركانا فى شمال كينيا، اذا يستخدمون الكلاب لرعاية الاطفال الرضع، والاطفال الصغار وذلك بتنظيفهم حين يتسخون أو يتقيأون أو عند قضاء حاجتهم وذلك لنقص الماء فى البيئة مما يصيب الأطفال بمرض التحوصل Haydatis والمرض أقل شيوعا لدى شمال التوركانا لأن هذه العادة أقل شيوعا (French & Nelson, 1982:439-57) (٣١).

٨ - سيادة عادة التدخين فى معظم الدول الأفريقية يهدد كما تذكر الأمم المتحدة بعواقب وخيمة تفوق آثار الأمراض المعدية وأمراض سوء التغذية ، وهو اتجاه عكسى لما هو سائد الآن فى دول أوروبا وأمريكا الشمالية التى يقل بها الاتجاه للتدخين، يضاف إلى ذلك عادات تدخين مواد أخرى أو تخزينها مثل

تخزين اللغات فى شرق أفريقيا، التى تنتشر أيضا فى اليمن ويرى البعض أن شرق أفريقيا ربما كان موطن للغات (محمد مدحت جابر- ١٩٨٧- ٩ - ١٢) (٣٢) ولغات آثار صحية سيئة، عوضا عن إهدار الوقت والمال.

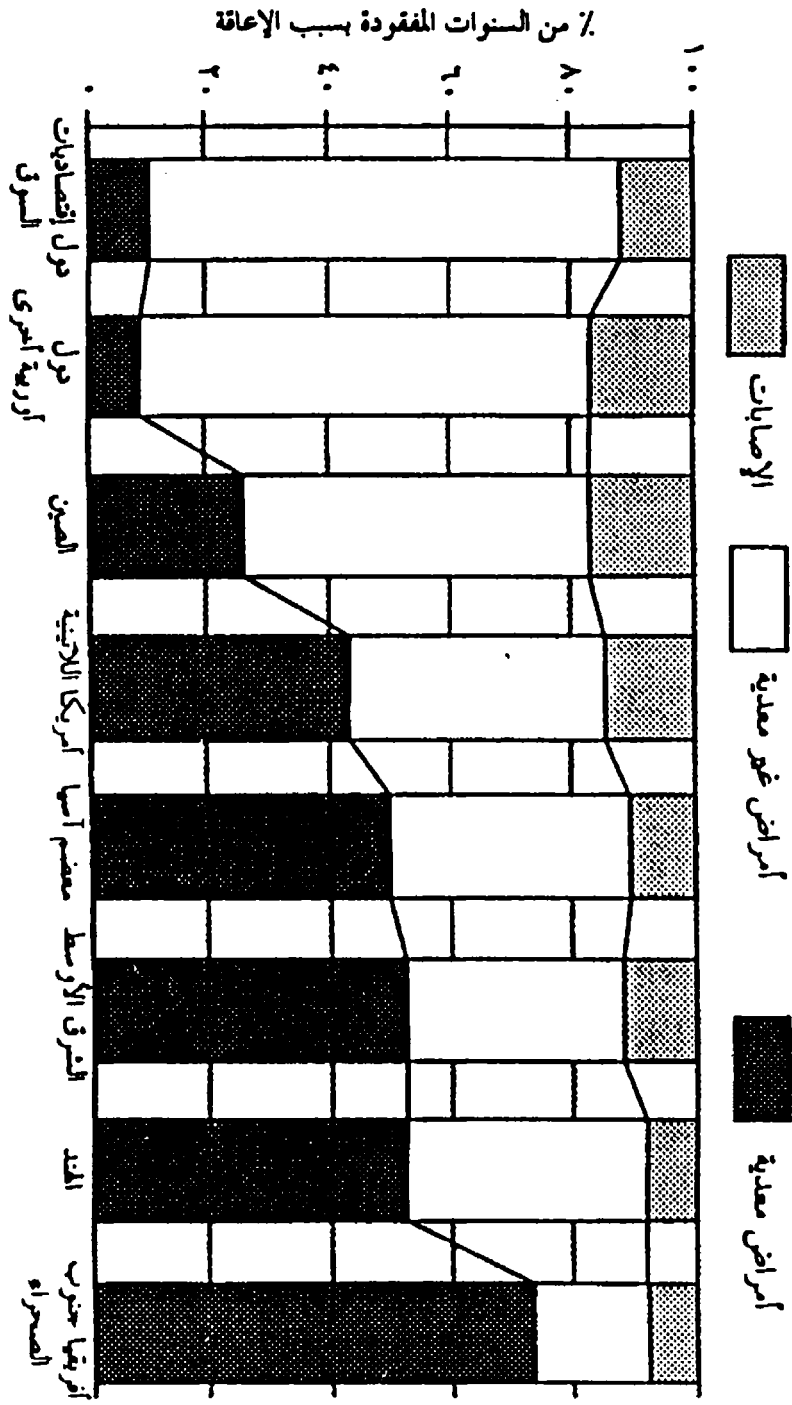
٩ - أكثر العادات شيوعا هى الذهاب للمطبيين الشعبيين، رغم أن هذا الموضوع يعد موضوعاً خلافياً على أساس أن الطب الشعبى يسد الفجوة بين الأغنياء الذين بمقدورهم طلب مساعدة الطب الحديث وبين الفقراء، فإن بعض الممارسات كما سبق الذكر سيئة للغاية، ويلجأ البعض للطب الحديث بعد أن تتضاعف وتسوء حالاتهم وفى أفريقيا، ويعتقد البعض أن المرض من فعل السحر، أو من عمل الأعداء والأرواح الشريرة، الجن، ومعظم مرضى الصرع Epilepsy يؤخرون أولاً إلى المطيب الشعبى لاستخراج الأرواح الشريرة، وفى كينيا فإن الدرن الرئوى والعقم لدى نساء شعب الكامبا Kamba وغيرها يعزى للأرواح. وفى نيجيريا تعزى بعض الأمراض مثل مرضى الدودة الخيطية Loa loa لأعمال السحر، وعلى ذلك لاداعى لاستشارة الطبيب الذى يمارس الطب الحديث (Parry, 1984: 32-5) (٣٣).

١٠ - يتفاوت إدراك خطورة المرض لدى الأفارقة بين مكان وآخر، وتؤثر المعتقدات القبلية فى ذلك، فبعض جماعات الايبو النيجيرية تعتقد أن الصرع ينتقل بالملامسة، ولذا يجب نقل المريض للمستشفى بأقصى سرعة، بينما بعض جماعات غانا المجاورة تعتقد أن المرض نفسه يعد وصمة عار Stigma ولذلك على المريض أن يحتجب ولا يرى أحدا مما يؤخر العلاج ويجعل الحالة تسوء. و يترتب على إدراك المرض سرعة أو ببطء علاجه، فالخوف من البرد لدى الأمهات حديثى الولادة خلال فترة النفاس يجعلهن ينمن فى سرر من الطين، وترتفع درجة الحرارة فى أكواخهم خلال الفصل الحار ويسهم ذلك فى إصابتهن بهبوط

فى القلب (8- 203 : Davidson, et al, 1974) (٣٤). كذلك توصف علاجات غريبة فى أثيوبيا لدى جماعات الكوسو Kosso تسبب الأمراض ويوصف بول البقر كعلاج فى بعض أجزاء نيجيريا مما يؤدى لتدمير الكلى أو الكبد. وفى كينيا تعد بعض الأمراض الجلدية وصمة عار، لذلك توصف علاجات لحرق الجزء المصاب من الجلد، وفى كثير من الحالات ، فإن أكثر الضحايا هم من الأطفال الذين توصف لهم علاجات ضارة لأعينهم الملتهبة عقب مرض الحصبة تؤدى الى العمى أحيانا (5- 34 : Parry, 1984) (٣٥).

التحضر والمرض فى أفريقيا :-

تأتى أفريقيا فى ذيل قارات العالم فى درجة الحضرية، وإن زادت هذه الدرجة فى العقدين الأخيرين، ومع وجود غالبية السكان بالريف، غلبت أمراضه عليهم، وخاصة المعدية والطفيلية، ومع ذلك يتأثر الحضر بالأعداد الأكبر من مرض الإيدز حاليا فى أفريقيا، ويرتبط التحضر بعملية التحول الديموجرافى والتغير الذى يطرأ على المواليد والوفيات وقلة هذه الأخيرة فى مناطق الحضر عن الريف مما يسرع بالتحول الديموجرافى Demographic Transition ويمهد ذلك بدورة للدخول فى مرحلة التحول الوبائى -Epidemiological Transition والتي تعنى التحول من نمط الأمراض المعدية والوبائية والطفيلية إلى نمط الامراض المزمنة السائدة فى المجتمعات الغربية كأمراض القلب والسرطان، ونموذج التحول الوبائى أقترحة عمران سنة ١٩٧١ ويربط بين التغيرات الوبائية وبين التنمية الاجتماعية والاقتصادية وهذه العملية تختلف زمانا ومكانا (81 : Curtis & Taket, 1996) (٣٦) . ولا يزال معدل الخصوبة فى أفريقيا عاليا بالمقارنة بالقارات الأخرى لذا فإن القليل من دولها هو الذى مر بمرحلة التحول الوبائى، وتقع معظم دول القارة فى المرحلة الديموجرافية الأولى والثانية ولذا فأمراضها السائدة هى المعدية والطفيلية، وكذا فى المرحلة الأولى



شكل (٢)

توزيع النسبة المئوية لسنوات الإعاقة بحسب السبب في الأقاليم الديو جرافية في العالم .

والثانية من مراحل التحول الوبائي الخمسة وذلك على عكس أقاليم غرب أوروبا وأمريكا الشمالية. ويوضح شكل (٢) أن أفريقيا جنوب الصحراء أكثر أقاليم العالم الديموجرافية خسارة في سنوات الحياة بسبب الأمراض المعدية، ومع تزايد درجة الحضرية، والمنخفضة أساسا في معظم القارة يتحول نمط المرض شيئا فشيئا بدرجات تختلف من دولة لاخرى، ولذا يجب أن تأخذ الاستراتيجيات الصحية هذا التحول في الاعتبار ومع انخفاض درجة الحضرية تزيد الاصابة بالأمراض المعدية ويعقد الأمور قلة المتمتعين في أفريقيا بمياه الشرب النقية إذ تصل نسبة هؤلاء الى ٢٢٪ في موزمبيق سنة ١٩٩٣ والى ١٨٪ في أثيوبيا، والى ٢٥٪ في غينيا (البنك الدولي - تقرير عن التنمية في العالم ١٩٩٦: ٢٤٨) (٣٧) وتجدر الإشارة إلى أن الحضرة الأفريقي في أحيانا كثيرة لا يختلف عن الريف ، لذا نجد بعض أمراض الملاريا وقد يطلق عليها أحيانا Ur-ban Malaria، الملاريا الحضرية.

نمط المرض في القارة الأفريقية :-

يرتبط النمط بالتحول الديموجرافي والوبائي، ويمكن من واقع دراسة أسباب الوفاة الخروج بفكرة صائبة عن نمط المرض السائد في عموم أفريقيا، مع ملاحظة أنه نمط سريع التغير لان أسباب الوفاة قد تكون في صورة أوبئة، لذا تزيد نسبة أمراض في عام عن الذي يسبقه أو الذي يليه ، ومع ذلك فإنه يمكن القول أن النمط السائد يغلب عليه الأمراض المعدية والطفيلية وليس المزمنة كما هو حال النمط المرضى للدول المتقدمة.

والجدول التالي يوضح الأهمية النسبة لأمراض كانت سببا للوفاة في عامين

متتاليين في بعض مستشفيات تنزانيا في منتصف السبعينيات (١٩٧٦/٧٥).

جدول رقم (١)

النسبة المئوية للأمراض المتسببة في الوفاة في مستشفيات

تتزانبا سنة ١٩٧٦ / ٧٥ م

النسبة المئوية لجملة الوفيات سنة ١٩٧٦	النسبة المئوية لجملة الوفيات سنة ١٩٧٥	المرض
١٢,٧	٪١١,٩	الالتهاب الرئوي
٢,٤	٪٢,٧	الأمراض المعدية
٢,٨	٪٢,١٨	الملاريا
٦,٢	٪٢,٨٧	الدرن
٧,٤	٪٥,١٣	نقص التغذية
٦,١	٪٧,٨٣	الأنيميا
٦,٦	٪٠,٩٨	أمراض الطفولة المبكرة
٨,٦	٪٢٦,٤١	الحصبة
٢,٠	٪١٣,٢١	التيتانوس
٤,٦	٪٤,٦٤	أمراض القلب
٣,٠	٪٠,٣٢	الالتهاب السحائي
٦٢,٩	٪٧٨,٣٨	الجملة

Mwaluko, 1984: 192

المصدر:

ويتضح من الجدول أن حوالي ثلثي حتى أكثر من ثلاثة أرباع حالات الوفاة

ترجع لأمراض أغلبها معد وهي شبه غائبة في نمط المرض للمجتمعات الصناعية التي تحتل فيها أمراض القلب والسرطان المرتبتين الأولى والثانية، علي خلاف أفريقيا (Mwaluko, 1984: 91 - 191) (٢٨) والجدول يمثل من دخل المستشفيات فقط، وفي أفريقيا ملايين أخرى لم تدخل وماتت دون أن تسجل أسباب ذلك لنقص التسجيل وتشوشة لقلة الخبرة الامكانات. وبعد مرور عقدين من الزمان علي تاريخ الجدول فالنمط الحالي لم يتغير كثيرا، فلازالت الأمراض المعدية تمثل ٥٠٪ من حالات الوفيات ، وتمثل أمراض الاسهال والجهاز التنفسي أكبر نسبة بين الاطفال والشباب، أما الملاريا فسبب للوفاه لمن هن أكبر سنا، وأمراض الجهاز الدوري تمثل نسبة ١١٪ وحالات الاصابات والحوادث والتسمم ٧٪، أما الأمراض المتعلقة بالحمل والولادة Perinatal فتمثل حوالي ٩٪ وبقية الأسباب تمثل ٢٣٪ وذلك كما يوضح الجدول التالي.

جدول رقم (٢)

نمط المرض وأسباب الوفاة في أفريقيا جنوب الصحراء ١٩٩٥

النسبة	المرض	النسبة لجملة الوفيات	المرض المسبب للوفاة
٩٪	أمراض الحمل والولادة	٥٠٪	الأمراض المعدية
٢٣٪	بقية الاسباب	١١٪	أمراض الجهاز الدوري
١٠٠٪	الجملة	٧٪	الاصابات والحوادث والتسمم

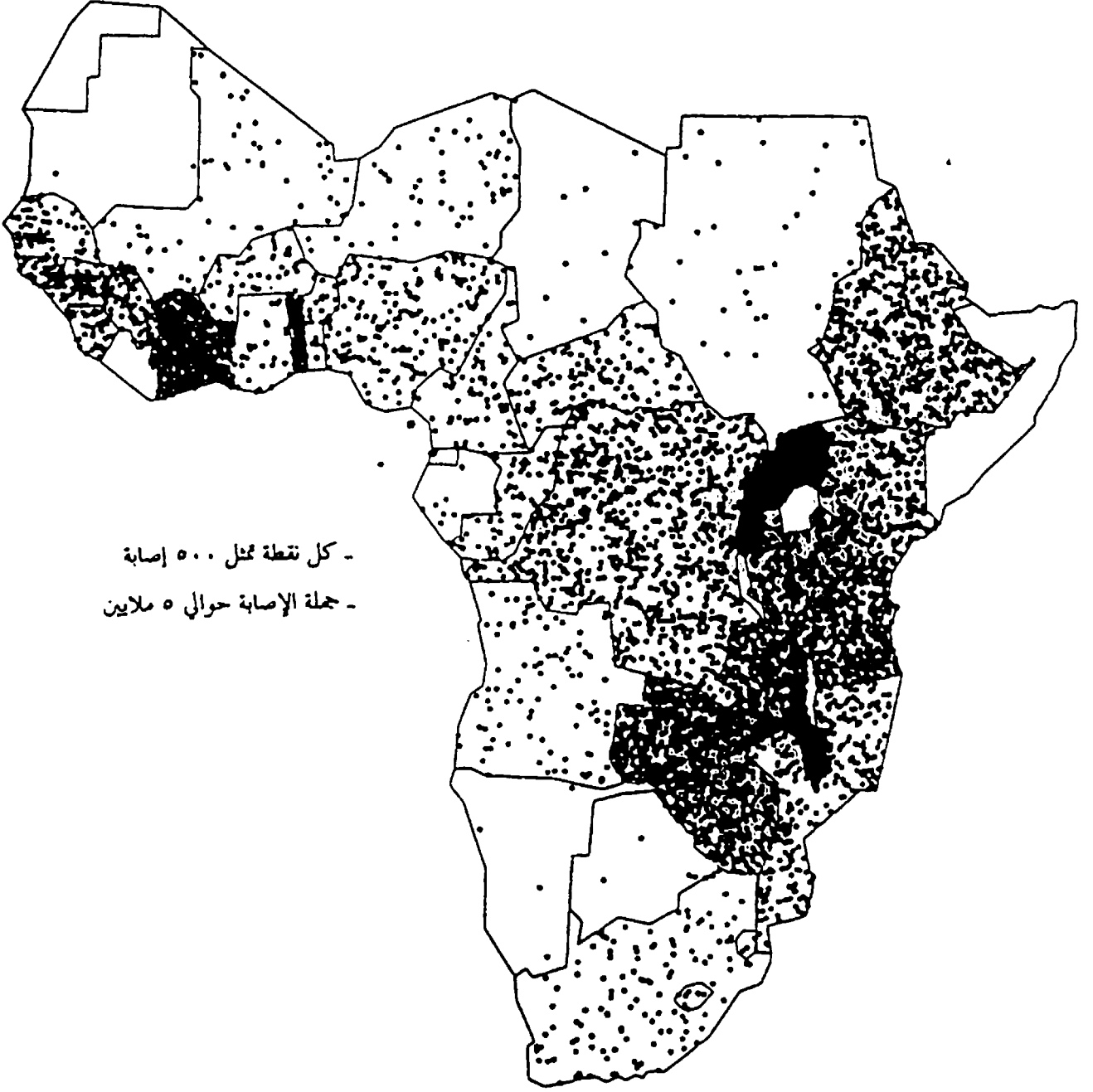
(Whaley & Hashim, 1995: 141)

المصدر:

ولما كان أمد الحياة فى أفريقيا لا يزال قصيرا كما سبقت الإشارة، فإن معظم الوفيات تحدث فى أعمار ليست متقدمة، وأكثر المضارين بالأمراض هم من الأطفال ، ويرى Feachmen وزملاؤه أن النمط يتغير فى أفريقيا وإن ظل يغلب عليه الأمراض المعدية، على عكس ما كان يعتقد فى الماضى من قلة أمراض الجهاز الدورى فى أفريقيا، فإن الإحصاءات الحديثة تثبت عكس ذلك وأنها تتزايد مع التغيرات الديمجرافية، وسكنى المدن وتغير عادات الغذاء، والزحام، والقلق، والتلوث، (Feachem, 1991, 15) (٤٠) ومن أهم الأمراض المعدية القاتلة فى أفريقيا الملاريا، التى تصل نسبة الإصابة بها فى أفريقيا جنوب الصحراء الى أعلاها فى العالم ، وهى مظهر من مظاهر المرض الرئيسية فى الطفولة المبكرة Infancy فى أفريقيا. وتمثل نسبة ٣٠ - ٣٥٪ من حالات المرضى الباحثين عن العلاج فى المستوصفات الريفية الأفريقية (Bradley, 1991 - 2) (٤١).

الايذز ونمط المرض الأفريقي:

ظهرت أول حالات الايدز بأفريقيا فى أوائل الثمانينات، ويعد أخطر الأمراض المعدية حاليا، وفى أفريقيا الغالبية العظمى سواء من المصابين بفيروس H.I.V. أو بحالات الايدز AIDS والأعداد المبلغة بالايذز تمثل قمة جبل الجليد لأن حاملى الفيروس قد يكونوا غير معروفين أو هم أنفسهم لا يعلمون بالإصابة، كما أن كل حامل للفيروس لا تظهر عليه أعراض الايدز الا بعد عدة سنوات. وفى بعض الدراسات وجد أن حالات الايدز تظهر على المصابين فى خلال خمس سنوات لحوالى ١٥ - ٢٠٪ من حاملى الفيروس، وفى خلال عشر سنوات لحوالى ٥٠٪ منهم، وهذا فى حد ذاته يعد مشكلة كبرى فى أفريقية. إذ فى خلال هذه السنوات التى تمثل فترة حضانة للفيروس يجرى أصابة الملايين بالفيروس سواء أكان حاملوا الفيروس يعلمون باصابتهم أولا يعلمون، مما



شكل (٣)

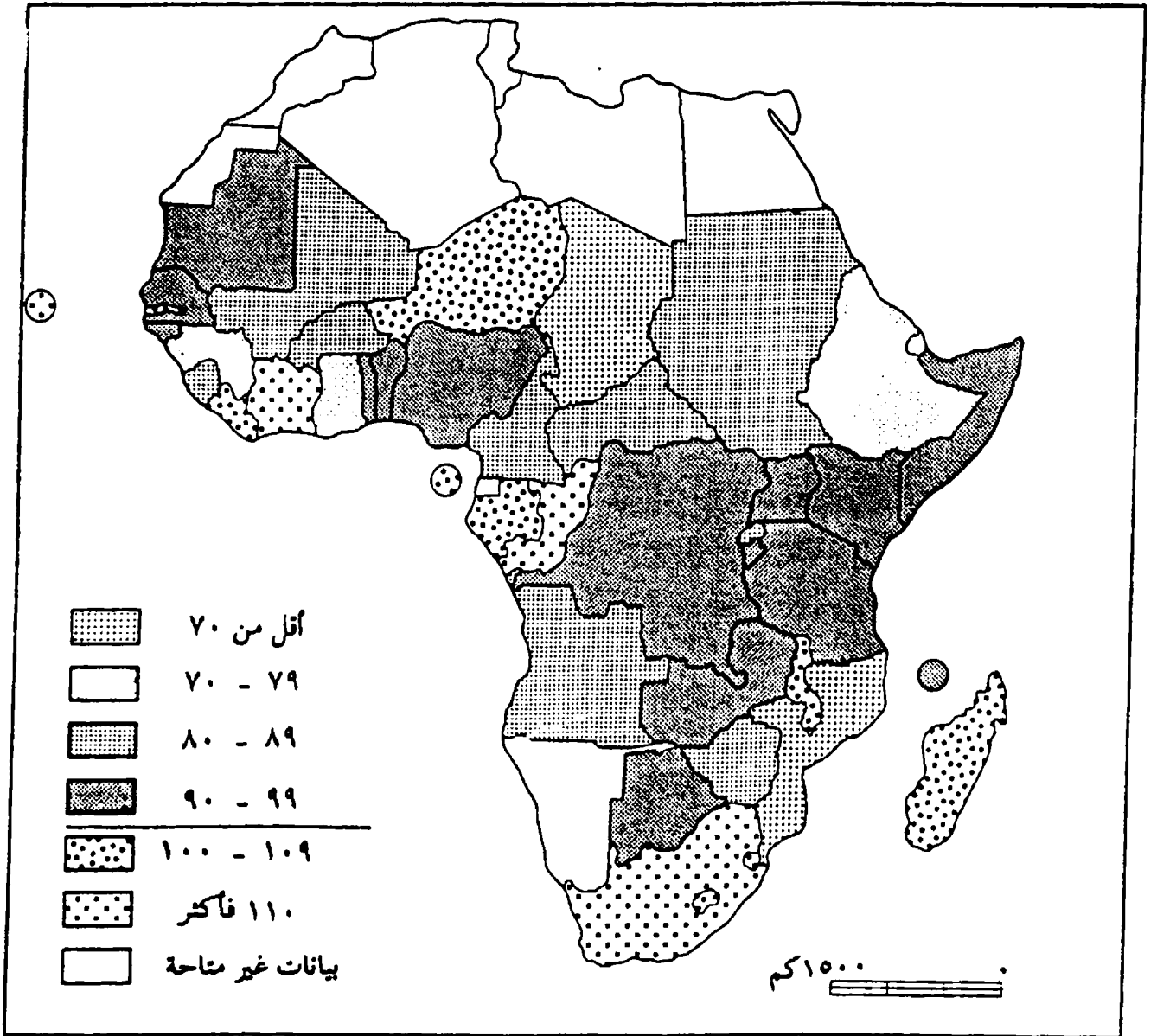
توزيع الحالات التقديرية لإصابة فيروس نقص المناعة المكتسبة في

أفريقيا جنوب الصحراء في أوائل التسعينات .

يجعل الأمور بتفاقم فى دول أفريقية. التى تنقصها أصلا وسائل الفحص الدقيق وشكل رقم (٣) يوضح توزيع الاصابة فى أوائل التسعينات بالفيروس . ويلاحظ أن فى حالة الأطفال ممن يحملون فيروس H.I.V. فإنهم على عكس البالغين تظهر عليهم أعراض الايدز قبل بلوغهم الخامسة(chin, 1991: 203) (٤٢) وتتنبأ منظمة الصحة العاملين WHO أنه بحلول سنة ٢٠٠٠ فإنه سيكون هناك ٢٠ مليوناً من حاملى فيروس نقص المناعة المكتسبة H.I.V. وسيكون هناك ١٠ ملايين يتيم بسبب الايدز، كذلك قدر أن القوى العاملة الافريقية قد تقلصت فى أفريقيا بين ١٩٩٠-١٩٩٥ بنسبة ٢٠٪(Whaley & Hashi, 1995 142) (٤٣)

والحقيقة أن نمط المرض الأفريقى كما أوضحت الأرقام سابقة الذكر هو نمط فريد (Unique) بالمقارنة بالعالم المتقدم، وإذا اقتربنا أكثر من مفردات النمط الإفريقى، وحللناه إلى أجزاء فإتينا نجد أن أمراض سوء التغذية - Mal-nutrition سائدة وذلك بسبب تدنى معدلات الانتاج، والجفاف، والمجاعات، والتقلبات الفصلية وعدم نجاح مواسم الحصاد بسبب ذلك وخاصة فى العقدين المنصرمين، وسبقت الإشارة الى سمية بعض الاغذية كقشر الكسافا أما الدخن Millet فله خصائص مسرطنه Carcinogenic وهو كغذاء، واسع الانتشار بين الشعوب الافريقية (Whaley & Hashim, 1995: 139 - 40) (٤٤).

وتحرم بعض القبائل الافريقية أكل بعض الاغذية المفيدة، من ذلك الدجاج واللبن الأسماك. وتفيد الدراسات الصحية أنه فى عام ١٩٩٥ كانت نسبة من يعانى من سوء التغذية ممن هم دون الخامسة ٤٧٪ فى أثيوبيا، ٣٦٪ فى بنين، ٣٢٪ فى مدغشقر، ٢٧٪ فى مالوي. وهى نسب مرتفعة حتى إذا ما قورنت بدول نامية خارج أفريقيا، فهى فى نيكارا جوا ١٢٪ فقط، وفى كولومبيا ١٠٪، وفى تايلاند ١٢٪ أما الدول الغنية فلا تظهر فيها أية آثار لسوء التغذية، وربما



شكل (٤)

المتوسط اليومي للسرعات الحرارية كنسبة مئوية من المتوسط الضروري

في دول أفريقيا جنوب الصحراء سنة ١٩٩٠ .

كانت أمراضها من جراء فرط التغذية، Over-nutrition. وينعكس سوء التغذية على الأطفال الأمهات الحوامل ويبدو ذلك جليا في ارتفاع نسبة وفيات الأمهات التي تصل لأقصاها في أفريقية إذ يصل هذا المعدل في سنة ١٩٩٤ الى ١٥٢٨ لكل ١٠٠,٠٠٠ من المواليد أحياء في أثيوبيا، ١٣٢٧ في بورندي، ٥٩٨ في ليسوتو وإلى ١٣٩ فقط في تونس، بينما يصل في دولة الامارات العربية المتحدة إلى ٢٠ فقط ولا يكاد المعدل يذكر في الدول المتقدمة ويوضح شكل (٤) المتوسط اليومي للسعرات الحرارية كنسبة مئوية من المتوسط الضروري في دول أفريقية جنوب الصحراء سنة ١٩٩٠.

أما موقع الأمراض الطفيلية في نمط المرض الافريقي فهو واضح وهام ونجد هنا أمراضا جرى القضاء عليها في أوروبا وأمريكا الشمالية منذ سنوات عديدة، ولكنها لازالت ذات دلالة في نمط المرض الافريقي كسبب رئيسي للمراضة Morbidity والوفاة Mortality. ويأتى علي رأس قائمة الطفيليات، الملاريا، التي يرى البعض أنها أكثر الأمراض المميتة بالقارة، ويرى هؤلاء أنها وحدها تقتل ٥٠٠,٠٠٠ طفلا سنويا في أفريقية، ولم تنجح للآن حملات القضاء عليها في أفريقية من قبل WHO والهيئات الصحية العالمية والمحلية بسبب سلوكيات وعادات السكان، كذلك بسبب ظهور سلالات من البعوض تقاوم الأدوية، التقليدية للملاريا (Stock, 1995: 128) (٤٥).

أما البلهارسيا، فهي وبائية في أفريقيا في حوالي ٤٠ دولة من الاقليم الافريقي الصحي بحسب تقسيم منظمة الصحة العالمية WHO. وللأسف، زاد انتشار الملاريا والبلهارسيا مع زيادة مشروعات التنمية المائية الافريقية مثل السد العالي على النيل وأكوزومبو على الفولتا وكاريبا على الزمبيزي والسدود الرئيسية الاخرى في السنغال ومالي وكينيا. (Vercruysse, et al, 2206) (٤٦)

أما مرض عمى النهر Onchocerciasis فهو وبائي في ٢٨ دولة بالاقليم الإفريقي وقدّر أنه في سنة ١٩٨٧ كان في أفريقيا ٩٠٪ من حالات الإصابة الكلية في العالم التي قدرت آنذاك بحوالي ١٨ مليون مصاب (Whaley & Hashim, 1995: 141) (٤٧)، وأمكن للمنظمات الصحية العالمية إنقاذ ٧ ملايين شخص من العمى منذ بداية برامج المكافحة سنة ١٩٧٤، والمشكلة أن برامج المكافحة تأخرت في بعض الدول حتى التسعينات في دول مثل الكاميرون ونيجيريا.

ويختلف الوزن النسبي للأمراض الطفيلية في أفريقيا، فعدد المصابين بالبلهارسيا أكثر من عشرة أضعاف المصابين بعمى النهر في أفريقيا. إذ سجل عدد المصابين بالبلهارسيا ٢٠٠ مليون ويجعل البعض أرقب ١٠٠ مليوناً سنة ١٩٩٣. (Griffiths, 1993: 22 - 5) (٤٨) والأمراض الطفيلية بيئية الطابع، وعلى هذا ويمكن تحاشيها إذا وضعت استراتيجيات سليمة تأخذ في اعتبارها الجانب السلوكي والخلفية الثقافية للسكان، وذلك في إطار خطة كلية شاملة للتنمية المستدامة، وعلى سبيل المثال فإن الاختلافات الإقليمية في الإصابة بعمى النهر لم تدرس جيداً بما فيه الكفاية. (Williams, 1985: 9:11) (٤٩). ومن دلائل تأثير الجوانب السكانية في أكتساب المرض، ما جرى للعمال المهاجرين لارض الجزيرة من أكتسابهم أمراضاً لم يألّفوها في موطنهم الأصلي (Bella, 1985: 36 - 9) (٥٠). ورغم أن علاج مثل هذه الأمراض يعد سهلاً، إلا أن تكرار الإصابة هو المشكلة الرئيسية، وأهمال العلاج أيضاً، ويؤدي ذلك طبقاً للاعتقاد الطبي السائد الآن إلى وجود علاقة بين بعض الأمراض الطفيلية والسرطانات المختلفة، ويؤكد جونسون على وجود علاقة بين البلهارسيا والسرطانات الانثوية في الجهاز التناسلي وكذلك بين البلهارسيا والسرطانات المعوية والتي لوحظت منذ أمد طويل في مصر واليابان، كذلك الارتباط بينهما وبين السرطان اللمفاوي في الطحال (Johnston, 1990: 301 - 11) (٥١).

ومن الغريب ما لاحظة الجزايرلى وعبد العزيز سنة ١٩٦٢، وهو أن معدل الاصابة بسرطان الثدي لدى الذكور فى مصر كان أعلى بمقدار خمسة مرات لدى المصابين بالبلهارسيا، عنه لدى غير المصابين (Aziz, 1963:566- El - Gazayerli & Abdel) (٥٢). كذلك وجد نوع من الارتباط بين البلهارسيا وأمراض طفيلية أخرى وبين سرطانات الانف واللوكيميا (سرطان الدم). ويرى بعض الباحثين أن البلهارسيا ليست بريئة تمام من الانتشار الواسع لسرطان الكبد فى أفريقيا أما عن الطفيليات الاخرى فوجدت علاقة بين الفيلاريا (داء الخيطيات) ومرض الورم الوعائى السركومى Lymphamgiosarcoma، كذلك بين الفيلاريا واللوكيميا، وبين الاميبا وسرطان القولون والمستقيم، وهناك معرفة لدى الاطباء منذ الخمسينات عن علاقة شبة جازمة بين الملاريا ومرض ليمفوما بوركت (Johnston, 1990 : 305-6) Burkilt's Lymphoa (٥٣).

اما الامراض المعدية Infectious Diseases،

فهى مع الامراض الطفيلية تكون معظم نمط المرض الافريقي، وهما معا يقابلان السرطان وأمراض القلب فى المجتمعات الصناعية واذا بدأنا بالدرن، فانه أصبح اليوم مشكلة حقيقة فى أفريقيا بعد أن كان قد بدأ ينحسر فى أفريقيا والعالم، إلا أن ظهور مرض الايدز جعله يلازمة، بل أنه من علامات الاصابة لدى مرض الايدز حالياً، يضاف الى ذلك، ظهور سلالات حديثة منه تستعصى على العلاج التقليدى الذى كان ناجحاً فى الماضى، كما أصبح تشخيصه الآن أكثر صعوبة، والطعم الخاص به BCG، أصبح لايجدى فتيلا، وغير مؤثر. ويرى «فان ديرورف» أنه من بين ٨ ملايين حالة درن جديدة فى العالم سنة ١٩٩٢، فان ٩٥٪ منها يوجد فى الدول النامى ومنها أفريقيا التى تسجل

بها الأرقام المحزنة، بمعدل إصابة ٢٧٢ / ١٠٠,٠٠٠ من السكان مقابل ٢٧ / ١٠٠,٠٠٠ فى الدول الأوروبية، ويعنى ذلك أن المعدل الأفريقى قدر الأوروبى عشر مرات (4 - 271: 1994: Van Der Werf, 1994) (٥٤).

وتلازم الدرن مع الأيدز وزاد الإبلاغ عنه فى أفريقيا، وبين سنة ١٩٨٥ - سنة ١٩٩٠ تضاعف الإبلاغ عن الدرن فى زامبيا وماالوى Har- (90 - 387: 1990: ries) (٥٥) وقد اطلق على الأيدز والدردن تسمية الثنائى الملعون «Curseat Duet» إذ أن احتمال إصابة حامل الفيروس HIV فى أفريقيا بمرض الدردن هو أكثر من ٥٠٪ فى السنة الأولى وهو بذلك عرضة للإصابة بالدردن بمقدار أكثر من عشر مرات عن غير المصاب بالفيروس (8 - 52: 1992: Schulzer, et al) (٥٦) ومما يصعب الوضع أن حالة المصاب بالأيدز والدردن تختلف عن حالة المصاب بالدردن فقط، مما يجعل التشخيص فى بلدان أفريقيا المفتقرة للأجهزة الحديثة مشوشا وغير دقيق، يضاف إلى ذلك مقاومة الدردن للأدوية كما أسلفنا الذكر. وهذه المقاومة حديثة الاكتشاف، وفى بلد متقدم مثل U.S.A. وجد نسبة مقاومه قدرها ١٩٪ فى نيويورك أما فى أفريقيا فلا توجد بيانات دقيقة لصعوبة تحديد ذلك، عدا دراسات منفردة جاءت من غانا حيث وجدت مقاومة لأحد أدوية الدردن التقليدية الرئيسية قدرها ٢٧٪، لدواء أخر بنسبة ٢٩٪ وهى مشكلة حديثة كما رأينا، والمشكلة الأخرى فى علاج المرض فى أفريقيا، عدم انتظام المرضى فى العلاج ومتابعته التى تصل لحوالى من ٢٠ - ٤٥٪ فى أفريقيا وهى مشكلة هامة يتوقف على حلها نجاح أية استراتيجيات لمكافحة المرض فى القارة الإفريقية. ولذا فاستراتيجيات مكافحة الدردن المستقاة من مجتمعات خارج أفريقية غير ناجحة ((4 - 270: 1994: Van Der Werf, 1994) (٥٧). ويرى راسل وىلى وطلال هاشم، أنه فى أفريقيا نجد ما بين ١,٦٪ - ٦٪ من جملة

الاصابة او مصابون بالفعل بالدرن، وأن التقدير المنخفض لحالات الدرن الافريقية هو ١.٢ مليون وأن الأيدز، وسوء التغذية يعدان من العقبات أمام مكافحة ناجحة لمرض الدرن. ولوحظ أن الفئة الديموجرافية ١٥ - ٤٤ سنة، وهى الفئة المنتجة هى فى خطر الاصابة أكثر من غيرها من الفئات وهو ما يؤثر فى برامج التنمية والتقدم الاقتصادي. ويساعد على تردى الاوضاع، وتزايد حالات الدرن تنامى الهجرة الريفية - الحضرية، والسكن المتدهور Slums فى افريقيا (2 - 141 : Whaley & Haslim, 1995) (٥٨)

ومشكلة الدرن فى أفريقيا - حتى قبل ظهور الإيدز - أن حوالى ثلثى الميزانية المخصصة لمكافحة الدرن فى دول افريقيا غالبا ما تنفق على الاجور والتجهيزات، ولا يبقى إلا القليل المخصص للانفاق على الادوية والعلاج (20 - 219 : Parry, 1984) (٥٩)

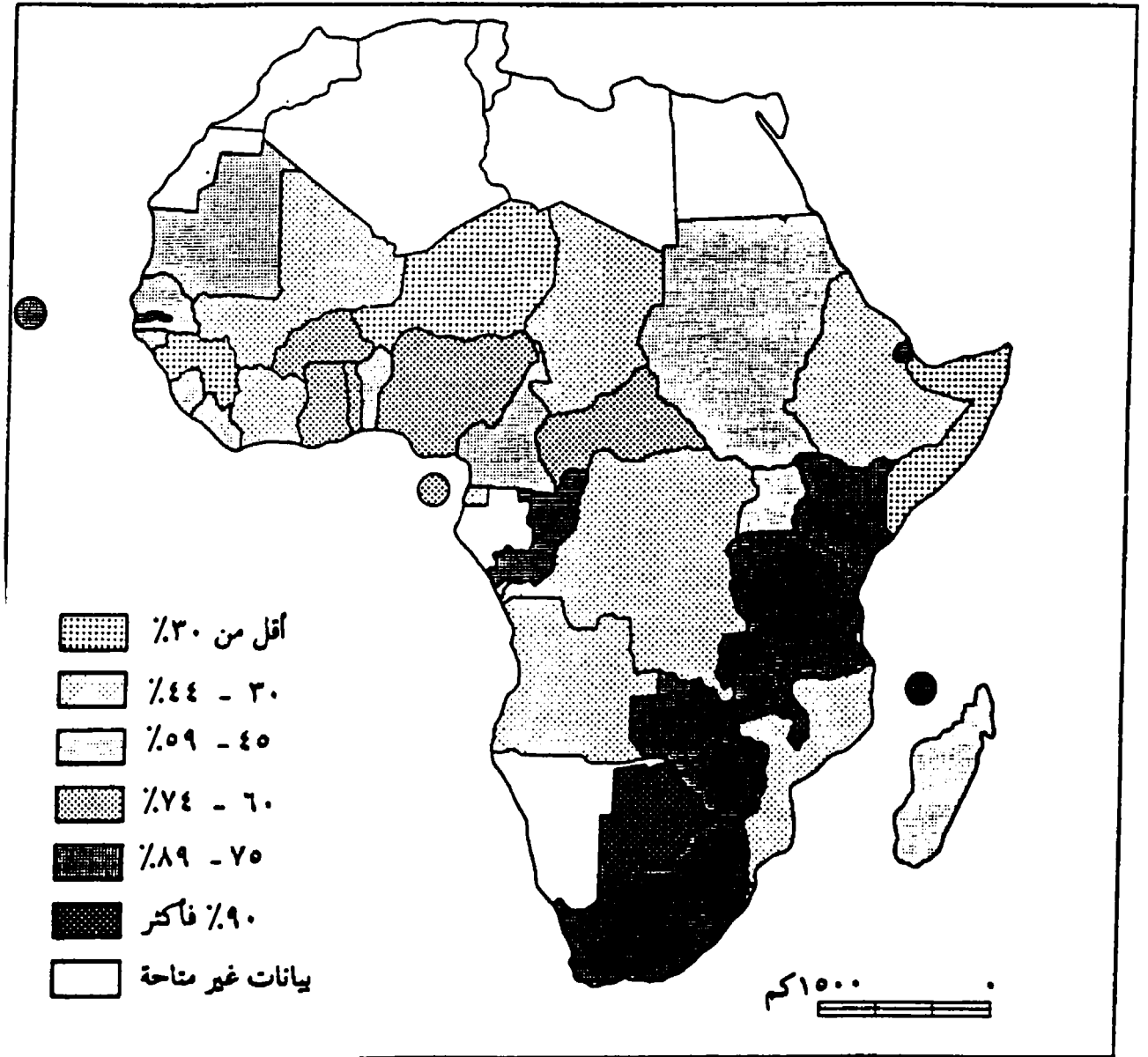
ومادام الحديث عن الدرن، فإن هناك مرضا صديرا آخر هو السعال الديكي يعد حتى الآن مشكلة فى افريقيا. وخاصة لدى الأطفال، وكان يأتى فى الترتيب بعد الحصبة كسبب للوفاة لدى الأطفال فى منتصف الثمانينات، وهو يؤدى لمضاعفات رئوية للجهاز التنفسي، كما يصيب الكبار أيضا بسبب السكن المتردى والزحام والحقيقة أن قائمة الأمراض المعدية طويلة جدا فى أفريقيا وبعضها يندلع فى بعض السنوات فى شكل أوبئة وأن جاءت فى مرتبة تالية من الأهمية بعد ما تقدم ذكره، وبعضها يكاد أن يكون غير معروف فى خارج افريقيا إلا فى صورة حالات نادرة.

وأول هذه الأمراض الجذام Leprosy وكان المصابون فى منتصف الثمانينات حوالى ٥ ملايين مصاب وهو يمثل ثلث جملة الحالات المصابة به فى العالم، وكان ترتيبه بعد الدرن مباشرة كسبب فى اعاقه الكبار البالغين. وفى

سنه ١٩٩٤ فإن أفريقيا تقدمت فى علاج الجذام نسيباً، ولكنها ظلت ثانية مناطق العالم فى معدل الاصابة الذى يبلغ ١ / ١٠٠ وفى ذلك تأتى افريقيا مباشرة بعد جنوب شرقى آسيا (Whaley & Hashim, 1995: 142) (٦٠)

أما الالتهاب السحائى، فينتشر فى السافانا الشمالية فى شكل حزام او نطاق من السودان وشمال أو غنذة عبر تشاد وشمال نيجيريا - وجنوب النيجر إلى بوركينافاسو ومالى و بين خطى المطر المتساويين ٣٠٠ ملم و ١١٠٠ ملم، والمرضى على ذلك أقل خطراً فى النطاق الساحلى الاستوائى فى غرب افريقيا، كذلك يقل وجود شمال خط لمطر المتساوى ٣٠٠ ملم، وتزيد الإصابة مع زيادة كمية المطر فى دول شمال افريقيا، وفى شرق وجنوب القارة. وهكذا تحدد عناصر المناخ حزام الالتهاب السحائى المتميز بفصل مطر قصير، يعقبه فصل بارد، وفترة شديدة الجفاف، تتحول إلى فصل جاف وحار قبل سقوط المطر من جديد، وتبدأ أعداد المصابين فى الزيادة مع ارتفاع درجة الحرارة، بينما تظل الرطوبة منخفضة، وتصل قمة الإصابة فى مارس وأبريل المتميزين بالجفاف الشديد، بينما تقل الإصابة حين يبدأ المطر فى الهطول (Parry, 1984:255) (٦١)

ومن الأمراض التى تغزو القارة الافريقية فى شكل أوبئة الكوليرا التى تنتقل بالغذاء والماء الملوث وهى من أمراض الفقر والفاقة Poverty والاسكان المتردى والمتدهور Slum وإضطراب الناس لشرب ماء ملوث لعدم إتاحة الماء النقي، ومكافحة الكوليرا لاتستدعى خططا معقدة أو مشروعات مكلفة، إنما فقط تحسين الصحة العامة بمفهومها الشامل وتحقيق العدالة الاجتماعية (9 - 128: Stock, 1995) (٦٢). وأوبئة الكوليرا شهيرة وموثقة ومنها وباء سنة ١٩٤٧ فى مصر، كذلك كوليرا الطور فى مصر أيضاً سنة



شكل (٥)

نسبة تطعيم الأطفال من عمر سنة في دول أفريقيا جنوب الصحراء سنة ١٩٩٠ .

١٩٧١، سنة ١٩٧٢ والتي وصلت لشرق وغرب إفريقيا، من غينيا فى الساحل نحو الداخل فى النطاق السودانى، وأصيب فى الوباء ٦٠,٠٠٠ ألف شخص وصاحب الوباء ١٢,٠٠٠ حالة وفاة. وتبدى الكوليرا تباينات فصيلة، وهى تزيد فى أفريقيا عموما فى موسم المطر، ومناطق الغابات المطيرة اكثر عرضة لها من السافانا لأن الميكروب لا يصمد كثيرا لدرجات الحرارة المرتفعة.

ويعد الإسهال Diarrhea من بين أهم أسباب المرض والوفاة فى أفريقية جنوب الصحراء لاسيما بين الأطفال ويصل معدل الوفاة بين الأطفال المصابين والذين حجزوا بالمستشفيات لتأخر حالاتهم حوالي ١٩٪ ويصاحب الإسهال فى أفريقيا حالات الدوسنتاريا والتيفود والكوليرا فى كثير من الحالات- (72 - 134 : Kirkwood, 1991 : Ofosu-Amaah, 1991:119) (٦٣)(٦٤) والحقيقية أن الإسهال كسبب للمرض والوفاة فى أفريقيا يلعب دورا بارزا فى النمط المرضى الأفريقي، ربما لا يوجد فى مكان اخر فى العالم.

وتأتى أمراض سوء تغذية الأطفال أيضا Child Malnutrition من بين أهم مكونات نمط المرض الأفريقي، ويعد الوزن المتدنى من مؤشرات سوء تغذية الأطفال خاصة عند الميلاد ولن هم أقل من خمسة سنوات، أيضا فى سن المدرسة (33 - 122 : Ashworth & Dowler, 1991) (٦٥) ومن أهم الأمراض الخاصة بالأطفال التى لها دورها فى نمط المرض الأفريقي ستة أمراض هامة وهى المستهدفة حاليا بين الدول الأفريقية للتطعيم ضدها وخاصة من قبل الأمم المتحدة ومنظمة الصحة العالمية WHO ولذا استهدفت لبرنامج موسع للتطعيم (EPI) The Expanded programme on Immunization ويوضح شكل رقم (٥) نسبة تطعيم الأطفال فى عمر سنة فى دول أفريقيا جنوب الصحراء سنة ١٩٩٠. وتشمل هذه الأمراض الحصبة والتيتانوس

والشلل أو التهاب النخاع Polio والدرن والسعال الديكي أو الشهقة والدفتريا، والسبب فى ضمها معا انه يمكن القضاء عليها بجرعة واحدة. وهذه الأمراض الستة مسؤولة عن وفاة ١٧٪ من كل الأطفال وطبقا للأرقام العالمية فإن ١٪ من كل وفيات أطفال افريقيا يموتون بالتيتانوس ، ٩٪ بالحصبة، ٤٪ بالسعال الديكي، ٣٪ بالدرن، ٦٪ بشلل الأطفال والذي انتهى تقريبا فى المجتمعات المتقدمة ، وكذلك ٦٪ بالدفتريا. والحصبة هى القاتل الاول لأطفال افريقيا بين هذه الأمراض الستة وقلّة نسبة التطعم هو سبب إرتفاع نسبة الوفيات بها وبغيرها من الأمراض (Rodrigues, 1991 : 173 - 89) (٦٦)

السرطان وأمراض القلب Cancer & Cardiovascular Diseases

ساد الاعتقاد بأن هذين المرضين هما من أمراض المجتمعات المتقدمة فقط، وهو قول صحيح جزئيا، إذ انه مع تزايد ضغوط الحياه، وتسارع التحضر وزيادة إمكانيات التشخيص، وضع أن افريقيا ليست أقل اسهاما فى عبء هذه الأمراض عالميا ومع ذلك لازالت أمراض السرطان والقلب تأتى فى ذيل نمط المرض الافريقى وتحل فى المقدمة كما لاحظنا أمراض معدية وطفيلية وهو وضع مناقض تماما للمجتمعات المتقدمة التى يتبادل فى نمط المرض بها السرطان وأمراض القلب للمرتبتين الاولى والثانية بالتبادل. فإذا بدأنا بالسرطان نجد أنه رغم نقص البيانات فإنه يمكن القول أن السرطان فى افريقيا يعكس صورة مناقضة له فى الغرب ليس فى معدل الاصابة فقط، إنما أيضا فى الأنواع السرطانية فهناك أنواع لصيقه بأفريقيا مثل سرطان المرئ والذى يبدي تفاوتاً فى معدل الاصابة حتى على مسافات قصيرة نوعا وذلك ملاحظه فى (Hutt,M.s., 1991-225-6) (٦٧) وزاد معدل الاصابة به فى السنوات الأخيرة وانتشر فى جنوب افريقيا ومنها إلى شرقها ووسطها وبلغ معدل

الاصابة بين ٨٠/١٠٠.٠٠٠ في جنوب ترانسكاي في جنوب افريقيا إلى ٨٠/١٠٠.٠٠٠ في المناطق الشمالية منها، والمرض شائع في ناتال وزيمبابوى كذلك تزيد الاصابة في أجزاء من زامبيا ومالوى وتنزانيا وكينيا وخاصة اقليم نيانزا وحول كيسومو على بحيرة فكتوريا وعلى النقيض فالمرض نادر في شمال وشمال غرب أوغنده وزائير وغرب افريقيا ويصل معدل إصابة الذكور للاناث Male. Female Rate إلى ١٠ : ١٠ إلى ١٥ : ١ وذلك في المناطق التي تشتد فيها الاصابة بالمرض. ومن أهم المظاهر الخاصة بهذا المرض والتي لم تدرس للآن وتستدعى البحث والدراسة هي هذه التباينات الجغرافية في الإصابة توجة أصابع الاتهام في المناطق شديدة الإصابة إلى صناعة المشروبات الروحية في المنازل (6- 225: 1991) (Hutt, ٦٨) .ودليل ذلك ما ذكره Olweny من قيام سكان جنوب مالوى وشرق زامبيا من تقطير شراب كحولي يسمى «كاشاسو» Kashasa بطريقة محلية (975: 1984) (Olweng, ٦٩) . ومن الأنواع السرطانية الافريقية الشائعة سرطان البلعوم الانفي -Nasopha- gynx وهو نادر جدا في اوربا وامريكا الشمالية ولكنه شائع في أفريقيا اكثر، وخاصة في مناطق جغرافية بعينها تقع شرق الاخدود الافريقي في وسط كينيا حيث يصل المعدل هناك إلى ٧-٨ / ١٠٠.٠٠٠ من السكان، وتشيع سرطانات الكبد وخاصة بين الزوج، وهو اكثرها شيوعا بين ذكور السنغال وموزمبيق ويصل المعدل إلى ٩٧ / ١٠٠.٠٠٠ في مابوتو في موزمبيق، ٦٤ / ١٠٠.٠٠٠ في بولاوايو في زيمبابوى بينما يقل عن ذلك كثيرا في إبادن في نيجيريا، وللأسف كما لاحظنا ليست هناك دراسات مسحية لأجزاء افريقيا، إنما معظم البيانات مستقاه من دراسات منفردة قامت بها مستشفيات في أجزاء متفرقة ولذا يعيب مثل هذه الدراسات أنها انتقائية Selective ولا تمثل حقيقة الوضع في الدولة أو الاقليم ككل والمعدلات السابقة تعد أعلى منها في أوربا وذلك لعلاقة تلك السرطانات في افريقيا بشيوع فيروسات الكبد.

أما سرطان المثانة، فهو شائع في العديد من دول افريقيا ويقل في المرتفعات مثل بوروندى وكينيا ورواندا، وله علاقة وثيقة بمرض البلهارسيا كما سلفت الإشارة في موقع اخر من هذه الدراسة وهو النوع السائد الأول في جمهورية مصر العربية بين أنواع السرطان حسب الموضع Site، وكان أول من وجد علاقة بين سرطان المثانة والبلهارسيا هو فرجسون Fergusson وذلك في سنة ١٩١١ (Fergusson 1911 : 76- 79) (٧٠) ويعد سرطان المثانة النهاية الطبيعية لتكرار الإصابة بالبلهارسيا وإهمال علاجها لفترات طويلة. ورغم الحماية الطبيعية ضد سرطان الجلد بين زنوج افريقيا وشعوبها من أصحاب البشرة الداكنة، إلا أن سرطان الجلد يعد شائعا بسبب تكرار الإصابة بالجروح والقرح المدارية في البيئات الافريقية الخشنة، ولذا تنتشر الإصابة به في أوغنده ويمثل نسبة ١٠٪ من كل السرطانات ومعظم المناطق التي ترتفع فيها الإصابات فقيرة في تسهيلاتنا الصحية لذلك يصعب علاج القروح والإصابات التي تتحول لقرح مزمنة وتسهل الإصابة بسرطانات الجلد. ومن اهم سرطانات القارة الافريقية هو سرطان عنق الرحم Cervix إذ يعد من أشهر السرطانات النسائية في القارة ويمثل نسبة ما بين ٢٠ - ٢٥٪ من كل الانواع وخاصة لدى النساء في سن حضانة وتربية الاطفال . وأعلى المعدلات توجد في أوغنده في مقاطعة Kyadondo وتصل إلى ٢٩ / ١٠٠,٠٠٠ كذلك في أبادن في نيجيريا (حوالي ٢٢ / ١٠٠,٠٠٠ والمعدلات الأقل توجد في اقليم غرب النيل في أوغنده ومثل هذه التباينات في ذات الدوله هي في حاجة إلى دراسة موسعة، وهي من الامور التي تؤكد عليها الجغرافيا الطبية للقارة للخروج بحلول لمشاكلها الصحية على أسس سليمة.

أما سرطان القضيب Penile Cancer فهو له توزيعه الجغرافي المتناقض، إذ تزيد نسبة الإصابة به على أسس جغرافية وثقافية أيضا وأعلى المعدلات

سجلت لدى بعض القبائل فى أوغنده ويصل انتشاره إلى حوالى ٢٠٪ من كل سرطانات الذكور فى بعض أقاليم أوغنده ، وينخفض فى غيرها إلى ٤٪ فقط. ووجد ارتباط واضح بينه وبين عادة ختان الذكور، إذ تقل الاصابة به بين الجماعات التى تقوم وتمارس هذا الاجراء (Hutt, 1991 : 229- 30)(٧١)

أما السرطان المسمى ساركوما كابوتس Capotsi Sarcoma فهو من أكثر السرطانات شيوعا والمرضى يصاحب الان مرض الايدز فى أفريقيا. أما ليمفوما بوركت فقد سبقت الاشارة اليه على أنه أهم سرطانات الأطفال فى أفريقيا المدارية، ويظهر فى صورة أكلينيكية فى أفريقيا مخالفة تماما له فى الغرب. على قلتة الواضحة خارج افريقيا (4 - 980 : Olweny, C. 1984)(٧٢) وسبق الحديث أيضا عن الضوابط الجغرافية الصارمة لهذا المرض، ويختفى المرض بالإرتفاع عن سطح البحر مما يبرز علاقته بمظاهر جغرافية، ويمثل حوالى ٢٥٪ من كل سرطانات الأطفال فى أوغندا (Hutl, 1991: 230)(٧٣) اما السرطانات الشائعة فى بلاد الغرب مثل سرطان القولون والصدر والبروستاتا والثدي وسرطان بطانة الرحم Endometrium فهى قليلة فى افريقيا بصورة واضحة.

وعن أمراض القلب والجهاز الدورى : فهى غير دقيقة التحديد فى افريقيا وانتشارها لم يدرس بدقة للآن، ومعظم المعلومات عنها منقوصة، وانتقائية، مستقاه من دراسات منفردة وليست مسحية. وفى بعض الدراسات القديمة نوعا، فإن أمراض القلب مثلت ما بين ٨ - ١٢٪ من مرض القسم الداخلى فى بعض المستشفيات الافريقية، وقد حدث نوع من التغيير فى هذه النسب مؤخرا، وعلى سبيل المثال فإن مرض القلب الناجم عن الاصابة بالزهري كان شائعا فى الدراسات الباكورة، وهو الآن أقل انتشارا، كذلك نجد أن أمراض القلب التاجية

أو الاكليلية لاتزال نادرة Coronary heart diseases، ولكن الجدير بالملاحظة ان أمراض القلب تصيب فى أفريقيا جماعات سكانية هى أكثر شبابا منها فى خارج أفريقيا، ويعكس روماتزم القلب الشائع فى أفريقيا حالة الفقر إذ هو نادر الصدوث فى أوروبا ويعكس حالة السكن الدون Substandard Housing والتزاحم Crowding ونقص التغذية. وفى بعض الدراسات وجد ان المرض يمكن أن تصل نسبته إلى ٣٥٪ من مرضي القسم الداخلي، ويحتل روماتزم القلب وضغط الدم والتهاب عضلة القلب وتليفها Endomyocardial fibrosis المراتب الثلاثة الأولى فى أسباب الوفاة من بين جملة أمراض القلب المسببة للوفاة وتمثل ٢٠،٥٪، ١٩،٧٪، ١٢،٩٪ للأمراض الثلاثة على التوالى (Hutt, 1991: 233) (٧٤) والمرضى الثالث من الأمراض السالفة فى أفريقيا تحكمة عناصر مناخية فهو يمتد فى نطاق عبر أفريقيا المدرية جنوب الصحراء، وفى جنوب أفريقيا لا يمتد جنوب نهر الزمبيزي، كما أنه نادر فى المناطق المعتدلة والباردة ويرى بعض الباحثين أن له علاقة بزيادة حموضة الدم Eosinophilia السائدة لدى سكان أفريقيا المدارية والتي تسببها الفيلاريا وأيضا الملاريا.

أما ضغط الدم المرتفع Hypertension والذي كان يعتقد بقلة انتشاره فى أجزاء أفريقيا، فإنه ثبت اليوم أنه واسع الانتشار فى مجتمعات بعينها بالقارة وهناك أيضا تباينات واضحة فى معدلات الإصابة تستحق الدراسة وتتنظر اماطة اللثام عن أسبابها. وبعض قبائل أفريقيا لايزيد ضغط الدم لديها مع تقدم العمر وخاصة فى المجتمعات الريفية، فى شرق اوغندا وغرب كينيا، وكذلك لدى جماعات الماساي والهادزا Hadza والمزجوييا Mzigua فى تنزانيا، ولدى البوشمن فى صحراء كهارى وفى بتسوانا. ويرتفع معدل الضغط إلى جماعات الزولو الريفية عنه لدى جماعات ريفية اخرى فى غانا ونيجيريا وليسوتو. كذلك

لوحظ أنه أعلى مستوى في مناطق الحضر لدي الزولو عنه في المناطق الريفية (Seedal & Hackland, 1984 - 785- 9) ويرتفع مستوى ضغط الدم لدى مجتمع Xhasa الريفى عن نفس الجماعة القاطنة فى مدينة كيب تون، أى بين الريف والحضر (Sever, et al., 1980: 60-4) ونفس الملاحظات سجلت فى نيجيريا وكوت ديفوار ووجد بولتر Pulter أن جماعات لويو الريفية Luo فى غرب كينيا يرتفع ضغط الدم لديها إذا ما هاجرت للعمل فى نيروبي خلال شهرين من وصولهم (Poulter, 1988: Several Pages) وأكد عديد من العلماء دور العوامل البيئية كمؤثر فى مستوى ضغط الدم، وقالوا أن ارتفاعاً فى المدن لدى المهاجرين مرتبط بتناول وجبات يزيد فيها ملح الطعام (الصوديوم) ويقل فيها (البوتاسيوم) وذلك طبقاً لدراسة لجماعات Luo المهاجرين لنيروبي. ومن الأبحاث فى هذا الاتجاه وضح أن حوالى ٨٠٪ من مرضى ضغط الدم الأفارقة لديهم ضغط الدم من النوع الرئيسى المسمى Es- sential Hypertension أما النسبة الباقية فليهم النوع الثانوى Secondary Hypertension والنوع الاول ليس له سبب واضح حتى الآن أما الثانى فله أسبابه، والتي من أهمها فى أفريقيا أمراض الكلى بأنواعها، إذ هى سبب رئيسى له (Remi Adessania, et al 984 : 697) وهناك أمراض أخرى مخية تصيب الأفارقة وتسمى Cerebrovascular أو السكتة الدماغية Strock وقد تصل نسبة مرضاها إلى ٣٥٪ من جملة الحالات لاصابات العصبية -Neurological فى الأقسام الداخلية من بعض المستشفيات الافريقية، وأرتفاع ضغط الدم هو المسئول عن الجزء الأكبر من هذه الحالات لما له من تأثير على أعضاء الجسم الحيوية من قلب ومنغ وكلى ويؤكد Hutt على الثنائية فى افريقية بين الغنى والفقير، والريف والحضر، والسكن الراقى والمتردى، كل ذلك ينتج نمطا مغايرا من أمراض القلب فى افريقيا عنه فى المجتمعات الصناعية وهو مايجب أن يوضع فى الاعتبار عند وضع أية استراتيجىة لمكافحة هذه الأمراض

فى افريقيا، وعدم معالجتها بمعزل عن، أوجه التنمية المتعددة الأخرى
(7- 236 : Hutt 1991) (٧٩)

تأثير مشروعات التنمية والأمراض المهنية فى نمط المرض الإفريقي

سبقت الإشارة إلى تأثير مشروعات التنمية الإفريقية فى زيادة بعض الأمراض وعلى رأسها البلهارسيا، وخاصة بين الذكور إذ يرتفع معدل الذكورة Sex Ratio عادة بين العمال المهاجرين للعمل فى مثل هذه المشروعات وفى افريقية، لوحظ ارتفاع الأمراض المنقولة عن طريق الجنس Sex Transmitted Diseases (STD) بين العمال العاملين فى مشروعات تنمية وهم بعيدين عن مواطنهم، وأندماجهم فى علاقات جنسية وخاصة حين يستلمون رواتبهم عند نهاية الأسبوع وكثرة معاقرتهم للخمر.

وأصبح من المستقر عليه الآن، وبعد الاستجابة من التجارب الفاشلة السابقة أن أى مشروع تنموى لابد أن تدرس مثالبه الصحية قبل البدء فى التنفيذ وذلك لتحاشى أخطاء الماضى.

وأما عن الأمراض المهنية Occupational Diseases فتحدث فى افريقيا لقلة الوعى وضعف الامكانيات، ومحاولة تقليل تكلفة الانتاج ومن أهم هذه الأخطار المهنية مايلي:-

١- شيوع أمراض الرئة، خاصة تحجرها Silicosis فى مناطق التعدين فى زامبيا وزيمبابوى وجنوب افريقية، وذلك نتيجة استنشاق الغبار الناجم عن تعدين الذهب والنحاس فى زامبيا وجنوب افريقيا وقد يحدث المرض فى أكواخ السكان لاستخدامهم أحجار الرص الصوانية كما لدى سكان ترانسكاي Ciskei فى جنوب افريقيا (11 - 809 : Bayuteklu, et al., 1984) (٨٠)

٢- تعرض عمال التعدين للحرارة العالية فى المناجم مما ينجم عنه الأمراض نظرا لعدم التهوية.

٣- تعرض العمال لأخطار مميتة فى مصانع الأسمدة المخصلات والمبيدات الحشرية.

٤- تعرض عمال تعدين الاسبستوس ومصانعة لمرض الاسبستية Asbestosis وسرطان الصدر فى جنوب افريقيا وناميبيا (Webster, 1973: 65-7)^(٨١) وتعرض العاملين فى مناطق الجرانيت الطبيعى فى ناميبيا والمحتوى على نسبة من السيلكا بين ٢,٦ - ١٠٪ مما يؤدى لمرض تغير الرئة أو تترب الرئة Pneumoconiosis

٥- تعرض عمال الصناعات المحلية، خاصة طحن الحبوب، واستخدامهم أدوات تحوى الكوارتز لمرض يعرف باسم مرض النساء - Women's Sick ness وهو أخف من مرض تحجر الرئة، إذا ما كان الكوارتز غنيا بالسيلكا، كما هو الحال فى كانو بشمال نيجيريا اذ يمرض العمال هناك بمرض تحجر الرئة Fibrosis (Worrell 1975 : 1975: 389 - 98)^(٨٢).

٦- يتعرض عمال حليج الاقطان فى مصر والسودان واوغندا وتنزانيا وزيمبابوى وجنوب افريقية لمرض يسمى السحار القطنى أو تقرب الرئة القطنى أو سل الحلاجينى Byssinosis من محالج القطن الافريقية (Khogali, 1976: 166 - 74) وكذلك تعرض عمال السيزال فى تنزانيا وجنوب افريقية لأمراض رئوية، وتعتمد شدة المرض على طول فترة التعرض للغبار المتطاير من العمليات الصناعية (Mustafa, 1978: 123- 8)^(٨٣) أما عمال الكاكاو فيصابون بمرض يسمى Wheezing Dyspnoea ومن أعراضه ضيق التنفس

والأمراض العصبية وذلك فى غانا ونيجيريا وكوت ديفوار وهى البلدان الهامة المنتجة للكاكاو فى افريقيا، اضافة إلى بعض دول ساحل غانا الأخرى. وينتج المرض من فطريات تتكون عند تخزين الكاكاو.

٧- يتعرض العاملون الريفيون لذبابة تسمى التى تمنع تطور الثروة الحيوانية اذ أن هناك ٤ مليون ميل^٢ مصابة بهذه الذبابة فى افريقية مما يصيب السكان بمرض النوم (Whittle, 1984: 46- 153) ويؤدى وجود ذبابة أخرى إلى شيوع مرض عمى النهر وخاصة فى دول غرب افريقيا مثل غانا مما يؤدى إلى هجر السكان لقراهم، وفى دراسة خاصة بوادى هاوال Hawal فى نيجيريا كان مرض النوم سبب فى نقص السكان depopulation فى الوادى، كذلك أدت شدة الإصابة بالبلهارسيا لفشل بعض مشروعات التنمية (Bradley, 1976 : 225 - 9)^(٨٤) والحقيقة أن مرض عمى النهر خطير يؤثر فى القدرة الانتاجية للمناطق الموبوءة به ويكفى ان نعلم ان فى بعض مناطق غرب افريقيا وسكان السافانا، خاصة على ضفاف الأنهار فان ٦٠ - ٧٠٪ من السكان يحملون الطفيل المسبب للمرض فى اجسادهم، وأن حوالى ١٠٪ من سكان هذه الانحاء مصابون بالعمى فعليا نتيجة المرض، كما أن ما بين ٢٠ - ٣٠٪ يعانون من صعوبات فى الرؤية (Samba, 1994:8-9)^(٨٥) مما تقدم ذكره، نجد أن نمط المرض الافريقى يمكن أن نطلق عليه نمطا بدائيا، أو ربما ندعوه بالنمط العضوى organic pattern لاتزال تسيطر على جزئيات أمراض معدية ومتطفلة جرى تخلص العالم المتقدم منها، أو على الاقل خضعت للسيطرة منذ عشرات السنين. ومثل ذلك الوصف يعطل عملية التحول الديموجرافى، ومن ثم التحول الوبائى Epidemiological Transition نحو امراض يعرفها العالم المتقدم. والشئ الهام فى حالة افريقية، أنه من الخطورة بمكان، أن تطبق استراتيجيات مكافحة المرض المستقاه من مجتمعات خارج افريقيا، اذ يستدعى الأمر أن تتبع هذه الاستراتيجيات من ظروف القارة ومن ملامح جغرافيتها

الطبية اذا ما اريد نجاح هذه الاستراتيجيات، وكذلك ضرورة التوسع فى الدراسات المسحية لتحديد الحجم الحقيقى للمرض وعبئه Disease Burden حتى لاتهدر الأموال، توضح المشروعات على غير اساس صحيح، وسوف يكون ذلك مجال النقاش فى موضوع الرعاية الصحية.

الرعاية الصحية فى القارة الافريقية

الرعاية الصحية تمثل القسم الثانى الرئيسى من أية دراسة فى الجغرافيا الطبية، وشعار الصحة للجميع بحلول سنة ٢٠٠٠، يبدو أنه صعب المنال بالنسبة لافريقيا بالنظر لظروفها الحالية. وبداية، فإن أية سياسة للرعاية الصحية لايجب أن تقف عند حد تقديم الخدمات ، ولكن عليها أن تفى بمدى واسع من الرعاية بيئيا واقتصاديا، واجتماعيا، وسياسيا وكلها تؤثر فى درجة تعرض السكان لخطر المرض وبالمثل لقدر من الصحة (Stock, 1995: 262)^(٨٦) كذلك فى دراسة ما للجغرافيا الطبية يجب اختيار الاسلوب الامثل السليم لتوضيح المشكلة كما يشير جسلر (Gesler, 1983: 963)^(٨٧) ويعنى ذلك أن أفريقيا لا بد لها من استراتيجية خاصة بها للرعاية الصحية نابعه من ظروفها.

والرعاية الصحية فى افريقيا زمن الاستعمار ركزت على الاوربيين وأهملت الأفارقة، واهتمت بالموظفين والاداريين، والتجار، وتبعت الكيانات الصحية ومؤسساتها لكيانات سياسية واقتصادية وتأثر توزيع المؤسسات الصحية بالاعراق مما اوجد عدم مساواة فى الخدمة Inequality ووضح ذلك فى التباين الحضرى الريفى وهو ما استمر بعد تحقيق الاستقلال والاتزال، حتى حين حاولت البعثات التبشيرية سد تلك الفجوة الحضرية الريفية فى الخدمة الصحية تأثرت فى ذلك بعوامل وأبعاد دينية وعرقية وديمرجرافية.

ورغم اضطلاع حكومات افريقية المستقلة بوضع خطط طموحه قائمة على هيراركية في الخدمة الصحية في منافسة مع قطاعات أخرى جعل مثل هذه الخطط لاتصل إلى هدفها ولوحظ أن القطاع العسكري كان أكبر المنافسين، وكانت له الأولوية (Stock, 1995: 262)^(٨٨) ورغم توجه دول افريقيا إلى اللامركزية في الخدمة الصحية Decentralization وخاصة بالنسبة للرعاية الصحية الأولية Primary health care إلا انها لم تنجح تماماً، كذلك وضعت دول افريقيا خططا لاستئصال بعض الامراض الخطيرة التي احتلت قطاعا عريضا من نمط المرض فيها مثل مرض النوم والجزام والبثرة العليقية Yaws والحمى الصفراء والجدرى، وذلك بالتعاون مع WHO وأدى ذلك لتحسن واضح في الصحة الوقائية ولكنه محدودة وظلت اللامساواة التي وجدت قبلا قائمة زمن الاستقلال بحيث أصبح من يقدر على الضغط السياسى يحصل على الخدمة المطلوبة، بينما أهملت أقاليم ومناطق جغرافية لاتستطيع ذلك (Iyun, 1994:250-3)^(٨٩)، وكان النجاح فى استئصال الجدرى من افريقيا والعالم هو النموذج الوحيد الواضح من ضمن برنامج هدف للقضاء على بعض الأمراض Targeted disease programmes، وتعرضت تلك السياسة لنقد على أساس أن الرعاية الصحية يجب أن تكون عامة ولا تستأثر بالانفاق قطاعات معينة دون اخرى، كذلك اثيرت قضية هل يحق لمناطق جغرافية أن تستأثر بنوع أكبر من الدعم المالى عن سواها مثل المدن مثلا (Stock, 1995:26)^(٩٠) والنقطة الهامة أن موارد الصحة فى افريقيا محدودة، إذ تنفق معظم دولها أقل من ٥٪ من الميزانية السنوية على هذا القطاع ولم تدرك استراتيجيات الصحة دول فى افريقيا ديناميات سريعة التغير مثل سرعة نمو السكان الفائقة وخاصة فى المدن وتأثير الهجرة الريفية الحضرية على الصحة، وأوجد ذلك عبئا ثقيلا على النظام الصحي، الذى كان فى كثير من الحالات شديد التواضع.

وحاول القطاع الخاص - عجز القطاع الحكومي عن تقديم الخدمة، وزادت أزمة الديون الافريقية من قصور النظام الصحي، وكان عدم وصول الماء النقي للريف أكبر الأخطار كذلك صعوبة تعميم التطعيمات الرئيسية، ووضع سياسة سليمة لضبط النسل، ووضع حد لنزيف الخبرات التي هاجرت للخارج (8 - 933 : lyun, 1989)^(٩١)، ومع نقص الخبرات والكوادر اضطلع بالخدمة فى الريف اشخاص غير مؤهلين لذلك تماما مثل المرضى والقابلات وأصحاب مهن أخرى، بل انتشر التطبيب الذاتى Self Medication وذلك كله له علاقة بشيوع الامية بين الكبار والتي وصلت فى دول مثل اثيوبيا موزمبيق إلى ٦٥٪ و ٦٠٪ على الترتيب (تقرير عن التنمية فى العالم ١٩٩٦ : ٢٣٨)^(٩٢) ولم تستطع الحكومات تقديم الخدمة المناسبة بسبب الديون التي وصلت احيانا فى بعض الدول إلى اكثر من قدر الناتج المحلى الاجمالي GDP ذاته، وعلى سبيل المثال فإن حجم ديون رواندا سنة ١٩٩٤ وصل إلى ٩٥٤ مليون دولار امريكي، وهذا مايساوى ١٦٤.٨٪ من الناتج لإجمالى لنفس السنة. ووصلت هذه النسبة لمستويات مخيفة فى بعض الدول الافريقية فكانت سنة ١٩٩٤ فى موزمبيق ٤٥٠٪، وفى مدغشقر ٢٢٥٪ وفى غينيا بيساو ٢٤٠.٧٪، وفى موريتانيا ٢٤٠٪، وفى كوت ديفوار ٣٣٩٪، وفى الكنفو ٤٥٤٪^(٩٣)(البنك الدولى - تقرير عن التنمية فى العالم ١٩٩٦ : ٢٧٠).

ورغم أن البعد الكمي ليس هو الأهم فى الخدمة الصحية، ورغم تدنى مستويات الخدمة بشدة اذا خضعت للمعايير الغربية، فإن هذه الخدمات الصحية كانت متواضعة للغاية دائما كما ونوعا.

ويشير Fellmann وزميلاه إلى أن الخدمات الصحية تعد مؤشرا للتنمية، وباستثناء الشمال الافريقى ودولة جنوب افريقيا، فإننا نجد أن نصيب الطبيب

من المواطنين فى معظم دول القارة يصل إلى ما بين ٥ - ١٠ آلاف نسمة، إلى مايزيد عن ذلك فى العديد من الدول الافريقية : (Fellmann. et al, 1992 : (٩٤)

(5-354 ومن أوجه النقد التى وجهت إلى السياسة الصحية فى افريقية مركزية الإدارة، ونقص المتابعة، وخاصة للمستوى الأوسط الذى يربط بين الرعاية الأولية والمستويات الأعلى. وعدم الاستجابة لطلبات السكان المحليين والممارسات غير السليمة التى وجهت لبعض القائمين بالخدمة الصحية الأولية ونقص الامكانيات للنهوض بتنمية العاملين وأداءهم الوظيفى فى هذا المستوى الاولى أو التجهيز السليم لامكانية الاضطلاع بمهامهم (Whaley & hashim 1995: 13) (٩٥) والخدمات الصحية المقدمة للمواطنين فى افريقيا محدودة، وأفادت ٩ دول افريقية من ضمن ٢٤ دولة شملتها احدى الدراسات أن ٨٠٪ من مواطنيها يحصلون على الخدمات الصحية الأولية، ٤ دول يحصل فيها ٤٠٪ على هذه الخدمات، ٥ دول يحصل فيها من ٤٠ - ٥٠٪ على الخدمات، و ٦ دول يحصل فيها ٦٠ - ٨٠٪ على الخدمات الصحية.

وبطبيعة الحال، فهذه النسب مبالغ فيها، والخدمة الصحية النوعية صعبة المثال فى افريقيا اذا ما طبقت المعايير الغربية وبعد ، ماذا يمكن أن تقدمه الجغرافيا الطبية لتحسن الرعاية الصحية وتحقيق صحة أفضل لافريقيا؟ والحقيقة أنه يمكن تقديم الكثير لخطط التنمية الافريقية اذا ما أخذ فى الاعتبار الجانب الجغرافى للصحة والمرض، والمنبثق من رؤية كلية شاملة وليس من منظور جزئى، ويمكن تلخيص الأبعاد التى يجب أن تشملها أية استراتيجيات افريقية لتطوير الرعاية الصحية فى النقاط التالية: -

(١) الرعاية الصحية يجب ان تكون فى اطار التنمية الشاملة والمستدامة.

(٢) سد الفجوة بين الطب العلاجى Curative medicine والطب

الوقائي Preventive (Stock, 1995, 202-3) والايمان بأن ماينفق على برنامج لاتاحة الماء النقى ، او تطعيم الاطفال ، او حملات التثقيف الصحى سوف يكون له مردوده الصحى وتخفيف الضغط عن العلاج.

(٢) الالتفات إلى البعد او الجانب الاجتماعى والحضارى Cultural based Strategies بحيث ان ما يصلح للمجتمع الغربى لا يصلح بالضرورة للمجتمع القبلى وأن تراعى النواحي الجغرافية عند وضع البرامج، مثل ذلك البعثات التبشيرية وتركيزها على المجتمعات المسيحية - (Airey, 1989:95-103)(٩٦)

(٤) ان يصاحب التدريب الجيد والصيانة شراء المعدات الطبية المكلفة ، والتي تصبح عبئا اذا غاب التدريب والصيانة، ولاسيما انها مكلفة، وقد لاتلبى الطلب المحلى للافارقة ويكون العائد منها أقل منه فى الدولة التى صنعتها (Stock, 1995 : 263)(٩٧).

(٥) لابد أن تعكس استراتيجيات الرعاية الصحية نمط المرض المتباين بين افريقيا وخارجها من ناحية وبين جزء واخر فى داخل افريقيا من ناحية ثانية، وهو عموما مختلف عما فى الغرب.

(٦) الاستفادة من أخطاء الماضى فى مشروعات التنمية حين أهمل الجانب الجغرافى والاجتماعى مما نتج عنه زيادة متسارعة فى معدل الاصابة بأمراض بعينها مثل الطفيليات بعد انشاء بيئات جديده من صنع الانسان Man -Made كما فى حالة السدود والخزانات المائية الرئيسية وغير الرئيسية فى السنغال ومالى وزامبيا (6 - 220: Vercruysee, et al 1994)(٩٨).

(٧) تحسين الوضع الغذائى فى القارة ليتمكن تحسين الوضع الصحى، اذ

يلاحظ تخصيص دعما أكبر في الدول النامية لامور إدارية وعسكرية، ولاحظ «الغنيمي» أن السودان ينفق على الأمور العسكرية أكثر مما ينفق على الصحة والتعليم والزراعة، وأن معدل انفاق دول الشمال الأفريقي على الأمور العسكرية يتراوح بين ٦ - ٢٩٪ في أوائل التسعينات (El - Ghonemy. 1993:158)(٩٩) ويؤثر ذلك الوضع سلبا على الصحة .

(٨) دراسة تأثير العادات الشعبية والتقاليد على نجاح أو فشل الرعاية الصحية وبرامجها وزيادة جرعة التوعية الصحية، ومن ذلك عادات الغذاء مثل الاعتماد على الذرة وهو محدود المحتوى البروتيني، والكسافا المحتوى قشورها على مواد سامة واعتماد سكان السافانا على غذاء الذريني Zein وهو مشتق من الذرة، وينقصه الحمض الاميني اللازم للتغذية الجيدة (parry, 1984: 60-2)(١٠٠) ومن أهم الأمور في هذا السياق أن تراعى استراتيجيات الصحة الأفريقية مسألة موسمية نقص الغذاء حتى تكون هناك بدائل سريعة لعلاج المواقف الحرجة في خلال المجاعات وفشل مواسم الحصاد وتأخر سقوط المطر، واستجابة السكان لمثل هذه المواقف ومدى الصحة والخطأ فيها، كذلك بحث عادات السكان في مناطق سيادة ذبابة تسي تسي، ونقص الغذاء البروتيني بها مما يؤدي إلى انتشار مرض الكواشيوركور، والذي يسود أيضا في مناطق تعتمد على عادة الاعتماد الغذائي على البلانتين.

كذلك دراسة عادة الحصول على الخمور بتخمير الذرة والذرة الرفيعة -Mil- let والسرعوم لانتاج أنواع محلية رديئة من الخمور توجه اليها أصابع الاتهام بزيادة أضرار أفريقية معينة كالبلعوم الأنفي والمرئ.

وأى استراتيجية لتحسين الصحة الأفريقية لابد لها أن تحاول منع أو على الأقل إيجاد البدائل لعادات غريبة غير صحيحة ومن ذلك رفض غذاء جيد

وصحى مثل رفض الزولو أكل السمك، بينما يأكلون الحشرات وأحيانا يمنع غذاء كتقليد دينى كرفض المسلمين تناول لحم الخنزير، لذا يجب توفير البديل، ويرفض الهنود أكل لحم البقر ويعيش الماساى على دم ولبن الحيوان اساساً نون لحمه ويعتمد الباجندا على غذاء مكون من كربوهيدرات بينما ترفض بعض الجماعات السمك معتقدة انه مماثل للتعابين بينما تعيش جماعات أخرى كلية على السمك (Parry, 1984: 64-6) (١٠١).

وفى بعض أجزاء افريقيا، يظن البعض أن تناول البيض يؤدي للعقم، ومن العادات الافريقية السيئة تفضيل الذكور على الاناث فى التغذية ويأتى الأطفال فى ذيل الاهتمام ويؤدى لمثالب خطيرة على الأم الحامل والطفل، والخرافات المحيطة بالغذاء هى مشكلة حقيقية فى افريقيا ومن العادات الغريبة مسألة اكل التربة Geophagy التى يمارسها العديد من السكان وتؤدى إلى عواقب مرضية وخيمة فى بعض الاحيان (Abrahams&Parsons 1996: 63-7) (١٠٢) وفى شرق افريقيا يعتقد البعض أن السمك الطازج يسبب سوء التغذية للأطفال، وأن أكل لحم الضأن يصيب بالوار giddiness وفى أجزاء من اثيوبيا تمنع الأم تعرض أطفالها لأشعة الشمس حماية لهم من الشياطين، وفى مدن وقرى الشمال الافريقى فى منطقة حوض البحر المتوسط فإن الأطفال فى الأزقة الضيقة يقل تعرضهم لأشعة الشمس ويصابون بنقص فيتامين D ، (Parry, 1984: 84) (١٠٣) ودراسة العادات مؤشر للأمراض الناتجة عنها مثل شيوخ نقص المعادن والعناصر اللازمة كالسيوم والحديد واليود والفلورين والزنك، وأكثر المتضررين من ذلك الأطفال بعد الفطام، لاعتمادهم على أغذية كربوهيدراتية، ونقص الحديد مسئول عن شيوخ الانيميا لدى الأطفال سواء قبل أو بعد الفطام وفى دراسة عن السودان لعادات تغذية الأطفال لاحظ الباحثون أن عادات تغذية الأطفال فى الريف والحضر تؤدى أحيانا بالاصابة لأمراض نقص التغذية (El Bushra, et al., 1994: 309- 12) (١٠٤).

ونقص اليود فى بعض مناطق افريقيا خاصة المرتفعة يؤدي لتضخم الغدة الدرقية goitre ويعتقد الاطباء أن المرض يصبح وبائيا إذا كان ١٠٪ من السكان مصابون به، وأكثر مناطق افريقيا تعرضا له المناطق المرتفعة مثل اثيوبيا حيث التربة وخاصة المشتقة من صخور الجرانيت القديمة قليلة فى محتوى اليود وأسوا مناطق افريقيا توجد فى اثيوبيا وهضبة باوتشى فى نيجيريا وأجزاء من تنزانيا وشمال شرق زائير، (Hanegraaf, 1970: 1-5) (١٠٥) وأكثر الفئات الديموجرافية استهدفا للمرض النساء الحوامل والفتيات ووجد أنه يحدث فى نيجيريا وغيرها اذا اعتمد السكان على الماء الناتج من الابار العميقة وليس السطحية، والمرض بحاجة لدراسة مستفيضة فى افريقيا لاثبات العلاقة بينه وبين عوامل بيئية وعادات محلية سائدة ويرى البعض أن المرض يحدث فى مناطق وادى النيل بسبب تلوث المياه وفى واحات الصحراء بسبب تناول الماء العسر Hard Water واذا شاع المرض بين الأطفال دون العاشرة فمعناه أن المناطق الجغرافية مصابة به بشدة (3 - 91 : perry, 1984) (١٠٦).

أما الفلورين Flourin نقصه يؤدي لمرض Clurasis وينتشر فى أجزاء من جنوب افريقيا وخاصة فى الترنسفال وشمال غرب ولاية كيب تون وأجزاء من تنزانيا.

(٩) يجب أن تراعى الاستراتيجيات الصحية كيفية انتشار الوبئة ومساراتها التى تتعرض لها افريقيا بين الحين والآخر وخاصة بعض سلالات الوبئة والامراض غير الشائعة فى افريقيا مثل أوبئة الانفلونزا التى تجتاح القارة أحيانا ويمكن للجغرافيين الاسهام فى ذلك لفهمهم عمليات الانتشار Diffusion وتمثلها على خرائط (كرتوجرافيا)، وتحليل وتعليل مسالك الانتشار بعوامل بيئية إن وجدت وقد لوحظ أن بعض السلالات لأمراض عزلت منها فيروسات تختلف

عن المحلية ووجد أنها قادمة من أوروبا وأمريكا، وفي سنة ١٩٦٧ وسنة ١٩٦٨، كان وباء الأنفلونزا في أوروبا وأمريكا مرتبطا بالفيروس الاسبيري، ومع ذلك لم يكن الأمر كذلك في افريقيا، ولاحظ أحد الباحثين أن فترة الحضارة لفيروسات الانفلونزا في مناطق افريقيا المدارية تختلف عنها لدى السكان القوقازيين ومثل هذه الخصائص الافريقية ذات دلالة هامة وتفسر وتعرف الباحثين على الآليات البيولوجية المتضمنة في الإصابة بالأمراض والتي هي غير معلومة حاليا، كذلك يفيد ذلك التعرف في مكافحة المرض بالتعظيم (Mc Gregory. 1979 : 15-22)(١٠٧) .

وتفيد نماذج انتشار المرض Disease Diffusion Models في رصد الظاهرة المرضية كما يذكر ماك جلاشان (Mc Glashan, 1975:15-22)(١٠٨) وفي هذا المجال يمكن أن يكون للجغرافيين اسهاماتهم الهامة تفسر للاطباء الكثير من أنماط المرض الثانوية لاسيما وأننا نلاحظ أن درجة المراضة Mor-bidity تختلف من جزء إلى آخر في نفس الدولة من حيث معدلات الإصابة وتختلف أيضا حتى في المناطق صغيرة المساحة .

(١٠) يجب أن تنهج استراتيجيات الرعاية الصحية في افريقيا نهجا بينيا تشابكيا Interdisciplinary توظف فيه كل المعارف لاثراء هذه الاستراتيجية، ولا تقتصر فقط على الطبيب. والأجهزة والمسائل التقليدية انما تؤخذ في الاعتبار عمل الفريق، وفي هذا المجال يمكن للجغرافيين توظيف التقنيات الجديدة التي يمكن لها أن تضم شمل نتائج عديد من العلوم مثل تقنية نظم المعلومات الجغرافية GIS والاستشعار من البعد Remote Sensing وكله يفيد في رصد وتحليل التغيرات المناخية في أجزاء افريقيا والتي لها انعكاساتها الآن على صحة القارة حاليا ولاسيما في منطقة الساحل، التي توالى عليها فترات

الجفاف الحادة خلال العقود المنصرمين، ومن أمثلة تلك الدراسات ما قام به باحثان في منطقة مالي وهي جزء من اقليم الساحل الأفريقي، وطبقا فيها حسابات Surface Albedo ومؤشر الغطاء النباتي Vegetation Cover Index وكانت النتيجة استمرار الاتجاه القائم حاليا نحو التصحر في المستقبل وتدهور قيم التربة، والذي أوجد ضغطا هائلا سكانيا على الغطاء النباتي الفقير اصلا، ومثل هذه الدراسات تلقى الضوء على التغيرات المكانية خلال الزمن في اقليم الساحل التي تمتد لمسافة ٥٠٠٠ كم بين البحر الاحمر والمحيط الاطلسي، وبين خط عرض ٥١٢ ، ٥١٨ شمالا ويعرض يبلغ ٥٠٠ كم، وتوالت عليها فترات الجفاف في سنة ٦٨ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٨٢ ، ولا شك أن رصد هذه الأمور يمكن من التنبؤ بالأمراض المحتملة ومهمة الجغرافي توحيد النظر لمثل هذه الاخطار التي تهدد البيئة والسكان في افريقيا (Cote & Rayer, 1992 : 15 - 25) (١٠٩).

(١١) وضع أولويات في استراتيجيات الرعاية الصحية وما هي الأمور الصحية الأولى بالاهتمام وتخصيص المال وعند تحديد ذلك لابد من التنسيق مع الجهات الصحية وغير الصحية، فإن القضاء على إسهال الأطفال على سبيل المثال ومرض الملاريا، أو البلهارسيا له أولوية قصوى في افريقيا ولكن ليس له ذات الوزن في استراتيجيات الدول المتقدمة، كذلك يستدعي مكافحة هذه الامراض في افريقيا التنسيق مع جهات هندسية وتخطيطية وديمجرافية وحضارية وتقليدية واقتصادية والخ.. وسبقت الاشارة إلى فشل بعض مشروعات التنمية الافريقية وانتشار الامراض لغياب مثل ذلك التنسيق، تم جلب البلهارسيا لمناطق لم تعرفها من قبل مما أثر ليس فقط في صحة السكان البدنية، انما الذهنية كذلك في رأى بعض الباحثين (Dimura, et al., 1992 : 155 - 9) (١١٠) وأيد ذلك الباحث Gryseels، (Gryeels, 1994: 209 - 19) (١١١) ، وأيضا الباحث «بل» وزملاؤه في تاريخ

مبكر (Bell, et al., 1973 : 494 - 801) (١١٢)، ولاشك أن هذه الاولويات وذلك التنسيق يوفر الموارد لدول افريقيا والتي تتصف اصلا بمحدوديتها.

(١٢) رفع كفاءة العاملين الصحية فى مختلف المراكز الصحية لتحقيق أكبر قدر من الخدمة دون فاقد، ولقضاء على اللامساواة الواضحة فى الرعاية الصحية فى افريقيا، ولاسيما بين الحضر والريف، وفى تجربة من هذا القبيل فى كينيا أدى رفع كفاءة العاملين إلى تغيير سلوك المرضى والأمهات تجاه أطفالهن مما كثف من العائد الصحي.

(١٣) تدعيم البنية الاساسية Infrastructure فى كل المجالات وليس فقط المجال الصحي، وفى دراسة وضع ان تدعيم شبكة الطرق والمواصلات فى أحد أقاليم كينيا Meru، وضع للباحث Airey ان ذلك كثف من الخدمات الصحية واوصل الخدمات لمناطق ابعد مسافة بما اوجده من تقصير المسافات وسهولة الوصول. Accessibility. (Airey, 1989: 95 - 106) (١١٣) ومثل هذه الدراسات التى تؤخذ فى اعتبارها جوانب صحية مع جوانب أخرى تتصل بخصائص الاقاليم المادية والبشرية هى اهتمام الجغرافى اصلا (Gesler, 1986: 963 - 73)، مع ملاحظة أن النماذج المستوحاة من خارج افريقيا فى ذلك السياق لاتنفع دائما مع البيئة الافريقية وأن بقيت الملامح العامة لها صادقة، ومن ذلك ملاحظة Airey فى دراسته السابقة الذكر أن مناطق خدمة المستشفيات فى كينيا تبدى بعض الخصائص المشتقة من نظرية تضاؤل وفود المرضى بطول المسافة Distance decay theory، إلا أنه لاحظ أيضا أن العوامل الدينية والاجتماعية والاقتصادية كانت أقوى فى بعض الحالات من تأثير المسافة (Airey, 1989: 104 - 5) (١١٤).

(١٤) أن تتصف استراتيجيات الرعاية الصحية بالمرونة، وقدرتها على

تلبية الحاجات المتغيرة، مثل تغير نمط المرض، والتغير في الاتجاهات الاجتماعية، والديمقراطية، مثل الهجرة الريفية- الحضرية والتحول الوبائي، ويمكن الاستفادة من تجارب دول نامية حققت تقدماً ملحوظاً في السنين الأخيرة مثل سنغافورة، مما أدى إلى سرعة ملاحقة التغيرات الهامة وانعكاس ذلك في استراتيجية الرعاية الصحية، كانعكاس للتغير في الأنماط الاجتماعية والحضرية وتأثير ذلك على نمط المرض (Seow & Hin- Reng, 1990 : 149 - 58) (١١٥) كذلك تتضح مرونة هذه الاستراتيجيات في التعامل الفوري مع الأحداث والمخاطر الجسام التي قد تقع فجأة والتي تؤثر في الصحة، كالأوبئة والمجاعات والكوارث، وتحديد الفئات الأكثر تضرراً عن غيرهم سلفاً ، إذ وجد أن الأطفال الصغار هم خطر حقيقي للموت أثناء هذه الكوارث (Lindtjorn, 1990 : 365-9) (١١٦)

(١٥) أن تراعى الاستراتيجيات التباينات البيئية في كل دولة أفريقية، وخاصة في الدول كبيرة المساحة والتي تحوى اقاليم طبيعية متنافرة، وكذا مجموعات عرقية مختلفة، وعلى ذلك لا توضع استراتيجية واحدة لتطبق في طول البلاد وعرضها، ومن ذلك حاجة سكان المرتفعات للرعاية تختلف عن سكان السهول والمنخفضات إذ لوحظ أن سكان المرتفعات أكثر عرضة لمرض Sickle Cell Disease مما يجعلهم عرضة لضعف ما يتلقاه سكان السهول (Addae, et al, 1990 : 342- 51) (١١٧)، كذلك التباين في نمط المرض الثانوى نتيجة نمط الحرفة السائدة، كسيادة أمراض الرئة في مناطق التعدين والتجوير، والرعاية بأمراض خاصة بهم كما في منطقة التوركانا في كينيا والتي تنتقل اليهم من قطعانهم، ولذا فهم عرضة لهذه الامراض أكثر من الجماعات التي لاتعمل برعى الحيوان (French & Nelson, 1982: 439 - 57) (١١٨).

(١٦) أن تراعى الاستراتيجيات وبرامج الرعاية الصحية الاستخدام الأمثل للموارد المادية والبشرية المتاحة والتي هي محدودة اصلا، واستكمال الاجهزة الناقصة، وقطع الغيار، وتدريب العاملين على صيانتها، وحفزهم مادياً، ومعنوياً، وتحسين بيئة العمل في السمشفيات، إذ لوخط تدني الأداء الجراحي في معظم المستشفيات الافريقية، وما يعرف بالمعدلات الجراحية Surgical Rates وذلك فى دراسة عن كينيا وتنزانيا فى مناطق ريفية، ومع مقارنتها بما هو قائم فى بريطانيا و USA وجد أن المعدلات الافريقية هى أقل من نظيرتها الغربية بحوالى عشرين مرة، كذلك وجد أن معدل العمليات الجراحية لكل ١٠٠.٠٠٠ من السكان كان ٤٤ ، ٦٩ ، لكل ١٠٠.٠٠٠ من السكان على التوالي، بينما كان أكبر من ذلك بحوالى من ٩- ٢٠ مرة فى الغرب، اذ بلغ ٢٣٠٠ / ١٠٠.٠٠٠ فى الولايات المتحدة و ١٠٨٠ فى السويد، ٩٤٢ فى المملكة المتحدة وتفسير ذلك التباين رغم صعوبته الا أن هناك أسباب واضحة منها محدودية التعدادات السكانية، وقصر أمد الحياه، والعوائق المادية والاجتماعية وعدم ادراك الأهالى لأهمية الجراحات، واهمال العلاج وطول الفترة ما بين الشعور بالأعراض المرضية والمثول أمام الطبيب- وعدم وجود خدمة طبية أصلا، وقلة الكفاءة الجراحية، ووجود قوائم انتظار لخدمة طويلة، وسوء طرق النقل، وعدم توفر سهولة الوصول والتعرف على هذه الخصائص والعقبات يسهل من وضع استراتيجية سليمة (Holmberg&Nordberg, 1990 : 352)(١١٩).

(١٧) وضع مرض الايدز فى مركز خاص فى أية استراتيجية للرعاية الصحية وتحديد الفئات الأكثر عرضه للفيروس HIV وذلك على مستوى قومي لكل دولة أفريقية، وأيضا للقارة ككل من خلال منظمة الوحدة الافريقية، وأفريقيا اليوم تؤدى الأغلبية المصابة بالمرض والفيروس ومن شأن المرض كما أشارات العديد من الدراسات ، أن يقلص المكاسب الديموجرافية التى تحققت

فى بعض دول افريقيا فى السنوات الأخيرة، مثل خفض معدلات الوفاة والمواليد، وزيادة معدلات نمط السكان مع تحسن الصحة واستمرار المرض سوف يخفض من عدد سكان فى بعض دول القارة فيما لو لم يكن المرض موجودا والرعاية الصحية لمريض الايدز هى خارج طاقة أية دولة أفريقية فقد قدر أن التكلفة المباشرة فقط لمريض الايدز تتراوح بين ١٣١ - ١٥٨٥ دولارا أمريكيا فى افريقيا ، وذلك فى زائير، أما فى تنزانيا فتتروح بين ١٠٤ - ٦٣١ دولارا، بينما متوسط نصيب الفرد من ميزانية الرعاية الصحية لكافة مجالاتها هى خمسة دولارات فقط (3: U.N., 1994) (١٢٠) علما بأن المشكلة لم تعد خاصة بالايديز فقط، انما بمجموعة من الأمراض تصاحب ظهوره، كما سبقت الاشارة للدرن على سبيل المثال لا الحصر(4 - 172 Van Der Werf, 1994) (١٢١)

(١٨) تطوير وتطوير برامج واستراتيجيات الرعاية الصحية الافريقية، وبرامج مكافحة الأمراض المدارية بحيث تستفيد من خبرات الجغرافيين فى هذا المجال كما يحدث فى دول الغرب، إذ أن الجغرافيين اكثر قدرة على فحص مفردات البيئة و النظر للامور نظرة شاملة وتطبيق وسائل وتقنيات البحث الحديثة مثل نظم المعلومات الجغرافية Geographic Information systems (GIS) فى مكافحة الامراض وميزة هذه التقنية أنها تضيف البعد الجغرافى والمكانى إلى المعلومات التى تحفظ فى جهاز الحاسب الآلى، التى كانت تفتقر لهذا البعد فى السابق أو، أنها كانت تخزن المعلومات فى قاعدة بيانات غير مناسبة للتعامل والتطبيق على مناطق جغرافية معينة (337 : Openshow 1996) (١٢٢) مما أتاح الحصول على قاعدة بيانات مكانية Spatial تحوى بيانات متنوعة وليست جغرافية فقط يستخدمها الجغرافى ويحلها للتطبيق على منطقة جغرافية بعينها.

وباستخدام (GIS) يمكن التعرف على انماط Disease patterns، وتحقيق المساواة Evennes بين الاقاليم فى الخدمة الصحية، ومراقبة وانجاز العاملين الصحيين وتقديم الخدمة الصحية المناسبة Health Care delivery.

وفى حالة افريقيا، يمكن انشاء خرائط لتوزيع الامراض باستخدام مثل هذه التقنية ومعدلات الاصابة وعمل تنبؤ مستقبلى لكل من المرضه Morbidity والوفيات Mortality الناجمة عن أمراض بعينها، وكذا تحديد الفئات السكانية الأكثر عرضه لخطر المرض Population at risk وعلى سبيل المثال فأن الخرائط الخاصة بسبب الاصابة بمرض معين يمكن تحويلها مباشرة إلى خرائط توضح السكان الأكثر تضررا وأكثر عرضه للاصابة، وتوضح فى ذات الوقت العوامل البيئية المرتبطة بهذا المرض ومثال ذلك الارتباط بين مرض الملاريا، وتوزيع المساحات المائية، ومشروعات الري الكبير كذلك تساعد تقنية GIS فى وضع نماذج Models للخدمة الصحية بناء على تحليل خرائط الامراض ، وظروف البيئة الطبيعية والحضارية ومن هنا يمكن أن تجيب على اسئلة مثل أين يمكن أن يقام مستشفى جديد متخصص فى علاج مرض معين؟ وما هى التغيرات اللازم عملها فى شبكة الخدمة الصحية فى اقليم معين؟ ولذا تسهم GIS فى اتخاذ قرارات صائبة أو على الاقل مساندة صانعوا القرار فى ذلك.

وفى رأى Openshaw أن تقنية GIS سوف تتمكن فى القريب العاجل من اعطاء صورة تمثل تعقب انتشار مرض معين Diffusion زمانيا ومكانيا وای تكلفة تنفق فى ذلك سيكون لها مربودها الصحى والاجتماعى الكبير (Openshaw, 1996 : 338- 9)(١٢٣).

ويدخل فى اطار تطوير برامج الخدمات والرعاية الصحية استخدام التقنيات

الحديثة والبرامج المعدة للاستخدام بالحاسب الآلى المتطور، وأحدث ما وجد حالياً يختص بتحليل البيانات بصورة مكانية Interactive Spatial Data Analysis والذي يتيح للجغرافى تصور Visulation واكتشاف Exploration وايضا عمل نماذج Modelling مستقاة من البيانات ذات الطبيعة الجغرافية أو البيئية. وفى هذا السياق، استعرض جاتريل ويلى بعض الامثلة لذلك، وخاصة بعض امكانات برامج ARC/ Info فى سياق التحليل البيئى وأوضحا كيف أن اضافة بعض أدوات التحليل المكانية لهذه البرامج يمكن أن يستغل بواسطة الجغرافيين والباحثين فى الجغرافيا الطبية ومن هذه الأدوات ما يتيح عمل نماذج خاصة فى أماكن تزيد بها نسبة الاصابة بأمراض معينة حول بؤرة محتملة لان تكون مصدرا للمرض. كذلك من أحدث الوسائل فى تطوير الرعاية الصحية هو استخدام النظم Systems ومن ذلك ما يسمى XLISP- STAT, S- Plus وكذلك البرامج التى عن طريقها يمكن أن تضاف لاستخدامها من قبل الباحثين فى المكتبات.

وتجدر الاشارة إلى أن مثل هذه الاتجاهات البحثية، والتقنيات المصاحبة قد جرى استخدامها على أمثلة واقعية فى مناطق من العالم، وبالنسبة لافريقيا واستخدمت فى محاولة منهم أكثر لتركز حالات مرض سرطانى شائع فى جزء من افريقيا ليمفوما بوركت الذى سبقت الاشارة اليه فى مواقع مختلفة من هذه الدراسة وهو شائع فى أوغنده بالذات ومايجاورها (Catrell & Bailey, 1996: 843- 55) وعن طريق مثل هذه الاتجاهات الحديثة فى تخطيط وتطوير برامج الرعاية الصحية يمكن أن يكون للجغرافيا الطبية فائدة عملية أكبر ودور فعال واضح، ومن خلال ما يمكن لها أن تضيفه من فهم أكبر للمشاكل الصحية فى القارة الافريقية، وهو ما يمكن أن يسهم بدون شك فى توضيح صورة الصحة والمرض بصورة أفضل.

(١٩) أن تأخذ الرعاية الصحية فى افريقيا بعينى الاعتبار الوجود المكثف للطب الشعبى فى افريقيا ومجتمعاتها التقليدية والحقيقية، إن نبذ مثل هذا النظام الصحى من قبل الاطباء الذين يمارسون الطب الحديث فيه خسارة كبيرة واهدار للنظام أثبت كفايته احيانا ولاسيما أنه يمثل الملاذ الأول الذى يلجأ اليه الافريقى فى البداية، ومن هنا فإن دمج هذا النظام مع النظام الطبى الحديث، قد يكون له أكبر الأثر فى زيادة فاعلية النظام الصحى فى افريقيا، ويؤدى - وهو الأهم إلى تقليل فترة الاهمال وعدم مراجعة الطبيب مما يؤدى إلى تفاقم المرض مع طول المدة، طالما أن النظامين الصحيين، التقليدى والحديث يعملان جنبا إلى جنب بنوع من التنسيق والتناغم، ويساعد على هذا التعاون أن مظعم دول افريقيا، لديها الآن الموارد المادية والبشرية اللازمة لصياغة برامج تعاون صحى جادة بين الطب الحديث Blomedicine وبين الطب التقليدى Traditional Medicine وكما يقرر Good، فإن هذه الثنائية الطبية Medicl pluralism تمثل موردا صحيا أكثر منها حاجزا صحيا Barrier لتحقيق صحة أفضل للمجتمع . (Good, 1987: 317) (١٢٥)

المراجع

- 1 - Meade, M., et al., Medical Geography, The Guilford press, New york, 1988.
- 2- Mc Glashan, N., Health: in Dawson, J.A., & Doornkamp, J.C.,eds. Evaluating human environment, essays in applied geography, Arnold, London 1975.
- 3 - Parry, E.H.O., Principles of Medicine in Africa, E.L.B.S, 2 nd ed. Oxford University press, 1984.
- 4 - Hutt, M.S.R., Cancer and Cardiovascular diseases in sub-Saharan Africa, in Feachmen,R.G., and Jamison, D.T., eds., Disease and Mortality in sub-Saharan Africa, Published for the World Bank, Oxford University Press, 1991, 221 - 40.
- 5 - William, E.H., et al., Sesonal variation on onset of Burkitt's Lymphoma in the west Nile District of Uganda, Lancet II, 1974, 19 - 22.
- 6 - Kambal, A.,D., et al., Vrolithiasis in Sudan, Geographical distribution and the influence of climate, Tropical and Geographical medicine, 1975, 75-91.
- 7 - Docquier, J., et al., Vrolithiasis in Sahelian Africa, Trans. R.Soc. Trop. Med, Hyg. 75, 1981, 123.
- 8 - Parry, 1984, E.H.O., op. cit, 13.
- 9 - Ibid., 13 - 15.
- 10 - Nurse, G.T., Seasonal hunger among the Ngoni and Ntumba of central Malawi, Africa, 1975, 45, 1-11.
- 11 - Parry, E.H.O., 1984, op, cit., 18.
- 12 - Ibid., 18 - 20.
- 13 - Hutt, op. vit. 1991, 230-1.
- 14 - Parry, E.H.O., op. cit.1984, 82-3.
- 15 - Stock, R. Africa south of the Sahara: A Geographical interpretation, The Guilford Press, New york, 1995, 119.
- 16 - Whaley, R.F., &Hashim, T.J., A Textbook of workd Health, A Practical Guide to global Health Care, The Parthenon publishing group, New york, 1995, 133-5.

١٧ - البنك الدولي - تقرير عن التنمية في العالم - واشنطن العاصمة - الترجمة العربية - مؤسسة الاهرام - القاهرة - ١٩٩٦ - ٢٤٨ - ٩.

- 18 - Stock, R., op. cit., 125-7..
- 19 - Chin, J., The Epidemiology and Projected mortality at AFDS. in Feachmen, R., G., & Jamison, D.T., eds., Disease and Mortality in sub-Saharan Africa, Oxford univ. Press., 1991, 203-13.
- 20 - Whaley, R., F., & Hashim, T. J., op. cit., 1995, 142.
- 21 - Stock, R., 1995, op. cit., 140-3.
- 22 - Parry, E.H.O., 1984, op. cit., 25-8.
- 23- Stock, R., F., Cholera in Africa, International African Institute, Special report, No.3., Plamouth, 1976, 12-22.
- 24 - Gaber, M.M., Migration, Mobility and disease diffusion With special reference to the situation in the Arabian Gulf countries, Geographical Studies, No.5, EI-Minya University, 1988.
- 25 - Shannon, G.W., et al., the Geography of AIDS, The Guilford Press, 1991, 70.
- 26 - Parry, E.H.O., 1984, op. cit., 30-2.
- 27 - Abrahams, P.W., & Parsons, J.A, Geophagy in the Tropics, A literature review. The Geographical Journal, 1996, 162,63-72.
- 28 - Hunter, J. M., Geophagy in Africa and the United States:A Culture nutrition hypothesis, Geographical Review, 1973, 63, 173-95..

٢٩ - أشاباي - طب تقليدي ولكنه قاتل - منبر الصحة العالمي - المجلد ٦ - العدد ٢ - ١٩٨٥ - ص ١٥١.

- 30 - El- Bushra, E., et al., Infant feeding practices in urban and rural communities of the Sudan, Trop. & Geographical Medicine, 45, 5, 309 - 12.
- 31 - French, C.M., & Nelson, G.S., Hydatid disease in the Turkana district of Kenya, Annals, Trop.. Med. & Parasitology, 1982, 76, 4, 439-57.

٣٢ - محمد مدحت جابر عبد الجليل - الابعاد الجغرافية للقات في اليمن - دار الوزان - القاهرة - ١٩٨٦ - ص ٩ - ٢١.

- 33 - Parry, E.H.O., 1984, op. cit, 32-5.
- 34 - Davidson, N., et al., Peripartum cardiac failure: an explanation for the observed geographic distribution in Nigeria, Bull. wld. org. 1974, 51, 203-8.
- 35 - Parry E.H.O., 1984, op. cit, 34-5.
- 36 Curtis, S. & Taket, A., Health and Societies: Changing perspectives, Arnold, 1996, 81.
- ٢٧ - البنك الدولي - تقرير عن التنمية في العالم ١٩٩٦ مرجع سابق - ص ٢٤٨.
- 38 - Mwaluke, G.M.P., The approach of treatment in Africa, in Parry, E.H.O. ed., 1984., op. cit, 191-99.
- 39 - Whaley, R.F. & Hashim, T. J., 1995, op. cit., 141.
- 40 - Feachem, R.G., et al., 1991, op. cit, 15.
- 41 - Bradly, D. J., Malaria in sub - Saharan Africa, in Feachem, A.G., & Jamison, D.T., 1991, op. cit, 191.
- 42 - Chin, J., 1991, op. cit, 203.
- 43 - Whalay, R.F, & Hashim, T. J., 1995, op. cit, 142.
- 44 - Ibid. 139-40.
- 45 - Stock, R., 1995, op. cit., 128.
- 46 - Vercruysee, J., et al., Studies on Transmission and Schistosome interactions in Sengal, Mali, and Zambia, Tropical and Geographical Medicine, 1994, No. 4, 220-6.
- 47 - Whaley, R.,F., & Hashim, T. J., 1995, op.cit, 141.
- 48 - Griffiths, I.L.F., The Atlas of African affairs 2nd ed., Routledge, London, 1993, 22-5.
- 49 - Williams, J.F., et al., Current distribution of onchocerciasis in Sudan, Sudan Med. J., 1985, vol. 21, (supplement), 9 -17.
- 50 - Bella, H., et al., Migrant Workers and Schistosomiasis in the Gezira, Sudan, Trans. R. Soc.trop. Med. hyg, 1980, 74, 36 - 9.
- 51 - Johnston, P.A.S., Parasitic associations with malignant neoplasms, Tropical and geographical Medicine, 1990, 42, 4, 301.
- 52 - El-Gazayerli, M., & Aziz, A., On Bilhariosis and Male breast Cancer in Egypt: A preliminary report and review of the Literature, BR. J., Cancer, 1963, 17, 566 - 71.
- 53 - Johnston, P.A.S., 1990, op. cit, 305-6.

- 54 - Van Der Werf, T.S., et al., High initial drug resistance in pulmonary Tuberculosis in Ghana, *Tubercle*, 1989, 70, 249-55.
- 55 - Harries, A.D., Tuberculosis and Human Immunodeficiency virus infection in Developing countries, *Lancet*, 1990 335, 387-90.
- 56 - Schulzer, M. et al., An estimates of the future size at the Tuberculosis problem in sub saharan Africa resulting from H.I.V. infection, *Tuberc. lung. Dis.* 1992, 73, 52 -8.
- 57 - Van Der werf., T., S., 1989, op.cit, 249-55.
- 58 - Whaley, R.F., & Hashim, T.J., 1995 op. cit, 141-2.
- 59 - Parry, E.H.O., 1984, op. cit., 219 - 20.
- 60 - Whaley, R.F., & Hashim, T.J., 1995, op. cit, 141 -2.
- 61 - Parry, E.H.O., 1984, op. cit, 255.
- 62 - Stock, R., 1955, op. cit, 128 -9.
- 63 - Ofosu - Amaah, S., Diseases in Sub -Saharan Africa :An overview, in Feachem, R.G. & Jomison, D.T. op. cit, 1991, 119 -21.
- 64 - Kirkwood, B.R., Diarrhea in sub-saharan Africa, in Feachem, R.G., & Jamison, D.T., eds., op. cit 1991, 134 - 57.
- 65 - Ashworth, A., & Dowler, E., Child malnutrition in Sub-Saharan Africa, in Feachem, R.G. & Jamison, D.T., eds, op. cit. 1991, 122 - 33.
- 66 - Rodrigues, L.C., EPI Torget diseases :Measles, Tetanus, Polio, Pertussis and Diphtheria, in feachem, R.G. & Jamison, T.D., 1991, op cit, 173 -89.
- 67 - Hutt, M.S.R., 1991, op. cit, 225 -6.
- 68 - Ibid. 226.
- 69 - Olweny, C.L.M., 1984, op. cit, 975.
- 70 - Fergusson, D.R., Associated Bilhoriasis and primary maliq-nant disease of Urinary bladder, *J., of Pathology & Pocteriology*, 1911, 16, 76 - 9.
- 71 - Hutt, M.S.R. 1991, op. cit, 229 -30.
- 72 - Olweny, C.L.M., Cancer in Africa, in Parry, E.H.O., 1984, op. cit, 973 - 80.
- 73 - Hutt, M.S.R., 1991, op. cit, 230.
- 74 - Ibid. 232 - 3.

- 75 - Seedat, Y.K., & Hackland, D.B.T., The prevalence of Hypertension in 4993 rural Zulu, Transactions of the Royal society of Tropical medicine and Hygiene, 1984, 78, 785 -9.
- 76 - Seuer, P.S., et al, Blood Pressure and its correlates in urban and tribal Africa, Lancet, 1980, 2, 60 - 40
- 77 - Poulter, N.R., Longitudinal Study of B.P. among rural urban immigrants in Kenya, in Cruckshank, D.K & Beauer, D.G., eds., Ethnic factors in health and disease, Bristol, IOP publishing, 1988.
- 78 - Remi Adesanyo, C., et al., The heart and circulation diseases in sub-Saharan Africa, in Parry, E.H.O., 1984, op. cit, 645 - 704.
- 79 - Hutt, M.S.R., 1991, op, cit, 236-7.
- 80 - Bayuteklu, D.A, et al., The lung diseases in Africa, in parry, E.H.O., ed., 1984, op cit, 76 - 816.
- 81 - Webster, I., Asbestosis and malignancy, S.A.F.R., Med., J., 1973., 47, 65-7.
- 82 - Warrell, D.A., Silicosis among grindstone cutters in the North of Nigeria, 1975. Thorax, 30, 381-98.
- 83 - Mustafa, K.Y, et al., Byssionosis, Respiratory symptoms and spirometric lung Function Tests in Tanzanian Sisal workers, Br. J., Industr. Med. 1978, 74, 36 - 41.
- 84 - Bradly, A.K., Effects of Onchocerciasis on settlement in the Middle Hawal valley, Nigeria, Trans. R. Soc. Trop, Med. Hyg. 1976. 70, 225-9.
- 85 - Samba, E.M., W.H.O., The Onchocerciasis control programme in west Africa, Geneva, 1994.
- 86 - Stock, R., 1995, op. cit, 262.
- 87 - Gesler, W., The Spatial analysis in Medical Geography: A review, soc. Sci: med. 1983, vol. 23, No. 10, 963-73.
- 88 - Stock,R., 1995, op. cit., 262-3.
- 89 - Iyun, B.F., Health care in the Third world, Africa, in Phillip, D., & Verballelt, Y., eds. Health and Development.
- 90 - Stock, R., 1995, op. cit, 26.
- 91 - Iyun, B.F., An assessment of rural health care programme, Oyo state, Nigeria, the Geographical Journal, vol, 162, No. 1 March, 1996,63-72.

- 94 - Fellmann, J., et al., Human Geograpy, W.M.C., Brown publishers, 1991, Debuge., 354-5.
- 95 - Whaley, R.F., & Hashim, T.J., 1995, op. cit. 13.
- 96 - Airey, T., The impact of rood construction on hospital in patient catchment in the Meru,district of Kenya, Soc. Sci. Med., 1989. vol. 29. No. 1, 95-106.
- 97 - Stock, R., 1995, op. it, 263.
- 98 - Vercruysee, J., et al., 1994, op. cit, 220-6.
- 99 - El- Ghonemy, M.r., Food security and rural development in North Africa, Middle Eastern Studies, vol, 29, No.3. july, 1993- 445-66.
- 100 - Parry, E.H.O., 1984, op. cit, 60-2.
- 101 - Ibid. 64-6.
- 102 - Abrahams, P.W., &Parsons, J., A., 1996, op. cit, 63-72.
- 103 - Parry, E.H.o., 1984, op. cit, 84.
- 104 - El- Bushra, E., et al, 1994. op. cit, 309-12.
- 105 - Hanegraaf, T.A.C., &Mc Gill, P.E., Prevalence and geographical distribution of endemic goitre in Eastern Africa, E.Afr . Med, J., 1970, 46, 1-5.
- 106 - Parry, E.H.O., 1984, op. cit, 91 - 3.
- 107 - Mc Gregory, I.A., et al., The epidemiology of Influenza in Tropical (Gambian) environment, Med. Bull. 1979, vol. 35, N.1, 15-22.
- 108 - Mc Glashan, N., 1975, p. cit, 214 - 15.
- 109 - Gote, K.& Rayer, A., Land surface climatology and land cover change monitoring since 1973 over North Sahelian Zone (Ansongo -Mali) using landsat Data, Geocarto international,2, 1992, 15-28.
- 110 - Kimura, E., The effects of endemic Schistosoma heamato-bium on mental test scores of kenian school children, Trop, Med. parasitology, 1992, 43, 155-9.
- 111- Gryseels, B., et al, Epidemiology, immunology, and chemotherapy of Schistosomia mansoni infections in a recently exposed community in Senegal, Trop, & Geographical Medicine, 1994, 40, No. 4, 209-19.
- 112 - Bell, R.M.S., et al., Effects of endemic Schistosomium and

- hyconthone on the mental ability of African School children, Trans. Ray. Soc. Trop. Med. Hyg. 1973, 67, 494 - 501.
- 113 - Airey, T., 1989, op. cit, 95-106.
- 114 - Ibid, 1045.
- 115 - Seow, A., & Hin - Peng, L., From colony to city State, changes in health needs in Singapore from 1950 to 1990, J., Public. Health Medicine, 1990, Vol. 16, No. 2, 49 - 54.
- 116 - Lindtjorn, B., Famine in South Eastern Ethiopia., 1985-86, Malnutrition, Diarrhoea and Death, Tropical and Geographical Medicine, 1990, vol. 42.365-69.
- 117 - Addae, S., et al., Sickle cell disease in permanent residents of Mauntaina and low altitude in Saudi Arabia, Trop. & Geographical Med., 1990, vol. 42. 342-51.
- 118 - French, C.M., & Nelson, G.S., 1982, op. cit, 439-57.
- 119 - Holmberg, S. & Nordberg, E., Surgical rates in Africa, Trop. & Geographical Med., 1990 vol. 42. 352.
- 120 - The United Nations., AIDS and th demography of Africa, New York, 1994.
- 121 - Van Der werf, T.S., Tuberculosis in Africa. any news, Tropical and Geographical Medicine, 1994, vol. 45. No. 5, 271-4.
- 122 - Openshaw, S. Geographical Information systems and Tropical Diseases, Trans. Ray. Soc. Trop. Med. & Hyg. 1996, 90, 337 - 9.
- 123 - Ibid., 338-9.
- 124 - Gatrell, A.C., & Bailey, T.C., Interactive spatial date analysis in Medical Geography, Soc. Sci. Med., vol. 42, No. 6 843-55.
- 125 - Good, C., Ethnomedical systems in Africa, The Guilford Press, New york, 1987, 317.

الجغرافيا السياسية

إعداد

أ.د. محمد عبد الغنى سعودى

القاهرة

١٩٩٧

الجغرافية السياسية

تعنى الجغرافية السياسية بدراسة الوحدات أو الأقاليم السياسية كظواهرات على سطح الأرض وما تشتمل عليه هذه الوحدات من شعوب وجماعات، وبدراسة الظواهرات السياسية وارتباطها بظواهرات سطح الأرض الأخرى والمسطحات المائية وأنماط الاستقرار يمكن للباحث الجغرافى أن يحلل ويعلل الطرق المختلفة التى نظم بها الإنسان هذه الأرض إلى أنماط سياسية كزائير، والصين، أى بدراسة الدولة على أنها الأساس الأول للوحدات السياسية، ولكن قد يدرس إقليمًا داخل الدولة بياقرا، شابا، وكذلك التنظيمات السياسية التى تعلو الدولة كمنظمة الناتو، أو الإيكواس، وهى منظمات تهدف بالإنضمام إليها والوصول بأعضائها إلى أهداف معينة.

وقد تقوم دراسات أصولية لبعض الظواهرات السياسية كالحدود السياسية أو العواصم أو مشكلة السكان أو مشكلة اللاجئين، أو مشكلة الفقر والفجوة بين الاغنياء والفقراء كمشكلة سياسية، كما لا نهمل بعض الظواهرات الطبيعية التى قد تنتظم فى وحدة سياسية واحدة ولكنها تخلق مشكلات دولية كأحواض الانهار أو المراكز التى تظهر فيها حركات انفصالية، وان كان من بين هذه المجالات جميعا تبرز الوحدة السياسية كالطفل المدلل للجغرافيه السياسية على أساس تحليل العلاقات بين السكان والبيئة الطبيعية فى اطار الدولة سواء كانت هذه العلاقات داخلية أو خارجية.

وتدرس الجغرافية السياسية فى الدولة:

١ - الحدود السياسية للدولة لأنها الاطار الخارجى الذى يتمدد وينكمش

تبعاً لقوة الدولة أو ضعفها.

٢ - مدى التوافق بين الدولة والأمة وهل هناك تطابق أم أن هناك شظايا داخلية نتوءات خارجية من القوميات. Enclaves Exclaves كما هو الحال في معظم الدول الافريقية.

٣ - درجة التماسك الاجتماعى بين السكان أو درجة الوحدة الوطنية ومدى توفر العوامل التى تؤدى الى هذا التماسك، سلاليه، دين، لغة، تاريخ ... ومدى نجاح الدولة فى المحافظة على تماسكها (انظر ما يحدث فى السودان، رواندا، بوروندى) الايبو، والهوسا والبوريا فى نيجيريا.

٤ - موارد الدولة التى تتحكم فيها لتحقيق أهدافها كرفاهية الشعب وحمايته طبيعية أم بشرية أم اقتصادية وتوزيعها.

موضوعات في جغرافيا افريقيا السياسية

خريطة افريقية السياسية

تشهد افريقيه إعلاما كما حدث لها فى الأربعين عاما الماضية، وبصفة خاصة منذ الستينيات حيث تواترات حركات الاستقلال، والتي بدأت بطيئة فى الخمسينيات، واشتد فى الستينيات، وحصول الدول الافريقية على عضوية الأمم المتحدة، كما تصدرت أخبار حركات التحرير وسائل الاعلام، وازداد الانتباه فى منتصف الثمانينيات حين عصف الجفاف معظم الاقطار الافريقية وكانت الضربة قاضية بالنسبة ل ٢٤ دولة افريقية، وما يتبع ذلك من انتشار المجاعة والامراض وغيرها من المأسى ثم اشتدت الأحداث جنوبى القارة بسبب سياسة الفصل العنصرى التى كانت قائمة، وما يتبع ذلك من مظاهرات وعنف فى سبيل حصول الافريقى على حقوقه الاساسية.

ولكنك إذا سألت أوربيا أو أمريكا عاذا قبل الحرب العالمية الثانية عن أفريقية، قلن تجد من يرد عليك سوى القدر اليسير.

على السواحل:

وفي الحق لقد ظلت أفريقية بالنسبة للأوربيين حتى أوائل القرن التاسع عشر (١٨٠٠م) صندوقا مغلقا لا يعرفون إلا سطحه الخارجى ويجهلون ما بداخله. فرغم تفوق النول الأوربية من الناحية التكنولوجية (بالنسبة لذلك العصر) وكذلك تقدم الكشوف الجغرافية، فإن جزءا صغيرا هو الذى كان تحت السيطرة الأوربية عام ١٨٧٩، فيما عدا بعض بوادر التدخل الأجنبى فى مصر وتونس، وفى غرب إفريقية كان للأوربيين معاملات تجارية مع شعوب الساحل منذ أربعة قرون فى الأخشاب والعبيد وزيت النخيل وغيرها، ومع ذلك لم يتوغل النفوذ الأوربى سوى بضع عشرات من الأميال فى الداخل إلا فى السنغال، أما المستعمرات البريطانية فى غمبيا وسيراليون ولاجوس فلم تكن إلا بقعا صغيره فى عالم مازال يحكمه الأفريقيون.

وفي الإقليم الذى عرف فيما بعد بغيينيا البرتغالية كان هناك نفوذ برتغالى، ولم يكن هناك حكم برتغالى إلا بالكاد، فيما عدا خمس أو ست مدن ساحلية، فإن أنجولا وموزمبيق البرتغاليتين لم تكونا مستعمرات بالمعنى المعروف، بل مناطق نفوذ تجارية غير محددة ممتدة الى الداخل.

وحتى فى الساحل الشرقى وموزمبيق، لم تكن قد مستة دولة أوربية، وكان النفوذ الدبلوماسى البريطانى قويا فى زنجبار، وكان للفرنسيون، موطن قدم فى جزيرة مدغشقر، أما فى الداخل فلم يرتفع أى علم أوربى إلا فى أقصى الشمال الشرقى، وكان هذا نتيجة حفر قناة السويس، لذلك كان الجغرافيون

الأوروبيون يرسمون خرائط أفريقية ويوقعون عليها ما يعرفون ويملون الفراغات بينها من وحي خيالهم وقد أوحى هذا إلى الشاعر الانجليزي سويفت (Swift) بهذه الأبيات فى أوائل القرن الثامن عشر.

So Geographers in Afric map
With Souage Pictures fill the gaps
And o,r unhabitable downs
placed elephants For Wqnt of rawns

لماذا ظل الأوروبيون فى الجهات الساحلية ردحا من الزمن دون اقتحام قلب القارة؟

ويرجع ذلك لعوامل طبيعية كانتتشار الصحارى القفر فى مسحات واسعة، كما هو الحال فى الصحراء الكبرى (نحو ٤,٥ مليون ميلا مربعا أى ما يوازى مساحة أوربا) وحيث تغزر المياه كما فى سواحل غرب أفريقية كانت هناك الغابات الكثيفة، وأمراض المناطق الحارة.

وفى معظم الأحوال تنتهى القارة إلى البحر بسهول ساحلية ضيقة خلفها مباشرة المرتفعات، بسبب الطبيعة البنيوية للقارة ونقصد بها الانكسارية، ومن ثم تنتهى معظم الأنهار إلى البحر بجنادل وشلالات مما يجعلها غير صالحة للملاحة، من ثم ظل التعامل الأوربى مع القارة عن طريق نقاط ساحليه، هى موانى ومراكز للإدارة والتجارة، تجمع السلع من الداخل، لتصديرها إلى أوربا، وتجلب السلع من الخارج لتسويقها فى أفريقية.

وان كان ليس معنى هذا أنها كانت مجهولة بالنسبة للعرب، فالصحراء لم

تكن عقبة أمام انتشارهم لغة ودينا إلى جنوبها، ووصلوا قبل الأوربيين من الساحل الشرقى إلى أطراف الكنفو، وكان أحمد بن ماجد هو دليل فاسكو داجاما الى الهند.

معالم سياسية شكلت خريطة افريقية السياسية

ويمكن القول أن مع بداية أقوال القرن التاسع عشر، بدأت ملامح الخريطة السياسية لافريقية فى الظهور وكانت هناك ثلاثة معالم رئيسية مرت بها وهى:

- مؤتمر برلين ١٨٨٤/١٨٨٥

- الحرب العالمية الأولى

- الحرب العالميه الثانية

مؤتمر برلين والتكالب على افريقية.

من الطريف أن تقسيم القارة وان أشرتكت فيه كل الدول الأوربية إلا أن الذى أوجد اللوثة الدولية التى أصابت كل القوى، فاندفعت متكالبه تنهش جسم القارة وتدخل فى مساحات ضاربة بعضها مع البعض الآخر كان ممثلا فى ليوبولد الثانى ملك البلجيك وألمانيا، كان ليوبولد يتصرف لحسابه الخاص كملك، ونجح فى أن يقنع منظمة الدول الأوربية بأنه من الأفضل أن يصبح حوض الكنفو منطقة تجارية حرة تحت نظامه «الدولى» من أن يقع فى يد الدول المتنافسة، وأما ألمانيا فقد استطاعت بسرعة الانقضاض خلال ثمانية عشر شهرا (من نهاية ١٨٨٢ حتى بداية ١٨٨٥) على القارة، وأن تقطع لنفسها أربعة أجزاء متباعدة وهى جنوب غرب القارة (ناميبيا) وتوجو والكمرون وتنجانيقا، وهذا

النشاط الألمانى هو الذى أطلق التكالب على أشده وإذا أضفنا الى هذه الدول الثلاث ذات النشاط الساحلى الإفريقى، بريطانيا وفرنسا، البرتغال، فضلا عن أسبانيا وإيطاليا اللتان بظنا متأخرتين، عرفنا القوى الأوروبية التى تقاسمت الكعكة، وأن اختلف نصيب كل بحسب قوته فى ذلك الحين.

وقد شهد مؤتمر برلين الذى انعقد لمدة ستة شهور (١٨٨٤ - ١٨٨٥) عمليات الضم السريع فى تاريخ القارة.

وكانت أهم ظاهرة فى السنوات العشر الأولى من التكالب على أفريقية هو المدى الكبير الذى تم به كل ما هو هام فى أوربا، فكانت السياسة والدبلوماسية يتقابلون فى المكاتب وفى المنازل الريفية، ويرسمون خطوطا فوق خرائط لا يعرفون مدى دقتها عادة، وقد وصل الجهل بالتفاصيل الجغرافية حدا جعلهم يركنون الى خطوط الطول ودوائر العرض فى رسم الحدود، وعندما دخل التكالب عقدة الثانى، كان الوضع بالنسبة للحدود الداخلية يتوقف على مقرة أحد الجانبين على جعل أحتلاله أكثر واقعية، على سبيل المثال حين شق الكومندان مارشان الفرنسى طريقا وعرا على رأس جماعة من الجنود الوطنيين من الجابون إلى فاشودة على النيل الأبيض (٦٠٠ كيلو مترا جنوب الخرطوم) أسرع كتشتر لملاقاته بقوات ضخمة مما اضطر الاول الى الانسحاب.

ذلك أن مؤتمر برلين اشترط للاعتراف باستعمار بولة معينة الوجود الفعل لها أى الاحتلال الفعلى، والذى كان وجودا ساحليا أول الأمر وما قابله من الظهير، فضلا عن إعلام القوى الأوروبية الأخرى بهذا الاحتلال، ومن ثم كان لابد من السباق.

هكذا عكست المنافسة الأوروبية على أرض القارة والاستراتيجية الاستعمارية

لكل دولة كمحاولة الفرنسيين ربط شمال وغرب أفريقية بوسطها وشرقها (حادث فاشودة) والاستراتيجية الانجليزية واتخاذ محور شمالي وجنوبي (القاهرة - الكاب) للحيلولة دون ربط البرتغاليين موزمبيق بأنجولا، والامان فى محاولاتهم ربط تنجانيقا بجنوب غرب أفريقية (ناميبيا)

وصلت أفريقيه على اعتاب القرن العشرين بخريطة سياسية معالمها الاستراتيجية كما يلي:-

- الدول المستقلة ممثلة فى أثيوبيا وليبيريا وتكون اتحاد جنوب افريقية عام

.١٩١٠

- إقتسام أفريقية بين الدول الاستعمارية ممثلة فى أكبر مساحة لفرنسا، اذ مدت نفوذها فى الجزائر ومراكش وتونس فى الشمال الافريقى، وافريقية الغربية الفرنسية وافريقية الاستوائية الفرنسية فضلا عن ساحل العاج وداهومى والصومال الفرنسى وغينيا ومدغشقر والاستعمار البريطانى ممثلا فى مصر والسودان وأفريقية الشرقية وروديسيا الجنوبية وبتسوانا لاند ونيجيريا وساحل الذهب وسيراليون وغمبيا والصومال البريطانى، وتمثلت المستعمرات الالمانية فى توجو وجنوب غرب أفريقية وافريقية الشرقية الالمانية والكاميرون، أما الاستعمار الايطالى فكان له الصومال الايطالى وإريتريا وليبيا، ويمثل الاستعمار البرتغالى فى أنجولا وموزمبيق وغينيا البرتغالية، وكان نصيب الاستعمار الأسبانى أقل المساحات ممثلة فى ريودورو، وسبتة ومليلة وغينيا الأسبانية وفرناندوبو، وكان لبليكا بطبيعة الحال الكنفو الحرة

الحرب العالمية الاولى:-

بانتهاى الحرب العالمية الاولى وخرج المانيا منهزمة، وزعت مستعمراتها على الدول المنتصرة تحت اسم الانتداب (mandate) وهو لفظ مهذب عن لفظ الاستعمار ومن الناحية الرسمية المفروض فى الدول المنتدبة أن تأخذ بيد أبناء القطر المنتدبة عليه، ولكن فى الحقيقة كان إضافة مستعمرات جديدة مكافأة للدول المنتصرة وبطبيعة الحال خرجت المانيا الخاسرة صفر اليدين وانتقل جنوب غرب افريقيه إلى انجلترا والتي فوضت بدورها اتحاد جنوب افريقيه للإشراف عليها، وانتقلت تنجانيقا إلى انجلترا، أما توجو لاند والكاميرون فقد اقتسمتها انجلترا وفرنسا، وانتدبت بلجيكا للإشراف على رواندا ويورندي المجاورتين للكنغو، ولا ننسى أن مصر حصلت على استقلالها الرسمى بمقتضى تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢، بعد ان فرضت عليها الحماية البريطانية اثناء الحرب.

نهاية الحرب العالمية الثانية:-

انتهت الحرب العالمية الثانية وكان عدد الدول الافريقية المستقلة أربع دول فقط وهى مصر وليبيريا واتحاد جنوب افريقيا واثيوبيا (احتلتها ايطاليا فى الفترة من ١٩٣٦ الى ١٩٤١) ثم استعادت استقلالها وان كان هناك ملاحظات على هذه الدول، فليبيريا كانت أشبه بالمستعمرة الأمريكية، واتحاد جنوب افريقيه كان بريطانيا من الناحية الفعلية، وأما مصر فلم تنل استقلالها الفعلى الا بعد اتفاقية الجلاء عام ١٩٥٤ وظهرت هيئة الامم المتحد كبديل لعصبة الأمم واستبدال نظام الوصاية (husteship) بنظام الانتداب (mandate) وظلت الدول المنتدبة على الأقطار فى عهد عصبة الأمم هى الوصية بعد الحرب العالمية الثانية، وان كانت الوصاية تحت اشراف الأمم المتحدة.

الانحسار:

إذا كان النصف الأول من القرن العشرين اتصف باكتساح أوروبا الأفريقية، بحيث إذا نظرت للخريطة السياسية الملونة لأفريقيه، تجد نفسك امام لوحة موزايكو من صنع اوربا made in Europe فإن النصف الثانى شهد انحسار هذا الاستعمار، وكان للحرب العالمية الأولى وكذلك شقيقتها الحرب العالمية الثانية فضل كبير فى انكشاف الغمة، فقد انتهت أسطورة الرجل الأبيض، كما تطلع الافارقة إلى وفاء القوى الاستعمارية بوعودها التى بذلتها للافارقة ابان الحرب، مما دعا توينبى إلى القول بان الحرب العالمية الأولى كانت أول مسمار دق فى نعش الاستعمار.

وإذا تتبعنا انحسار الاستعمار عن تشكيل الدول الافريقية المستقلة يمكن أن نقسم النصف الثانى من هذا القرن إلى المراحل التالية:-

فى العقد الخامس من القرن العشرين.

ذكرنا أنه بعد الحرب العالمية الثانية، لم يكن هناك سوى أربع دول مستقلة من الناحية الرسمية وهى مصر واثيوبيا وليبيريا واتحاد جنوب افريقيه، بل ولم تكن معظم هذه الدول مستقلة تماما فمصر لم تحصل على استقلالها إلا بعد ثورة ١٩٥٢ بجلاء الجيوش الانجليزية وليبيريا ولو أنها رسميا مستقلة فانها كانت اشبه بمستعمرة أمريكية، وانشأتها الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٨٤٧ كمحاولة لحل مشكلة الزواج الامريكية والتى قامت على أساسها الحرب الأهلية الامريكية (١٨٦١ - ١٨٦٥م) فظلت خاضعة للنفوذ الامريكى وشركة فير ستون بصفة خاصة، وأما اتحاد جنوب افريقيه وان كان قد اعتبر دولة مستقلة منذ عام ١٩١٠ فقد ظل خاضعا للنفوذ البريطانى (كما سبق أن ذكرنا) واثيوبيا ذاتها خضعت فترة قصيرة للاحتلال الايطالى بين عامى ١٩٣٦ - ١٩٤١.

افريقية بين عامى ١٩٥١ - ١٩٦٠.

يعتبر هذا العقد هو عقد التحرير اذ نالت ثلاث وعشرون دولة استقلالها فاصبح عدد الدول الافريقيه سبع وعشرون دولة (ليبيا ديسمبر ١٩٥١ - السودان أول يناير ١٩٥٦ - المغرب ٢٠ مارس ١٩٦٥ - غانا ٦ مارس ١٩٧٥ - غينيا ٢٠ اكتوبر ١٩٥٨ - الكمرون أول يناير ١٩٦٠ - توجو ٢٧ ابريل ١٩٦٠ - مالى ٢٠ يونيه ١٩٦٠ - السنغال ٢٠ يونيه ١٩٦٠ - مالاچاش ٢٦ يونيه ١٩٦٠ - زائير ٣٠ يونيه ١٩٦٠ - ٢٠ يونيه ١٩٦٠ - السنغال ٢٠ يونيه ١٩٦٠ - مالاچاش ٢٦ يونيه ١٩٦٠ - زائير ٢٠ يونيه ١٩٦٠ - الصومال ١ يوليه ١٩٦٠ - داهومى (بنين) أول أغسطس ١٩٦٠ - النيجر ٢ اغسطس ١٩٦٠. الفولتا العليا (بوركينا فاسو) ١٥ أغسطس ١٩٦٠ - ساحل العاج ٧ أغسطس ١٩٦٠ - تشاد ١١ أغسطس ١٩٦١ - افريقيه الوسطى ١٢ أغسطس ١٩٦٠ - الكنفو الشعبيه ١٥ أغسطس ١٩٦٠ - جابون ١٧ أغسطس ١٩٦٠ - نيجيريا أول أغسطس ١٩٦٠ - موريتانيا ٢٨ نوفمبر ١٩٦٠ ويمكن أن نوجز هذا التفسير فيما يلى:-

أولاً: تصفية المستعمرات الايطالية لهزيمتها فى الحرب العالميه الثانيه، فكان استقلال ليبيا (١٩٥١) وأزعن استقلال اريتريا ولكن اثيوبيا ضمتها فى اتحاد فيدرالى عام ١٩٥٢، وأما الصومال الايطالى الجنوبى فظل لمدة عشر سنوات تحت الوصاية الايطالية لينال استقلاله واتحد مع الصومال البريطانى الذى منحه بريطانيا الاستقلال.

ثانياً: رضخت فرنسا لحركات التحرير فاعلن استقلال مراكش وتونس عام ١٩٥٦ ومنحت أسبانيا استقلال مراكش الأسبانيه وانضمت إلى الفرنسيه غير أن اسبانيا احتفظت لنفسها بسبته ومليله لأنها اجزاء من الوطن الأسباني، وكذلك افنى كما يقولون.

ثالثا: انتهى الحكم الثنائي ، رى الانجليزى للسودان (أول يناير ١٩٥٦).

رابعا: اقامت بريطانيا اتحادا فيدراليا ويضم روديسيا الشماليه وروديسيا الجنوبيه ونياسلاند فى ٣ سبتمبر ١٩٥٢ باسم اتحاد وسط افريقيه ومنحته استقلال ذاتيا وان ظل خاضعا لبريطانيا، كما اعلن استقلال غانا عام ١٩٥٧، وهى تضم إلى جانب غانا الجزء من توجو الذى كان خاضعا للوصاية البريطانية ونالت نيجيريا استقلالها ١٩٦٠ من اتحاد فيدرالى بين ولاياتها الثلاث، وأما الكمرون الذى كان خاضعا للوصاية البريطانية كان ملحقا نيجيريا قبل استقلالها، فلما استقلت نيجيريا اتفق على اجراء استفتاء فى الكمرون البريطانى فى ١٢ فبراير ١٩٦١، وكانت نتيجة الاستفتاء انضمام الجزء الشمالى إلى نيجيريا، والجزء الجنوبى إلى الكمرون التى نالت استقلالها فى يناير ١٩٦٠ وكانت خاضعة للاستعمار الفرنسى.

خامسا: شعرت فرنسا أن نهايتها فى افريقيه قريبا فتضمن دستور الجمهوريه الخامس الذى صدر عام ١٩٥٨ انشاء منظمة سياسية تضم فرنسا ومستعمراتها تحت اسم الجماعة الفرنسية (communité Française) على غرار الكمونوك البريطانى، ومنح الدستور للاقاليم الفرنسية فى افريقيه حرية الاختبار بين قبول الدستور أو رفضه، وقبول الدستور معناه أن يصبح الإقليم عضوا فى الجماعة الفرنسية، ويتمتع أعضاؤه بالاستقلال الداخلى، ولهم الحق فى إقامة اتحادات فيدرالية اقليمية، وفى الانفصال مستقبلا عن الجماعة الفرنسية، أما الرفض فمعناه الاستقلال التام، واعتبرت فرنسا مقاطعات افريقية الغربية الفرنسية (وعددها ثمانية) مقاطعات افريقيه الاستوائيه الفرنسيه (وعددها أربعة) وحدة سياسية، وأجرى استفتاء فى المستعمرات الفرنسية الافريقيه على الدستور فكانت غينيا هى الوحيدة التى رفضت واستقلت فى أول اكتوبر ١٩٥٨، ونالت بقية المستعمرات الفرنسية استقلال ذاتيا.

سادسا: اشتد ضغط الشعوب والمستعمرات الفرنسية وتدهورت حالة فرنسا، وادخلت تعديلا على نظام الجماعة الفرنسية، بمنح اعضاها الاستقلال التام، اذ عن استقلال معظم المستعمرات الفرنسية (٧ من افريقيه الغربيه - ٢ افريقيه الاستوائيه + مالاچاش - توجولاند - كاميرون (١٤ دولة).

سابعا: استقل الكنفو عن بلجيكا

افريقية بين ١٩٦١ - ١٩٩٢: سيراليون ١٩٦١ تتجانيا ١٩٦١ الجزائر وأوغندا ١٩٦٢ زنجبار، كينيا ١٩٦٣ ملاوى - زامبيا ١٩٦٤، غينيا ١٩٦٥ - بتسوانا - ليسوتو ١٩٦٦ - مورشيس - سوازيلاند - غينيا الاستوائيه ١٩٦٨ - غينيا بيساو ١٩٧٤، موزمبيق، الرأس الاخضر القمر، ساوتومى برنسب، انجولا ١٩٧٥، سيشل ١٩٧٦ - جيبوتى ١٩٧٧ - زيمبابوى ١٩٨٠، ناميبيا ١٩٩٠، ارتيريا ١٩٩٢.

وقبل ان ننتهى من تشكيل الخريطة السياسية لأفريقية نود الاشارة إلى ما حدث فى جنوب افريقيه منذ ما بعد الحرب العالمية الثانية، فمن المعروف أن احتلال جنوب افريقيه بواسطة البيض، كان منذ حوالى ثلاثة قرون، ولكن المهم أنه فى عام ١٩٤٨ صعد الحزب الوطنى إلى الحكم وقد تميزت مبادئ هذا الحكم بالفطنة الشديدة، فهو يمثل الافريكانرز، ومنذ ذلك التاريخ وقد حاصر السود فى معازل سوداء (الهلال الاسود) لا يخرجون منها إلا بتصاريح للعمل فى مزارع أو مناحم أو مصانع البيض وليس المجال الآن لتفاصيل هذا الفصل العنصرى وأشكاله المختلفة، وحين هوجم اتحاد جنوب افريقيه عام ١٩٦١ فى اجتماع بول الكمنوث انسحب هذا النظام العنصرى من الاجتماع، وأعلن جمهورية جنوب افريقيه بدلا من اتحاد جنوب افريقية الذى ظل بهذا الاسم منذ عام ١٩١٠، واستمر فى تعذيبه للسود، ضاربا عرض الحائط بقرارات الأمم

التحدة، وبالمقاطعة شبه الدولية، واعتقل نلسون مانديلا ورفاقه عام ١٩٦١ وظل في سجنه حتى عام ١٩٨٩ حين أفرج عنه، والواقع ان مفاوضات سرى بدأت معه منذ ١٩٨٥، وتآلفت حكومة وطنية برئاسة نلسن مانديلا الذى قضى فى سجنه الذى ظل به قرابة ٢٨ عاما، بعد انتخابات شارك فيها الابيض والاسود على قدم المساواة، وكان ذلك عام ١٩٩٤.

الحدود السياسية

التخوم والحدود:

تعتبر دراسة التخوم والحدود السياسية من الموضوعات الهامة التى تدرس فى الجغرافية السياسية، من ثم كان لابد من المفيد فى بداية هذا الموضوع تفسير مفهوم التعبيرين، وفى الحق نجد أنهما مترادفان فى الاستعمالات العادية لغير المفيين فالحدود الدولية يعبر عنها احيانا السياسيون والمؤرخون وغيرهم بتعبير International Frontiers و احيانا Int. Boundaries وليس من تفسير لهذا التعميم والخلط سوى عدم وضوح حدود كثير من الدول - باستثناء حالات قليلة - لنقص فى معرفتها الجغرافية ولعدم وجود خرائط تفصيلية لها، وذلك حتى فترة قريبة. ولكن مع تقدم علم المساحة واجهزته وتقدم فن الخرائط، وتطور الدول إلى ماهى عليه الآن فأصبحت غالبية الحدود ليست واضحة بجلاء فحسب، بل محده على الطبيعة ايضا.

ونعود ونقول مرة أخرى أن العالم قبل ان يعبأ فى هذه الوحدات السياسية كانت مساحات واسعة من الأرض غير صالحة للتوطن البشرى، لظروف غير مواتية، كان تكون مغطاة بالمستنقعات أو الغابات أو غير ذلك مثل هذه المناطق كانت تترك كمناطق دفاعية تفرق بين مجموعات بشرية تعيش على جوانبها، وتنمو

فى أمان واطمئنان، ومع مرور الزمن تغلب الإنسان على هذه العقبات الطبيعية بطريق أو آخر، ودخلت هذه المناطق داخل الوحدات السياسية، حتى فى المناطق الصحراوية تمتد سيطرة الدولة حتى تتقابل مع سيطرة دولة أخرى. من ثم يمكن ان نفرق بين التخوم (Frontiers) والحدود (Boundaries) كما يلي:-

١ - التخوم عبارة عن مساحات من الأرض، بينما الحدود عبارة عن خطوط.

٢ - الأولى يمكن أن نقول أنها طبيعية لأنها أجزاء من سطح الأرض، بينما الثانية اختيرت وحددت بواسطة الانسان.

٣ - يمكن أن يتضح هذا أكثر اذا عرفنا أن التخوم سواء كانت طبيعية، لغوية أو دينية لا يمكن تحريكها أو زحزحتها، قد تفقد بعض الخصائص التي اعطتها صفة التخوم ولكنها فى موضعها على عكس الحدود التي تتغير تتبدل ولا تظل على حال وخاصة فى مناطق الصدام.

٤ - يشتق لفظ (Frontiers) من (Front) أى المقدمة (Foreland) أى الأراضى المتقدمة وأحياناً تسمى (Borderland) وكلها على هامش الدولة وهى عادة الأراضى الفاصلة بين معمرين (Ecumene) زراعى ورعوى مثلاً، ومع التطور يتطور كل معمر نحو التخوم وتصبح منطقة التقاء مجتمعين، وبالتالي لم تكن التخوم فى الذيل، بل فى مقدمة الدولة أما لفظ (Boundary) فيشير إلى ارتباط السكان داخله وقد عبر عن ذلك L.Krist of All that which is within the boundary is bound together, that is, it is fastened by internal bonds.

وقد قامت البحار والغابات الحظمية والمناطق الجبلية، ومناطق المستنقعات والصحارى كحواجز ضد التوسع البشرى أو الاختلاط، ولكن بدأت وظيفتها تتعدل تبعا للنشاط البشرى وتقدم وسائل المواصلات.

ضرورة الحدود السياسية فى العصر الحديث:

ان الدولة الحديثة لابد لها من حدود لا تخوم. فخط الحدود بين المدى الذى تمارس فيه الدولة سيادتها بل واللغة التى سيتكلمها الملايين والأفكار التى ستلقن للناشئة والكتب والصحف التى سوف يتمكن السكان من قراءتها، والعملية التى يستعملونها وأحيانا الطعام الذى يتناولونه والجيش الذى سيدخلونه للدفاع عن الأرض

أى أن الحدود تعتبر الفاصل بين سيادة الدولة وسيادة دولة أخرى. فهى ذلك الخط المحدود الذى تقابل عنده سيادتان، فقد مضت تلك الفترة التى كانت تفصل فيها سيادة الدولة الأخرى مساحة كبيرة من الأرض أى تخوم. اذ كانت سيادتها الفعلية تتضاؤل تدريجيا بالبعد عن مركز الدولة. وهكذا اختلفت وتغيرت طبيعية الحدود على طول العصور التاريخية بسبب اختلاف وظيفتها وهى فصل السيادة بعضها عن بعض

الحدود السياسية فى افريقية

من المعروف ان غالبية الحدود الافريقية هى حدود مفروضة أو موضوعه من الخارج وضعتها القوى الأوربية خلال العقود اللذين تبعا مؤتمر برلين عام ١٨٨٤، أما قبل الاستعمار الأوربى للقارة فلم تكن هناك حدود وكان أبناء السياسى الوطنى كقيام ممالك معينة من السكان الأصليين، ان يفصلها عن

بعضها تخوم، كأن تكون أراضي غير مسكونه أو مناطق مستنقعات أو غابات وكان من نتائج وضع هذه الحدود الجديدة أصبحت تمر أحيانا فى أرض القبلة الواحدة، ويرجع هذا إلى عاملين أولهما عدم اتفاق الطرفين الأوربيين لسبب من الأسباب، وثانيهما لتغلب مصلحة اقتصادية واستراتيجية استعمارية لأنها عكست المنافسة خارج القارة بين المانيا وفرنسا وبريطانيا... الخ فى ذلك الحين.

وكانت السلطات الاستعمارية تخف من حدة فصل أعضاء القبيلة الواحدة بين مستعمرين وذلك بالتخفيف من قيود الانتقال على الجانبين، وقد يرجع هذا إلى أن كثيرا من السلطات الإدارية لم تعرف الحدود الفعلية لكل وحدة سياسية، ولذلك كانت عمليات الانتقال والهجرة من الأمور المألوفة. غير أن استقلال هذه المستعمرات السابقة دون تعديل للحدود، ومحاولة كل دولة جديدة، ممارسة حقها فى السيادة بوضع القيود على الانتقال عبر الحدود، أدى الى ظهور مشكلات خطيره على طول تلك الحدود. فعلى سبيل المثال نجد أن حكومة توجو كانت تضع مراقبة شديدة على طول خط الحدود بين غانا وتوجو فى وقت ما خشية تهريب السلاح للأحزاب المعادية للحكومة، بينما نجد الحدود بين نيجيريا والكميرون وقد انتشرت عليها محطات المراقبة لمنع الهاربين من الكميرون واتخاذ نيجيرا ملجأ لهم. كما شددت اثيوبيا الحراسة على حدودها مع الصومال والفت اتفاقية مع الصومال كانت قد عقدت، تسمح لرعاة الصومال بعبور الحدود الإقليمية بحثا عن الكلاء والماء لقطعاتهم.

لقد وضع أن الحدود السياسية فى أفريقيا فى الوقت الحاضر فى حاجة إلى تعديل حتى تتفق وتنسجم الحدود مع الحقائق الجغرافية من ناحية، ومع الاتجاهات السياسية للدول الأفريقية المستقلة من ناحية أخرى .

أنواع الحدود الأفريقية :

ان تقسيم (Fauet) للحدود السياسية كما اخذه عن لورد كرزون لا يتفق كثيرا مع خطوط التحديد السياسى فى أفريقية، لانها تختلف عن القارات الاخرى، فخطوط تقسيم المياه المستعملة كثيرا فى أفريقية تدخل فى تقسيم فوست تحت نوع الخطوط الاتفاقية إلا أنها قد تتضمن خطوطا تتفق وبعض مظاهر التضاريس كالأنهار، أو حضيض الجبال وغير ذلك من ثم كان التقسيم التالي للحدود أنسب لأفريقية: -

أولا: - الحدود الاصطناعية وتتمثل فى Artificial Boundaries

أ - الخطوط لفلكية: أى التى تتبع خطوط الطول ودوائر العرض.

ب - الخطوط الهندسية: خطوط مستقيمة أو أقواس دوائر

ثانيا: - الخطوط التى تتبع مظاهر طبيعية: Natural Boundaires

أ - حضيض سلسلة جبلية.

ب - حافة بحيرة

ج - نهراً ومجرى مائى وعادة مايسير الخط فى المنتصف أو قد يكون على

أحد الضفتين

د - منطقة تقسيم مياه - أعالي القمم الجبلية.

وتظهر الخريطة السياسية لأفريقية غلبة الخطوط الفلكية والهندسية وعادة ما تسير فى المناطق المخلخلة بالسكان (كما هو الحال فى الصحراء الكبرى) وإن كان هذا ليس بقاعدة. وقد ظهر أن نسبة كل نوع على وجه التقريب كما يلى.

الخطوط الفلكية ٤٤٪ الخطوط الهندسية ٣٠٪، الخطوط التي تتفق والمظاهر الطبيعية ٢٦٪.

وإذا قارنا أفريقية بقارة أخرى، فإن النسب ستتغير بلا شك، ففي أستراليا مثلا لا توجد حدود دولية على الإطلاق وإنما هي حدود داخلية بين الولايات، وحتى إذا اعتبرناها بولاية نجد غلبة الخطوط الفلكية، أما في أوروبا فلا تمثل الخطوط الفلكية فيها إلا نسبة ضئيلة للغاية، ويرجع هذا إلى أنه مضى وقت طويل على القارة، كثر فيه النزاع على الحدود وتحركها من مكان إلى آخر، بينما تزيد نسبة الخطوط التي تتبع الحواجز الجبلية والأنهار. وإذا حاولنا تحليل أسباب كثرة استخدام خطوط تقسيم المياه في عمليات التحديد السياسي لوجدنا أن هذا يرجع إلى عمليات الكشف الجغرافي لأفريقية، إذ أنها كانت تتضمن القاء الأضواء على أنماط التصريف النهري للقارة، ولم يكن يعرف من حوض النهر سوى منطقة المصب، ولذلك كان من الطبيعي أن تتفق القوى الاستعمارية على أن تكون الحدود بينها في الداخل المجهول، هي مناطق تقسيم المياه بين الأحواض النهرية، لذلك اعترفت بريطانيا عام ١٨٩٤ بنفوذ الملك ليوبولد في حوض الكونغو حتى مناطق تقسيم المياه، أو حتى الحافات الجبلية التي لا تحد الأحواض النهرية المجاورة، وخاصة حوض النيل في الشمال، أما مدى مراعاة هذا لصالح السكان الوطنيين فيمكن أن نستشفه من رسالة وصلت إلى السلطان زيمو أحد سلاطين الزاندي (في جنوب غرب السودان عام ١٩٠٠) أنك على بينه من الحدود التي اتفق عليها بين الانجليز والفرنسيين والبلجيكيين، أن النفوذ المصري الانجليزي يبدأ حيث تنبع المجارى المائية التي تتدفق نحو الشمال أو نحو النيل.

أما النوع الشائع في أفريقية وهو الخطوط الفلكية، فهذا يتفق عليه عادة على

موائد المؤتمرات وعلى بعد مئات والاف الأميال من القارة، من ثم كانت تظهر صعوبات أمام الذين يقومون بالتحديد العلمى على الطبيعة، والأمثلة عديده على ذلك فعند تخطيط الحدود السياسية بين الكمرن الألمانى ونيجيريا البريطانىة عام ١٩٠١، اختلف الفريقان نظرا لان كل فريق كان يقدر خطوط الطول بطريقة مختلفة عن الآخر. وحيث تسير خطوط الحدود الفلكية فى مناطق أو عبر طرق هجرات فصلية، تصبح غير مناسبة.

منها خط الحدود بين مصر والسودان الذى اتفق على أن يسير مع خط عرض ٢٢ شمالاً، مما أدى إلى ضرورة أن يتخذ خط آخر للحدود الادارية بحيث يجمع قبيلة البشاريين بأكملها فى السودان وقبيلة العباددة فى مصر ومنها معظم الحدود الليبية المصرية، وجنوب الجزائر وموريتانيا وجزء كبير من حدود ناميبيا.

ولعل استعمال الأنهار حدود سياسية كان أقل أنواع التحديد السياسى تعقيدا من الناحية الفنية، إلا فى المناطق التى تغير فيها الأنهار مجاريها المائية، أو حين يكون المجرى المائى معروفا فى جزء منه، ومجهولا فى جزء آخر، فعندما وقع اتفاق الحدود لذلك نجد ان كارل بيترز الألمانى يدعى أن نهراً غير مجراه، وذلك بغية الحصول على أرض جديدة فى شرق افريقيه، أو المساومة على منطقة من جهة ثانية. وفى مناقشة لتخطيط الحد السياسى بين السودان واثيوبيا نجدهم يقترحون استخدام نهر البيبور، ولكن اذا لم يصل البيبور إلى درجة عرض ٦ شمالا فإن مجراه حتى خط طول ٢٤ شرقا يصبح الحد السياسى. ويؤدى جهل السياسيين أحيانا ببعض المصطلحات إلى ضياع لمصالح بلدهم، فعلى سبيل المثال وافق مندوبا ليبيريا وساحل العاج على اتخاذ الضفة اليمنى لنهر كافا المتجه جنوبا نحو المحيط حدا، وكان يظن أن الخط تبعا لذلك الاتفاق

يسير مع الضفة الشرقية وبذلك تشرف ليبيريا على الملاحة فى النهر، ولكن الحقيقة أظهرت ان هذا الخط بهذا التحديد يسير على الضفة الغربية، ويضع المجرى برمته تحت نفوذ ساحل العاج بينما تقع مزارع شركة فيرستون على الجانب الليبيرى مجاورة للنهر من ثم كان استخدامه للنقل من الأمور الضرورية للشركة. ومن الأنهار أيضا التى اتخذت فى أجزاء منها كحدود نهر الزمبىزى، وقوماو أو بانجى، وهناك البحيرات كفيكتوريا، البرت، تنجانيقا وقاومت الدول المستعمرة بعد الاتفاق على الحدود نتيجة الجهل بالأجزاء الداخلية لمحاولة تصحيح الموقف بعمليات تبادل أجزاء من المستعمرات، ففى عام ١٩٠٤ تنازلت بريطانيا عن جزء من جزر لوس Los المقابلة لكوناكرى مقابل إقليم كامبيا Kambia فى غينيا لسيراليون

وفى حوض الكنفو (زائير) نظرا لمساحته الضخمة (+ ٢,٣ مليون كم٢) ثالث دولة بعد السودان والجزائر، رغم هذه المساحة ظهر أنه لا يتمتع الا بجبهة بحرية صغيرة لا تزيد على ٢٥ كم لأن الضفة الجنوبية للمصب الخليجى للنهر كانت تابعة لأنجولا (من متادى حتى النهر) لذلك استبدلت بلجيكا مع البرتغال قطعتين من الأرض غير متساويتين فى المساحة عام ١٩٢٧، فتنازلت بلجيكا عن مساحة قدرها ٢٤٩٦,٥ كم٢ من أراضي الكنفو فى مقابل كساي مقابل ٣,١ كم٢ من أراضي أنجولا خلف ميناء متادى لتوسيع هذا الميناء وبالصدفة ظهر ان المنطقة التى تنازلت عنها بلجيكا فى المنطقة الرئيسية المنتج للماس (ثانى صادرات انجولا).

ومن أكبر مشكلات الحدود السياسية فى القارة هو تقطيعها لأوصال الشعب الواحد فبعد عام ١٨٨٤ قسم شعب الايدى بين الحكم الالمانى فى توجو والحكم الانجليزى فى ساحل الذهب (غانا) تم تقسيم هذا الشعب مرة أخرى

بين الادارة الفرنسية فى النيجر، وكذلك اليوريا تحت الادارة الانجليزية فى نيجيريا والادارة الفرنسية فى داهومى (بنين) كما تظهر هذه واضحة فى حالة شعب الصومال الذى وقع بين براثن الانجليز والفرنسيين والايطاليين والاثيوبيين، وكل له نظام فى الحكم والادارة وقوانينه، وثقافته ونظامه ولغة الرسمية، مثل هذا التفتيت للشعب الواحد جعل حتى عملية اعادة وحدته صعبة وليست بالأمر الهين، كما حدث فى الكاميرون (الانجليزى سابقا والفرنسى سابقا) وكلاهما كان فى الاصل المانى والصومال البريطانى سابقا مع الصومال الايطالى سابقا.

ومن الأمثلة العديدة أيضا الزاندى بين السودان وزائير وأفريقية الوسطى، والروبين لبييريا وكوت ديفوار. والباكونجويين زائير وأنجولا، والبالوندا بين زائير وأنجولا، والفولبى والولوف والتكارنة بين السنغال وموريتانيا وهكذا إذا أردنا تتبع هذه الظاهرة فلا تستثنى منها إلا بضع دول فقط.

ونظرا لخشية أندلاع منازعات الحدود كان قرار القمة الافريقية عام ١٩٦٤ بالاعتراف بالحدود الموروثة من العهد الاستعمارى، ومع ذلك فقد قامت منازعات حدود بين المغرب والجزائر وموريتانيا ومالى (سويت ١٩٦٣) غانا (فى عهد نكروما) مع كل من داهومى (بنين) والنيجر والصومال مع اثيوبيا وكينيا وتنزانيا مع مالوى وكانت تنزانيا تطالب بجزء من بحيرة مالوى وهكذا وكان من نتائج هذه الحدود التى تمثل بصمة أوربية على أفريقية أن أصبحت القارة تضم أطول حدود سياسية بالنسبة لأى قارة من القارات، فتقدر أطول الحدود فى أفريقية بنحو ٥٧٥٠٣ ميل هذا الرقم معادل أكثر من ضعف نظيرة فى آسيا (٢٦١١٣ ميل) رغم أن آسيا أكبر حجما وفى نفس الوقت هو أقل من ضعفى خطوط الحدود فى الأمريكتين (امريكا الشمالية ١٨٩٦١ ميل، أمريكا الجنوبية ٣٠٢٩٤

ميل) وفي نفس الوقت من الحدود الافريقية اكثر من ثلاثة أضعاف نظيرتها فى أوربا (١٤٨٤٦ ميل) واذا وضعناها فى صورة أخرى بحسب نسبة طول الحدود الى المساحة نجدها فى أفريقية (٢٠٨:١) وفى أوربا (٢٥٤:١)، وهى امريكا الجنوبية (١٢٧٢:١)، وهى (٨١٩:١) فى امريكا الشمالية، وأخيرا هى (٦٣١:١) فى آسيا ومعنى هذا أنها اكثر القارات تقينا، ولاشك أن هذه الأطوال المفرطة للحدود لها سلبياتها بالنسبة للأمن القومى، والدفاع عن أرض الدولة وزيادة الاحتكاك فضلا عما تتبع هذا من تعدد العملات والحواجز الجمركية وصعوبات الانتقال بل والثقافات مما ينعكس أثره على صعوبة الانتقال والتكامل الاقتصادى

نزاعات الحدود السياسية فى افريقية:-

تعتبر نزاعات الحدود السياسية من الموضوعات التى تهتم بها الجغرافيا السياسية وان كان الجغرافيون لا ينفردون وحدهم لبحث هذه المشكلات، فهى ميدان ثرى للعاملين فى حقول السياسة والتاريخ والقانون الدولى أيضا، غير ان الجغرافى يتميز عليهم جميعا بتفهمه للخصائص الاقليمية للمنطقة موضوع النزاع أرضا ومناخا وبشرا ومواردا، فضلا عن سهولة فهمه للخرائط والاصطلاحات الفنية الخاصة بها بحيث يعطى الصورة الكاملة لارض النزاع فضلا عن أنه الوحيد الذى يبين محاسن ومثالب أى حد سياسى يوقع أو يمكن ان يوقع على الخرائط من ثم كان لابد من جغرافى ليدلى بدلوه فى مثل هذه النزاعات والاضاعت على الدولة امتيازات وقعت فى المحذور دون أن يدري الوفد المفاوض، والامثلة على هذا عديدة.

أنماط منازعات الحدود السياسية:

يعتبر نزاع الحدود السياسية مظهرا او صورة من صور التوتر Tension الدولي لمشكلة من مشكلات الحدود، لأنه قد تكون هناك مشكلة ما - Prob- lem دون ان تشير نزاعا Dispute ويتضمن نزاع الحدود بوجه عام أنماط رئيسية وهي:-

١- النزاع الاقليمي: Tertorial Dispute

وينشأ نتيجة وجود خصائص معينة في أطراف الدولة يجعلها ذات جاذبية للدولة لبادئة في النزاع، كأن تسكنها قومية تابعة لها (اقليم الأوجدان) أو تظهر فيها أو متوقع ان تظهر فيها ثروج معدنية (تندوف، بكاسى، الرصيف القارى بين ليبيا وتونس، مثلث أوزو، بحيرة ملاوى، الصحراء الغربية وهنا يكون نزاعا على الموارد. Dispute over resources

٢- النزاع الموضعي: Positional Dispute

أى يتعلق بوضع خط الحد السياسى وغالبا ما يكون النزاع حول التفسير الصحيح لمعاهدة سبق ان قبلها الطرفان كالنزاع على خط الحدود المصرى السودانى، نزاع حدود غانا وتوجو والسنغال وموريتانيا، والنوعان السابقان يتطلبان تغيرا فى وضع خط الحدود.

٣- النزاع الوظيفى: Functional Dispute

كالمشكلة التى قد تنشأ نتيجة حرمان بعض الرعاة من التحرك عبر الحدود بعد الاستقلال وقد كانت فى الفترة الاستعمارية تتحرك دون قيود وفى هذا

النوع لا يمكن تحريك خط الحدود ويمكن أن يتفق على حق استفادة الرعاة بالمراعى على الجانبين، وقد مثل هذا الاتفاق بين تونس والجزائر وأحيانا يتفق على حد ادارى الى جانب السياسى، كما كان الحال فى مثلث حلايب، أو مثلث الليمى فى جنوب شرق السودان ليتحرك فيه رعاة كينيا.

وتتداخل الأنماط بعضها مع بعض كما فى حالة اقليم الوجودين حيث تسكنه قومية صومالية كما يلجأ اليه الرعاة الصوماليين رغم أنه فى اثيوبيا.

ويساعد على اذكاء المنازعات عدم وضوح الاتفاقيات، أو صعوبة تحديدها على الطبيعة، بحيث يصعب التعرف على التخطيط الفعلى لهذه الحدود على الطبيعة، أو اختلاف تفسير كل طرف لبعض النصوص، أو وجود أكثر من اتفاق، احدهما كان فى عهد الاستعمار بين الدول الاستعمارية.

ما وراء مشكلات ومنازعات الحدود السياسية:

لابد للوصول إلى حل لمشكلات الحدود من معرفة عدة أمور أساسية:

أولاً: الأسباب الفعلية للمشكلة.

ثانياً: فهم الظرف المناسب الذى أدى بالدولة الى إثارة ادعائها.

ثالثاً: أغراض هذه الدولة من الادعاءات، ويمتد التحليل الى تصعيد هذه الادعاءات على اسس جغرافية، ثم تقدير نتائج هذه الادعاءات سواء على المستوى الدولى أو على الدول المتاخمة.

رابعاً: موقف القوى الخارجية إلى جانب هذا الطرف أو ذلك.

الحدود الجنوبية لمصر

لم تكن هناك حدود سياسية بين مصر والسودان بالمعنى المعروف على طول العصور التاريخية وإنما كانت هناك تخوم تتقدم وتتقهقر بحسب الظروف السياسية في مصر، ومهما قيل عن عصر محمد علي، فقد كان عاملا في تكوين السودان السياسى بصورته الحالية، الحدود بين مصر والسودان لم يكن لها فى أى يوم من الأيام أية دلالة سياسية لأن مصر والسودان كانا دائما أبدا ينظر لهما كبلد واحد وقطر واحد وكانت أهمية هذه الحدود مقصورة على الأمور الادارية وحدها ولم تعتمد الحكومة المصرية فى يوم من الأيام إلى مراقبة حركة المرور عبر هذه الحدود من الشمال إلى الجنوب أو من الجنوب الى الشمال، وإنما كانت الحدود مفتوحة دائما لكل عابر، مثلها فى ذلك مثل الحدود الادارية الأخرى بين مديريات مصر أو بين مديريات السودان.

فالطريق الذى يمتد على طول النيل كان المرور فيه حرا، وكانت أغلب المتاجر بين مصر، والسودان تمر به، وكانت حركة المسافرين فيه دائمة لا تنقطع دون أية مراقبة.

والطريق الذى يمتد فى أرض اليشاريه فى صحراء مصر الشرقية، والذى تتبعه جموع الإبل الكثيرة التى كانت ومازالت تساق إلى الاسواق المصرية طريق مفتوح أيضا، ولم يكن يخضع لأية رقابة.

ودرب الأربعين المشهور الذى كان يحتاز صحراء مصر الغربية ويربط أرض كردفان ودارفور فى الجنوب بالواحة الخارجية، ثم بوادى النيل عند أسيوط فى الشمال كان هو أيضا طريقا مفتوحا للتجارة والمسافرين.

ولم تكن هناك أية نقط للمراقبة فى أى جزء من أجزاء هذه الطرق جميعا لكى تراقب حركة التجارة والسفر عبر الحدود التى تمتد بين مصر والسودان، وإنما كان السفر والاتجار حرا.

غير أن الحدود السياسية الدولية الحالية ترجع إلى اتفاقية ١٨٩٩، أى اتفاقية الحكم الثنائى والذى أعد فى القاهرة بإشراف اللورد كرومر، ووقعها وزير الخارجية المصرية فى ١٩ يناير ١٨٩٩ ويهمننا فيها يختص بالحدود المادة الأولى من هذه الاتفاقية:

الحدود فى اتفاقية يناير ١٨٩٩

تضمنت المادة الأولى من الاتفاقية، التعريف بالأراضى التى يشملها لفظ السودان. وهى التى حسب هذه المادة تقع جنوب الدرجة الثانية والعشرين فى خطوط العرض، هذا الخط يمر على مسافة أميال قليلة من شمال وادى حلفا، بينما تقع سواكن جنوبيه بمسافة كبيرة. وقال كرومر - أنه تمشيا مع المبادئ التى جاءت فى مقدمة الوفاق، يجب ان يكون مصطلح السودان مقصور على الأراضى التى امتلكتها مصر فى السابق، ثم استولى عليها الدراويش، ثم صار استرجاعها فى وقت من الأوقات بمساعدة بريطانيا. ولكن الاخذ فى هذا الرأى لا يلبث ان ينشأ عنه مصاعب ادارية كبيرة، حيث يجب فى هذه الحالة استبعاد كل من وادى حلفا وسواكن من الأراضى التى يشملها مصطلح السودان، لأن لا وادى حلفا ولا سواكن سبق ان احتلتها ثورات المهدي اطلاقا وعلى ذلك فقد قسمت الأراضى التى يدل عليها مصطلح السودان فى الاتفاق إلى فئات يهمننا منها:

١ - الأراضى التى لم تخلها قط الجنود المصرية منذ عام ١٨٨٢ وقال

كرومر ان الغرض من النص على ذلك ادخال كل من وادى حلفا وسواكن ضمن حدود السودان.

٢ - الأراضي التي كانت تحت ادارة الحكومة المصرية قبيل ثورة السودان الأخيرة وفقدت منها وقتيا، ثم افتتحها الآن حكومة جلالة الملكة والحكومة المصرية معا. ومعنى ذلك كما قال كرومر، أن هذه تشمل كل الأراضي التي تم استرجاعها مؤخرا. وأما لماذا وصفت هذه الأراضي بأنها التي افتتحها الآن الحكومة المصرية بالاتحاد مع حكومة الملكة فقد قال كرومر أن الاقتصار على ذكر (الأراضي التي كانت تحت ادارة الحكومة المصرية قبل الثورة الأخيرة) دون التخصيص بأنها التي افتتحت بعد ذلك بالاشتراك مع انجلترا قد يفيد أن هذه الأراضي تشمل كذلك قسما من مديرية خط الاستواء (هو الذي عرفنا أنه صار جزءاً من محمية أوغندا البريطانية أو استأجرته ولاية الكونغو الحرة بلجيكية) أو أنها قد تشمل أيضا زيلع وبربرة (ومن المعروف أنهما صارتا تؤولان جزءاً الصومال البريطاني) وهما اللتان قال عنهما كرومر الآن. أنه لم يكن مقصودا دون شك أن يشملهما الاتفاق الحالي.

لماذا الحد فلكيا؟

وككل حد فلكي لا يمكن تفسير اختياره الا بعامل الصدفة التاريخية، التي جعلته الحد الجنوبي للمناطق التي لم تظلمها مصر في اثناء الانسحاب الذي نظمه الانجليز من السودان وجاء هذا الخط متعامدا على الظواهر الطبيعية والبشرية في المنطقة:

١ - يبدأ هذا الخط من منطقة العوينات وبينها وبين النيل نطاق غير معمور تتأثر فيه موارد مائية محدودة، تعتبر محطات في الطرق التي تعبر بين الشمال

والجنوب ومن أشهرها طريق الاربعين الذى يمر فى هذا النطاق بواحة سليمة (فى السودان) و ابا شب وأبو حسين فى مصر، ويتابع اتجاهه شمالا بعد هذا وتدخل هذه فى نطاق اللامعمور السودانى والمصرى، حيث لا تتوافر عوامل الاستقرار البشرى والحياة وتتحصر أهميته فى حركة القوافل. وكان من قبل طريقا من طرق الهجرات البشرية، أثر تأثيرا له خطره على السودان غرب النيل.

٢ - فإذا ما أنتقلنا شرقا وصلنا إلى وادى النيل، حيث الاتصال الرئيسى بين الشمال والجنوب والوادى هنا يختلف ضيقا واتساعا. ومن اليسير التمييز بين المعمور النيلى الذى تتركز فيه الحياة وترتفع كثافة السكان، والنطاق الغربى إلى العوينات. فالحياة فى القطاع النيلى متصلة بين الشمال والجنوب من النواحي الطبيعية والبشرية. والفروق المحلية محدودة، تقتصر على بعض نواحي اللغة وهى فروق أخذت فى الاندثار مع انتشار التعليم والاقبال على اللغة العربية. وخط الحدود يخترق وطن الجماعات النوبية وهى بهذا موزعه بين مصر والسودان فى منطقة الحدود.

٢ - وإلى الشرق ترتفع جبال البحر الأحمر، وإلى شرقها تنحدر الجبال فى سرعة الى سهل ساحلى ضيق ينتهى بنا الى البحر. فى هذا الجزء الشرقى نطاق قليل الكثافة من البشاريين الذين ينتشرون فوق رقعة تشمل الأجزاء الجنوبية من صحراء مصر الشرقية والسودان الشرقى كله والاطراف الشمالية من اريتريا. والقبائل الرعوية لا تعرف الاستقرار الكامل فى مكان واحد، ولا تتقيد فى تجوالها بالحدود المصطنعة التى لا تستند إلى مقومات من عناصر البيئة، والخط الفلكى - ٢٢ درجة شمالا - يشطر هذه القبائل بون اعتبار لنظم حياتها. ومن أجل ذلك عجز هذا الحد الفلكى عن أن يؤدى وظيفته التى ارادتها

له اتفاقية ١٩ يناير ١٨٩٩. وجاءت ظاهرة ازواج الحدود بين مصر والسودان. واصبح للسودان فى عهد الحكم الثنائى، حدود سياسية وأخرى إدارية فى المناطق الآتية:-

١ - **منطقة حلفا:** أصدرت وزارة الداخلية المصرية ٢٦ مارس سنة ١٨٩٩ أى بعد ما يقرب من شهرين فقط من اتفاقية يناير. قرار اداريا بتعديل الحدود فى هذه المنطقة وفقا للسياسة التى رسمتها بريطانيا انها تدخل ضمن حدود مصر اصبحت الحدود تمر بقربة أوندان الواقعة على الشاطئ الشرقى للنيل وبقرية فرس الواقعة على الشاطئ الغربى للنيل، وبمقتضى هذا التعديل تخلت مصر اداريا عن مساحة واسعة من الاراضى الزراعية تبلغ ٤٠٠٠ فدان، وعن عدد من الاشجار يبلغ ٨٢,٠٠٠ شجرة، وعن عدد من السكان يبلغ ١٣,٠٠٠ نسمة. وعلى مجموعة من القرى يبلغ عددها عشر - كل أولئك لكى تكون تابعة اداريا للسلطات الادارية فى السودان. وذلك لان السياسة البريطانية ارادت هذا، ولم تستطع مصر تحت الضغط الذى خضعت له وقتذ إلا الموافقة على ما أمته بريطانيا.

ذلك أن الأرض الزراعية فى حلفا نفسها ضئيلة جدا. وانها الى الجنوب من حلفا اكثر ضالة، أما الشمال ويصفة خاصة فى جهات فرس وسره ودبيره واشكبت وأرقين ودغيم ودبروسة، فان الأرض الزراعية تتسع والسكان يتجمعون ويفلحون الأرض فاذا قدر للحدود فى هذه المنطقة ان ترسم بحيث تمر بمدينة حلفا حسب ما هو وارد فى الاتفاقية، فان الاراضى الخصبة الواسعة نسبيا فى هذه المنطقة ستقع فى الجانب المصرى، وسيتبع هذا بطبيعة الحال تركيز الجزء الأعظم من سكان المنطقة فى الجانب المصرى، وسيكون اعتماد حلفا كله على الارض الواقعة فى الجانب المصرى وعلى السكان المقيمين فى ذلك الجانب. هذه

الأرض تمتد لمسافة ٢٥ كيلو مترا إلى الشمال من حلفا، ويوجد بها من القرى سره شرق وسره غرب وفرس ودبيره وأشكيت وأرقين ودغيم وعنقش ودبروسه وغيرها. واذن فلا بد من تعديل الحدود وفي هذه المنطقة تعديلا يكفل وضع هذا الجزء إلى الجنوب من خط الحدود أو بعبارة أخرى يؤدي إلى خضوع هذه القرى وما يتبعها من أراضى زراعية ومن يقيم بها من سكان لإدارة السودان.

٢ - منطقة جبل علبة:

وتقع في الركن الجنوبي الشرقي من مصر وهي جبلية مرتفعة تتكون من صخور قديمة نباتية غنية نسبيا تتوافر فيها موارد مياه تجعلها اقليما جغرافيا متميزا عن بقية الصحراء الفقيرة التي تنتهي إلى النيل. سكن الجبل جماعات من البشاريين وهم، قبيلة من البجاة الذين ينتشرون في الصحراء الشرقية ابتداء من خط عرض قنا حيث يحيا العباددة، يليهم جنوبا البشاريون في جبل علبه والسودان الشرقي، ولنطقة جبل علبة أهمية اقتصادية. فهي قطاع من الصحراء الشرقية في كل من مصر والسودان - حيث موارد من الثروة المعدنية، لا تزال دراستها بحاجة إلى استكمال. تزداد امكانيات الاستفادة منها مع تطور المواصلات وطرق البحث العلمي. وعلى السهل الذي يشرف عليه الجبل قام مرفأ حلايب تربطه طرق برية صالحة للسيارات مع بور سودان جنوبا والقصير شمالا. وفي قلب الجبل قامت مدينة جببت المعادن حيث مناجم الذهب القديمة، وهذه غير جبببت أخرى على الخط الحديد الذي يربط بين بور سودان وهيا.

وأرض هذه مميزاتا تكون من غير شك مطمع كل طامع، لهذا نجد أن السياسة البريطانية أتجهت نحو ضمها للإدارة في السودان، ولهذا اقترحت على الحكومة المصرية ضمها اداريا إلى السودان (وقد حشد لذلك من المبررات

الصورية ما يجعل التعديل أمرا ضروريا، فادعت ان الأمور الادارية فى هذه المنطقة مع الصحارى المصرية تتطلب ضرورة وضع البدو الذين ينتمون الى جماعة من الجماعات تحت سلطة ادارية واحدة.

وحيث أن منطقة جبل علبه وما جاورها تعيش بها جماعات من البشارية وان الغالبية العظمى من تلك الجماعات تعيش فى السودان. فمن المصلحة ضم منطقة علبه إلى السودان لكى تطبق على سكانها من البشارية النظم الادارية ذاتها التى تطبق على اخوانهم فى السودان وبناء على ذلك اصدر وزير الداخلية قرارا اداريا بتاريخ ١٤ نوفمبر سنة ١٩٠٢ بتعديل الحدود فى منطقة جبل علبه بحيث تصبح على النحو التالى:-

يمتد خط الحدود من نقطة على ساحل البحر الاحمر قريبا من بئر الشلاتين ثم يتجه جنوبا بغرب لمسافة ٥٨ كيلو متر إلى بئر منيجة، ثم يمتد شمالا لمسافة ٢٨ كيلو متر إلى جبل نجروب، ثم جنوبا بغرب لمسافة ٧٠ كيلو متر إلى جبل أم الطيور، ثم جنوبا مع انحراف كبير نحو الغرب لمسافة ٥٨ كيلو مترا ثم جنوبا مع انحراف قليل نحو الغرب لمسافة ٢٤٠ كيلو مترا حيث يقابل خط الحدود السياسية الذى يمتد مع خط عرض ٢٢ درجة شمالا.

وقد تخلت مصر إداريا بمقتضى هذا التعديل عن منطقة من أغنى مناطق الصحراء الشرقية مثلثة الشكل تقريبا طول ضلعها الجنوبي الذى يمتد على طول الحدود السياسية ٣٠ كيلو متر تقريبا وضلعها الشرقى الذى يطل على البحر الاحمر ٢٠٠ كيلو متر، وضلعها الغربى ٢٠٠ متر كيلو متر أخرى، وهى منطقة تبلغ مساحتها ١٢,٥٠٠ كيلو متر مربع تقريبا.

ثالثا: منطقة جبل بارتزوجا

ولم تجد السياسة الانجليزية مانعا من تغطية سياستها فى اقتطاع منطقة
عليه باقتراح ضم منطقة جبل بارتزوجا فى السودان وهى المنطقة الفقيرة اداريا
إلى أرض مصر بحجة واهية أن أغلب سكانها من البدو ينتمون إلى جماعات
العبادة، وجماعات العبادة هذه تعيش فى مصر، فخير لأخوانهم فى السودان
أن تطبق عليهم القوانين الادارية ذاتها التى تطبق عليهم فى مصر.

وبناء على ذلك نجد أن نفس القرار الادارى الذى أصدره وزير الداخلية فى
٤ فبراير سنة ١٩٠٢ تضمن ضم المنطقة المحيطة بجبل بارتزوجا اداريا إلى
مصر وهى منطقة لا تزيد مساحتها عن ٦٠٠ كم٢.

رابعا: منطقة كورسكو:

وهذه منطقة صحراوية أخرى أشد جفافا من المنطقتين السابقتين، ولكنها
أرض مجاور لوادى النيل، وتنحصر بينه وبين خط مستقيم يمتد من جبل
بارتزوجا فى الجنوب حتى كورسكو الواقعة على نهر النيل فى الشمال. وقد بدا
للسياسة البريطانية أن ضمها للسودان قد يعود عليها بنفع مادى فأملت
ارادتها وكان لها ما ارادت. وعدلت الحدود بحيث تصبح المنطقة تابعة للسودان
من الناحية الادارية.

ولكن يظهر أن هذه المنطقة لم يوجد بها ما يستدل منه على أهمية خاصة
ولم ينجم من ضمها اداريا إلى السودان نفع ظاهر. فتقرر إعادتها إلى الادارة
المصرية، وصدر فى سنة ١٩٠٧ قرار بتعديل الحدود تعديلا يكفل اعادة المنطقة
إلى مصر، وذلك يجعل الحدود الادارية منطبقة على الحدود السياسية بدلا من
أن تنحرف متجهة نحو كودسكو.

هذه نظرة سريعة إلى حدود مصر الجنوبية وإلى ما طرأ عليها من تعديلات إدارية في الفترة التي عقيبت امضاء الاتفاقية الخاصة بالسودان في سنة ١٨٩٩. ومنها يستدل على أن مصر قد اقتطعت منها مساحات واسعة ضمت إداريا إلى السودان، وإن الحجج التي اعتمد عليها في تبرير هذا الاقتطاع ليس لها سند من الواقع، ولم تكف مصر عن المطالبة بالغائها والاكتفاء بالحدود السياسية التي فرضتها اتفاقية سنة ١٨٩٩.

النزاع وحجج الاطراف.

بدأ نزاع الحدود المصرية السودانية عام ١٩٥٨، وفي أواخر يناير على وجه التحديد، وكان ذلك بمناسبة الانتخابات في السودان، وقانون الانتخاب السوداني والذي أدخل شمالي حلفا وحلايب ضمن دوائر السودان وفي نفس الوقت كان استفتاء الوحدة المصرية السورية، وقد وضعت الحكومة المصرية الاقليم ضمن الدوائر المصرية، ثم لا ننسى أن حكومة السودان في ذلك الوقت كانت حكومة حزب الأمة، وكان يرأسها السيد عبد الله خليل، وتبادلت المذكرات بين الحكومتين، ووصل الأمر إلى حد ارسال السودان مذكرة لمجلس الأمن، على العموم يستند كل طرف في مطالبه إلى عدة أسباب سنوجزها فيما يلي:

السودان

١ - ان له الحق في المنطقة لأنها وضعت تحت الادارة السودانية نحو ٦٠ عاما.

٢ - حتى لو كان الحد إداريا، فإن مصر عند استقلال السودان عام ١٩٥٦ قبلت إدارة السودان لها ولم تطالب بها.

٣ - فكرة التقادم قائمة على مبدأ الحيازة الفعلى وعدم وجود معارضة.

٤ - فى اعتراف مصر بالسودان كدولة مستقلة عام ١٩٥٦ لم يكن لمصر تحفظات خاصة بالحدود، خاصة وان السودان أشار فى مذكرته إلى مصر، أنه يحتفظ بموقعه الحالى بالنسبة لجميع الاتفاقيات الدولية التى تمت أثناء الحكم الثنائى،

٥ - مبدأ قدسية الحدود الموروثة منذ عهد الاستعمار.

ويتلخص رأى مصر فى:

١ - أن الحدود الدولية شئى والحدود الادارية شئى آخر.

٢ - مجرد الإدارة لا تكون سببا كافيا لاكتساب السيادة.

٣ - التعديلات التى تمت كانت لتسهيل الادارة، ولذلك قامت بها وزارة الداخلية.

٤ - لم تقم اتفاقية دولية بشأن هذا التعديل.

٥ - سلم الطرفان المصرى والسودانى على أن تقوم المساحة المصرية والجهات المعنية برسم خطين إدارى ودولى.

٦ - فى القانون الدولى لا يتم التنازل عن إقليم إلا بموافقة الأطراف المعنية.

٧ - فكرة التصادم لا يأخذ بها كثير من رجال القانون لا يأخذ بها.

٨ - الوجود المصرى كان ممثلا فى شركة علبه للتعددين وهى شركة مصر، ومصر كانت هى التى تعطى تراخيص التعددين.

على العموم كان هناك ارتباط كبير بين اتفاق واختلاف النظم على الجانبين وبين ظهور المشكلة وخفوتها.

خصائص الوحدة السياسية

١- التفتت السياسي: Fragmentation

ذكرنا ان تقسيم القارة سياسية أدى الى تفتيتها حتى لقد بلغ عدد وحدات السياسية ٥٢ وحدة سياسية، بينما فى ظل الحكم الاستعماري كان هناك اتحاد غرب أفريقيه الفرنسي. Frenh Equatorial Af. ويضم ٨ وحدات سياسية الآن واتحاد افريقيه الاستوائى الفرنسى ويضم أربع وحدات سياسية الان واتحاد روديسيا نياسلاند ويضم ثلاث وحدات سياسية الآن، وكان هناك الإتحاد الى ألفدرالى الذى ضم السنغال مع السودان الفرنسى (مالى) ورواندا بورندى.

٢- درجة عالية من التجاوز والاحتكاك: High degree of Contiguity

وما دام هناك عدد ضخم من الوحدات السياسية، فهناك درجة عالية من التلاقى أو الجوار فمعظم دول القارة يتعدد جيرانها، فعلى سبيل المثال اذا افترضنا أن الدولة الداخلية فى متوسط تجاورها أربع دول والدولة الساحلية تجاورها ثلاث دول ولكن الخريطة السياسية ترينا أكثر من اربع دول، وفى دولة كالسودان يصل العدد الى ٩ دول وكذلك الحال فى زانير، وهى ثمانية فى حالة تنزانيا وزامبيا ويصل فى النيجر الى ٦ دول، ويبلغ التناقض حدته فى أن غمبيا جيب فى السنغال، وليسوتو جيب فى جمهورية جنوب افريقيه، أى جار واحد، بطبيعة الحال تزداد المشكلات بزيادة الاحتكاك، أى بازدياد عدد الجيران.

٣ = اشكال غريبة: Awkward shapes

وأدى هذا التفتيت، هذه البصمة أو الوصمة الاستعمارية إلى ظهور وحدات ذات أشكال غريبة، فهناك الدول ذات الاستطالة الظاهرة مثل توجو وغمبيا ومالاوى، وهناك الاشكال الغريبة متمثلة فى مالى الى تنتفخ فى البداية. وكذلك فى النهاية وتضيق كمضيق الزجاجة فى الوسط، والصومال ذات الشكل الأفرنجي، فهى طويلة بالنسبة لعرضها بحيث ان اقليم الوجودين الاثيوبي يتوغل فيها، كذلك الحال فى موزمبيق التى تشبه الصومال فى الاستطالة وغمبيا أشبه بدودة فى بطن السنغال، كل هذه الأشكال معيوبة استراتيجيا فالاستطالة الشديدة فى الدول تجعل الوحدة الوطنية من الزمور المشكوك فيها، فما بالك والروح القبلية مستشرية بين السكان، وما بالك إذا كانت العاصمة أيضا فى أحد الاطراف دون الوسط كما هو الحال فى توجو والصومال وموزمبيق وليس من شك فى أن الدول البالغة الاستطالة وذات أعناق الزجاجات يمكن اختراقها بسهولة من جانب الدول المجاورة، فعنق الزجاجة هنا هو كعب أخيل الذى يمكن استغلاله حين اللزوم كما فى حالة مالى وزامبيا، ولكن لحسن الحظ الجيران ضعفاء.

ومن الأشكال الغريبة أن بعض الدول قد تكون متماسكة وكتلة واحدة ما يوحى بشكلها النموذجى ولكن يكتشف ان لها زائدة تخرج منها لتخترق دولة مجاورة، وهذه الدول ذات الزوائد لاشك تواجه مشكلات داخلية خاصة حين تكون هذه الزائدة ذات أهمية اقتصادية او استراتيجية كاقاليم شابا فى زائير، بل وأوضحها يتمثل فى اصبع كبريفى الممتد من نامبيا الى زامبيا، أما إذا انتقلنا إلى انجولا نجدها مكونة من جزئين يفصل بينهما زائير!!

٤- دول حبيسة:

وتأتى الدول الحبيسة التى تفوقت فيها القارة على القارات الاخرى فهى تضم خمس عشرة دولة حبيسة أو نحو نصف الدول الحبيسة فى العالم قبل تفكك الاتحاد السوفيتى ويرجع هذا إلى ظروف طبيعية تتمثل فى أن القارة الافريقية كتلة مندمجة تكاد تكون منعدمة الزوائد والخلجان، قارنها مثلاً بالقارة الاوربية، تجد الفرق واضحاً، كما يرجع إلى التقسيم الاستعماري للوحدات السياسية ومن هذه الدول الحبيسة نجد خمسة فيها (مالى - بوركينا فاسو - النيجر - تشاد - أفريقية الوسطى) بمساحة تبلغ ٦,٥ مليون كيلو متر مربع فى شمالى وسط القارة، وهناك ثلاث أخرى (أوغندا - رواندا - بوروندى) دول صغيرة ولكنها ذات كثافة سكانية مرتفعة ووسط شرقى القارة، وبينما هناك مجموعة أخرى جنوب وسط القارة ممثلة فى لوسوتو وسوازيلاند، وأخيراً أصبحت اثيوبيا بعد انفصال ايرتريا عنها عام ١٩٩٢. فهذه هى قارة الدول الحبيسة بامتياز مثل هذه الدول الحبيسة لها مشكلاتها الاقتصادية السياسية، من مشكلاتها الاقتصادية عدم الاتصال المباشر والحر بالعالم الخارجى والتجاره العالمية، وتكون النتيجة اما شبه العزلة والانطواء باعتمادها على الاقتصاد المعيشى خاصة اذا كانت سلعها كثيرة الحجم قليلة الوزن كجلد الماشية فى تشاد والنيجر فضلاً عن سوء حالة النقل.

ويكفى أن مثل هذه الدول لابد وأن تعقد الاتفاقات مع الدول ذات المنافذ البحرية المجاورة وأن يكون حسن العلاقات سياستها وقد يتطلب الأمر وحدة اقتصادية.

ولعل خوف اثيوبيا من اعطاء اريتريا حريتها حتى عام ١٩٩٢م يرجع الى الخوف من مطالبة القوميات الاخرى باستقلال، ولكنه ايضا لحرمانها من جبهة

بحرية طفيلة بحيث تصبح دولة حبيسة، لأن المنفذ الآخر عن طريق سكك حديد جيبوتي تقع نهايته في جيبوتي. بذلك نص الاتفاق الاثيوبي الاريتري على ان تمر التجارة الاثيوبية من ميناء مصوع وعصب حرة دون قيد.

٥- دول صغيرة مساحة وسكانا:

ويتبع هذا التفتيت السياسي الكبير ان القارة تشهد عددا ضخما من الدول الصغيرة الحجم، فهناك خمس عشرة دولة مساحتها أقل من ١٠٠ ألف كم^٢ وهي سيراليون، غينيا بيساو- ليسوتو- غينيا الاستوائية، رواندا، بوروندي، جيبوتي، سوازيلاند، غامبيا، والرأس الأخضر، والقمر، موريشيس، وساوتومي وسيشل، بل ان الخمس الأخيرة مساحتها أقل من ١٠ آلاف كم^٢ وعلى الطرف الاخر توجد ثلاث دول فقط تزيد مساحتها على ٢ مليون كم^٢ وهي السودان والجزائر وزائير وتسع دول تتراوح مساحتها بين مليون، ومليونى كيو متر مربع وهي ليبيا - تشاد - النيجر - انجولا - مالي - جنوب افريقيه - اثيوبيا - موريتانيا - مصر، وفي الحقيقة ان المجموعة الأولى القزمية الحجم تتميز أيضا بفقرها، فلا يوجد بها دول ذات إمكانات سوى غانا وليبيريا وتونس.

وفضلا عن كثرة الدول القزمية مساحة، هناك الدول القزمية سكانا، فهناك ٢١ دولة يقل عدد سكانها عن ٥ مليون نسمة، بل من هذه المجموعة سبع دول يقل سكانها عن المليون مثل سوازيلاند والقمر وجيبوتي وغينيا الاستوائية والرأس الاخضر وساوتومي وسيشل، وهذا معناه ضيق السوق خاصة اذا كانت تتميز بفقرها الشديد وضعف القوة الشرائية مما لا يشجع على قيام نشاط صناعى وجذب استثمارات، بل منا دول تتميز بالمساحة الكبيرة والخلطة السكانية، وتصبح المساحة الكبيرة أشبه بالجلباب الفضفاض بالنسبة للسكان، هذا واضح فى ليبيا وموريتانيا وفى نفس الوقت نجد أن بعض الدول القزمية

مكتظة بسكانها كرواندا وبوروندى وليسوتو مما يؤدي إلى هجرة البعض بحثا عن عمل فى الدول المجاورة.

ومن مشكلات الدول الكبيرة المساحة خاصة الصحراوية أو الغابية يتمل فى الصعوبات الجمة فى ادارتها، وبسط سلطان الدولة على أرجائها كما هو الحال فى الجزائر والمغرب اثناء الفترة التركية، فقد كانت قبضة الدول على الأطراف الشمالية قوية، ثم تضعف تدريجيا بالاتجاه جنوبا، كذلك فى حالة ليبيريا، وزانير، وأثيوبيا، ونيجيريا .

إذا ضربنا مثلا بليبيريا لم يكن هناك اهتمام من جانب الادارة بالأجزاء الداخلية من البلاد بين عامى ١٨٤٧ - ١٩٠٥ إلا فيما يختص بالدفاع، ولم يزد رئيس الدولة الأجزاء الداخلية إلا فى عام ١٩٢٥، ولم تمثل الأجزاء الداخلية فى البرلمان إلا بعد عام ١٩٤٥م.

وقد أدى اتساع مساحة نيجيريا وتعدد الشعوب إلى تقسيم البلاد أول الأمر إلى ثلاث حكومات اقليمية، تنفق وتوزع مجموعة القبائل أو الشعوب الكبيرة فيها: اليوربا فى الغرب، وإلايبو فى الشرق، والهوسا فى الشمال، من ثم كان هناك الإقليم الشرقى، والإقليم الغربى، والإقليم الشمالى، ثم أضيف إليها إقليم رابع، ما بين الشرق والغرب، وإن كانت لا تشغله وحدة قبلية كبرى، كالأقاليم السابقة، وذلك ان قبيلة الاو Edo كانت مستاعة من سيادة اليوربا عليها.

وقد حاولت أول حكومة عسكرية فى غانا عام ١٩٦٦ تقوية الشعور بالوحدة الوطنية، وذلك بالغاء الوحدات الادارية الكبرى ذات الحكم الذاتى، والتحول الى الحكومة المركزية حتى لا تعطى فرصة للقبلية، ولكن الحكومة التى تلتها حاولت القضاء على الولاء القبلى والاقليمى بزيادة عدد الوحدات الادارية حتى بلغت

اثنى عشرة وحدة عام ١٩٦٧، وذلك للتقليل من أهمية كل وحدة من ناحية القوة، من ثم قسمت إلى تسعة عشر إقليمًا إداريًا عام ١٩٧٦، وأخيرًا لا ننسى مشكلة إقليم شابا في زائير أيضًا.

٥ - العواصم الأفريقية:

كان البعض يرجع نشأة العواصم الأفريقية إلى فترة الاستعمار الحديث، غير أنه لا يمكن إرجاع كل العواصم الأفريقية إلى الاستعمار الحديث، فهناك القاهرة التي تجاوزت الألف عام، وفي مراكش (المغرب) كانت العاصمة حيث يستقر الملك أو السلطان، فكانت فاس ومكناس عواصم، ولم تصبح أديس أبابا عاصمة لأثيوبيا إلا في نهاية القرن التاسع عشر، بل كانت الدويلات الأفريقية قبل الفترة الاستعمارية، كل لها عاصمتها كما في الإثانتى وداهومى وبوجندا.

في مثل هذه الدول ذات الأشكال الغربية تأتي مواقع العواصم أكثر غرابة فالمفروض في العاصمة التي تمثل مركز السلطة ومصدر الإشعاع لكل أنحاء الدولة، أن تكون في وسط الدولة، أو هي منه أقرب حتى يشعر بها الجميع، ولكنك إذا استعرضت العواصم الأفريقية سنجد أنها أبعد عن هذا الوسط، بل متطرفة أشد التطرف، انظر إلى عواصم الشمال الأفريقي ليبيا تونس الجزائر المغرب، وانظر إلى عواصم دول غرب أفريقيه كنيجيريا، وتوجو، وغانا، وساحل العاج... الخ، انظر إلى تنزانيا، وناميبيا، وزائير وغيرها ثم انظر إلى عواصم مالي والنيجر وتشاد والصومال وموزمبيق كلها متطرفة. ويمكن القول أن التطرف في موقع العواصم يرجع إلى عامل جغرافي كمتطرف المعمور (البحر المتوسط - السفانا) أو لسبب سياسى كما فى العواصم الساحلية، اذا ثبت أن هناك ست وثلاثون دولة ساحلية، منها سبع وعشرون عاصمتها ساحلية، وتمثل العاصمة فى معظم الاحوال البناء الأول والمركز الصناعى والتجارى والتعليمى

الثقافى وبالتالي تستحوذ على معظم التسهيلات والخدمات التى تقدمها الدولة، وهذا بطبيعة الحال على حساب المدن والاقاليم الاخرى فى الدولة ويصبح الفرق ضخما بينهما، ومن ثم تتضخم العواصم وتعجز الخدمات عن الوفاء بحاجة هذا الفيض المتدفق من البشر، فالعاصمة هى المدينة المهيمنة Primate city

فغرض الدول المستعمرة وهدفها الأول أن تكون على اتصال سهل بإدارة المستعمر، وتكون هذا العاصمة مركز إستقبال وإرسال للتجارة، فإذا ما انشأت عاصمة جديدة لم تراع إلا ماسبق، رغم ان هذا قد يكون فيه انعزال العاصمة وتطرفها عن بقية أجزاء المستعمرة الفرنسيون انشأوا الدار البيضاء لتكون الميناء الأول، والرباط لتكون العاصمة، رغم أن مراكش أو فاس قد تكون أكثر مركزية، من ثم تغيرت فى كثير من الأحوال عواصم العهد الاستعماري المبكر حيث ثبت أنها غير مريحة، وأنها لم تكن المكان الامثل جغرافيا واقتصاديا، فقد حكمت (غينيا البرتغالية (بيساو) من الرأس الاخضر حتى على ١٨٩٦ ثم تحولت الى جبا حتى عام ١٨٩٠م لتنتقل إلى بولاما حتى عام ١٩٤١ ثم تالى بيساو والان، وكانت جرائد تتبسام عاصمة كوت ديفوار حتى عام ١٨٩٢، ثم بنجر فيل حتى عام ١٩٢٤ والان اصبحت ابيدجان، على حين كانت كيب كوست هى عاصمة ساحل الذهب (غانا) حتى عام ١٨٧٦ حين تحولت إلى اكرابل وكانت العاصمة أحيانا تدير اقطارا عديدة على سبيل المثال كانت فريتون (سيراليون فى أوائل القرن التاسع عشر هى مركز الادارة لأقطار عديدة لغرب إفريقيا البريطاني، وكانت كايس (فى غرب مالي) أول الامر الفولتا العليا (بوركينافاسو) والنيجر يحكم من زنديرين عامى ١٩٢٢ ، ١٩٢٦، ثم انتقل مركز الحكم إلى نيانى، وعلى نفس المنوال كانت مبسة عاصمة محمية شرق افريقيه البريطانى والتي اعطت مكانها فيما بعد إلى نيروبي عاصمة لكينيا وعتبة تعاصمة لاوغندا وكانت هناك حالتان كان لابد من إقامة عاصمتين لهما بعد الاستقلال، الاولى تتمثل فى

موريتانيا التي كان يحكمها الفرنسيون من سانت لويس (إلا في السنغال) ومحمية بوتشوانا لاند التي كان يحكمها المنسوب السامى البريطانى، الذى كان فى نفس الوقت سفير بريطانيا فى جنوب افريقيه ومن مفكنج، لذلك كان لابد من بناء نواكشوط فى الحالة الأولى جابر ونس فى الحالة الثانية

وفى بعض الأحوال كانت سيكولوجية الاستقلال والرغبة فى التنمية الاقتصادية قد تكون حافزا للبحث عن عاصمة جديدة، كما فى حال ليلنجوى لتنشيط التنمية فى الاقليم الأوسط وتحل محل زومبا ذات الموقع المتطرف، ونقلت أوغندا المستقلة عاصمتها من عنابة إلى كمبالا العاصمة التاريخية لمملكة بوجندا، رغم ان مليتون أو بوتى فعل الكثير للتقليل من أهمية بوجندا.

من هناك كانت عملية نقل العاصمة أيانا تراود فكر المخططين أحيانا كحل للاكتظاظ ومشكلاته، نفذت أحيانا كما فى أبوجا بدلا من لاجوس، وهناك أعداد ديوما بدلا من دار السلام، ورأى البعض أيضا أن موقع الخرطوم متطرف فى أقصى الشمال بالنسب لجنوب السودان، بل ظهرت أيضا آراء تنادى بنقل العاصمة من القاهرة.

مراجع فى الجغرافية السياسية الافريقية.

جمال حمدان: أفريقية الجديدة القاهرة ١٩٦٦.

محمد صبوحى عبد الحكيم: خريطة افريقية السياسية فى السنوات العشر
الآخيرة، المحاضرات العامة الجمعية الجغرافية المصرية ١٩٦١

محمد عبد الغنى سعودى: العلاقات العربية الأفريقية فى العصور القديمة، فى
العلاقات العربية الأفريقية معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧٨.

: قضايا افريقية: عالم المعرفة، الكويت ١٩٨٠.

: الاقتصاد الافريقى والتجارة الدولية، الطبعة الثانية ١٩٧٨.

: افريقية - دراسة فى شخصية القارة وشخصية الاقاليم، القاهرة،
الطبعة الخامسة ١٩٨٥.

: السودان، القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٨٧.

: الجغرافية والعلاقات السياسية الدولية، القاهرة الطبعة السادسة
١٩٨٧.

: مسألة مياه النيل فى العلاقات المصرية السودانية، كلية الاقتصاد
والعلوم السياسية، القاهرة ١٩٠.

: حدود مصر السياسة: فى جغرافية مصر: المجلس الأعلى للثقافة
-١٩٩٤.

- E.A A, political geography of Africa, London 1978.
- Clark, J. ed: An Advanced egeog. of Africa, London 1975.
- Carter, G., ed: National unity and Regionalism in Eight African States, Cornell U.P. 1966.
- Colman. J.: Nationalism in Tropical Africa, in mcwan P.j., sutcliff, The study of Africa, London, 1992.
- Glassner Martin, I R A. Political egeag., Jhon wiley 1992.
- Martin, P., O'meara, P., Africa, Indiana U.P. 1986.
- Saadia Toval : The Boundary Politics of Africa, Harvard U. P, 1972
- Stamp. D: Africa A Study in Troica development, London 1963
- Wallerstin I : Independence and after in Roger E., Kaperson and Minghi: The Structure of Politlcal geography, London, 1970

ملحق

لبحث الصناعة في إفريقيا

إنتاج المعادن والصناعة فى إفريقيا
بالنسبة لإنتاج العالم.

٣,٥%	خام الزنك	٥,٥%	الفحم الصلب
٦٥,٨%	الكوبالت	١٢,٥%	البتروال الخام
٣٥,٩%	الذهب	٥,١%	خام الحديد
٢٥,٤%	اليورانيم	٣,٨%	الغاز الطبيعى
٢٥,٢%	الفوسفات الطبيعى	١٣%	الجازولين الطبيعى
١,٢%	الكاولين	٨,٣%	خام النحاس
٤%	الفضة	١٧,٤%	البوكسيت
٨,٦%	حديد البايرترب	٩,٨%	النيكل
٢٥,٤%	الفوسفات الطبيعى	٨%	الرصاص
١١,٥%	الفلسبار	٣٥,٦%	المنجنيز
٤٣,٢%	الماس الصناعى	٣٠,٣%	التتاليوم
		٧٤,٨%	القانديوم

تابع إنتاج المعادن والصناعة فى إفريقيا
بالنسبة لإنتاج العالم.

٨,٢%	زيت فول الصويا	٣%	الفواكه المعلبة
٨%	زيت بذرة القطن خام	٢%	لحوم معلبة
١%	زيت بذرة القطن مكرر	٢١,٤%	الخضراوات المعلبة
٦,٣%	سكر خام	٥,١%	السكر المكرر
١٦%	زيت الزيتون الخام	١٦,٢%	مستخرجات البن
٤٣,٢%	الطبايق المصنوع	١٢,٣%	الخبز والبسكويت
٤,٧%	نسيج القطن	١,٥%	الخمور
٥,٧%	الخشب المنشور	٤,٦%	البيرة
١,٣%	تجهيز ورق الطباعة	٤,٩%	المياه المعدنية
١,٤%	قشرة الخشب	٩,٧%	أسماك مجمدة
٦,٦%	لباب الخشب	١%	أسماك معلبة
٥,٣%	ورق الصحف	١,٢%	سلفات النحاس

تابع إنتاج المعادن والصناعة في إفريقيا
بالنسبة لإنتاج العالم.

٣,٩%	الأسمنت	١,٥%	الأمونيا
٤,٩%	الحديد	٧,٤%	مخصبات الفوسفات
١,٧%	الصلب	٨,٦%	سوبر فوسفات
٦,٨%	النحاس	٥٥%	مطاط صناعي
٠,١٧%	الومنيا	٢٢,٣%	الصابون
٢,٨%	الكهرباء	٩,٦%	جازولين الطائرات
٥,٦%	مقطولات	٢,٧%	وقود النفاثات
		٢,٨%	جازولين المحركات
		٨,٢%	الكيروسين
		٧,٨%	زيت غاز الديزل
		١,١%	فحم الكوك
		٤٥%	الأحذية المطاطية

Industrial Commodity Statistics Year Boofk 1993.

المصدر :

U.V. New York 1995

جدول رقم ٢
شمال أفريقية وغرب آسيا : العمالة ومعامل الإنتاجية
١٩٩٠ ، ١٩٨٠ ، ١٩٧٠

الصناعة	MVA لكل عامل			الدول الصناعية بالالف		
	القيمة بالدولار	المعامل		١٩٩٠	١٩٨٠	١٩٧٠
		١٩٩٠	١٩٨٠			
الطعام	٩٥٠٢	٩٣	٦٩,٧	٦٨٦	٥٢٥	٣٢٧
المشروبات	١٨١٢٩	١٠٨,٧	٩١,٧	١٠١	٦٩	٣٩
التبغ	٢٢٣٨٣	٨٩,٧	٥٢,٧	١٠٠	١١٠	٧٢
المنسوجات	٨٩٤١	١٥٤	١٢٤,٤	٨٠١	٧٤٧	٥٥٦
الكساء	٥٨٢٩	٧٠,٥	٨٢,١	٢٥٦	١٢٤	٥١
الجلد	١٢٢٩٨	١٢٢,٢	١٠٩,٩	٣٤	٢٢	١٤
الأحذية	٩٠٤٠	٦٤,٨	٦٤,٨	٧٢	٥٧	٣٢
الخشب	١١٠٤٥	١٣٠,٣	١١٠,٥	٧٦	٦٠	٣٤
الأساس	٨٢٠٣	١٠٨,٦	١١٩,٨	٥٨	٤١	٢٥
الورق	١٥٩٥٦	١٥٦,٨	١١٧,٦	٩٠	٦٧	٣٩
الطباعة	١٢٥٠٧	١٢٩,٨	٩٤,٥	٧٥	٦١	٣٩
الصناعات الكيماوية	٢١٢١٥	١٥٧,٦	١١٠,٤	١٣٤	٨٤	٣٢
كيماويات أخرى	٢٣١٣٤	٢٠٥,٦	١٢٣,٢	١٤٩	١٠٧	٧٥
صناعات بترولية	٣٤٨٨٠٠	١٣١,٤	٥٤,٥	٥٨	٦٠	٢٠
منتجات الفحم والبنزول	٢٠٠٨٥	١٠١,٧	١٢٢,١	٢٣	١٥	٣
المطاط	١٨٩٤٤	١٨٧,٣	١٣٨,١	٤٠	٢٨	٢٠
البلاستيك	٢٥٢٣٩	١٣٤,٨	١٠١,٦	٦٩	٥٣	١٦
فخار	١٤١٦٨	١٧٧	١١٤,٤	٣٢	٢٠	٩

تابع جدول رقم ٢
شمال أفريقية وغرب آسيا : العمالة ومعامل الإنتاجية
١٩٧٠ ، ١٩٨٠ ، ١٩٩٠.

الصناعة	الدول الصناعية بالآلاف			MVA لكل عامل	
	١٩٧٠	١٩٨٠	١٩٩٠	المعامل	القيمة بالدولار
زجاج	٢٢	٣٧	٤٦	١١٩,٧	١٨٥,٧
المعادن اللافلزية	١١٨	٢٧٣	٣٨٩	١١٠,٤	١٢٥,٧
الحديد والصلب	٦٢	١٥٩	٢٢٠	٧٧,٥	١٠٣,٢
معادن غير حديدية	١٣	٥٥	٧٧	٩٩	١٦٦,٦
منتجات معدنية	١٠٧	١٧٠	٢٢١	٩٥,١	١٢٦,٩
آلات غير كهربية (آلات)	٤٢	١٠٦	١٥٩	١١٥,٥	١٦٩,٧
آلات كهربية	٤٧	١١٢	١٦٥	٨٩,٨	١٣٣,٥
المواصلات	٨٥	١٤٦	٢١٣	٧٣,٩	١١٩,٦
مهنية وعلمية	٣	٧	١٦	١١٧,٩	١٢٦,٩
صناعات أخرى	١٢	١٩	٢٩	١٥٨,٩	١٧٠,١
الإجمالي	١٩٢٧	٣٣٤٤	٤٤٠١	٩٩,٨	١٣٦

جدول رقم ٢
أفريقية المدارية : العمالة الصناعية ومعامل الإنتاجية
١٩٩٠ ، ١٩٨٠ ، ١٩٧٠

الصناعة	الدول الصناعية بالآلاف			MVA لكل عامل	
	١٩٩٠	١٩٨٠	١٩٧٠	المعامل	القيمة بالدولار
الطعام	٣٥٥	٢٨٥	١٧٦	٩١,٣	٩٠,٨
المشروبات	٩٤	٧٤	٣٨	٨٩,٧	٩٣,٩
التبغ	٣٣	٣٩	٢٤	٨٣,٤	١١٠,٥
المنسوجات	٢٦٤	٢٦٤	١٥٣	٨٨,٥	٧٦,٥
الكساء	١٢٦	٦٧	٤٢	٨٤,٧	٨٤,٦
الجلد	١٨	١٣	٦	١٢٧	١١٧,٧
الأحذية	٣١	٢٥	١٥	٩٨,١	١٠٦,٣
الخشب	٦٧	١١٠	٧٠	١٢٤	١٦٢,٩
الأثاث	٣٥	٤٥	٢٢	١١٤,٣	١٠٣,٤
الورق	٣٥	٢٥	١٠	٩١	٦٩,٣
الطباعة	٥١	٥١	٢٨	١٠١,٣	٨٥,٣
الصناعات الكيماوية	٣٠	٢٦	١٣	٨٣	٩١,٥
كيماويات أخرى	٧١	٥٦	٢٣	١١٨,٨	١٠٠,٢
الفحم والبتروول	١٤	٩	٥	٦٨,٢	٥٦,١
المنتجات	١,١	,٧	,٢	٣٤,٧	٢٦,٥
المطاط	٢٠	٢٦	١٨	٩٧,٤	١٧٢,٦
البلاستيك	٢٩	٤٢	٦	٨١,١	٩٥,٣
الفخار والصيني	٢	٢	١	١٣٥,٣	٢١٩,٧

تابع جدول رقم ٣
أفريقية المدارية : العمالة الصناعية ومعامل الإنتاجية
١٩٩٠ ، ١٩٨٠ ، ١٩٧٠.

الصناعة	الدول الصناعية بالآلاف			MVA لكل عامل	
	١٩٩٠	١٩٨٠	١٩٧٠	المعامل	القيمة بالدولار
الزجاج	٨	٦	٤	٩٨,٦	٤٩٨٠
أملاح غير معدنية	٥٥	٥٢	٣١	١١٥,٤	٦٨٨٢
الحديد والصلب	٣٦	٢٢	١١	١٠١,٢	٧٢٨٤
معادن غير صلبة	٦	٧	٣	٩٦,٤	٢٢٣٧٢
منتجات معدنية	٩٣	٩٧	٥٢	١١٠,٨	٥٥٩٩
آلات غير كهربية (آلات)	١٦	١٩	٨	١٣٨,١	٧٧٢١
آلات كهربية	٣١	٣٣	١٣	١١٨,٥	٦٨٨٦
معدات النقل	٥٩	٦٥	٢٩	١٥٥,٤	٧٤٢٣
مهنية وعلمية	٢,٤	١,٤	٠,٣	١٣٠,٤	٦١٦٤
صناعات أخرى	٢٠	١٥	٩	٧٦,٢	٥٣٦٠
الإجمالي	١٦٢٥	١٤٧٦	٨١٢	٩٩,٧	٦١١٢

جدول رقم ٤
العلماء والمهندسون لكل مليون نسمة في أقطار إفريقية مختارة
ونسبة GNP المخصصة للبحث والتنمية

نسبة GNP المخصصة للبحث والتنمية		العلماء والمهندسين لكل مليون نسمة		المدة	الدولة
نهاية المدة	بداية المدة	نهاية المدة	بداية المدة		
,٣	,١	٧٨	٣٧	١٩٨٤ - ١٩٧٥	ج.إفريقية الوسطى
٠٠	,٤	٥٠٩	١٩٧	١٩٨٤ - ١٩٧٧	الكنغو
٠٠	,٤	٧٤	٦٠	١٩٧٥ - ١٩٧٠	كوت ديفوار
,٢	,٨	٤٤٦	٢٩٩	١٩٨٢ - ١٩٧٣	مصر
٠٠	٠٠	٣٩٦	١٩٩	١٩٧٦ - ١٩٧٠	غانا
٠٠	٠٠	٥٤٣	٢٨٢	١٩٨٢ - ١٩٧٠	كينيا
,٢	,٩	١٣	٢٤	١٩٨٠ - ١٩٧٠	مدغشقر
,١	٠٠	٢٠	٧	١٩٧٦ - ١٩٧٢	النيجر
,٣	,١	٣٠	٢٥	١٩٧٧ - ١٩٧٠	نيجريا
,٣	٠٠	٢٥٠	٨٩	١٩٧٨ - ١٩٧١	السودان
٠٠	,٢	٤٩	١٨	١٩٧٦ - ١٩٧٠	زامبيا

جدول رقم ٥
إتجاهات فى تكوين العلم والتكنولوجيا الخاصة بصانعى السياسة فى أفريقية

الأرقام			النوع
١٩٨٦	١٩٧٩	١٩٧٣	
٢٧	٩	٥	وزارة العلوم
٢٠	١٨	١٢	تخطيط العلم
٢٨	٢٤	١٨	البحث العلمى
٢٥	١٦	٢	العلوم الطبيعية
٣٢	٣٠	١٥	الزراعى
٢١	٢٠	٦	الطبى
٤	٤	٣	النوى
٢٥	٢٢	٧	الصناعى
١٥	١٤	١	البيئ
١٩٧	١٥٧	٦٩	الإجمالى

جدول رقم ٦
العمالة الخارجية والداخلية والكلية في دول كينيا وتنزانيا وزامبيا وزيمبابوى
(معدل النمو)

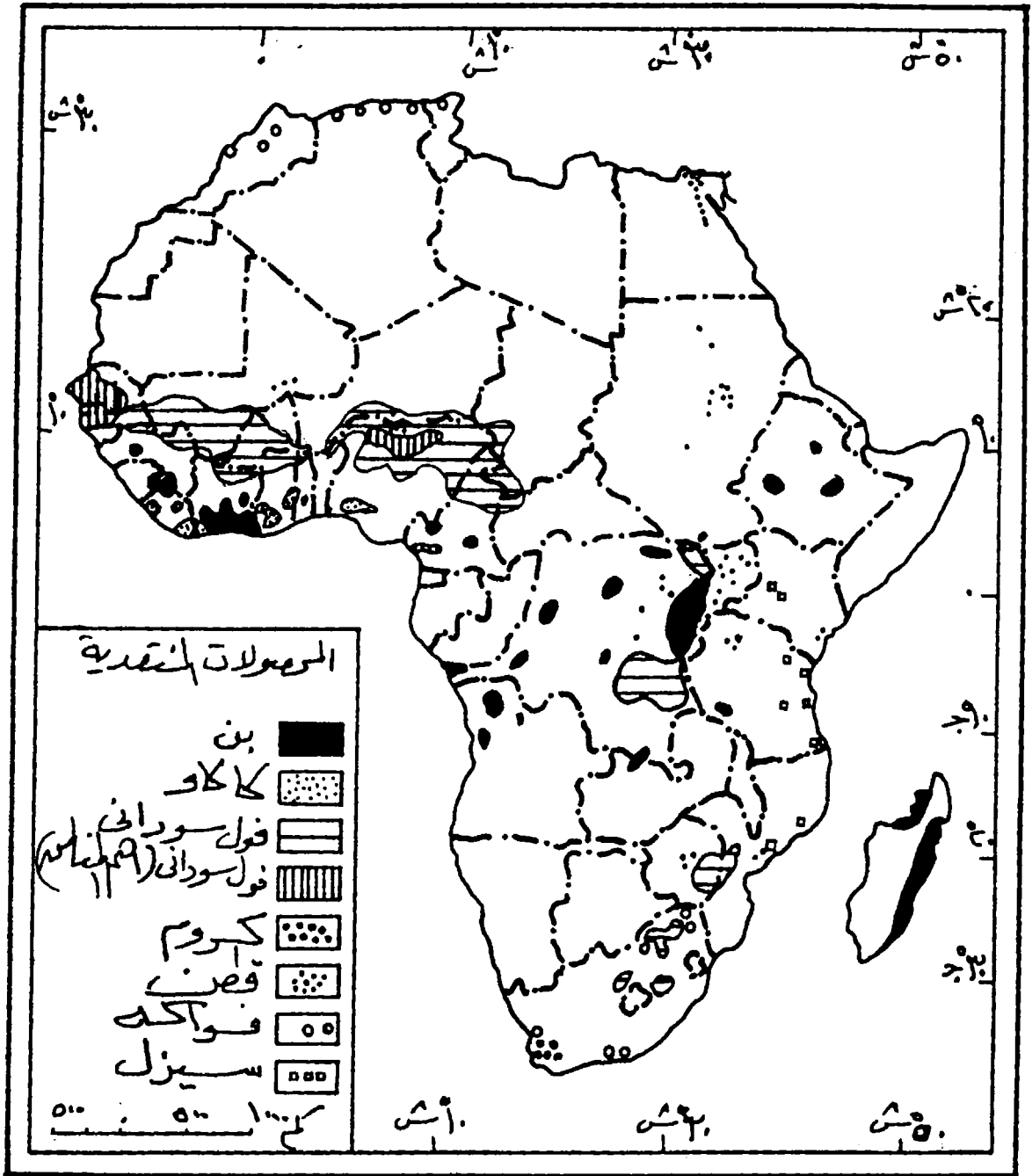
الدولة	المدة	العمالة الخارجية الموسمية	النمو في العماله	النمو في العاصمه	نصيب العمال	TFP النمو
كينيا	١٩٦٤ - ١٩٨٣	٧,٩٩	٥,٦٩	١٠,٦٠	,٣٥	,٨٩
تنزانيا	١٩٦٦ - ١٩٨٠	٨,٠٦	٨,٧٨	٨,٤٥	,٣٦	,٥١
زامبيا	١٩٦٥ - ١٩٨٠	٤,٩٨	٣,٦٣	١٤,٠٠	,٣٣	٥,٦٠
زيمبابوى	١٩٦٤ - ١٩٨١	٥,٢٨	٤,٧٦	٥,٥٥	,٣٩	,٠٣

جدول رقم ٨
التوزيع الشامل لعلماء ومهندسي البحوث والتنمية
(نسبة تقديرية)

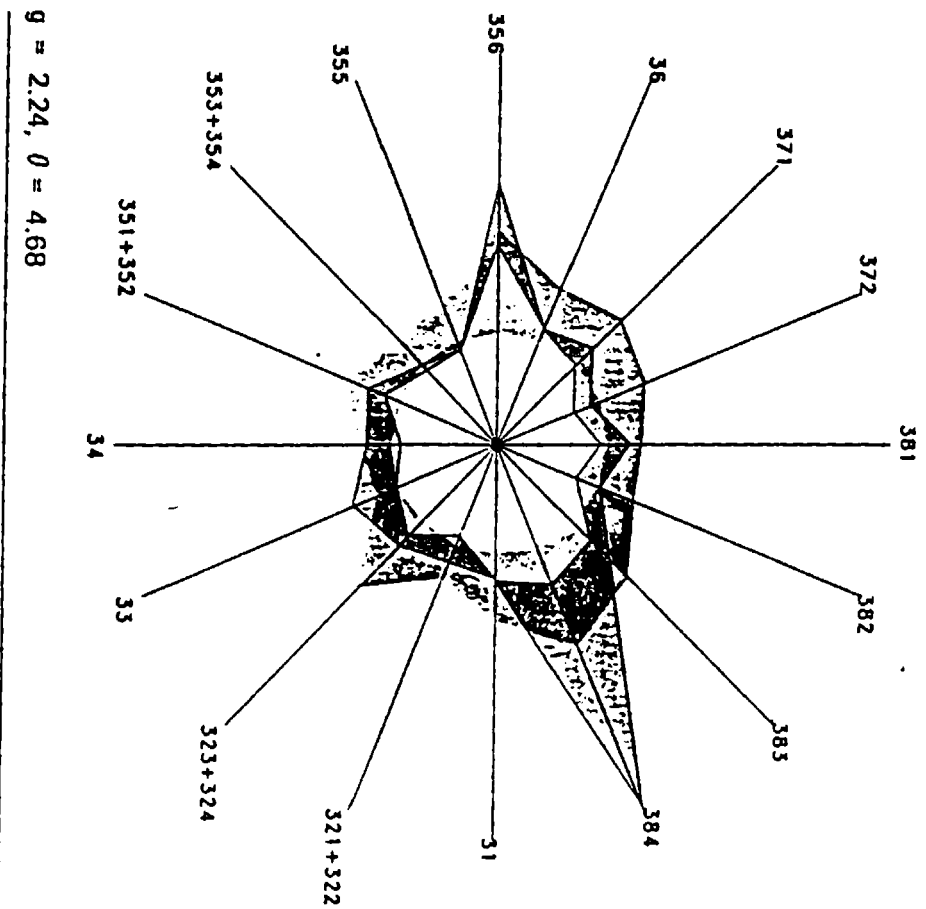
الإقليم	١٩٧٠	١٩٧٥	١٩٨٠
أفريقيا	,٣	,٤	,٤
الدول العربية	,٦	,٧	,٩
آسيا	١٧,٤	١٨,٦	١٨,٥
أوروبا	٢٢	٢٢,٦	٢٢,٣
أمريكا اللاتينية	١,٥	١,٨	٢,٤
أمريكا الشمالية	٢١,٨	١٧,٣	١٨
الأوقيانوسية	,٩	,٨	,٩
الاتحاد السوفيتي	٣٦,٦	٣٧,٨	٣٦,٦
الإجمالي	١٠٠	١٠٠	١٠٠

جدول رقم ٧
التوزيع الشامل لنفقات البحوث والتنمية في
الأقاليم الرئيسية (نسبة تقديرية)

الإقليم	١٩٧٠	١٩٧٥	١٩٨٠
أفريقيا	,٢	,٣	,٣
الدول العربية	,٢	,٣	,٥
آسيا	٧,٣	١٠,٨	١٤,٨
أوروبا	٢٥,٣	٣٢	٣٤
أمريكا اللاتينية	,٨	١,٥	١,٨
أمريكا الشمالية	٤٤,٥	٣٣,٧	٣٢,١
الأوقيانوسية	,٨	١	,٩
الاتحاد السوفيتي	٢٠,٩	٢٠,٤	١٥,٦
الإجمالي	١٠٠	١٠٠	١٠٠



Industrial structural change
(Index of value added: 1975 = 100)



$g = 2.24$, $0 = 4.68$

Key:

Constant prices of 1980

g = Average annual growth rate, 1975–1992
(percentage)

0 = Index of structural change, 1975–1992

ISIC code (industries):

31	(Food products)
321, 322	(Textiles)
323, 324	(Leather)
33	(Wood and furniture)
34	(Paper and printing)
351, 352	(Chemicals)
353, 354	(Petroleum and coal)
355	(Rubber products)
356	(Plastic products)
36	(Non-metal mineral products)
371	(Iron and steel)
372	(Non-ferrous metals)
381	(Metal products)
382	(Non-electrical machinery)
383	(Electrical machinery)
384	(Transport equipment)

1985–1992 forecast

1980–1985

1975–1980

دار مجددي محمود للطباعة والنشر

ت : ٥٨١٤١٩٤

منتدى سور الأزر بكيت

WWW.BOOKS4ALL.NET

رقم الإيداع

٩٧ / ٥٧٠٠